سليم حسن

موسوعة مصر القديمة

الجزء الثامن

موسوعة مصر القديمة (الجزء الثامن)

موسوعة مصر القديمة (الجزء الثامن)

نهاية عصر الرعامسة وقيام دولة الكهنة بطيبة في عهد الأسرة الواحدة والعشرين

تأليف

سليم حسن

هنداوي

موسوعة مصر القديمة (الجزء الثامن)

سليم حسن

الناشر مؤسسة هنداوي سي آي سي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٠١٧/١/٢٦

٣ هاي ستريت ‎ وندسور، SL4 1LD، المملكة المتحدة
تليفون: ‎+ ٤٤ (٠) ١٧٥٣ ٨٣٢٥٢٢
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: http://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي سي آي سي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره،
وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: سيلڤيا فوزي.

الترقيم الدولي: ٨ ١٥٥١ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

تمهيد

يشغل هذا الجزء من تاريخ أرض الكنانة حقبة من الزمن تولى في أثنائها حكم البلاد سلسلة من الفراعنة النكرات، الذين لم تبرز من بينهم شخصية نابهة تسترعي الأنظار بعمل من الأعمال الخالدة، كالتي قام بها فراعنة مصر العظام من قبل.

ولا عجب في ذلك، فإن ملوك الرعامسة الذين خلفوا «رعمسيس الثالث» كانوا بطبيعتهم ضعفاء في أخلاقهم، خاملين في عزائمهم، وقد كانت آخر جذوة من الحماس ومضاء العزيمة تتقد في نفوسهم قد خبت وتلاشت واستحالت رمادًا بموت «رعمسيس الثالث»، الذي كان يُعد بحق آخر بطل في أسرة الرعامسة، التي استوت على عرش الكنانة عدة قرون.

والواقع أن هذا الفرعون قد أمضى مدة حكمه في كفاح لإرجاع مجد مصر الضائع، وعزتها التي هانت وتضعضعت من جراء الغارات وغزوات الأمم المجاورة التي كانت تجتاح البلاد من كل الجهات، وبخاصة غارات أهل لوبيا، هذا إلى تفشي الفتن الداخلية، وقيام المؤامرات الأسرية في داخل القصر الفرعوني؛ يضاف إلى ذلك الفقر الذي كانت البلاد ترزح تحت عبئه، وبخاصة بعد أن أصبحت معظم ثروة البلاد على مر الأيام في يد طائفة من كهنة الآلهة العظام، وبخاصة كهنة الإله «آمون» أعظم الآلهة نفوذًا في تلك الفترة، ولقد وصلت الحال المالية من التدهور في نهاية عهد هذا الفرعون إلى أن أصبح عاجزًا عن دفع أجور عمال الجبانة، الذين كانوا ينحتون قبره مما أدى إلى إضرابهم، فكانت أول ثورة عمالية عُرفت في تاريخ العالم. وقد برهنت الآثار التي تركها لنا أخلاف «رعمسيس» على مقدار فقرهم وعجزهم، ولا أدل على ذلك من أننا نرى معظم مقابر ملوك الأسرة العشرين ومعابدهم الجنازية قد وقف العمل فيها، ولم تتم بعد حتى الآن، فلا غرابة إذن في أننا لم نعثر على آثار هامة من عهد هؤلاء الملوك من حيث العمارة أو الفتوح الخارجية، اللهم إلا بعض بعوث قام بها «رعمسيس الرابع» إلى «وادي حمامات» لقطع الأحجار من هذه

الجهة لإقامة العمائر الدينية، وقد ترك لنا نقوشًا غاية في الأهمية نستنبط منها حالة البلاد الاجتماعية والدينية، كما خلف لنا بعض نقوش وقصائد دينية تكشف لنا عن أحوال العبادة في تلك الفترة، وبخاصة عبادة الإله «أوزير» الذي وحد بالنيل الذي تحيا بفيضانه البلاد، وتموت بانخفاضه، ومن ثم أصبح «أوزير» والنيل موحدين، فحياة «أوزير» هي الفيضان، وموته هو القحط. هذا وقد ترك لنا هذا الفرعون بردية تصميم مقبرته، وما وصل إليه المهندسون في تخطيط العمائر الدينية، وقد خلفه آخرون يحملون نفس الاسم، غير أنه لم يكن لهم من الأمر شيء، ولا نكاد نعرف عنهم أنفسهم إلا بعض حقائق مبهمة، شأن كل الملوك النكرات؛ ولذلك يكاد يكون تاريخ نهاية الأسرة العشرين قاحلًا مجدبًا بالنسبة لأشخاص الفراعنة، إلا أنه قد عوضنا عن ذلك فيض عظيم من المتون التي عُثر عليها من عهدهم مدونة على جدران المعابد وقطع الإستراكا، أو على إضمامات من البردي.

ومن الغريب المدهش أن المؤرخين الذين كتبوا عن عصر الأسرتين العشرين والواحدة والعشرين يمرون سراعًا على هذه الفترة كأنما لم يكن التاريخ تاريخًا إلا إذا كان يتحدث عن الملوك وأعمالهم، وصفاتهم ومناقبهم، وحركاتهم وسكناتهم. أما الشعب وطبقاته وحياته وأعماله، وصناعته وفنونه، وما لاقاه أفراده من نعيم أو بؤس فليس بالشيء الذي يستحق الذكر أو يلفت النظر بوجه ما، ومن ثم نجد الخطأ المخزي في تدوين تاريخ هذه العصور التي لم يكن لملوكها أعمال تُذكر. وفي الحق يعد المؤرخون مثل هذه الفترات في تاريخ مصر القديمة فجوة لا يمكن ملؤها، حتى إن المطلع في أسفار التاريخ عن هذه الحقبة يجد أنها كُتبت في صحائف معدودات، بل نجد أحيانًا أن ما كُتب عن أحد الملوك لا يشغل أكثر من بضعة أسطر، لقلة المصادر الخاصة بهذا الملك.

وإذا كان التاريخ بمعناه الحديث هو علم الاجتماع الوصفي لا تاريخ الملوك وأعمالهم فحسب، فإن لدينا في نهاية عصر الأسرة العشرين وعهد الأسرة الواحدة والعشرين مادة غزيرة تصور حالة المجتمع وحياته من كل الوجوه، وهذه المادة تركها لنا أفراد عاشوا في عهود هؤلاء الفراعنة، وقد

أدى فحص هذه المادة ودرسها إلى الكشف عن الحياة في تلك العهود مما جعل هؤلاء الملوك النكرات يظهرون بعد أن كان لا يعرف عنهم أكثر من أسمائهم، وبعض حقائق تافهة عن أشخاصهم لا تفيد التاريخ في شيء، ويرجع الفضل في ذلك إلى ما خلفه لنا أفراد الشعب من وثائق هامة.

فمثلًا في عهد «رعمسيس الخامس» الخامل الذكر عثر الباحثون على عدة إضمامات من البردي كشفت لنا عن نواحٍ جديدة في حياة مصر الاجتماعية والجغرافية والاقتصادية، ويلفت النظر من بين هذه الأوراق بردية تصف لنا أخلاق الكهنة، وما كانوا يرتكبونه من جرائم خلقية، ولا نزاع في أن ما جاء في هذه الورقة يضع أمامنا صورة حية عن انتشار الرشوة وفساد الأخلاق، وانحلال أداة الحكم في أنحاء البلاد، وبخاصة بين رجال الدين الذين ضربوا الرقم القياسي في ارتكاب هذه الآثام، وأشركوا معهم الموظفين الآخرين حتى عم الفساد كل الطبقات.

في عهد هذا الفرعون نفسه جادت علينا تربة مصر بإضمامة من البردي توضح لنا للمرة الأولى بشيء من التفصيل كيفية مسح الأراضي ووجود مصلحة خاصة بها، وتقسيم الأراضي إلى فئات حسب خصبها، وتوزيع الضرائب التي تُجبى بما يتناسب مع نوع التربة من حيث الخصب، كما كانت تراعي العدالة الاجتماعية في فرض الضرائب، وسيرى القارئ أن المشرع المصري للضرائب كاد يكون مثاليًّا في هذا الصدد، ولا أدل على ذلك من أن أصحاب الملكيات الصغيرة كانوا يُعْفَوْنَ من الضرائب، ويُستنبط من مضمون هذه الورقة كذلك أن الضرائب كانت تُجبى من كل طبقات الشعب بما في ذلك أملاك الكهنة والمعابد. هذا إلى أننا قد عرفنا الكثير عن كيفية توزيع الأطيان وأصحاب الملكيات وأن الفرعون لم يكن المالك الوحيد للأرض، بل كان كل طبقات الشعب يملكون أراضيَ، حتى العبيد كان لهم أملاك خاصة بهم يتصرفون فيها كيف شاءوا، هذا وتدل شواهد الأحوال على أن الأراضي كانت تُورث على وجه عام.

ولدينا من هذا العهد كذلك بردية تحدثنا عن تدوين الوصايا في هذا العهد، وبخاصة وصية امرأة أرادت أن تقسم متاعها بين أولادها ذكورًا وإناثًا قبل موتها، ومحتويات هذه البردية والوثائق الأخرى التي تتعلق بها تكشف لنا عن صفحة جديدة في تقسيم الميراث، كما تضع أمامنا صورة ناطقة عن مقدار فقر البلاد في تلك الفترة.

وفي عهد «رعمسيس السادس» لم نجد شيئًا من عهده يستحق الذكر إلا مقبرة كُشف عنها في بلاد النوبة، وهي لنائب الملك في بلاد «واوات» التي كانت تعد في العهد الفرعوني أكبر مصدر لاستخراج الذهب، وقد اتخذ الحاكم مقر حكمه بلدة «عنيبة» الحالية، وقد دفن في مقبرته هذه، ومن نقوشها نفهم صلات مصر ببلاد النوبة، وأن الأخيرة حتى في أحرج الأوقات في تاريخ مصر كانت دائمًا متصلة اتصالًا وثيقًا بالفراعنة، وتدين لهم بالطاعة والولاء.

وفي عهد هذا الفرعون ومن قبله تحدثنا النقوش التي عُثر عليها أن سلطة الكاهن الأكبر «لآمون» قد أخذت تعظم، ويتفاقم خطرها، كما أخذت سلطة الفرعون تضعف وتتضاءل، وفي الحق نجد أن أسرة بعينها وهي أسرة الكاهن الأكبر «رعمسيس نخت» قد أصبحت ذات نفوذ عظيم في البلاد، فكان أفرادها فضلًا عن نفوذهم الديني يتولون الشئون المالية، فقد كان والد «رعمسيس نخت» هذا هو رئيس الضرائب في البلاد، وقد ورَّثها أحد أبنائه، كما أصبحت وظيفة الكاهن الأكبر وراثية في الأسرة، وبذلك أصبحت في الواقع هي الحاكمة الفعلية في البلاد، ولم تترك للفرعون من السلطة إلا الاسم وحسب. ثم خلف «رعمسيس السادس» على عرش مصر شبح آخر يحمل اسم «رعمسيس السابع» لا نعرف عنه ولا عن عهده شيئًا إلا مقبرة للعجل «أبيس» بُنيت في عهده عرفنا من نقوشها المراسيم التي كانت تؤدى لهذا العجل عند دفنه، ثم أعقبه «رعمسيس الثامن» ولم يذكر اسمه إلا مرة واحدة على لوحة لأحد الموظفين أرسله في بعثة خاصة من الوجه البحري إلى العرابة المدفونة مقر عبادة الإله «أوزير»، وهكذا نجد أنفسنا نسير في ظلام دامس في ركب التاريخ المصري في هذه الفترة إلى أن نصل إلى عهد الفرعون «رعمسيس التاسع» الذي عثر

على سلسلة من الأوراق البردية تنسب إلى عهده، وتكاد تكون فذة في بابها من حيث المادة والموضوع، فقد كشفت لنا محتويات هذه الأوراق عما كانت عليه البلاد من فقر مدقع، أدى إلى اضطرابات وثورات قلبت الأوضاع الاجتماعية والدينية في البلاد رأسًا على عقب.

وأهم هذه الأوراق وأعظمها شأنًا الأوراق الخاصة بسرقة المقابر والمحاكمات الجنائية التي نتجت عن ذلك، فقد قامت في عهد «رعمسيس التاسع» موجة فقر أدت بالقوم إلى الكفر بكل شيء حتى بملوكهم الذين كانوا يعبدونهم منذ أقدم العهود، فأخذ حراس القبور بالاشتراك مع الطبقة السفلى من الأهلين وبخاصة العمال وكذلك الكهنة أنفسهم يبحثون عن موارد رزق لهم يسدون بها رمق الجوع، ولم يكن أمامهم مورد عذب فياض إلا مقابر أغنياء القوم والملوك التي كانت مستودعًا لحليهم وأثاثهم الفاخر، فأخذوا ينهبون ما فيها مما غلا ثمنه وخف حمله، وقد بدءوا بمقابر علية القوم نساءً ورجالًا، ثم انقضوا على مقابر الملوك على الرغم من حراستها والقيام بالمحافظة على ما فيها، فكانت تؤلف عصابات من العمال والكهنة الذين يعرفون مواطن هذه المقابر وبخاصة التي تحتوي على فاخر الأثاث، فنهبوها نهبًا شاملًا كاملًا؛ ولا أدل على ذلك مما جاء في ورقة «إبوت» وورقة «أمهرست وليو بولد الثاني»، فقد وضعت أمامنا محتويات هذه الأوراق صورة واضحة عما كان في هذه المقابر من أثاث فاخر وحلي ثمين. والعجيب أن هؤلاء اللصوص كانوا مهرة مدرَّبين على السطو والنهب بطريقة فنية ورثها عنهم أحفادهم الذين يسكنون في الجهة الغربية من «طيبة» الآن، وقد أدت هذه السرقات إلى نشر الذعر والهلع في نفوس القائمين بالأمر من رجال الحكومة، وأخذ حاكما «طيبة» الغربية والشرقية كلاهما يتخاصمان في أمر هذه السرقات، فاتهم حاكم طيبة الشرقية حاكم طيبة الغربية بالتهاون في حراسة هذه المقابر مما أدى إلى تأليف لجنة للتحقيق في شأن المقابر التي قيل إنها نُهبت، وقد حدثت مشادات ومخاصمات بين هذين الحاكمين ظهر في أثنائها التحيز مما أدى إلى ضياع الحقيقة واستمرار النهب، وقد قامت في خلال ذلك لجان تحقيق للوصول إلى نتيجة، كما ضُبط بعض اللصوص وأخذ رجال الإدارة والقضاء في محاكمتهم،

وفي هذه المحاكمات التي أوردناها في هذا المؤلف يرى القارئ العجب العجاب، وسيتضح له من محتوياتها أن اللصوص كانوا يتألفون من فقراء القوم والكهنة أنفسهم الذين كانوا قائمين على حراسة هذه المقابر، وقد كانوا يقتسمون فيما بينهم محتويات هذه القبور التي دل ما وُجد فيها على أنها كانت تحتوي على نفائس غاية في الأهمية والقيمة، ولقد كان اللصوص يتخذون من الطرق في إخفاء سرقاتهم ما نراه ونسمعه في أيامنا هذه، فكانوا يمحون أسماء أصحاب هذه القبور ويأخذون الثمين منها فقط، وما لا يدعو إلى الريبة في أمره، كما سنرى أن الحراس وفقراء القوم كانوا لا يطمعون في أخذ أنصبة كبيرة قد تفشي سر غناهم المفاجئ، وثروتهم الطارئة، ولكن المحاكمات التي كانت تعقد للوصول إلى الحقيقة قد استعملت طرقًا غاية في الذكاء وغاية في الشدة للوصول إلى حقيقة هؤلاء اللصوص وما ارتكبوه من جرائم، فقد كانوا يحلفون المتهم بالأيمان المغلظة عندهم كالحلف بالملك وبالإله كما كانوا يستعملون أنواع التعذيب بالجلد والنفي كما هي الحال في أيامنا، وقد كان اللصوص يعترفون أحيانًا بأشياء لم يرتكبوها كما كان بعضهم يصر على عناده ولا يبوح بشيء.

والغريب أننا نرى من سير هذه المحاكمات أن معظم اللصوص كانوا من حراس المقابر أنفسهم والكهنة القائمين بالمحافظة على هذه المقابر، ولما فرغوا من سرقة ما عرفوه من مقابر فخمة ذات أثاث ثمين انتقلوا إلى سرقة أواني وأثاثِ المعابد نفسها جهارًا، ولقد بلغ ببعضهم الجرأة أنهم كانوا يتخذون من خشب أبواب المعابد ومعادنها مادة لصنع توابيت لأنفسهم منها أو لإذابتها وبيعها لسد رمقهم. وقد اعترف بعض اللصوص بأن السبب في ارتكابهم مثل هذه الجرائم مع ملوكهم هو الفقر والجوع وقلة ما لديهم من متاع، فقد قال بعضهم: لقد سرقت لأسد رمقي. ولقد كانت السرقات ترتكب جهارًا في رابعة النهار، ولقد ساعد على ذلك إغضاء الحراس من الكهنة، ولقد قيل: إن الكاهن الأكبر نفسه في تلك الفترة كان يشترك في هذه الجرائم؛ وبخاصة لأنه كان يئول إليه في النهاية أمر تنفيذ عقاب هؤلاء من الكهنة المجرمين، وقد زاد الطين بلة في تلك الفترة أن الجنود

المرتزقة من اللوبيين وغيرهم قد ازداد نفوذهم في البلاد وأصبحوا يسيطرون على الموقف، فكانوا يشتركون في النهب والتخريب.

وسيرى القارئ مما استنبطناه من سير المحاكمات كيف كانت تؤلف محكمة الجنايات للتحقيق مع اللصوص، وكيف كان يسير التحقيق وتنفذ الأحكام؛ وسنرى أن الوزير كان القاضي الأعلى لهذه المحاكم يعاضده فئة من رجال الإدارة ومعه الكاهن الأكبر، وكيف أن أحكامه كانت لا تصدر إلا بعد تصديق الفرعون عليها، وأن النظرية القائلة بأن الفرعون هو الذي كان يصدر الأحكام ويقضي فيها وحده نظرية خاطئة، وكل ما هنالك أنه كان في نهاية عرض التحقيق عليه كان هو الذي يصدق على الحكم أو يأمر بالعفو إذا شاء، وقد كان بعيدًا عن التأثير في سير المحاكمات، وسيرى القارئ كذلك من سير التحقيق أن المحققين كانوا يشبهون في كثير من الأحوال وكلاء النيابة والمحققين في أسئلتهم وإظهار الحقيقة، وأنه كان هناك رجال شرطة يتجسسون على عصابات السرقة ويقبضون عليهم مما يذكرنا برجال اسكتلنديارد في إنجلترا والبوليس السياسي في بلادنا، ولكن للأسف نجد أن طرق إظهار الحقيقة التي كانت تتخذ لجعل المتهم يدلي بالحقيقة، وهي الضرب والتعذيب هي التي لا تزال حتى الآن في بعض جهات العالم وفي مصر أيضًا، فما أشبه أمس باليوم، وهكذا نجد أن التحقيقات في مصر القديمة منذ أربعة آلاف سنة لا تزال كما هي.

ومن الطريف أن نرى بعض اللصوص يعترف بفرح وسرور بجريمته كأنه عائد من معركة قد انتصر فيها أو كنز عثر عليه وظفر بمحتوياته، ولكن دل الفحص والاستنباط على أن هذه الاعترافات كان يكتبها رجال الشرطة كما يشاءون، وليس على المتهم إلا أن يصدق عليها وهو لا يعرف ما اتهم به سواء أكان في صالحه أو في غير صالحه.

وقد عثر على وثائق أخرى هامة منها ما هو خاص بتقسيم الميراث، ومنها ما هو خاص بالضرائب وجمعها، ولكن أعجبها وثيقة خاصة بالتبني لا نظير لها في تاريخ العالم من حيث

التشريع، ومن كل هذه الأوراق نقرأ بين السطور عن حالة عدم الاستقرار في البلاد والفقر المدقع.

ولقد أدت هذه الحالة المُيْئِسة في البلاد من النهب وتسلُّط الأجانب، وبخاصة اللوبيين إلى قيام ثورة اجتماعية أدت إلى غزو البلاد بطوائف الأجانب، وقيام حروب داخلية كان لا بد من إخمادها والقضاء عليها، وبخاصة أن رجال الدين قد استأثروا بالسلطة حتى أصبح الكاهن الأعظم هو والفرعون يتنازعان على زمام السلطة في البلاد، حتى لنرى على الآثار أن «أمنحتب» الكاهن الأكبر قد رسم نفسه على جدران معابد الكرنك بحجم واحد، مما لم يحدث مثيله في تاريخ مصر من قبل، وقد أدى الأمر بعد ذلك إلى قيام الثورة على هذا الكاهن، وطرده من وظيفته، وظهور القحط في البلاد إلى أن قيض الله لها رجلًا عصاميًّا مغمور الذكر هو «حريحور» مؤسس الأسرة الواحدة والعشرين، وكان من رجال الحرب في بادي أمره كما تدل شواهد الأحوال، فأخذ يجمع السلطة الدينية والحربية والسياسية في يده، ثم بدأ يسلب الفرعون الجالس على عرش الملك وهو «رعمسيس الحادي عشر» سلطانه شيئًا فشيئًا حتى استولى على زمام الأمور في البلاد جملة، وأسس ملكًا لنفسه في «طيبة» غير أنه على ما يظهر لم يكن في مقدوره أن يقوم بأعباء الأمور وحده، فأشرك في الملك معه «سمندس» في «تانيس»، التي جعلها عاصمة ملكه في الشمال.

وتدل شواهد الأحوال وما لدينا من نقوش على أنه بعد موت «حريحور» — الذي لم تعترف به القوائم الرسمية، التي وصلت إلينا بأنه كان فرعونًا شرعيًّا لمصر — قد قسمت البلاد مملكتين: مملكة الجنوب وعاصمتها طيبة، ويحكمها رؤساء الكهنة وأخرى في «تانيس» في الدلتا ويتولى عرشها أسرة «سمندس»، وبذلك عادت مصر سيرتها الأولى من التقسيم قبل عهد مينا الوجه القبلي والوجه البحري، فقد كان رجال كهنة «آمون» الذين أخذوا يجمعون السلطة في أيديهم شيئًا فشيئًا، منذ بداية الأسرة الثامنة عشرة أصبحوا هم المسيطرين على شئون الدولة الدينية والاقتصادية في عهد «حريحور». وقد كان «حريحور» هذا بطل عصر النهضة التي قامت في البلاد لتحريرها من رِبْقَة الأجانب وبخاصة اللوبيين، وقد تم له ما أراد فأصبح الملك المطلق، وقد

نصب ابنه «بيعنخي» كاهنًا أكبر في «طيبة» قبل موته، كما أصبح «سمندس» الفرعون المطلق على البلاد كلها بعد موت «حريحور»، ولكن سلطانه لم يكن عظيمًا على كهنة «طيبة» بل أخذوا يستأثرون بالأمر في الوجه القبلي، وإن كان هو قد أصبح الملك على البلاد كلها اسمًا، وقد سارت البلاد على هذا المنوال بحكم الكهنة العظام في «طيبة» بوساطة الكاهن الأكبر في «طيبة» الذي كان يدعي أنه يمثل «آمون»، وأن «آمون» هو الحاكم الحقيقي للبلاد، وكان يحكم البلاد بوساطة الوحي، فكان تمثال الإله يقضي في كل المخاصمات الاجتماعية والدينية في البلاد، فكان بمثابة القاضي الذي يفصل في كل الأمور، ويرجع الأمر إليه في كل الأحوال. وكانت تماثيله منتشرة في كل البلاد تحت ألقاب مختلفة باسم «آمون» تفصل في المخاصمات كلها، فكان ذلك بمثابة حكومة إلهية، وكان «آمون» يعد فرعونًا يحكم بلاد الوجه القبلي، ولكن دلت الأحوال على أن حالة النهب والسلب وبخاصة مقابر الملوك كانت لا تزال شائعة منتشرة، مما جعل الأتقياء من هؤلاء الكهنة يجمعون كل هؤلاء الملوك في مكان واحد خفي عن أعين اللصوص حتى لا تُنتهك حرمتهم، وقد جددوا أكفانهم، وكتبوا ما فعلوه على الأكفان، مما ساعدنا على ترتيب هؤلاء الملوك وكهنتها.

وقد ظل هؤلاء الملوك في مخبئهم حتى الربع الأخير من القرن التاسع عشر، حيث كشف عنهم في خبيئة الدير البحري. وقد عثر عليهم أحد لصوص بلدة «قرنة مرعى» الذين يعدون بلا شك من نسل أولئك اللصوص، الذين نهبوا المقابر في عهد الأسرة العشرين، وكان لهذا الكشف أعظم أثر في تاريخ مصر، وقد قفاه كشف آخر في تلك الجهة في خبيئة أخرى كانت تحتوي على موميات كهنة هذا العهد، ولكن هذا الكشف الأخير لا يعد شيئًا بجانب الكشف الأول الذي وضع أمامنا صحيفة ناصعة عن تاريخ ملوك الدولة الحديثة حتى الأسرة الواحدة والعشرين.

أما أسرة «سمندس» فقد أخذت تتصاهر مع أسرة الكهنة في «طيبة»، وأصبح الاتصال بينهم وثيقًا حتى أصبح الكهنة العظام بالمصاهرة يتولون بعد الكهانة العظمى عند موت الفرعون عرش البلاد في «تانيس»، وهكذا أصبحت البلاد على الرغم من تقسيمها ظاهرًا متحدة بالمصاهرة باطنًا، فكان

ابن ملك «تانيس» أحيانًا يسير في موكب حافل بعد موت الكاهن الأكبر ليتولى عرش الكهانة، فإذا مات والده الملك ولم يعقبه أحد تولى هو عرش الملك وولى ابنه كاهنًا أكبر في «طيبة»، وهكذا سارت الأمور في البلاد إلى أن أخذ نفوذ اللوبيين الذي استوطنوا البلاد بوصفهم جنودًا مرتزقة وحكامًا للأقاليم يعظم شأنهم شيئًا فشيئًا، حتى قامت فتنة لم نتبين حقيقتها على وجه التأكيد انتهت بزوال ملك الأسرة الواحدة والعشرين، وتأسيس الأسرة الثانية والعشرين الذين كانوا من أصل لوبي، وقد سهل عليهم الوصول إلى غرضهم هذا ما كان بين اللوبيين وملوك الأسرة الواحدة والعشرين من مصاهرة كما سنشرح هذا في الجزء التاسع من هذه الموسوعة، وهكذا نجد أنه بنهاية الأسرة العشرين انقسمت مصر إلى مملكتين شبه مستقلتين: مملكة الكهنة في «طيبة»، ومملكة «سمندس» وأسرته في «تانيس» التي كانت من أعظم البلاد شهرة من الوجهة الدينية في الوجه البحري، ثم انتهى الأمر بزوال ملك الكهنة وملوك «تانيس» بتولي طائفة من الأجانب وهم اللوبيون عرش البلاد. ومن هذه اللحظة أخذت مصر تتقلب في محن وانقلابات كان الدور الهام فيها ما قام به حكام البلاد المجاورة عندما لمسوا ضعف مصر؛ فأخذوا ينقضون عليها من الجنوب والشمال إلى أن قُضي على استقلالها نهائيًّا في عهد الفرس كما سنفصل ذلك في الأجزاء التالية.

وقبل أن نختم هذه اللمحة الخاطفة في استعراضنا هذا لتاريخ مصر في عهد نهاية الأسرة العشرين، وعهد حكم كهنة رجال الدين في طيبة نريد أن نلفت النظر هنا إلى أننا قد بالغنا في إثبات الوثائق التي وصلنا إليها، حتى كتابة هذه الأسطر مما جادت به تربة مصر، وغرضنا في ذلك أن نعطي أولئك الذين يريدون أن يستنبطوا الحقائق من مصادرها الأصلية كما توجههم أفكارهم وآراؤهم ما يشتهون. أما تعليقنا على تلك النصوص فهو رأينا الشخصي لم نفرضه على الباحث، ولكنا أردنا به أن نرشد القارئ العادي الذي لا يمكنه تتبع هذه النصوص لما فيها من فجوات وتهشيم لا تمكنه من الوصول إلى حقيقتها إلا بعد جهد وإضناء.

وقد قصدت من ذلك أن أكون قد قدمت خدمة للعالم الباحث بإثبات الوثائق الأصلية، وساعدت القارئ العادي في تفهمها دون عناء وكد فكر، والله الموفق لما فيه الصواب.

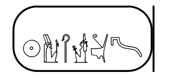
شكر

وإني أتقدم هنا بعظيم شكري لصديقي الأستاذ محمد النجار ناظر مدرسة الناصر الأميرية؛ لما قام به من مراجعة أصول هذا الكتاب وقراءة تجاربه بعناية بالغة، كما أتقدم بوافر الثناء على حضرة الأستاذ عبد الحميد نديم رئيس مطبعة دار الكتب المصرية بالنيابة؛ لما بذله من جهد مشكور وعناية ملحوظة في إخراج هذه المؤلف.

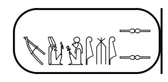
والله أسأل أن يوفقني إلى ما فيه خير البلاد ومجدها.

يوليو سنة ١٩٥١

عهد رعمسيس الرابع (حوالي ١١٦٨ عام)



حقا ماعت رع ستبن آمون



رعمسيس ماعتي مري آمون

(١) مقدمة

تولى الحكم بعد «رعمسيس الثالث» الذي تحدثنا عنه في الجزء السابق سلسلة ملوك يحمل كل منهم اسمه، بيد أنه لم يكن واحد منهم في مضاء عزيمته وروحه الوثاب، ونشاطه العظيم، ومع ذلك فإن «رعمسيس الرابع» كان يمتاز من بين هؤلاء الرعامسة بميوله الأدبية، وحبه إقامة الآثار، كما سنتحدث عن ذلك في حينه.



شكل ١: تمثال «رعمسيس الرابع».

وتدل شواهد الأحوال على أن هذا العاهل قد تولى عرش الملك بعد وفاة والده «رعمسيس الثالث» في ظروف يحوطها الغموض والارتباك، وبخاصة تلك المؤامرة التي دُبرت لاغتيال والده على يد أحد أبنائه المسمى «بنتاور» بالاشتراك مع أمه (راجع مصر القديمة ج٧) ولا ندري على وجه

التأكيد إذا كان قد أصيب في هذه المؤامرة بجروح مميتة عجلت بوفاته أو أنها وقعت في أواخر أيامه وهو مشرف على الموت. وقد جاءت تلميحات في ورقة «هاريس» الكبرى تشعر بقلق «رعمسيس الثالث» على عرش الملك من بعده، وما كان يحفه من أخطار حتى إنه دعا لابنه «رعمسيس الرابع» بطول الحكم وأن ينعم بعهد سعيد، كما طلب إلى رجال قصره وحاشيته أن يلتفوا حول ابنه ويناصروه، ويدل ما جاء في ورقة «هاريس» على أنه قد أعد ابنه ليتولى عرشه من بعده، ولدينا عتب باب في قصره قد أهداه هذا العاهل لابنه «رعمسيس الرابع» وهو لا يزال أميرًا، وهذا الأثر محفوظ الآن بمتحف «فلورنس»، على أن بعض المؤلفين ينسب ما جاء في ورقة «هاريس» إلى «رعمسيس الرابع»، ويسند إليه تأليف هذه الوثيقة لأسباب سنذكرها في الموضوع التالي الذي يبحث في تولية «رعمسيس الرابع» عرش الملك، ولدينا لحسن الحظ قطعة «إستراكون» محفوظة الآن بمتحف «تورين» دُوِّن عليها بالمداد أنشودة تصف لنا الاحتفال بعيد تولي هذا الفرعون الملك، وقد دونها كاتب يدعى «أمن نخت»، وهو أحد كتاب جبانة «طيبة».[١] وقد اختلفت الآراء في تحديد زمن تولية هذا العاهل عرش الملك، فمن قائل: إنه اشترك مع والده أربعة أعوام، وعلى ذلك الزعم يكون تتويجه في السنة الرابعة من حكمه بعد وفاة والده مباشرة. وفريق آخر يقول: إن تتويجه كان في السنة الأولى من حكمه بعد وفاة والده في اليوم الخامس عشر من شهر توت، ومما ينقض هذا الرأي وجود آثار مؤرخة بالسنة الثانية من حكمه، وعلى ذلك تكون «إستراكون» التتويج المؤرخة بالسنة الرابعة إنما هي لعيد تولية الملك، وهو العيد الذي كان يعقد سنويًّا (راجع Petrie History of Egypt Voll. III. P. 168) وقبل أن ندون هذه الأنشودة يجب أن نفحص موضوع تولي «رعمسيس الرابع» عرش الملك.

(٢) تولي «رعمسيس الرابع» عرش الملك

إن تاريخ وفاة الفرعون «رعمسيس الثالث»، ثم تولي ابنه «رعمسيس الرابع» مكانه على عرش الكنانة له أهمية عظيمة من الوجهتين؛ التاريخية والدينية في عهد الأسرة العشرين؛ غير أن هذا

الموضوع قد ظل بكل أسف حتى زمن قريب ولا يزال يحوطه الإبهام والغموض مما أدى إلى بحوث طويلة منوعة لإزالة هذا الإبهام، وجلاء ذلك الغموض (راجع Struve V, Ort der Herkunft und zweck des. Grossen Papyrus Harris, Aegyptus, 7 (1926. p 3–40); Meyer, Ed. Geschechte des Altertums II, 1,2 (1928) P. 599–607; Borchardt, L. zwei Kronungstage Aus 20 Sten Dynastry. A. Z. 70 p. 102–103; Cerny, J. Datum des Todes Ramses III und der Thronbesteigung Ramses IV, A. Z, 72 (1936) p. 109–118, Borchardt. L: Der Kronung Ramses V., A. Z, 73 p. 60–66; Borchardt: Wo wurde der grosse Papyrus Harris gefunden Und Wer ihn Zusammerstellen lassen? A. Z, 73 (1937) p. 114–117; etc).

وقد كتب أخيرًا في هذا الصدد الأستاذ «شادل» مقالًا ممتعًا؛ فحص فيه كل الأبحاث السابقة فوافق على بعض ما جاء فيها، وناقض بعضها الآخر بما لديه من حجج وبراهين. ومع ذلك لم يصل إلى نتيجة حاسمة، وقد أوردنا بعض آراء هؤلاء الكتاب في هذا الموضوع في الجزء السابق من هذه المجموعة (راجع: مصر القديمة ج٧).

ولأهمية هذا الموضوع سنلخص هنا ما كتبه المؤرخون، وبخاصة ما جاء في مقال الأستاذ «شادل»، وهو آخر من بحث هذا الموضوع (راجع A. Z. 74. P. 96).

والواقع أن هذا الموضوع بأكمله يُمِيط اللثام عنه ما جاء في كثير من الوثائق، التي وصلت إلينا مكتوبة على قطع «الإستراكا» العديدة التي عثر عليها في حفائر قامت حديثًا في «دير المدينة» «بطيبة الغربية». وما جاء بصدده في ورقة «هاريس» الكبرى التي تحدثنا عنها بالتفصيل في

الجزء السابق؛ وكذلك ما جاء في ورقة «تورين» الخاصة بالمؤامرة التي قد دبرت لاغتيال «رعمسيس الثالث»؛ وقد فصلنا القول فيها كذلك في الجزء السالف (راجع: مصر القديمة ج٧).

وأول موضوع يجب بحثه هنا هو التاريخ الذي بدأ فيه «رعمسيس الرابع» حكم البلاد. وقد أثبت أولًا الأستاذ «شرني» — على حسب ما جاء على «الإستراكون» رقم ٣٩، التي عثر عليها في «دير المدينة»، وكذلك ما جاء على قطعة بردي محفوظة بمتحف «تورين» (رقم ١٩٤٩ + ١٩٤٦) — أن اليوم السادس عشر، من الشهر الحادي عشر، من السنة الثانية والثلاثين، هي السنة التي تغير فيها الحكم بوفاة «رعمسيس الثالث»، وتولى بعده مباشرة خلفه «رعمسيس الرابع».

وقد أُعلن ذلك رسميًّا في اليوم السالف الذكر بين عمال الجبانة في «طيبة الغربية». وهذا التاريخ يمكن التسليم بصحته قطعًا، إذ ليس هناك ما ينقضه حتى الآن.

غير أن لدينا بعض الشك والإبهام عن المدة التي كانت بين يوم وفاة الفرعون «رعمسيس الثالث»، واليوم الذي بدأ فيه «رعمسيس الرابع» حكمه.

وقد ذكر لنا في هذا الصدد الأستاذ «شرني» أنه عثر كذلك في «دير المدينة» من نفس الحفائر على «إستراكون» أخرى رقم ٤٤، جاء فيها: أن اليوم الخامس عشر من الشهر الحادي عشر، يبتدئ بالسنة الثانية من حكم ملك من ملوك الأسرة العشرين، وفي الوقت نفسه كان هذا اليوم هو وقت «ظهوره» (أي: الفرعون) الذي احتفل فيه (راجع Cerny A. Z., 72 p. 112) بتوليته.

وهنا يطيب للمرء أن يسأل إلى أي ملك يشير هذا التاريخ الأخير؟ فيقول الأستاذ «شرني»: إنه الملك «رعمسيس الرابع»، ويستند في قوله هذا على «إستراكون» أخرى رقم ٤٥ تشير إلى ذلك، وقد كُتبت في وقت واحد مع «الإستراكون» رقم ٤٤ — على ما يظهر — بيد رئيس عمال من

الذين كانوا يعملون بالتناوب في جبانة «طيبة». وعلى ذلك فإنه من الجائز جدًّا أن «الإستراكون» رقم ٤٤ هي كذلك من عهد «رعمسيس الرابع».

وعلى العكس من ذلك يظن الأثري «بورخارت» أن «رعمسيس الخامس» قد توج في هذا اليوم، وقد عزز هذا الظن بأن هذا اليوم على حسب رأيه هو: هو يوم تمام القمر، وفي رأيه أن يوم التمام هذا يكون دائمًا فيه تتويج الفرعون (راجع A. Z. 73. p 60–66).

ومن هنا استنبط أن «الإستراكون» رقم ٤٥ لا بد أن تكون من عهد «رعمسيس الخامس» وأن الملك الذي جاء ذكره فيها هو «رعمسيس الرابع»، ثم قال: إن تناوب رؤساء العمال قد حدث في مدة أطول من السابقة، وقد وصل إلى أنه في السنة الأولى من حكم «رعمسيس الرابع»، وكذلك من حكم «رعمسيس الخامس» كان رئيس العمال يعمل في نفس اليومين، ومن أجل ذلك خرج بالنتيجة التالية: وهي أن تناوب رئيس العمال لا يمكن أن يكون برهانًا قاطعًا لكلا الرأيين، ولا بد أن يكون رأي الأستاذ «شرني» غير ممكن.

ومن جهة أخرى فإن الرأي الذي أدلى به «بورخارت»، وهو القائل: بأن «الإستراكون» رقم ٤٥ تحدثنا عن تدنيس حصل لقبر «رعمسيس الرابع» المتوفى، فتكون من عهد «رعمسيس الخامس». وقد نقض هذا الرأي «شرني» بقوله: إن ترجمة «بورخارت» لهذا النص خاطئة.

والآن يجب أن نبحث فيما إذا كان يوجد لدينا مصدر تاريخي يقطع بأن تاريخ اليوم الخامس عشر من الشهر الحادي عشر من سنة تغيير الملك لا يتفق مع تاريخ تتويج أحد هذين الفرعونين اللذين نحن بصددهما، وهما «رعمسيس الرابع» و«رعمسيس الخامس». وعلى ذلك يكون من الجائز أن الملك الآخر قد توج في هذا اليوم أو على الأقل بدأ حكمه في هذا التاريخ.

والواقع أن لدينا مصدرًا من هذا النوع، وهو معروف منذ زمن بعيد، غير أنه لم يفحص حتى الآن على ضوء الحقائق الصحيحة، وهذا المصدر هو «إستراكون» من جبانة «طيبة» محفوظة الآن

بمتحف «القاهرة» (راجع Daressy, Ostraca Cat. Gen. No. 25290).

وقد جاء عليها: «إنه في السنة السادسة من حكم الفرعون؛ اليوم السادس عشر من الشهر الحادي عشر، زار الوزير «نفررنبت» جبانة «طيبة»؛ ليتفقد أحوال العمال فيها.» والسنة السادسة هذه لا يمكن إلا أن تكون للفرعون «رعمسيس الرابع»؛ وذلك لأن الوزير «نفررنبت» كان يشغل هذا المنصب العالي في عهد هذا الفرعون، على حين أن «رعمسيس الخامس» لم يحكم إلا أربع سنوات. وعلى ذلك فإن مدة حكم ست السنوات لا علاقة لها بهذا الفرعون، ولكنا نعلم من جهة أخرى أن «رعمسيس الرابع» لم يحكم أكثر من ست سنوات، فلا بد أن خلفه «رعمسيس الخامس» قد بدأ حكمه في هذه السنة السادسة السالفة الذكر. ولا يمكن أن يكون اليوم الخامس عشر من الشهر الحادي عشر هو يوم بداية حكمه — أي: يوم ظهوره وبداية السنة الأولى من حكمه[٢] — في مدينة الأموات دون أن يكون معروفًا لدينا أي تغيير سابق في عرش الملك، فلا بد إذن أن تكون هذه «الإستراكون» مؤرخة بالسنة الأولى، إذا كنا نعلم أنه في اليوم الخامس عشر من الشهر الحادي عشر، قد حدث التغيير في سنة الحكم. ومن جهة أخرى فإنه لا يمكن أن يتصور الإنسان بصفة جدية أن الملك الجديد «رعمسيس الخامس» قد بدأ حكمه، أو بتعبير أدق قد احتفل بيوم «ظهوره» دون أن يكون أكبر موظف في المملكة، وهو وزيره «نفررنبت» قد وصل إليه علم بذلك، وهذا الوضع على ذلك لا يمكن أن يكون حقيقة تاريخية.

ومن الضروري على أية حال أن نسأل عن معنى كلمة «ظهور» — أي: ظهور الملك — في الأصل؟ وأي يوم في السنة يتفق مع سنة تغيير الحكم كما جاء في «الإستراكون» رقم ٤٤.

والواقع أن السنة الأولى من حكم أي فرعون جديد كانت تبتدئ بيوم «الظهور» هذا، وقد اعترف كل من الأستاذ «شرني» والأثري «بورخارت» أن هذا الظهور للفرعون يكون هو وتتويجه في يوم واحد. وكلمة «الظهور» في اللغة المصرية «خعي» تعني عندما تضاف إلى الفرعون أنه قد

ارتقى العرش. فهذه الكلمة لا تعني تتويج الفرعون بل تعني بداية حكمه، وهذا «الظهور» الذي به يبتدئ حساب سِنِي حكم الفرعون هو بداية زمن حكمه، ويمكن تشبيهه بإعلان تولي الملك العرش. وهذا ما ذكره الأستاذ «زيته» في كتابه الخاص بتمثيلية «الرمسيوم». (راجع مصر القديمة ج٣) إذ يقول: «إن الاحتفال بعيد التتويج يبتدئ في أماكن عدة من البلاد. وكانت هذه الأحفال تحدث قبل دفن الملك القديم، وقد كانت أيضًا موضوع التمثيلية التي كانت تمثل في هذه الآونة.»

ومن المهم إذن أن نعلم أن التتويج الخاص الذي كان يقام على هيئة رواية تمثيلية تمثل موت «أوزير» وتتويج ابنه «حور» بدلًا منه على عرش مصر يقع في المدة التي بين يومي ممات الفرعون ودفنه، لا بعد الدفن. وذلك يدلنا على الحادث الحاسم وهو أن تسلم الفرعون الجديد مقاليد الأمور كان يقع قبل انتهاء السبعين يومًا المخصصة للحداد على الفرعون المتوفى.

وكان ذلك الحادث في الواقع يُعد أول «ظهور» الفرعون، يضاف إلى ذلك أنه كان من المستحيل على أي ملك جديد أن يقضي سبعين يومًا بعد ممات سلفه دون أن يبتدئ سني حكمه، ويظهر في البلاد ملكًا فعليًّا. وليس لدينا ما يدعو إلى الشك في التحدث عن الاحتفال بعيد تتويج الملك، كما يتحدث عن «ظهوره» وكما يتحدث عن العيد الثلاثيني أو أي عيد آخر. ولكن «الظهور» الذي كان يبدأ به حساب سني الفرعون لم يكن هو عيد التتويج، بل هو بداية إعلان حكمه.

ولا يتفق هذا اليوم مع يوم ممات الفرعون؛ إذ كان «ظهوره» الأول إجراء حكوميًّا غاية في الأهمية، يجتمع من أجله عظماء الدولة. هذا من جهة، ومن جهة أخرى لم يكن بد من إخبار المصالح الحكومية المختلفة بتغير الجالس على العرش، كما كان من الضروري أن تؤرخ كل الوثائق، حكومية وغير حكومية — على نسق واحد — بالسنة الأولى من حكم هذا الملك الجديد. وذلك لا يتأتى بين عشية وضحاها بسبب صعوبة المواصلات، وبعد الشُّقَّة بين أطراف البلاد، وبخاصة في عهد الأسرتين التاسعة عشرة والعشرين إذ كانت عاصمة الملك وقتئذ «قنتير» (بر

رعمسيس) الواقعة في شمال الدلتا، في حين كان الوزير يسكن «طيبة» الجنوب، أي إن المسافة بين البلدين كانت تبلغ حوالي ٨٣٠ كيلومترًا.

والسؤال الذي يحتاج إلى إجابة هو: كم من الوقت كان يلزم لجمع رؤساء رجال الحكومة والكهنة في مجلس البلاط. والواقع أن السعاة كان في مقدورهم أن ينقلوا الأخبار من عاصمة الملك «قنتير» إلى «طيبة» في أربعة أيام، كما كان في مقدور الوزير أن ينحدر في النهر من «طيبة» إلى «قنتير» في قارب سريع في بضعة أيام.

وعلى أية حال يجب أن يتصور الإنسان أنه كانت توجد في مصر في هذه الفترة — وبخاصة في عهد الدولة الحديثة، التي بلغت من المدنية شأوًا عظيمًا — طرق لتوصيل الأخبار الهامة بوساطة إشارات المشاعل، والدق على الطبول بحيث يمكن الوزير وهو في طيبة أن يعرف أخبار عاصمة الملك في يوم وليلة.

ومن أجل ذلك ينبغي للإنسان أن يسلم بأن أول «ظهور» للملك قد احتفل به بعد موت الفرعون بتسعة — أو عشرة — أيام، وهي المدة التي كان يمكن أن يجتمع فيها عظماء الدولة المبعثرون في أنحاء البلاد في عاصمة الملك. ومما سبق يمكن أن نستبعد الرأي القائل بأن «رعمسيس الخامس» أصبح ملكًا، وأنه احتفل في اليوم الخامس عشر من الشهر الحادي عشر بعيد «ظهوره». وبذلك يمكننا أن نؤكد تاريخيًّا تسلم «رعمسيس الرابع» في هذا اليوم مقاليد الحكم، كما أشار إلى ذلك من قبل الأستاذ «شرني».

أما التاريخ الذي كان معروفًا حتى الآن بأنه هو بداية حكم «رعمسيس الرابع»، وأعني بذلك اليوم الرابع عشر من الشهر الأول من سني تغير الحكم — وهو التاريخ الذي جاء على «الإستراكون» المحفوظة بمتحف «تورين»، وهي التي دون عليها أنشودة مدح لهذا الفرعون، فيحتمل أن يكون إما يوم الفراغ من كتابة هذا المتن، أو اليوم الذي بدأ فيه أحد أعياد التتويج بعد انقضاء مدة الحداد

وليس بيوم بداية حكم هذا الفرعون. وعلى ذلك يكون حساب «بورخارت» — الذي يؤكد فيه أن اليوم الخامس عشر من الشهر الحادي عشر هو يوم تتويج الملك «رعمسيس الخامس» — لا قيمة له على حسب الزعم القائل بأن يوم التمام هو اليوم الذي يحدث فيه تتويج؛ ولهذا لا يمكن الاعتماد عليه بوصفه تاريخًا مؤكدًا.

ويظهر أن كلام «بورخارت» القائل بأن التتويج لا بد أن يحدث في يوم اكتمال القمر مجرد نظرية لم يحققها الواقع من الأمثلة التي لدينا حتى الآن، وينبغي أن يظل في دائرة النظريات ما لم يؤيده متن مصري معروف يخبرنا أن تتويجًا معينًا قد حدث في يوم تمام معين من شهر بعينه. وبذلك يمكن أن نسميه تتويج الملك القمري.

حقًّا إن «بورخارت» بحسابه قد وجد أن كثيرًا من أعياد تتويج الملوك كان يقع في يوم اكتمال القمر، غير أن الأثري «إدجارتون» قد دحض كثيرًا من هذه التواريخ (راجع Edgerton W. F. On the Chronology of the Early 18th Dynasty, A. J. S. L, 53 (1937 .(p. 188–177).

ومما سبق يمكن معارضة نظرية «بورخارت» هذه التي تحتم أن يكون تتويج الفرعون في يوم اكتمال القمر.

ويمكن أن نؤكد هنا أن «رعمسيس الرابع» قد بدأ يحكم في اليوم الخامس عشر من الشهر الحادي عشر، وأن تغيير العرش هذا قد أُعلن رسميًّا في اليوم السادس عشر من الشهر الحادي عشر في جبانة «طيبة» على لسان قائد الشرطة. وعلى ذلك فلا بد لنا من تفسير تاريخ ثالث جاء في ورقة «هاريس»، وهو اليوم السادس من الشهر الحادي عشر. فنحن نعرف أولًا أن الأستاذ «إرمان» قد برهن على أن هذا اليوم هو يوم وفاة «رعمسيس الثالث». وبذلك يكون هذا الفرعون قد ظهر في

«ورقة هاريس» على أنه يحدثنا من العالم الآخر، ولا بد أن نسلم بذلك ما لم توجد لدينا براهين قاطعة تدحض هذا الرأي.

أما الاقتراحان اللذان عرضهما الأستاذ «شرني» الخاصان بهذا التاريخ، وهما؛ أولًا: أن اليوم السادس من الشهر الحادي عشر هو يوم قيام الثورة في القصر لاغتيال «رعمسيس الثالث»، أو ثانيًا: أنه اليوم الذي غير فيه تاريخ الورقة؛ فقول لا يعدو أن يكون مجرد محاولة لحل هذا الموضوع المعقد (راجع A. Z. 72 p. 144). وهو يعني بالرأي الأخير أن الورقة كانت مؤرخة باليوم السادس عشر وغيرت إلى اليوم السادس فقط. والآن نتساءل: ما موقع يوم وفاة «رعمسيس الثالث» من التاريخين الآخرين اللذين ذكرناهما هنا؟

وجوابًا على ذلك نقول: إنه في اليوم السادس من الشهر الحادي عشر مات الفرعون «رعمسيس الثالث» في مقر ملكه «قنتير» (بر رعمسيس) بالوجه البحري (راجع مصر القديمة ج٧). وبعد تسعة أيام من وفاته — وهي المدة التي تذكر لنا فيها ورقة «تورين» الخاصة بالمؤامرة على حياة الفرعون أن محكمة قد شكلت لمحاكمة المجرمين — نرى قيام الاحتفال بظهور «رعمسيس الرابع» في اليوم الخامس عشر من الشهر الحادي عشر. وفي هذا اليوم ابتدأ الحساب الجديد بسني الفرعون الجديد. وفي اليوم التالي لذلك — وهو اليوم السادس عشر من الشهر الحادي عشر — أعلن رسميًّا تغير عرش الملك بجبانة «طيبة».

ولا نكون بعيدين عن الصواب إذا سلمنا بأن إعلان تولي الملك الجديد عرش الملك كان لا بد أن يتم في وقت واحد في جميع أنحاء البلاد، وهذا أمر تدعو إليه الحاجة إلى تسيير أمور الدولة ومصالحها الحكومية على وتيرة واحدة. فقد كان من الضروري أن تكون تواريخ كل المكاتبات الرسمية والخاصة واحدة في جميع أنحاء البلاد. وبدهي أن ذلك الإجراء كان ممكنًا وعمليًّا داخل

حدود مصر نفسها، أما في مستعمراتها النائية فكان يتطلب كثيرًا من الوقت لإعلان نبأ بداية حكم الملك الجديد.

وبهذه المناسبة نجد من الأهمية بمكان بقاء «إستراكون» محفوظة بالمتحف المصري جاء عليها الإعلان الرسمي بتغير الجالس على العرش. ففي اليوم التاسع عشر من الشهر الخامس من السنة السادسة أعلن في جبانة «طيبة» موت الملك «سيتي الثاني»، وفي الوقت نفسه أعلنت بداية حكم الملك الجديد، وهذا يشبه ما حدث وذكرناه آنفًا عند تغير الجالس على العرش بعد موت «رعمسيس الثالث» في اليوم السادس عشر من الشهر الحادي عشر على لسان رئيس الشرطة نفسه في غربي «طيبة». وخلافًا لذلك تذكر لنا نفس «الإستراكون» أن نفس اليوم قد أرخ بالسنة الأولى من حكم الفرعون الجديد، وهو «رعمسيس سبتاح» (راجع مصر القديمة ج٧).

ولا نزاع في أن وجه الشبه بين هذين المثالين، اللذين يرجع عهدهما للدولة الحديثة عن تغير الجالس على العرش لا يجعلنا نتردد في أن هذا الإجراء كان الطريقة المتبعة وقتئذ، وأن السنة الجديدة لحكم الفرعون الجديد كان يبتدئ الحساب بها رسميًّا.

وعلى ذلك فإن بداية حكم «رعمسيس الرابع» — أي: ظهوره — وهو اليوم الخامس عشر من الشهر الحادي عشر، قد نشر في اليوم التالي له مباشرة الإعلان الرسمي بتولي هذا الفرعون عرش البلاد، ومن ذلك نستنبط أنه عقب موت الملك كان يعلن في كل مصالح الحكومة الهامة أنه بعد يوم الظهور مباشرة، لا بد أن يكون التاريخ بالسنة الجديدة للفرعون الجديد. وقد كانت المدة التي تقع بين موت الفرعون وإعلانه فرعونًا على البلاد تتراوح بين تسعة وعشرة أيام، فكان بذلك لدى أولي الأمر في البلاد وقت كافٍ لإحاطة كل مصالح الحكومة علمًا بذلك.

وإذا كان ما ذكر حتى الآن لا لبس فيه، فإن الرأي الذي قررناه هنا عن طريقة تغيير الجالس على عرش الملك أيًّا كان يحتاج إلى براهين كثيرة قبل أن نحكم بأنه قاعدة ثابتة، ومع ذلك فإنه رأي

يمكن الأخذ به حتى الآن إلى أن يظهر ما يزيد في تأكيده أو ما يدحضه.

وفي ختام هذا الموضوع يجب أن نضيف بعض ملاحظات عن الموقف التاريخي العام الخاص بتغير عرش الملك، الذي نحن بصدده الآن وعما فيه من أسئلة تحتاج إلى الإجابة عليها.

فنجد من جهة أن الأستاذ «ستروف» .Aegyptus, 7, p. 3–30 قد قدم لنا تفسيرًا جديدًا لكل من ورقة «هاريس» الكبرى وورقة «تورين»، التي تبحث في موضوع المؤامرة على اغتيال حياة «رعمسيس الثالث»، وهاتان الورقتان كما ذكرنا آنفًا هما المصدران الهامان لمعلوماتنا عن عصر هذا الفرعون وسلفه، وقد أظهر أن رعمسيس الرابع هو المؤلف لهاتين الوثيقتين، وقد كان هذا الرأي في جملته مقبولًا، ولكن ظهرت أخيرًا أبحاث جديدة عن هاتين الورقتين. فكتب الأستاذ «دي بك» (راجع مصر القديمة ج٧) أخيرًا مقالًا برهن فيه على أن ورقة «تورين» ليست كما يعتقد حتى الآن وثيقة قضائية، بل هي مجرد سرد حوادث وقعت في الماضي عن المحكمة التي ألفت لمحاكمة المتهمين في قضية الاغتيال، ويعتقد «دي بك» أن الوثيقة واقعية وأنها ليست من نسج الخيال وأن ما قاله «ستروف» من أن «رعمسيس الرابع» هو الواضع لها لا يمت إلى الحقيقة بصلة. وكذلك يرى «بورخارت» أن ما قاله «ستروف» عن المكان الذي وجدت فيه ورقة «هاريس» الكبرى والغرض الذي من أجله ألفت قول مردود، ويجب التخلي عنه (A. Z, 73, p. 1169).

ولا بد أن نؤكد هنا أولًا أن الجزء الأول من مقال الأستاذ «ستروف»، وهو الخاص بالمكان الذي وجدت فيه ورقة «هاريس» وارتباطها بمعبد مدينة «هابو» قد سقطت قيمته وأصبح لا يعتمد عليه (راجع .Peet. The Great Tomb Robberies of the 20th Dynasty p. 178) ولكن على الرغم من ذلك كما يقول «شادل» فإن ما وصل إليه من نتائج في الجزء الثاني من مقاله يعتمد عليه، وهو الذي يقول فيه: إن هذه الورقة من عمل «رعمسيس الرابع» لا من عمل

«رعمسيس الثالث»؛ وذلك لأنه من الحقائق التي لا تقبل الجدل أن ما كتب عن «رعمسيس الرابع» في هذه الورقة يبلغ ثلاثة أضعاف ما كتب عن والده في عالم الآخرة. ولقد ظن البعض أن ما جاء في هذه الورقة يوحي بأن «رعمسيس الرابع» كان شريكًا لوالده في الملك (راجع Maspero, Histoire Ancienne, II p. 480.).

غير أن هذا الرأي أصبح لا قيمة له بعد أن برهن «أرمان» عند معالجته ورقة «هاريس» على أن «رعمسيس الثالث» كان يتكلم في هذه الورقة بوصفه متوفى، وفضلًا عن ذلك فإنه لم يكن هناك أية إشارة فيما خلفه لنا «رعمسيس الثالث» من آثار توحي بأنه كان مشتركًا معه في حكم البلاد. ومن هذه الحقائق يتضح لنا أن «رعمسيس الرابع» هو المؤلف لوثيقة «هاريس» الكبرى.

وعلى ذلك يسأل الإنسان: ما الأسباب التي حدت «برعمسيس الثالث» في هذه الأحوال أن يدعو الإله لخلفه أكثر من نفسه؟

وإذا كان «رعمسيس الرابع» هو الذي ألف هذا المتن دعانا ذلك إلى السؤال عن الأسباب التي دعته إلى تأليفه. وإذا نظرنا نظرة عابرة إلى قوائم ورقة «هاريس» وجدناها تحتوي على المنح التي وهبها «رعمسيس الثالث» للآلهة، ومنها يمكننا أن نعرف الجواب عن السؤال الذي سألناه هنا؛ فقد كان الفرعون الجديد ينتظر في مقابل تثبيته للمنح الهائلة التي وهبها سلفه لمعابد البلاد المختلفة أن ينال معاضدة الكهنة له، وهذه المساعدة كانت ضرورية «لرعمسيس الرابع» بصورة ملحة لتثبيت عرشه المزعزع، ولا أدل على ذلك من قيام ثورة للقضاء على حياة الجالس عليه «رعمسيس الثالث»، وقد كان من غير الممكن القضاء على الموظفين ورجال الجند الذين كانوا أكبر عضد يساعد «بنتاور» لنيل مأربه دون أن تكون طائفة الكهنة في جانبه. ولما كانت أحقية وراثة «رعمسيس الرابع» لعرش الملك غير مؤكدة وأن «بنتاور» ربما كان أكثر شرعية لتولي الملك رأى «رعمسيس الرابع» من الأمور السياسية الضرورية أن ينسب تأليف المحكمة، التي

ألفت لمحاكمة المجرمين إلى «رعمسيس الثالث»، وبهذا الإجراء وبما جاء في ورقة «هاريس» على لسان «رعمسيس الثالث» أوجد لنفسه الحق في تولي عرش الكنانة، وبذلك يكون ما استنبطه «دي بك» من نتائج عن ورقة تورين غير مقنع ولا يعتمد عليه. والواقع أن الغرض من هاتين الوثيقتين لم يكن ذا صبغة دينية خالصة عميقة، بل كان الغرض منه فكرة سياسية خاصة بمهام الدولة. وعلى ذلك فإن «دي بك» عندما قال إن ورقة «تورين» ليست وثيقة قانونية بل مجرد سرد قصة خاصة بتغير الجالس على العرش، قد قرر الحقيقة، وهي في ذلك تشبه ورقة «هاريس»، من حيث إنها ذات صبغة سياسية، وأنها من المحتمل قد استعملت لتقف السلطات الهامة في البلاد عن الحوادث التي وقعت في عاصمة الملك والقصر من جراء المشاحنة على العرش.

وقد حدثنا الأستاذ «زيته» (راجع Sethe, Untersuchungen. I. P. 59–64) في مقاله عن قائمة الأمراء في معبد مدينة «هابو»، وتسلسل أول ملوك الأسرة العشرين في أن تولي كل من «رعمسيس الرابع» و«رعمسيس الخامس» من بعده عرش الملك لم يكن شرعيًّا؛ ولذلك نجد أن خلفهما «رعمسيس السادس» قد محا اسميهما من الآثار كما هشم اسميهما من قائمة الأمراء. وبهذه المناسبة فكر الأستاذ «شادل» عند درسه هذا الموضوع أن يضع السؤال التالي: أليس من الجائز أن الأمير «رعمسيس» الذي ظهر في قائمة الأمراء بوصفه والد «رعمسيس السادس» وابن «رعمسيس الثالث» هو نفس الأمير «بنتاور»؟[٣] وإذا كان هذا هو الواقع فإن ذلك يوضح لنا عدم شرعية «رعمسيس الرابع» أكثر من ذي قبل، وبخاصة عندما وجد أنه من الضروري أن يلصق موضوع محاكمة المتهمين بوالده «رعمسيس الثالث»، وأنه هو الذي أمر بها قبل وفاته، ومن جهة أخرى يظهر ما اقترحه «شادل» على أن «بنتاور» كان صاحب حق عند ادعائه عرش الملك. ومن المحتمل إذن أن الثورة كانت قد بدأت في القصر لتأييد ومناصرة أحقية «بنتاور» للعرش في حين نرى أن جماعة رجال الدين الذين كانوا يناصرون «رعمسيس الرابع»، قد

أخمدوا الثورة وقضوا على الفتنة بما لهم من قوة وبطش في طول البلاد وعرضها. ولا يبعد أن هذا الرأي الذي لا يخرج عن الحدس والتخمين كان حقيقة تاريخية.

ويمكن تلخيص موضوع تولي «رعمسيس الرابع» عرش مصر فيما يلي:

(١) في اليوم السادس من الشهر الحادي عشر من عام ٣٢ مات «رعمسيس الثالث».

(٢) في اليوم الخامس عشر من الشهر الحادي عشر كان يوم إعلان (ظهور) خلفه «رعمسيس الرابع»، وبذلك يبتدئ حكمه.

(٣) في اليوم السادس عشر من الشهر الحادي عشر أعلن رسميًّا تغير الجالس على العرش في «طيبة»، وفي الأماكن الأخرى من البلاد.

(٤) إن يوم وفاة الملك القديم ويوم تولي الحكم (الظهور) وكذلك يوم تتويج الملك الجديد ليست موحدة، ولا يمكن أن يكون ذلك لاعتبارات عملية.

(٥) إن كلًّا من ورقة «هاريس» وورقة «تورين» قد ألفها «رعمسيس الرابع»، وإن الداعي لتأليفهما غرض سياسي قبل كل شيء.

نعود الآن إلى الأنشودة السالفة الذكر (انظر الشكل ١) التي تعد أغنية في مديح الفرعون؛ لأنه أعاد النظام إلى البلاد بعد القضاء على القلاقل الداخلية بتوليه العرش، وقد وصلت إلينا ممحوَّة في بعض نواحيها بعض الشيء، وهاك المتن كما ورد إلينا (راجع كتاب الأدب المصري القديم ج٢ ص٢١٩):

> ما أسعده من يوم! فالسماء والأرض في فرح؛ لأنك أصبحت رب مصر العظيمة، وهؤلاء الذين ولوا الأدبار، رجعوا ثانية إلى مدنهم، والذين اختبئوا عادوا كَرَّة أخرى إلى الظهور، والذين كانوا جياعًا أصبحوا بطانًا سعداء، والظامئون ارتووا، والعراة أصبح

رداؤهم الكتان الجميل، والقذرون صارت لهم ملابس بيضاء، والمسجونون أُطلق سراحهم، والراسف في الأغلال أصبح مُفْعَمًا بالسرور، والمتنابذون في هذه الأرض أصلح بينهم، وأتت الفيضانات العالية من منابعها لتنعش قلوب الآخرين. وبيوت الأرامل[٤] بقيت مفتوحة تستقبل من كان على سفر، والعذارى يرددن أغانيهن الدالة على سرورهن.

وقد استعرضن متحليات بالذهب، وقائلات (؟) … إنه يخلق جيلًا بعد جيل. أنت يا أيها الحاكم إنك ستعيش إلى الأبد.

والسفن تنشرح على البحر؛ لأنه لا أمواج فيه (؟) … وترسو على البر بالهواء وبالمجاديف، وإنها لمنشرحة حين تقول: «الملك «حق ماعت رع» محبوب «آمون» يلبس التاج الأبيض ثانية. وابن «رع»-«رعمسيس» قد تسلم وظيفة والده، وجميع الأرض تقول له: إن «حور» (الملك) جميل على عرش «آمون» الذي أرسله إلينا.»

«انتهى مديح شجاعة الملك، وقد دونه كاتب الجبانة «أمن نخت» في السنة الرابعة، الشهر الأول من فصل الزرع، اليوم الخامس عشر».

وهذه الأنشودة كما نرى أغنية كانت تردد في عيد تتويج «رعمسيس الرابع»، وهي في مغزاها وما تحمل من معانٍ تشبه ما يحدث في عصرنا عند الاحتفال بعيد تتويج الملك. والغريب في هذه الأنشودة أنها الفريدة من نوعها التي عثر عليها حتى الآن بين الوثائق المصرية القديمة، فما أشبه أمس باليوم، فالسماح للمذنب الهارب بالعودة، والعفو الشامل للمحكوم عليهم بعقوبات صارمة، وتوزيع الغذاء والملابس، وفتح السجون، والإفراج عن المذنبين، كل ذلك له نظائره في عصرنا هذا.

والواقع أن من ينعم النظر في محتويات هذه القصيدة، وما جاء فيها من وصف الرخاء والسعادة والنعيم التي عمت البلاد عند تولية هذا الفرعون لا يلبث أن يرجع بذاكرته إلى تلك الصورة

المظلمة القاتمة التي قرأناها — في وصف الخراب والدمار، وما آلت إليه حالة البلاد المصرية من بؤس وشقاء، وانقلاب الأوضاع الاجتماعية — في تحذيرات المتنبئ «إبور»،[٥] وهي التي تعد قطعة أدبية من النماذج التي كان يسير على نهجها الكتاب والتلاميذ في عهد الدولة الحديثة؛ لذلك لا نشك كثيرًا في أنها كانت أمام الشاعر الذي ألف هذه الأنشودة التي نتحدث عنها، ولكنه نسج على منوالها بصورة معكوسة، فالتعابير في كليهما تكاد تكون موحدة الأسلوب، مع فارق البؤس في الأولى، وتصوير الرخاء والنعيم في الثانية في زمنها.

ولكن هل ما جاء في هذه القصيدة يطابق الواقع؟

والجواب عن ذلك أنه من المحتمل كثيرًا رخاء البلاد نوعًا ما في ذلك الوقت، وبخاصة أن هذا الفرعون قد جاء بعد «رعمسيس الثالث» والده الذي كان عهده فترة رخاء نسبي في البلاد، وإن كانت شواهد الأحوال تدل على أنه في الحقبة الأخيرة من حكمه قد حدث اضطراب في صفوف العمال بسبب عدم دفع أجورهم، وقلة المؤن التي كانت تورد لهم مما أدَّى إلى إضرابهم. هذا بالإضافة إلى أن الفترة الأخيرة من حكم «رعمسيس الثالث» كانت مضطربة، وكانت حالة البلاد تسير نحو الهاوية شيئًا فشيئًا، وعلى أية حال فإن مثل هذه الأوصاف والتعابير الخلابة تكون في العادة من نسج خيال الشاعر وتمنياته، وما تصبو إليه نفسه، وما يرجو أن تكون عليه حالة البلاد حقيقة، ولكن الواقع يخالف ذلك.

(٣) آثار «رعمسيس الرابع»

يدل ما لدينا من آثار على أن هذا الفرعون لم يشن أية حروب خارج بلاده، وآثاره الحقيقية قليلة جدًّا بالنسبة لمن سبقه من الملوك العظام؛ هذا إذا ضربنا صفحًا عن الآثار التي اغتصبها من أسلافه وادعاها لنفسه ثم نقش عليها اسمه.

آثاره في العرابة المدفونة: ولعل أهم آثاره هي التي عثر عليها في «العرابة المدفونة». والظاهر أنه كان قد بدأ في إقامة معبد ضخم هناك، وليس لدينا من المعلومات ما يؤكد إقامته في هذه الجهة. وعلى أية حال فقد وجدت له لوحتان في «العرابة المدفونة»، وتمتاز هاتان اللوحتان بما فيهما من أفكار مبتكرة، وجمل مختارة، وهذه الأفكار وغيرها مما ظهر في المتون الأخرى التي تنسب إليه توحي بأن هذا الفرعون كان ذا نزعة أدبية بارزة ميزته عن غيره من فراعنة هذا العصر.

وسنورد هنا محتويات لوحتي العرابة السالفتَيِ الذكر ثم نعلق عليهما:

(١) لوحة «رعمسيس الرابع» الكبرى:[٦]

توجد هذه اللوحة الآن «بالمتحف المصري» تحت رقم ٧٥٧، ومسجلة برقم ٤٨٨٣١ وقد كتب عنها «مريت» عام ١٨٨١،[٧] ثم نشر متنها في كتابه عن «العرابة المدفونة» ونشرها ثانية الأستاذ «بيل».[٨]

ويبلغ طول هذه اللوحة مترين وعشرين سنتيمترًا، وعرضها متر وعشرون سنتيمترًا، وهي منحوتة في حجر جيري.

وصف اللوحة: يشاهد في الجزء الأعلى من هذه اللوحة قرص الشمس المجنح، وقد كتب على يمينه وشماله بعض كلمات عادية، وهي: «بحدتي الإله العظيم المزركش الريش»، وبعد ذلك تأتي العبارة القصيرة التالية: «السيد الذي اختاره «آمون».»

وصورة الملك الممحوَّة الآن كانت في هيئة تعبد كما يقول الأثري «بيل» وتتبعها العبارة التالية: «سيد القطرين، (حقا ماعت رع) … (رعمسيس).» وبعد ذلك نجد المتن مهشمًا، والمتن المحفوظ، وهو: تقديم «ماعت» (العدالة) لوالده «أوزير» سيد الجبانة.

والعبارات التي نقشت فوق الآلهة التي فوق الصورة هي على حسب ترتيب الآلهة كما يأتي:

(١) «أوزير … كلام يقوله …»

(٢) «حور» حامي والده ومحبوبه.

(٣) «إزيس» العظيمة، والأم المقدسة.

(٤) «نفتيس» الإلهة القاطنة في «العرابة المدفونة» المحبوبة.

(٥) الإله «مين حور نخت» القاطن في «العرابة».

(٦) الإله «إيون موتف» (= عمود أمه) القاطن في «العرابة» والمحبوب.

(٧) «حور الأفق».

(٨) الإله «أنحور-شو» بن «رع» ومحبوبه.

(٩) الإلهة «تفنوت» بنت «رع» ومحبوبته.

(١٠) الإله «جب» القاطن في العرابة.

(١١) الإله «تحوت» رب «الأشمونين».

(١٢) الإلهة «حتحور».

وتحت منظر هذه الآلهة نقش ستة وثلاثون سطرًا، وهي التي تشغل وجه اللوحة، وفي أسفل هذا النقش طغراء «رعمسيس الرابع».

متن اللوحة: ومتن اللوحة هُشمت بعض بداية أسطره وهاك النص: (١) «… من فصل الصيف في عهد جلالة «حور» الثور القوي العائش من الصدق، رب الأعياد الثلاثينية، مثل والده «بتاح تانن»، والمنسوب للإلهتين،[٩] وحامي مصر، وغال الأقوام التسعة، «حور» الذهبي الكثير السنين، العظيم الانتصارات، الملك الذي أنجبته الآلهة، ومن جعل الأرضين توجدان، ملك الوجه القبلي والوجه البحري، وسيد الأرضين ورب القربان …»

(٢) «حقا ماعت رع» بن «رع» سيد التيجان مثل «حور» الأفق «رعمسيس» معطي الحياة مثل «رع» سرمديًّا.

قال ملك الوجه القبلي والوجه البحري سيد القطرين «حقا ماعت رع» بن «رع» سيد التيجان «رعمسيس» معطي الحياة مثل «رع»: لقد كنت عاقلًا في قلبي. والدي والسيد … مثل … (٣) … تواريخ الإله «تحوت» الذي في بيت الحياة (المدرسة) ولم أترك واحدًا منهم لم يرَ لأجل أن نبحث عن العظيم والصغير بين الآلهة والإلهات، وقد وجدت … (٤) … التاسوع كله وكل صورك أكثر خفاء من صورهم. أما عن الأيام التي يقال عنها: إنها كانت قبل أن تصير الإلهة «نوت» حاملًا في جمالك، وقد عاش … (٥) بين الآلهة كما هي الحال بين الناس، وما يمشي على أربع، والطيور، وما يسكن المياه على السواء، وإنك القمر في السماء، وإنك تعود إلى الصبا كما تحب، وتصير شيخًا عندما تريد.

(٦) وها أنت ذا تخرج لتطرد الظلمة معطرًا ومكسوًّا بالتاسوع، والتعاويذ تتلى لتعظيم جلالتهم، ولسوق أعدائهم إلى محل هلاكهم (المقصلة). وهكذا يقال.

(٧) وهذا متن مكتوب وليس بحديث معنعن، والأحياء يحسبون ليعرفوا اليوم والشهر، ويجمعون الواحد فالواحد ليعرفوا مقدار مدة حياتهم، وكذلك فإنك النيل العظيم الذي يفيض في أوائل الفصل، والآلهة والناس يعيشون من السائل الذي يتدفق منك، ولقد وجدت جلالتك كذلك بمثابة ملك للعالم السفلي في هذه الحالة … في مصر، وأنت الذي يعمل الخير للعدو الشرير أكثر من الذي عمله «الخير» في أرض الجبانة، وإنك أنت الذي ترسل المتوفى عندما يخرج ماشيًا نحو الحياة إلى باب مدينتك (العرابة) التابعة لمقاطعة «طينة». (٩) وإنهم يعلنون المرسوم من جديد أمام أبوابك العظيمة، «ومسخنت» المزدوجة[١٠] على مقربة منك، وتصميماتك ثابتة تمامًا و«رع» يشرق كل يوم، ويصل إلى العالم السفلي لينفذ مصير هذه البلاد، وكذلك البلاد الأجنبية، وإنك قاعد مثله،

والناس يدعونكما سويًّا باسم روح «دم دم» (اسم إله الشمس في العالم السفلي) وجلالة الإله «تحوت» بجواركما ليدون الأوامر التي تخرج من فميكما.

أما عن كل ما تقولانه فإنكما فم واحد، وأوامري اليومية تنفذ «بقدرتكما». (١١) وإنك عالٍ في السماء، وفاخر في الأرض، والعالم السفلي (الجبانة) ثابت بتصميماتك حتى الأبدية، كم أنت إذن قدسي! وكم أنت عاقل! من ذا الذي يمكن أن يقرن بجلالتك حتى أنطق بمديحه؟ وإنك ممتاز لشخصك. (١٢) يا والدي وسيدي! كم أنا في حبور، وإنني حقًّا المخلص لك، وإني أضعك في قلبي يوميًّا، وها أنا ذا الذي يكشف عن خططه أمام جلالتك، وأمام المجلس العظيم الذي خلفك، وفيها (أي الخطط) (١٣) الحقيقة كلها، وليس فيها مين، وإني ملك شرعي، ولم أكن غاصبًا، وإني على عرش من أنجبني مثل ابن «إزيس» (يقصد «حور» الذي خلف والده «أوزير» على عرش الملك) ومنذ أن صرت ملكًا في مكان «حور» جلبت العدالة إلى هذه البلاد وقد كانت خلوًّا منها (١٤) وإني أعلم أنك تتألم عندما تخلو منها مصر، فقد أسست كثيرًا من القربات لروحك، وزدت على ما كان من قبلي يوميًّا، وحميت عبيد مدينتك، وحافظت على مكانك، وسننت لك مراسيم لإمداد معبدك بكل نوع من الذخائر. (١٥) حقًّا إني لم أقصِ والدي، ولم أنكر والدتي، ولم أسد النيل (أي أحوله) عن المكان الذي يجري فيه، ولم آتِ عند الإله ... في معبده، وإني أعيش مما يحبه الإله يوم ولادته في جزيرة النارين[11] (١٦) وإني لم أقم شجارًا على الإله ولم أرتكب سوءًا ضد الآلهة، ولم أكسر البيضة التي وضعت للفقس (؟) ولم آكل ما يجعلني نجسًا، ولم أنزع من البائس ما يملكه، ولم أقتل الضعيف، ولم أصطد سمكًا (١٧) في بركة الإله، ولم أحتبل الطيور بالشبك، ولم أصوب سهمًا على أسد في أثناء عيد الإله «باستت» (القطة) ولم أقسم بالإله «بانب دد» (كبش منديس) في معبد الآلهة، ولم أنطق باسم «تاتنن» (الإله سكر) ولم أنتقص من خبزه، ولقد رأيت (١٨) «ماعت» بجانب «رع» وقدمتها لسيدها وأصبحت ذا ألفة مع الإله «تحوت» بكتابته في

اليوم الذي يتفل فيه الإنسان على كتفه،[١٢] وإني لم أهاجم رجلًا في مكان والده؛ لأني أعرف أن ذلك يجعلك مشمئزًّا.

وإني لم أضم الشعير وهو لا يزال غضًّا (١٩) ولا عشب «ماتت» قبل أن يعد للحصد (؟) يا «أوزير» إني قد أوقدت لك الشعلة[١٣] يوم تكفين موميتك، وإني قد أقصيت الإله «ست» عنك عندما أتلف جسمك، ونصبت ابنك «حور» خلفًا لك، يا «حور» لقد تفلت على عينيك بعد أن انتزعها مغتصبها، وإني منحتك عرش والدك «أوزير» وميراثه في كل الأرض، وجعلت صوتك يعلو يوم الحساب، وعملت على أن تخدم مصر والصحراء بوصفك حالًّا محل «حور الأفق».

(٢١) يا «إزيس»، ويا «نفتيس»، لقد رفعت لكما رأسيكما، وثبت رقبتيكما في هذه الليلة التي يذبح فيها الـ … وثعابين سابي (وهي ثعابين رقط) أمام «ليتو بوليس» (وهي بلدة «أوسيم الحالية» عاصمة المقاطعة الثانية من مقاطعات الوجه البحري). وقد جعلت صوت «حور» يعلو يوم الحساب، ووضعت (٢٢) عقودكما حول رقبتيكما وصاحاتكما في قبضتيكما وجلاجلكما وراءكما … معكما.

يا «مين» لقد عملت على أن تقف بوصفك إلهًا منتصبًا عاليًا على قاعدتك وقد لففت لك عضو إكثارك (٢٣) بالنسيج المقدس، وجعلت الناس يحجبون وجوههم عندما تتمتع بعيدك الجميل.

يا «إيون موتف» (عمود أمه) لقد عملت على أن تعظم هؤلاء أصحاب الوجوه السرية (أي: الآلهة) (٢٤) بين الآلهة الذين يوجدون في عالم الآخرة، وإن الذين في حالتهم الأولية (كما ولدتهم أمهاتهم) يأتون نحوك بطعامهم أمام مكانك مع التاسوع.

يا «حور» الأفق، لقد طرحت لك أرضًا الثعبان «أبوفيس»، وجعلت سفينتك تسبح دون (٢٥) أن تنقلب رأسًا على عقب بوساطة «أبوفيس» في رحلتها العظيمة.

يا «أنحور» لقد وضعت لوحتك على صدرك، وريشتك على رأسك، وعقدك حول رقبتك، وحميت جسمك بتعاويذي (٢٦) وبرقى فمي، وأزلت القذى كله من على جسمك.

يا «سخمت» لقد منحتك قوتك بين كل الآلهة، وإن غضبك لعظيم، واحترامك لكبير بين الناس، (٢٧) وكل البلاد تحت سلطانك، وعملت على أن يكون في مقدورك أن تقبضي على حسب رغبتك في المملكة كلها.

يا «جب» لقد علقت لوحتك في رقبتك، ووضعت ريشتك على رأسك، وعقدك حول نحرك، وضمنت ... (٢٨) حماية جسمك بتعاويذي وبرقى فمي، وأزلت كل قاذورة لوثت جسمك.

يا «تحوت» لقد منحتك محبرتك، وملأت قدحك بالماء (٢٩) وجعلتك تفصل بين الأخ وأخيه، وأبعدت عنك الشر، وجعلت قوتك تعظم، وعملت على أن تسيح في وقت العاصفة الشديدة.

(٣٠) يا «حتحور» لقد قلدتك قلادتك، وأحطت يدك بالذهب، وإن ذكراك لعظيمة، والحب نحوك عظيم في جسم حورك الجميل الذهبي زوجك. يا «حتحور» يا سيدتي!

(٣١) والواقع أن الابن يكون على حق عندما يكون طيبًا نحو والده، وعندما يمنحه عبيدًا فوق ما يحتاج، وها أنا ذا لم أترك الخيرات خلف يدي حتى أعمل لروحكما بقلب محب. أما ما نلته من حظ (٣٢) بسبب إخلاصي فهو: أن ملكي طويل على الأرض، والبلاد في أمان، والفيضانات تقدم كل أنواع المؤن والهدايا، وقلبي أصبح قويًّا، وعيني لامعة، ولبي سعيد كل يوم، وأخضعت العصاة، (٣٣) وقمعتهم على طريقي، وليت أنفاسهم تخنق في قبضتي، وليتني أجعل أنوفهم تتنفس على حسب رغبتي كما جعلتهم يفعلون ذلك! وليت ما تحيط به الشمس يصبح تحت سلطاني (٣٤) وإني أقدم ذلك لأرواحك لأنك أنت الذي أوجدتها. وليتك تصبح الحماية لي كل يوم، وكل شر يقترب من المكان الذي أنا فيه يُقصى! وليتك تصير في ركابي مع أولادي! وليتهم يصبحون أقوياء مثل

الإلهين «شو» و«تفنت» تمامًا (تكرر الجملة) وليتني أسلم وظيفتي إلى ورثتي؛ لأن جلالتكم يمقت العصاة.

(٣٦) ليت ملك الوجه القبلي والوجه البحري «حقا ماعت رع» بن «رع» رب التيجان يعيش مثل والده «رع» صاحب الملك العظيم مثل «حور» بن «إزيس» «رعمسيس» معطي الحياة، لقد عمل ذلك أثرًا لوالده «أوزير» «خنتي أمنتي» الإله العظيم سيد الأبدية، ليته يعطي الحياة.

النقوش التي على الجانب الأيمن للوحة: (١) التعبد «لأوزير»، وإرضاء روحه بوساطة ملك الوجه القبلي والوجه البحري سيد الأرضين «حقا ماعت رع» بن «رع» رب التيجان «رعمسيس» معطي الحياة. المديح لك يا ملك الجبانة، «وننفر» (أوزير) ملك الأبدية، لقد وجدت جلالة … كلام قدسي في كل التضرعات العظيمة الهامة التي عملها لك «حور» عندما كان مع «تحوت» إرضاء لروحك؛ لتقوية بأسك (٢) بين التاسوع قائلًا: إنهم لا يعرفون اسمك، وليس لديهم خوف منك، يا من يطفو في الأيام … وهكذا فكرت في قلبي الإلهي مثبتًا التصميمات لتقوية مملكتي مدة الحياة الطويلة، والأقاليم في هدوء دون هياج، ولقد عملت الخيرات من كل صنف لمعبدك، وهي التي لم يعملها الملوك الذين عاشوا في مكاني، وأرضيت قلبك يا أيها السيد العظيم … اعمل على أن يكون الخير أمامك بسبب إخلاصي لك، أصغِ إلى تضرعي فإني ابنك.

نقوش الجهة اليسرى: الصلاة «لرع» عندما يشرق بوساطة ملك الوجه القبلي والوجه البحري سيد الأرضين «حقا ماعت رع» بن «رع» رب التيجان «رعمسيس» معطي الحياة، الصلاة لك يا من خلقت التاسوع … مخترقًا السماء، وإنك تطوف بالقبة الزرقاء في طريقك إلى العالم السفلي، وإن أعداءك يهوون إلى موطن هلاكهم، وسفينتك في سرور، وجزيرة النارين في سكينة؛ افتح أذنيك لتستطيع سماع قولي وهو: «ليتني أستطيع العودة إلى الصِّبا في زمنك، وإني عبدك المخلص لك، عبد مدينتك «سايس»: ملك الوجه القبلي والوجه البحري «حقا ماعت رع» بن «رع» «رعمسيس» معطي الحياة.»

مغزى متن لوحة «رعمسيس الرابع» الكبرى: عثر على هذه اللوحة في «العرابة المدفونة» مقر عبادة الإله «أوزير» رب الآخرة، وهو المعبود الشعبي العظيم الذي يتضرع إليه الناس في الحياة، ويلجئون إليه بعد الممات؛ ليحيوا مثله حياة منعمة في عالم الآخرة.

وتدل شواهد الأحوال على أن «رعمسيس الرابع» قد نقش هذه اللوحة في أوائل حكمه، وأهداها إلى هذا الإله متأثرًا بموت والده الذي أصبح «أوزير» في العالم السفلي، وكذلك إلى الآلهة الآخرين الذين كانوا يسكنون في «العرابة المدفونة» على ما يظهر، وسنرى أنه بعد أن وجه كلامه إلى هذا الإله العظيم خاطب كلًّا من هذه الآلهة بتضرع خاص، وقد بُدئت اللوحة كالعادة في مثل هذه النقوش بالتاريخ، ثم بالألقاب الخمسة التي كان يلقب بها الفرعون عند تتويجه رسميًّا.

ثم ينتقل بعد ذلك «رعمسيس الرابع» إلى التحدث عن بيت الحياة، وهي الكلية التي كان يتعلم فيها الكتَّاب وكبار الموظفين، ولم يكن ذلك من وحي المصادفة، إذ نجد أن هذا المعهد قد ذكر كثيرًا في تقاريره الرسمية، ولا أدل على ذلك من أنه جاء في اللوحتين اللتين عثر عليهما في «العرابة» واللتين تكشفان عن عبقرية هذا الفرعون من حيث التفكير، وصياغة العبارات وحسن الأسلوب، على أنه توجد أدلة أخرى لميل هذا الملك إلى الأدب والآثار، ففي لوحتنا هذه مثل الفرعون وهو يفحص تواريخ «تحوت»[١٤] التي في بيت الحياة، فيقول: «وتواريخ «تحوت» في بيت الحياة لم أتركها دون اطلاع عليها.» ثم يستمر قائلًا: «وقد وجدت … التاسوع كله، وكل صورك أكثر خفاءً من أشكالهم.» ويلاحظ هنا أن المخاطب هو الإله «أوزير» وعلى ذلك نجد «رعمسيس» يأخذ في تمجيده بوصفه إله القمر، وبوصفه النيل، وكذلك بوصفه ملك العالم السفلي، وبعد ذلك ينتقل إلى سرد أعماله الطيبة العظيمة فيقول له الفرعون: «إنك القمر «اعح» في السماء وإنك تصبح صبيًّا عندما تحب، وتصير شيخًا عندما تريد، وتخرج لتطرد الظلمة، ويعطرك التاسوع ويكسوك.» وعلى ذلك تتلو التعاويذ لتعظيم جلالة التاسوع، ولتحمل أعداءهم إلى موطن هلاكهم، ثم يقول لنا هذا الفرعون العالم: إن هذا متن مكتوب وليس بحديث معنعن، وقد وجد ليحسب به

الأحياء الأيام والشهور التي يعرف بها مدى الأيام {يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج}. ثم يقول له كذلك: «إنك النيل العظيم الذي ينتشر على أديم مصر في باكورة فصل الفيضان، وتعيش الناس من السائل الذي يتدفق منك.» وكذلك يخاطبه بأنه ملك العالم السفلي، وأنه يعمل بالخير لعدوه الشرير — هذا إذا كان فهمنا للمتن صحيحًا — ثم يقول له: «إنك أنت الذي تبعث المتوفى عندما يخرج ماشيًا نحو الحياة من عالم الآخرة إلى باب مدينتك «العرابة المدفونة»، التي هي من أعمال مقاطعة «طينة».»

وكان المعتقد أن باب عالم الآخرة يوجد في هذه المدينة حيث ينزل المتوفى إلى العالم السفلي كما نزل «أوزير» نفسه من قبل، وهناك تعلن الآلهة مرسوم «أوزير» بذلك على مقربة من البوابة العظيمة، و«مسخنت» المزدوجة التي ذكرت في هذا المتن هي المكان الذي ينزل منه الميت إلى العالم السفلي. وخطط هذا الإله ثابتة كلها، هذا بالإضافة إلى أن الإله «رع» يشرق كل يوم ثم يغرب إلى العالم السفلي لينفذ خطته في هذه البلاد والبلاد الأجنبية أيضًا، والإله «أوزير» يجلس على عرشه مثل «رع» والناس ينادونه هو والإله «رع» باسم «روح دِم دِم»، وهو اسم يطلق في الأصل على إله الشمس عندما يخترق العالم السفلي في أثناء الليل فهو و«أوزير» موحدان، ثم يستمر الملك مخاطبًا «أوزير» بأن الإله «تحوت» يسير في ركابهما؛ ليكتب لهما الأوامر التي تخرج من فميهما (أي فم أوزير ورع) هذا إلى أن كل ما يقولانه يُعد نطقًا واحدًا ثم يقول «رعمسيس»: إن أوامري اليومية التي أصدرها لهما تنفذ. ثم يعود الفرعون مخاطبًا «أوزير» منفردًا قائلًا له: «إنك رفيع في السماء، وفاخر على الأرض، والجبانة أصبحت ثابتة الأركان بخططك سرمديًّا، فكم أنت قدسي، وكم أنت حكيم، ومن ذا الذي يمكنه أن يقرن نفسه بجلالتك حتى أتحدث بمديحه؟ فأنت ممتاز في شخصك لنفسك، يا والدي وسيدي، وكم أنا في حبور، وإني لمخلص لك حقًّا، إذ أجعلك في لبي يوميًّا؛ ولذلك أكشف لك عن خططي أمامك وأمام مجلسك الأعظم الذي يشد أزرك، وهذه الخطط تنطوي على كل الحقيقة وليس فيها مين، هذا فضلًا عن أني

ملك شرعي ولم أكن غاصبًا لعرش غيري، بل إني قد تسلمت عرش من أنجبني مثل ما تسلم «حور» بن «إزيس» عرش والده «أوزير».»

ويلفت النظر هنا عبارة: «أنه لم يكن غاصبًا الملك من أخ كان أحق منه بالملك.» ولعله يشير هنا إلى المؤامرة التي دُبرت لاغتيال والده على يد أحد أبنائه الذي يجوز أن يكون الوارث الشرعي، كما أشرنا إلى ذلك فيما سبق وهو المسمى «بنتاور» بمساعدة والدته، وقد تحدثنا عن ذلك في الجزء السالف (راجع مصر القديمة ج٧). ويخاطب بعد ذلك الملك «أوزير» مفتخرًا بأنه قد جلب العدالة للبلاد بعد أن كانت خلوًّا منها؛ ولذلك أسس كثيرًا من القرب لروحه، وزاد ما كان موجودًا من قبل في المعابد الأخرى، وحمى عبيد مدينة «العرابة» من أن يشتغلوا في السخرة، وحافظ على مقام «أوزير» وسن له المراسيم لإمداد المعبد بكل أنواع الذخائر، كما فعل من قبله «سيتي الأول» على حسب ما جاء في «لوحة نوري».[١٥]

ثم ينتقل بعد ذلك «رعمسيس الرابع» إلى وصف نفسه بما كان عليه من خلق عظيم، وما انتهجه من عدالة في معاملة الناس فيذكر لنا أنه كان على اتصال بوالده، كما أنه لم ينكر والدته، فكان يقدم لهما القربان، وأضاف إلى ذلك قائلًا: إنه لم يحول ماء النيل عن مجراه الطبيعي بل ترك كل إنسان ليأخذ نصيبه منه؛ هذا إلى أنه كان يعيش مما كان يحبه إله الشمس يوم ولادته في «جزيرة النارين»، وهذه الجزيرة تطلق على المكان الخرافي الذي تولد فيه الشمس كل يوم. ثم يقول: ولم أعمل ما يغضب إلهًا أو يسيء إلى إلهة، فلم أكسر بيضة خصصت للفقس، إذ كان ذلك يُعد إجحافًا، كما أنه لم يأكل النجس، ولم يغتصب مال بائس أو فقير، ولم يقتل ضعيفًا، ولم يصطد سمكًا في بركة إله، ولم يحتبل طيورًا بالشبك، ولم يفوِّق سهمه على أسد في عيد الإلهة «باستت» التي تمثل في صورة «قطة» وهي التي تُعد بنت الشمس، كما أنها من فصيلة الأسد، ولم يعقد الأيمان باسم الإله «بانبدد» وهو كبش «منديس» المقدس في معبد أي إله، ولم ينطق باسم الإله «تاتنن» وهو صورة من صور الإله «أوزير» زورًا، ولم ينتقص من الخبز الذي يقدم له قربانًا، وكذلك رأى

الإلهة «ماعت» بجانب والداها «رع» فقدمها لسيدها، ولا يخفى أن «ماعت» تعد طعام الآلهة وغذاءهم الروحي والمادي.

ويقول الفرعون: إنه قد أصبح وثيق الاتصال بالإله «تحوت»، وذلك بتعلمه القراءة والكتابة التي كانت من خصائص هذا الإله، هذا إلى أنه لم يهاجم إنسانًا باغتصاب مكانة والده، لعلمه أن ذلك يُحفظ «أوزير» عليه، ولم يقطع شعيرًا رطبًا، ولا غيره من النباتات التي لم يحن جنيها.

ينتقل بعد ذلك «رعمسيس الرابع» إلى مخاطبة كل إله من الساكنين في «العرابة» على حدة، وهم الذين ذُكروا أول المتن وخاطبهم في نهايته، ويفتتح ذلك بتوجيه الخطاب إلى «أوزير»، فيقول له: «إنه قد أوقد الشعلة في يوم تكفينه.» وهذه العادة القديمة لا تزال حتى الآن في ريف مصر وصعيدها، وقد فصلنا القول فيها في الجزء السابع. ويقول: «إنني أقصيت عنك «ست» أخاك عندما أتلف جسمك، ونصبت ابنك خلفًا لك.» ولعله يقصد بذلك قصة «أوزير» عند تمثيلها. بعد ذلك ينتقل إلى مخاطبة «حور» قائلًا له: إنه تفل على عينه التي كان «ست» قد اقتلعها منه، وبذلك يلعب في هذه الحالة دور الإله «تحوت» الذي كان يشفي الجروح بتفله عليها، وهي عادة لا تزال شائعة في أنحاء مصر، يقوم بها أولئك المشعوذون الذين يطببون الجروح بالتفل بما يزعمونه ويدعونه لأنفسهم من ولاية، ثم أعطاه عرش «أوزير» وإرثه في مصر كلها، وجعل صوته يعلو يوم الحساب، وبذلك لعب دور الإله «رع»، هذا إلى أنه جعله يخدم مصر والصحراء، بوصفه وارث «حور» الأفق (أي إله الشمس) ثم يخاطب «إزيس» و«نفتيس» قائلًا لهما: إنه رفع رأسيهما وثبت رقبتيهما في تلك الليلة التي تقطع فيها الثعابين الرقط في «ليتو بوليس»، وهذه إشارة إلى خرافة قديمة غامضة.

ويقول للإله «مين» رب «قفط»: إنه أقام تمثاله على قاعدة، وإنه لف عضو إكثاره المنتشر في نسيج مقدس، كما جعل كل الناس يسترون وجوههم ساعة تمتع هذا الإله بعيده الجميل! — وهذا

الإله معروف عند قدماء المصريين بأنه إله الخصب والنماء، وقد مثل ذلك في انتشار عضو إكثاره في الرسوم المصرية القديمة، وكثيرًا ما يُرسم بجانبه «نبات الخس»، وقد دلت البحوث الحديثة على أنه يحتوي على مادة تثير الرغبة الجنسية وتقضي على العقم، وقد استخرج منه مصل لهذا الغرض حديثًا.

ثم ينتقل إلى مخاطبة الإله «إيون موتف» (عمود أمه) أو (سند أمه) قائلًا له: إنه قد جعله يحترم الآلهة الذين يقطنون العالم السفلي، وقد أطلق عليهم أصحاب الوجوه السرية، كما جعل كل الذين في حالتهم الأولية يأتون إليه بطعامهم أمام أماكنه مع التاسوع المقدَّس.

أما «حور الأفق» (رع) فيقول له: إنه قد طرح له أرضًا الثعبان «أبوفيس» في أثناء رحلته العظيمة في السماء، وهذا الثعبان هو العدو الألد الذي يعترض الشمس عند سياحتها في السماء إلى عالم الآخرة وبالعكس.

ويخاطب «أنحور» (أنوريس) أحد مشاهير آلهة «العرابة» بقوله: «إنه قد علق له لوحته المعلنة عنه على صدره، وريشته الرفيعة على رأسه، وعقده وقلادته حول رقبته، وحمى جسمه بتعاويذه ورقى فمه، وأزال كل الأوساخ العالقة بجسمه.»

أما الإلهة «سخمت» ربة القوة، وزوج «بتاح» رب «منف» وأم الإله «نفرتم»، ومنهم يتكون ثالوث «منف»، فإنه يقول لها: «إنه منحها القوة بين كل الآلهة، وإن غضبها واحترامها عظيمان بين الرجال، وإن كل البلاد تحت سلطانها، وإنه قد منحها من القوة والسلطان ما يجعلها تقبض على من تشاء في كل البلاد.» ويقول للإله «جب» (إله الأرض) ما قاله للإلهة «سخمت»، ثم يخاطب الإله «تحوت» إله العلم والمواقيت بأنه أعطاه محبرته، وجعله يقضي بين الأخ وأخيه في المخاصمات، وطرد عنه الشر، وزاده قوة، وجعله يقوم بسياحته في أثناء العاصفة العظيمة بوصفه إله القمر.

ويقول للإلهة «حتحور» إلهة الجمال والرقص والحب: «إنه قد حلى جيدها بعقد، وزين يدها بالذهب، وإن ذكراها عظيمة، وحبها شديد في جسم «حور» الذهبي زوجها الذي يعشقها.» بعد ذلك يستمر «رعمسيس الرابع» في تعداد ما أفاض من خيرات على إلهه، وما قام به من إصلاحات في البلاد لإسعاد الآلهة.

ويلاحظ أنه قد نُقش على جانبي اللوحة التي نحن بصددها قصيدتان «لأوزير» و«رع» على التوالي يعدد في الأولى ما عمله من خيرات «لأوزير» وفي الثانية يصف سياحة «رع» في العالم السفلي، ثم يقول له: «إنه خادمه المخلص، ويطلب إليه أن يجعله غض الإهاب، نضر الشباب في كل وقت.» وهذا المطلب كان أعظم ما يصبو إليه نفس كل ملك وكل فرد في مصر القديمة، بل وكل إنسان في الوجود!

وهكذا نرى في محتويات هذه اللوحة على الرغم مما فيها من صعوبات لغوية أنها تقدم لنا صفحة عن تاريخ هذا العاهل أشير فيها إلى حوادث معينة أهمها وراثة العرش، وتوحيد «أوزير» بالنيل، وإقامة شعائره في العرابة. وكذلك نوه فيها بالآلهة الذين كانوا ملتفين حول «أوزير» في ذلك البلد المقدس الذي كان يحج إليه كل مصري، وبخاصة أشار إلى أعضاء التاسوع الأكبر من الآلهة.

(٢) لوحة «رعمسيس الرابع»[١٦] الثانية:

توجد هذه اللوحة الآن «بالمتحف المصري»، وقد عثر عليها «مريت» في «العرابة المدفونة»، وقد أقامها هذا العاهل في السنة الرابعة من حكمه، وهاك النص:

> (١) السنة الرابعة. الشهر الثالث من الفصل الأول، اليوم العاشر من عهد جلالة الملك «رعمسيس الرابع» (الأسطر التالية حتى الخامس عشر تحتوي على ألقاب الفرعون، وصلوات «لأوزير» معتادة). (١٥) إنك ستمنحني صحة وحياة وعمرًا مديدًا وحكمًا طويلًا، وقوة في كل عضو من أعضائي، وبصرًا لعيني وسمعًا لأذني، وسرورًا لقلبي

يوميًّا. (١٦) وستطعمني حتى الشبع، وتسقيني حتى الري، وستمكن نسلي ملوكًا في الأرض إلى الأبد السرمدي. (١٧) وستمنحني الرضا يوميًّا، وستصغي إلى صوتي في كل قول عندما أقصه عليك، وإنك ستعطيني بقلب محب، وستهبني نيلًا عاليًا فياضًا لأورد قرباتك الإلهية، ولأورد القربات الإلهية لكل الآلهة والإلهات الجنوبيين والشماليين، ولأحفظ الثيران المقدسة أحياء، ولأحفظ كل أهل بلادك، وكذلك ماشيتهم وخمائلهم التي صنعتها يدك. (٢٠) لأنك أنت الذي خلقتهم كلهم، ولا يمكنك أن تهجرهم لتنفذ مشاريع أخرى؛ لأن ذلك ليس بحق.

وإنك ستسر بأرض مصر — وهي أرضك — في زمني، وإنك ستضاعف لي الحياة الطويلة ضعفين، والحكم المديد الذي حكمه الملك «رعمسيس الثاني» العظيم؛ لأن الأعمال العظيمة، والإنعامات التي أقوم بها لبيتك لإمداد قربك المقدسة، وللبحث عن كل شيء ممتاز، وعن كل نوع من الإنعامات لأقوم بها يوميًّا لمحرابك طيلة هذه السنين الأربع (التي حكمها) أكثر من الأشياء التي عملها «رعمسيس الثاني» الإله العظيم في سنيه السبع والستين (التي حكمها) وإنك ستمنحني عمرًا طويلًا مع حكم مديد، وهو ما أعطيته إياه بوصفه ملكًا … على … ابنه عندما أجلس على عرشه؛ لأنك أنت الذي قلته بفمك؛ ولن يعكس … لأنك رب «هليوبوليس» العظيم، وسيد «طيبة» العظيم؛ ولأنك رب «منف» العظيم، وإنك أنت الذي فيه القوة، وما تفعله هو الذي سيكون، امنحني مكافأة على الأعمال العظيمة التي أنجزتها لك، والحياة والسعادة والصحة وطول البقاء، والحكم المديد، وإنك ستجعل … الأطراف ويحفظ الأعضاء ليكون معي بمثابة حارسي الطيب وحامي الممتاز، وإنك ستهب لي كل أرض وكل مملكة … حتى يمكن أن أقدم ما عليَّ لروحك واسمك.

مغزى هذه اللوحة: لا نزاع في أن من يقرأ هذا المتن، ويقرنه بالمتون الملكية الأخرى لا يعدم أن يجد فيه نزعة جديدة من حيث التعبير والتنسيق في الأسلوب الأدبي، ولا غرابة في ذلك فإن كل من يقرأ ما وصل إلينا من كتابات هذا الفرعون يجده يمتاز بطابع خاص مغاير لما عداه من الكتابات الفرعونية التي تكاد تكون كلها مستعارة بعضها من بعض. والمتن هنا لا يحتوي على حقائق تاريخية جديدة إلا ما ورد فيه من أن «رعمسيس الثاني» حكم سبعًا وستين سنة، وهذا الحكم الطويل هو ما يرجو «رعمسيس الثاني» مثله لنفسه من الإله «أوزير».

ومما يلفت النظر في هذا المتن كذلك مخاطبة «رعمسيس الرابع» «لأوزير» وما يرجوه منه من غذاء وشراب، وراحة بال وسعادة ونيل عظيم ليحفظ به حياة الناس والحيوان التي هي من صنعه، ولا غرابة في ذلك فإن «رعمسيس الرابع» قد وحد في لوحته السابقة الإله «أوزير» بالنيل، ثم يقول لربه: إنه لا يمكنه أن يهجر كل هذه المخلوقات لتقوم بمشاريعها من أنفسها. ومما يلفت النظر كذلك أن هذا الفرعون قد غالى في تمني الحياة الطويلة والحكم المديد له ولخلفه، وهذا نفس ما تمناه له والده من الآلهة في متن ورقة هاريس (راجع ج٧).

(٣-١) بعوث «رعمسيس الرابع» إلى وادي الحمامات

أرسل الفرعون «رعمسيس الرابع» حملتين إلى محاجر «وادي الحمامات»؛ لإحضار قطع ضخمة من أحجار خاصة لإقامتها آثارًا له، وقد ذكر كل من «برستد» و«لفبر»[١٧] أن الفرعون قاد هذا البعث بنفسه إلى هذه المحاجر غير أن المتن لا يدل على ذلك صراحة، والعبارة التي استقى منها «لفبر» هذا الزعم مبهمة تمامًا، ويقول الأستاذ «جاردنر»: إنه غير محتمل جدًّا أن يكون «رعمسيس الرابع» قد ذهب بنفسه على رأس هذا البعث.[١٨]

اللوحة الأولى

وقد نقش رجال البعث الأول الذي أرسل لقطع الأحجار ما حدث لهم هناك على لوحة في صخور «وادي الحمامات»، ولا تزال باقية حتى الآن، وقد نقل نقوشها كل من الأثري «لبسيوس»[١٩] والأثريين «كويا» و«مونتيه».[٢٠]

وصف اللوحة: ويُرى في أعلى هذه اللوحة منظر قُسم قسمين يظهر في أحدهما «رعمسيس الرابع» يقدم صورة «ماعت» إلهة العدالة «لآمون رع» رب «طيبة» ورب الأراضي العالية والجبال وللإله «مين» سيد الأراضي الجبلية، و«إزيس» سيدة السماء، وخلف الفرعون تقف الإلهة «ماعت»، وأسفل هذا المنظر منظر ثانٍ يظهر فيه الفرعون يقدم القربان نفسه (ماعت) للإله «أنحور» (أنوريس) وللإله «أوزير» صاحب «قفط» و«إزيس» و«حور» بن «إزيس»، ويشاهد خلف الفرعون الإله «تحوت» وهو يكتب، وفي أسفل هذين المنظرين النقش التالي:

> السنة الثانية، الشهر الثاني، من الفصل الأول، اليوم الثاني عشر من حكم جلالة (يتلو ذلك الألقاب الخمسة) «رعمسيس الرابع» (وبعد ذلك تأتي النعوت العادية التي كان يتصف بها كل فرعون في هذا العهد) ثم يستمر المتن في وصف الملك قائلًا: تأمل هذا الملك الطيب الممتاز العقل مثل «تحوت»، وإنه قد نبغ في التواريخ (أي في تمحيصها) مثل واضعها (يقصد الإله تحوت) فقد فحص كتابات «بيت الحياة» وقلبه القدسي يعمل أشياء ممتازة لسيد الآلهة، وعقله قد فكر في أشياء سارة مثل … «وهي التي قد كررها له «رع» في قلبه ليجد المكان الصحيح لوضع هذا الأثر فيه إلى الأبد فيما بعد، وقد كلف (الملك) أصدقاءه المقربين لجلالته، والرؤساء والأمراء العظام للوجه القبلي والوجه البحري أجمعين، وكذلك الكتَّاب وعلماء «بيت الحياة»؛ ليقيموا هذا الأثر الخاص ببيت الأبدية (أي القبر الملكي) في هذا الجبل المكون من حجر «نخن» أمام أرض الإله: الملك «رعمسيس الرابع» محبوب «آمون رع» و«حوراختي» و«مين» رب الصحراء، و«حور» بن «أوزير» و«إزيس» العظيمة معطي الحياة.»

ومن هذا المتن نفهم أن هذا الفرعون العالم قد بحث في كتب الإله «تحوت» رب التاريخ والعلم والمواقيت، وقد أرشده بحثه بإلهام من إله المعرفة إلى المكان الصحيح الذي يمكنه أن يقطع منه أثرًا عظيمًا، فكلف رجال البعثة بقطع هذا الأثر العظيم اللازم لقبره الملكي. ويلاحظ هنا أنه في بعض النقوش الأخرى التي من هذا النوع لا نجد الملك يبحث في الكتب بل تحدث المعجزات التي يصل بها رجال الحملة إلى العثور على الحجر المطلوب (راجع مصر القديمة ج٣). فهذه الحملة كما يفهم من المتن كانت لكشف المكان الذي يقطع منه الأحجار اللازمة لإقامتها في معبد «آمون» (راجع .Baedeker, Egypt, p. 399).

الحملة الثانية:[٢١] والواقع أن النقش الطويل الذي دُوِّنَ إشادة بالحملة الثانية، التي أرسلها «رعمسيس الرابع» إلى «وادي الحمامات» بعد انقضاء ثمانية عشر شهرًا على الحملة الأولى، وهو الذي أرخ بالسنة الثالثة يستحق عناية في فحصه أكثر مما أعطي له حتى الآن، وهو كما يقول «برستد»:[٢٢] قد عمل تذكارًا لأكبر حملة تأتي بعد أخرى سبقتها إلى هذه المحاجر، وهذه الحقيقة تظهر بوضوح يسترعي النظر — إذا صدقنا ما لدينا من المتون المحفوظة — عندما نعلم أن هذه الحملات كانت ترسل على نطاق ضيق منذ الدولة الوسطى (راجع مصر القديمة ج٣).

حقًّا إن الفرعون قبل أن يرسل القوة الرئيسية تحت قيادة «رعمسيس نخت» الكاهن الأكبر للإله «آمون» شعر أن من واجبه أن الاستعلام عن طبيعة الآثار التي قطعت من هذه المحاجر، وقد ذكر لنا ذلك في الكلمات التالية: «كلف جلالته كاتب «بيت الحياة» «رعمسيس عش حب» وكاتب الفرعون «حوري»، وكاهن بيت «مين حور» و«إزيس» في قفط المسمى «وسر ماعت رع نخت» أن يبحثوا عن الأعمال لبيت الصدق في جبال «حجر بخن» بعد أن وجدت أنها غاية في الجمال، وأنها آثار عظيمة مدهشة.» وقد ذكر كل من «برستد»[٢٣] و«لفبر»[٢٤] أن عبارة «مكان الصدق» تشير إلى موقع في «وادي حمامات» نفسه، والواقع أنها تشير إلى أعمال أنجزت أو ستنجز لأجل جبانة «طيبة» التي كانت تسمى بهذا الاسم. وهذه العبارة جاءت مرتين أخريين في

نقوش «وادي حمامات» بمناسبة نفس الحملة،[٢٥] كما جاءت على قطعة ورق نشرها الأستاذ «جاردنر»،[٢٦] وقد جاء فيها الأعمال الخاصة «بمكان الصدق» وهي التي أمر الفرعون بإنجازها. ويقول «جاردنر»: إن المقصود من هذه الجملة السمجة التركيب هو أن البعثة الصغيرة المؤلفة من ثلاثة رجال عينهم الفرعون كان عملهم مزدوجًا، فكان عليهم أولًا: أن يبحثوا عن أي حجر من «وادي حمامات» يمكن وجوده في «طيبة» أو في أية مدن أخرى من مدن القطر، وثانيًا: كان عليهم على ضوء المعلومات التي وصلوا إليها عن هذه الأحجار أن يدبروا أمر الآثار الجديدة التي كان لا بد من قطعها من هناك لأجل «رعمسيس الرابع». على أن الموظفين الذين كُلفوا القيام بهذه المأمورية كانوا من الموظفين الأكْفاء المنتقين، فقد كان في استطاعة كاتب «بيت الحياة» أن يصل من النقوش التي وجدت عليها إلى أية آثار قديمة أتى بها من «وادي حمامات»، كما كان لديه المهارة في أن يؤلف نقوشًا جديدة للتماثيل أو التوابيت التي كانت ستنتخب بعد لقطعها من هناك.

أما كاتب الفرعون فقد كان في مقدوره أن يعرف ميول سيده، كما كان لكاهن «قفط» معرفة تامة بمحاجر «وادي حمامات»، وما يمكن الاستفادة به منها، وعلى ذلك فإن الفحص المبدئي الذي قامت به البعثة الأولى كان في الواقع مقدمة صالحة لعمل الحملة الثانية العظيمة، التي أرسلها الفرعون بعد (راجع J. E. A Vol. 27 p, 172).

اللوحة الثانية

نُقشت هذه اللوحة على صخور «وادي حمامات»، ويشتمل الجزء الأعلى المستدير بعض الشيء على منظر يقدم فيه «رعمسيس الرابع» «ماعت» (العدالة) إلى ثالوث «طيبة» وهم الإله «آمون» جالسًا على عرشه والإلهة «موت» ثم «خنسو» ابنهما، وكذلك للإلهة «باستت» التي تقف خلف «خنسو»، وخلف الملك يقف الإله «مين» و«حور» بن «إزيس» والإلهة «إزيس». وأسفل هذا المنظر نقش اثنان وعشرون سطرًا:

ترجمة اللوحة ودرسها: وقد تناول الأثري «كريستوفل» أخيرًا ترجمة هذه اللوحة. وعلق عليها من جديد في مقال هام (راجع Bulletin De l'Instit. Franc. D'Archeol. Orient.Tome XLVIII p. 1 ff.) ويقول: إن الأسباب التي دعت إلى ترجمتها ثلاثة:

(١) أنه أمكنه أن يضيف بعض تصحيحات للمتن الذي نقله «مونتيه».

(٢) أن هذه اللوحة لم تُترجم كلها قط، وأن أحدث ترجمة لها هي ترجمة الأستاذ «برستد» (راجع Bor A. R. IV & 461–468) وقد حذف من الأصل أكثر من خمسة أسطر دون أن تترجم. وهي تقدم لنا بعض معلومات من السياسة الداخلية للفرعون في ذلك العهد كما لاحظ ذلك الأثري «بروكش» (راجع Brugsch Gesch. Aegyptens p. 620).

(٣) أن هذه اللوحة هي أساس معلوماتنا عن نظام الجيش في عهد الرعامسة، وقد لاحظ ذلك من قبل «بروكش»، ولن يكون من الفضول إذن أن نعود إلى ذكر ما كتبه هذا العالم الألماني، وتكملة ما فاته منه على ضوء الوثائق الأخرى.

الترجمة: الألقاب الملكية: (١) السنة الثالثة، الشهر الثاني من فصل الصيف، اليوم السابع والعشرون من عهد جلالة «حور»: الثور القوي الذي يعيش من العدالة،[٢٧] وصاحب الأعياد الثلاثينية مثل والده «بتاح تاتنن» والمنسوب للإلهتين، والذي يحمي مصر، ويجعل الأقواس التسعة تنحني له؛ و«حور» الذهبي: ذو السنين العديدة، والعظيم بالانتصارات، والملك الذي برأ الآلهة (٢) والذي جعل البلاد تحيا،[٢٨] ملك الوجه القبلي والوجه البحري الذي يحكم الأقواس التسعة، رب الأرضين، ومن يملك القوة «رع» هو سيد «ماعت» ومختار «آمون» بن «رع» المتوج: «رع» ماعتي قد أنجبه، محبوب «آمون»، ومحبوب «آمون رع» ملك الآلهة «حوراختي»، و«بتاح» العظيم الذي في جنوب جداره، صاحب «منف»، ومحبوب «موت» و«خنسو» ومحبوب «مين» و«حور» و«إزيس»، معطي الحياة.

مديح الملك: (٣) وإنه إله طيب ذو تصميمات صائبة، وهو ملك يعلو اسمه حتى عنان السماء، ويشرق في القصر مثلما يضيء «حوراختي» البلاد بنوره، ومن والدته «إزيس» قد ثبتت على جبينه (وإزيس هنا تمثل الصل الذي على جبين الفرعون) وكل ما يحميه آتٍ عن طريقها (٤) والخوف الذي ينبعث منها ينفذ في أجسام الرجال. وكل إنسان يلتفت نحوه عندما يظهر، وتنشرح القلوب عندما يعلن نفسه مثل النيل عند بداية ميقاته (المحدَّد).

ومن أنجبه سيد العالمين، وهو بذرته التي مكنها على عرشه ليكون ابنه المحبوب كثيرًا، ووارثه على الأرض، وقد جعله يظهر على سلم العرش بوصفه ملك البلاد عندما اتحد الصلان على رأسه (جبينه).

وقد جعله الآن يسير إلى محرابه «برور» (البيت العظيم) ليقدم «ماعت» يوميًّا. وإنه ملك شجاع يخرب الأراضي الأجنبية، ويقضي على الآسيويين في وديانهم، وإنه مقدام، وقوي، وشجاع في هذه الأرض. ومنذ وصلت البلاد إلى عهده بدأ العصر السعيد الذي حل بمصر مثل عصر «رع» في زمن ملكه.

خواص هذا العهد: وعلى ذلك فإن هذا الإله الطيب هو صورة الإله «تحوت» في قوانينه، وإنه قد خرج من جسد رب العالمين، وعندما يكون الصل على جبينه فإن سلطانه يمتد حتى عنان السماء، وإنه خالق العدالة، ومهلك الظلم، وهو ملك يعمل على إقصاء الكذب عن البلاد، وجعلها في هدوء في أثناء ملكه، وكل ما يشرع في عمله ينفذ تمامًا، ويفلح. وإنه ملك يذهب على حسب مشيئته؛ لأن لديه القوة، ونشاطه عظيم. ليته يجعل مصر تتمتع «بالملايين» من المرات.

ولما كان لبه يقظًا باحثًا عما يفيد والده الذي برأ جسمه، فإنه قد فتح طريقًا لأرض الإله لم يعرفها أحد ممن عاش قبله، وهي طريق كانت أنظار الناس قد أخطأتها إذ لم يعرفوا كيف يتخيلون الوصول إليها.[٢٩]

الرحلة الملكية: وكان جلالته ذا قلب بصير؛ لأن لب والده «حور» بن «إزيس» قد أرشده إلى الطريق المؤدية إلى الغاية التي ينشد الذهاب إليها. (١٠) وقد اخترق المحاجر الثمينة ليقيم أثرًا فاخرًا لوالده (يقصد آمون رع) ولآبائه كل آلهة وإلهات مصر، وقد أقام لوحة (يحتمل أنها هي التي أقامها في «وادي حمامات»، وقد تكلمنا عنها فيما سبق) على قمة المحجر،[٣٠] وقد نقشت بالاسم العظيم لملك الوجهين القبلي والبحري «رع سيد ماعت» الذي اختاره «آمون» بن «رع» «رع ماعتي»، قد أنجبته محبوب «آمون».

البعث كان محصورًا في الفحص: وعندئذ كلف جلالته كاتب بيت الحياة (المسمى) «رعمسيس-عشا-سد»، وكاتب الضياع المقدسة «حوري»، وكاهن معبد «مين» و«حور» و«إزيس» في «ققط» و«سر ماعت رع نخت» للبحث عن مواد لأجل «مكان الصدق»،[٣١] في مناجم حجر «بخن» بعد أن وجد أنه ممتاز في جماله، وأنه سيكون آثارًا عظيمة مدهشة.

بعث «رعمسيس نخت» وتأليفه: وبعد ذلك قرر جلالته أن يكلف الكاهن الأعظم «لآمون»، ومدير الأعمال «رعمسيس نخت» صادق القول، نقلها إلى مصر. وهاك أتباع الملك والعظماء الذين رافقوه: تابع الملك «وسر ماعت رع سخبر»، وتابع الملك «نخت آمون» ونائب قائد الجيش «خعمتر» ومدير الخزانة «خعمتر»، ومدير الضرائب، وحاكم المدينة «أمنموسي»، ورئيس الضرائب والمشرف على قطعان ضيعة «رعمسيس السادس» «باكنخنسو»، وضابط الفرسان «نخت آمون»، وكاتب جنود القتال «سول»، وكاتب نائب قائد الجيش «رعمسيس نخت» وعشرون كاتبًا حربيًّا، وعشرون رئيس إصطبلات القصر، والضابط قائد رؤساء كتائب الجيش «خعتمال» وعشرون رئيس كتيبة، وخمسون سائق عربة من الفرسان، ورئيس كهنة، ومدير قطعان، وكهنة، وكتبة، ومفتشون مجموعهم خمسون شخصًا، وخمسة آلاف جندي، وبحارة تابعون لجماعات صيادي الملك، وعددهم مائتان، وثمانمائة جندي من المرتزقة (عابرو) من قبيلة «عنيت»، ومائتا رجل من الضياع المقدسة، ومن أملاك الملك، ونائبا شرطة، وخمسون شرطيًّا، ورئيس الصناع «نخت آمون»، وثلاثة من رؤساء العمال لأجل أعمال المناجم، وثلاثون ومائة

حمال، وقاطع أحجار، ورسامان، وأربعة من الحفارين، ويطرح من[32] هذه القائمة تسعمائة متوفى، فيكون المجموع ٨٣٦٨ شخصًا.

بعث «رعمسيس نخت» أداة النقل: ونقل الأشياء الضرورية من مصر، بالماء وبعشر عربات، وبعربات أخرى تجرها ستة أزواج من الثيران، وقد سارت كلها من مصر حتى منجم حجر «نخن»،[33] وكان يوجد حمالون عديدون يحملون خبز «عقو» وقطع لحم، وخبز «شعي» لا يُحصى، وقد جُلبت كذلك القربان لإرضاء آلهة السماء من «طيبة» وكانت قد طهرت تطهيرًا عظيمًا، وحملت على الأكتاف؟ …

بعث «رعمسيس نخت» الحفل الديني: وقد نحرت ثيران «ايوا»، وذبحت ثيران «انجو»؛ وقطران … وشراب «شدح»، والنبيذ متدفق كالماء، واللبن والجعة قربتا في هذا المكان، وكان صوت الكاهن المرتل يدوي عند تقديم القربان المطهرة للآلهة «مين» و«حور» و«إزيس» (٢٣) و«آمون» و«موت» «وخنسو» و«بتاح» وآلهة الجبل كلهم، وقد تسلموا بقلوب راضية القربان، وأعطيت مئات الآلاف من أعياد «سد» لابنهم المحبوب، ملك الوجه القبلي والوجه البحري، رب الأرضين «رع» هو سيد العدالة مختار «آمون» رب التيجان، «رع ماعتي» قد أنجبه محبوب «آمون» معطي الحياة سرمديًّا.

الجيش المرافق لبعث «رعمسيس نخت»: وقبل أن نترك هذا البعث يجب أن نتحدث بعض الشيء عن تكوين هذه الحملة وبخاصة من الوجهة الحربية.

الجنود والبعوث إلى المحاجر: فسر «مونتيه» وجود الجنود في البعوث إلى «وادي حمامات» بأنهم كانوا يُستعملون في نقل الأحجار. وهذا الرأي يجب أن يرفض رفضًا باتًّا للأسباب التالية:

(١) تشمل البعوث إلى المحاجر نادرًا جيشًا حارسًا لها فنجد «حنو» في الدولة الوسطى. (راجع مصر القديمة ج٣) و«رعمسيس نخت» في عهد الرعامسة هما القائدان الوحيدان على ما نعلم، اللذان صحبا معهما جنودًا عاملين ولم يستعمل «حنو» هؤلاء الجنود في الذهاب إلى «وادي حمامات» وحسب، بل كذلك لرحلة أكثر مشقة قام بها على ساحل البحر الأحمر. وفي عهد

«رعمسيس الرابع» الذي نحن بصدده الآن كان هؤلاء الجنود ضروريين لاختراق إقليم لا يزال مليئًا بذكرى الحروب الحديثة العهد.

(٢) إن كلمة جنود التي تستعمل عادة للمحاربين قد تستعمل أحيانًا لتدل على العمال عندما نتحدث عن حملة إلى محاجر.

(٣) لم يكن أهل بدو الصحراء الشرقية على ما يظهر معادين للمصريين.

الرئيس الأسمى للفرقة: يأتي في المنزلة الرابعة بعد الكاهن الأكبر «لآمون»، والتابعين الملكيين في القائمة «خعمتر»، الذي يحمل لقب نائب قائد الجيش وله كاتم سره الخاص الذي يدعى «رعمسيس نخت»، وهو شخصية لها مكانة عظيمة (وترجم هذا اللقب «جاردنر» كاتب التوزيع).

ووظيفة «خعمتر» الاجتماعية عظيمة لدرجة تجعلها في المكانة الأولى في هذا النظام الحربي، ويمكن أن تحل محل قائد الجيش.

الجنود ورؤساؤهم: والظاهر أنه كان لا بد «لرعمسيس نخت» ليخترق إقليمًا تحيط به المخاوف بعض الشيء من مصاحبة وحدة حربية سنطلق عليها «فرقة» وقوامها خمسة آلاف رجل.

وكانت القيادة الفعلية لهذا الفيلق في يد ضابط قائد رؤساء فيلق الجيش، ولم يغفل كاتب اللوحة عن ذكر اسمه وهو «خع ممال».

وكان الفيلق يحتوي على عشرين كتيبة كل منها يشمل مائتين وخمسين رجلًا وكل كتيبة يقودها رئيس الكتيبة.

وكانت الكتيبة تقسم فرقًا تحتوي كل فرقة على خمسين رجلًا، ولم تذكر لنا اللوحة رؤساءهم.

الإدارة الحربية: وكان لكل فيلق إدارة خاصة تدير شئونه بكل دقة، فكان له كاتب الفرقة، وكاتب الجنود يُعد موظفًا كبيرًا. وقد ذُكر في اللوحة قبل الرئيس الحقيقي. وكان الكتاب الحربيون تحت

إدارة كاتب الجنود ولم نصادف كاتبًا خاصًّا بالكتيبة.

فرسان العربات: تدل شواهد الأحوال على أن وجود قسم للعربات في الحملة التي قام بها «رعمسيس نخت» يوحي بأنه كان يوجد في العادة مع فيلق المشاة طائفة من المحاربين الفرسان بالعربات. وإذا كانت هذه النظرية صحيحة، فإنه كان يوجد مع فيلق المشاة المؤلف من خمسة آلاف جندي خمسون سائق عربة، ويظهر أن هذه النظرية مقبولة، والمعلوم أن سلاح الفرسان كان رفيع المكانة ولذلك كان قليل العدد، وقد كان ضباطه على اتصال وثيق بالقصر الملكي، ومن المحتمل أن الفرسان والخيل والعربات كانت تتخذ مأواها بالقرب من مقر الملك، فليس لدينا ما يمنع من أن نعد لقب سائق مقر الملك، ورئيس إصطبلات مقر الملك بمثابة ألقاب حقيقية لا ألقاب شرف يُمنحها أقارب الفرعون أو بعض رجال الحاشية، فقد كانت هذه في الواقع رتبًا حقيقية يُمنحها أولاد الأسر الكريمة الذين اختاروا لأنفسهم الانخراط في سلك الجيش. ويلاحظ هنا أن المجند كان يمر أولًا في دور التمرين قبل أن يكون فارسًا بالمعنى الحقيقي (راجع مصر القديمة ج٥).

وقد كان قسم الفرسان يحتوي على خمس وعشرين عربة قتال؛ أي لكل عربة رجلان وكان يقود هذا الجزء فارس بلقب «سائق عربة القصر»، وقد كان يدعى «نخت آمون» في خلال حملة «رعمسيس نخت».

وكانت كل عربة وخيلها وسائقها على ما يظهر تحت إدارة صف ضابط يلقب «رئيس إصطبل المقر»، أو من المحتمل أنه كان يبقى في أثناء القتال في معسكر، غير أنه كان يقوم بدور هام في العناية بالخيل والعربة.

ويلاحظ أن اللوحة لم تذكر إلا عشرين.

الشرطة: كان للجيش دور هام خاص محدد غير أنه من الجائز أن ينشب الشجار بين العمال، فكان على رجال الشرطة أن يفصلوا فيه، وقد كان يصحب الحملة خمسون من رجال الشرطة، وكان

هذا العدد كافيًا للمحافظة على الأمن بين ثلاثة آلاف عامل، هذا مع العلم بأن الجيش كان لزامًا عليه أن يتدخل بقوة في الأمور الخطيرة.

والظاهر أن «رعمسيس نخت» كان يرافقه قسم من رجال الشرطة، وهكذا نجد أن مبدأ تأليف كل فصيلة من خمسين رجلًا كان متبعًا، ومن الجائز أن الكتيبة في الشرطة كانت تتألف من نفس العدد الذي تتألف منه في المشاة وهو مائتان وخمسون. أما موضوع قيادة رجال الشرطة، فموضوع دقيق وليس لدينا في متن هذه اللوحة معلومات مباشرة يمكن الاعتماد عليها، ويمكن أن نستخلص بعض الحقائق عن ذلك من متون أخرى، فمثلًا نجد في الأثر الخاص بالنسب وهو المحفوظ الآن بمتحف «نابولي» (راجع مصر القديمة الجزء السادس): الرئيس الأعلى للشرطة «أمنحنت» … «يقول للنواب الكبار الذين على رأس الشرطة ولكل شرطة هذه المدينة …»

ومن المتن السابق نفهم أن رئيس الكتيبة (؟) هو النائب الكبير، وهذه طريقة لإظهار العلاقات الوثيقة التي توجد بين الرئيس ومرءوسيه، وهذا شرط لا بد منه لحسن سير العمل في مصلحة هامة من مصالح الدولة؛ فالضابط لا يصدر أوامر بل يحل محل رئيسه على رأس الكتيبة. والآن يمكن أن نعود إلى النقش فيجب أن نعد النائب بمثابة رئيس كتيبة (؟) الشرطة وهو يمثل شخصيًّا الضابط رئيسه ولكنه ليس الرئيس المباشر للخمسين شرطيًّا.

ولا نزاع في أن هذه البعثة إلى «وادي حمامات» كانت تعد أكبر بعثة أرسلت إلى تلك الجهات حتى الآن. وكان قد أرسل «منتو حتب الثالث» حملة عظيمة يبلغ قوام رجالها نحو ثلاثة آلاف رجل، ولكن «منتو حتب» يمتاز بأنه قد مهد الطريق وعبَّدها من «قفط» حتى البحر الأحمر، ومن ثم أصبح في مقدور أخلافه إرسال البعثات إلى هذه الأصقاع الوعرة. (راجع مصر القديمة ج٣).

(٢-٣) معبد خنسو

بدأ الفرعون «رعمسيس الثالث» إقامة معبد «خنسو» بالكرنك، غير أنه لم يتمه، وقد استمر في إنهاء عمارته ابنه «رعمسيس الرابع» فبنى الحجرات الخلفية بما في ذلك حجرة العمد الصغيرة، وقد نقش عليها الإهداء التالي:[٣٤] «رب الأرضين «حقا ماعت رع ستبن آمون» بن «رع» رب التيجان «رعمسيس مري آمون» لقد أقامه تذكارًا لوالده «خنسو» رافعًا له معبدًا ساميًا جميلًا باقيًا سرمديًّا.»

القربان التي يقدمها «رعمسيس الرابع» في الأحفال لثالوث «طيبة» بمعبد «خنسو»

ويلاحظ الزائر لمعبد «خنسو» بالكرنك أن محراب السفينة المقدسة قد أحيط بممر زخرفت كل جدرانه بمناظر وكتابات من عهد «رعمسيس الرابع»، ويلفت النظر أن الجدران الغربية لم يكن قد تم زخرفة الجزء الأعظم منها، ولكن على العكس من ذلك نجد أن الجدران الشرقية قد نقشت كلها بمناظر يظهر فيها الفرعون يقدم القربان لآلهة مختلفين،[٣٥] فنشاهد على الجدار الجنوبي في الصف الأسفل أعظم منظر في مجموعة هذه المناظر الخاصة «لرعمسيس الرابع»، إذ نشاهده أمام أربع موائد قربان قد حملت بالقربات السخية تعظيمًا لثالوث «طيبة» راجع ما كتبه «جكييه» عن هذا المنظر (Jequier. l'Architecture et decortion dans l'Ancienne Egypte t. II. Le Temple Ramesides et Saite, Pl. 72 (2)).

ويلاحظ أن هذا المؤلف لم يقدم لنا هنا إلا الجزء الأيسر من المنظر، ويشاهَد الملك في هذا المنظر يقوم بتأدية الحفل الشعائري المعروف عند المصريين القدامى: «القربات التي يقدمها الملك» وقد حفظ على الجدار حفظًا تامًّا (انظر الصورة في Bull. De l'Instit. Franc. Tome XLVIII, Pl. I.).

ثالوث طيبة: فنشاهد «آمون رع» و«موت» و«خنسو» واقفين في الجهة اليسرى خلف مائدة القربان، وقد كتب أمام «بتاح» و«آمون رع» المتن التالي: ما قاله «آمون رع» سيد عروش

الأرضين لابنه الذي يحبه سيد الأرضين «حقا ماعت رع ستبن رع»: «إني أقدم لك الأبدية بوصفك ملك الأرضين السرمدي وبوصفك ملك السعادة.»

وكتب أمام ساقي الإله ما يأتي: «إني أجعل قوتك تسيطر على كل البلاد الأجنبية.»

متن الإلهة «موت»: ما قالته «موت» العظيمة «سيدة إشرو»: «يا سيد التيجان «رعمسيس ماعت مري آمون» إني أمك التي وضعتك، وإني أمدك بالحياة والبقاء والسعادة.»

متن الإله «خنسو»: ما قاله الإله «خنسو» في «طيبة»-«نفرحتب» لابنه سيد الأرضين «حقا ماعت رع ستبن آمون»: «إني أجعل كل الأرض تنحني أمامك والأقواس التسعة تحت نعليك.»

ونقش أمام ساق «خنسو»: «إني أجعل عمرك عمر «رع» في السماء (أي عمر الشمس).»

الجزء الأيمن من المنظر: نقش تحت إلهة في صورة رخمة: «الحماية، والحياة، والسعادة من ورائه مثل «رع».»

(٢) الملك: مثل الفرعون لابسًا التاج «خبرش» (الخوذة) ومرتديًا قميصًا طويلًا ذا ثنيات. ويده اليمنى ممتدة نحو الآلهة، والظاهر أنه يقدم القربان التي كانت مكدسة على موائد القربان أمامه (وهذه الحركة التي يؤديها الملك بيده هي الخاصة بالشعيرة المعروفة باسم قربان يقدمه الملك) ويده اليسرى مدلاة وممسكة بملعقة البخور التي كان يريد استعمالها، وقد كتب النقش التالي أمام الملك: «تأدية شعيرة «حتب دي نسوت» (قربان يقدمه الملك) لوالده «آمون رع» سيد عروش الأرضين، الذي يعمل له (أي رعمسيس الرابع) هدية الحياة.»

وشعيرة تقديم القربان الملكية كانت تؤدى في المعابد أو في المقابر على السواء، ويلاحظ هنا أن الديانة المصرية كانت ذات صبغة نفعية محضة، ففي المعابد كان تقديم الملك القربان للإله لأجل أن يمنحه الحياة الإلهية.

(٣) موائد القربان: يشاهد في المنظر أربع موائد قربان كدست عليها القربات من كل نوع بدقة وافتنان.

(٥) المتن الكبير: نقش هذا المتن بين صورة «آمون رع» والملك فوق المائدة، ويتألف من عشرة أسطر مقسمة قسمين: الأول يشمل صيغة تقديم القربان، والثاني أنشودة.

وهاك القسم الأول: «قربان يقدمه الملك للإله «جب» وللتاسوع الأعظم، والتاسوع الأصغر، ولجماعة آلهة الوجه القبلي، وجماعة آلهة الوجه البحري (راجع J. E. A. 30, p. 28) ولكل الآلهة الآخرين مقدم من ابنك الذي تحبه سيد الأرضين «حقا ماعت رع ستبن آمون». (٣) سيد التيجان «رعمسيس ماعتي مري آمون» وهي: ألف من الخبز، وألف من أباريق الجعة، وألف من الثيران، وألف من الدواجن، وألف من أواني المرمر، وألف من الملابس، وألف من أواني الزيت، وألف من طاقات الأزهار، وألف من المأكولات، وألف من كل شيء جميل نقي. (٥) وألف من كل شيء جميل حلو، ويعني بذلك ما تجود به السماء لك وما تنتجه الأرض لك، وما يحمله النيل لك، من كهفه (الذي يخرج منه). ليت اليد المعطية والنيل المطهر ورب الأرضين «حقا ماعت رع ستبن آمون» رب التيجان «رعمسيس ماعتي مري آمون» يقدم قربانًا لوالده «آمون رع» سيد عروش الأرضين.» ويأتي بعد ذلك الأنشودة وهي:

إني أعرف «الآلهة» الذين في السماء

إني أعرف «الآلهة» الذين في الأرض

إني أعرف «الآلهة» الذين يحيطون «بحور»

إني أعرف «الآلهة» الذين يحيطون بالإله «ست»

وإني أسر «حور» «بإعادة» عينه له

وإني أفرح «ست» «بإعادة» خصيتيه له

وإني «تحوت» الذي يبهج الآلهة

والذي يضع الأشياء في مكانها.

ويلاحظ في هذا المتن أن معرفة الآلهة تلعب دورًا هامًّا؛ ولذلك نجد في كتاب الموتى عدة فصول تحتم على المتوفى معرفة الآلهة (راجع Naville, Das Aegyptische Todtenbuch. Chapitre, 108, 109, 111–116).

وهذا أنفس ما نجده في متون التوابيت (راجع De Buck. The Egyptian Coffin Texts. Vol. II spells, 154 to 160 p. 266–388).

وهذه المعرفة التي ترتكز على قوة السحر، التي تنتج من معرفة الاسم الإلهي كانت معروفة في متون الأهرام (راجع Pyr. I, 327, 332, 449, 815; II, 910, 1434).

أما عبارة «إني «تحوت» الذي يبهج الآلهة.» فهي صفة من صفات هذا الإله علقت به في الأزمان المتأخرة من تاريخ مصر فيقال عنه: إنه «تحوت» الذي يفصل الأرضين ويبهج الآلهة. وصفته الأخيرة كما قلنا حديثة العهد به، إذ لا نجده في متون الدولة القديمة يكلف بتقديم القربان في المحاريب والمقاصير. وكان أول ظهوره بوصفه موزع القربات المادية للآلهة والناس في عهد الأسرة الثامنة عشرة. ولدينا متن يعبر لنا عن وظيفته هذه من هذا العهد (راجع Mariette, Abydos. I Pl. 37).

إني «تحوت» وإني آمرك بعين «حور»
وإني أحمل لك كل ضروري وما يوجد في السماء وفي الأرض
وكل شيء ضروري لك ضروري للإله «حور»
وكل شيء ضروري لك ضروري للإله «ست»
وأمك تسر «حور» بعينه
وأمك تسر «ست» بخصيتيه.

وهذا المتن يشير بطبيعة الحال إلى الشجار الذي نشب بين «حور» و«ست»، فقد انتزع «ست» من «حور» عينه وفي مقابل ذلك نزع «حور» خصيتي «ست»، وقد كان «تحوت» هو الذي أصلح بين الخصمين وردَّ إلى كل منهما ما انتُزِعَ منه.

(٥) النقوش العمودية التي خلف الفرعون: وهذا المتن متصل بالمنظر مباشرة، غير أنه يصف معرفة كيفية هذا الاتصال، والظاهر أنه خاص بوعد إلهي، ولكن الإله في هذه الحالة ليس معروفًا: «إنك تبقى مثل السماء والقرص الذي فيه رب الأرضين «حقا ماعت رع ستبن آمون» سيد التيجان «رعمسيس ماعتي مري آمون» الذي يحبه «خنسو نفر حتب».»

النقوش التي على الجزء الأسفل من الجدران: يوجد نقش حول الجدران في الصف الأسفل من هذا الجزء من المعبد وهو خاص بمذبح الفرعون: «يعيش ملك مصر الابن الطيب سيد الأرضين «حقا ماعت رع ستبن آمون» بن «رع»، وهو الذي مكن أسسه سيد التيجان «رعمسيس ماعتي مري آمون» الذي يحبه «خنسو نفرحتب».»

الخلاصة

لقد جرت العادة أن ينظر إلى أنواع الفن المختلفة في العهد الأخير من عصر الرعامسة بعين الاحتقار، ولكن هذه النقوش التي تحدثنا عنها في معبد «خنسو» تبرهن على العكس من ذلك، وتظهر لنا أنه كان لا يزال في هذه الفترة من التاريخ المصري مفتنون لا تنقص مواهبهم عن مواهب من سبقهم في شيء. ففي المنظر الذي نحن بصدده نجد أن رءوس «آمون رع» و«موت» وموائد القربان والملك والإلهة الممثلة في صورة رخمة، جميعها تلفت النظر بجمال فنها من كل الوجوه لدرجة أنه لولا أن النقوش غائرة وأن طغراءَي «رعمسيس الرابع» قد دُوِّنت فيها لقلنا: إن هذه الصورة من عمل «سيتي الأول»، أو إنها تعد من بين هذه المناظر الجميلة التي أخرجت في عهد «رعمسيس الثاني».

وهذه الصورة قد ألفت بلا نزاع في عهد «رعمسيس الرابع»، ومع ذلك فإن لدينا مسألة لا تزال معقدة، وهي: لمن تنسب بقايا الرسوم التي لا تزال ترى على كل هذه اللوحة مما يدل على أنها الأصل، ثم جاء «رعمسيس الرابع» ورسم فوقها؟ والواقع أننا نميز فيها ملكًا متوَّجا بتاج «خبرش»[٣٦] ويده ممدودة نحو الآلهة الجالسين. فيلاحظ أن لون الملك ظاهر على موائد القربان ورأسه في المتن الذي فوقها. وأذرع الآلهة موجودة أمام وجهي «آمون رع» و«خنسو»، وأخيرًا يظهر إفريز للزينة في ارتفاع ساقي «رعمسيس الرابع»، ومن كل ذلك يمكن أن نعرف أن هذا النقش كان قبل نقش «رعمسيس الرابع».

هذا ويلاحظ أن أهمية هذا المنظر لم تكن أثرية وحسب، بل كذلك لها قيمة دينية وبخاصة شعيرة تقديم القربان الملكية في الديانة المصرية في العصور المختلفة.

(٣-٣) الكرنك

وقد نقش «رعمسيس الرابع» بعض مناظر طريفة على عمد قاعة العمد الكبيرة في معبد الكرنك، وكلها مناظر دينية يقدم فيها القربان للآلهة العظام، وبخاصة الإله الأعظم «آمون رع» ملك الآلهة، فنشاهده في منظر يقدم «ماعت» (العدالة) للإله «آمون رع» ملك الآلهة، وخلفه الإلهة «آمونت» زوج «آمون» ساكنة الكرنك، والإله «مين» والإلهة «إزيس».

وفي منظر ثانٍ يقدم الفرعون «لآمون» صورة «مين» العطور، وخلف هذا الإله الإلهة «موت» ثم الإله «خنسو». وفي منظر ثالث يُرى الفرعون وهو يتسلم من الإله «بتاح» رمز الأعياد الثلاثينية، وقد وقفت خلفه الإلهة «سخمت» زوجه، كما وقفت خلف الملك الإلهة «إزيس». وفي منظر رابع يرى الفرعون متعبدًا للإله «مين» الذي يقدم له كذلك رمزًا لأعياد ثلاثينية، وأخيرًا نجد الفرعون يقدم للإله «آمون» ممثلًا في صورة كبش الأزهار، ويقدم الإله بدوره الملك

السرمدي، وقد ظهر خلف «آمون» الإلهة «واست» ربة «طيبة»، وقد منحته ملك الأراضي كلها (راجع Porter & Moss. II, p. 18, 19).

وفي الكرنك كذلك عُثر له على الجزء الأعلى من تمثال من الحجر الرملي طوله ٧٥ سنتيمترًا، وقد مثل الملك جالسًا يلبس الكوفية المزوقة بخطوط زرقاء وصفراء، وبيده اليمنى علامة «حقا»، وشفتاه قد لونتا بالأحمر. وقد عثر عليه بين البوابة الرابعة ومسلة «تحتمس الأول».[٣٧]

ووُجد لهذا الفرعون تمثال من الخزف ارتفاعه ستة وأربعون سنتيمترًا في خبيئة الكرنك «سنة ١٩٠٤»، وقد مثل ماشيًا، وقد وجد مهشمًا ثلاث قطع ونقش عليه اسمه وألقابه.[٣٨]

وكتب اسمه فوق اسم «رعمسيس الثاني».[٣٩]

وفي «الرمسيوم» كتب هذا الفرعون اسمه على عمود في القاعة الثانية من هذا المعبد.[٤٠]

وتوجد له صور نقلها «لبسيوس».[٤١]

وكتب اسمه على قطعة آنية من المرمر.[٤٢]

وقد أضاف «رعمسيس الرابع» جزءًا في المعبد الذي أقامه «رعمسيس الثالث» للإله «أنحور» في «العرابة المدفونة».[٤٣]

كما أضاف بعض المباني في معبد الأقصر.[٤٤]

مدينة هابو: نقش «رعمسيس الرابع» لقبه الملكي فوق لقب والده على واجهة البوابة الكبيرة تحت القائمة الجغرافية بأسماء البلدان، التي يزعم أنه قهرها.[٤٥]

وفي قاعة الأعياد في حجرة القربان وضع «رعمسيس الرابع» نفسه مكان «تحتمس الثالث» صاحب المعبد.

العرابة: وجد «لرعمسيس الرابع» جذع تمثال له في «العرابة»، وقد تركه «مريت» في مكانه.[٤٦]

وكذلك عثر على جزء من تمثال راكع لنفس الملك مع مائدة قربان، وهو محفوظ «بمتحف فلادلفيا» من أعمال «بنسلفانيا».[٤٧]

ووُجد له كذلك تمثال مجيب، وللأميرة «مريت آمون» في الرمل الذي داخل الجدار الجنوبي «لشونة الزبيب».[٤٨]

قفط: عثر لهذا الفرعون على جزء من لوحة مؤرخة بالسنة الثالثة من حكمه، وهي محفوظة الآن بالمتحف المصري. والجزء الأعلى الذي كان فيه منظر تعبد قد هشم، وهاك النص الباقي:

> السنة الثالثة، الشهر الثالث من فصل الصيف، في عهد جلالة «حور» الثور القوي، العائش من العدالة، رب الأعياد الثلاثينية مثل والده «بتاح تاتنن» المنسوب للإلهتين، حامي مصر، وغال الأقواس التسعة «حور» الذهبي، الكثير السنين، العظيم الانتصارات، الملك الذي أوجدته الآلهة، ومن يجعل الأرضين تعيشان، ملك الوجه القبلي والوجه البحري، رب الأرضين «حقا ماعت رع» بن رع، محبوب الآلهة، ورب التيجان «رعمسيس»، ومحبوب «مين» صاحب الريشتين المرفوعتين، و«أوزير» رب الأبدية، «وحور» بن «إزيس»، و«إزيس» الأم العظيمة الإلهية، والإله الطيب العائش، صاحب الخطط النافذة، رب النور الذي فيه حتى عنان السماء، وإنه يشرق في المحراب كما يشرق في الأفق مضيئًا الأرضين بجماله، ووالدته «إزيس» ثابتة فوقه، حامية له، سيد ما على … والخوف منه في قلوب الناس بوساطتها، وكل إنسان يتجه نحو إشراقه، والقلوب تنشرح عند ظهوره مثل النيل …

وليس في هذه اللوحة ما يلفت النظر إلا بعض أساليب في وصف الملك طريفة في بابها (راجع Rec. Trav. XI. P. 91-92).

الجيزة: قطعة من عمود أسطواني وجدت بجوار الهرم الأكبر كتب عليها: «ملك الوجه القبلي والوجه البحري، رب الأرضين، وسيد القوة، ورب القربان «وسر رع ستبن آمون» معطي الحياة.» (راجع A. Z. XIX, p. 116.).

طره: نقش اسم «رعمسيس الرابع» على محاجر طره (راجع Wiedeman Geschichte p. 512).

منف: كتب هذا الفرعون اسمه مكان اسم والده الفرعون «رعمسيس الثالث»، بعد أن محاه على قطعة من الحجر في معبد الإله «بتاح» بمنف، وقد كتب في الأصل على هذه القطعة «رعمسيس الثالث» محبوب الإله «بتاح» جميل الوجه (راجع Brugsch, Recueil I. Pl. IV Nr. 2).

هليوبوليس: يوجد بالمتحف المصري الجزء الأسفل من مسلة من الحجر الرملي عثر عليها عام ١٨٨٧، وكشف عنها في أسس أحد منازل القاهرة. وهذا الأثر مهم من حيث إن «رعمسيس الرابع» قد ذكر عليه بعد اسمه ثمانية آلهة من آلهة طيبة، وقد نقش على كل من أوجه المسلة الأربعة سطران، والآلهة الذين ذكروا هم: «آتوم» والإلهة «إيوس عاس» و«حوراختي» والإلهة «حتبت» (حتحور) والإلهة «تفنوت». وعلى الوجه الرابع من المسلة ذكر الإهداء التالي: «لقد عملها أثر والدة «رع» مقيمًا له مسلة عظيمة اسمها «رعمسيس» طفل الإله.» (راجع A. S. IV p. 105). ويلاحظ فيما جاء من نقوش على هذه المسلة أنه قد أُتِيَ بها من «منف» أو «هليوبوليس»، والأرجح أنه جيء بها من الأخيرة، هذا ولا يفوتنا أن نذكر هنا أن «رعمسيس الرابع» قد وصف هذه المسلة بأنها عظيمة على الرغم من أنها صغيرة الحجم إذا ما قيست

بمسلات عهد الأسرة الثامنة عشرة أو التاسعة عشرة، مما يدل على مقدار فقر البلاد في تلك الفترة (راجع Maspero, Guide (1914) p. 156).

طود: وفي طود أصلح ما تهدم من معبد الإله «منتو» (راجع Chronique D’Egypte, Vol. 50, Juillet, 1950, p. 245.).

تل اليهودية: ووجد اسمه على قطعة حجر في تل اليهودية.

(راجع Ashmulian Mus. Nr. 43.)

(٤) الأوراق البردية من عصر «رعمسيس الرابع»

(٤-١) ورقة مالت[٤٩]

هذه البردية تحتوي على ثلاث ورقات اشتراها البارون «مالت» من مزاد عمل لبيع آثار «أنسطاسي» عام ١٨٥٧، وقد ترجمها «مسبرو» وهاك ترجمتها:

الورقة الأولى

مذكرة عن تقرير النائب «نخت آمون»؛ ليخبر الحكام بالأمتعة التي حصلت عليها منذ السنة الحادية والثلاثين حتى السنة الثالثة، أي منذ أربعة أعوام، من يد التابع «تحتمس» بمعبد الإله «خنسو»:

(١) أربعة جلود ممتازة، وقيمتها ثمانية دبنات من النحاس (أي ٧٢٨ جرام أي إن الدبن = ٩١ جرامًا).

(٢) جلد مبطن بجلد جميل وقيمته خمسة دبنات من النحاس.

(٣) عصًا من خشب شجر «عونت» مطعمة بخشب «عقو»، وقيمتها أربعة دبنات من النحاس.

(٤) عصًا من خشب «عونت» قيمتها دبن واحد من النحاس.

(٥) قميص ملون قيمته دبن واحد من النحاس.

(٦) رداء ملون قيمته دبن واحد من النحاس.

(٧) فأس قيمتها دبنان من النحاس.

(٨) قمح: حقيبتان ونصف حقيبة.

(٩) دقيق: حقيبة واحدة.

(١٠) رداء ملون من يد التابع «ثاري».

(١١) رداء ملون من نسيج «سماو»: واحد.

السنة الرابعة قميص ملون واحد.

نحاس: ثلاثة دبنات.

وهذا على حسب ما قد قيل لي: «ينبغي أن يعطونيه، ولكن لم أعطَ خبزًا قط للمعبد الذي أنا فيه، ولم أعطَ أية ثيران (؟) ولم أعطَ أوزًّا.»

الورقة الثانية

يقول المشرف على الثيران «باكنخنسو» التابع لمعبد «آمون رع» ملك الآلهة لرجل الشرطة (مازوي): «مانخت ست»، ولرجل الشرطة «نخت ست»، وللمفتش «باوتخ» التابع لمقصورة الملك «وسر رع خع ستبن رع مري آمون» له الحياة والفلاح والصحة، وللمفتش «با إوو» وللمفتش «وسخت»، وكذلك لكل حراس مائدة معبد «آمون» الذين في إقليم «خر» ما يأتي: عندما يصل إليكم «نخت-آمون» النائب، عليكم أن تخرجوا معه، وتقوموا بعمل طراد لي في المستنقعات

التي يقودكم إليها، وما ستصطادونه كلوا منه، ولا تأتوا لتقدموا لي حسابًا (عما تأكلونه) وإذا جاء «آمون رع» ملك الآلهة أو الفرعون (له الحياة والفلاح والصحة) ابنه، أو إذا ذهبت لترى من سيأتي للقيام بالطراد لي، فلا تذهب لتقعد بلا عمل؛ لأن كل واحد منكم هو خادمي، وسأذهب إليكم لأوقع العقاب على المتقاعد منكم، وسأعاقبه. (؟) تأمل هذا بوصفك مرسلًا لتقوم بهمة، واحفظ خطابي فإنه سيكون لنا حجة في يوم آخر.

الورقة الثالثة

المشرف على الماشية «باكنخنسو»، والمشرف على مائدة «آمون رع» ملك الآلهة يقدم واجباته لكاتب المائدة «إري عا» التابع لمخزن الضرائب، راجيًا له الحياة والصحة والقوة، ورضا «آمون رع» ملك الآلهة: إني أتضرع إلى «برع-حوراختي» عند شروقه وعند غروبه لتكون في صحة جيدة، ولتبقى حيًّا، ولتتصابى كل يوم. رسالة: عندما حضر أمين الخزانة «خعمتيرا» عندي في قرية «خر» تسلمت خطابًا، وقيل لي فيه: جهز ألف القطعة من الخشب، وعشرة الآلاف حقيبة من الفحم كما اتفق عليه بيننا، واعمل على أن يكون الخشب في أمان؛ لأن ذلك يعادل ما عليَّ من ضريبة سنوية، وتأمل، فإن المشرف على خزانة الفرعون له الحياة والفلاح والصحة قد أتى وأحضر إليَّ أمرًا خاصًّا بألف القطعة من الخشب، وعشرة الآلاف مدٍّ من الفحم. وقد أمرت زيادة على ذلك بقطع ألف القطعة من الخشب، وعشرة الآلاف مدٍّ من الفحم، وقد وضعتها على مرسى قرية «خر»، وكذلك أمرت بقطع سبعمائة قطعة خشب أخرى، وعشرة آلاف مدٍّ من الفحم، ووضعتها على مرسى «برمنتو»، وعندما أقابلك سأسمع ما ستقول، وإذا … (بقية الخطاب مهشمة ولا يمكن أن يفهم شيء منها).

هذه الرسائل الثلاث تكشف لنا عن صفحة من المراسلات الإدارية في العهد الفرعوني خلال الأسرة العشرين. والخطابات كتبها الكاتب «باكنخنسو». وتدل شواهد الأحوال على أنها كتبت في

زمن واحد. ولذلك وجدت في ملف واحد وهي من عهد الفرعون «رعمسيس الرابع».

والخطاب الأول مذكرة عن أشياء اقتبست من تقرير النائب «نخت آمون». وكثيرًا ما نعثر على أمثال هذه المذكرات فيما بقي لدينا من الأوراق البردية التي عثر عليها في مصر القديمة. والمقصود هنا عدة أشياء حصل عليها النائب من يد التابع «تحتمس»، ومن شخص آخر يدعى «ثاروي». وهذه المواد مختلفة أنواعها، فالمادتان الأوليان من الجلد الجميل، وقد قدر ثمن كل قطعة منهما بما يعادل دبنين من النحاس، والثانية من الجلد المبطن الذي كان يستعمل للدروع، وثمن القطعة خمسة دبنات من النحاس، أي ما يوازي حوالي ٤٥٥ جرامًا من النحاس.

ثم تأتي بعد ذلك مواد من الخشب يحتمل أنه السرو، وقد صنعت منه عصًا مطعمة بنوع آخر من الخشب لم يعرف كنهه بعد، وعمل من النوع الثاني هراوة. وثمن الأولى أربعة دبنات (٣٦٤ جرامًا) من النحاس، وثمن الثانية دبن واحد (٩١ جرامًا) من النحاس.

أما بقية المواد فهي من النسيج الملون الذي يستعمل في صنع الملابس. وبعد ذلك ذُكرت حقيبتان من القمح، وحقيبة من الدقيق، ولم يأتِ ثمنها في المتن.

ثم ذُكرت فأس قُدِّر ثمنها بدبنين (١٨٢ جرامًا) من النحاس. وأخيرًا جاء في هذه القائمة ثلاثة دبنات من النحاس.

وقد ختم النائب «نخت آمون» خطابه — كما هو المعتاد في كثير من برديات هذا العهد — بالشكوى من عدم إعطائه المواد التي جاءت في هذا الخطاب — على الرغم من الأوامر المشددة التي تصدرها المراجع العليا — وهي: الخبز، والأوز، والثيران.

ويلاحظ أن ما حفظ لنا في ورقة «مالت» يدل على أن الإدارة في مصر في العهد الإغريقي، من حيث عدم الدقة — وفي كل شيء آخر — كانت كالتقاليد الفرعونية القديمة.

أما الرسالة الثانية فيظهر مما جاء فيها أن الموظف «باكنخنسو» كان يصدر الأوامر لكثير من مرءوسيه لتسخيرهم في أعمال خاصة، فنجده هنا يسخرهم للقيام بالصيد كما يشاهد ذلك في المناظر التي صُوِّرت على جدران المقابر. وكان على هؤلاء المسخرين أن يصطادوا في الأدغال تحت مراقبة «نخت آمون» الذي ندب لهذا الغرض.

ويظهر أن هذا الطراد كان يتم دفعة واحدة، دون أن يشتغل القائمون به في أي عمل آخر مهما كان السبب الداعي إليه حتى ولو كان ذلك للحضور لتقديم تقرير، أو للحضور المفاجئ للفرعون الذي كان يسكن على مقربة منه، أو بسبب وصول شخصية ما لم تذكر، ويحتمل أن يكون الشرطي «ماسوتخ» وهو الذي ذُكر أولًا في المقدمة، أو «نخت آمون» هو الذي سيأتي ليحقق حضور كل فرد من الأفراد الذين كلفوا بهذا الطراد.

ولتلافي كل تأخير كان على الصيادين أن يتناولوا طعامهم مما يصطادونه في نفس المكان، الذي كانوا يقومون فيه بالطراد. ولا نعلم إذا كان هذا الطراد بدون مقابل، أو كان الصيادون يتقاضون مكافأة عليه. والواقع أننا نشاهد — في المناظر التي نجدها مصورة على جدران المقابر للصيد بالشباك — الرجال الذين كانوا يجذبون الشبكة وأحدهم يقول لزميله: أحضر ما فيها ليكون لك منها أوزة.[٥٠]

وهذا ما يعضد النظرية الثانية، أي إنهم كانوا يأخذون من صيدهم نصيبًا.

أما المتن الذي كتب على الورقة الثالثة فهو أطولها وأكثرها تمزيقًا. وفي هذه الرسالة لا يخاطب الكاتب «باكنخنسو» مرءوسيه بل يخاطب أحد الرؤساء أو مواطنًا مساويًا له، ويظهر ذلك من لهجة رسالته، فبعد التحيات العادية يقص للمرسل إليه تنفيذ أمر وصل إليه بوساطة كاتب يدعى «خعمتيرا»، غير أن المعنى المقصود لم يمكن فهمه؛ وذلك لأن التمزيق الذي حدث في الورقة جعل المعنى مغلقًا، ولغرابة الموضوع الذي تبحثه الوثيقة.

وتدل شواهد الأحوال على أن الكاتب «إري عا» قد أرسل إلى الكاتب «باكنخنسو» أمرًا أو رجاء؛ ليحضر له ألف قطعة من الخشب، فيقول المتن: وهذه «ألف القطعة من الخشب» مما يدل على أن الموضوع كان معلومًا من قبل في خطاب آخر سابق لذلك، وكذلك عشرة آلاف قطعة من الخشب، وكان لزامًا عليه أن يضع هذه الكميات في مكان أمين؛ لأنها تعادل قيمة الضريبة التي كان يجب أن يدفعها «إري عا» للخزانة. وقد كان جواب «باكنخنسو» على هذا الطلب أنه قد حضر موظف من الخزانة فسلم إليه الخشب. وعلى ذلك فإن «باكنخنسو» أمر بقطع كمية أخرى من الخشب، ووضعها على مرسى محطين مختلفين، وهي ألف وعشرة آلاف قطعة من الخشب من بلدة «خر»، وخمسمائة قطعة من الخشب، وعشرة آلاف حقيبة من الفحم، وكلها كانت مهيأة للشحن في السفن (وبقية الرسالة مهشمة يصعب ترجمتها).

والواقع أن هذه أول مرة نصادف فيها في المخاطبات ذكر كميات عظيمة من الخشب مثل هذه. ونحن نعلم من جانبنا أن مصر ليست بأرض غابات وأشجار عالية، والظاهر إذن أن المقصود هنا هو شجر صغير الحجم كانت تؤخذ سيقانه وتربط حزمًا ثم تعد، كما كان يؤخذ بعضها، ويعمل منه الفحم المعروف لدينا بالفحم البلدي.

ويجد الباحث في هذه الرسائل الحكومية كيفية جمع الضرائب، إذ نفهم من محتوياتها أنها كانت تُجبى من الفلاحين المزارعين، وكذلك من الصناع كل على حسب ما خصص به.

وهذه الأشياء كانت تقدر قيمتها نقدًا أحيانًا مثل العصي والجلود، أو عينًا كالقمح والدقيق والخشب والفحم، أو نقدًا بالدبن. يضاف إلى ذلك أن نظام الضياع كان لا يزال موجودًا، وأن السخرة كانت شائعة؛ إذ كان على عمال الضياع — على ما يظهر — أن يقوموا بالصيد لصاحب الضيعة دفعة واحدة إلى أن ينتهي، حتى إنهم كانوا يتناولون طعامهم في المكان الذي ذهب ليصطاد فيه.

(٤-٢) بردية وإستراكون خاصتان بالوحي[٥١] من عهد «رعمسيس الرابع»

بردية المتحف المصري رقم ١٠٣٣٥[٥٢]

هذه الوثيقة — على وجه عام — محفوظة حفظًا لا بأس به، وقد أُرخت بالسنة الثانية من حكم ملك لم يسم باسمه، وعلى ظهرها (السطر الثامن) طغراءات الفرعونين: «رعمسيس الثالث» و«ستنخت». وهذا يحدد لنا — تقريبًا — زمن كتابتها.

ويقول «بلكمان»: يظهر أن الورقة كتبت في عهد «رعمسيس الرابع» نظرًا لأسباب خطية. وعلى الرغم من أنها لم تكتب بنفس اليد التي كتبت بها ورقة «مالت Mallet»، فإن بين الوثيقتين تشابهًا. وأول من نشر هذه الوثيقة هو الأستاذ «بليت»،[٥٣] ثم تلاه الأستاذ «بلكلمان»،[٥٤] وهاك الترجمة:

«السنة الثانية، الشهر الثالث من فصل الزرع، اليوم الأول من الشهر، لقد لجأ الخادم «أمنمويا» إلى «آمون» صاحب «بخنتي»[٥٥] في أثناء عيده الجميل، وهو عيد الحريم (أي الأقصر) قائلًا: ساعدني يا «آمون بخنتي» يا سيدي الطيب المحبوب! لقد جعلني المشرف على ماشية «آمون» آوي هنا في «بخنتي» المواطنين، بوصفي حارس مخزنه، وجامع ضرائبه (من أراضي المعبد). وقد حضر إليَّ أناس وقت الظهيرة وسرقوا مني خمسة قمصان من النسيج الملوَّن، فيا سيدي الطيب المحبوب هل لك أن تعيد إليَّ ما سرقوه؟ فهز الإله رأسه بعنف.»

(٤) وكرر له الخادم «أمنمويا» أسماء أشخاص البلد، فهز الإله رأسه عند ذكر اسم المزارع «باثاو مديأمون» قائلًا: «إنه هو الذي سرقها.» وقال المزارع «باثاو مديأمون» في حضرة الإله: «إنه كذب، فإني لست أنا الذي سرقها.» وعند ذلك غضب الإله جدًّا.

(٦) وذهب مرة ثانية المزارع «باثاو مديأمون» أمام «آمون» صاحب «تاشنيت» (حي في طيبة أيضًا) قائلًا: «إني الآن قريب من إلهي في حين أني كنت قد ذهبت لآخر، ولقد أخذ خمسة … إلى محكمته.» وقد هز الإله رأسه نحوه بهذه الحالة قائلًا: «إنه هو الذي أخذها.» فقال المزارع «باثاو

مديأمون»: «إنه كذب.» فأجاب الإله قائلًا: «خذوه أمام «آمون» صاحب «بوقنن» (حي في طيبة أيضًا) أمام شهود عديدين.»

قائمة بالشهود: ممثل المشرف على ماشية معبد الملك «وسر ماعت رع مري آمون» في بيت «آمون» «بايئري»، رئيس صناع المعبد «نينفر» تابع المعبد «أمنخعو».

ظهر الورقة: ووقف مع ذلك مرة أخرى أمام «آمون» «بخنتي» في عيده الجميل في شهر كيهك (وهذا العيد كان يعقد في اليوم الأول من الشهر الثاني من الفصل الثاني، وهو عيد خاص بالملكية، وكان يعتبر بمثابة التاريخ الذي تولى فيه «حور» عرش الملك، وعلى ذلك أصبح يعد التاريخ التقليدي الذي يعتلي فيه كل ملك مصري عرش الملك)[٥٦] للمرة الثالثة ... وصاح قائلًا: «ساعدني يا «آمون-بخنتي»، يا سيدي الطيب المحبوب! هل أنا الذي أخذت الملابس؟» فهز الإله رأسه بعنف قائلًا: «إنه هو الذي أخذها.» فأخذه وأوقع عليه عقابًا في حضرة أهل البلد. وأقسم يمينًا في حضرة الإله قائلًا: إني أنا الذي أخذتها في حضرة أهل بـ ... وأهل «برحر» (؟) والضباط الثلاثة التابعين للحي؟ ومزارع معبد «بتاح» «بمريحو». وشهد الإله لأهل المدن هؤلاء قائلًا: تأملوا إن الرجل يعترف بملابس الفرعون قائلًا: «إنها عندي وسأعيدها.» والآن لقد كان مفتش بيت محفة الملك «وسر خع رع ستبن رع» المسمى «بنحرور» هو الذي جلده مائة جلدة بجريدة النخل، وجعله يحلف يمينًا قائلًا: «إذا رجعت ثانية فيما قلت فَلْأُلْقَ للتمساح.»

وقد كان أصحابه وهم الذين كانت لهم علاقة باعترافه هم الذين جروه أمام الإله وكانوا معه شهادًا عند الاعتراف.

وقد جعل الإله الخادم «أمنمويا» يحلف يمينًا قائلًا: «إن الأشياء المسروقة لم تسترد منه.»

تعليق: وهذه الوثيقة لها أهمية كبرى من الوجهتين: الدينية والقضائية. فأول ما يلفت النظر فيها تسمية ثلاثة آلهة مختلفين باسم واحد هو «آمون»، وقد لجأ المجني عليه إليهم جميعًا للكشف عن

السارق، وهم: «آمون بخنتي» و«آمون تاشنيت» و«آمون بوقنن»، وكل منهم — كما ذكرنا آنفًا — كان ينتمي إلى حي من أحياء مدينة «طيبة». وقد رأينا من وثائق أخرى أنه كان من المعتاد في العهد الأخير من عصر الإمبراطورية الالتجاء إلى تماثيل العبادة للحصول على أحكام في كل أنواع الشئون القضائية وغيرها.[٥٧]

وهذه الوثيقة تحدثنا أن تمثال «آمون بخنتي» كان قد جيء به لاحتفال، وكان بطبيعة الحال محمولًا على أكتاف الكهنة بعض اليوم خلال عيد الحرم (عيد الأقصر) ومن المحتمل أنه في ذلك اليوم — وهو اليوم الذي يذهب فيه «آمون الكرنك» في موكب إلى الأقصر — كان كل الآلهة المحليين «لآمون» يؤخذون كذلك إلى الأقصر، أو كانوا يشتركون بطريقة ما في هذا الاحتفال، أو يحتمل أن كل «آمون» كان له يوم حفل خاص خلال انعقاد هذا العيد.

والواقع أن لدينا في مصر الحديثة ما يشبه هذا الاحتفال، فنجد مثلًا عند الاحتفال بالمولد الكبير «للسيد البدوي» أن كثيرًا من وفود أتباع الأولياء القاطنين في البلدان والقرى يذهبون إليه، وكل وفد منهم يحمل غطاء ضريح لشيخ بلدته وقلنسوته علامة على حضور صاحبهما، ثم يطاف بهما حول القرية أو المدينة التي بها الاحتفال إلى أن يصل إلى مكان الاحتفال بولي البلدة نفسها.

وعلى أية حال فإنه خلال حمل كهنة الإله لتمثاله في حالتنا هذه تقدَّم له شخص يدعى «أمنمويا» طالبًا محادثته في معضلة اعترضته. وذلك أن «أمنمويا» هذا كان حارسًا لمخزن الملك لمعبد «آمون» صاحب «بخنتي» بطبيعة الحال، وقد كان يقض مضجعه أن خمسة القمصان من النسيج الملون، التي كانت في حيازته قد سرقت منه فهل للإله أن يرد له البضاعة المسروقة؟ فأجاب الإله بهز رأسه علامة على قبول ملتمسه (ويلاحظ هنا أننا نجد في مصر بقايا هذه العادة حتى الآن، وذلك أنه عندما يسرق شيء من فرد ما يذهب المسروق منه إلى ضريح أحد المشايخ، أو إلى الولي الذي يوجد في القرية ويزوره، ثم يقدم إليه شكواه ويطلب إليه إعادة ما سرق منه قائلًا له

وهو على أهبة مغادرة ضريحه: «هز المقام يا شيخ فلان.» وهذا هو نفس ما كان يتطلبه المصري القديم من تمثال الإله بأن يهز رأسه بالقبول).

وبعد ذلك أخذ «أمنمويا» في سرد قائمة بأسماء الناس كلهم الذين يسكنون بلدته، وعند ذكر اسم المزارع «باثاو مديأمون» هز الإله رأسه ثم مُثِّل كأنه يقول: إنه هو الذي سرقها (الملابس) فأسرع «باثاو مديأمون» بإنكار هذه التهمة. ومن ثم نعلم أن الإله كان في شدة الغضب لهذا الإنكار.

ولكن «باثاو مديأمون» لم يكتفِ بذلك، بل لجأ إلى إله آخر محلي يدعى «آمون تاشنيت»، وهذا الإله الأخير — على ما يظهر — كان إله الحي الذي يسكنه «باثاو مديأمون»؛ لأن المتهم يقول: «إني الآن قريب من إلهي» في حين أن لفظة «الآخر» في المتن يظهر أنها تشير إلى «آمون بخنتي»، وهنا تعترضنا جملة فيها خمسة ألفاظ لا نفهم معناها.

وعلى الرغم من أن المتهم قد سعى إلى استمالة إلهه المحلي، فإنه قد حكم عليه ولكنه لما استمر في عناده وإنكاره ارتكاب الجريمة أمر الإله بأن يؤخذ إلى «آمون بوقنن» في حضرة شهود عديدين، ولا نعلم ما حدث في هذا التحقيق.

ويبتدئ المتن الذي على ظهر الورقة مبينًا أن «باثاو مديأمون» قد أتى به مرة أخرى أمام «آمون بخنتي» للمرة الثالثة. ولكن الوثيقة لم تذكر لنا حضوره أمام هذا الإله مرتين؛ مما يدل على أن الوثيقة لا تشمل إلا مقتطفات من وثيقة أخرى رسمية، ومن أجل ذلك تركنا في ظلام دامس بالنسبة لما حدث في المقابلة الثانية بين «باثاو مديأمون» و«آمون بخنتي»، ولكن قد حدثت بداهة أمور أثرت على حالة الرجل العقلية، وذلك أنه في مقابلته الثالثة سأل السؤال التالي: «هل أنا الذي أخذت الملابس؟» وقد أجاب الإله على ذلك بالإثبات، وذلك بهز رأسه بعنف قائلًا: «إنه هو الذي أخذها.» وفضلًا عن الإدلاء بهذا الجواب فإن الإله أمر بتوقيع العقاب عليه في حضرة أهل البلد. وهذا لا بد يعني أن أحد كهنة «آمون بخنتي» — عملًا بالتعليمات الإلهية — ضرب الرجل، مما

جعله ينزل عن عناده ويعترف بأنه سرق الملابس. وهذا التأكيد من جانب الإله للمرة الثالثة بأن «باثاو مديأمون» كان مجرمًا قد أقنع بطبيعة الحال أصحاب المتهم ومعضديه؛ لأنهم هم الذين «جذبوه» أمام الإله.

ولا نزاع في أنهم قد طرحوه أرضًا، عندما كان ينفذ فيه عقاب الإله الذي جعله يعترف بالجريمة. ويستمر البيان السابق قائلًا: «وكانوا معه بمثابة شهود عند الاعتراف بالجريمة.» ولا بد أن اشتراك أصحابه أنفسهم في توقيع العقاب عليه كان ذا أثر عظيم على «باثاو مديأمون»، وربما كان ذلك هو المحرض الأخير له على اعترافه بالسرقة. وبعد أن فرغ من عقاب المجرم ذكر الإله للقوم الحاضرين أن «باثاو مديأمون» قد اعترف بجريمته، وأنه وعد بإعادة البضاعة المسروقة التي عبر عنها بأنها ملابس الفرعون (أي من مال الفرعون وهو الضريبة التي كانت تحصل).

غير أن الضرب والإخضاع لم يكن نهاية عقاب «باثاو مديأمون»، فقد رأينا أنه بعد نطق الإله جاء مفتش بيت محفة الملك «ستنخت» المسمى «بنحرور» ووقع عقابًا آخر على المتهم فجلده مائة جلدة بجريدة نخل، وجعله يحلف ألا ينقض ما اعترف به وإلا رمى به إلى التمساح.

ويلاحظ أن ما جاء بالسطرين «٢٠، ٢١» من وجه الورقة يقدم لنا لمحة هامة عن الرسميات القانونية المصرية، وذلك أنه — حتى بعد أن اعترف «باثاو مديأمون» بجريمته، ووعد بإعادة القمصان المسروقة — أمر الإله المجني عليه «أمنمويا» بأن يحلف يمينًا أنه لم يتسلمها حتى الآن.

وإنه لم المهم جدًّا أن نعرف هنا على وجه التأكيد معنى «أن الإله هز رأسه». والواقع أن ما بقي لنا من أمثال هذه الصور — التي يلجأ فيها الشاكي إلى الإله؛ ليحصل على إجابة بوساطة الوحي — تنحصر في قارب يمثل محرابًا محمولًا على أكتاف كهنة عديدين. ويلاحظ أن الحجرة المخصصة للإله — وهي التي تحتوي على صورته في القارب — كانت مغطاة بستارة، وكان

التمثال نفسه مختفيًا عن الأنظار. ويخيل للإنسان أن الستارة كانت تجر عندما كان يأتي النطق بالوحي، وأن الكهنة كانوا يؤدون ذلك بحيلة ما بحيث تهتز رأس الإله. أو هل نفرض أن القارب المقدس نفسه كان يهتز بعنف وهو على أكتاف الكهنة؟

وفي اعتقادي أن الفكرة الأخيرة هي الصحيحة إذ نجدها تمثل في أيامنا الحالية. وذلك أنه عند وفاة أحد الأولياء نرى أن أتباعه يحملونه على أعناقهم لدفنه، وعندما يأتون إلى الأماكن التي كانت محببة إليه يدفعون به — على الرغم منهم كما يزعمون — ويدخلونها جريًا كأنهم لا إرادة لهم في ذلك، أو نجدهم أحيانًا يقفون به عند أماكن خاصة، ولا يستطيعون الحركة لمدة ما.

ونفهم من هذا المتن — ومن غيره مما سنذكره أو ذكرناه — أن تمثال الإله الذي يستشار لم يكن ليجيب بهز رأسه وحسب، بل كان يتحدث أيضًا. والمفروض حينئذ أنه كانت تسمع كلمات بالفعل تخرج بطبيعة الحال من فم الكاهن الذي فرض أن الإله يتقمصه، وعلى ذلك كان يمثله فعلًا. وبهذه المناسبة نذكر أن الملكة «حتشبسوت» كانت تتضرع يومًا عند السلم (المؤدي إلى التمثال الجالس على عرشه) إلى سيد الآلهة، فسمع أمر خارج من المكان العظيم — وهو وحي من الإله نفسه. ومن الأمور البارزة في نظام إجراء العدالة بالالتجاء إلى إله — أن الشخص المتهم — على ما يظهر — لم يكن لديه مانع من معارضة الإله الذي أعلن أنه مذنب! إذ نجد — كما سبق — أن «باثاو مديأمون» قد أُحضر أمام ثلاثة تماثيل عبادة مختلفين، وقد جرت بينه وبينهم محادثات خمس قبل أن يعترف بأنه لص. وهذا يلقي ضوءًا منيرًا على حالة المصري العقلية نحو أي إله من هذه الآلهة.

وتدل شواهد الأحوال على أنه كان يظن أن في مقدوره تضليل الإله — كما يسعى الفرد أحيانًا في تضليل القاضي أو الحاكم.

إستراكون عن الوحي

ولدينا «إستراكون» كذلك من عهد ذلك الفرعون خاصة بالوحي، ويرجع تاريخها إلى السنة الرابعة من حكم «رعمسيس الرابع».[٥٨] وهاك ترجمة ما جاء عليها:

> السنة الرابعة، الفصل الرابع من شهر الزرع، اليوم الأخير من الشهر. في هذا اليوم بلغ العامل «كننا» بن «سيوازد» الملك «أمنحتب» رب المدينة قائلًا: «ساعدني يا سيدي الطيب، إني أنا الذي بنيت مسكن العامل «بيخال» عندما خرب، والآن تأمل فإن العامل «مرسخمت» بن «مسننا» لم يسهل لي أن أسكن فيه قائلًا: إن الإله هو الذي قال لي: «قسمه معك على الرغم من أنه لم يبنِ فيه معي … قسم».» وهكذا تكلم قائلًا للإله (؟) ثم كرر ذلك كاتب الجبانة «حور شرى» (؟) له (أي الإله) وقال هو (أي الإله): «أعط المسكن «كننا» صاحبه ثانية؛ لأنه ملكه بأمرٍ من الفرعون، وليس لأحد أن يقسمه.» وهكذا قال هو (الإله) في حضرة رئيس العمال «نختم موت» ورئيس العمال «عنحور خعوي» والكاتب «حوري»، وحاملي الإله، وكل العمال في باب مقبرة رئيسهم «قاحا» وحلف يمينًا قائلًا: «بحياة «آمون» وبحياة الفرعون سيدي بوصفه الأمير الذي قوته الموت، إذا رجعت في ذلك فإني أستحق أن أجلد مائة جلدة، وأحرم نصيبي (من المقابر التي توزع بين عمال الجبانة).»

وهذا المتن سجل يلتجئ فيه صاحبه إلى الإله «أمنحتب» (الملك أمنحتب الأول) الذي كان يعد إله قرية العمال وجبانتهم (راجع مصر القديمة ج٤) ليحصل على حكم قانوني بالبيت الذي عليه النزاع.

وقد أكد لنا المدعي «كننا» أنه مُنع ظلمًا من اتخاذ مسكنه في المكان المعروف باسم «بيت بيخال» الذي هدم وأعاد هو بناءه. أما المدعى عليه وهو شخص يُدعى «مرسخمت»، فقد ادعى أنه استشار الإله (أي «أمنحتب الأول» الذي كان يعد وقتئذ إله الجبانة) فأكد له أن البيت كان قسمه

بينه وبين «كننا». هذا على الرغم من أن «مرسخمت» كما قيل ليس له أي شأن في إعادة بناء البيت. ومما يؤسف له أن معظم وجه «الإستراكون» بعد الجواب المزعوم الذي فاه به «أمنحتب» لصالح «مرسخمت» قد فُقد، ولا نعلم إذا كان ما قد بقي لنا من هذا المتن هو بعض أو كل جواب الإله، وعلى أية حال فإن من المحتمل أن يكون الفرض الصحيح هو الأخير، وعندما فرغ «كننا» من الكلام كرر كاتب الجبانة «حور شري» أن ما ادعاه أمام الإله هو الذي حققه له جوابه.

وقد نُطق بالوحي في حضرة «كننا» وفي حضرة عدد من الأشخاص منهم حاملو قارب الإله في باب مقبرة رئيس العمال «قاحا». ويلاحظ أن ذكر حاملي قارب الإله في هذه المناسبة، وذكر مدخل المقبرة يفهم منه أن التجاء «كننا» كان مثله كمثل التجاء «أمنمويا» قد عمل في أثناء حمل تمثال عبادة الإله في موكب، وأن هذا الموكب قد اخترق الجبانة نفسها؛ يضاف إلى ذلك أن عبارة «كل الناس العمال» يعني اجتماع العمال، وأن هذا الاجتماع لا يكون إلا في مناسبة كمناسبة عيد عام. وبدهي من ذلك إذا إن اليوم الأخير من الشهر الرابع من فصل الزرع (أخت) لا بد أن يضاف إلى أيام الأعياد التي كان يحتفل فيها بالإله «أمنحتب الأول».[٥٩]

(٤-٣) مقبرة «رعمسيس الرابع» وتصميم ورقة «تورين»[٦٠]

منذ حوالي ثلاث وثمانين سنة وضع أمام العالم الأثري «لبسيوس» تصميم مقبرة ملكية في «طيبة»، وقد عثر على هذا التصميم بين ذخائر أوراق البردي المحفوظة الآن بمتحف «تورين»، وإلى ذلك العهد كانت معظم مقابر «وادي الملوك» من عهد الأسرتين التاسعة عشرة والعشرين معروفة، ونُشر تصميمات عدد منها في المؤلف الذي خلَّد حملة «نابوليون» على مصر. وقد فحص «لبسيوس» هذا التصميم الذي عثر عليه بين أوراق البردي في «تورين»، ووجد أن مقاييسه تتفق ومقاييس قبر «رعمسيس الرابع». غير أن المقاييس المفصلة التي كانت في متناوله عن المقبرة نفسها لم تكن دقيقة. وقد تناول بعده بعض العلماء فحص هذه المقاييس، ونخص بالذكر

منهم «شاباس» و«مريت»، ثم عاد «لبسيوس» عام ١٨٨٤م وتناول الموضوع بالبحث على ضوء المقاييس التي عملها «مريت». ومنذ ذلك العهد تُرك تصميم «تورين» في زوايا النسيان، على الرغم من العناية العظيمة التي خصت بها مقابر «أبواب الملوك» آنئذ. على أن الإهمال الذي خصت به هذه الورقة لم يختلف عن الإهمال، الذي يشمل هذا الكنز العظيم من أوراق البردي المحفوظة في متحف «تورين»، ومعظمها من عهد الرعامسة، إلى أن قام بنشر بعضها حديثًا بعض العلماء، وقد قام أخيرًا بدرس هذا التصميم كل من الأثريين «كارتر» والأستاذ «جاردنر» معًا. والأخير يعد من أبرز علماء اللغة المصرية في عصرنا، وقد أخذ «كارتر» على عاتقه عمل المقاييس كما درس المتن في الأصل الأستاذ «جاردنر»، وقد أعطى المتن الذي على ظهر الورقة عناية خاصة، ووجد أنه يحتوي على مقاييس لم تكن معروفة من قبل.

وقد فحص الأستاذ «جاردنر» الذي كتب المقال في فقرتين منه وجه الورقة وهما خاصتان على وجه عام بترجمة النقوش، وكتب فقرة ثالثة قرن فيها المعلومات التي في وجه الورقة بالمعلومات التي يمكن استنباطها من طبيعة القبر الأصلي، واستخلص منها النتائج التي أمكنه استنباطها كما سنورده هنا.

وجه الورقة: لم يبقَ لدينا من ورقة «تورين» الخاصة بتصميم مقبرة «رعمسيس الرابع» إلا جزء صغير يبلغ طوله ستة وثمانين سنتيمترًا، وارتفاعه أربعة وعشرين ونصف سنتيمتر، وقد دل فحص التصميم الذي على وجه الورقة على أنها كانت في الأصل حوالي متر ونصف متر طولًا، وحوالي خمسة وأربعين سنتيمترًا ارتفاعًا.

وقد مثل جانب التل الذي قطع فيه القبر على الورقة بلون خاص، إذ رمز له بسطح بني اللون مغطى بعدد عظيم من النقط التي على شكل أسماط خرز منظمة في خطوط مائلة متوازية حمراء وسوداء على التوالي. وهذه طريقة تقليدية تشبه التهشير (التظليل) في وقتنا الحاضر. وقد عثر

الأثري «دارسي» على تصميم آخر من هذا النوع لمقبرة «رعمسيس التاسع» على قطعة من الحجر الجيري محفوظة الآن «بالمتحف المصري»،[٦١] غير أنه في التصميم الأخير لم يحاول الرسام تمثيل جانب التل. وأحسن موازنة للاصطلاح المتبع في تصميم ورقة «تورين» هو ما نشاهده في مناظر الصيد المصورة على جدران مقابر «طيبة» وغيرها، حيث نجد التلال المنحدرة مصورة باللون الأحمر الملطخ بلون أحمر آخر أغمق من السابق، وآخر أزرق لتمثيل الصحراء المتموجة السطح، وتصوير الصحراء بهذه الكيفية لا يمتد إلا لمسافة يمكن فيها الحيوانات البرية إرخاء العنان لسيقانها، أما اللطخ الملونة فيحتمل أنها تمثل الحصى الذي على سطح الصحراء أو الحبيبات المختلفة التركيب، التي يتألف منها الرمل نفسه.[٦٢]

والشكل العام للرسم يدل على أنه تصميم سطحي، Ground–Plan، وأما رسم الأبواب فقد رفع بالرسم كأن الأبواب منصوبة على الأرض، وقد حاول الرسام المصري — كعادته — أن يصل بدون الرسم المنظور إلى كل الميزات التي تجنى من الأخير.

وقد وازن «لبسيوس» بحق رسوم قصر «إخناتون» في «تل العمارنة»، وما يماثلها من الرسوم برسم تصميم المقبرة،[٦٣] وقرن بين الطريقة المصرية هنا وبين البلاد والمباني في مخطوطات العصور الوسطى التي ترى كأنها مرسومة من الجو.

ولم يطمح المصري إلى عمل رسوم على حسب نسبة مقياس رسم، فقد كان يكفي عنده أن تكون حجراته قد رسمت في تصميمه بالترتيب الصحيح، مع تقدير تقريبي للصورة والنسب الحقيقية.

وكانت كل التفاصيل تترك للمتون المفسرة لشرحها ومعرفة أبعادها؛ فنجد مثلًا أن الممر Z في تصميم ورقة «تورين» قد رسم بنفس الحجم الذي رسم به الممر W، مع أنه يوجد بين الاثنين فرق حوالي أحد عشر ذراعًا في الطول، ويظهر عدم التناسب بصورة بارزة كذلك إذا قرنا بين الكوة W. D. والحجرة الجانبية Z. D.، ففي الرسم نجد أنهما متساويان تقريبًا، غير أن النقوش

تحدثنا بأن .Z. D عمقها عشر أذرع على حين أن .W. D لا يزيد طولها عن ذراع واحد وشبرين.

ويلاحظ أن سمك ممرات الأبواب لم تظهر على التصميم، ويحتمل أن رسمها مرفوعة كان يعد كافيًا. وقد لونت كل الأبواب باللون الأصفر في كل من تصميم «تورين»، والتصميم الذي حصل عليه «دارسي» لمقبرة «رعمسيس التاسع». ولا نزاع في أن الأبواب قد لونت بهذا اللون؛ لأنها كانت من الخشب، وكانت كلها مزدوجة، وتغلق بوساطة مزاليج ما عدا بابي .Z. C. & Z. D؛ وقد وضع التابوت في وسط الحجرة y، وهو على شكل طغراء ملون بلون مائل إلى الأحمر البني المرقط بالأسود تقليدًا للجرانيت الأحمر، ولا يزال التابوت الأصلي في القبر، وهو من الجرانيت الأحمر الوردي؛ وقد صُوِّر على الغطاء صورة الملك بين الإلهتين «إزيس» و«نفتيس»، كما مثل في تصميم ورقة «تورين» وحول التابوت ستة مستطيلات ملونة بلون أصفر، الواحد داخل الآخر، وقد قال عنها «لبسيوس»: إنه من المحتمل أن تكون درج سلم، غير أنه قال بعد ذلك: إن رفع التابوت على درج لم يصادفه في مقابر «أبواب الملوك». ومع ذلك فإن الرأي القائل بأن هذه المستطيلات الصفراء تمثل درج سلم أمر محتمل، ولكن لا بد أن نتخيل أنه كان درجًا مؤقتًا، وأنه أقيم على ما يظهر للوصول إلى التابوت في يوم دفن الملك. أما تلوينه بالأصفر فيدل على أنه صنع من الخشب، وهذا حل معقول جدًّا؛ لأن التابوت بدون غطائه يبلغ ارتفاعه حوالي ثماني أقدام، فلم يكن في الإمكان إنزال المومية في مكانها، كما لا يمكن إقامة الشعائر الختامية بدون درج كالذي رسم في التصميم.

والآن نعود إلى ذكر الكتابات الدينية التي تصف لنا أجزاء القبر المختلفة كما جاءت في الورقة.

الدهليز أو الممر الرابع: هذا الممر معلم بحرف W على التصميم.

ويشير الحرفان .W. A إلى الباب الذي كتب عليه العبارة التالية: «بابه مغلق.» وهذه العبارة تعني إما أن الباب قد أغلق بعد إتمام المقبرة أو أن هذا الباب يمكن إغلاقه بمزلاج.

ويشير الحرفان .W. B إلى المتن الذي كتب على طول الممر كله فوق الباب وهو «الممر الرابع، وطوله ٢٥ ذراعًا، وعرضه ست أذرع، وارتفاعه تسع أذرع وأربعة أشبار، وقد رسم رسمًا تخطيطيًّا ثم حفر بالإزميل وملئ بالألوان وأنجز».

ويشير الحرفان .W. C إلى المتن المكتوب في داخل الخطوط الداخلية التي تعلم بداية انحدار التابوت. وقد فسر لنا ذلك «لبسيوس» على حسب رسم القبر الذي عمله «مريت»، إذ يلاحظ أنه من وسط الممر W قد رسمت خطوط داخلية تستمر داخل الممر X إلى أن تصل إلى حجرة التابوت، وقد قال «لبسيوس»: إن المقصود بذلك هو انحدار التابوت بالقرب من وسط الممر W انحدارًا طوله عشرون مترًا وعرضه خمس أذرع وشبر.

ويشير الحرفان .W. D إلى نقوش الكوة، وهاك النص: «هذه الحجرة طولها ذراعان، وعرضها ذراع وشبران، وعمقها ذراع وشبران.»

قاعة الانتظار المعلمة في التصميم بحرف X: يشير الحرفان .X. B إلى اسم كل الحجرة X وقد كتب على الجزء الأعلى منها المتن التالي: «قاعة الانتظار، طولها تسع أذرع، وعرضها ثماني أذرع، وارتفاعها ثماني أذرع، وقد رسمت رسمًا تخطيطيًّا ثم حفرت بالإزميل وملئت بالألوان وأنجزت.»

ويلاحظ أن اسم قاعة الانتظار أو الاستقبال لا يوجد على وجه ورقة «تورين» وحدها بل يوجد كذلك على تصميم «إستراكون» المتحف المصري، حيث تدل على أول حجرة من ثلاث الحجرات التي تتألف منها النهاية الداخلية لقبر «رعمسيس التاسع»، وهذا القبر يختلف عن قبر «رعمسيس الرابع» في أن حجرة التابوت فيه تقع في أقصى نهاية القبر وهي مفصولة بقاعة ذات عمد عن

قاعة الانتظار، ولا نزاع في أن الاسم «قاعة الانتظار»، كان الغرض منه الدلالة على المكان الذي يمكن لأقارب الملك ورجال الحاشية والرعايا الانتظار فيها، قبل أن يسمح لهم بالدخول إلى حضرة الفرعون العلية.

ويشير الحرفان X, C إلى المتن الخاص بنهاية الانحدار البارز بعد مدخل حجرة التابوت، وهاك المتن: «نهاية انحدار التابوت ثلاث أذرع.» وهذا المتن كما يظهر قد وضع في غير مكانه الصحيح؛ وذلك لأن المكان الذي كان يجب أن يكون فيه قد حفظ على حسب كل السوابق في الرسم التخطيطي المصري؛ لأجل الباب الواقع بين X & Y.

حجرة التابوت المرقومة بحرف X في التصميم: يشير الحرفان Y, A إلى المتن الذي بجانب الباب وهو: «بابه مغلق.» وهذا الباب هو باب حجرة الانتظار على ما يظهر.

ويشير الحرفان Y, B إلى المتن الخاص بوصف كل الحجرة، المكتوب على جانبها الأعلى وهو: «بيت الذهب الذي يثوي فيه الواحد (الملك) طوله ست عشرة ذراعًا، وعرضه ست عشرة ذراعًا، وارتفاعه عشر أذرع، وقد رسم رسمًا تخطيطيًّا وحفر بالإزميل، وملئ بالألوان وأنجز، وقد جهز بالمعدات الخاصة بجلالته «وأنه يعيش ويسعد في صحة» على كل جانب منها مع التاسوع المقدس الذي في العالم السفلي (دوات).»

وتشير عبارة «بيت الذهب» هنا إلى حجرة الدفن؛ لأن ملوك مصر كانوا يدفنون ومعهم كل حليهم وكل الأشياء الغالية حولهم. وقد فسر «كارتر» هذه العبارة بأن اللون الأساسي للحجرة كان الأصفر الغامق، وهو اللون العادي لهذه الحجر؛ ولذلك سميت «بيت الذهب» والتعبير بالأصفر عن الذهب معروف لدينا (الأصفر الرنان). وتشير عبارة «مع التاسوع المقدس الذي في العالم السفلي» على ما يظهر إلى صور الآلهة المصنوعة من الخشب المطلي بالقار وهي خاصة بالمدافن الملكية، أو قد تشير إلى صور الآلهة الخاصين بالمقابر الملكية، وهم الذين يرسم عدد

عظيم منهم على جدران هذه المقابر، ولكن سنرى بعد أن الآلهة كان لها محاريب في القبر لتوضع فيها.

ويشير الحرفان Y, C إلى المتن الذي يرمز إلى Y, B في التصميم. وهاك الترجمة: «المجموع مبتدئًا من الممر الأول حتى بيت الذهب = ١٣٦ ذراعًا وشبران.»

ويشير الحرفان Y, D إلى المتن الذي تحت Y, E، وهو «مبتدئًا من بيت الذهب إلى الخزانة التي في أقصى الداخل = ٢٤ ذارعًا وثلاثة أشبار، فيكون المجموع مائة وستين ذراعًا وخمسة أشبار.»

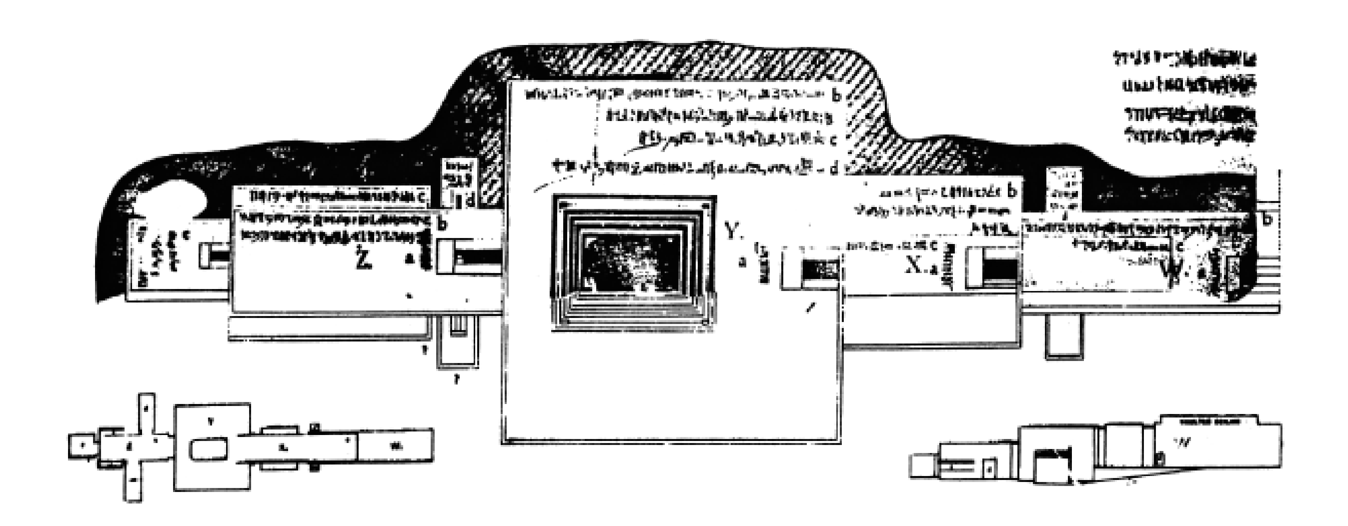
ويقدِّم لنا المجموعان الأولان مقدار الأبعاد من مدخل القبر حتى حجرة التابوت، ومن حجرة التابوت حتى نهاية القبر، وهذان البعدان هما الطول الكلي للقبر وهو ١٣٦ ذراعًا وشبران + ٢٤ ذراعًا وثلاثة أشبار = ١٦٠ ذراعًا وخمسة أشبار.

الممر الداخلي المرقم بحرف Z في التصميم: يشير الحرفان .Z. A إلى المتن المكتوب بجانب الباب وهو: «باب مغلق.» ويشير الحرفان .Z. B إلى المتن المكتوب على طول الجانب الأعلى للممر وهو: «الممر الذي في مكان التماثيل المجيبة، وطوله أربع عشرة ذراعًا وثلاثة أشبار وعرضه خمس أذرع، وارتفاعه خمس أذرع وثلاثة أشبار وأصبعان، وقد رسم رسمًا تخطيطيًّا وحفر بالإزميل وملئ بالألوان وأنجز، وكذلك الجهة الجنوبية منه.»

ولا نزاع في أن الاسم الذي أعطي للممر Z الداخلي غير ملائم؛ لأنه يمكن البرهنة بطريقة عملية صحيحة على أن المكان الذي كانت تخزن فيه التماثيل المجيبة الصحيحة لم يكن الممر بل الحجرتين Z. d, Z d d اللتين على جانب الممر (راجع J. E. A. Vol. 4 p. 140-1).

ويشير الحرفان Z. C إلى المتن الذي كتب على الكوة الشمالية من الممر وهو: «مكان استراحة الآلهة وطوله أربع أذرع وأربعة أشبار، وارتفاعه ذراع واحدة وخمسة أشبار، وعمقه ذراع وثلاثة أشبار وأصبعان.»

ويلاحظ في الكوة Z. C. هذه، والكوة Z, CC أنهما قد قطعتا في الجدارين الشمالي والجنوبي للممر الداخلي على ارتفاع نحو متر من الأرض، وقد زينت جدرانهما بصور محاريب صغيرة تحتوي على آلهة مختلفين من بينهم الآلهة «تحوت» و«أنوب» و«خنوم» و«سبك» و«بوتو». ويرى فوق المحاريب أن الكوات قد حفرت إلى عمق كبير، وزينت بصور حصر صغيرة ورغفان وطاسات ماء، وكان يحلي كل محراب حصيرة. ولا نزاع في أنه عندما نعد اسم «مكان راحة الإله» مقترنًا بالصور التي في داخل الكوات، فإن ذلك يدل على أنها كانت مستعملة بمثابة مأوى للمحاريب الملونة، كالمأوى الذي كُشف عنه في مقبرة «يويا» والد الملكة «تي» زوج «أمنحتب الثالث». على أنه من المحتمل أن هذه المحاريب كانت تحوي صور آلهة من الخزف المطلي أو المعادن الثمينة، وكان الطنف يوضع في أعلاها مع قربان قليلة، وبهذه الطريقة كان في استطاعة الملك أن يحرر نفسه من أعباء واجباته الدينية في حياته التي جددت بعد الموت. ويشير الحرفان Z. d إلى النقش الذي في الحجرة الجانبية وهو:



شكل ٢: تصميم مقبرة رعمسيس الرابع عن الأصل المصري القديم ورقة بردي بمتحف تورين.

«الخزانة التي على اليد اليسرى، وطولها عشر أذرع، وعرضها ثلاث أذرع، وارتفاعها ثلاث أذرع وثلاثة أشبار.»

والخزانة التي على اليد اليسرى هي كما رأينا من قبل الحجرة Z. d المستعملة مخزنًا لتماثيل الفرعون المجيبين، ويلاحظ أن كلمة «خزانة» قد استعملت بمعنى «مخزن» وحسب.

ويشير الحرفان Z. e إلى النقش الذي في نهاية الحجرة Z. e وهو: «الخزانة التي في النهاية القصوى الداخلية طولها عشر أذرع، وعرضها ثلاث أذرع وثلاثة أشبار، وارتفاعها أربع أذرع.» وتدل نقوش هذه الحجرة على أنها كانت مخزنًا لأواني الأحشاء، ولقطع أخرى من الأثاث المنوع. والمتن المرقوم بحرف b يسمي هذه الحجرة اسمًا آخر، وهو «الممر الثاني الذي في نهاية بيت الذهب.»

أما المتن الذي يرمز له بحرف b، فيحتوي على أربعة أسطر كتبت مقلوبة في النهاية القصوى من الجانب الأيمن لتصميم المقبرة. وهذه الأسطر — كما قلنا — تشتمل على إيضاحات أخرى عن الممر Z والحجر الثلاث التي تؤدي إليه. ومما يؤسف له أن نهاية هذه الأسطر مفقودة، وبذلك أصبح فهمها صعبًا (راجع شكل تصميم المقبرة ٢).

المتن الذي على ظهر تصميم ورقة تورين: يدل الجزء الخاص بالمقاييس في المتن الذي على ظهر تصميم «ورقة تورين» على أن لا علاقة له بالتصميم الذي على وجه الورقة، وقد درس الأستاذ «جاردنر» هذا المتن على هذا الزعم، وكان كل علماء الآثار الذين درسوا هذه الورقة قد أغفلوه (J. E. A. Vol. 4 p. 144 ff)، وقد استنبط منه بعض حقائق لا تزال موضع شك. ويحتمل أن هذه المتون خاصة بمقبرة أخرى، ويفهم من البحوث التي عملت في مقابر «وادي الملوك» أنه يوجد قبر بدئ في نحته في عهد «رعمسيس الخامس»، وتم العمل فيه في عهد «رعمسيس السادس»، وهذا هو القبر رقم ٩ على حسب ترقيم «لبسيوس»، ولم ينشر لهذا القبر

تصميم بمقاييس مضبوطة حتى الآن، ونحن نعلم من جانبنا أن قبري «رعمسيس الخامس» والسادس، وكذلك قبر «رعمسيس التاسع» يحتوي كل منها على أربعة ممرات، تنتهي كل منها بحجرة انتظار مثل مقبرة «رعمسيس الرابع»، غير أنها تختلف عن الأخيرة بأن لها قاعة ذات عمد بعد قاعة الانتظار. والمتون التي على ظهر الورقة التي نحن بصددها قد توحي بأنه قبر «رعمسيس الخامس».

وأخيرًا قرن الأستاذ «جاردنر» النتائج التي وصل إليها من درس تصميم ورقة «تورين»، والقبر الأصلي ووصل منها إلى نتائج مرضية. وقد كان المفهوم من قبل أن هذا التصميم بعيد عن الدقة كل البعد. بيد أن المقاييس التي أخذها الأثري «كارتر» لهذا القبر تنفي هذا الزعم إلى حد بعيد؛ فقد وجد أنه من بين سبعة وعشرين مقياسًا تتفق خمسة عشر منها في كل من الطبيعة والورقة، وثمانية صحيحة إلى حد بعيد، وأخطاؤها بسيطة جدًّا تعد بمقياس بضع أصابع.

أما أربعة المقاييس الباقية فنجد أن خطأها في الورقة ظاهر. ولا توجد لذلك أسباب مقبولة.

وهذه النتيجة المرضية تتعارض مع ما وصل إليه «لبسيوس» في بحثه الأخير؛ ويرجع سبب الاختلاف إلى عدم وجود تناسب في مقاييس أبعاد القبر، وبخاصة مقاييس حجرة التابوت وهي المقاييس التي أخذها كل من «كارتر» و«مريت» وقد اعتمد «لبسيوس» على مقاييس «مريت»، وهي التي لوحظ أن بعضها خاطئ، هذا إلى أخطاء حسابية وقع فيها «لبسيوس» نفسه.

وصف مقبرة «رعمسيس الرابع» وما على جدرانها من مناظر: تحدثنا فيما سبق عن تصميم مقبرة «رعمسيس الرابع»، كما رسم في ورقة «تورين» وقرناه بالمقبرة الأصلية، والآن ننتقل إلى وصف ما على هذه المقبرة من مناظر دينية.



شكل ٣: مومية «رعمسيس الرابع».

موقع القبر: يقع قبر «رعمسيس الرابع» في الجهة الغربية من الطريق الرئيسي خارج الحاجز الحالي، وتدل شواهد الأحوال على أن محتويات هذا القبر قد سُرقت بعد دفن هذا الفرعون ببضع سنين فقط؛ وذلك لأن الكهنة عندما نقلوا أول طائفة من الموميات الفرعونية إلى مقبرة «أمنحتب الثاني» لم يجدوا إلا تابوت هذا الفرعون، وقد أخفوه بكل تدين، ويحتمل أن المومية كانت قد جردت من قبل.

ويقول «مسبرو» عن مومية هذا الفرعون ما يأتي:[٦٤] (Maspero, Guide 1915 p. 404) يبلغ طول مومية الفرعون «رعمسيس الرابع» مترًا وستين سنتيمترًا، والتابوت الذي كانت فيه

المومية ملون باللون الأبيض وهو للفرعون «رعمسيس الرابع» وقد كشف عنها «لوريه» سنة ١٨٩٨ في مقبرة «أمنحتب الثاني». وقد وجد من فحص الجمجمة أن هذا الفرعون كان يبلغ من العمر أكثر من خمسين عامًا عند وفاته، وقد كان فضلًا عن ذلك أصلع الرأس تمامًا، ولم يتبقَ من شعره إلا إطار خفيف على صدغيه وقذاله؛ وكان الجسم عند فحصه في حالة جيدة، وقد ظهر على الرأس عند القمة فتحة مثلثة تقريبًا عملت بعد الوفاة، ولا شك أنها قد عملت كما يعتقد المصري القديم لنزع الروح أو الأرواح الشريرة، التي سببت مرض الموت لتخرج. ونشاهد مثل هذه الظاهرة في مومية الفرعون «مرنبتاح» (راجع Maspero Ibid p. 411).

ويقول «أليت سميث»: إن هذه المومية هي إحدى الموميات التي وجدها «لوريه» عام ١٨٩٨ في مقبرة «أمنحتب الثاني»، وقد فكت لفائفها في ٢٤ يونيو سنة ١٩٠٥ بمتحف القاهرة. وقد جرد اللصوص الأقدمون المومية من كل أكفانها، وقد أعيدت لها أكفانها في الأسرة التالية، وكانت بعض خرق وضعت حول المومية مع بعض لفائف بسيطة لحفظ هذه الخرق في مكانها. وأخيرًا وضع كفن حول هذه الخرق، وقد كتب اسم «رعمسيس الرابع» بالمداد الأسود على هذا الكفن الخارجي، وكذلك على غطاء التابوت الخشبي الذي وجدت فيه المومية. وكان طول «رعمسيس الرابع» ١,٦٠٢ متر، وكان أصلع تقريبًا ولم يبقَ له من الشعر إلا إطار ضيق باقٍ على صدغيه والقفا. وقد دل فحص عظامه على أن عمره لا يقل عن خمسين سنة ويحتمل أكثر. والجسم لا يزال في حالة جيدة غير أن اللفافات قد لصقت بالجلد. وكان وجهه حليقًا تمامًا ويحتاج إلى عدسة ليرى بها الإنسان مكان منابت الشعر المحلوق على الشفتين والذقن.

وفي كل عين من العينين اللتين قد انتزعتا وجدت بصلة صغيرة موضوعة تحت الجفن؛ لتحاكي العين الحقيقية. وقد كان نجاح هذه العملية أكثر مما كان يتصوره الإنسان. فقد كان لون البصلة المجففة الأصفر التي وسعت الجفنين يتناسق مع لون الجلد، وأصبح مظهر الوجه طبيعيًّا.

وقد كان استعمال العين الصناعية تجديدًا معروفًا متبعًا في عهد الأسرة العشرين، وأصبح عادة متبعة فيما بعد.

ويلاحظ أن الجزء اللين من الأنف قد فرطحته لفائف المحنط، غير أنه مما لا شك فيه أن «رعمسيس الرابع» كان أقنى الأنف مثل أسلافه ملوك الأسرة التاسعة عشرة، هذا بالإضافة إلى أسنانه العليا البارزة التي تشبه أسنان ملوك الأسرة الثامنة عشرة، وكذلك «سيتي الثاني» من الأسرة التاسعة عشرة.

وقد فتح هذا القبر في عهد البطالمة، وقد وجد على جدرانه كذلك نقش باللاتينية من العهد الإمبراطوري الروماني خط بسرعة؛ هذا إلى صورة من العهد …

ويوصل إلى مدخل هذا القبر سلم قديم ذو سطح مائل، ويشاهد في أعلى المدخل الرئيسي قرص الشمس، وبداخله صورتا إله الشمس الأولى برأس كبش، وهو إله الشمس عند الغروب، والأخرى إله الشمس المشرقة في صورة جُعَل، وترى على جانبي قرص الشمس الإلهتان «إزيس» و«نفتيس» يتعبدان له.

ويشاهَد في الدهليز الأول على اليسار الفرعون يتعبد للإله «حرمخيس» برأس صقر وقد مثلت الشمس مارة بين الأفقين. ويأتي بعد ذلك متن أنشودة للشمس تتألف من خمسة وأربعين سطرًا، وتسمى كتاب «مديح رع» ويحتوي الدهليز الثاني على نقش طويل يتحدث عن عبادة «رع».

وفي الدهليز الثالث صور خرافية ومتون من كتاب «ما يوجد في عالم الآخرة»، وكتاب الكهوف وهما من الكتب التي تصور عادة في المقابر الملكية.

بعد ذلك ينتقل الزائر إلى الدهليز الرابع فيشاهد على جدرانه متونًا طويلة تتألف منها الفصول من ١٢٣–١٢٧ من كتاب الموتى، وهذه الفصول تحدثنا عما يقوله المتوفى يوم الحساب أمام «أوزير»؛ ليبرئ نفسه من الخطايا والذنوب.

ويدخل بعد ذلك الزائر حجرة الدفن التي كان يثوي فيها الفرعون، وقد كسرها اللصوص في الأزمان القديمة ونهبوا محتوياتها كما ذكرنا من قبل، ويبلغ طولها إحدى عشرة قدمًا ونصف قدم، وارتفاعها تسع أقدام، وقد نقش على جدرانها مناظر تستحق الملاحظة، فنشاهد على الجدار الأيسر صور الفصلين الأول والثاني من «كتاب البوابات» ومتونها، ونجد إيضاحًا للفصل الأول صورة الملك راكعًا أمام إله الشمس في القسم الأول من العالم السفلي مقدمًا له رمز العدالة. وترى أرواح الشريرين الذين وضعهم الإله «آتوم» في الأغلال، ويشاهد أن بعضهم قد خر صريعًا. وفي الفصل الثاني نشاهد ثانية إله الشمس الذي كان قد مر الآن بالبوابة التي يحرسها ثعبان إلى القسم الثاني من العالم السفلي، وهنا نشاهد الإله «آتوم» متكئًا على عصاه يلاحظ الثعبان الشرير «أبوفيس» الذي أصبح لا حول له ولا قوة، وامتنع عنه إصدار أي أذى بتعاويذ خاصة تليت عليه.

والفصل الثالث من هذا الكتاب نقش على الجدران اليمنى لهذه الحجرة، ووضح بالصور، فنرى أن قارب الشمس قد دخل الآن القسم الثالث من العالم السفلي، وهنا نشاهد من بين الصور اثنتي عشرة إلهة فصلت بثعبان إلى نصفين كل منهما ست، وهي تمثل ست ساعات قبل منتصف الليل ثم ما بعده، وهذا الجزء من الشعائر ينتهي بالفصل الرابع من كتاب البوابات، عندما يكون قارب الشمس قد انتقل إلى القسم الرابع من العالم السفلي.

ويشاهد مصورًا على سقف هذه الحجرة الإلهة «نوت»، وعلى جسمها رسمت أبراج السماء.

وبعد حجرة الدفن دهليز نقش على جدرانه سياحة الشمس في العالم السفلي، ويلاحظ الزائر على عتب الباب المؤدي إلى الحجرة النهائية صورة سفينة الشمس موضوعة على صورة «بولهول» مزدوج. كما نشاهد على جدران الحجرة الأخيرة صور سرير، وكرسي، وصندوقين، وأواني الأحشاء العادية، ويحتمل أن هذه الأشياء كلها كانت موجودة فعلًا في هذه الحجرة وقت دفن الفرعون.

وقد استعمل هذا القبر في العهد المسيحي مقصورة عابد، ثم استعمل فيما بعد مكانًا يحج إليه؛ من أجل ذلك نجد نقوشًا من العهد المسيحي يبلغ عددها حوالي ٥٠ نقشًا، هذا بالإضافة إلى صورة القديس السالفة الذكر.[٦٥]

(٤-٤) معبد «رعمسيس الرابع» الجنازي

لم يكشف حتى الآن عن معبد جنازي للفرعون «رعمسيس الرابع»، ولكن جاء في ورقة «فلبور» ذكر معبد جنازي باسم هذا الفرعون (Wilbour Pap. II p. 33) يسمى بيت ملايين السنين لملك الوجه القبلي والوجه البحري «حقا ماعت رع ستبن آمون في بيت آمون». وضياع هذا المعبد كما جاء في هذه الورقة كان تحت إدارة فرد يدعى «نفرعب» الذي توفي. وضيعة هذا المعبد كان يديرها النائب «إيا»، وإذا كان هذا المعبد الذي ذكر باسم «رعمسيس الرابع»، وهو الذي خصصت له فقرات في كل أقسام ورقة «فلبور» ليس هو المعبد الذي نسب بالظنة والحدس إلى «رعمسيس الخامس»، فإنه على هذا الزعم يكون إما المعبد الذي كشف عن بعض بقاياه كل من اللورد «كارنرفون» و«كارتر» أو هو المعبد الذي لم يكشف عنه بعد، وهو الواقع في الشمال من معبد «أمنحتب بن حابو»، وإلى الجنوب من «مدينة هابو». وهذا المعبد قد كشف عن بقايا منه منذ بضع سنين الأثريان «روبيشون» و«فاري» (راجع Revue d'Egyptologie III p. 99 ff). أما «نفرعب» المتوفى التي كانت هذه الضياع تحت إدارته، فيحتمل أنه كان عمدة «حارداي» القريبة من بلدة «الشيخ فضل» الحالية. وأما النائب «إيا»، الذي ذكر في ورقة «فلبور»، فربما كان هو الذي قد عين مؤقتًا لشغل الوظيفة الرئيسية التي كان يشغلها «نفرعب»، وسنتحدث عن الآراء التي أدلى بها عن معبد هذا الفرعون عند التحدث عن معبد «رعمسيس الخامس».

وقد كان لهذا الفرعون ضياع وهبها معابد الآلهة المختلفة في أنحاء البلاد، جاء بعضها في ورقة «فلبور» نخص بالذكر منها ضياع أسسها للإله «سبك» القاطن في الفيوم، وكان يديرها الكاهن «سونر» (Wilbour Ibid p. 126). وفي بلدة «سمعه»، وجد له معبد يسمى معبد «رعمسيس ماعت مري آمون» (راجع Wilbour Ibid 141 § 108 (Pleyte Pap. De Turin p. 80).

(٤-٥) نقل تماثيل الملك «رعمسيس الرابع»

ذكرت لنا ورقة محفوظة بمتحف «تورين»، نقل بعض تماثيل هذا الفرعون جاء فيها أنه قد عملت الترتيبات لتوريد القمح للعمال، وكذلك مهدت طريق طولها ثلاثون وسبعمائة ذراع، وعرضها خمس وخمسون ذراعًا، وكان انحدارها إلى أعلى ستين ذراعًا، وكذلك صنعت عشرون ومائة «روقات» (ويبلغ مساحة الروقات ٣٠ × ٧ أذرع من ألواح الخشب وعروقه، وكلمة روقات يظهر أنها مشتقة من الفعل السامي رق أو نشر، أو رقق؛ أي أصبح رقيقًا أو رفيعًا، وذلك يعني أن عروقًا من الخشب كانت توضع فوق الأديم، وتغطى بألواح ليمكن سحب التماثيل عليها بسهولة).

(٥) الموظفون والحياة الاجتماعية في عهد «رعمسيس الرابع»

(٥-١) الكاهن الأعظم «لآمون» (رعمسيس نخت) وأسرته

بعد أن اختفى «رعمسيس الثالث» من مسرح الحياة آلت مقاليد الملك من بعده لابنه «رعمسيس الرابع»، الذي لم يرث من والده صفة الملك الحازم، فانتهز كهنة «آمون» العظام فرصة ضعف أخلاف «رعمسيس الثالث»، وأخذوا يستولون على السلطة في البلاد شيئًا فشيئًا إلى أن جمعوا مقاليد الملك في أيديهم، وكانت الخطوة الأولى في هذه السبيل أن تربع أفراد أسرة من الكهنة على كرسي رياسة «آمون» في «طيبة»، وهذه كانت المرة الأولى في تاريخ أرض الكنانة، التي نجد فيها هذه الوظيفة تنتقل بالوراثة من الأب إلى الابن.

ورئيس هذه الأسرة هو الكاهن الأول «لآمون» المسمى «رعمسيس نخت» في عهد الفرعون «رعمسيس الرابع»، وقد خلفه كما سنرى من بعد اثنان من أولاده على التوالي وهما «نسآمون» ثم «أمنحتب»، والأخير هو الذي جاء قبل الكاهن والملك «حريحور» مباشرة.

والآثار التي تركها لنا «رعمسيس نخت» تمدنا بمعلومات قيمة عن تاريخ حياته، ونخص بالذكر منها التمثالين اللذين عثر عليهما «لجران» في خبيئة «الكرنك». ويمتاز أحدهما بدقة صنعه، ورشاقة شكله؛ فقد مثل مرتديًا ثوبه الديني الرسمي الفضفاض ذا الثنايا، وعلى رأسه الشعر المستعار الغزير الخاص.



شكل ٤: الكاهن الأعظم «لآمون» المسمى «رعمسيس نخت».

بعصر الرعامسة، وقد مثل راكعًا وهو يقبض بين يديه على مائدة جلس عليها ثالوث «طيبة». أما التمثال الثاني فعلى الرغم من أنه أقل رشاقة في صنعه من السابق فإنه يعد من أهم قطع النحت الممتازة، التي وصلت إلينا من مدرسة فن النحت الطيبية، وقد أصبح هذا التمثال الكلاسيكي يعرف بتمثال كاهن القرد — والقرد هنا هو الإله «تحوت» الذي كان يمثل أحيانًا في صورة القرد — فقد مثل هذا الكاهن جالسًا القرفصاء، وعلى حجره بردية منشورة أمامه، وعلى رأسه شعر مستعار ويرتدي ملابس رسمية، وكأنه كان يفكر أو يتلو صلوات في سره بحالة ذهول من الورقة التي أمامه. ويُرى جاثمًا فوق كتفه قرد صغير كثيف الشعر ينظر إليه من على رأسه، ومعنى ذلك أن الإله «تحوت» هو الذي قد ظهر في هذا الوضع غير المعتاد، وقد كان من الصعب على المثَّال أن يوفق بين صورة الكاهن، وصورة هذا الحيوان بهيئة ليست زرية ولا قبيحة.

والواقع أن المثال خرج من تمثيل هذه الصورة على هذا الوضع بما يدل على براعته وقدرة افتنانه. ويلاحظ أن الكاهن في الصورة قد ثنى رقبته بعض الشيء، غير أن الإنسان يشعر أن الحيوان لم يضايقه بثقله، ومن جهة أخرى يرى أن القرد قد وارى نصفه خلف شعر الكاهن المستعار؛ أما محياه العابس الذي ارتسمت عليه سيما الازدراء فيحس منه الإنسان الأثر المقبض الذي يحدث من وضع وجه حيوان مستعار على وجه إنسان (راجع Maspero, Archeol. Egyptienne p. 232 (1907)).

وهذا التمثال الذي يعزوه «مسبرو» إلى أحد مصانع الحفر، التي كانت تحت إدارة كهنة «آمون» (انظر الشكل ٤) لم يكن ذا أهمية من الوجهة الفنية وحسب، بل يقدم لنا كذلك عن أسرة «رعمسيس نخت» معلومات لم تصلنا من أي مصدر آخر. والواقع أننا نقرأ على ورقة البردي

التي على حجر هذا الكاهن الأكبر والقابض عليها بيده ما يأتي: «من أجل روح الحاكم ومدير الأعمال الخاصة بكل آثار جلالة ورئيس كهنة كل آلهة «طيبة» وأمين أسرار الملك والشرف الأعظم على القصر الملكي (أي معبد مدينة «هابو») وأعظم الرائين للآلهة «رع» في «طيبة»، والكاهن الأول «لآمون رع» ملك الآلهة المسمى «رعمسيس نخت»، ابن القاضي، ومدير الضرائب، ورئيس كهنة كل آلهة «هرمو بوليس» وكاتم أسرار الملك، ومدير بيت رب الأرضين «مري باستت».»

ومن ثم نعلم أن مسقط رأس والد «رعمسيس نخت» هو بلدة «هرمو بوليس» (الأشمونين الحالية) وهذا يفسر لنا بوضوح السبب الذي جعل «رعمسيس نخت» يمثل مع القرد في هذا الوضع الفريد في بابه، وهو الذي أصبح الكاهن الأكبر للإله «آمون» في «الكرنك»، ومع ذلك فقد استمر في تقديس إله أجداده، فوضع نفسه تحت حماية الإله «تحوت» الذي كان يمثل في صورة قرد، ويعد أعظم معبودات بلدة الأشمونين في كل عصور التاريخ المصري القديم.

ومن الجائز أن «مري باستت» والد «رعمسيس نخت» كان من أصحاب الحظوة عند «رعمسيس الثالث»، وفي عهد «رعمسيس الرابع» أرسله في الحملة التي بعث بها في وادي «روآنا» في السنة الثانية من حكمه، وهو الذي نقش على صخور وادي حمامات اللوحات التي تحدثنا عنها فيما سبق.

ومما يلفت النظر في أمر هذا العظيم أن الفرعون لوثوقه فيه قد نصبه كاتم سره ومدير أملاكه في الأرضين؛ مما جعله على اتصال مستمر بالقصر، وقد نقش على قاعدة هذا التمثال المهدي: «ابنه الأكبر الذي يجعل اسمه حيًّا، الكاهن الأكبر «لآمون رع» ملك الآلهة «نسيآمون».» وهذا المتن الصغير له أهمية عظيمة؛ لا لأننا نعرف منه أنه كان يوجد كاهن أكبر «لآمون» يدعى

«نسيآمون» وحسب؛ بل كذلك لأننا نفهم منه أن «نسيآمون» هذا قد ورث «رعمسيس نخت» في وظيفة الكاهن الأكبر «لآمون» في الكرنك مباشرة بعده.

وقد أنجب «رعمسيس نخت» ولدين آخرين أحدهما يدعى «أمنحتب»، وهو الذي أصبح فيما بعد الكاهن الأكبر لآمون، والآخر «مري باستت» وكان منخرطًا كذلك في سلك الكهانة في الكرنك بلقب الكاهن والد الإله، وتزوج ابنه «ستاو» الكاهن الأول لآلهة الكاب. وقد أخطأ كل من الأثريين «فرشنسكي» و«فيل» عندما قالا: إن «نفررنبت» وهو أحد أبناء «رعمسيس نخت» كان وزيرًا للفرعون «رعمسيس الرابع». ونسبة بنوة «نفررنبت» إلى «رعمسيس نخت» لا ترتكز على أي أساس. وقد تناول هذا الموضوع الأستاذ «لفبر» بالبحث، وأثبت أن «نفررنبت» لم يكن ابن «رعمسيس نخت» ولم يكن الأخير يومًا ما وزيرًا للفرعون «رعمسيس الرابع» ولا لغيره من الملوك، ولكن هذا لا يمنع أنه كان يوجد وزير بهذا الاسم كما ورد في «الإستراكون رقم ٢٥٢٤٤» المحفوظة بالمتحف المصري، غير أنه مع ذلك لم يحمل لقب الكاهن الأكبر للإله «آمون»؛ ولذلك فإنه ليس لدينا ما يدعو إلى الخلط بين هذا الوزير والكاهن سميه، وبخاصة أن هذه التسمية كانت شائعة في عهد الأسرة العشرين. (Histoire des Grands Pretres p. 200).

ومن جهة أخرى توجد وثيقة نعلم منها أن الكاهن الأعظم «رعمسيس نخت» كانت له ابنة تدعى «عزوت» (؟) وتحمل لقب رئيسة كهنة حظيات «آمون»، وهو لقب كانت تحمله أمها من قبلها. وقد تزوجت الأولى رجلًا يدعى «أمنمؤيت» وكان يحمل لقب الكاهن الثالث للإله «آمون»، وفي الوقت نفسه كان يلقب الكاهن أعظم الرائين للإله «رع» في «طيبة» والكاهن الأول للإلهة «موت»، وقد نقش على أحد جدران مقبرة هذا الكاهن منظر مثل فيه يتسلم مكافآت من الذهب والفضة في السنة السابعة والعشرين من حكم الفرعون «رعمسيس الثالث».

والظاهر على أية حال أن «أمنمؤيت» هذا قد مات قبل والد زوجه، وقد عاش عدة سنين بعد أن تسلم مكافأته هذه؛ لأننا وجدنا منقوشًا على جدار آخر من قبره طغراء «رعمسيس الرابع»، وعلى مقربة من المنظر الذي فيه يتسلم «أمنمؤيت» هداياه نجد امرأته تقدم قربانًا لوالدها الحاكم والكاهن والد الإله ورئيس الأسرار في السماء وعلى الأرض وفي العالم السفلي، ومدير البيت العظيم لقصر «رعمسيس الثالث» في ضيعة «آمون» في غربي «طيبة»، والكاهن الأول «لآمون رع» ملك الإله «رعمسيس نخت».

وتدل شواهد الأحوال على أن هذا المنظر يرجع عهده إلى عهد «رعمسيس الرابع» أيضًا (راجع Porter and Moss I, p. 144).

ومن المحتمل جدًّا أن «رعمسيس نخت» أصبح في هذا العهد كاهنًا أول، وعلى أية حال فإن فترة توليته وظيفة الكهانة العليا كانت في عهد «رعمسيس الرابع» وأخلافه. ومن الجائز أنه قد تقلد وظيفة الكاهن الأكبر «لآمون» دون أن يصعد إليها تدريجًا على حسب النظام المتبع، والظاهر أنه لم يتعدَّ في ترقيته في سلك الكهانة وظيفة الكاهن والد الإله مثل «منخبر رع سنب»، ومثل «بتاح موسى» اللذين تحدثنا عنهما فيما سبق (راجع مصر القديمة ج٤، ج٥).

وهذه المرتبة كانت على ما نعلم كافية لأن تضفي على حاملها صفة الكهانة. على أن رقيه إلى أعلى مرتبة يصل إليها كاهن لم تنحصر فقط في أنه أصبح رئيس كهنة «طيبة»، والكاهن أعظم الرائين للإله «رع-أتون» في «طيبة»، بل منح كذلك اللقب العظيم رئيس كهنة الوجه القبلي والوجه البحري، فكان مثله في ذلك كمثل رؤساء كهنة «آمون» الأقوياء في عهد الأسرة الثامنة عشرة، وبعض الكهنة العظام في الأسرة التاسعة عشرة.

وقد كان متمتعًا بكل الحظوة الملكية، فكان يحمل لقب الأمين الكبير، والواقع أنه كان كاتم أسرار الفرعون مثل والده «مري باستت».

وكذلك كان مثله كمثل أعظم كهنة «آمون» الأول يحمل لقب مدير أعمال العمارة، وبتقلده هذه الوظيفة لم يكن يدير الأعمال الخاصة بالإله «آمون» في الكرنك وحسب، بل كان كذلك مثل أسلافه «حابو سنب» و«بتاح موسى» و«باكنخنسو» و«رومع روي» يدير كل أعمال العمارة في البلاد من مبانٍ ومقابر وتماثيل، مما كان الفرعون يأمر بإنجازها.

وقد كان المهندسون الكهنة في عهد الأسرتين الثامنة عشرة والعشرين، يقومون بإرسال البعوث إلى جبل السلسلة للبحث عن الأحجار اللازمة للمباني التي كانت تقام في المعابد وغيرها. ولكن «رعمسيس الرابع» فضل إرسال البعوث لاستغلال محاجر «وادي روان»، وهو المعروف الآن «بوادي الحمامات» حيث يوجد نوع من حجر «الشست» (حجر بخن الجميل) وقد أرسلت هذه الحملة للكشف كما ذكرنا من قبل في السنة الثانية من حكم هذا الفرعون، ولم يذهب الفرعون على رأسها كما يقول «لفبر» وغيره. وفي السنة التالية أرسل حملة حقيقية عظيمة بعض رجالها من جنود الحرب والبعض الآخر من العمال الفنيين، وقد بلغ عددها حوالي ٨٣٦٢ بما في ذلك الذين قضوا في أثناء الحملة، وقد بلغ عددهم ٩٠٠ رجل. وقد كان على رأسها — بأمر الملك — الكاهن الأعظم «لآمون» مدير أعمال الفرعون «رعمسيس نخت»، وقد كان يساعده كما قلنا من قبل مجلس أركان حرب يديره قائد تحت إمرته فرقة من المشاة يقول عنها «بركش»: إنها كانت مستعدة لخوض المعركة (راجع Brugsch, Die Aegyptologie p. 231).

وهذه الحملة كانت مجهزة بكل الأدوات اللازمة لجيش مستعد للقيام بحملة، فكان فيها المشرفون ورجال الخزانة ورجال الإدارة والأدلاء والحكام والمعدات، أما المفتنون في المناجم وقطع الأحجار والرسم والنحت، فقد بلغ عددهم حوالي ١٣٠ رجلًا تحت إدارة اثنين من مهندسي المناجم، وهما: «أمنوسى» و«باكنخنسو».

وقد ترك لنا أحد رجال هذه الحملة البارزين — وهو رئيس فرقة — لوحة كتبت باسمه في أسفل صخرة على حافة الطريق، وذكر فيها اسم «رعمسيس نخت» وسجل ذكرى حملته. وعلى الرغم من أن هذه اللوحة قد نقشت نقشًا خشنًا وأن المتن في بعض الأماكن يحتوي أخطاء فإنه في مجموعه ظاهر وهو: «السنة الثالثة، الشهر الأول من الفصل الثالث، اليوم السادس والعشرون … ذهب قائد العربة … «رعمسيس» (؟) ابن مدير البيت «مري زدت» لأخذ الأحجار من المكان الصحيح مع مدير الأعمال الكاهن الأول «لآمون رع» ملك الآلهة «رعمسيس نخت».»

وكان يتمتع هذا الكاهن الأعظم «لآمون» بنفوذ في «طيبة» ومصر، ولكن لا نجده يشغل أية وظيفة عامة غير وظيفة مهندس العمارة.

وقد حاول «فيل» أن يستنبط من «الإستراكون»[٦٦] التي في متحف القاهرة أنه كان وزيرًا؛ والواقع أن «رعمسيس نخت» لم يحمل هذا اللقب قط، كما أننا لم نجد هذا اللقب على أي أثر رسمي من الآثار التي تنسب إلى «رعمسيس نخت».

وقبر هذا الكاهن الأكبر كان محفورًا في تل «ذراع أبو النجا» وهو الآن مخرب تمامًا، وقد وجدت منه بعض بقايا يظهر منها أنه كان قد اغتصبه وزير «رعمسيس» التاسع المسمى «نب ماعت رع نخت».[٦٧]

(٥-٢) الوزراء

ذكرنا فيما سبق أن «رعمسيس نخت» رئيس كهنة «آمون» لم يكن يومًا من الأيام وزيرًا لهذا الفرعون ولا لغيره من ملوك هذه الأسرة.

نفررنبت

ذكرت هذه الشخصية بلقب وزير على عدة «إستراكا» كتب عنها «دارسي»، وقد جاء ذكره في عهد «رعمسيس الرابع» في السنة الثانية والرابعة والسادسة، ويقال كذلك: إنه من المحتمل كان في عهد «رعمسيس الخامس»،[٦٨] وكان يحمل لقب عمدة المدينة والوزير كالمعتاد ولكن في ذلك شك.

(٥-٣) مقبرة «أنحور خعوي» مقدم رب الأرضين في مكان الصدق في جبانة دير المدينة[٦٩]

وصف «لبسيوس» قبر هذا الموظف في أثناء البعثة التي قام بها في مصر لتدوين الآثار المصرية والنوبية.

غير أن هذا القبر بقي مطمورًا إلى أن كشف عنه في حفائر دير المدينة[٧٠] ثانية، وقد وجدت زخرفة القبر كلها مسودة بفعل النار، إلا أنه وجدت فيه مناظر غريبة لا تتفق مع الملخص الذي تركه لنا «لبسيوس»، وقد وجد متن كالشريط دائر حول المقبرة، ويمكن قراءة جزء كبير منه وفيه اسم «أنحور خعوي» ولقبه، فأصبح من المؤكد أن المقبرة له. وقد فحص ترتيب المقبرة ووجد أنه يتفق مع التخطيط الذي وضعه «لبسيوس»، غير أن القبر لا يزال يحتاج إلى تنظيف، وعلى أية حال فإن المزار الذي وصفه «لبسيوس» قد عثر عليه ثانية وكذلك حجرة الدفن والضريح، وهاك وصف المزار كما جاء في «لبسيوس» لما لهذه المقبرة من الأهمية من الوجهتين الدينية والاجتماعية معًا كما سنبين ذلك بعد.

القاعة: يشاهد على يمين الداخل المتوفى بشعر متموج مرتديًا جلد فهد مقدمًا البخور لملوك الأسرة الثامنة عشرة، أو لبيت الملك «أمنحتب الأول» في صفين، ولكن ترتيب الصف الثاني بقي لغزًا.



شكل ٥



شكل ٦: الرسام «حوي».

والظاهر أن هؤلاء الملوك الذين رسموا هنا كانوا مؤلهين عند الشعب المصري في تلك الفترة، وقد مثلوا في مقبرة «أنحور خعوي» في صفين بالترتيب التالي:

(١) «أمنحتب الأول». (٢) «نب بحتي رع» (أحمس الأول). (٣) الملكة «أعح حتب». (٤) الملكة «مريت آمون». (٥) الملكة «سات آمون». (٦) الملك «سا آمون». (٧) الملك «سات كامس». (٨) الملكة «حنت محيت». (٩) الملكة «تاو سرت». (١٠) الملكة «أحمس». (١١) الطفل «أوزير سابا إير».

وفي الصف الثاني (١) الملكة «أحمس نفرتاري» وطغراؤها مهشمة، ولكن يمكن التعرف عليها بلونها الأسود. (٢) الملك «بحتي من رع». (٣) الملك «نب خرو رع». (٤) الملك «أمنحتب». (٥) الملك «سقنن رع». (٦) الأمير «وازمس». (٧) الملك «حقا ماعت رع ستبن» (رعمسيس الرابع). (٨) ملك مهشم اسمه … (٩) الملك «عاخبر وكارع»، وخلفهم الكاتب الرسام «حوي» يخط على لوحة بقلمه، وقد مثل راكعًا وجالسًا على منصة بصورة تلفت النظر (انظر الشكل ٥ و٦). والواقع أن صورة هذا الرسام تكاد تكون منقطعة النظير في كل الآثار المصرية، إذ إنها خارجة عن حد المألوف، فقد صور بشعر طويل مسدل على ظهره وصدغيه، ومشط قدمه ظاهر تمامًا بصورة واضحة، يضاف إلى ذلك أن لون جلده لم يكن عاديًّا، إذ صور باللونين الأحمر والأصفر، هذا إلى أن الإنسان إذا قرن بين هذه الصورة الراكعة والصور الأخرى الراكعة المعتادة في الفن المصري وجد الهوة سحيقة بينهما. وقد قرن الأستاذ «شيفر» هذه الصورة بصورة أخرى مماثلة لها مرسومة على قطعة من الحجر الجيري، عثر عليها بجوار هذا القبر وهي الآن «بمُتحف برلين» (انظر الشكل ٦) وقد قال عنها: إنها ليست رسمًا تخطيطيًّا للصورة الأصلية،

وليست كذلك منقولة عن الصورة الأصلية. والواقع أن المثالين العظام الذين كانوا تحت إشراف الرسام عادة هم الذين كانوا يرسمون الصور على الجدران في المقابر أو المعابد[٧١] التي في جبانة طيبة، وهي التي كانوا يشتغلون فيها لأغراضهم الفنية على قطع من الحجر الجيري، ولكن هذه الصور كانت ترسم رسمًا تخطيطيًّا مما دعا الأستاذ «شيفر» إلى الظن بأنها صورة من الذاكرة، وأنها بعيدة عن الأصل. ولكن ثمة حل آخر وهو أن الرسام قد رسم تصميمه وهو بعيد عنه، ولما لم يكن في هذه الحالة مقيدًا بقواعد فمن الجائز أنه قد غير فيه على حسب ذوقه. وعلى أية حال سواء أكان التفسير الأول أو الثاني هو المقبول، فإن الفصل في ذلك متوقف بطبيعته على الصورة والأصل، وهل الأصل فريد في بابه كما هي الحال في مقابر الملوك حيث نجد الأصل أمامنا، ومنه نقلت صور في مقابر متعددة للملوك؟

والواقع أننا نجد أن التخطيط مغاير بعض الشيء للصورة الأصلية على حسب ذوق الرسام، ومن هذا القبيل التخطيط الذي عثر عليه من عهد الرعامسة للرسام «حوي» بالقرب من الدير البحري، وهو الذي وضع بجوار الصورة الأصلية (انظر الشكل ٥، ٦).

وهذه الصورة موجودة في القبر الذي نحن بصدده الآن وهو قبر «أنحور خعوي»، الذي عاش في عهد «رعمسيس الرابع» كما ذكرنا، وهي صورة المثال الذي رسم كل صورة من صور هذا القبر، ومن التوقيع الذي تركه لنا نعلم أن التخطيط الذي وجد على قطعة «الإستراكون» — التي عثر عليها بجوار هذا القبر — يمثله أيضًا لأنه باسمه، والفرق بين الصورتين هو أنه في الصورة الأصلية التي على جدار المقبرة نجد أن الرسام رسم على لوحة في حين أنه في الصورة التي على «الإستراكون» يشاهد وهو يغمس قلمه في محبرة، ويكتب أو يرسم على ورقة في حجره، ويلاحظ كذلك أن المنضدة لا توجد في النسخة التي يجلس عليها «حوي»، كما نلاحظ بعض تغير عن الأصل في جلسته وكذلك في الثوب ذي الثنايا التي لا توجد في الثوب الأصلي وكذلك في وصف الشعر، هذا ويلاحظ فرق في تصوير القدم في كلتا الصورتين. والواقع أن الفرق عظيم بين الأصل

والتقليد، حتى إن المرء لا يشك بحق في أن الصورتين لا تمثلان شخصًا واحدًا بعينه لولا أن توحيدهما قد أكد كتابة، فقد جاء على النسخة المصورة على قطعة الحجر الجيري: «الأمير الوراثي وكاتب الملك «حوي».» وكذلك تحمل هذا الاسم الصورة التي مثلت في قبر «أنحور خعوي»، وبهذا يكون ما اقترحه «لبسيوش» في تكملة الحرف الممحو حق. والواقع أن كلمة «ربعتي» كانت تطلق غالبًا في هذا العهد على ولي العهد، غير أنه كان يستعمل كذلك لقب شرف؛ وهذه هي الحالة هنا لأن «حوي» كان على ما يظهر يحتل مكانة علية، ولا يبعد أنه كان قد حظي بهذا اللقب، إذ كان يرسم للفرعون القطع الفنية الفريدة.

والرسام «حوي» قد عاصر كلًّا من «رعمسيس الثالث» و«رعمسيس الرابع» في «طيبة»، حيث كان يقوم بأعمال الرسم والتصوير في جبانة «طيبة» وغيرها، وبخاصة المقبرة العظيمة التي نحن بصددها الآن. على أن قيمة هذا المفتن لا يمكن تقديرها من رسوم هذه المقبرة، بل صورته التي رسمها لنفسه وهي كما قلنا نسيج وَحْدِها. ومن كيفية تصوير شعره المرسل طبعيًّا، ومن إظهار أخمص القدم في الرسم نعلم أن هذه النزعة ترجع إلى عهد بداية الدولة الحديثة، حيث كانت محاكاة الطبيعة تلعب دورًا هامًّا، وهذا الأسلوب الحر الذي مكن رسام إستراكون «برلين»، وجعله يشتط عن الأصل في بعض النقط لم يجعله يحيد عن التمسك بإظهار الأجزاء البارزة في الصورة وهي الشعر الطبعي المرسل والقدم بصورتهما الأصلية، سواء أكانت صورة منقولة عن الأصل أم كانت قد رسمت من المخيلة، وعلى كل حال فإنه يلاحظ في الصورتين أن الوضع قد تغير، ولكن الجوهر قد بقي محفوظًا فيهما مما يدل على أنهما من يد مفتن واحد ولمفتن واحد بعينه.

نعود بعد هذا إلى إتمام وصف المقبرة فنقول: إن آخر ملك يدعى «تحتمس الرابع»[٧٢] ورابع أمير في هذه القائمة اسمه لا يمكن التحقق منه.

وعلى الجدار الخلفي كانت توجد صورة للإله «أوزير». وعلى الجدار الأيسر مُثل المتوفى واقفًا ومعه أخته، وقد نقش فوقهما: «التعبد لك يا رب الأبدية، يا «أوزير» يا حاكم الخلود لروح «أوزير» مقدم العمال في مكان الصدق «أنحور خعوي» المرحوم أبديًّا، وأخته ربة البيت مغنية «آمون رع» ملك الآلهة، «وعبت» المبرأة، وابنه ومحبوبه الخادم في بيت مكان الصدق «قننور» المبرأ، وابنه «حورامس»، وابنه «أنحور خعوي»، وابنه «باثري».»

وعلى الجهة اليسرى يشاهد المتوفى وزوجه يتسلمان القربان من أولادهما، وتحتوي على أزهار ومرآة وأدوات أخرى، وقد كتب فوق الرجل وزوجه ما يأتي: ««أوزير» مقدم العمال في مكان الصدق، ومدير الأعمال في «الأفقين بيت الأبدية» وصانع تماثيل الآلهة كلها في بيوت الذهب «أنحور خعوي» المبرأ، وأخته ربة البيت، ومغنية آمون «وعبت» المبرأة وأمامهما ذكرت أسماء أبنائهما وبناتهما، وهي ابنه محبوبه خادم مكان الصدق «قنن حور» المبرأ أبديًّا، وابنه خادم مكان الصدق «حورامس» المبرأ، وأخته «شري رع»، وابنته «توي» (؟) وابنته «تاوحمت»، وابنته «نفرتاري محب» المبرأة، وابنته «مرسجرت» وأخته ... محبوبته ... وأخته «نفرتاري» المبرأة وابنته محبوبته «نبومحب» المبرأة، وابنته محبوبته «تابدت إن» المبرأة.»

وعلى اليسار من ذلك يجلس المتوفى وزوجه في محراب وأمامهما روحان في صورة طائرين، وعلى اليسار متن مؤلف من أحد عشر سطرًا عمودية تبتدئ هكذا: «قربان يقدمه الملك «لرع» و«أنحور» و«تحوت» و«ماعت» و«وننفر» رب الغفران، وللثلاثين بحارًا أتباع «حور» و«لحور» لأجل القربان، وللإله «حقاوت رجو» و«سيا» ليجعلوني أدخل إلى ساحة الثلاثين، وأصير إلهًا بين الثلاثين بحارًا، وأصير بالقرب من «محن» (الثعبان العظيم الذي يكون مع إله الشمس في سياحته في عالم الآخرة).»

وبعد ذلك نشاهد المتوفى يجلس إلى مائدة قربان وأمامه نقش ذكر فيه اسمه واسم زوجته وابنه «حورامس»، ثم يتلو ذلك من جهة اليسار: المتوفى جالسًا وأمامه نقش آخر بعضه مهشم ذكر فيه بعض أولاده وألقابهم. وممن لم يرد ذكرهم قبل ذلك: ابنه خادم مكان الصدق «حونرا» المبرأ.

وفي الصف الأسفل من هذا يظهر أولًا من جهة اليسار من كومة قمح المتوفى وزوجه صورة طفل من نبات القمح الذي أخرج شطأه، ويصحب هذا المنظر المتن التالي: ««أوزير» مقدم العمال في بيت الصدق في طيبة الغربية، ومدير الأعمال في الأفقين أبديًّا «أنحور خعوي» المبرأ، وزوجه ربة البيت الممدوحة من «حتحور»، و«عبت» المبرأة، وابنها محبوبها «أنحور خعوي» المرحوم الذي يسمى «أريو» المبرأ.»

وعلى اليسار من صورة المتوفى وزوجه يشاهد أحد أبنائهما يقدم القربان ومعه المتن التالي: «ابنه كاهن رب الأرضين «حقا ماعت رع ستبن» (رعمسيس الرابع) معطي الحياة «آمون حرحعب» ... «سيتي» ... حامل الصاجات في بيت الصدق «بامحدق» المبرأ، وابنه «نب أمنت» المبرأ، وابنه رسام بيت الصدق «مين حور» المبرأ.»

وعلى اليمين يجلس ثانية المتوفى وزوجه وأمامهما اثنان آخران من أولادهما يقربان:

(١) إطلاق البخور من يد ابنه خادم مكان الصدق «آمون محب رع»، وأخته ربة البيت «حنت شنو» المبرأة، وابنه «تنرامنت».

(٢) «أوزير» مقدم بيت الصدق «أنحور خعوي» المبرأ، وأخته ربة البيت «وعبت»، ووالدها «أوزير» مقدم بيت الصدق «آتي» (؟) والده مقدم بيت الصدق ... (؟)

وعلى اليمين من ذلك يجلس المتوفى على قارب «؟» وقد نشر أمامه بردية وكتب فيها: فصل في الكلام عن السياحة في النيل إلى «العرابة»[٧٣] في يوم السفر بالشراع في أول فصل الزرع، اليوم السابع عشر، وأنه «أوزير» مقدم بيت الصدق «أنحور خعوي» المبرأ ومعه زوجه ربة البيت

«وعبت» المبرأة. وستعطى مكانًا في إقليم ... ابنه «قننا»، وابنه محبوبه «حورامس»، وابنه «آمون باحعب»، وابنه «سيتي»، وابنه «بامحدق»، وابنه «نب آمون».

ويلاحظ في هذا المتن توحيد «آمون» بالنيل في اسم ابن المتوفى «آمون باحعب» مثل «آمون رع»، وكذلك يلاحظ ظهور اسم الإله «ست» في هذا العصر.

وفي الشمال من الحجرة الأولى المقببة باب ضيق بابه مقبب، وكذلك مخرج ضيق يؤدي إلى حجرة ثانية مقببة كذلك، وفي السقف خارجة من الخشب غير أنها قد سقطت على الأرض.

وعلى المدخل الضيق يشاهد المتوفى واقفًا على الجهة اليسرى، وعلى اليمنى زوجه وكلاهما يتجه نحو الداخل، وفوق المتوفى نقش متن يخاطب فيه الإله «خبري» (الشمس عند الشروق) والآلهة الآخرين؛ وخلفه يشاهد ابنه «حورا مين» وفي يده لوحة، وفوق زوجته نقش وخلفها بنتها «نفري محب» ومعها صاجات. وفي داخل الحجرة الثانية يشاهد قرص الشمس مهشمًا، وما تبقى منه زاهي اللون ومصنوع بعناية فائقة ومزين بزينة فخمة، وعلى اليمين يشاهد «أمنحتب الأول» وعلى اليسار الملكة السوداء «أحمس نفرتاري» لونت باللون الأسود؛ للدلالة على أنها محنطة وفي عالم الآخرة[٧٤] وكلا الصورتين الآن في برلين،[٧٥] والجداران الطويلان يشتمل كل منهما على ثلاثة صفوف من المناظر يظهر أنها رتبت من أسفل إلى أعلى.

الجانب الجنوبي الغربي، الصف الأسفل من الجهة اليسرى: يشاهد المتوفى وزوجه جالسين على اليمين، وفي يد المتوفى الصولجان «سخم» ومعه المتن التالي: «أوزير رئيس العمال في مكان الصدق، ومدير الأعمال في «الأفقين أبديًّا» (اسم مدينة هابو) وصناع تماثيل الآلهة كلهم في بيت الذهب «أنحور خعوي» المبرأ أمام «سكرتي» (إله الآخرة) وأخته ربة البيت، ومغنية «آمون رع» رب تيجان الأرضين «وعبت» المبرأة، وابنه محبوبه الكاهن المطهر للإله «بتاح» في كل الأماكن الجميلة «قننا» المبرأ.» وأمام المتوفيَيْن ثلاثة من أولادهما: الأول يقدم قربان ماء ويطلق

البخور، والثاني يقدم قربانًا، والثالث يرفع يده، وأسماؤهم هي: ابنه «أنحور خعوي» المبرأ، وابنه «كام بحتوف منت» المبرأ، وابنه «أنحور خعوي» المبرأ في سلام.

وعلى اليمين من ذلك يجلس المتوفى ثانية ومعه زوجه، وقد كتب معهما اسماهما وذكر خلف المتوفى ابنه «حورامس»، ونقش أمام اسمه المتن التالي: «إضاءة المصباح «لأوزير» (في يوم وفاته وفي أعياده).» ويلاحظ هنا أن المتوفى نفسه معه إناء قربان، وقد نصبت أمامه مائدة عليها هرم صغير أبيض فيه خطوط حمراء، وأعلاه مشتعل، وهذه هي الشعلة التي تحدثنا عنها في الجزء السابع، ووقف أمام المتوفى وزوجه ستة من أبنائهما يقدمون القربان …

(١) الكاهن المطهر للإله «بتاح» في أماكنه الجميلة كلها «قننا» المبرأ.

(٢) ابنه الرسام في الأفقين إلى الأبد «حورمين» المبرأ.

(٣) ابنه خادم مكان الصدق المبرأ «أمنمحب».

(٤) ابنه خادم مكان الصدق «حورامس» المبرأ.

(٥) أخته خادمة مكان الصدق «حاييت».

(٦) أخوه خادم مكان الصدق «بوكشوف».

(٧) أخوه الكاهن المطهر لرب الأرضين «باسشمون» (؟).

(٨) أخوه حامل الصاجات (؟) في مكان الصدق «قحا».

وفي آخر الصف يجلس المتوفى وزوجه وفي يده الصولجان «سخم» وخلفه كتب اسم ابنه «قننا»، وخلف اسم زوجته نقش: ابنتها «نفرتاري» المبرأة، وابنتها محبوبتها «تانزمت خايت»، وابنتها محبوبتها «تب أمحب»، وابنتها «قوي» المبرأة سرمديًّا.

ويشاهد أمامهما خصي عريان يضرب على العود، ونقش خلفه نقش طويل نسبيًّا وهو: «ما قاله المقرب من «أوزير» كبير عمال «بيت الصدق» «أنحور خعوي» المبرأ:

أقول: إني حاكم وإني رجل محق لدرجة عظيمة ... وإني أصنع تماثيل الإله كما صوِّر في الفرج؟»

وفي الصف الأوسط[٧٦] من جهة اليسار يشاهد المتوفى راكعًا، ورافعًا يديه أمام زهرة البشنين المقدسة مخاطبًا إياها: «الصلاة لك يا زهرة البشنين (١) الخارجة من المحيط الأزلي (نون) والتي في أنف «رع» إني آتي إليك لأنظر جمالك.» (٢) وكذلك يشاهد المتوفى حليق الرأس أمام ثلاثة آلهة برأس أولاد آوى راكعين، وكل منهم إحدى يديه على صدره والأخرى مرفوعة (وهؤلاء هم الآلهة المعروفون بأرواح نخن) وقد كتب فوقهم النقش التالي: «كلام يقوله «أوزير» (أنحور خعوي) ... إلخ. يقول: الصلاة لوجوهكم يا أرواح «أمنتي خنتي» (أول أهل الغرب) التابعين «لرستاو» (عالم الآخرة) ليتهم يجعلونني أدخل مع الثعبان «محي» (وهو الثعبان الذي يحرس الشمس في سياحتها في عالم الآخرة) إلى كهفي، وتبرد أعضائي ... إلخ.» وأخيرًا كتب خلف المتوفى وزوجه اسم ابنته «شري رع» المبرأة (٣) ثم يرى بعد ذلك المتوفى يتعبد للطائر الأخضر «بنو»: فصل في أن يصير الإنسان في صورة الطائر «بنو»، ويدخل ويخرج بوساطة «أوزير» ... (٤) الإله «أنوبيس» يقبض على إناء صغير بالقرب من أنف مومية المتوفى، وقد كتب خلف «أنوبيس»: «فصل في إعطاء قلب «أوزير» ... ليكون من أتباع الإله «سكرتي» في يوم عيد الطواف حول ... ليأكل الخبز في حقول «يارو» (أي حقول الجنة) وليشرب الماء من بحيرتها (٥) المتوفى أمام الصقر الذهبي يقول: الصلاة لوجه «حور» الذهبي.»

(٦) صورة أرنب غريب بذيل طويل كالأسد، لسانه بارز ويقبض بمخلابه الأيسر على سكين ويذبح بها ثعبانًا عظيمًا تحت شجرة خضراء، وفاكهتها حمراء، وقد نقش عليه المتن التالي:

«فصل في إبعاد العدو عن المكان الذي فيه «أبوفيس»؛ ليكون هذا الإله (أي رع) في عيد مع بحارته، والآلهة الذين يأتون بالقرب منكم؛ وليصير القلب مبرأ بوساطة «أوزير» رئيس العمال في مكان الصدق بطيبة الغربية: «أنحور خعوي» وزوجه «وعبت» … عمله أخوه الكاتب في (الأفقين أبديًّا) «حورامس».»

وعلى يمين هذا المنظر منظران آخران الواحد فوق الآخر، وقد وضع على أعلاهما شبكة نقش فوقها: فصل في الخروج بالأحبولة بوساطة «أوزير» … وفي أسفل هذا يقف رجل مرتدٍ ملابس بيضاء ممسك بقضيب طويل ومعه المتن التالي: ««أوزير» مقدم العمال في مكان الصدق «نخت موت» المبرأ، وابنه «خنسو» المبرأ.»

الصف الأعلى

(١) يشاهد المتوفى مرتديًا ملابس بيضاء ممسكًا بقضيب طويل، وقد وقف أمام بيت أبيض ترسل الشمس أشعتها عليه، ومعه المتن التالي: «فصل في الخروج نهارًا» … إلخ (وهذا الفصل من كتاب الموتى بتلاوته يمكن المتوفى أن يخرج نهارًا؛ ليتمتع بضوء الشمس ثم يعود إلى قبره في أثناء الليل) بوساطة «أوزير أنحور خعوي» وزوجه ربة البيت «وعبت».

(٢) منظر ثانٍ قُسم قسمين: يجلس في القسم الأعلى المتوفى وزوجه في قارب، وعند السكان يقف ابنه «أنحور خعوي» المبرأ، وأمام القارب النقش التالي: «فصل في السياحة في النهر صعودًا بوساطة «أنحور خعوي» …»

وفي الصف الأسفل يشاهد جعران كبير يقبض بفمه على عقد كبير، ومعه المتن التالي: «هذا فصل في أن تصير في أية صورة تحبها بوساطة مقدم العمال في بيت الصدق «أنحور خوي» …»

(٣) المتوفى يقوده الإله «تحوت» إلى «أوزير» ومعه المتن التالي: ««أوزير» رب الأبدية وحاكم الآخرة «وننفر خنتي أمنتي» (أول أهل الغرب) و«تحوت» رب البلاغة وكاتب الصدق

«لرع».»

فصل في النزول إلى محكمة «أوزير» بوساطة مقدم عمال بيت الصدق «أنحور خعوي» المرحوم: «إن «أوزير» قد برأني من عدوه على يد «تحوت» ملك الأبدية، وبرأني أمام عدوه مما يقوله عندما يقترب من الغرب في الجبانة العظيمة.»

(٤) ذكر هنا مناداة قاضي الأموات فقط.

(٥) يشاهد المتوفى يقوده إله برأس قرد إلى حوض مستطيل أسود في وسطه ماء أحمر يجلس فيه قرد أليف ينادي المتوفى قائلًا: «الصلاة لآلهة جزيرة النار.» (المكان الذي تولد فيه الشمس يوميًّا).

ويلاحظ هنا أنه كان من عادة القردة — ولا تزال — تصيح عند طلوع الشمس وعند غروبها، كأنها ترحب بالإله «رع»، وهذه الظاهرة يمكن ملاحظتها في غابات أواسط أفريقيا حتى الآن.

وفوق هذا المنظر نشاهد سفينة محلاة برأس صقر يحمل قرص الشمس المُحلى بصلٍّ، وفي الأسفل قارب ومعه الآلهة: «إزيس» و«تحوت» و«خبري» و«حور» و«أوزير» مقدم العمال …

(٦) صورة أربعة أقاليم للعالم السفلي (١) الإقليم الأول والثاني والثالث والرابع كل باسمه.

الجهة الشرقية الشمالية: الصف الأسفل من جهة اليمين

(١) يجلس المتوفيان على كرسي، وقد كتب خلف اسميهما اسم إحدى بناتهما: ابنته «شري رع» المبرأة.

(٢) وقد كتب خلف اسم المتوفى اسم أخته وابنته «شري رع» و«توي»، وقد كتبتا بصيغة المذكر بدلًا من المؤنث (ابنه بدلًا من ابنته) وأمامه يأتي صف ممن يقربون القربان إليه (١) الأول يلبس جلد فهد في يده إناء يصب منه الماء وهو الرسام في بيت الصدق «حورا مين» المبرأ الذي يعمل رسامًا «لآمون»، وبعد ذلك يأتي (٢) خادم مكان الصدق «قني مين» المبرأ (٣) خادم بيت

الصدق «نت آمون» المبرأ (٤) خادم بيت الصدق «حايت» المبرأ (٥) خادم بيت الصدق «أمنمانت» (٦) خادم بيت الصدق «حورا» المبرأ (٧) ابنه «مين خعوي» الكاهن المطهر المرتل لكل الآلهة … (٨) وأخته ربة البيت «حنت خنو» المبرأة (٩) خادم مكان الصدق الكاهن المطهر لرب الأرضين «نفرحتب» المبرأ (١٠) أخته ربة البيت «توي» المبرأة (١١) خادم مكان الصدق «نفرحتب» المبرأ (١٢) مغنية «آمون رع» رب تيجان الأرضين «تاحم شو» المبرأة (١٣) أختها مغنية «آمون-رع» ملك الآلهة «نفرتاري» المبرأة (١٤) ابنته «حنت رو» المبرأة (١٥) ابنتها «تاورت» المبرأة (١٦) ابنتها «تاخت-تم تاشن»؟ (١٧) «تاسز مونست» المبرأة أبديًّا (١٨) مغنية «آمون» «تانت بسي»[٧٧] المبرأة (١٩) ابنتها «تاحنوت» المبرأة.

وبعد ذلك يشاهَد المتوفيان جالسين ومعهما طفل على الشمال، وخلف اسميهما كتب اسم أولاده «قننا» و«حورامس» و«أنحور خعو» و«آمون باحعبي».

وفوق الطفل الذي مثل في صورة عذراء كتب ما يأتي: ابنة ابنه «عنقت ثانختت» وعلى حجر المتوفى يشاهد طفل آخر يلعب وهو: ابن ابنه «أنحور خعوي» وأمام المتوفى تقف كذلك عذراء: ابنة ابنه «باك بتاح» المبرأة.

وكذلك تجلس على الأرض طفلة: ابنة ابنه «حنت وعت» المبرأة.

هذا إلى قرابين تقدم للمتوفين: الكاهن الأول للإلهة «أوزير» «أمننختو» المبرأ أبديًّا. الكاهن المطهر للإله «بتاح» في الأماكن الجميلة كلها «قننا» المبرأ. ابنه الرسام في بيت الصدق وصانع التماثيل لكل …

فصل … (؟) أخته ربة البيت مغنية «آمون رع» ملك الآلهة «مري آمون دواو» المبرأ، ابنتها «حنت نترو» المبرأة.

ابنها «حورا» المبرأ، ابنتها «إزيس» المبرأة ربة سرور القلب في راحة.

وسط الصف من اليمين

(١) الإلهة «حتحور» ممسكة بساق بردي (وهو النبات الذي كانت تمسك به الإلهات خاصة «حتحور» القاطنة في طيبة سيدة ضيعة العدالتين في طيبة) …

(٢) المتوفى أمام ثعبان ضخم … الصلاة لوجهك يا «ساتا» (اسم الثعبان) الذي يخرج من المحيط الأزلي هذا الوارث للإلهة «أوزير» …

(٣) المتوفى أمام ثلاثة من أولاد آوى: أولاد آوى الأربعة الذين يجرون السفينة (سفينة الشمس).

(٤) مومية المتوفى وأمامها إله برأس صقر، ويضع في أنفه آلة لفتح الأنف ومعه المتن التالي: «فصل في فتح فم «أوزير» … إلخ مقدم عمال مكان الصدق … إن فمك يفتح. وفتح فمك بوساطة «بتاح» … وفتح «حور» فمك وفتح لك عينيك.» (علامة على الإحياء ثانية بعد الموت وهذه كانت شعيرة متبعة).

(٥) المتوفى يجلس أمام رمز الروح: «فصل في إحضار الطعام من حقول «يارو» … فصل في بداية الطريق إلى عالم الغرب الجميل.»

وهذه كانت شعائر تعلم للمتوفى بعد الموت والغرض منها بقاء المتوفى حيًّا في عالم الآخرة.

(٦) الصقر الذي على علامة الغرب. فصل في أن يصير الإنسان مثل الآلهة الذين هم فيها (الآخرة) «أوزير».

ومن هذا القبر عثر على قطعة من جدار عليها رأس إنسان وهو المتوفى صاحب المقبرة، وكذلك بقايا متن ديني وهي الآن بمتحف برلين (رقم ١٦١٩).

تعليق على مقبرة «أنحور خعوي»: تعد مقبرة «أنحور خعوي» من أهم المقابر التي كشف عنها حتى الآن في عهد الفرعون «رعمسيس الرابع» إذ تضع أمامنا صورًا عن بعض نواحي الحياة في تلك الفترة الغامضة من تاريخ أرض الكنانة من الوجهة الاجتماعية والإدارية والدينية والفنية،

فنجد في الرسوم التي خلفها لنا «أنحور خعوي» صورة صادقة عن ارتباط صاحب المقبرة بأسرته، فهو يصحب زوجه في كل المناظر التي صورها على جدران المقبرة ويسميها بأخته، ولم تذكر لنا في النقوش كلها بلفظ زوجة قط.

والألقاب التي كان يحملها هي:

(١) مقدم عمال بيت الصدق. (٢) مدير الأعمال في «الأفقين أبديًّا»، وهو اسم يطلق على معبد مدينة «هابو».

(٣) وصانع تماثيل الملوك كلها من بيوت الذهب، (وقد تركت لنا صور الملوك الذين صنعت تماثيلهم على يد المفتن «حوي» في المقبرة).

أما زوجه «وعبت» فكانت تحمل الألقاب التالية: (١) ربة البيت، (٢) مغنية «آمون رع» رب تيجان الأرضين، (٣) المقربة من الإلهة «حتحور».

أما أولاده الذكور فكل منهم كان يذكر بوظيفته، فمنهم الخادم في بيت «مكان الصدق»، وهو اسم يطلق على جبانة «طيبة» في دير المدينة في ذلك الوقت.

وكان منهم كاهن رب الأرضين أي: «رعمسيس الرابع» والرسام في بيت الصدق «حورمين». وكاهن الإله «بتاح» في أماكنه الجميلة كلها «قننا» والرسام الكاتب في الأفقين أبديًّا «حورامس» والكاهن والمرتل لكل الآلهة.

وكذلك ذكرت بناته وكان منهن من تعمل كاهنة كما ذكر إخوته وأخواته، وكان معظمهم يتقلد وظائف فنية ودينية عظيمة.

ويلاحظ عند ذكر أولاده أن بعضهم كان يتميز عن البعض الآخر، فقد كان ينعت بأنه ابنه محبوبه أو ابنته محبوبته.

يضاف إلى ذلك أن بعض أحفاده قد صور وهو يداعبه، فنشاهده يجلس أحدهم على حجره والآخر يلعب أمامه، مما يدل على أن «أنحور خعوي» وزوجه قد بلغا من العمر أرذله.

(٢) والظاهر من معظم الوظائف التي كان يحملها أولاد «أنحور خعوي» وإخوته وأخواته أن عددًا عظيمًا منهم كانوا يسكنون في الجهة الغربية، إذ كانت معظم هذه الألقاب تنحصر إما في الأعمال الإدارية الخاصة بجبانة دير المدينة، أو أعمال الكهانة الخاصة بالملك والإله «آمون» و«بتاح» رب الصناعات والحرف.

(٣) أما النقوش الدينية التي نشاهدها على جدران هذه المقبرة، فتنحصر أولًا في عبادة الملك «أمنحتب الأول» وأمه «أحمس نفرتاري»، وهما اللذان كانا يعدان الحاميين للعمال الذين أقاموا لأنفسهم قرية يسكنون فيها قريبة من عملهم كما فصلنا القول في ذلك. وقد مثل لنا المصور «حوي» الذي رسم مناظر هذه المقبرة الملوك المؤلهين في هذه الجبانة، وهم الذين ينسبون إلى أسرة «أمنحتب الأول». وتدل الصورة الملونة التي تركها لنا للملك «أمنحتب» ووالدته على جدران هذا القبر بالألوان الفنية الفخمة على ما كان لهما من مكانة في نفوس الشعب، وهي محفوظة الآن بمتحف برلين؛ هذا بالإضافة إلى صورة المفتن «حوي» التي تركها لنا على جدران هذه المقبرة، إذ قد مثل نفسه بصورة فريدة تمثل لنا الفنان الحديث بشعره المسدل ولباسه الفضفاض وجلسته الخاصة، وهو يرسم صور الملوك الذين صورهم أمامه، وهي صورة منقطعة القرين في الفن المصري (انظر الشكل ٥، ٦).

وتدل النقوش الدينية كذلك على أن عبادة الآلهة «آمون» و«بتاح» و«أوزير» كانت هي العبادة السائدة في تلك الفترة، فالإله «آمون» كان إله الدولة الأعظم كما كان في أوائل الأسرة الثامنة عشرة، وقد وحد بالإله «رع» أقدم الآلهة، وصار اسمه «آمون رع». أما الإله «بتاح» فكان بطبيعة الحال من الآلهة الممتازين في القسم الغربي من طيبة في مدينة العمال؛ لأنه رب

الصناعات والحرف، وكان الإله «أوزير» إله الآخرة الذي يرجع إليه مصير كل فرد أو ملك، وله منزلة خاصة في نفوس الشعب عامة.

ومما تجدر ملاحظته هنا أننا نجد ظاهرة جديدة بارزة في عهد «رعمسيس الرابع»، وهي توحيد إله النيل بإله «أوزير» كما جاء في قصيدته المشهورة؛ وهذا أمر طبعي لأن «أوزير» كان قد مات ثم عاد إلى الحياة «ثانية» كالنبات، وكذلك النيل فإنه يفيض ثم ينخفض وبه يحيا النبات ثم يموت إذا غاض ماؤه.[٧٨]

ولكن الغريب أن إله «آمون» قد وحد كذلك بإله النيل «حعبي»، ويمكن تفسير ذلك بأن الإله «آمون رع» يمثل إله الشمس، فهو يشرق في عالم الوجود في أثناء النهار ويضيء العالم، ثم يغيب في الغرب في عالم الأموات. وكذلك النيل يفيض فيغمر الأرض بخيره ويغيض فتجدب الأرض وتموت، ثم يعود ثانية إلى الظهور والخصب وهكذا. هذا فضلًا عن أن الإله «آمون» قد أضاف لنفسه صفات كل الآلهة الآخرين في تلك الفترة من تاريخ البلاد.

وقد ذكر من بين الآلهة الإله «تحوت» كاتب العدالة، وهو في الواقع وكيل الإله «رع» ورب العلوم والبلاغة والمواقيت.

وقد استعمل «أنحور خعوي» في نقوش قبره بعض فصول كتاب الموتى وكتاب الطريقين وكتاب البوابات، كما نشاهد ذلك في مقابر الملوك وبخاصة فصل الخروج من القبر في رابعة النهار، وذلك أن المتوفى كان دائمًا يحب أن ينفي عن نفسه صفة الموت والتزام ظلمات القبر، فكان يكتب كتابة خاصة على بردية أو على جدران القبر؛ ليتمكن بتلاوتها من الخروج إلى عالم الدنيا والعودة ثانية إلى قبره ليلًا عندما يريد. وكذلك دوَّن فصلًا للقضاء على الثعبان «أبوفيس»، الذي كان أكبر عدو لإله الشمس في سياحته السماوية، وكان المتوفى دائمًا — في تلك الفترة من تاريخ البلاد

الديني — يرغب في أن يكون أحد أتباع إله الشمس في سياحته من الشرق إلى الغرب ومن الغرب إلى الشرق يوميًّا، وقد كان هذا الشرف للملوك فقط غير أنه قد أصبح حقًّا مشاعًا لعامة الشعب.

وكذلك نجد المتوفى قد كتب فصلًا لإحضار الطعام له من حقول «يارو»، التي كانت بمثابة جنة المأوى، كما كتب فصلًا آخر لتسهيل الطريق إلى الآخرة ليكون مثل الآلهة الذين فيها. وأخيرًا نجده قد دوَّن فصلًا آخر يمكنه بقراءته أن يتشكل بأية صورة يريدها، وفي النهاية يكتب تعويذة يصبح بها في صورة الطائر «بنو» (الروح) ليمكنه أن يدخل إلى قبره ويخرج منه في أي وقت أراد.

ولدينا في هذه المقبرة كذلك فصل أو تعويذة يمكن المتوفى بتلاوتها أن يسترد قلبه ويسير في ركاب الإله «سكر» (إله الآخرة وهو صورة من «أوزير») في أعياده وأن يأكل مما تنتجه حقول «يارو»، ويشرب من ماء بحيرتها. ثم نجد المتوفى هنا لا ينسى ساعات ملاهيه، فيكتب فصلًا عن الصيد بالشباك في عالم الآخرة كما كان يعمل في عالم الدنيا.

ومن المراسيم التي بقيت مستعملة حتى هذا العهد زيارة مومية المتوفى «العرابة المدفونة»، التي فيها قبر الإله «أوزير»، فقد كانت المومية تحج إلى هذا البيت المقدس ثم تعود حيث تدفن في مثواها الأخير. ولا نعلم إذا كان هذا التقليد يعمل فعلًا أو كان يكتب في النقوش وحسب في تلك الفترة كما تحدثنا عن ذلك في غير هذا المكان.

أما مراسيم القربان فتدل النقوش على أنها كانت تقام كالمعتاد في كل زمان ومكان، وكان الذين يكلفون بها هم أولاد المتوفى وأقاربه بمثابة كهنة له. وعلى أية حال نلاحظ في مقبرة «أنحور خعوي» هذا أن أواصر الأسرة كانت متينة جدًّا إلى حد بعيد، فنجد فيها أولاده وإخوته وأحفاده كلهم ملتفين حوله يقربون إليه، وكذلك ذكر والد المتوفى وذكر والد زوجه وأقاربها. والواقع أن هذه الرابطة الأسرية القوية التي نشاهدها في أفراد أسرة هذا العظيم، تشعر أولًا بأن «أنحور خعوي» كان ذا مكانة عظيمة في إدارة البلاد، كما تدل على أنهم كانوا على ما يظهر يسكنون في

جهة واحدة. ولا غرابة في أن يكونوا قد اتخذوا موطنهم في الجهة الغربية من «طيبة»، وبخاصة عندما نعلم أن رب الأسرة كان يشغل منصب مدير أعمال الفرعون، أي إنه هو الذي كان يقوم بتنفيذ كل أعمال البناء للفرعون، وكان يستخدم معظم أقاربه في مساعدته، فكان منهم الكاتب والرسام والكاهن، كما كان أقرباؤه من النساء المغنيات للإله «آمون» رب تيجان الأرضين و«آمون رع» ملك الآلهة، وكذلك كان من بين أقاربه الكاهن الأول «لأوزير»، ومن ثم نعلم أن أقاربه كانوا يشغلون وظائف رئيسية في أنحاء البلاد وبخاصة في «العرابة المدفونة» مقر «أوزير». ولا نعلم بالضبط مسقط رأس هذا العظيم، وإن كانت شواهد الأحوال تدل على أنه من مقاطعة «طينة»، وبخاصة أن اسمه «أنحور خعوي» ومعناه «أنحور يضيء». و«أنحور» هذا هو أحد الآلهة البارزين في تلك المقاطعة، هذا بالإضافة إلى أن أحد أقاربه كان كاهنًا أول للإله «أوزير».

ويلفت النظر في الأسماء التي جاء ذكرها في هذه المقبرة أن عددًا عظيمًا منها كان مركبًا تركيبًا مزجيًّا مع الآلهة المشهورين، مثل «بتاح» و«آمون» و«مين» و«رع»، كما كانت النساء تسمى باسم بعض الملكات المشهورات في هذا العهد مثل «نفرتاري».

(٥-٤) «تر» رئيس الكهنة والكاهن الأكبر للإله «منتو»

إن قبر هذا الموظف معروف غير أنه قد أصيب بعطب كبير، وتوجد فيه آثار حريق ويقع في بلدة «قرنة مرعى»، والظاهر أنه قد كشف في أواخر القرن التاسع عشر، إذ تقرأ في خطاب للأثري «فلبور»[٧٩] ما يأتي:

يوم الخميس ٦ مارس سنة ١٨٨٤ ... وجدت قبرًا آخر خلف بيت يوسف في «قرنة مرعى»، وقد عمل للكاهن الأكبر للإله «منتو» في عهد «رعمسيس الرابع».

وذكر كل من «جاردنر» و«ويجول» تحت رقم ٢٢٢ أن «تر» هذا كان يسمى كذلك «حقا ماعت رع»، وأنه كان يؤدي وظيفته في «طيبة» لا في «طود»،[٨٠] وهذا القبر لم ينشر بعد ولكن أشير فقط إلى النائحات فيه،[٨١] وأخيرًا نشر «نينا ديفز» منظرًا مصوَّرًا على أحد جدران هذا القبر وعلق عليه تعليقًا قصيرًا يجب أن يكمل.[٨٢] هذا وقد وجد نقش لهذا الموظف العظيم في «وادي حمامات» جاء فيه:[٨٣] «السنة الأولى اليوم الخامس من الشهر الثالث من فصل الصيف، في عهد جلالة ملك مصر أن «رع» قويٌّ بفضل «ماعت» مختار «آمون» بن «رع»، «رع» سيد «ماعت» قد أنجبه محبوب «آمون»، وهو نفس اليوم الذي وصل فيه رئيس الكهنة والكاهن الأكبر للإله «منتو» المسمى «تر».» (أي اليوم الذي وصل فيه إلى محاجر وادي الحمامات).

وإذا جمعنا المعلومات التي ذكرها «ديفز» ونقش وادي الحمامات، الذي ذكرناه الآن أمكننا أن نضع ملخصًا لحياة هذا الموظف العظيم الذي عاش في عهد الأسرة العشرين: عاش «تر» في عهد «رعمسيس الثالث»؛ وذلك لأننا نجد طغراء هذا الفرعون في قبره، وقد كان يشغل وظيفة الكاهن الأكبر للإله «منتو» في السنة الأولى من عهد «رعمسيس الرابع»، والظاهر أنه في عهد «رعمسيس الثالث» بدأ في تزيين قبره باسمه وألقابه؛ غير أن هذا القبر لم يكن من عمله بل اغتصبه، وتدل المناظر التي صوِّرت على الجدار الشمالي من الممر على أنها من طراز نقوش الأسرة الثامنة عشرة.

وفي نهاية حياته كان يحمل الألقاب التالية: «رئيس كهنة الآلهة، والكاهن الأكبر لمنتو»، وهذا يدل على أنه في زمنه كان من أعظم رجال الدين في «طيبة».

وفي أواخر أيام السنة الأولى من حكم «رعمسيس الرابع» كُلف «تر» هذا من القصر الملكي ببعث إلى «وادي حمامات»، ومن المحتمل أنه كان تجهيزًا للحملة التي أرسلها الفرعون بعد هذا

التاريخ بثلاثة أشهر (انظر عهد رعمسيس الرابع) وهي التي قام على رأسها «رعمسيس نخت» للبحث عن حجر «نخن»، الذي انتخبه الفرعون[٨٤] ليقيم منه مبانيه.

وتدل النقوش على أن «تر» لم يذهب مع البعث، الذي قام على رأسه «رعمسيس نخت» في السنة الثالثة من حكم «رعمسيس الرابع».

ويعتقد كل من «جاردنر» و«ويجول» أن «تر» قد غير اسمه باسم «حقا ماعت رع». والواقع أن هذه العادة وجدت في كل عصور التاريخ المصري، فنجد في عهد الأسرة العشرين أن أسماء كبار الموظفين كانت تركب مع اسم الملك ولقبه. وقد استعمل بعض العظماء في تأليف اسمهم الطغراء الثانية «لرعمسيس الرابع»، ومن الصعب التحقق من ذلك؛ لأن الطغراءات الثانية للرعامسة كانت كلها موحدة.

أما الطغراء الأولى لهذا الفرعون فلم تستعمل في تركيب أسماء الأشخاص إلا في ثلاث حالات[٨٥] وهي: «حقا ماعت رع برخنسو»،[٨٦] و«حقا ماعت رع» الاسم الذي عثر عليه في قبر «تر»، وأخيرًا «حقا ماعت رع سنجرزامو».[٨٧]

والواقع أنه قد ظهر من الفحص أن اسم «تر» قد وجد على جدران هذه المقبرة، واسم «حقا ماعت رع»، غير أن هذين الاسمين لم يوجدا قط في المقبرة مقترنين في نقش واحد، فإذا كان اسم «حقا ماعت رع» واسم «تر» هما اسم لشخص واحد، فإن «تر» قد اتخذ لنفسه اسمًا جديدًا لا لقبًا في العهد الأخير من حكم «رعمسيس الرابع»، عندما غير الفرعون طغراءيه، ويمكن أن نفرض أن «تر» لم يسمَّ «حقا ماعت رع» إلا بعد موت «رعمسيس الرابع» الذي لم يحكم إلا ست سنوات فقط.

وتدل النقوش على أن «بانب منتو» وهو ابن «تر» قد خلف والده كاهنًا أولًا «لمنتو» رب «طيبة».[٨٨]

عهد رعمسيس الخامس



وسر ماعت رع شحبرت رع — رعمسسو-آمون خبشف مري آمون

تولى «رعمسيس الخامس» بعد وفاة والده «رعمسيس الرابع»، وقد بقيت إلى عهد غير بعيد آثار هذا الفرعون ضئيلة جدًّا بالنسبة للملوك الآخرين، فكان كل ما لدينا باسمه هي اللوحة التي نقشها في صخور السلسلة الغربية، وكل ما جاء فيها عقود مدح، وقد ورد فيها عبارة تشير إلى أنه ابن «رعمسيس الرابع» بيد أنه لم يعمر طويلًا في الحكم؛ هذا بالإضافة إلى قبره الذي يقال إنه قد اغتصبه من «رعمسيس الرابع» كما سنتحدث عن ذلك فيما بعد.



شكل ١: مومية «رعمسيس الخامس».

والواقع أنه ينسب إلى عصر هذا الفرعون إضمامتان من البردي على جانب كبير من الأهمية، ويطلق على الأولى عريضة الاتهام بعدة جرائم ارتكبت ضد أملاك معبد …

وقد كان المتهم الأعظم فيها كاهنًا يدعى «بنعا نكوي»، وفي نهاية الورقة كانت كل الاتهامات موجهة إلى قائد سفينة يدعى «خنوم نخت»، وهو الذي تآمر مع بعض عمال معبد «خنوم» في «إلفنتين» على سرقة محاصيل معبد «ختوم».

وهذه الورقة كانت معروفة من قبل، وقد قام بنشر صورتها الأثريان «بليت» و«روسي» ضمن أوراق «متحف تورين».[١] كما ترجم بعضها وعلق عليه الأستاذ «سجلبرج»[٢] وأخيرًا تناولها بالبحث الأستاذ «بيت»،[٣] كما نشرها الأستاذ «جاردنر» بالخط الهيروغليفي نقلًا عن الهيراطيقية دون ترجمة.[٤]

والواقع أن محتويات هذه الورقة تشبه في مجموعها ما في ورقة «صولت» رقم ١٢٤ المحفوظة الآن بالمتحف البريطاني (برقم ١٠٠٥٥) والأخيرة تشمل سلسلة اتهامات وجهت إلى فرد واحد.[٥]

ولما كانت هذه الورقة من نفس العصر، الذي وقعت فيه حوادث الوثيقة الأولى تقريبًا آثرت أن أضع ترجمتها هنا قبل أن أتناول ترجمة الأولى، فبهما معًا يمكن أن نصل إلى صورة واضحة بعض الشيء عن سوء الحالة الاجتماعية في ذلك العصر، وكيف أن الأمور كانت سائرة بالبلاد نحو التدهور السريع الذي أدى إلى سقوط دولة الرعامسة وقيام أسرة الكهنة، وسنورد هنا أولًا ترجمة للمتن ثم نعلق عليه لما فيه من غموض وإبهام، وبخاصة لما أصاب الورقة من تهشيم على حسب ما كتبه «شرني»:

وجه الورقة: الصفحة الأولى: (١) (العامل) «أمننخت» يقول: إني ابن رئيس العمال «نب نفر»؛ لقد مات والدي ونصب مكانه رئيسًا للعمال أخي «نفرحتب». وقد قتل العدو «نفرحتب» (القاتل فرد يدعى «بنب» وسيأتي ذكره بعد) وعلى الرغم من أني (؟) أخوه فقد أعطى «بنب» خمسة من خدم والدي إلى «برع محب» الذي كان وقتئذ وزيرًا[٦] (٤) … (وقد وضعه مكان والدي على الرغم من أنه لم يكن مكانه). وعندما جرى دفن الملوك كلهم بلغت (؟) سرقة «بنب» أشياء الملك «سيتي مرنبتاح» وقائمتها هي … (٦) مخازن الملك «سيتي مرنبتاح» التي وجدت في حيازته بعد الدفن (٧) … وأخذ غطاء عربته. وقطعوا[٧] يد (٨) … الكاتب على الرغم من أنه أخذها عند الدفن (٩) (… الخمسة …) للأبواب. وقد وجدوا أربعة منها، ولكنه أخفى واحدة. وهي في حيازته (١٠) … (وسرق) بخور تاسوع آلهة الجبانة، وقسمه بينه وبين شركائه (١١) … من زيت «انب» (زيت قبرص) الخاص بالفرعون، وكذلك سرق نبيذه وجلس (١٢) على تابوت الفرعون على الرغم من أنه قد دفن (١٣) … وتمثال واحد للفرعون عليه اسم «سيتي مرنبتاح»، وقد ولوا الأدبار ولكنهم رأوا … (١٤) … في (؟) معبد «حتحور»، وقد أكد الكاتب «قن حرخبشف» ما ارتكبه في معبد الإله «بتاح» و«بنب» (١٥) … رئيس العمال «نفر حتب»، وإنه حفر الأرض المختومة في المكان الخفي (أبواب الملوك) (١٦) ومع ذلك حلف اليمين قائلًا: إني لم أقلب حجرًا في جوار مكان الفرعون، وهكذا قال.

(١٧) التهمة الخاصة بذهابه إلى ثلاث مقابر (؟) وقد دخلها على الرغم من أنها (؟) لم تكن له. وقد كان مع العامل «قننا» (١٨) … وقد أعطى «بنب» شيئًا لكاتب «قن حرخبشف» فأخذه (وأخفاه).

(١٩) التهمة الموجهة إليه بسبب سرقته ثوب المرأة «يمواو»، فقد ألقى بها على سطح جدار وانتهك حرمتها (؟).

(٢٠) التهمة الموجهة إليه بأنه سب العامل «نبنفر» بن «بننوب» قائلًا: أحضر مصابيح. (٢١) … ذاهبًا مع … سماكين. وهو …

صحيفة (٢) من وجه الورقة: (١) التهمة الموجهة إليه بسبب ما يأتي: أن ابنه هرب أمامه إلى مكان البوابين وحلف يمينًا بالسيد قائلًا: لا يمكنني الوقوف معه وقال: إن «بنب» ارتكب الفاحشة مع المواطنة «توي» عندما كانت زوج العامل «قننا»، وكذلك زنى بالمواطنة

«حونرو» وهي في عصمة «بندوا» (٣) وكذلك زنى بالمواطنة «حونرو» عندما كانت في عصمة «حسيسنبف» وهكذا قال ابنه، وبعد أن زنى مع «حونرو» زنى بأختها «وبخت»، وكذلك زنى «عابحتي» ابنه مع «وبخت».

(٥) تهمة خاصة بأمره العمال قطع أحجار من قمة مبنى «سيتي مرنبتاح»، وقد أخذوها (٦) (الأحجار) إلى قبره يوميًّا وبنى خمسة أعمدة في قبره من هذه الأحجار (٧) ونهب مكان الفرعون والناس الذين كانوا يمرون بالقرب منه في الصحراء رأوا قاطعي الأحجار، عندما كانوا واقفين وهم يعملون على قمة مبنى الفرعون وقد سمعوا أصواتًا، وقد سرق (٩) معاول الفرعون والفئوس الخاصة بالعمل في قبره.

قائمة (١٠) بقاطعي الأحجار الذين كانوا يعملون له: «عابحتي» «كاسا» وكاسا بن «رعموسى» و«حارمويا» و«قن حرخبشف» (١١) و«رومع»، و«باشد» بن «حاح» «نب نخت»، و«نخت مين» و«نبسمن» «حارمويا» بن «بكي» (١٢) و«خونسو» و«نخت مين» و«بيوم»، و«وننفر» و«عانخت» المجموع ستة عشر (رجلًا).

(١٣) تهمة بسرقته معول العمل الكبير، وكسره في مقبرته.

(١٤) تهمة خاصة بالجري وراء رئيس العمال «نفرحتب» أخي على الرغم من أنه هو الذي رباه، وقد أوصد أبوابه أمامه وأخذ حجرًا وكسر أبوابه، وقد جعلوا (١٦) رجالًا يراقبون «نفرحتب»؛ لأنه قال: سأقتله ليلًا. وقد ضرب تسعة رجال في هذه الليلة (١٧) وقد قدم رئيس العمال «نفر حتب» شكوى ضده أمام الوزير «أمنموسى»، فوقع عليها عقابًا وكذلك قدم شكوى ضد الوزير (١٨) أمام «موسى» وقد سبب عزله من منصب الوزارة قائلًا: إنه عاقبني. (١٩) تهمة بأمره العمال بالعمل في السرير المجدول الخاص بنائب معبد «آمون» في حين أن نساءهم كانوا يغزلون ملابس له (يشير إلى «بنب» أو للنائب؟) وجعل «نبنفر» بن «وازموسى» علافًا لثوره شهرين كاملين (أي إنه استخدمه في غير العمل الذي كلف به).

(٢١) تهمة خاصة بقوله لرئيس العمال «حاي»: سأهاجمك في الصحراء وأقتلك.

(٢٢) تهمة خاصة بـ ... الذي كان بينهم؟ [وأنه].

متن ظهر الورقة: الصفحة الأولى: (١) إنه سلب مقبرة في غرب الجبانة الملكية التي لها لوحة (٢) فقد نزل في مقبرة العامل «نخت مين»، وسرق منها السرير (٣) الذي كان تحته، وكذلك نهب الأشياء التي يقدمها الإنسان للميت وسرقها.

(٤) تهمة خاصة بضربه باستمرار العمال في حفلة ليلية (٥) وقد ذهب إلى سطح الجدران وألقى بالأحجار على الناس.

(٦) تهمة خاصة بحلفه يمينًا بالسيد (الملك) قائلًا: إذا جعلت الوزير يسمع اسمي ثانية فإنه سيعزل من وظيفته، ولكني سأصير ثانية قاطع حجر هكذا قال. وقد فعل ابنه مثله قائلًا: إنه (أي الوزير) يسرق ولا يترك أي شيء للجبانة الملكية. وانظر فإنه لا ينقطع بأي طريقة عن النطق بتفاخره.

(٩) تهمة بسرقته معولًا كبيرًا لشق الأحجار، وعندما قالوا: إنه ليس هناك وبعد مضي (١٠) شهر بأكمله في البحث عنه أحضره وتركه خلف حجر كبير.

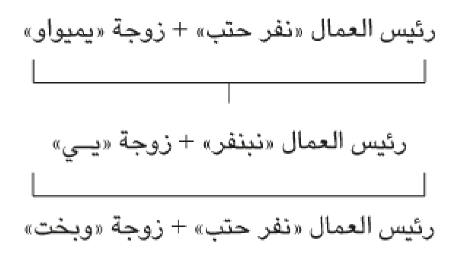
(١١) تهمة بذهابه إلى مدفن «حنو تميرع» وسرقته أوزة (١٢) وحلف يمينًا بالملك بخصوصها قائلًا: إنها ليست في حيازتي ولكنهم وجدوها في بيته. (١٣) تهمة خاصة بأنه جعلني أحلف بالابتعاد عن قبر والدي ووالدتي قائلًا: «إني لن أدخل فيه.» وأرسل العامل «ياشد» الذي بدأ يصيح في القرية قائلًا: لا تدع فردًا ينظر لأي إنسان من أسرة رئيس العمال «نبنفر» (١٦) عندما يذهب لإحضار قربان «لآمون» إلهم هكذا تحدث. وعندما ذهب الناس ليحضروا قربانًا (١٧) على جانب … خافوه وقد بدأ يرمي أحجارًا على خدام القرية.

ظهر الورقة: الصفحة الثانية: (١) لا شك في أن مثل هذا السلوك غير جدير بهذه الوظيفة (٢) آه إنه في صحة جيدة مع أنه كالرجل المجنون (؟) (٤) ومع ذلك فإنه هو الذي قتل هؤلاء الرجال (٥) لأجل ألا يحضروا رسالة للفرعون (٦) تأمل لقد جعلت الوزير يعلم (٧) عن حاله (حياته).

تعليق: هذه الورقة تشمل سلسلة تهم وضعت أمام الوزير، والظاهر أنها وضعت في صيغة خطاب. وعلى أية حال فإن ما لدينا ليس بالخطاب الأصلي بل مجرد نسخة، ولا بد أن نتخيل أن الورقة التي نحن بصددها الآن عثر عليها في مكان ما بالقرب من «دير المدينة» ومن المحتمل في مدينة العمال التي يرجع عهدها للدولة الحديثة، وهي التي لا تزال بقاياها في قعر وادي دير المدينة. وقد خبأ المدعي الورقة في مكان ما إما لأجل أن ينسخها أو أنه نسخها فيما بعد، أو بعد أن أرسل منها نسخة للوزير.

وقبل أن أتناول الشخص الرئيسي في هذه البردية، وهو «بنب» دعنا نناقش باختصار شخصية المدعي وأسرته وقد قدم لنا نفسه في أول الورقة باسمه «أمننخت» ابن رئيس العمال «نبنفر»، وأخي رئيس العمال «نفرحتب»، والاسمان اللذان ذكرا أخيرًا معروفان في النقوش الهيروغليفية والمتون الهيراطيقية في ذلك العصر.

فنعلم أن القبر رقم ٢١٦ الواقع في جبانة «دير المدينة» هو لرئيس العمال «نفرحتب»، وقد كان والده «نبنفر» رئيسًا للعمال كما كان جده الذي كان يسمى «نفرحتب»، كذلك رئيسًا للعمال. وقد دفن كل من «نبنفر» و«نفرحتب» الأكبر في المقبرة رقم ٦ وتقع على مقربة من المقبرة ٢١٦، ومن متون هاتين المقبرتين نحصل على شجرة نسب هذه الأسرة، وهي:



ومن البدهي هنا أن الابن كان يخلف والده في وظيفة رئيس العمال. وظاهر أن «نفرحتب» الأكبر لا يهمنا هنا ويمكن أن ننوه هنا بأنه عاش في عهد «حور محب»، كما يفهم ذلك من نقوش مائدة قربان جيث نجده يسمى رئيس العمال لرب الأرضين «حور محب». أما «نبنفر» فلا بد أنه قد عظم شأنه في عهد الفرعون «رعمسيس الثاني»، أو في جزء منه على الأقل. ولا نعلم في أي وقت أصبح «نفرحتب» الأصغر رئيس عمال، ولكن على أية حال كان ذلك في أواخر عهد «رعمسيس الثاني»، إذ نقرأ على «إستراكون» مؤرخة

بالسنة السادسة والستين من حكم هذا الفرعون أنه كان يشغل هذه الوظيفة. وقد صادفنا اسمه في يوميات جبانة «طيبة» الملكية، التي دونت على ثلاثة «إستراكا» لم تنشر بعد،[٨] وتحتوي على تواريخ متتابعة من السنة الثالثة، الشهر الرابع من فصل الشتاء، اليوم السابع والعشرين حتى السنة الرابعة، وفضلًا عن ذلك نجد ذكر رئيس العمال «نفرحتب» على «إستراكين» من نفس المجموعة. ويدل البحث على أنها من السنتين الثالثة والرابعة. والظاهر أن الملك الذي كتبت في عهده هاتان «الإستراكتان» هو الملك «سبتاح» الخلف الثاني للفرعون «مرنبتاح». وفي أوائل حكم «سيتي الثاني» كان «نفرحتب» لا يزال على قيد الحياة ويشغل وظيفة رئيس العمال، ولكنه لا بد قد توفي في السنة الأخيرة من حكم هذا الفرعون. ولدينا البرهان على ذلك في نقوش «إستراكون» رقم ٢٥٥١٥ بمتحف القاهرة. وفي هذه «الإستراكون» جاء ذكر «بنب» بوصفه رئيس العمال، ووجوده في هذه الوظيفة يدل على أن «نفرحتب» لم يكن حيًّا بعد، كما تدل على ذلك الاعتبارات التالية.

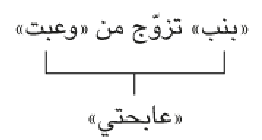
فقد كان من المعلوم أن العمال الذين يشتغلون في المقابر الملكية قد قُسموا جانبين: «الأيمن» و«الأيسر» على التوالي، وكان كل جانب تحت رئيس العمال وعلى ذلك كان لكل جانب رئيس. وفي إستراكا «كرنرفون» السالفة الذكر وجدنا أن رئيس العمال كان «نفرحتب» و«حاي»، وظاهر من النقوش أن «نفرحتب» كان على رأس الجانب الأيمن، في حين كان «حاي» يقود الجانب الأيسر. ولكن نظرًا لما شاهدناه فيما بعد من أن «حاي» قد ظهر رئيسًا للعمال مع «بنب»،[٩] وأنه كان دائمًا على الجانب الأيسر فلا مفر من الفرض بأن التغير قد حدث في الجانب الأيمن، أو بعبارة أخرى أن «نفرحتب» قد خلفه «بنب» في حين أن «حاي» بقي في وظيفته، فكان لهذا زميلًا لكل من «نفرحتب» و«بنب». ويمكن أن يعزى هذا التغيير إلى العام الخامس من حكم «سيتي الثاني». ولدينا «إستراكون» بمتحف القاهرة رقم ٤٩٨٨٧ مؤرخة بالسنة الخامسة من حكم الفرعون لم يتم، ويتناول موضوعها بعض شتائم وجهت ضد «سيتي الثاني»، وتدل محتوياتها على أن هذا الفرعون كان لا يزال على قيد الحياة، أي إن السنة الخامسة التي جاءت على «الإستراكون» تعزى إلى حكمه. ولما كان كل من «بنب» و«حاي» قد ذكر في هذه الوثيقة، فإنه يصبح من الظاهر أن «بنب» قد تولى رياسة العمال على الأقل في السنة الخامسة من حكم «سيتي الثاني».

أما من جهة «أمننخت» مؤلف المتن الذي نحن بصدده، فإن معلوماتنا الأخرى عنه يحوم حولها الشك. ففي القبر رقم ٢١٦ بدير المدينة، وهو الذي بوساطته أمكن أن نضع شجرة نسب لرؤساء العمال في أسرة «نفرحتب»، توجد صورة مثل عليها خمسة رجال يتعبدون «لأوزير» و«أنوب»،[١٠] والأول من بين هؤلاء الخمسة هو «نفرحتب» الأصغر، ثم يأتي بعده والده «نبنفر»، والثالث هو جده «نفرحتب» الأكبر. وخلف «نفرحتب» الأكبر نشاهد الكاتب الملكي في مكان الصدق المسمى «قن حرخبشف» وهو بلا نزاع نفس الكاتب الذي يحمل نفس الاسم في ورقتنا مرتين. ومما يؤسف له أن النقوش التابعة للشخص الأخير قد هشم بعضها، وكل ما تبقى منها هو أخوه محبوبه خادم مكان الصدق «أمن …»

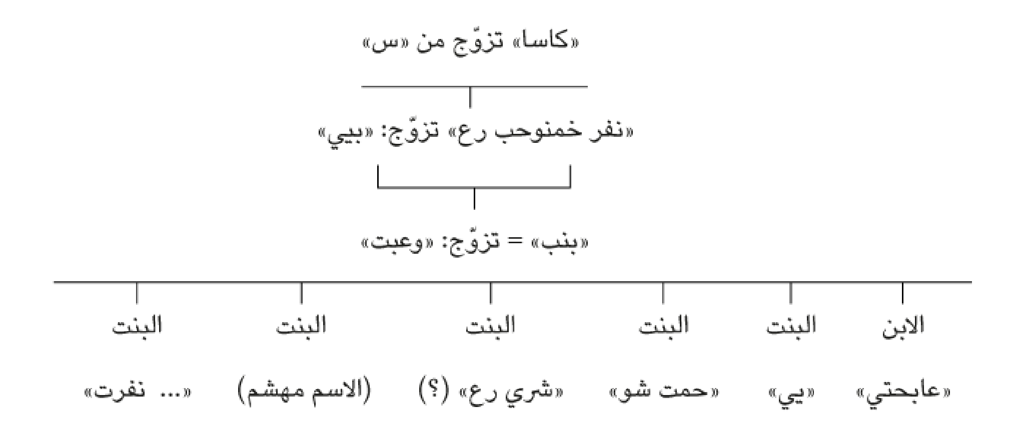
ونحن نعلم من جانبنا أن الأشخاص، الذين ينعتون بلقب «خدام بيت مكان الصدق» هم في الحقيقة العمال الذين يشتغلون في جبانة «طيبة» الملكية،[١١] وفضلًا عن أن الضمير في «أخيه محبوبه» يجوز أن يشير هنا إلى صاحب المقبرة لا إلى الكاتب «قن حرخبشف»، وهو أول شخص مثل على الصورة، وأعني به «نفرحتب» الأصغر صاحب المقبرة. وإذا كنا على حق في اعتبار

الشخص الأخير هو أخو «نفرحتب الأصغر»، فإن ذلك يبرر تكملة الاسم (أمن) «نخت»، وبذلك يكون موحدًا «بأمننخت» الذي نحن بصدده.

والآن يمكننا أن نتناول فحص موضوع رئيس العمال «بنب»، الذي أكدنا أنه أصبح رئيسًا للعمال في السنة الخامسة من عهد «سيتي الثاني» على أكثر تقدير. ولا بد أن نشير هنا إلى أنه لم يمنح لقب رئيس العمال في الورقة التي نبحثها، ولكن نفهم من الطريقة التي بها يتصرف في العمال أنه كان رئيسًا فعليًّا لهم، وعلى ذلك يمكن توحيده بشيء من التأكيد بالرجل الذي يحمل هذا اللقب في المصادر الأخرى التي استعرضناها. وفضلًا عن ذلك يظهر من متن وجه الورقة (١، ٣-٤) أنه قد أعطى الوزير رشوة فعينه رئيسًا للعمال بغير حق بطبيعة الحال؛ لأن «أمننخت» كان صاحب الحق في هذه الوظيفة فقد كان عضوًا في أسرة رؤساء العمال. ومن المحتمل أن «أمننخت» قد وجه شكواه للوزير ليعزل «بنب» من وظيفته ويعطيها المدعي الحقيقي. وتدل شواهد الأحول على أن «بنب» قد بدأ مجال حياته بوظيفة عامل بسيط، وقد ظهر اسمه في هذه الوظيفة منذ السنة السادسة والستين من عهد حكم «رعمسيس الثاني»، كما جاء في «إستراكون» القاهرة رقم ٢٥٢٣٧ التي ذكر فيها اسم زوجه «وعبت» أيضًا. وهذه الوثيقة لا يمكن قراءة ما عليها لدرجة يمكن بها التعرف على النقطة المقصودة، غير أنه يمكننا أن نقول على وجه التأكيد: إن «بنب» وزوجه «وعبت» يتسلمان أمرًا وبعد ذلك يحلفان يمينًا، غير أن ذكر «وعبت» مهم إذ يساعد على توحيد اسم العامل «بنب» برئيس العمال الذي يحمل نفس الاسم، والأخير قد جاء ذكره بوصفه رئيس عمال فرعون في مكان الصدق «بنب» ومعه زوجه «وعبت» وابنها «عابحتي» على قطعة من الحجر عليها نقوش كشف عنها في «دير المدينة»،[١٢] وقد جاء ذكر «بنب» وابنه «عابحتي» على ظهر الورقة التي ندرسها الآن وبذلك يكون نسبهم كالآتي:



وهذا النسب يساعدنا على التعرف على المقبرة الخاصة بهذه الأسرة، وهو القبر الذي يحمل رقم ٢١١ في «دير المدينة» وهو لم ينشر غير أن «فيدمان» ذكره لنا،[١٣] والنقوش التي فيه تؤكد وجود زوجة وابنها المذكورين فيما سبق، هذا فضلًا عن أن ذلك يضيف لنا أعضاء آخرين للأسرة، وعلى ذلك نستنبط سلسلة النسب التالية:



ومن بين هؤلاء البنات لدينا الابنة «يي» التي تحمل لقب ربة البيت؛ أي إنها كانت امرأة متزوجة وهي بلا نزاع موحدة بالسيدة التي مرت علينا في الصورة التي في القبر رقم ٢١١ بوصفها زوج «كاسا»، الذي أصبح فيما بعد على وجه التأكيد ربيب «بنب» وليس حفيده الذي يحمل نفس الاسم.

أما عن والد «بنب» المسمى «نفرسنت»، فإن هذا العلم على ما يظهر كان قليل الاستعمال بين أسماء عمال الجبانة الملكية، وقد دل البحث على أن كل ما وجد منه موحد باسم هذا الرجل الذي كان يحمل لقب «خادم مكان الصدق»، وقد عاش في عهد «رعمسيس الثاني».

أما «بنب» نفسه فلدينا له لوحتان محفوظتان بالمتحف البريطاني قدمها للإلهة «مرسجرت» إلهة جبانة دير المدينة،[١٤] وقد جاء ذكر ابنه «عابحتي» بوصفه خادم مكان الصدق، ولكن يوجد في الأسماء الأخرى تضارب، غير أن هذا لا يمنع أنه كان له أولاد آخرون غير من ذكر من قبل، وبخاصة إذا علمنا أن العمال كان لهم ذرية كبيرة كما شاهدنا من قبل في أسرة «أنحور خعوي».

والآن نعود إلى شخص «بنب» نفسه بعد أن جمعنا كل المعلومات السابقة عن أسرته فنجده مذكورًا وحده أو مع زميله رئيس العمال «حاي» على «إستراكون» بالقاهرة (J. 49887) ويحتمل أنها من السنة الخامسة من حكم الفرعون «سيتي الثاني». ولدينا «إستراكون» أخرى من عهد الملك «سبتاح» ذكر عليها اسمه.

ولا نعرف شيئًا عن نهاية «بنب»، والوثيقة التي نفحصها الآن، أي ورقة «تورين» السالفة الذكر، تدل على أن التهم التي يوجهها إليه أهل الجبانة الملكية لم تكن من الخطورة بمكان. وإذا كان الوزير قد صدقها فإن العقاب الذي وقع عليه بسببها كان — لا بد — صارمًا، وليس لدينا معلومات عن التاريخ الذي حدث فيه ذلك، ومن المحتمل أنه قد وقع في عهد الفرعون «سبتاح سخعنرع ستبن رع»، إذ في السنة الثانية في حكمه نسمع للمرة الأخيرة عن اسم «بنب». ومما يؤسف له جد الأسف أنه ليس لدينا وثائق مؤرخة من أواخر عهد الأسرة التاسعة عشرة أو السنين الأولى من الأسرة العشرين من عهد «رعمسيس الثالث». والظاهر أن «الإستراكين» المؤرختين بالسنة الثانية عشرة والخامسة عشرة، وهما اللتان لم يذكر فيهما اسم الفرعون يرجع عهدهما إلى الفرعون «رعمسيس الثالث»، وفي كل من هاتين الوثيقتين ذكر كل من «حاي» و«نخمموت» بوظيفة رئيس العمال. ولا بد أن «نخمموت» هذا هو الذي خلف «بنب» في وظيفة رئيس العمال في مكان الصدق بعد موته على ما يظهر. وما لدينا من معلومات عن الوزراء، الذين ذكروا في الوثيقة التي نحن

بصددها الآن يشير بطريقة مبهمة إلى عهد الفرعون «سبتاح» أو بعد ذلك بقليل إلى نهاية «بنب». والواقع أنه قد ذكر في وثيقتنا (ورقة «صولت» رقم ١٢٤) وزيران، غير أنه لا يمكن توحيد واحد منهما بالوزير الذي قدم له «أمننخت» شكواه. وهذان الوزيران هما «أمنموسى» و«برع محب»، ونحن من جانبنا نعلم أن «أمنموسى» كان يتقلد الوزارة بين السنة الثامنة من عهد الفرعون «مرنبتاح» أو بعد ذلك، (وفي هذه السنة كان «بانحسي» وزيرًا كما يدل على ذلك «الإستراكون» رقم ٢٥٥٠٤).

وموت رئيس العمال «نفرحتب» السالف الذكر كان في السنة الخامسة من عهد «سيتي الثاني» على أكثر تقدير؛ لأن «برع محب» كان قد ذكر فعلًا في الورقة التي نحن بصددها بمناسبة موت «نفرحتب».

ومما له أهمية بالغة في هذه الوثيقة كذلك الفقرة التي تذكر لنا أن «بنب» قدم شكوى ضد الوزير «أمنموسى» لشخص يدعى «مسي»، وهو الذي عزل «أمنموسى» من وظيفته نتيجة لتلك الشكوى. ولما كان الوزير يعد الشخصية الأولى في البلاد بعد الملك، فإنه من المحقق أن «مسي» وهو الذي عزل «أمنموسى» كان أحد ملوك أواخر الأسرة التاسعة عشرة.

ولقد زعم البعض أن هذا الاسم هو لقب أطلق على «رعمسيس الثاني»، غير أن هذا الزعم لا ينطبق تاريخيًّا على «رعمسيس الثاني» بعد البحث الذي أوردناه هنا عن أسرة «بنب»، يضاف إلى ذلك أنه قد ذكر صراحة أن رئيس العمال «نفرحتب» قد قدم شكوى للوزير «أمنموسى»، وعلى ذلك أصبحنا على يقين من أن هذه الأحداث قد وقعت قبل عهد «سيتي الثاني»، وذلك أننا كما شاهدنا نعرف أن «نفرحتب» كان لا بد قد مات في خلال حكمه وبعد الفرعون «مرنبتاح»؛ إذ ليس لدينا براهين تدل على أن «أمنموسى» كان وزيرًا قبل أواخر عهد «مرنبتاح». والآن نعلم بوجود ملكين بين عهدي «مرنبتاح» و«سيتي الثاني»، وهما «أمنموسى» و«سبتاح الأول»، ومن بين هذين الفرعونين نعلم أن «سبتاح» لم يكن يحمل اسمًا يمكن أن يكون اسم «مسي» مصغرًا له أو لقبًا له، وعلى ذلك يمكن أن نخمن أن اسم «مسي» كان لقبًا يدل على الفرعون «أمنموسى»، وعلى أية حال نعلم أن «رعمسيس الثاني» كان بعيدًا عن حوادث وثيقتنا، هذا فضلًا عن أن لقبه كان «سسى» (راجع مصر القديمة ج٦). وهذا اللقب لم يكن يكتب في طغراء ولم يعرف بمخصص ملك، كما جرت العادة، مما يدل على أنه كان قد أطلق عليه من طريق التنابذ بالألقاب. ونحن نعلم من جانبنا أن «أمنمس» كان مغتصبًا للملك. (راجع مصر القديمة ج٧) وعلى ذلك لم تكن ذكراه موضع احترام الخلف.

أما الوزير «برع محب» فنعلم عنه فقط أنه كان لا يزال يحمل لقب الوزارة في عهد الفرعون «سبتاح الثاني» (راجع Cairo. Ostr. 25515). وإذا أردنا أن نبحث عن الوزير الذي خلف «برع محب»، ويحتمل جدًّا أنه هو الذي عزل «بنب» من وظيفة رئيس عمال في جبانة «طيبة» الملكية، فلا نجد أمامنا وزيرًا عاش على وجه التأكيد في أواخر الأسرة التاسعة عشرة إلا الوزير «حورا»، وقد ذكر لنا الأثري «فيل» عدة وزراء بنفس الاسم، وصرح بأن من الجائز أن يكونوا كلهم شخصًا واحدًا (راجع Weil, Die Veziere des Pharaonennreiches p. 109–111, 113). ولكن في حالة واحدة أمكنه أن يحدد العهد الذي عاش فيه «حورا»، هذا وهو عهد «رعمسيس الثالث» ويمكننا أن نضيف إلى ذلك أنه عاش في عهد الفرعون «ستنخت» على حسب ما ذكره الأثري «لبسيوس» (راجع L. D. Texte III p. 224). وهذا يدل على أن «حورا» عاش في باكورة الأسرة العشرين، والبراهين الأخرى التي استخلصها الأثري «فيل» من ورق «تورين» (راجع Pap. Turin P. R. XLVII p. 10 f). لا تتعارض مع هذا التاريخ، هذا فضلًا عن أن الورقة تشمل ذكر رئيس العمال «بنب». والفقرة المقتبسة فيما سبق من ورقة «تورين» هي شكوى قدمها العامل

«بنعانوقت» في السنة التاسعة والعشرين من عهد «رعمسيس الثالث» أمام رجال الإدارة القابضين على زمام الأمور في الجبانة الطيبية الملكية، وقد كان من محتوياتها سرقة أحجار حدثت بالقرب من قبر «رعمسيس الثاني» جاء فيه: «ولكنك ترى النقطة الهامة للوزير «حورا» الخاصة بهذا المكان الذي نزعت منه أحجار عندما قيل له: إن رئيس العمال «بنب» والذي جعل رجالًا يأخذون أحجارًا منه.» حقًّا إن هذه الفقرة ليست واضحة المعنى غير أنه على ما يظهر يشير فيها المدعي هنا إلى قضية من عهد الوزير «حورا» ورئيس العمال «بنب»، وقد ذكرا معًا، وعلى ذلك فهما معاصران. وهذا الاقتباس لا يكاد يعقل إذا لم يكن الوزير «حورا» قد قرر أن نقل هذه الأحجار من القبر الملكي كان من الأمور المحرمة. ومن المحتمل أن الحادث المشار إليه هنا قد وقع في أثناء المحاكمة النهائية، التي جرت مع «بنب» وفي هذه الحالة يكون «حورا» هو الذي قدم له «أمننخت» الشكوى، ولا يدل ما جاء في الفقرة المقتبسة من ورقة «تورين» على أن الوزير «حورا» كان عائشًا حتى السنة التاسعة والعشرين من حكم «رعمسيس الثالث»، يضاف إلى ذلك أن الوزير «حورا» قد جاء ذكر اسمه في بعض «الإستراكا» المؤرخة في السنة الأولى من حكم فرعون لم يُسَمَّ باسمه. ويقول الأستاذ «شرني»: إنه لا يمكن أن يكون عهد «رعمسيس الرابع» لأسباب خطية وغيرها، ولكن يميل الإنسان إلى أنه كان في نهاية عهد «رعمسيس الثالث» أو أحد أسلافه المباشرين.

وقد كان مرءسو «بنب» يدعون عمال الفرقة، وهذا واضح من وثائق كثيرة من جبانة «طيبة» وهؤلاء العمال كانوا يشتغلون في قطع الأحجار في مقابر أبواب الملوك وأبواب الحريم، أي في جبانة طيبة الملكية. وعلى حسب ما جاء في السطر السابع من الصفحة الأولى من ظهر الورقة التي نحن بصددها نعلم أن «بنب»، عندما عاقبه الوزير «أمنموسى» بسبب التهمة التي وجهها إليه «نفرحتب» هدد بأنه سيحصل على تعيينه ثانية بوصفه قاطع أحجار وأن الوزير سيعزل من وظيفته.

والعمال الذين ذكروا في وثيقتنا هم «عابحتي»، ويحتمل أنه هو ابن «بنب» و«عانخت» و«بننفر» بن «وازمس» و«بننفر» بن «بننوب» و«نختمين»، وقد ذكر مرتين و«نبنخت» و«نيسمين» و«رومع» و«حورمويا» و«حورمويا» بن «بكي» (ويحتمل أنهما واحد) و«حسيسنبف» و«خنسو»، و«قننا»؛ و«قن حرخبشف» و«كاسا» و«كاسا» بن «رعموسى». ومعظم هذه الأسماء جاء ذكرها في وثائق أخرى، وخاصة في «إستراكا» أبواب الملوك وكلها ترجع إلى عهد ملوك الأسرة التاسعة عشرة الذين لم يحكموا إلا مددًا قصيرة. وهذه «الإستراكا» لا تنحصر أهميتها في ذكر أسماء العمال وحسب، بل إنها كذلك تؤكد لنا بعض التهم الموجهة ضد «بنب» في ورقة «صولت» التي نفحصها الآن؛ فمثلًا ذكر في «الإستراكون» رقم ٢٥٥١٩، وفي «الإستراكون» رقم ٢٥٥٢١، وهما بالمتحف المصري أن «بننفر» بن «وازمس» لم يقم بعمل ما؛ لأنه كان مكلفًا بإطعام ثور «بنب» مما يثبت التهمة التي جاءت في ورقتنا، وكذلك جاء ذكر عدد عظيم من العمال في كل من «الإستراكون» رقم ٢٥٥١٧ و٢٥٥٢١ كانوا يعملون لحساب «بنب»، وأهملوا عملهم في القبر الملكي، على أن تكليف «بنب» مرءوسيه العمال بالقيام بعمله الخاص لم يكن من الجرائم الكبيرة، إذ كان يرتكب زميله «حاي» مثل هذا العمل من وقت لآخر. ومما يلفت النظر أن «بنب» لم يستعمل عمال الجانب الأيمن الذين كانوا تحت إدارته وحسب، بل استخدم في عمله الخاص كذلك «نبنفر بن بننوب» و«حسيسنبف» و«قن-حر-خبشف»، الذين كانوا تابعين لعمال الجانب الأيسر وخاضعين لأوامر رئيس العمال «حاي».

ومما سبق يمكننا أن نبرهن على صحة بعض التهم التي وجهها «أمننخت» ضد «بنب».

والآن يجب أن نفرض أن التهم الأخرى أو جزءًا كبيرًا منها كان لها مبرراتها أيضًا.

ومما يؤسف له أننا لم نعلم مصير «بنب» وأسرته، هذا بالإضافة إلى أننا لسنا على يقين من أنه قد دفن فعلًا في المقبرة ٢١٢ بدير المدينة، أو أن هذا القبر موحد بالقبر الذي جهزه بعناية لنفسه، كما جاء ذكر ذلك بالورقة التي نتحدث عنها الآن (راجع Pap. Salt. Rec. 2, 6). والواقع أن كل ما تبقى من المقبرة رقم ٢١١ هو حجرة تحت الأرض خاوية بها بعض نقوش ملونة بصورة خشنة، وبعض مناظر قد أصابها عطب شديد بفعل المياه التي تسربت إلى المقبرة. وإذا حكمنا من الألقاب التي يحملها «بنب» في هذه النقوش، فإن القبر أو جزءًا منه على الأقل كان قد أقيم عندما كان «بنب» لا يزال عاملًا بسيطًا، ولكن عندما نقرأ في الورقة التي في أيدينا أن «بنب» أقام أربعة عمد من الحجر في قبره فلا بد أن نفرض أن هذه العمد كانت في المزار الذي يبنى عادة فوق حجرة الدفن، وأنها قد اختفت من الوجود كما هي الحال في المقبرة رقم ٢١١، وأن «بنب» بعد أن أصبح رئيس عمال ترك قبره القديم وبدأ إقامة آخر أكثر فخامة في جزء آخر من جبانة دير المدينة، وإذا كان الفرض الثاني هو الصحيح، فإن هذه المقبرة لم يكشف عنها بعد أو أنها قد أزيلت فلا يمكن التعرف عليها الآن.

والمطلع على ورقة «صولت» هذه يجد اختلافًا بينًا غريبًا بين الأسلوب البدائي، الذي ألفت به الورقة وبين الخط الجميل الذي دونت به، ولكن يلاحظ هنا أن الشاكي الذي كان مجرد عامل بسيط لم يكن في استطاعته أن يكتب إلا بصعوبة كما يشاهد ذلك في أيامنا، وعلى ذلك فمن المحتمل أن يكون قد وكل أمر كتابة شكواه إلى كاتب محترف. وقد كان عدد عظيم من هؤلاء المحترفين في قرية العمال الخاصين بالجبانة الملكية، وهم الذين كانوا يكتبون الوصيات والوثائق القانونية والحسابات وغير ذلك، ومن المحتمل إذن كما هي الحال عندنا في القرى أن الشاكي هو الذي أملى التهم للكاتب؛ ولذلك كان هو المسئول عن الأسلوب الساذج الذي كتبت به الشكوى بما فيه من أخطاء وعدم الترتيب في التواريخ، ولا بد أن الكاتب قد كتب ما يملى عليه حرفيًّا دون تغيير أو تبديل.

وخلاصة القول أن قارئ هذه الوثيقة يجد صورة مطابقة في كثير من النقط للأشياء التي تحدث بين ظهرانينا الآن؛ فرئيس العمال يستعمل عماله في أعماله الخاصة وسرقة آلات العمل والمواد التي تستعمل في المباني وغيرها مما نجده منتشرًا في عهدنا، وكذلك نجد الرشوة بين كبار الموظفين ضاربة أطنابها كما كان عقد الأيمان الكاذبة فاشيًا، وهتك الأعراض والزنا باديًا في كل مكان، ونهب المقابر ملحوظًا في كثير من الجهات.

وعلى أية حال فإن التهم التي وجهت لرئيس العمال «بنب»، إذا صحت كلها دلت على منتهى الفساد والاستهتار وتفكك أداة الحكم في البلاد. وليس من فضول القول أن نستعرض هنا بصورة واضحة التهم التي وجهها «أمننخت» إلى رئيس العمال في الجبانة الملكية المسمى «بنب»، بعد أن تحدثنا عن موضوعها بالتطويل فاستمع إليها:

(١) قتل «بنب» رئيس العمال «نفرحتب» واغتصب وظيفته.

(٢) سرق «بنب» أمتعة قبر الملك «سيتي مرنبتاح» وقد ضبطت في حيازته.

(٣) سرق «بنب» بخور تاسوع الآلهة الذين في الجبانة، وقسمه مع شركائه في الجريمة.

(٤) سرق «بنب» زيت الفرعون ونبيذه وجلس على تابوت الفرعون على الرغم من أنه دفن فيه.

(٥) سرق تمثالًا للفرعون «سيتي مرنبتاح» ورُئِي مع شركائه في الجريمة في أثناء تلك السرقة.

(٦) انتهك حرمة معبد الإلهة «حتحور» ومعبد الإله «بتاح»، وتعدى على الأماكن المختومة في الجبانة.

(٧) تعديه مع آخر على ثلاثة مقابر لم تكن له.

(٨) سرقة ملابس امرأة وهتك عرضها على سطح جدار.

(٩) تعديه على العامل «بننفر» وإجباره على إحضار أشياء.

(١٠) تعديه على ابنه الذي أصبح لا يطيق العمل مع وارتكابه الفحشاء مع المواطنة «توي»، التي كانت زوجة العامل «قننا» ثم ارتكابه الزنا مع أخرى متزوجة وثالثة ثم رابعة وخامسة، وقد ارتكب ابنه هذا الإثم مع المرأة «وبخت».

(١١) أمر «بنب» بقطع الأحجار من أعلى مقبرة «سيتي مرنبتاح»، واستولى عليها ونهب مقبرة الفرعون، وشهد عليه المارة الذين مروا بالقرب في الصحراء، وكذلك سرق المعاول والفئوس التي كان يملكها الفرعون.

(١٢) مطاردة رئيس العمال «نفرحتب» أخي «أمننخت»، على الرغم من أنه هو الذي رباه وقد أوصد بابه أمامه ولكنه كسره بحجر، وقد أقيم حرس على «نفرحتب»؛ لأنه هدده بالقتل ليلًا، وكذلك ضرب ثمانية رجال ليلًا.

(١٣) أمره العمال بصنع سرير مجدول لوكيل المعبد، كما جعل نساءهم يغزلن الملابس له.

(١٤) تهديد زميله رئيس العمال «حاي» بمهاجمته في الصحراء وقتله.

(١٥) ذهابه إلى قبر العامل المتوفى «نخت آمون»، وسرقة سريره والهدايا التي كانت معه.

(١٦) ضربه العمال باستمرار في حفلة ليلية وطلوعه على السطح وقذفه المارة بالأحجار.

(١٧) حلفه بالفرعون ألا يدع الوزير يسمعه ثانية؛ لأنه سيعزله من وظيفته وإلا فإنه سيصبح قاطع أحجار، وقد تحدث بمثل ذلك ابنه ورماه بالسرقة وأنه لا يترك شيئًا في الجبانة الملكية، وهكذا لم ينقطع عن النطق بمثل هذه الترهات.

(١٨) سرقته معولًا لشق الأحجار وحلفه يمينًا بأنه لم يأخذه وبعد ذلك وجد في بيته.

(١٩) إجباره الشاكي على حلف يمين بأن يبتعد عن مزار والده، وإجباره على أن يقول: «لن أدخله.» وكذلك عمل على تحذير أهل القرية من الاتصال بأسرة رئيس العمال «بننفر»، عندما يذهب واحد منهم لإحضار قربان للإله «آمون» ربهم. وقد كان يلقي الأحجار على كل خدم القرية الذين لم يخضعوا لأوامره على ما يظهر.

وأخيرًا يحدثنا المدعي بأن هذا الرجل كان سليمًا في مظهره، ولكنه كان مجنونًا في واقع أمره.

الوثيقة الثانية: هذه التهم قد وجهت لرئيس العمال، وإذا صح فإنها تدل على خبل في العقل واستهتار بالحكم كما قلنا، ولدينا ورقة أخرى[١٥] كما ذكرت من قبل مماثلة للتي بحثناها الآن، ولا تختلف عنها إلا في أن التهم التي تحتويها موجهة إلى ثلاثة أشخاص مختلفين والمجرم الأول فيها هو الكاهن «بنعنقت». والظاهر أن هذه الورقة كما يقول الأستاذ «أرك بيت» (J. E. A. Vol. 10, p. 117).

قائمة وثائق تحتوي على تهم ضد أشخاص مختلفين وكل وثيقة منها وصفت بالتفصيل. وتدل شواهد الأحوال على أن الوثائق التي وصفت في هذه الورقة كانت تؤلف جزءًا من محفوظات معبد الإله «خنوم»؛ لأنها كانت في يد كاهن وإن لم ينص على ذلك صراحة، وسواء أكانت هذه البردية مجرد قائمة للسجل أم أنها مثل ورقة «صولت» السالفة الذكر، فإنها قد وضعت لتؤلف جزءًا من اتهام أمام الوزير أو موظف آخر، ولكن ليس لدينا ما يدل على الحقيقة.

وسنورد هنا ترجمة الوثيقة ثم نعلق على محتوياتها على الرغم مما أصابها من تهشيم ونقص:

وجه البردية: الصفحة الأولى: (١) الوثائق التي في حيازة الكاهن «بنعنقت»، الذي يسمى «سد» التابع لمعبد «خنوم».

(٢) التهمة الموجهة بسبب بقرة سوداء في حيازته (يعني هنا الكاهن «بنعنقت»). وقد ولدت خمسة عجول «منفيس».[١٦] وقد أخذها في الحقل واستولى عليها لنفسه. ثم سافر بها نحو الجنوب وباعها للكهنة.

(٣) التهمة الخاصة بعجل «منفيس» العظيم الذي كان في حيازته. وقد ذهب به وباعه لنوبيين من قلعة «بجة» وتسلم ثمنه منهم.

(٤) تهمة بأنه ذهب إلى «المدينة»،[١٧] وتسلم بعض وثائق … وإن كان الإله «رع» لم يجعله يفلح إلى الأبد. وقد أحضرها إلى الجنوب؛ ليضعها أمام الإله «خنوم»، غير أن الإله لم يعترف بها.

(٥) تهمة هتكه عرض المواطنة «متنمح» بنت «باسختي»، وكانت زوج السماك «تحوت محب» بن «بنتاور».

(٦) تهمة هتكه عرض «تبس» بنت «شوي» وكانت زوج «أعحاوتي».

(٧) تهمة خاصة بالسرقة التي ارتكبها «يم» (؟) وهي تميمة عين مقدسة في معبد «خنوم»، وقد استولى عليها (أي الكاهن) مع الرجل الذي سرقها.

(٨) تهمة تسليم صندوق إلى المعبد بوساطة الكاهن «باكنخنسو» يحتوي على اثنين … وقد فتحه وأخذ … منه، وقد وضعهما أمام الإله «خنوم»، وقد اعترف بهما (أي الإله).

(٩) تهمة مجيئه إلى داخل الحصن على حين أنه لم يشرب نطرونا إلا سبعة أيام فقط. والآن قد جعل كاتب الخزانة المسمى «منتو حر خبشف» .Sic كاهن «خنوم» هذا يقسم يمينًا بالملك قائلًا: «لن أدعه يدخل مع الإله حتى يتم أيام شرب النطرون، ولكنه عصى ودخل» (١١) مع الإله في حين أنه لا زال باقيًا عليه أن يشرب النطرون مدة ثلاثة أيام (؟).

(١٢) تهمة خاصة بانتخاب الوزير «نفررنبت» الكاهن «باكنخنسو». و… ليكون كاهنًا للإله «خنوم»، وعند ذلك قال هذا الكاهن للكاهن «نبون»: سنقدم آخر … كهنة.

(١٣) وسنجعل الإله يبعد ابن «باشوتي». وقد سئل ووجد أنه قال ذلك فعلًا، وقد أجبر على حلف يمين بالحاكم (الملك) بألا يدخل المعبد؛ غير أنه قدم رشوة لهذا الكاهن قائلًا: دعني أدخل مع الإله، وقد تسلم هذا الكاهن رشوته وسمح له بالدخول مع الإله.

وجه الورقة: الصفحة رقم ٢: (١) التهمة الخاصة بإرسال الفرعون المشرف على الخزانة المسمى «منمتير» لفحص خزانة «معبد خنوم»، وكان هذا الكاهن قد سرق ستين رداء من خزانة «معبد خنوم».

(٢) وقد أُجري تفتيش عنها فوُجد منها أربعة وعشرون في حيازته؛ وقد تصرف في الباقي منها.

(٣) التهمة الخاصة بقطع هذا الكاهن أذن «ونمتومنفر» بن «بكستيت» دون علم الفرعون.

(٤) تهمة خاصة بإرسال الوزير «نفررنبت» الخادم «بخال» الصغير، والخادم «باتفونز منخنسو» (؟) قائلًا له: «أحضر (؟) إلى الكاهن والد الإله «قاخبش».»

(٥) والآن وجدني الخدم أقوم بدور خدمتي الشهرية الخاصة بطائفة الكهنة الأولى؛ لأنهم قالوا: «إننا لن نأخذك وأنت تقوم بخدمتك الشهرية.» وهكذا تحدثوا إليَّ.

(٦) غير أن هذا الكاهن أعطاهم ملابس «دايو» (وهي من نسيج الوجه القبلي) وكرسيين ونعلين؟ وسن عاج طوله ذراعان، وحزمتين من الخضر (ثاو) … ١٠٠٠ … سمكة … وجعة خفيفة قائلًا لهم: «لا تخلوني من عملي.» وقد مضى خمسة عشر يومًا دون أن يستولي … العظيم … الرئيس … (٨) الـ … (٩) في أرض مصر؛ لأني أنا الذي … الإله (؟) … وقد جعلهم يتركونني (؟) أذهب …

(١٠) التهمة الخاصة بترك «برمع» … الخاص ببيت «بك» … والدة … الـ … قائلًا له … (١١) قد أعمى «بسكينت» بنتها كذلك، وقد استمرتا عمياوين اليوم.

(١٢) تهمة خاصة بالشجار الذي نشب بين هذا الكاهن وراعيه «باكآمون» التابع لمعبد «خنوم»، عندما أجابه وقال له … وبعد مرور (١٣) ثلاثة أشهر ماتت «زازا» (؟) … وقد قالها …

(١٤) التهمة الخاصة بتسليمهم عشرين ثورًا لهذا الكاهن في السنة الأولى من حكم الملك «حقا ماعت ستبن آمون» الإله العظيم، وقد قبضوا على الثيران التي هي ملكه …

(١٥) وقد أحضرها من أعلى (؟) … وأعطى الثيران … وقد أعطاها هو الرئيس … كذلك …

(١٦) التهمة الخاصة بإعطاء الكاهن «بنعنقت» عشرين دبنًا من النحاس وثلاثة ملابس (دايو) من ملابس الوجه القبلي. وهذا الكاهن ينكر (؟) كل تهمة عملها …

(١٧) التهمة الخاصة بوقوف هذا الكاهن أمام هذا الإله قائلًا: إذا أراد أن يعمل رجلًا صالحًا … لك. وهكذا قال هو في أثناء وقوفه.

ظهر الورقة: الصفحة الأولى: (١) التهمة الخاصة بسرقتهم … الكبير … النحاس الخاص بقارب «خنوم» والهرب به.

(٢) التهمة الخاصة بسرقتهم عشرة أثواب من النسيج الملوَّن، ومجموع ما سرق خمسة عشر من معبد الإلهة «عنقت» سيدة «أسوان»، وقد فحصهم كاتب الخزانة «منتو حرخبش» الذي كان يعمل عمدة بالنيابة لأسوان ووجدها في حيازته.

(٣) وقد أعطوها «أمنتنخ» وهو عامل في مكان الصدق وتسلموا ثمنها، وهذا الأمير قد أخذ منهم رشوة وأخلى سبيلهم.

(٤) التهمة الخاصة بفتحهم مخزنًا لمعبد الإله «خنوم»، الذي كان تحت خاتم مفتشي الغلال الذين يفتشون لحساب معبد «خنوم» (؟) وسرقوا ما به وثمانين حقيبة منه.

(٥) التهمة الخاصة بفتح ... «خنوم» (؟) ... سارقين ملابس (رد) من نسيج الوجه القبلي، وقد وجدها الكاهن في حيازتهم وأخذها، ولكنه لم يفعل شيئًا ضدهم.

(٦) التهمة الخاصة ... ملئ بملابس الكهنة والدي الإله، والكهنة، وهي التي يحملون فيها الإله. وقد وجدت في حيازتهم.

ترجمة الأستاذ «جاردنر» لهذه الفقرة (J. E. A. Vol. XXVII p. 60 ff):

ظهر الورقة (Vs, 1. 7): (تهمة خاصة بأن الفرعون «وسر ماعت رع مري آمون») الإله العظيم ... المزارعين ... حب ليجعلهم يحضرون سبعمائة حقيبة من القمح للإله «خنوم» رب «إلفنتين» إلى هنا في الإقليم الجنوبي، وقد تعودوا حملها بالماء، وتورَّد لهم بالكامل في مخزن غلال الإله، وقد تسلمت منه (أي من الرجل الذي توفي؟) كل سنة. والآن في السنة الثامنة والعشرين من عهد «وسر ماعت رع مري آمون» الإله الأعظم أصاب المرض ضابط السفينة هذا ومات. و... الذي كان كاهنًا لبيت «خنوم» أحضر النجار و... «خنوم نخت» وعينه (ضابط سفينة) ... حبوب هناك في الإقليم الشمالي، وبدأ نقلها بالماء. ولكن في السنة الأولى من عهد الملك «حقا ماعت رع ستبن آمون» الإله العظيم ارتكب عدة اختلاسات في الغلة. وضابط السفينة هذا ... الـ ١٤٠ دبنًا الخاصة بخزينة «خنوم»، وهكذا لم يكن الذهب في بيت خزانة «خنوم». أما عن اختلاسه الغلة، فإنها ليست في مخزن غلال «خنوم»؛ لأنه أخذها ... «خنوم».

(١,١٣) السنة الأولى من عهد الملك «حقا ماعت رع ستبن آمون» الإله العظيم، ورد على «إلفنتين» على يد ضابط السفينة ... مائة حقيبة. العجز ٦٠٠ حقيبة.

(vs. 2,1) السنة الثانية من عهد الملك «حقا ماعت رع ستبن آمون» الإله الأعظم سبعمائة حقيبة، لم يحضر منها شيء لمخزن الغلال.

(٢، ٣) السنة الرابعة من عهد الملك «حقا ماعت رع ستبن آمون» الإله العظيم سبعمائة حقيبة ورد منها في سفينة العصا المقدسة (عصا عليها رأس كبش، وكانت رمزًا مقدَّسًا للإله «خنوم» موضع تقديس الناس) على يد البحار «بنختتا» عشرون حقيبة، والعجز ثمانون وستمائة.

(٢، ٤) السنة الخامسة من عهد الملك «رعمسيس الخامس» الإله العظيم، سبعمائة حقيبة، لم يحضرها.

(٢، ٥) السنة السادسة من عهد «رعمسيس الخامس» الإله العظيم سبعمائة حقيبة، لم يحضرها.

(٢، ٦) السنة الأولى من عهد الفرعون سبعمائة حقيبة، لم يحضرها.

(٢، ٧) السنة الثانية من عهد الفرعون سبعمائة حقيبة، ورد منها على يد ضابط السفينة «خنوم-نخت» مائة وست وثمانون حقيبة، فيكون العجز أربع عشرة وخمسمائة حقيبة.

(٢، ٨) السنة الثالثة من حكم الفرعون سبعمائة حقيبة، ورد منها على يد ضابط السفينة هذا مائة وعشرون حقيبة، والعجز ثمانون وخمسمائة حقيبة، فيكون مجموع قمح بيت «خنوم» رب «إلفنتين»، وهو الذي اختلسه ضابط السفينة بالاشتراك مع الكتبة والمراقبين والمزارعين التابعين لمعبد «خنوم» نفسه ٥٠٠٤ حقيبة.

ومن هذه الفقرة الهامة نعلم أن إله أقصى بلدة مصرية في الجنوب قد حصل على دخله من القمح من حقول تقع في أرض الدلتا (١،١٠) ويتفق ذلك مع ما جاء في الوثائق الأخرى من هذا العهد، وهو أن الأشخاص الذين يتوقف على أمانتهم هذا الدخل كانوا هم المزارعين والمراقبين وضباط السفن المختصين بنقل المحصول من الأجران إلى مخازن الغلال. هذا فضلًا عن أن مآل حفظ هذا المحصول سليمًا كان يعتمد في النهاية على أمانة الكاهن أو الكهنة، الذين يقومون برعاية المعبد وحفظ أمواله.

وإنه لمن المدهش أن نجد المحصول السنوي قد حدد بسبعمائة حقيبة، وكان المنتظر أن يتغير هذا الدخل على حسب حالة النيل في وفائه. وقد لوحظ ذلك في مصادر أخرى. ومن المحتمل أن القاعدة في ذلك كانت واحدة وهي أن يُفرض عدد خاص من الحقائب على الزراع، وبعد ذلك يستفيدون بقدر المستطاع بما زاد عن الضريبة، وفي اعتقادي أنه كان يفرض على كل حقل عدد مخصوص من الحقائب على حسب مساحته، ولكن هذا الفرض كان لا يحصل كله إذا كان النيل منخفضًا بل كانت القيمة تخفض على حسب الأحوال. وقد لاحظ الأستاذ «جاردنر» أن دخل المعبد كان يحسب بالحنطة (وهو نوع من القمح).

وقد جاء في الورقة تهمتان لهما علاقة بالقمح، ولكنا لا نعلم لمن وجهت التهمة الأولى (Vs, 1, 4): تهمة خاصة بفتحهم مخزنًا من مخازن معبد «خنوم»، وهو الذي كان تحت رقابة المراقبين لمخزن الغلال، والذين يقومون بالمراقبة لبيت «خنوم»، وقد سرقوا منه ثمانين ومائة حقيبة من الغلة.

والتهمة الثانية وجهت لضابط السفينة نفسه، وقد فصلت من حساب اختلاساته السابقة، ويحتمل أن ذلك قد حصل بسبب الضرائب التي ابتزها واختلسها حتى دفعت بمحصولات غير القمح.

(Vs. 2, 12): تهمة خاصة بضابط السفينة التابع لمعبد «خنوم» بأنه ابتز محصولًا (Vs. 2, 13) قيمته خمسون حقيبة على يد «رومع» بن «بنعنقت»، وما قيمته خمسون حقيبة على يد «بوخد» بن «بتوميب». المجموع شخصان ومائة حقيبة.

ومن السنة الأولى من حكم الملك «حقا ماعت رع ستبن آمون» الإله الأعظم حتى السنة الرابعة من حكم الفرعون كان المجموع ألف حقيبة، وقد استعملها لأغراضه الخاصة ولم يحضر شيئًا منها لمخزن «خنوم».

ظهر الورقة: الصفحة الثانية: (١) السنة الثانية من عهد الملك «حقا ماعت رع» له الحياة والفلاح والصحة الإله العظيم مائة وثلاثون حقيبة، والباقي خمسمائة وسبعون حقيبة.

(٢) السنة الثالثة من عهد الملك «حقا ماعت رع» له الحياة والفلاح والصحة الإله العظيم سبعمائة حقيبة لم يحضر شيئًا منها إلى مخزن الغلال.

(٣) السنة الرابعة من عهد الملك «حقا ماعت رع» … إلخ سبعمائة حقيبة، وصلت في قارب «رمز الإله» على يد البحار «بنختتا» عشرون حقيبة والباقي ستمائة وثمانون حقيبة.

(٤) السنة الخامسة من عهد الملك «حقا ماعت رع» … إلخ، وصل لأجل القربان المقدسة الخاصة بسفينة «العصا المقدسة» الإله «خنوم» عشرون حقيبة والباقي ستمائة وثمانون حقيبة.

(٥) السنة السادسة من عهد الملك «حقا ماعت رع» … إلخ سبعمائة حقيبة لم يوردها.

(٦) السنة الأولى من عهد الفرعون له الحياة والفلاح والصحة سبعمائة حقيبة لم يوردها.

(٧) السنة الثانية من عهد الفرعون له الحياة والفلاح والصحة، وصل من يد قائد السفينة المسمى «خنوم نخت» ١٨٦ حقيبة، والباقي ٥١٤ حقيبة.

(٨) السنة الثالثة من عهد الفرعون له الحياة والفلاح والصحة سبعمائة حقيبة، وصل من يد ضابط السفينة هذا مائة وعشرون حقيبة، والباقي خمسمائة وثمانون حقيبة.

(٩) مجموع شعير معبد «خنوم» رب «إلفنتين» الذي تآمر عليه ضابط القارب هذا مع الكتاب والمفتشين، وعمال الأرض التابعين لمعبد «خنوم»؛ ليسرقوه ويستولوا عليه لاستعمالهم الخاص ٥٠٠٤ حقيبة (هذا المجموع غير صحيح).

(١٠)[١٨] والآن «خنوم نخت» (؟) … يأخذ شعيره، وإنه يسكن على قمة المخزن تسلم منه شعيرًا (؟).

(١٢) التهمة الموجهة لضابط السفينة هذا بسبب ابتزاز ضرائب معبد إله «خنوم» وهو فرض خمسين حقيبة على «رومع» بن «بنعنقت»، وكذلك فرض خمسين حقيبة على «باوخد» بن «باثا ومابو»، والمجموع اثنان ومقداره مائة حقيبة من السنة الأولى من عهد الملك «حقا ماعت رع ستبن آمون» له الحياة والفلاح والصحة الإله العظيم إلى السنة الرابعة، فيكون المقدار ألف حقيبة، وقد استولى عليها لمنفعته الشخصية، وأحضر بعضها إلى معبد «خنوم».

(١٥) التهمة الموجهة إلى ضابط القارب التابع لمعبد «خنوم»؛ بسبب إحراق سفينة ملك معبد «خنوم»، وكذلك إحراق سارياتها وأمراسها.

(١٦) ولكنه أعطى مفتشي معبد «خنوم» رشوة، فوضعوا تقريرًا عن ذلك وهو عنده حتى اليوم (؟).

الصحيفة الثالثة: ظهر الورقة: (١) تهمة موجهة إليه بسبب حصوله على إجهاض المواطنة «تربت» …

(٢) تهمة بسبب إعطاء «بنختتا»، وهو بحار السفينة «العصا المقدسة» للإله «خنوم» … وقد رشا المفتشين فلم يبلغوا عنه قط …

(٤) تهمة خاصة بالزنا موجهة إلى هذا البحار «بنختتا» زوج (فلان) وهو مزارع تابع لمعبد «خنوم» سيد «إلفنتين» وهو في مدينة «با …»

(٦) تهمة موجهة إلى الكاهن «بائري» (؟) بسبب فتح هذا … (٧) وقد فعل ذلك بسرعة عظيمة … (٨) تهمة بسبب إرسال الكاهن والد الإله «تحوتحتب» التابع لمعبد «منتو» … (٩) الذي كان يقوم بواجبات وظيفة الكاهن والد الإله لمعبد «خنوم» (؟) … (١٠) خطاب بيدهم لكاتب المعبد «تحو تحتب»، وقد أوعزوا بإرسال … (١١) وجعلوا جلودهم تخرج على …

تعليق: لا شك في أن من يتأمل في محتويات هذه الورقة يجد بينها وبين ورقة «صولت»، التي ترجمنا محتوياتها فيما سلف تشابهًا عظيمًا. والوثيقة كما هي تحتوي على ثلاثة أقسام منفصل بعضها عن البعض الآخر. وتدل شواهد الأحوال على أن الصحائف المفقودة كانت تحتوي على الأقل قسمًا منفصلًا، والقسم الأول هو قائمة وقائع ذكرت في الصفحة الأولى وتشمل تهمًا موجهة إلى كاهن الإله «خنوم» المسمى «بنعنقت»، وهو كما يقول الأستاذ «جاردنر»: المجرم الأول في هذه الوثائق (راجع Gardiner, Ramesside

(Administrative Documents p. XXIII حيث يقول: «وإني سأضع هنا كتابة اعتقادي.» على الرغم من عقبة نجدها في الصفحة الأولى من وجه الورقة (rt 2, 16) أن المجرم الرئيسي كان الكاهن «بنعنقت» الذي ذكر في جهة الورقة (lt 1, 1)، أما في الجزء الأخير من المتن فمعظم التهم التي وجهها الشاكون كانت ضد ضابط السفينة «خنوم نخت»، الذي كان له شركاء كثيرون بين موظفي معبد «خنوم» «بإلفنتين».

وقد وصلت إلينا سبع عشرة تهمة متباينة الأسلوب إلى حد بعيد، وإذا كانت كلها ترتكز على أساس متين فإن هذا الكاهن المرتكب لها لا بد كان مثالًا غريبًا للمحتال المصري القديم، ولحسن الحظ قد بقي اسمه ليدوَّن في فن الجرائم.

والقسم الثاني يبتدئ بالصفحة الأولى من ظهر الورقة، وينتهي بالسطر السادس. وهذا القسم ناقص في البداية، ولا بد أنه قد فُقد شيء منه بين الصفحة الثانية من الوجه والصفحة الأولى من الظهر، وبعبارة أخرى نجد أن هذه الورقة ناقصة من طرفيها.

ويلاحظ أن المجرمين الذين ذكروا في الورقة لم يظهروا تفننًا في ارتكاب الجرائم، كما أظهرها المجرم الأعظم الكاهن «بنعنقت»، الذي كان في خدمة الإله «خنوم»؛ لأن كل التهم التي وجهت إلى الآخرين كانت جرائم سرقة.

أما القسم الثالث فيبدأ بذكر جملة جاء فيها اسم الفرعون بمثابة فاعل (راجع (Gardiner. R. A. p. 78 a (48 a). والتهمة الأولى تنحصر في اختلاس هائل امتد مداه أكثر من عشر سنوات، وقد ارتكب هذه الاختلاسات ضابط سفينة يدعى «خنوم نخت»، وقد كان من واجب هذا الضابط أن يحمل في سفينته ضرائب خاصة تدفع عينًا من الحنطة للإله «خنوم» في «إلفنتين»، وقد تآمر مع الكتاب والمفتشين والزراع على أن يستولي لنفسه على كل الحبوب. ويلاحظ أن ما جاء من أول السطر الثاني عشر، الصفحة الثانية من ظهر الورقة حتى نهايتها ينحصر في تهم منوعة، وبعد ذلك نجد المتن ممزقًا حتى إنه أصبح من الصعب علينا معرفة الدور الذي كان يلعبه «خنوم نخت» فيها، وتدل شواهد الأحوال على أنه كان هو المجرم الأكبر أيضًا. ولا شك في أننا نجد في هذا الضابط البحري مثلًا أعلى في عالم الجرائم المصرية المنقطعة النظير.

والمسرح الذي مثل عليه هؤلاء الأشخاص هذه الآثام كان في «إلفنتين» (أسوان) وبخاصة في معبد الإله «خنوم» المقام في هذه البلدة.

ومما يؤسف له جد الأسف أنه لم يصل إلينا من هذه الوثيقة الجزء الخاص بالمحكمة التي فصلت في هذه الجرائم العديدة، إذ لا نزاع في أن مرتكبيها قد حوكموا. وليس لدينا على ما يظهر ما يدل على الجهة التي تفصل في الجرائم الدينية والجرائم الأهلية، وهل تفصل فيها محاكم موحدة في كل مصر؟ وسنرى فيما بعد في ورقة «ماير» (Pap. Mayer A) أن كهنة مختلفين اتهموا بسرقة المقابر الملكية، وقد حوكموا على هذه الجريمة في نفس المحكمة التي حوكم فيها غير رجال الدين، وليس لدينا ما يدعو إلى الظن بأن الكهنة الذين خرقوا القانون كانوا يعاملون معاملة مختلفة عن غيرهم، وهذا على الرغم من الشواذ المختلفة التي نراها في العهد المتأخر من تاريخ البلاد، على أنه في الوقت نفسه يمكن أن نتصور أن الجرائم الدينية البحتة كان يقضى فيها في محاكم خاصة. ومثل هذه المحاكم كانت تتألف كلها أو معظمها من الكهنة، ويحتمل أنهم كانوا من أعضاء المعبد الذي ارتكبت فيه الجريمة. ومع ذلك فليس لدينا مثال واحد عن محكمة مثل هذه، والمحكمة الوحيدة المعروفة لدينا التي كان كل أعضائها كهنة قد فصلوا في قضية خاصة بحقوق ملكية أجرت للمعبد (راجع مصر القديمة ج٦). ومن جهة أخرى نعلم أن الكهنة كان يمكن تعيينهم للخدمة في محاكم الجنايات والمحاكم الأهلية. (قنبت) (كما سنرى بعد عند الكلام على ورقة «إبوت»).

والآن نعود إلى فحص التهم التي وجهت إلى الكاهن «بنعنقت».

التهمتان الأوليان الخاصتان بعجول «منفيس» (Recto I, 1–3)، وتنحصر الجريمة في بيعه هذه العجول، والتفسير البسيط لذلك هو أنها لم تكن ملكه ليبيعها، غير أن هناك تفسيرًا آخر ممكنًا، وذلك أن الثور «منفيس» وهو الثور المقدس لمدينة «هليوبوليس» الذي كان يتقمصه الإله «رع» كان له على ما يظهر مثل العجل «أبيس» إناث من البقرات، ولم تكن هذه البقرات تسكن «هليوبوليس» وحسب بل كانت على حسب ما جاء في البردية التي نفحصها في «إلفنتين»، وفي أماكن أخرى (راجع Blackman, Rock Tombs of Meir II, 25–7) ومن بين العجول الذكور التي تنتجها هذه البقرات كان ينتخب الثور «منفيس»؛ ولذلك كان يحرم بيعها أو التصرف فيها.

أما التهمة التالية لذلك (ص١ سطر ٤) فغامضة لصعوبة فك رموزها. والظاهر أن هذه الفقرة التي نحن بصددها تشبه ما جاء في ورقة «لي» و«رلن» أي إنها كانت تستعمل في أغراض سحرية (راجع مصر القديمة ج٧) وإلا فهل من الجائز أنها وثائق مزوَّرة كالتي أشير إليها في نقوش «مس» وهي التي منحته حقوقًا لم يكن يملكها. وعلى أية حال فإن هذا الكاهن قد وضع هذه الوثائق أمام الإله «خنوم»، وكان الغرض البدهي من ذلك أن يجعل الإله يوافق إما على ملكيته لها أو على العمل على الحصول عليها. وقد كانت موافقة الإله تظهر بالطريقة المعتادة، أي بأن يومئ برأسه. والسطر السابع من نفس الصحيفة يحتوي على تهمة سرقة كما يحتوي السطر الثامن على تهمة مماثلة، غير أن ألفاظها لم يمكن تحديد معناها تمامًا. وفي هذه الحالة يظهر أن الإله قد أعطى جوابًا موافقًا.

والأسطر التالية من ٩ إلى ١٤ تحتوي على نقطة من أهم النقط في هذه الورقة، فالمعنى العام المفهوم، ومنه نعرف أن جريمة الكاهن تنحصر في أنه اشترك في القيام بخدمة الإله، وحمل تمثاله قبل أن يطهر نفسه كما يجب بغسل الفم بالنطرون لمدة أيام معدودات (Blackman, articles Purification (Egyptian) in Hastings Dictionary of Religion and Ethics § V. 7).

وإذا كانت الترجمة التي أوردناها هنا صحيحة، فإن مدة التطهير بالنطرون كانت أسبوعًا مصريًّا وهو عشرة أيام. والواقع أن تحديد هذه المدة لم يأتِ في مصدر آخر معروف لنا حتى الآن.

والحصن المذكور هنا هو بلا شك حصن «إلفنتين»، الذي يقع في داخله معبد الإله «خنوم».

وكاتب الخزانة المسمى «حرحبشف» بالمتن الذي جاء على ظهر الورقة (Verso 1, 2) كان عمدة مدينة «إلفنتين» بالنيابة.

أما التهمة التي جاءت في الأسطر من ١٢ إلى ١٤ فيحيطها بعض الغموض، والواقع أن الوزير «نفر رنبت» قد عين شخصًا يدعى «باكنخنسو» كاهنًا، وقد انتهز الكاهن المجرم فرصة بطريقة ما للتخلص من كاهن آخر مطهر يعرف باسم «طفل باشوتي»، والظاهر أنه كان يكرهه. ومن المتن نفهم أن هذا العمل تم بوساطة وحي. وقد انكشفت المؤامرة ونفي الزعيم من المعبد غير أنه حاول العودة إلى خدمة المعبد برشوة «باكنخنسو» المعين حديثًا. والوزير «نفر رنبت» معروف لنا من بعض «إستراكا» من عهد «رعمسيس الرابع».

والتهمة التي تلي ذلك (Rec, 1, 2) تحتوي على نقطة ذات أهمية، وهي إرسال مشرف الخزانة لفحص مالية معبد الإله «خنوم»، ومن ذلك نفهم أن الفرعون كان لا يزال له الرقابة على المعابد حتى ذلك العهد.

ومن التهمة التي تتلو السابقة (Recto 2, 3) يظهر أن الفرعون هو الذي كان بيده الأمر بقطع أنف المجرم أو أذنه، كما شاهدنا ذلك في منشور «نوري» (راجع مصر القديمة ج٦).

وتحتوي الأسطر من أربع إلى تسع تهم ذات أهمية، وذلك أن الوزير أرسل رسولين ليحضرا أمامه الكاهن والد الإله المسمى «قاخبش»، وتدل شواهد الأحوال على أنه كاتب هذه البردية. ومن المعلوم أن كهنة كل معبد كانوا مقسمين أربع طوائف كل منها كانت تقوم بالحراسة شهرًا، ولما وجد الرسولان أن «قاخبش» كان يقوم بواجب الحراسة في تلك الفترة صمما على أن ينتظرا حتى تتم خدمته، ولكن المجرم الذي كان يريد التخلص منه لسبب ما لم يفسر من هو «قاخبش» وحاول رشوة الرسولين. ومما يؤسف له أن نتيجة ذلك لم تعرف لغموض الورقة بسبب تمزيقها عند هذه النقطة. ولا نعلم السبب في طلب الوزير له، ولكن لما كان على رسولي هذا الموظف الكبير أن ينتظرا مدة لا تقل عن خمسة عشر يومًا قبل أن ينفذ أمره، فإنه يمكننا أن نستنبط أن قداسة عظيمة كانت تحيط بالكاهن في أثناء تأدية خدمته في المعبد مدة شهر (وهذه تشبه الحصانة البرلمانية الآن).

وباقي التهم في هذه الصفحة غامض لتمزق الورقة.

القسم (ب): هذا القسم من البردية يعالج مواضيع سرقات، وكل ما يلفت النظر فيها أن كاتب الخزانة المسمى «منتو حر خبشف»، الذي كان أميرًا بالنيابة لمقاطعة «إلفنتين» كان نفسه مرتشيًا.

القسم (ج): هذا القسم يصف لنا الأحوال التي ارتكبت فيها السرقات التالية، وتتلخص فيما يأتي: كان معبد الإله «خنوم» يملك بعض أرض تزرع غلة في الإقليم الشمالي، وكان مزارعو هذه الأرض تابعين لمعبد «خنوم»، ويدفعون عنها ضرائب سنوية للمعبد تبلغ سبعمائة حقيبة من الحنطة، وكانت هذه الحنطة تجمع وتحمل على النيل إلى «إلفنتين» بوساطة ضابط سفينة مات في السنة الثامنة والعشرين من حكم «رعمسيس الثالث»، وعلى إثر ذلك حل محله أحد كهنة معبد آخر يدعى «خنوم نخت».

والظاهر أن هذا الرجل بقي يؤدي عمله بأمانة المدة الباقية من عهد «رعمسيس الثالث»، ولكن في السنة الأولى من مدة خلفه «رعمسيس الرابع» أخذ يختلس مقادير عظيمة من الشعير بتغاضي الكتاب والمفتشين ومزارعي معبد «خنوم»، والظاهر أن بعض رجال السفينة كانوا مشتركين في الخيانة أيضًا.

وبعد ذلك تأتي قائمة بالاختلاسات في كل سنة، حتى السنة الثالثة من عهد الفرعون أي: «رعمسيس الخامس». وقد بلغ مجموع ما اختلس ٥٠٠٤ حقيبة وهو مجموع خاطئ ويجب أن يكون ٥٧٢٤ حقيبة.

أما عن التهم التالية لذلك (Vers II, 12–14) فمن الصعب فهمها، وكل ما يمكن معرفته هو أن ضابط السفينة قد استحل لنفسه مائة حقيبة سنويًّا من بعض مادة يحتمل أنها شعير، وهي مقدار ما يورده للمعبد شخصان: «رمع» و«بوخد».

أما التهم التي في الأسطر من ١٥ إلى ١٦ فسهلة الفهم، إذ نجد هنا أن مفتشي المعبد قد اتهموا صراحة بالرشوة.

وأخيرًا نلاحظ أن التهم التي في الصفحة الثالثة من ظهر الورقة منوعة، ويحيط بها الغموض بسبب تمزق الورقة، فالتهمة الأولى ضد ضابط السفينة، ولكن التهمتين التاليتين خاصتان بالبحار «بنختتا» على ما يظهر. وما تبقَّى لا يمكن أن نكوِّن منه رأيًا، وكل ما يلفت

النظر هو ما جاء في السطرين الثامن والتاسع من أن كاهن والد الإله لمعبد «منتو» يمكنه أن يقوم بالواجبات التي كان يقوم بها الكاهن والد الإله في معبد «خنوم»، أي إن عمل كل منهما واحد.

والخلاصة أنه يمكن القول بأن ما جاء في كل من ورقة «صولت» وورقة «تورين» يضع أمامنا صورة حية عن انتشار الرشوة وفساد الأخلاق وانحلال أداة الحكم في أنحاء البلاد كلها، وبخاصة بين رجال الدين الذين ضربوا الرقم القياسي في ارتكاب الآثام وأشركوا معهم الموظفين الآخرين، ولا غرابة إذن في أن نرى فيما بعد أنهم لما خلفوا ملوك الرعامسة، وتولوا زمام الحكم في البلاد، لم يكن في مقدورهم الاستمرار في قيادة البلاد إلا فترة وجيزة انتهت بضياع الملك من أيديهم، واستيلاء فئة أجانب غاصبين أقوياء انتهزوا فرصة ضعف البلاد وتدهورها في عهدهم المنحل.

(١) ضرائب الأطيان في عهد الرعامسة (حوالي ١٢٩٠ق.م)

كانت الزراعة ولا تزال أعظم موارد ثروة أهل الكنانة منذ فجر التاريخ حتى يومنا هذا، وقد أصاب «هكاته أبدري» اليوناني الأصل عندما قال جملته المشهورة التي نقلها عنه «هيرودوت» وهي: «مصر منحة النيل.» فحياة مصر في الواقع رهن الفيضان الذي يتدفق على البلاد سنويًّا من جبال أواسط أفريقيا بلا انقطاع في ميقاته المحدد كالليل والنهار والفصول وغيرها من مظاهر الطبيعة، حتى أصبح حلوله في البلاد بشيرًا بالحياة والخصب والثراء، واختفاؤه نذيرًا بالقحط والفناء. ولما كان المصري رجلًا عمليًّا قدس هذه الظاهرة الطبيعية تقديسًا بالغًا أفضى إلى عبادة «حعبي» (الفيضان) الذي كان يأتي للبلاد سنويًّا بالغلة التي يعيش منها الأهلون ويثرون بما يفيض منها؛ من أجل ذلك حافظ المصري منذ فجر تاريخه على الانتفاع بمياه هذا الإله العظيم بكل ما وصل إليه من مقدرة وعلم، فأقام الجسور وحفر الترع ونصب السدود في كل بقعة بقدر ما وصل إليه جهده وعلمه. ولقد بالغ القوم بحق في العناية بأمر مياه النيل حتى إن حكام المقاطعات التي كانت تتألف منها البلاد كان كل منهم يدعى «حاكم الترعة». ولا غرابة إذن في أن نرى المصري كان يقرر ضريبة الأرض ومنتجاتها على حسب مقياس النيل صعودًا وانخفاضًا، فإذا جاء «حعبي» (الفيضان) عاليًا سر القوم وعم الفرح البلاد، وأُنشدت الأناشيد لهذا الإله العظيم، وقُدمت له القربات في كل مكان في صور تماثيل صغيرة وحلي كانت تلقى فيه سنويًّا، ومن ثم نشأت خرافة «عروس النيل» التي لا أصل لها قط كما أوضحت ذلك في غير هذا المكان.

ولقد ظلت ضريبة الأطيان تجبى على حسب حالة النيل في كل الأزمان القديمة والحديثة، غير أنه مما يؤسف له جد الأسف لم تصلنا حتى زمن قريب معلومات شافية عن هذه الضرائب وكيفية توزيعها، وكل ما وصل إلينا منها نُتَف صغيرة لا يمكن استنباط معلومات يرتكز عليها الباحث عندما يريد وضع ملخص في تاريخ ضرائب الأرض في مصر القديمة؛ ليكون أساسًا لما بعده من العصور في تاريخنا القومي. ولقد ظلت الحالة هكذا إلى أن جادت تربة مصر ببردية فذة فيها مساحة جزء من أرض مصر، وتقدير ما عليها من ضرائب بطريقة علمية أدهشت علماء الآثار لدقة ما جاء فيها من نظام علمي فريد من جهة؛ وما روعي في وضع فئات الضرائب على حسب ترتيب الأرض إلى درجات؛ من حيث الجودة وقدرة الأهلين وطرق الري من جهة أخرى، مما جعل محتويات هذه البردية كشفًا جديدًا في عالم الضرائب، وكيفية توزيعها على أصحاب الأطيان.

والمعلومات التي وصلت إلينا عن ضرائب الأطيان في مصر غريبة في بابها على علماء الآثار المصرية، حتى إن الباحثين لا يزالون في حيرة من أمرهم في حل بعض معضلاتها، غير أن مجمل ما جاء فيها يعدُّ فتحًا جديدًا في عالم الاقتصاد المصري من حيث

الضرائب ونظمها.

وسنحاول هنا أن نضع ملخصًا لمحتويات هذه الورقة بقدر ما تسمح به معلوماتنا في اللغة المصرية القديمة، ولعل الأجيال القادمة تصل إلى كل الدقائق العويصة التي تنطوي عليها هذه الوثيقة، وسنوجه عنايتنا في بحثنا هذا إلى النقط الهامة الآتية في سياق البحث، وهي:

(١) تقسيم الأراضي الزراعية أقسامًا على حسب جودتها.

(٢) أسعار الضرائب المختلفة على كل فئة من فئات الأراضي المذكورة عينًا ونقدًا.

(٣) وحدات المقاييس والمكاييل وقرنها بالمكاييل والمقاييس المصرية الحالية.

(٤) توزيع الملكيات وعلاقتها بالضرائب التصاعدية.

وسنبدأ أولًا بذكر تاريخ هذه الوثيقة ومحتوياتها.

(١-١) ورقة «فلبور»[١٩] الخاصة بمساحة الأراضي وفرض الضرائب عليها في عهد الرعامسة

تاريخ الورقة: في عام ١٩٢٩م عرض للبيع أحد تجار الأقصر بردية مكتوبة بالخط الهيراطيقي على «المتحف المصري»، وقد تردَّد أصحاب الشأن في شرائها، وبخاصة بعد أن قرَّر علماء الهيراطيقية أن الورقة ليست ذات قيمة علمية تذكر، وأن معظم محتوياتها أرقام حسابية، ولكن بعد مدة شرع الأثري «كابار» في شراء هذه الوثيقة من التاجر لحساب متحف «بركلين» الأمريكي من أموال الأثري «فلبور»، وهو الذي سميت الورقة فيما بعد باسمه. وقبل نقلها إلى أمريكا استأذن «المتحف المصري» في تصديرها فسمح له بشرط أن يكون «للمتحف المصري» الحق في شرائها، إذا دل البحث العلمي على أنها ذات قيمة أثرية عظيمة. وبعد فحص سطحي بوساطة أعظم العلماء المتمكنين في الكتابة الهيراطيقية وقراءتها أقرَّ هؤلاء بأنها ليست ذات شأن يذكر، وعلى ذلك تنحى مدير «المتحف المصري» عن شرائها. ولكن على أثر نشر صفحاتها المطوية، ودرس محتوياتها بدقة اتضح أن قيمتها العلمية فوق ما كان ينتظر، وأنها من الأوراق البردية الفذة في عالم الآثار؛ لأن موضوعها خارج عن دائرة الموضوعات الدينية.

والواقع أن هذه الوثيقة العظيمة التي نشرها للمرة الأولى الأستاذ «جاردنر»[٢٠] تعد من أهم الأوراق البردية غير الدينية التي وصلتنا من العهد الفرعوني، وحجمها الحقيقي هو عشرة أمتار طولًا فقط، وعلى ذلك فإنها تتضاءل أمام طول ورقة «هاريس الكبرى» المحفوظة الآن «بالمتحف البريطاني»، والتي يزيد طولها عن أربعين مترًا، وكذلك يفوقها في الطول ورقة «إبرس» المحفوظة في «متحف ليبزج» وتبلغ عشرين مترًا، ولكن من حيث كمية المادة التي تشتمل عليها فإنها منقطعة النظير. فالأسطر التي يحتويها الجزء الكبير من الجزأين اللذين تتألف منهما الورقة يقدر بنحو ٤٥٠٠ سطرًا موزعة على أربعة ومائة عمود، وتحتوي على معلومات ضخمة، والجزء الثاني من المتن يحتوي على خمس وعشرين صفحة، وتشمل ٧٢٣ سطرًا.

وتقدم لنا الورقة سجلًّا فريدًا في بابه عن ملكيات أطيان، وما كان مفروضًا على تلك الأطيان من ضرائب.

حقًّا إن موضوع هذه الورقة ليس موضوعًا سهل التناول، غير أن ذلك لا يقلل من أهميتها لأسباب خاصة سنشرحها فيما يلي:

أهمية الورقة: والواقع أنه لدينا للمرة الأولى وثيقة ضخمة تبحث في مساحة الحقول وتقدير الضرائب التي كانت تجبى عليها. وهذه من العمليات العظيمة الخاصة بالإدارة المصرية، ولا نزاع في أنه من مثل هذه الوثائق كانت تؤلف السجلات النهائية للأرض المنزرعة، وهي التي كانت تعتمد على منتجاتها مالية البلاد. ولا بد أن مثل هذه السجلات كانت تعمل سنويًّا. وتدل نقوش قضية «مس» المشهورة التي يرجع تاريخها إلى حكم «رعمسيس الثاني» على أنها كانت تحفظ لعدة سنين؛ لتكون سندًا لإثبات الملكية عند قيام أية منازعات، ومع ذلك فإن من بين وثائق عمليات المساحة كلها التي كانت على مر القرون — لا تدون حتمًا بوساطة موظفين مصريين — تعد الوثيقة التي بين أيدينا الآن النسخة الوحيدة الكبيرة، التي بقيت لنا من عهد الفراعنة سليمة إلى حد بعيد؛ ومما يزيد في أهميتها أنها تتناول إقليم مصر الوسطى لا إقليم «طيبة» كمعظم المتون الإدارية، التي وصلت إلينا من هذه المدينة المليئة بالآثار من كل العصور.

ومتن ورقة «فلبور» يلقي ضوءًا جديدًا على نواحٍ متعددة من نواحي الحضارة المصرية، فمثلًا نجد أنه قد ورد فيها أسماء أعلام تعد بالمئات لم تكن معروفة من قبل، ولما كانت هذه الأسماء معروفًا موطنها على وجه التقريب فإنها تصبح بلا شك، عندما تفحص فحصًا علميًّا، ذات أثر عظيم في كشف النقاب عن العبادات المحلية، وبخاصة عندما نعلم أن هذه الأعلام قد ركبت تركيبًا مزجيًّا مع أسماء الآلهة أنفسهم الذين كانوا يعبدون في هذا الإقليم.

أما عن المسائل الجغرافية فإن مقدار المادة الجديدة التي وردت في الورقة ضخم جدًّا، وقد حل منها جزء عظيم، غير أن الباقي لا يزال يحتاج إلى درس وفحص كبير، فقد عرفنا منها أسماء معابد جديدة لم تكن معروفة من قبل، وكذلك عرفنا مصادر علف الماشية التي كانت ملكًا لتلك المعابد، كما عرفنا الموظفين المشرفين على زراعة الأرض وجمع محاصيلها، والأعمال التي تقوم بها طبقات الملاك؛ هذا إلى تعدد وجود المستعمرين الأجانب في التربة المصرية، يضاف إلى ذلك معلومات جديدة عن الموازين والمكاييل، غير أنها لا تزال معقدة كما كانت من قبل.

والأهمية العظيمة لهذه الوثيقة على أية حال تنحصر في وجود البرهان القاطع — الذي تضعه أمامنا — عن الالتزامات المشتركة بين المعابد والتاج وصغار الملاك من جهة، وبين رقابة السلطة المالية الموحدة التي كانت تسيطر على هذه الأنظمة كلها من جهة أخرى.

وتشمل «ورقة فلبور» متنين: الأول (أ) دُوِّنَ على وجه الورقة وعلى ثلث ظهرها. والمتن الثاني (ب) وقد دوِّن كله على ما تبقى من ظهر الورقة.

المتن (أ): يدل الخط الذي كتب به هذا المتن على أن كاتبه كان ماهرًا وعالمًا بمصطلحات الكتابة المصرية.

موضوع المتن: والمتن الأول (أ) يشمل مساحة عدد عظيم من الحقول وتقدير ما عليها من ضرائب في مصر الوسطى. وقد بدأت أعمال المساحة في هذه الحقول في مكان ما في شمال «مدينة الفيوم» أو مدينة التمساح، كما كان يسميها قدماء اليونان، ويحتمل أنها انتهت عند نقطة قريبة من بلدة «طهنا» الواقعة على مسافة قريبة من مدينة «المنيا» الحالية، وعلى ذلك تكون رقعة الأرض التي شملتها المساحة تبلغ ما بين خمسة وثمانين وخمسة وتسعين ميلًا، أو ما يربو على أربعين ومائة كيلومتر، والنتائج التي حصل عليها المقدرون لضرائب الأرض قد دونت بصورة ثابتة؛ فقد كانت تكتب أسطرًا في صورة عناوين بالمداد الأحمر يبدأ كل منها بالكلمات التالية: مساحة عملت في … أو مساحة عملت في شمال أو جنوب كذا … ثم يتبع ذلك أسطر أخرى كل منها يقدم تفاصيل عن قطعة من الأرض في الجهة المقصودة. وهذه التفاصيل تشمل أحيانًا اسم مالك قطعة الأرض وصناعته، وكذلك تذكر دائمًا مساحتها وتقديرها

ـــ إذا كان يوجد تقدير ـــ وذلك بالغلة. والاستثناءات الرئيسية في هذا التصميم المطرد تعرف من عناوين الفصول والفقرات، ومن وجود أسطر مفردة خصصت لما سنسميه التسجيلات ذات التقسيم. وعلى الرغم من أن عمل المساحين في الحقول كان يسير حتمًا على حسب التسلسل الطبوغرافي، فإن نتائجه كانت تنظم بطريقة أخرى في متن الورقة، وذلك أنها كانت توضع تحت عناوين لعدد عظيم من مؤسسات أصحاب الأملاك وبخاصة المعابد، ولمؤسسات أخرى تابعة للتاج؛ وعلى ذلك نجد أن كل حقل قد دوِّن بالنسبة لمالك الأرض. والمتن الذي بين يدينا (أ) يشبه في الواقع «دفتر الأستاذ» أكثر منه سجل مساحة.

والمؤسسات ذات الأطيان المذكورة في العناوين التي تشغل سطرًا أو سطرين أو ثلاثة ـــ قد أدت إلى تقسيم المتن إلى ٢٨٠ فقرة ـــ غير أن هذا لا يعني أنه قد ذكر في الورقة ٢٨٠ مؤسسة تملك أطيانًا، بل الواقع أن عدد المؤسسات أقل من ذلك لسببين:

(أولًا) أن إدارة الأرض التابعة للمعابد الكبيرة كان يكلف بإدارتها موظفون مختلفون يسأل كل واحد منهم عن إدارة ضيعة خاصة؛ وقد خصص لكل ضيعة فقرة منفردة، فمثلًا نجد في المختصر تحت الفقرات (٦٤ـــ٦٨) خمس فقرات متتالية خصصت لمعبد «رعمسيس الثالث» والواقع أن معبد مدينة «هابو» لا يوجد فقط في الفقرات (٦٤ـــ٦٨) من الفصل الثاني، بل كذلك يوجد في الفقرات (١٢٧ـــ١٣٨) من الفصل الثالث، وفي الفقرات (٢٢٠ـــ٢٣٠) من الفصل الرابع، فلا بد لنا لتفسير ذلك من ترك الفقرات وبحثها مؤقتًا، ونوجه نظرنا إلى تقسيم الورقة إلى فصول. وقبل أن نتكلم عن فصول هذه الورقة يجب أن نحدد تاريخها.

فقد أنجزت عملية المساحة في مدة تربو على ثلاثة وعشرين يومًا في السنة الرابعة من حكم الفرعون «رعمسيس الخامس» (حوالي ١١٥٠ق.م). ويدل على صحة هذا التاريخ بعض الأمثلة التي سجلت في دفتر السجلات تسجيلًا مزدوجًا فيه بعض الاختلاف من حيث الطول والاختصار، فقد جاء في التسجيل الأول: «قصر ملايين السنين «لرعمسيس آمون حر خبشف مري آمون».» وهذا يقابل في التسجيل الآخر: «قصر الفرعون.» وهنا يجب أن نلاحظ أننا في عصر الرعامسة، وفي العصور التي تلته نجد لفظة «الفرعون» عندما تذكر من غير أي نعت لها تدل على الفرعون العائش في تلك الفترة من الزمن، ومن ثم حدد لنا عهد الفرعون الذي كتبت في زمنه هذه الورقة، كما يدل على ذلك المثالان السابقان.

ولا بد من لفت النظر هنا إلى أن الشهر الذي أجريت فيه هذه المساحة قد لا ينطبق على الواقع، ويرجع ذلك إلى ما يحدث من الخطأ عند حساب السنة ٣٦٥ يومًا بدلًا من ـ يومًا؛ إذ نجد على كر السنين والأيام أن الشهور قد غيرت أماكنها وحل الواحد منها محل الآخر، فمثلًا نجد أن الشهر الثاني من فصل الفيضان لا ينطبق على أية حال مع الشهر الثاني بعد بداية ارتفاع النيل. وقد حسب على هذه القاعدة أن اليوم الخامس عشر من الشهر الثاني من فصل الفيضان يقابل الثالث والعشرين من شهر يوليو؛ أي قبل أن تبتدئ زيادة النيل في الظهور. وهذا الفصل طبعًا غير ملائم لعمل المساحة، إذ كانت في العادة مساحة الأرض تُجرى عند ضم المحصول أي: في أبريل أو على الأكثر في أوائل مايو (راجع J. E. A. Vol, XX. P. 54–6).

ويلاحظ في هذه الورقة أن أسماء الموظفين الذين كلفوا بتقدير ضرائب هذه الأطيان لم تذكر، بل كان يُكتفى بكتابة علامة تقابل كلمة «شرحه» عندنا، وكان على رأسهم رئيس بلقب «كبير موظفي الضرائب» غير أن اسمه لم يذكر صراحة في الورقة.

المتن الأول من الورقة (أ): ينقسم متن هذا الجزء من الورقة إلى أربعة فصول: الفصل الأول قد فُقد أوله، أما الفصول الثلاثة التالية فسليمة، ويبدأ كل واحد منها بتاريخ وصيغة موحدة مشتركة في الفصول الأخرى. وهاك ما جاء في عنوان الفصل الثاني من هذا المتن:

«السنة الرابعة الشهر الثاني من فصل الفيضان، اليوم الخامس عشر، أي مدة ستة أيام، التقدير الذي عمل بوساطة …»

والفصل الثالث يشمل التقديرات التي عُملت من يوم ٢١–٢٨ من نفس الشهر. والفصل الرابع يشمل التقديرات، التي عُملت من يوم ٢٩ إلى اليوم الأول من الشهر الثالث.

ومن ثم يمكننا أن نستنبط أن ورقة «فلبور» أو الورقة التي يتألف منها النصف الأول من الجزء الأول من المتن قد دُوِّنت في أربعة مجاميع، يظهر فيها نتائج المقاييس والتقديرات التي تمت في فترات متوالية تبلغ مدتها ثلاثة وعشرين يومًا.

رءوس الفقرات وفروعها: ونعود الآن إلى مناقشة الفقرات، فنلاحظ أولًا أن كلًّا من الفصول الكاملة يبدأ بفقرة عن معبد «آمون» الكبير في الكرنك، كما يذكر مع ذلك الإضافة الشهيرة التي أضافها فيه «رعمسيس الثالث»، وكذلك المحراب الذي أقيم للملكة «تيعا» زوج «أمنحتب الثاني» ولم يكن معروفًا لنا من قبل، وكذلك معبد الإلهة «موت» في «إشرو» الواقع في نهاية الجزء الجنوبي من مباني الكرنك المقدسة (213 §).

وهذه المؤسسات كلها كانت وحدات منفصلة لها أملاكها من الأراضي، التي عملت مساحتها في «ورقة فلبور»، ووضع معبد «آمون رع» على رأس الفصول التي تتألف منها الورقة، ونجد فيه تشابهًا دقيقًا للمرة الأولى مع ورقة «هاريس» من حيث الترتيب في تعداد الإنعامات التي منحها «رعمسيس الثالث» للآلهة، والتي وصلت إلينا في هذه الورقة العظيمة التي فصلنا القول فيها في الجزء السابع من مصر القديمة. فكل من الوثيقتين تناولت «طيبة» و«هليوبوليس» و«منف» على التوالي، وبعد ذلك دُوِّنت المعابد الصغيرة الأخرى التي كان لها كذلك ممتلكات عظيمة، ولم يشذ تطبيق هذا النظام إلا في بعض نقط بسيطة.

ولا شك في أن احتلال «معبد الكرنك» العظيم مكانة ممتازة بوصفه مؤسسة منفصلة لها أملاكها التي تمتد شمالًا حتى جوار «إهناسيا المدينة» له أهمية بالغة؛ لأن الأستاذ «برستد» قد استنبط النظرية القائلة: بأن في حكم الملك «رعمسيس الثالث» كانت أملاك الكرنك وإدارته مندمجة في أملاك معبد هذا الملك بمدينة «هابو»، وقد دحضنا هذا الزعم في الجزء السابع من مصر القديمة.

وما ذكر في ورقة «فلبور» هنا يعزز رأينا بصفة قاطعة. والمعابد الطيبية الأخرى التي ذكرت في «ورقة فلبور» تأتي تباعًا على حسب الترتيب التاريخي العكسي مبتدئة بمعبد «رعمسيس الخامس» (58 §) ثم «رعمسيس الرابع» (60 §)، ثم مدينة «هابو» «رعمسيس الثالث» والرمسيوم «رعمسيس الثاني» (69 §) وأخيرًا معبد «حور محب» (70 §). والمعابد التي تسمى قصورًا «حوت» في المتون المصرية هي التي تعرف الآن باسم المعابد الجنازية، التي تقع على حافة الصحراء الغربية من «طيبة الغربية»، حيث أقام كثيرون من فراعنة الدولة الحديثة معابدهم الجنازية.

والواقع أن وجود مؤسسات جنازية عديدة لملوك سابقين في عهد «رعمسيس الخامس» — وأنها لا تزال موجودة في طيبة في عهده، ولها إدارات منفصلة خاصة بها — يعدُّ من الأمور المفاجئة بل المدهشة لنا؛ فمنذ بضع سنين كان من المعقول ألا نشك في أن معبد «رعمسيس الثالث» المقام في مدينة «هابو» قد استولى على بعض أملاك معبد «رعمسيس الثاني» المجاورة له؛ أي (الرمسيوم) وهو معبد عظيم لم يكن مضى على إقامته وقتئذ أكثر من قرن من الزمان، وكان قد أقامه الفرعون «رعمسيس الثاني» الذي كان يكنُّ له «رعمسيس الثالث» أعظم تقدير واحترام، كما كان يقلده في كل أطوار حياته (راجع 69 §). وعلى الرغم من ذلك نعلم من ورقة

«فلبور» أنه في عهد «رعمسيس الخامس» لم يكن معبد «الرمسيوم» وحده المعبد المزدهر، بل كذلك معابد أخرى أقدم منه كانت نامية آهلة، وما نجده صحيحًا عن «طيبة» ومعابدها سنجده كذلك ينطبق على معابد «هليوبوليس» و«منف» بدرجة أقل طبعًا؛ لأن الأولى كانت العاصمة الدينية وقتئذ.

وقد ذكر في ورقة «أمين» (J. E. A. XX VII, 43-4) ما يدل على أن بعض المؤسسات الثانوية التي تضمها جدران معبد «الكرنك» الكبير، ويرجع عهدها إلى أوائل الأسرة الثامنة عشرة — لا تزال تتمتع بإدارة مستقلة نسبيًّا في منتصف الأسرة العشرين، ولا يمكننا أن نعرف إلى أي حد يمكن استخدام برهان ورقة «فلبور» في معنى يتعارض مع هذا الرأي، إذ في ذلك شك بل على العكس أصبح من حقنا أن نقول هنا: بأنه إذا كانت المعابد الجنازية الخاصة بالفراعنة العظماء مثل «تحتمس الثالث» و«أمنحتب الثالث» لا تزال محتفظة بإقامة شعائرها حتى عهد «رعمسيس الخامس»، فإنه من المنتظر أن تجد لها أملاكًا في الإقليم الذي عملت مساحته وقدِّرت ضرائبه آنئذ.

معابد هليوبوليس: والمعابد التابعة لـ «هليوبوليس» المذكورة في ورقة «فلبور»، وهي التي من نفس موضعها في هذه الجهة تعد تابعة لضيعة «رع» إله هذه البلدة العظيمة عددها ستة أو سبعة إذا حسبنا مؤسسة لم يطلق عليها اسم بيت أو معبد جنازي. ومن المدهش أن ثلاثًا من المؤسسات الكبيرة منها لم تكن في «هليوبوليس» نفسها، بل كانت ملحقات لها تقع على مسافات مختلفة من المدينة.

وسنتناول معابد المدينة أولًا: فأعظمها هو معبد الإله «رع حوراختي» وهو بلا شك أعظم معابد «هليوبوليس» وأكثرها قداسة وإجلالًا، وقد جاء ذكره كذلك في ورقة «هاريس» وغيرها، وكانت تحت إشراف الكاهن الأكبر لإله الشمس الملقب أعظم الرائين (ور-ماو) وقد كانت هناك كذلك معابد بناها «رعمسيس الثاني» (76 §) و«مرنبتاح» (79 §) بالتوالي. والمعبد الأخير جديد بالنسبة لنا؛ إذ لا نعرفه إلا من هذه الورقة، ولم تشر ورقة «فلبور» إلى المحراب الصغير للإله «آتوم»، الذي كان قد أحرق فيه البخور الفاتح الأثيوبي «بيعنخي» عند مروره به في أثناء غزوه مصر عام ٧٤١ق.م، وكذلك لم تذكر مقصورة الإلهة «حتحور نفرحتب» التي جاء ذكرها في لوحة «تورين» (A. Z. LXXI, p. III ff).

ومن بين الأماكن التي ذكرت خارج مدينة «هليوبوليس» في ورقة «فلبور» معبد يطلق عليه اسم: هؤلاء التابعون لمعبد «رعمسيس حقا إيون» في معبد «رع» شمالي «هليوبوليس»، وهو يعد أكبرها وأغناها، وقد سمي بهذا الاسم؛ لأنه كان مقر طائفة من المستعمرين؛ ولذلك جاء اسمه يخالف التسمية العادية، وهذه المؤسسة التي أقامها «رعمسيس الثالث» هي بلا شك التي كشف عن بقاياها في «تل اليهودية» الواقع على مسافة ثمانية عشر كيلومترًا شمالي «هليوبوليس»، وقد اكتسب أهمية جديدة؛ لأن اسمها قد اختصر في الورقة مرتين: «نات حو» (أي هؤلاء التابعون للمعبد) وهذه التسمية قد بقيت في الإغريقية بلفظة «ناثو» Natho، غير أنه من المشكوك فيه إذا كانت «نات حو» التي جاءت في ورقة «فلبور» هي نفس بلدة «ناثو» التي ذكرها «هردوت» (Herod. II, 115).

وفي الفصل الرابع من ورقة «فلبور» خصصت فقرة (238 §) لمعبد إله النيل[٢١] «حعبي» والد الآلهة، وقد ذكر بأنه تابع «لهليوبوليس» في ورقة «هاريس» أيضًا، وقد عثر على موقع هذا المعبد عند «أثر النبي» الواقع على الشاطئ الأيسر للنيل، على مسافة كيلومترين جنوبي مصر العتيقة (راجع مصر القديمة ج٧).

ولدينا معبد آخر يدعى معبد «رعمسيس مري آمون» محبوبه مثل «رع». (237 §)، ولكن موقعه يحوم حوله الشك؛ لأننا نحدد موقعه الآن بجوار «كوم مدينة غراب» الواقعة عند مدخل الفيوم دون أن نتأكد من ذلك. وقد جاء ذكر هذا المعبد على ورقة ممزقة وجدت في هذه الجهة (Ramesside Administrative Documents p. 28)، كما جاء ذكره على لوحة ساقي الفرعون «مرنتباح» المسمى «ابن إزن». (راجع مصر القديمة ج٧).

معابد منف: أما معابد «منف» فتشمل سبعة محاريب جاء على رأسها أقدم معابدها وهو «معبد بتاح العظيم جنوبي جداره رب عنخ تاوي» (80 §).

وكذلك يوجد معبدان «لرعمسيس الثاني» في «منف» يمكن تمييز أحدهما عن الآخر؛ فالأول يلقب «المحبوب مثل بتاح»، والآخر ينعت فقط باسم «بيت بتاح» (149 §) أي: معبد «رعمسيس مري آمون في بيت بتاح». وهذا المعبد المنفى الخاص «برعمسيس الثاني» ذكر هنا للمرة الأولى، وقد جاء ذكره على لوحة «بالمتحف المصري». (راجع Brugsch. Dic. Geog. p. 235) ولا نعلم إذا كانت بعض بقاياه لا تزال بالمدينة أم لا (Porter & Moss III, p. 217). وأخيرًا يوجد في هذه المجموعة على ما يظهر، المعبد المنسوب للفرعون «مرنتباح»، وهو الذي كشف عن جزء عظيم منه الأستاذ «فشر» (راجع مصر القديمة ج٧) وكذلك معبد آخر يسمى «قصرا» (240 ,232 §§) أي إنه كان على ما يظن معبدًا جنازيًّا لهذا الفرعون مثل المعابد التي كانت تقام على الشاطئ الغربي «لطيبة»، غير أنه قد أقيم هنا في «منف»، وهذا النوع من المعابد كان يطلق عليه لفظة «قصر».

المعابد الصغيرة: ونجد كذلك تشابهًا ملموسًا بين المعابد الصغيرة التي ذكرت في ورقة «فلبور»، والتي ذكرت في ورقة «هاريس»، وقد جاء ذكر هذه المعابد الصغيرة في كل على حسب الترتيب الجغرافي من الجنوب إلى الشمال؛ غير أن معلوماتنا عن هذه المعابد أقل وضوحًا عن تلك التي جاءت في ورقة «هاريس»، وذلك لأسباب عدة، فنجد (أولًا) أن عددًا من المحاريب الصغيرة لا يمكن التأكد من موقعها الحقيقي إلا عن طريق الاستنباط الذي لا يرتكز على أدلة قوية، (ثانيًا) نجد أن هذه المعابد الصغيرة موزعة على الفصول الأربعة التي تشتملها الورقة؛ ولذلك لا نجدها ظاهرة واضحة كما هي الحال في ورقة «هاريس».

والواقع أن ترتيب المعابد الصغيرة من الجنوب إلى الشمال في المتن الأول من الورقة يرتكز على أساس ثابت، وهذه الحقيقة لها أهمية عظيمة من حيث جغرافية مصر؛ لأنها تساعدنا على وجه التقريب على تحديد بعض المعابد التي لم تذكر إلا في هذه الورقة، فمثلًا نجد في الفصل الأول أن مقصورة «آمون»، الذي يسمع من بعيد (23 §) تقع على مسافة قريبة من مدينة «كوم غراب» … إلخ.

وتوصف عادة هذه المعابد الصغيرة كلها بكلمة «بيت» (أي معبد) الإله فلان، أو الإلهة كذا، والآلهة التي ذكرت في هذه المعابد هي «آمون» (بنعوت مختلفة) والإله «عنتي» (الذي يمثل في صورة صقر) والإله «حرشف» (أرسفيس) ملك الأرضين في «إهناسيا المدينة» ويمثل برأس كبش، والإله «باتا».[٢٢] والتاسوع المقدس، والإلهة «حتحور» والإله «حورمين» و«إزيس» معًا، و«إزيس» وحدها، والإله «مننو» والإلهة «نفتيس» بوصفها زوج الإله «ست»، والإلهة «توريس»[٢٣](102 §) والإله «أوزير» ,11 §§§) (87, 250 والإله «سبك رع» (254 ;159 §§) والإله «سبك» (21 ,20 ,12 §§) والإله «تحوت» (40 ,90 ,89 §§)، هذا خلافًا للملك «خع كاورع» (سنوسرت الثالث) المؤله (86 §)، ويخرج من تعداد هذه الآلهة «حعبي» إله الفيضان، والإله «أنحور»

وقد ذكرا خارج الترتيب الجغرافي، وكذلك الإله «حوراختي»، هذا بالإضافة إلى آلهة معابد العواصم الثلاث التي تكلمنا عنها فيما سبق.

وقد حشر بين أسماء المعابد الصغيرة نوع من المحاريب، يسمى «مظلة رع حوراختي» في بعض المدن مثل بلدة «منعنخ» (263 §) و«ساكو» (القيس) (162, 272 §) و«إهناسيا» (§ 1)، وهذه المحاريب لم تذكر قبل عهد «أخناتون»، ويظهر من صور في «تل العمارنة» أنها معابد صغيرة ذات عمد قد أقيمت حول دائرة المعابد الكبيرة خارج المعبد الأصلي.

ونجد في المتن الأول براهين تدل على أن تماثيل محمية (سشم خو) للإله كان لها حقول خاصة بها، وهذه التماثيل كانت توضع في محاريب تحمل على قارب خفيف (راجع مصر القديمة ج٧).

المؤسسات الأخرى: وأخيرًا نجد عنوانًا للفقرة العاشرة (10 §): مؤسسة الوزير «رع حتب» المتوفى، وهذه العبارة تشير إلى مؤسسة من الصعب تحديد كنهها، وهي تخلد ذكر الوزير المعروف الذي عاش في حكم «رعمسيس الثاني» (راجع ج٦). ولدينا مثالان آخران لمثل هذه المؤسسة على لوحة إهداء من عهد «رعمسيس الأول». أولهما لضابط جنود (A. Z. LVI p. 56)، وكذلك لدينا مثال ينسب «لأمنحتب بن حبو» الشهير وتشير إلى مزاره الجنازي الذي أمر ببنائه لنفسه. والأمثلة الثلاثة كلها تتفق على أن هذه المؤسسات كانت لأفراد أقاموها لأنفسهم.

ومن المعلوم أن المؤسسات كلها ذات الأملاك التي عملت مساحتها في هذه الورقة لم تكن كلها دينية، وسنحاول هنا أن نذكر المؤسسات الأهلية؛ فنجد أولًا أن كثيرًا من مواني الفرعون كانت لها حقول خاصة بها. وهذه المواني هي التي كانت على «بحر يوسف» أو على النيل عند «مي–ور» (كوم مدينة غراب) الواقعة على مقربة مدخل الفيوم (37 §)، وعند قلعة «عنينة» (154 ,85 ,§§) وهي التي على ما يظهر كانت تقع عند «حرادي»، التي على مسافة ثمانية كيلومترات من شمالي الشيخ «فضل» الحالية. ونعلم من عنوان إحدى هذه المواني (155 §) أن الإدارة كانت في يد عمدة محلي، وكان على ما يظهر يدير بعض حقول الفرعون التي لها علاقة بضيعة الميناء.

حقول الملكات: وتدل شواهد الأحوال على أن الملكة كانت لها إدارة منزلية خاصة تدير الحقول التي تملكها (§§, 109, 153, 172)، وكذلك لدينا ملكة أخرى تدعى «تورنترو» (276 §) لها ضيعتها الخاصة تحت إشراف الكاهن «كانفر»، على حين نجد حظيات الفرعون كانت أملاكها مشتركة. ونعلم من مصادر أخرى أن هذا الفرعون كان له نساء في «منف»، وفي «مي-ور» (كوم مدينة ماضي) والأخيرة كانت موجودة منذ الأسرة الثانية عشرة، ولكن الجديد المهم أن هؤلاء النساء كان لهنَّ مؤسسات لها أملاك (راجع للأولى 277 ,110 ,38 §§) وللأخيرة في (9-278 ,12–111 ,39 §§) وأراضيهنَّ كان يديرها موظف يحمل لقب المشرف على حجرات الملك (B, 19, 8) أو عمدة محلي (110 ,38 ,§§) أو مراقب بسيط (39 §)، أو المشرف على ماشية «آمون» (§§ 111, 277, 279).

والآن بعد استعراضنا كل المؤسسات الدينية والدنيوية التي تملك الحقول، التي مسحت وقُدِّرت ضرائبها على يد المساحين الخاصين بورقة «فلبور» لم يبقَ علينا إلا أن نفحص العناوين الفرعية، التي وضعت لإدارة الحقول التابعة لهذه المؤسسات التي كان يقوم على تنفيذها موظفون مختلفون، والكلمة الفاحصة التي استعملها المصري في هذه المناسبة هي «رمنيت»، وتعني كل الحقول التي في أماكن

مختلفة، ووضعت تحت إدارة واحدة. فالكلمة تعني إذن «ضيعة إدارية» ومعناها الحرفي على ما يظهر «كل ما يخص أو يكون تحت مراقبة زارع واحد؛ أي يد واحدة». ويلاحظ أن الضيعة الواحدة كان يمكن أن تشمل ضمنها ضيعات فرعية.

وكانت كل ضيعة يدير شئونها موظف كبير بوساطة موظفين آخرين تحت سلطته، كل واحد منهم يدير ضيعة صغيرة هي جزء من الضيعة الكبيرة وهكذا.

وفيما يأتي بعض ملاحظات مختصرة عن الكهنة والموظفين المسئولين عن إدارة هذه الضيعات، ففيما يختص بكثير من المعابد نجد أحد الكهنة كان هو المسئول كما يشاهد في «إهناسيا المدينة» (4 §) وفي «ساكو» (القيس) (91 §) … إلخ.

ولم يتسنَّ لنا في أية حالة من الحالات أن نستنبط أن كاهنًا واحدًا بعينه على وجه التأكيد كان هو المدير الوحيد لمعبد ما مهما كان صغيرًا، بل الواقع نجد في المتن الثاني من هذه الوثيقة أن «إهناسيا المدينة» مثلًا كان يدير حقول معبدها خمسة كهنة (4 §)، وفي المتن الأول نجد أنه كان يدير معبد «الفيوم» كاهنان (12, 14 §§)، هذا إلى أننا نجد أن لقب الكاهن الثاني قد جاء ذكره بمناسبة معبد الإله «ست سبك رع» في «أناشا»، وهذه حقيقة توحي بأن بعض الكهنة الذين كانوا يُذكرون مجرَّدين عن الألقاب كانوا رؤساء كهنة، غير أن هذه التسمية كانت في الحقيقة تستعمل فقط للكاهن الأكبر المسمى «رعمسيس نخت» الشهير، وهو رئيس المعبد الكبير «لآمون رع» ملك الآلهة في الكرنك (208 ,117 ,51 §§) وهذا الكاهن الأكبر كان مكلفًا بإدارة المعبد الجنازي للفرعون «رعمسيس الخامس»، الذي كان في هذه الآونة على ما يظهر لا يزال في دور البناء (214 ,127 § §)، والكاهن الأكبر لمعبد «هليوبوليس» يشار إليه كما ذكرنا آنفًا بلقبه الخاص «أعظم الرائين». أما الكاهن الرئيسي في معبد «مدينة هابو» فقد كان — كما هو معروف من مصادر أخرى — يحمل لقب الكاهن «ستم»، وهذا اللقب كان يطلق أصلًا على كاهن «منف» الأكبر (220 ,127 §§)، والكهنة العاديون (وعبت) نجدهم غالبًا مذكورين في المتن الأول من الورقة بوصفهم «ملاك أراضٍ»، وكانوا غالبًا يكلفون برعاية أراضي معبد لمصلحة كاهن كبير؛ غير أنهم لم يذكروا قط في فقرة من الفقرات الأصلية أو الفرعية في المتن، وربما كان ذلك لعدم كفايتهم للقيام بالسلطة منفردين.

وتمدُّنا عناوين الفقرات في هذه الورقة بحقائق نعلم منها أن موظفين مدنيين لا يحملون ألقابًا دينية ولكنهم كانوا مع ذلك متصلين على وجه التأكيد بإدارات معابد خاصة بهم.

أما مديرو الماشية وعلاقتهم بإدارة المعابد فسنترك التحدث عنهم لفرصة أخرى. ونجد فيما يخص ضيعات «آمون» إله «طيبة» العظيم أنه كان يقوم على إدارة ضيعات «معبد الكرنك» (208 ,152 ,117 ,52 §§) أو معبد «مدينة هابو» (223 ,131 §§) موظف كبير جدًّا يلقب في بعض الأماكن «مدير بيت آمون»، وفي أخرى يحمل لقب مدير البيت «وسر ماعت رع نخت».

وفي المتن الثاني (ب) من هذه الورقة نجد أن هذه الشخصية التي حازت ثقة عظيمة كان هو المدير الرئيسي للأراضي الملكية التي يطلق عليها اسم أرض «خاتو»، والواقع أنه قد عثر على نقش كتب على عتب باب في «الأشمونين» عام ١٩٣٥م نعلم منه أن «وسر ماعت رع» هذا كان ابنًا للكاهن الأكبر لآمون «رعمسيس نخت» السالف الذكر (Mitt. D. Deutschen. Instit VII, 33 f. Pl. X b)، ويصادفنا رجل آخر يحمل نفس هذا اللقب يقوم بإدارة ضيعة لمعبد «مدينة هابو» (226 §)، ويحتمل أنه كان سلف «وسر ماعت رع نخت».

وكذلك نجد لقب «نائب» وهذا اللقب غامض إلى حد ما في بعض الأحيان، وإن كنا نجده مستعملًا في الجيش بوصفه «نائب القائد العام»، وكذلك كان يحمله النائبان الإقليميان اللذان كانا يمثلان «ابن الملك صاحب كوش في بلاد النوبة»، ومن المحتمل إذن أن النائب «بتاح محب» الذي ذكر في ورقة «فلبور» بمناسبة «معبد الكرنك الكبير» (212 §)، وكذلك في معبد «رعمسيس الخامس» الجنازي (215 §) كان من هذه الطبقة، وكان عضوًا دائمًا في إدارة المعبد، وكذلك كان النائب «برع محب» الذي كان يرعى شئون الحقول التابعة لمعبد «رعمسيس الثالث» في «مدينة هابو»، وأدار ضيعة تابعة لمعبد «رعمسيس الخامس» (216 §).

وقد كان من الطبعي أن يكلف المشرف على المخازن رعاية الأراضي المزروعة غلة، وعلى ذلك يكون «نفرحو» الذي ذكر في الفقرة الخاصة «بمعبد الكرنك» (56 §)، وكذلك «خعمواست» (129 §) و«آمون نخت» (229 §) اللذان كانا يقومان برعاية ضياع «مدينة هابو» موظفين في هذين المعبدين.

ولدينا طائفة أخرى من الموظفين يطلق على كل منهم لقب «مراقب»، يلاحظ ذلك في الفقرات الخاصة «بطيبة» ,58 ,53 ,51 §§) (51، وكذلك في «العرابة المدفونة» (250 §) وفي فقرتين خاصتين بمدينة «هليوبوليس» (79 ,77 §§)، وهؤلاء المراقبون كانوا يعملون بعيدًا عن محل عملهم الرئيسي، وربما كان ذلك هو السبب الذي من أجله لا نجدهم متصلين بالمعابد الصغيرة التي كانت حقولها بلا شك تقع عادة في جوارها مباشرة.

وقد كان المعروف لدينا عادة أن المعابد هي التي كانت بمجرد أن يهبها الفرعون الحقول والماشية والمعدات والموظفين تقوم بإدارة شئونها دون أي تدخل خارجي (راجع .Erman-Rnke Aegypten 341–3 Lefebure, op. cit. chap. 2).

والواقع أن هذا الرأي يحتاج إلى بعض تعديل حتى قبل الكشف عن محتويات «فلبور»، وذلك لما جاء في النقوش التي على تمثال مدير البيت العظيم «أمنحتب» المنفي الأصل. (راجع مصر القديمة ج٥) حيث يقص علينا أن الفرعون «أمنحتب الثالث» أقام لنفسه معبدًا جنازيًّا بالقرب من «منف»، وقد أمر أن يبقى أبديًّا تحت سلطة أي فرد يحمل لقب المدير الملكي في هذا الوقت (راجع ,Petrie .(Tarkhan I; Memphis V, Pls. 79-80

وورقة «فلبور» تحتوي على إثبات آخر من هذا النوع أوضح من السابق، وأهم حالة في هذا الصدد تلفت النظر هي الحالة الخاصة ببعض حقول معبد «مدينة هابو»، وقد ذكر أن مديرها هو كاتب رسائل الفرعون، ونعلم من فقرتين في ورقة «فلبور» أن هذا الموظف كان مراقبًا (65 ,64 §§)، ومن فقرة ثالثة نعلم أنه كان نائبًا (137 §)؛ هذا إلى أنه جاء في الفقرة رقم ٦٠ الخاصة بحقول المعبد الجنازي «لرعمسيس الرابع» أنها كانت تحت إدارة فرد يدعى «نفرعب» الذي توفي، وعبارة «الذي توفي» هنا تؤكد لنا على وجه التقريب أن المقصود هو عمدة «حارداي» السابق. (راجع 13 ,17 .B & 46 ,56 §) وأن الموظف «إبا» الذي كان يحمل لقب «نائب» كان قد عين نائبًا عنه إلى أن يعين خلف «لنفرعب».

ويشير عنوان الفقرة ١٢٤ إلى معبد «طيبي» للفرعون «رعمسيس الخامس» كان يديره كاتب مخزن غلال الفرعون، وهذه الأمثلة الواضحة عن الموظفين المدنيين الذين كانت لهم يد في إدارة أملاك المعبد يمكن أن تبعث الشك في عقولنا، فيما إذا كان المشرفون على المخازن الذين ذكرناهم فيما سبق لم يكونوا قط سوى موظفين حكوميين لا مجرد أعضاء بين موظفي المعبد أم لا. وقد يسأل الإنسان نفس هذا السؤال بالنسبة لمشرف سابق على الخزانة قد أصبح مراقبًا على ضيعات معبد «رعمسيس الرابع»؟ (126 §) ولكن في حالة

رئيس حفاظ السجلات (217 ,125 §§) يمكن أن يكون الجواب بالإثبات، أي إنه كان مجرد موظف حكومي وحسب؛ وذلك لأن الأراضي التي كان مكلفًا برعايتها تابعة لمعبد «رعمسيس الخامس»، الذي كان على ما يظهر لم يتم من بنائه أكثر من نصفه.

ومن الألقاب التي لم يكن من المنتظر مصادفتها في هذا الباب لقب «رئيس إصطبل مقر الملك»، وهو الذي كان عليه رعاية أمور الحقول المحفوظة خاصة لقربان «معبد الكرنك» (121 §)، وكذلك لقب جندي بسيط، وقد كان يحمله اثنان يقومان بملاحظة الحقول التابعة لمؤسسات الفرعون الحاكم، وكذلك للفرعون «مرنبتاح» (275 ,274 §).

وختامًا لهذا الموضوع يجب أن نصرح هنا بأن وجود تابعين موظفين مدنيين لملاحظة ضِياع ريفية بعيدة، لا يحتم أن هذين التابعين كانت لهما كلمة في إدارة المعبد على وجه عام.

الضياع الخاصة بتوريد العلف للماشية: ومن المبادئ التي كان لها أثر في نظام ضِياع المعبد نوع الخدمة، التي كان يُطلب القيام بها من كل ضيعة على حدة؛ فقد جاء في ورقة «هاريس» في القسمين الطيبي (ص١٠، ٧–١١) والمنفي (٥١ (أ) سطر ٤) فصول تعدد الهدايا المعينة التي كان يقدمها «رعمسيس الثالث»، ومن بينها قطعان مختلفة من الماشية ذكرت مع المعابد المختلفة كأنها مماثلة لها في كلتا المدينتين. والواقع أنه كان لكل القطعان والمعابد الثانوية موظفون خاصون. وكانت الماشية في حالتين وردتا في ورقة «هاريس» (هـ١٠، ١١، ٥١ (أ) ٤) توضع تحت ملاحظة «مشرف على الماشية».

وقد أكد لنا استقلال إدارة قطعان المعابد ما جاء في ورقة «فلبور»، فمع أنها لم تذكر لنا القطعان نفسها قد خصصت فقرات بأكملها للضيعات التي كانت تورّد طعامها أو تدفع ثمنه، وأهم من ذلك أن الفقرات التي عنوان كل منها كالآتي: كلأ معبد «وسر ماعت رع ستبن رع في بيت آمون» (32 §) لم تكن جزءًا من فقرات مخصصة للمعابد التي تدرس كما كان المنتظر، بل وضعت في سلسلة واحدة. (راجع 46–243 V 174–186 ,104–107 ,31–33 §§). وقد روعي في هذه السلسلة الترتيب التاريخي والطوبوغرافي، كما روعي ذلك في تعداد المعابد.

وينطبق ذلك على سلسلة فقرات (178–195 §) أتت مباشرة بعد أطول سلسلة عن الكلأ، وقد خصصت لطعام الماعز الأبيض. (راجع 247 ,3–190 ,8–187 §§) وتسمى كل منها على التوالي ضيعة الماعز الأبيض (5–194 ,189 §§) ونجدها ثانية متصلة بأسماء معابد مختلفة، ولا نزاع في أن تملك المعابد لماعز أبيض يعدُّ بدعة، وإنه لمن المدهش أن نراها كالماشية تملك حقولًا خاصة بها، ولدينا براهين على ذلك في المتن الثاني (ب) من هذه الورقة، وإنه لمن الصعب القول باحتمال وجود إدارة للأراضي التي وجدت لرعي هذه الماشية والماعز منفصلة عن إدارة المعابد التابعة لها هذه القطعان، غير أن هذا هو الواقع، وليس لدينا برهان واضح ينفي هذه الحقيقة. هذا ونجد في سلسلة الفقرات الخاصة ببعض المعابد التي ليست من الدرجة الأولى عناوين من الطراز التالي: «ضيعة هذا البيت تحت إدارة المشرف على الماشية فلان»، ونجد ذلك مثلًا في «إهناسيا المدينة» (5 §) والفيوم (18 §) … إلخ، وكذلك في معبد «رعمسيس الثاني» في «منف» (149 §)، ويمكن التعبير عن هذه الضيعات بأنها «ضيعات المراعي»، غير أنه يقوم في وجه هذا الرأي بعض الصعاب؛ وبخاصة أن النقوش الخاصة ببعض المعابد تحتوي على فقرات بها عنوانان بهذا الوضع، كما تحتوي على فقرات خاصة بالمراعي أيضًا. وعلى أية حال فإن الموضوع على ما يظهر معقد، ولكن يمكن أن نخرج منه بنتيجة حاسمة من كل المقدمات التي جاءت في ورقة «فلبور»، وهي أن كل معبد كان يملك قطعانًا ذات أهمية، وكان له كذلك مشرف على هذه الماشية

للعناية بها، فمثلًا نجد أن «عاشمحب» كان يحمل هذه الوظيفة في معبد «إهناسيا المدينة» (B § 42) و«رعمسيس نخت» في «معبد الكرنك» (§§ 210, 270) و«رعموسى» في معبد الكرنك «مدينة هابو» و(٢٤) … إلخ.

ولدينا فقرات خاصة بضريبة الحصاد. وهذه الفقرات خاصة بحقول معينة، وهذا النوع من الفقرات نجده مذكورًا مع المعابد الصغيرة أو المتوسطة الحجم.

ومما يلفت النظر بصفة هامة أن هذا النوع من الفقرات لا يوجد مع معبد له فقرة مفتتحة بالعبارة التالية: «ضيعة هذا البيت المقسمة أو المؤجرة.» وهذا النوع الأخير من الفقرات خاص بمعابد تكون في الغالب ذات مساحة عظيمة في إحدى العواصم الكبيرة، أي بعيدة عن الحقول الخاصة بها، (راجع itc ,150 ,145 ,144 ,138 ,134 ,123 ,119 ,118 ,80 ,76 ,69 ,68 ,59 ,54 ,3 §§). وهذه الفقرات تتحد مع فقرات ضريبة الحصاد في خاصية أنها توضع على مقربة أو في نهاية السلسلة المخصصة لمعبد وإن كان يحدث أحيانًا (Eg. § 69, 76) أن فقرة الضيعة المقسمة أو المؤجرة هي الفقرة الوحيدة التي يحتويها هذا الجزء المعين للمعبد الذي يبحث.

ولا يسع الإنسان إلا أن يشعر بأن فقرات الضيعة المقسمة تؤدي إلى المعابد الكبيرة والبعيدة نفس الوظيفة التي تؤديها فقرات ضريبة الحصاد للمعابد الصغيرة، حتى أصبح كلا النوعين من الفقرات نوعًا واحدًا صيغ كل منهما في صورة مختلفة.

ومن عناوين الفقرات السابقة كلها نجد أنها قد تركت في نفوسنا أثرًا يدعو إلى الدهشة، وهو أن ممتلكات المعابد والفرعون قد اختلطت بعضها بالبعض الآخر في وثيقة إدارية واحدة، فنجد أن كل الفقرات الخاصة بالأحوال المدنية تسير إما إلى مؤسسات حكومية مثل الخزانة والمواني، وهي التي تخصص بتبعيتها للفرعون بوصفها مشتقة من سلطة التاج أو تشير إلى حقول محددة بنفس النعت، أي أنها تابعة لضيعة الفرعون نفسه، ويتعارض مع هذا بصفة بارزة من وجهة نظرنا المعابد صغيرها وكبيرها، والمصالح المنفصلة التي أنشئت لإدارة أراضيها على الرغم من أنها ذكرت معها، وعلى وجه عام يفهم الإنسان من ذلك أن المعابد المختلفة كانت مستقلة بعضها عن البعض الآخر كاستقلالها عن المؤسسات الفرعونية. وسنوضح ما نقصد إليه بمثال محس، فمثلًا لا نجد سببًا لإنكار أن معبد «ست» في بلدة «سبر مرو» كان مستقلًا في ملكية أرضه، كاستقلال المعبد العظيم «لرعمسيس الثالث» في «مدينة هابو»، وكما كان من جهة أخرى حريم الفرعون في «منف» مستقلًا. والآن كيف نفسر وجود مؤسسات متباينة معًا في وثيقة إدارية واحدة؟ فبطبيعة الحال من الأسباب الظاهرة لذلك تلاصق حقول في رقعة الأرض التي كانت تمسح؛ غير أن تلاصق الحقول وحده لا يعدُّ تفسيرًا كافيًا، بل يضاف إلى ذلك ضرورة ملاحظة أن كل هذه الأراضي كانت تابعة، ومن الوجهة المالية بخاصة لسلطة مهمتها تقدير الضرائب على قدم المساواة. وهذه السلطة كانت نظريًّا تتلقى أوامرها من التاج. ومما لا نزاع فيه أنه بعد موت «رعمسيس الثالث» بقليل انحدرت سلطة الفرعون بسرعة عظيمة إلى الحضيض، وقد أصبح كل من خلفائه مجرد لعبة في يد الكاهن الأكبر «لآمون رع» في «الكرنك»، غير أن شيئًا من هذا لم يظهر في المتن الأول من ورقة «فلبور»، إذ نجد فيه أن المعبد الكبير «لآمون رع» بالكرنك قد تساوى تمامًا مع أصغر المحاريب الريفية، وكانت حقول الخزانة الفرعونية تقدِّر ضرائب حقولها على قدم المساواة تمامًا مثل حقول تلك المعابد. وهذه هي الفكرة الأولى التي نستخلصها مما سبق، ولا يمكن أن ننكر غرابتها بالنسبة لمعلوماتنا السابقة قبل كشف هذه الورقة.

الأماكن التي مسحت: إن الأماكن التي مسحها المساحون قد دلت على أن لكل منها عنوانًا خاصًّا ينحصر في كلمات قليلة، قد لا تزيد عن سطر واحد، ومن ثم نجد أن الحقول قد وصفت وصفًا مبهمًا، وبخاصة بالنسبة لبعض القرى أو الحدود المعلومة دون أن تسمى

الملكيات المجاورة، وتلك خاصية نجدها في لوحات الهبات التي ظهرت بعد ذلك العهد.

التعابير أو الأسماء الجغرافية: وورقة «فلبور» لا تقدم لنا بضع مئات من أسماء الأماكن التي لم تكن معروفة من قبل وحسب، بل كذلك تضع أمامنا معلومات ثمينة تصوِّر لنا نواحي الريف المصري، الذي استرعى حتمًا نظر الزائر الذي عاش في عهد الرعامسة. وتمدُّنا هذه الورقة كذلك بمصطلحات طوبوغرافية جديدة في هذا الصدد. وما سنورده هنا من ذلك يدل دلالة مقنعة على أن معلوماتنا الجغرافية عن البلاد المصرية القديمة تنحصر في نطاق ضيق.

ونجد عند تحديد هذه الأراضي أن ذكر الجهات الأصلية يحتل المكانة الأولى، وكذلك نجد أن المصري قد استعمل في التحديد الجهات الأصلية المركبة مثل الشمال الشرقي والجنوب الغربي بدرجة كبيرة، ولا بد أن ننوِّه هنا إلى أن المصري قد اتخذ «الجنوب» نقطة أصلية في تحديد الجهات الأربع بدلًا من الشمال عندنا؛ ولذلك ما كان يقع في الجهة الجنوبية هو الذي أمامه، وما كان يقع في الجهة الشمالية كان خلفه، غير أن هذه القاعدة لم تكن عامة.

أنواع التربة: ومن الألفاظ الجغرافية التي استعملت في هذه الورقة «الأرض الشاطئية» (أدب) وتطلق عادة على قطعة طويلة من الأرض محاذية من أحد أطرافها النهر أو القناة، ومثل هذه الأرض كانت بدهيًّا ذات قيمة أعظم من الأرض التي ليس لها منفذ مباشر على المياه. والواقع أن هذا الاعتبار بعينه هو الذي جعل كثيرًا من قطع الأراضي المنزرعة في مصر الحديثة تأخذ شكلًا طويلًا ضيقًا؛ وذلك لأن كل مالك كان يحرص على الحصول على بضعة أمتار من الأرض المواجهة للمياه مباشرة؛ ليتمكن من ري أرضه (راجع H. G. Lyons The Cadastral Survey of Egypt p. 31).

أرض الجزيرة: ولدينا نوع آخر من الأرض كان يسمى «باعت»، ومن المحتمل أنها تعني أرضًا خصبة؛ لأنها كانت تغمر بالمياه.

ومن الكلمات التي وردت في هذه الورقة مشابهة لنوعي الأرض السابقين كلمة «جزيرة»، وهي شائعة الاستعمال. وهذا النوع من الأراضي لا يشمل الجزء الذي يقع في مجرى النهر، بل يشمل كذلك كل الأراضي التي تقع بين المنسوبين العالي والمنخفض للماء. وعلى أية حال فإن التعبير الخاص بذلك في المصرية القديمة يدل على جزيرة جديدة نشأت من تحوُّل مجرى النهر، ولا بد أن نميز هذا النوع من الأرض عن الأرض المنبسطة، التي نشأت من رواسب النيل أو «طرح النيل» كما يسمه الفلاحون الآن.

الأرض العالية: ونجد كذلك في المتنين اللذين تحتويهما ورقة «فلبور» عبارة «الأرض العالية» (قايت). وهذه الكلمة قد وجدناها مستعملة في منشور «نوري» وفي ورقة «هاريس» بوصفها نوعًا من الأرض مُنحت للآلهة لزيادة محاصيلهم، وعلى ذلك فإن هذه الكلمة في معناها الفني لا بد أنها تعني حقولًا زراعية لا بأس بأرضها. والحقول التي من هذا النوع من الأراضي يقابلها «حقول الجزائر» أو بعبارة أخرى هي الأرض التي تروى بالآلات (الأرض العالية) والأرض التي تروى بالراحة سنويًّا من الفيضان. وهذا ما نعلمه في عصر البطالمة. ومن المحتمل أن لفظة «قايت» (الأرض العالية) تقابل الآن الأرض الشراقي، غير أن ذلك لا يمكن البرهنة عليه؛ لأن الكلمة لم تقرن قط في عصر الرعامسة بأرض الجزيرة.

الأرض البكر والأرض المستعملة: ولكن من جهة أخرى نجد أن الأرض العالية تميز دائمًا عن نوعين آخرين من الأرض يطلق على الأولى منهما اسم «نخب»، وعلى الثانية لفظ «تني». واللفظة الأولى معناها «أرض بكر» والثانية معناها «الأرض المتعبة»، وعلى

ذلك يمكن تسمية الأرض العالية (قايت) الأرض الصالحة للزراعة، والأرض «نخب» (الأرض البكر) والأرض «تني» (الأرض المُتعَبة) أي المستعملة، وهي التي يسميها الفلاحون الآن «الأرض العيَّانة» لكثرة زراعتها. ويجب أن نشير هنا مؤقتًا إلى أن مقدِّري الضرائب قد فرضوا على كل «أرورا» من الأرض البكر عشرة مكاييل من الغلة وسبعة ونصفًا من المكاييل على كل «أرورا» من الأرض المستعملة، وخمسة مكاييل على كل «أرورا» من الأرض الزراعية العادية، وهذه هي الدرجات الثلاث في تقدير ضرائب الأرض المذكورة في المتن الأول من ورقة «فلبور»، وهذه التقديرات لا تمثل بداهة نسبة أثمان الشراء لكل «أرورا» من ثلاثة الأنواع من الأرض المذكورة.

ولدينا براهين تدل على أن الأرض المستعملة كان ثمنها يقدَّر بنصف ثمن الأرض الصالحة للزراعة. وعلى حسب ذلك تكون نسبة أثمان شراء هذين النوعين من الأرض معكوسة بالنسبة لبعضهما.

الألفاظ الجغرافية: يجب أن يلاحظ المطلع على ورقة «فلبور» عند هذه النقطة أنه من المستحيل علينا غالبًا أن نقرر عند ذكر أسماء الأماكن المركبة، التي كانت تمسح وقتئذ، ما إذا كانت الكلمة الأولى جزءًا منها، أو أنها ذكرت وصفًا لها وحسب، مثال ذلك «أرض سامت الجديدة»، إذ ليس من المؤكد لدينا بأية حال أن نتحدث عن أرض جديدة في عهد «رعمسيس الخامس»؛ لأننا في ذلك الوقت نتكلم عن مكان ثابت معين اتخذ نقطة في تحديد قطعة أرض. والواقع أن هذه الأعلام كانت تطلق في بادئ الأمر على المكان عند نشأته، ثم تصير علمًا عليه على مر الأيام، مثال ذلك في أيامنا «المنشية الجديدة» فهذه القرية كانت تعد جديدة بالنسبة لزمن نشأتها، ولكنها ليست جديدة بالنسبة لنا … إلخ.

وسنحاول هنا عند ذكر أعلام البلاد والأماكن أن نترجم معناها على حسب الأحوال؛ ليرى القارئ معناها عند المصريين أنفسهم، وذلك بدلًا من نقل نطق حروفها من المصرية القديمة إلى العربية وحسب. ولا يفوتني أن أذكر هنا أن لكل من علماء الآثار طريقة في نطق هذه الأسماء، وذلك لانعدام الحركات التي تساعد على نطق الألفاظ عند المصريين، أو بعبارة أخرى في كل اللغات السامية جميعها، إذ ما نشاهده من حركات في اللغة العربية أو العبرية أو الحبشية ليس إلا حركات وضعية لا أصلية (راجع Gardiner Egyptian Grammar p. 434 ff 2nd Edit.).

فنجد في ألفاظ هذا العصر كلمة «بركت»، وهي كلمة سامية بقيت في اللغة العربية باسم «بركة» ويوجد منها الآن كثير في القرى المصرية. وقد جاء ذكرها في اسم مكان يطلق عليه «بركة قصر حتب» (راجع القائمة رقم ٦٣). ولا شك في أن هذا اسم مكان يدل على وجود بركة فيه أو كانت فيه بركة وجففت كما نشاهد في أيامنا هذه.[٢٤] وعلى ذلك لا نجد ما يناقض الواقع عندما يذكر كاتب هذه الورقة المساحة التي عملت في بركة كذا أو بحيرة كذا، إذ في كل ذلك يدل التعبير على نفس المكان الذي كان بركة فيما مضى (راجع W. P. II, 627 Note 3).

وتدل شواهد الأحوال قديمًا وحديثًا على أن البحيرة بوصفها قطعة ماء كانت أكبر من البركة. وعلاقة كلمة «بحيرة» بالفيوم معروفة. إذ إن الفيوم كانت في الأصل قطعة ماء تغطي مساحة كل هذه الواحة تقريبًا، ويظهر ذلك في الاسم «تاوب شا» (بحيرة البداية) وهذا الاسم وصل إلينا أوَّلًا عن طريق لوحة «بيعنخي» (١، ٧٧) ويحتمل أنه يشير إلى الإقليم الذي حول بلدة «اللاهون» الواقعة على

مقربة من النقطة التي يتجه فيها «بحر يوسف» نحو الشمال الغربي ليدخل «الفيوم» ونجد كلمة بحيرة مركبة مع أسماء أماكن (راجع Table, II, No. 126–30).

ولدينا كلمة أخرى «حنت مرـور»، وقد اختصر الاسم إلى «حنت» ومنها ركب أيضًا اسم «راحنت» وهي «اللاهون» الحالية ومعناها «فم البحيرة». ولدينا كلمة أخرى تعبر عن القناة وهي «مر» ومنها ركب الاسم «مرـور» أو «ميـور»، وهو الاسم الذي حرف في اليونانية إلى «موريس». وقد ركبت كلمة «مر» في أسماء كثيرة في ورقة «فلبور» ونخص بالذكر منها قناة «التمساح» وقناة الإله «خانتي» (اسم إله يمثل في صورة تمساح) ولا نزاع في أنه في وقت ما كانت القنوات التي في «الفيوم» أو القريبة منها تزخر بالتماسيح، ويعزز ذلك عبادة التمساح في هذه الجهة.

وكذلك لدينا كلمة «خنم» ومعناها (بئر) وقد ركبت مع أسماء أماكن مثل «بئر الرعاة» (راجع A 20, 26. B, 15, 13). وأمثال هذه التسمية لا تزال موجودة في مصر الحديثة وغيرها من بلدان الشرق مثل «بئر سبع» … إلخ.

والآن ننتقل من الكلمات الدالة على الماء والأرض المرواة إلى الأسماء التي ركب فيها الأسماء التي ركب فيها أسماء الشجر بوصفها حدودًا وبخاصة شجرة الجميز، منها «جميزة القبر» (A. 83, 17, 94, 24) وجميزة البحيرات (A. 78, 24). ولدينا مكان يسمى «الجميزة»، ومن الطريف أنه لا يزال لدينا اسم قرية يسمى «الجميزة» بمديرية الغربية، على أن هذا الاسم لا يدل على وجود جميز في هذا المكان، بل ذلك لمجرد التسمية وحسب كما هي الحال في اسم بلدة «سشنى» (سوسن) ومنه اشتق اسم «سوزان» و«سوسن» (راجع No. 124, Table II).

هذا ومن الطريف أن نجد بعض أسماء الأعشاب أو الأشجار قد استعملت في تعيين الحدود كما يقال في أيامنا في شمال برسيم كذا أو جنوب قمح كذا … إلخ.

ولدينا كذلك بلدة تسمى «باشا» ومعناها (المرعى).

والآن ننتقل إلى الألفاظ التي تشير إلى أعمال الإنسان، فلدينا عدد عظيم من الأماكن التي ركبت أسماؤها مع كلمة «وحيت» التي معناها قرية، ومنها قرية «أمينموسى» وكذلك قرية «نشى» (B 9, 22, 24) ويحتمل أنها نفس الضيعة التي أقيمت من أجلها قضية في عهد «رعمسيس الثاني»، وقد كتب عنها متن يعرف بمتن «مس» (راجع Inscriptions of Mes, in Sethe, Untersuch. Vol. IV p. 25 note, 3) وقرية «سنوهيت»، ويحتمل أنها سميت بهذا الاسم تذكارًا لبطل قصة «سنوهيت» المشهور. هذا ولدينا ثلاث قرى تدعى على التوالي قرية الجنود، وقرية الجيش، وقرية الشرطة (مازوي) ويحتمل أن هذه الأسماء تشير إلى رجال من هذه الطوائف الحربية أو شبه الحربية كانوا قد سكنوا فيها يومًا ما، ثم سميت باسمهم كما هي الحال الآن عندما نطلق على بعض الأحياء أسماء ساكنيها مثل حي المجاورين وحي الصعايدة … إلخ. وكذا نجد بعض القرى تسمى بأسماء أماكن أجنبية مثل قرية «أركاك» (Table II No. 50) وهو اسم يطلق على أماكن نوبية كثيرة … إلخ، ولما كانت كلمة «وحيت» لها علاقة وثيقة في اللغة المصرية بقبيلة بدوية، فإنها تشبه كلمة «بني» في تركيب أسماء الأماكن المصرية مثل «بني سويف» و«بني مزار» في أيامنا هذه. وأخيرًا نضيف أن اسم واحة مشتق من هذه الكلمة. ووجد من بين الأسماء التي في هذه الورقة كذلك أسماء مركبة مع كلمة «كوم» أو تل (إيات) كما هي الحال في مصر الحديثة، فيقال: «تل رع» و«تل أمون» و«كوم إننا» و«كوم ناحيحو».

وكذلك استعمل المساحون أسماء بيوت منفردة أو مبانٍ وسيلة للدلالة على موقع الحقول التي كانوا يقومون بمساحتها. مثال ذلك «بيت بتاح موسى» (بعت بتاح مس) وبيوت السائسين … إلخ (راجع Table, II No. 32–9). وفي هذه الحالة كانت تستعمل كلمة «بعت» للدلالة على بيت. وكذلك استعملت كلمة «بخن» لتدل على القصر الذي كان يسكن فيه عظماء القوم ووجهاؤهم (راجع Ibid. 66–8) فنجد اللفظة استعملت في المقاييس التي عملت في الجنوب الشرقي من «قصر الوزير» (راجع Text. A 9, 1. 19).

ولا يفوتنا أن نذكر الفقرة التي جاءت في ورقة «لانزنج»، حيث نجد التلميذ الذي نقلها يحلق في سماء عالم البلاغة فيعد أستاذه ببناء قصر (بخن) وفي الفقرة التالية نجده يصف القصر الذي بناه «رعيا» لنفسه (راجع Late Egyptian Miscellanies p. 109 Sect. 9 & p. 110 Sect. 10) وفي هاتين الفقرتين نجد إشارة إلى مخازن الغلال وحظائر الماشية الملحقة بهذه القصور الريفية، التي كانت تتألف حتمًا من عدة طبقات مزينة بأناقة.

ومن محتويات ورقة «فلبور» نستمد لمحات خاطفة عن حياة كبار الموظفين في الريف المصري بوصفهم أفرادًا راقين، وإن لم يكن لدينا براهين على أن هؤلاء العظماء الذين تشير إليهم الورقة كانوا لا يزالون على قيد الحياة، كما أنه ليس لدينا ما يناقض ذلك. على أن ذكر كلمة الوزير دون ذكر اسمه قد يدل على أنه لا يزال عائشًا كما هي الحال عن ذكر كلمة الفرعون دون ذكر اسمه، وكذلك كان المساح يتخذ مباني أخرى حدودًا للأراضي التي يمسحها مثل حظائر البقر ومخازن الغلال والمقابر والمعابد. ويلفت النظر هنا أن أسماء المعابد كانت قليلة الاستعمال في هذا الصدد، وقد يرجع السبب في ذلك إلى أنها كانت تقام عادة في داخل المدن أو القرى، وقد كان يفضل ذكر القرى أو المدن في التحديد عن المعابد (راجع عهد رعمسيس الرابع) وكذلك كان يستعمل المساح أسماء أماكن مركبة مع كلمة مأوى أو ملجأ مثل «ملجأ ساكو» (القيس) (راجع Table II, Nr. 29) كما كانت تتخذ أسماء الحصون مميزًا للحدود عند مساحة الأماكن. وقد ذكر في «فلبور» سبعة حصون مثل حصن «عارو» وحصن «حاثي» … إلخ (راجع p. 35).

الأماكن التي مسحت: إن أهم ما ترنو إليه أنظار المشتغل بالجغرافيا القديمة هو أن يصل إلى وضع أسماء الأماكن القديمة على المصور الجغرافي الحديث، وذلك بما لديه من معلومات من النقوش، ولكن عندما تعوزه هذه المصادر يكون عمله شاقًّا إلى حد بعيد، بل يكون أحيانًا مستحيلًا. ومما يؤسف له أن معظم الأسماء الجغرافية التي وردت في ورقة «فلبور» غير معروفة لنا حتى الآن، مما يدل على أن علم الآثار المصرية لا يزال في طفولته من حيث الجغرافيا القديمة. وقد كان المنتظر أن نجد بعض هذه الأسماء مذكورًا في نقوش الوثيقة المحفوظة «بالمتحف المصري»، التي ترجع إلى عهد «سيشنق» أحد ملوك الأسرة الثانية والعشرين. وهي التي نشرها حديثًا «ترسون» (راجع Melanges Maspero I, p. 817 ff) وهذه الورقة جاء فيها ذكر حوالي ثلاثين بلدة أو قرية في مقاطعة «إهناسيا المدينة». والواقع أننا لم نجد أسماء مشتركة في هذه الوثيقة، وورقة «فلبور» التي تتحدَّث عن نفس هذه المقاطعة إلا ستة أسماء أماكن، والواقع أننا لا نعلم لذلك سببًا مباشرًا، وعلى أية حال فقد أصبح موقفنا أمام الأسماء الجغرافية التي في ورقة «فلبور» موقف تخمين واستنباط محض؛ ولذلك لم نصل إلا إلى معرفة بعض مواقع أماكن على وجه التقريب.

وفي الظاهر تنحصر الرقعة التي تمت مساحتها في ورقة «فلبور» بين «هرموبوليس» (الأشمونين) في الجنوب وبين نقطة ما بعد بلدة «الفيوم» شمالًا، ولكن تدل شواهد الأحوال على أن الحد الجنوبي لهذه الرقعة يمتد نحو ستين كيلومترًا من «هرموبوليس» (الأشمونين).

وسنورد هنا مصورين جغرافيين: الأول وضع عليه أماكن المعابد والمواقع الأخرى، التي ذكرت في رءوس الفقرات التي جاءت في هذه الورقة، والمصور الثاني يبين الرقعة التي قام بمساحتها المساحون والأماكن الهامة التي تقع في أربع الدوائر التي تحتويها الورقة، ويلاحظ أن الحدث والتخمين قد لعبا دورهما في كثير من النقط، وبخاصة في المصور الثاني (يوضع هنا المصوَّران).

ترتيب الأراضي الممسوحة إلى أرضٍ مقسمة وأخرى ليست ذات تقسيم: ذكرنا فيما سبق أن ورقة «فلبور» تنقسم قسمين من حيث نوع الأرض: الجزء الأول خاص بالمعابد والأفراد، والقسم الثاني خاص بأرض الفرعون التي كانت تسمى بأرض «خاتو».

وقد وصلنا الآن في تحليل المتن الأول الذي يرمز إليه حرف (أ) وهو القسم الأول من الورقة إلى المساحات والتقديرات نفسها، وهي لب الموضوع وخلاصته المطلوبة. وإذا بحث الباحث لوحات هذه الورقة لمس في الحال اختلافًا في شكل تدوينها يحتم تقسيمها إلى فقرات من نوعين مميزين، هذا إلى نوع آخر ثالث خاص بالحريم الملكي يحتوي على فقرات قليلة العدد.

ويمكن تمييز أحد هذين النوعين الرئيسيين بسهولة بمجرد النظر في المتن، وذلك لوجود ثلاثة مجاميع من الأرقام مدونة بالمداد الأحمر، وهذه المجاميع من الأرقام تحتويها الأسطر التي ذكر فيها تقدير الضريبة. وتدل شواهد الأحوال على أن هذا النوع يتحدَّث عن الحقول التي كانت تزرع لحساب المؤسسات التي تملكها المعابد، وذلك بواسطة عمال مزارعين، وهذا النوع من الأرض سنطلق على الفقرات التي جاء فيها اسم «الفقرات غير ذات التقسيم» أو التي تقسم أرضها إلى حصص، أما النوع الثاني فيختلف عن الأول إذ لا يظهر فيه ثلاثة مجاميع الأرقام المدوَّنة بالمداد الأحمر، ولكنه في العادة يحتوي على رقمين يسبقهما رقم كتب بالمداد الأسود، وقد أطلق على الفقرات التي جاء فيها اسم «الفقرات ذات التقسيم»، وتمتاز فقرات هذا النوع من الأرض بميزة هامة وهي ذكر عدد عظيم من الملاك الذين يحملون ألقابًا مختلفة، ويشملون رجالًا ونساء معًا. والآن نعود إلى معنى عبارة «الفقرات غير ذات التقسيم»، وكذلك «الفقرات ذات التقسيم»، ولتفسير ذلك أمامنا سؤالان أصليان تجب الإجابة عنهما:

(١) ما الشيء الذي كان يقسم؟ (٢) بين من كان يحدث هذا التقسيم؟

وقد دل البحث على أن هذا التقسيم كان يجري بين أفراد الملاك وبين المؤسسة المالكة للأرض. فمن البدهي إذن ألا يذكر مالك في فقرة دون أن يكون له فائدة في الأرض التي تملكها المؤسسة، كما نشاهد ذلك في عهدنا في الضيعات العظيمة التي يؤجرها الأفراد. ولكن سنبحث الآن أوَّلًا الأرض نفسها.

وتدل الأرقام كما سنرى بعد على أن الأرض التي كان يزرعها الفرد بالنسبة للمقدر أو المثمن تنقسم حصتين: واحدة تدفع ضرائب، والثانية معفاة منها، وعلى ذلك يكون الجواب على السؤالين اللذين وضعناهما فيما سبق هو أن أرض الفرد كانت هي موضع التقسيم، وكانت هذه الأرض مقسمة بحسب الضرائب إلى نوعين.

المقاييس والمكاييل: وقبل أن نتحدث عن تقديرات أنواع الأطيان التي تحتويها ورقة «فلبور»، وهي الفقرات غير ذات التقسيم والفقرات ذات التقسيم يجدر بنا أوَّلًا أن نتحدَّث عن المقاييس والمكاييل، التي كانت مستعملة في تلك الفترة من تاريخ البلاد لضرورتها في بحثنا.

ولدينا منها خمسة أنواع: ثلاثة مقاييس طولية، واثنان من مقاييس الأحجام. ومقاييس الطول ليس فيها أية صعوبة، وأوَّلها هو الذراع ويساوي ٠,٥٢٣ من المتر، وأهم مقاييس الأبعاد هو «ستات»، ومن المحتمل أن هذه الكلمة كانت تنطق في عهد الرعامسة «سوتي»، وهذا المقياس له نظيره عند اليونان «أرورا» وكان يمثل بمثابة مربع طول كل ضلع منه مائة ذراع، وعلى ذلك كان «الأرورا» يساوي عشرة آلاف ذراع، أو ألفين وسبعمائة وخمسة وثلاثين مترًا مربعًا، وهو يساوي أقل من ثلثي فدان مصري (بالضبط ٠,٦٥ من الفدان). ويلاحظ أن في القسم الأول من ورقة «فلبور» (أ) كان «الأرورا» هو المقياس العادي في مساحة الأبعاد.

والمقياس الذي يلي «الأرورا» في الطول هو «الذراع الأرضي» الذي كان يستعمل في قياس الأرض ويساوي ــــ من الأرورا أي ٢٧,٣٥ مترًا، ويلاحظ أن ذراع الأرض لم يذكر في القسم الثاني (ب) من ورقة «فلبور».

المكاييل: كانت الوحدات التي يستعملها المصريون لكيل السلع الجافة والسوائل تختلف على حسب نوع المادة التي كان يطلب كيلها، وعلى ذلك لا بد من الإدلاء ببعض الملاحظات هنا قبل فحص الوحدات نفسها.

والواقع أن ورقة «فلبور» لا تلقي إلا ضوءًا بسيطًا على محصول الحقول التي كانت تمسح وتقدر ضرائبها، غير أنه من المؤكد أن هذه الحقول لم تكن مزروعة كلها غلة. ففي الفقرات الخاصة بالأراضي التي كان يؤخذ من محصولها نصيب نجد أن بعض قطع الأراضي كانت تستعمل لرعي الخيل، وكذلك الفقرات التي تتناول الأراضي الخاصة برعي الماشية نجد أن معظم حقولها كانت مستعملة مراعي. يضاف إلى ذلك أن بعض الحقول قد وجدت مزروعة كتانًا وبعضها الآخر زرع كلأً وخضرة. وإذا كان التقدير يشير إلى ضرائب أو إيجار من أي نوع فإن هذه في العادة كانت تدفع من نوع محصول الأرض التي قدرت ضرائبها. ومع ذلك فإن التقديرات كانت في ذلك العهد كما وجدناها في عهد البطالمة تحسب بالغلة التي تنتجها الأرض، وكان الرعامسة يستعملونها وحدة مع المعادن مثل الذهب والفضة والنحاس. وفي العهد الإغريقي الروماني في مصر كان القمح يتخذ قاعدة أي عملة لتحصيل الضرائب، وتدل شواهد الأحوال على أن الحنطة كانت تستعمل مكان القمح في عهد الرعامسة.

ووحدة المكاييل التي كانت مستعملة في عهد الرعامسة هي «الويبة»؛ وقد رأينا أن الويبة كانت مستعملة في ورقة «هاريس» (راجع مصر القديمة ج٧) لكيل الفاكهة والحبوب والصمغ وغيرها، على حين أن القمح كان يقدر بالحقيبة، وفي بعض الحالات كانت تستعمل الويبة. وقد كان المصري يستعمل في ورقة «فلبور» العلامة الدالة على حقيبة عند تقدير المحصول بالحقائب، كما كان يستعمل العلامة الدالة على الويبة للدلالة على أن المحصول قدر بالويبة.

بقي علينا أن نحدد سعة كل من الحقيبة والويبة التي تعادل ربع حقيبة.

والواقع أن مكيال «هن» كان هو المكيال الصغير الذي يأتي قبل الويبة والحقيبة من حيث صغر الحجم، و«الهن» هو في الأصل إناء صغير من الفخار أو المعدن، وقد دل الفحص على أن أربعين «هِنًا» تعادل ويبة، وعلى ذلك تكون الحقيبة «خار» تساوي ستين ومائة «هن». وقد وجدت مكاييل مستعملة بمقدار سعة «الهن» وهي محفوظة الآن بالمتاحف، ومن هذه المكاييل عرف أن «الهن» كان يساوي ٠,٤٦ لترًا، أي إن الويبة تسع ١٨,٤ لترًا، والحقيبة تسع ٧٣,٦ لترًا. وقد قاس الكيمائي «لوكاس» حديثًا سعة «الهن» من مكاييل معلمة «بالهن» ترجع إلى عهد البطالمة، وهذه المكاييل محفوظة «بالمتحف المصري»، وعلى حسب هذا المقياس وجد أن «الهن» يساوي ٠,٥٠٣ لترًا، وعلى ذلك تكون سعة الويبة ٢٠,١ لترًا، والحقيبة ٨٠,٤ لترًا. وهذه الاختلافات ليس ذات بال في

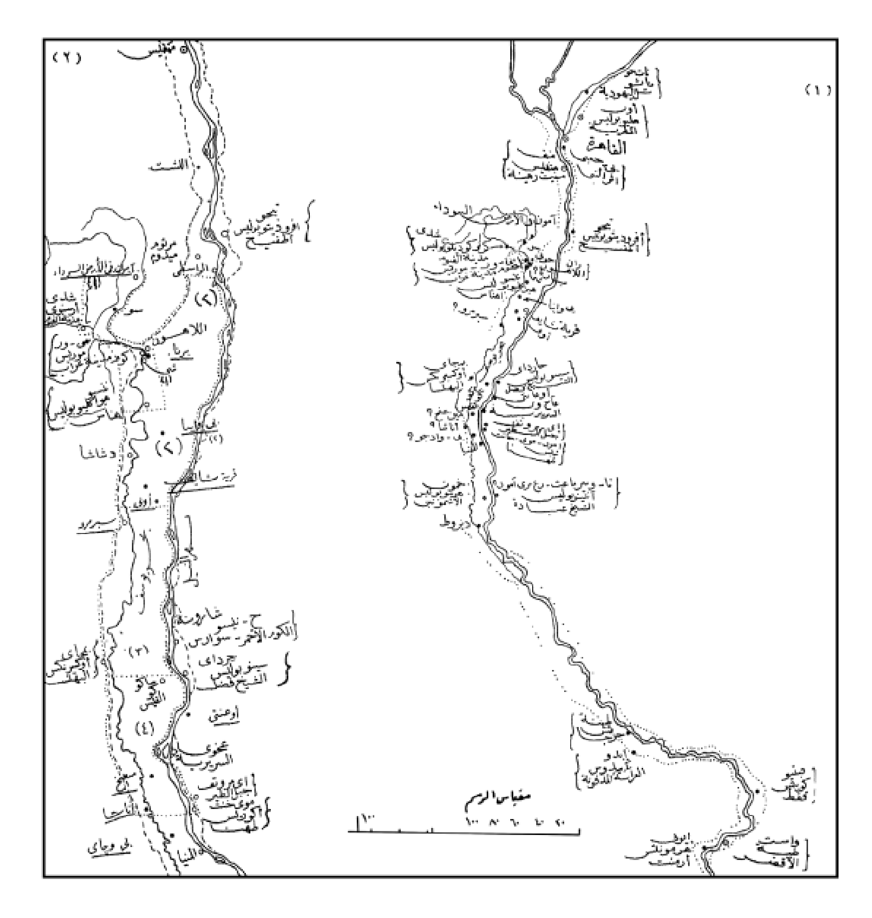
موضوعنا، وإذا حسبنا أن الويبة تساوي أربعة جالونات (تساوي ١٨,١٧ لترًا) والحقيبة (تساوي ٢ بوشل أي: ٧٢,٦٨ لترًا) فإن هذا التقدير التقريبي يكفي تمامًا لفرضنا ويسد باب الاحتمالات.

والآن نتساءل كيف نقرن هذه التقديرات، التي وضعها علماء البردي الإغريقي الروماني «للإردب» و«الخونكس» المتفرع منه Choinix؟

ونحن نعلم أن الويبة بقيت مستعملة حتى العهد البيزنطي[٢٥] ولكن حجمها كان أقل بكثير. وكلمة إردب أصلها فارسي ولكن لما كان أحد تقديراتها المتغيرة في العهد الإغريقي الروماني هو أربعون «خونكس»، هذا بالإضافة إلى أن كلمة «خونكس» معناها يقرب كثيرًا من إناء «هن» المصري، فإن ذلك يجعل من المؤكد من حيث السعة أن الإردب قد نقلت إليه القيمة القديمة للويبة. ونحن نعلم من جهة أخرى أن الإردب في عصر البطالمة كان يتراوح بين ٤٠، ٣٠، ٢٩، ٢٦، ٢٤ «خونكس»، وقد ذكر «فلكن» أن وحدة المكاييل الدائمة لم تكن الإردب بل كانت هي «الخونكس». وأن الإردب ليس إلا نتيجة حاصل ضرب عدد من «الخونكس»، وصدق هذا الاستنباط بدهي، ولكننا ندهش عندما نجد أن «الخونكس» يساوي نحو «هنين» مصريين. غير أن هذا الموضوع يحتاج إلى بحث.

الفقرات التي لم تقسم أرضها في «ورقة فلبور»، وخواص أرضها: قلنا فيما سبق: إن فقرات الجزء الأول من ورقة «فلبور» تنقسم نوعين منفصلين وتميز «أولًا» بكثرة عدد المزارعين أو ندرتهم و«ثانيًا» بالصورة التي وضحت بها التقديرات، فنجد مثلًا أن الأولوية قد أعطيت للفقرات التي جاء فيها تعريف قطعة الأرض ومساحتها من بين الفقرات التي دونت فيها الحقول التابعة لمعبد «رعمسيس الثالث» في «مدينة هابو»، فكتبت مباشرة بعد السطر الذي ذكر فيه مكان مساحة الأرض على النحو التالي: «أرض زرعها المزارع فلان: ١٠ أرورا، ٥ مكاييل، ٥٠ مكيالًا.» فنجد هنا أن الرقم الأول يعبر عن عدد الأرورات التي تحتويها قطعة الأرض، والرقم الثاني وهو خمسة يدل على عدد مكاييل الحب التي فُرضت ضريبة على كل أرورا.

أما الرقم الأخير وهو ٥٠ مكيالًا، فهو حاصل ضرب الرقمين الأخيرين (١٠ × ٥ = ٥٠) أي إنه على صاحب هذه القطعة من الأرض أن يدفع ٥٠ مكيالًا من الحب، ووحدة المكاييل هنا يحتمل أنها الحقيبة وتساوي ٢ بوشل أو ٤ ويبات؛ غير أن هناك بعض الشك في الأمر، إذ يمكن أن يكون المكيال هنا هو الويبة المصرية.



شكل ٢: إيضاح: **الخريطة رقم ١:** توضح البلاد والقرى التي

تملك معابدها حقولًا، وجاء ذكرها في المتن حرف (أ) في ورقة «فلبور».

الخريطة رقم ٢: (١) موضح عليها الأقاليم التي

فيها الحقول التي وردت في المتن حرف (أ) والمتن حرف (ب) بورقة «فلبور»؛ والبلاد التي

كُتبت بالخط الفارسي موضعها تخميني.

(٢) كل الحقول التي ذكرت في المتن حرف (أ) تقع في حيز المناطق الأربع التي مسحت،

وقد بينت بالأعداد ١، ٢، ٣، ٤ وحدود هذه المناطق رسمت بخطوط منقطة وهي

تخمينية.

(٣) البلاد والقرى التي كتبت بالخط الفارسي غير مؤكد موقعها، وقد وضعت لتدل على

مكانها التقريبي.

(٤) وضع خط تحت أسماء البلاد والقرى التي فيها معابد تملك حقولًا في المتن حرف

(أ) وخط مموج إذا كانت الحقول في المتن حرف (ب) فقط على وجه عام.

ونعود الآن إلى الكلمات السابقة للأرقام التي تحدثنا عنها، وهي: «أرض زرعها المزارع فلان»، ولقب «مزارع» هذا الذي قد يعطى لأي إنسان زرع قطعة أرض نجد أنه أحيانًا يحل محله لقب آخر مثل لقب «الشردانا»؛ فكل هؤلاء كانوا يُعدون زراعًا للأرض، وخواص هذا النوع الأول من الفقرات وهو الذي على ما يظهر كان أعظم أهمية، وإن كان أقل ظهورًا هي: «أولًا» وجود ثلاثة الأرقام التي سبق ذكرها أي: المساحة، ومعدَّل تقدير الضريبة، ونتيجة حاصل ضربهما التي تمثل مقدار الضريبة كلها على قطعة الأرض. و«ثانيًا» عدم الأهمية نسبيًّا التي تعطى لشخص المزارع.

وتدل شواهد الأحوال على أن هذا المزارع لم يكن إلا وكيلًا أو ممثلًا للمؤسسة التي تملك الأرض، فهو إذن ليس بمستأجر أو مالك يزرع الأرض لفائدته هو. والفقرات التي تحتوي على أرض من هذا النوع تسمى فقرات غير مقسمة أرضها لسبب سيظهر قريبًا.

بقي علينا أن نذكر هنا أنه كان يوجد فقط ثلاث فئات لمثل هذه الأرض، وهي خمسة مكاييل كانت شائعة بكثرة بالغة، وسبعة مكاييل ونصف، وعشرة مكاييل، وعدد قطع الأرض التي سعرت بهاتين الفئتين قليل.

ويدل المتن الثاني من الورقة على أن الأرض، التي قدرت ضريبتها بخمسة مكاييل عن كل «أرورا» كانت تسمى أرض «قايت» أو أرضًا عادية، والأرض التي قدرت ضريبتها بعشرة مكاييل كانت تسمى أرض «نخب» أو الأرض البكر، وأخيرًا الأرض التي قدرت ضريبتها عن كل «أرورا» بسبعة مكاييل ونصف كانت تسمى أرض «تني» أي: المتعبة أو المستعملة. وإذا أخذنا كلمة «تني» أي: المُتعَبة أو ما يسميها الفلاحون الآن «الأرض العيانة»، فإن هذا التقدير الذي وضع لها يكون موضع شك. وأظن أن المقصود هنا بهذه الكلمة هو الأرض المستعملة وتقابل الأرض البكر.

ولدينا أدلة قليلة ولكنها مؤكدة، على أن الحقول المقدرة ضريبتها هنا كانت مزروعة حبًّا، وعلى ذلك فإن التقدير بالغلة كان يعد بمثابة عملة، كما كان القمح يستعمل بمثابة عملة في عهد البطالمة.

التقديرات الواقعية للضرائب: يجب أن نلاحظ هنا أوَّلًا أن تقديرات الضرائب في الفقرات التي لم تقسم أرضها ثلاث فئات وهي ٥ و٧٫٥ و١٠ ويبات. كما يلاحظ أن التقدير من فئة ٥ ويبات عن كل «أرورا» كثير جدًّا، وقد وجد مطبقًا على أكثر من ٤٥٠ حالة، على حين نجد أن الفئتين الأخريين قد طبقتا على حالات قليلة، فنجد أن فئة ٧٫٥ ويبة لم توجد إلَّا في خمس وعشرين حالة، وفئة عشر الويبات عن كل «أرورا» لم تطبق إلا في ست عشرة حالة. وهذه الفئات الثلاثة كما ذكرنا من قبل تقابل أنواع الأرض الثلاثة، وهي: الأرض الزراعية «قايت»، والأرض المستعملة «تني»، والأرض البكر «نخب». وبهذه المناسبة نذكر أن ــ مكيالًا كانت الفئة المستعملة في الأرض ذات التقسيم، أي الضريبة التي كانت تؤخذ عن كل أرورا كما سنرى بعد.

والواقع أن تقديرات الضرائب لا بد كانت ترتكز على مقدار ما تنتجه تربة الحقول المصرية، ونحن نعلم على وجه التقريب أن أرض مصر لم تتغير تربتها كثيرًا؛ ولذلك سنتخذ أساسًا لدراستنا مقدار محصول الفدان المصري الحالي على حسب خصب التربة على وجه عام.

وقد دلت الإحصاءات الحديثة بوجه عام على أن الفدان في الأرض الخصبة من أراضي الوجه البحري ينتج ٦ أرادب من القمح، وقد يكون أكثر في بعض الجهات فينتج ثمانية أو تسعة أرادب، أما الأرض العادية فمتوسط إنتاجها ثلاثة أرادب، والشعير لا يزرع تقريبًا

في الوجه القبلي، وفي الوجه البحري ينتج الفدان ستة أرادب أو أكثر. ويلاحظ في الوثائق كلها التي درست في عهد الدولة الحديثة المصرية من حيث الضرائب ونقل الحبوب أن الحنطة Emmer كانت هي الغلة الرئيسية على الرغم من أن الشعير كان يذكر كثيرًا بجانبها بكميات قليلة، وكانت الكميات التي تنتج من الاثنين يضاف بعضها إلى البعض الآخر أحيانًا كأنها محصول ذو قيمة متساوية، غير أن ذلك لا يتفق مع الواقع، وليس لدينا خيرة إلا أن نفرض أن محصول القمح البلدي والشعير كان موحدًا مع محصول القمح الحالي، وأن إنتاج أرض مصر كان واحدًا في العهد القديم والعهد الحديث. والإردب المصري الحديث يساوي ٥,٤٤٧٤ «بوشلات» أي ١٩٨ لترًا، والفدان كما أشرنا من قبل يساوي ٤٢٠٠,٨٣ متر، وإذا فرضنا أن متوسط محصول الفدان من أي نوع من هذه الحبوب هو خمسة أرادب، على زعم أن أكبر محصول هو ثمانية أرادب، وأقل محصول هو ثلاثة أرادب، فإنه على هذا الأساس يكون محصول الأرورا على حساب المكاييل المصرية القديمة ٣٦ ويبة في المتوسط، هذا إذا فرضنا أن أكبر محصول هو ٥٨ ويبة للأرورا، وأقل محصول هو ٢٢ ويبة. وإذا أخذنا الأرقام التي أعطيت في معدل التقدير محسوبة بالويبة، فإن تقدير خمس ويبات عن كل أرورا يجعل الضريبة تعادل ـ المحصول، ولكن عندما يكون المحصول جيدًا جدًّا، فإنها تعادل ـــ من المحصول، وتكون ـ إذا كان المحصول رديئًا جدًّا. أما إذا كانت أرقام معدل الضريبة تشير إلى حقائب فإن المعدل المعتاد أي: خمس حقائب بدلًا من خمس ويبات، يجعل الضريبة أكثر من نصف المحصول. والآن سنضع ملخصًا لمساحة الحقول التي قدرت ضريبتها، فنجد أنه في خمسمائة القطعة التي قدرت ضريبتها في الفقرات غير ذات التقسيم ليس من بينها قطعة واحدة أقل من أرورا واحدة، كما لا توجد قطعة أكبر من ثمانين أرورا. ونجد تفضيلًا كبيرًا للقطع التي مساحتها ٥ و١٠ و٢٠ أرورا. أما القطع التي مساحتها أكثر من أربعين أرورا فعددها قليل جدًّا.

الفقرات ذات التقسيم: والفقرات ذات التقسيم تأخذ صورًا مختلفة كل الاختلاف عن الفقرات غير ذات التقسيم. وقد أطلق على النوع الأول اسم الفقرات ذات التقسيم؛ لأنه وجد فعلًا تقسيم في كثير من فقراتها.

ولنضرب لذلك مثلًا؛ فنجد في العناوين الخاصة بمعابد المدن الكبيرة: ضيعة هذا المعبد المقسمة في ... (هنا يذكر إدارة مقاطعة ما). وهذه الصيغة عادية. ويقابلها في المعابد الصغيرة الواقعة في المقاطعات: ضريبة الحصاد المقسمة الخاصة بهذا المعبد أو ذاك؛ وكلمة تقسيم هنا كما سنرى بعد خاصة بكل قطعة معلومة من الأرض سجلت تحت العنوان الخاص بها، وقد خصص جزء صغير منها تدفع عليه ضريبة أو إيجار، أما الجزء الأكبر فقد أعفي منها.

وقبل أن نصف تقديرات الضرائب على أراضي الفقرات ذات التقسيم يستحسن أن نتحدث عن أنواع الملكيات التي دونت في هذا النوع، ففي حين أننا لا نجد في الفقرات غير ذات التقسيم إلا مزارعًا واحدًا، فإننا نجد من جهة أخرى أن «الفقرات ذات التقسيم» تزخر بأسماء الأفراد الذين يحملون أسماء وألقابًا مختلفة، وهؤلاء كانوا يزرعون الأرض لحسابهم الخاص وأحيانًا بالاشتراك مع إخوانهم.

ولدينا معلومات متناثرة تدل على أن هذه الملكيات المشار إليها في هذا النوع من الفقرات يحتمل أنها كانت وراثية وإلا لما وجدنا بين هذه الملكيات قطعًا لنساء. واللقب الذي كانت تحمله المرأة في هذه الحالة بوصفها مالكة هو «المواطنة فلانة»، وقد جاء في الورقة ذكر ما لا يقل عن إحدى وثلاثين ومائة مواطنة مالكة لأرض في المتن الأول. ونجد في حالات قليلة أن المالكة للأرض قد عبر عنها بأنها توفيت وأن أولادها هم الذين كانوا يقومون بزراعة الأرض، ومن ثم تتوافر لدينا البراهين على استمرار الملكية في نفس الأسرة لمدة لا تقل عن ثلاثة أجيال. ونجد نفس هذه الظاهرة مع الرجال بطبيعة الحال. وعندما نجد أن الرجل أو المرأة قد ذكر مع إخوته أو أخواته،

فإن ذلك يوحي إلينا بوجود ضيعة قد قسمت بين أولاد كثيرين بعد وفاة والديهم. وإذا كانت قد ورثت قطع كثيرة على هذا الأساس في الفقرات ذات التقسيم فإن ذلك يمكن أن يتخذ دليلًا على إمكان نقل الملكية، هذا على الرغم من أن الطريقة التي استعملت في الوصول إلى ذلك لم تذكر هنا، وكذلك الأسباب التي دعت لذلك لم تبين.[٢٦]

ولدينا بعض فقرات في المتن الثاني من ورقة «فلبور» (p. 59)[٢٧] تدل على أن بعض الحقوق من أراضي الفرعون، التي كانت تدعى أرض «خاتو» كانت فيما سبق ملك أفراد من عامة الشعب، ثم استولت عليها الحكومة أو التاج. وكذلك لدينا أمثلة عن حقول كان يملكها أفراد ثم نقلت بأسماء غيرهم (p. 76).

ولدينا عظماء ذكرت أسماؤهم بين أسماء ملاك الأرض، وقد كان من الطبعي بدلًا من أن يديروا شئون أملاكهم بأنفسهم أن يكلفوا آخرين بإدارتها بوصفهم مستخدمين عندهم. فنجد مثلًا حقولًا يملكها الكاهن الأكبر لكل من «طيبة» و«هليوبوليس»، وكان يقوم بإدارتها فعلًا مزارع، وكذلك كانت الحال في أرض الوزير وقتئذٍ والأمير الملكي. وقد استعمل السائق الأول للملك كاتبه في إدارة أملاكه الزراعية، ومن الجائز أن الكتَّاب أنفسهم كانوا يملكون قطع أرض يزرعها لهم آخرون. ونجد في حالتين أن امرأة كانت تقوم بزراعة مثل هذه الأرض، ولدينا أمثلة تدل على أن رجالًا من قوم «شردانا» (وهم الذين استوطنوا «سردينيا» فيما بعد) كانوا يقومون بزرع أرض بالنيابة عن أشخاص آخرين. ونحن لا نعرف وظيفة هؤلاء القوم بوصفهم زراع حقول أو مديرين مسئولين، ولكنا سنجد فيما بعد أنهم كانوا في الواقع ملاك أرض.

وقد وجدنا كل أنواع الحرف مذكورة وبخاصة الجنود، فإنهم كانوا يحتلون مكانة في المقدمة، ولكن رؤساء الإصطبلات وهم الذين كانوا يعنون بالخيل كانت تتألف منهم أكبر طائفة من صغار الملاك. ولدينا بعض فقرات في ورقة «فلبور» نعلم منها أن رؤساء الإصطبلات كان لهم الحق في وضع أيديهم على أرض لم تكن تحت أيديهم في ذلك الوقت، وهذا الامتياز قد أشير إليه كما قدمنا في هذه الورقة بصورة غامضة، ولدينا خطاب نموذجي من عهد الرعامسة يفسر لنا هذا الغموض، ويلقي بعض الضوء على الحياة الزراعية في عهد الرعامسة المظلم. فقد جاء فيه: «إن رئيس كتاب سجلات خزانة الفرعون «أمنموبي» يحيي الكاتب «بنتاور».» وهذا الخطاب قد جيء به إليك ليقول: إن «أمنمويا» بن «أمنموبي» مدير حظيرة الإصطبل العظيم ملك «رعمسيس مري آمون» التابع للمقر الملكي قد أبلغنا ما يأتي: «إني قد أعطيت ثلاثين أرورا حقولًا لزرعها طعامًا لزوجين من الخيل يملكهما الفرعون وهما اللذان في رعايتي. والآن تأمل! إن هذه الأرض قد اغتصبت مني، وأعطيت «نودم» مدير بيت الملك «وسر ماعت رع» … إلخ. فاقصد عند وصول خطابي إليكم «أمنمويا» بن «أمنموبي» مدير الحظيرة للإصطبل العظيم التابع «لرعمسيس» محبوب «آمون» التابع لمقر الملك، وإذا وصل إليكم مثل ذلك ثانية وجب أن تحددوا له حقولًا من ضياع الفرعون تكون تابعة لإصطبلات الفرعون من ملكه، وحقولًا من أراضي «منى» الفرعونية، وحقولًا من أراضي «خاتو» الفرعونية على شرط ألا يكون قد زرعها آخرون في أي مكان يريد. ويجب أن تأتوا لنا بنسخة من أي شيء ستعملونه بصفة وثيقة قانونية لا نزاع فيها، وستدون كتابة في إدارة مخزن غلال الفرعون (أي مخزن المالية الفرعونية).» والواقع أن الأمر الذي جاء في هذا الخطاب عام وفاصل، مما يدل على أن كاتبه لا يمكن أن يكون إلا وزيرًا أو مديرًا عظيمًا لبيت الفرعون، ولا بد أن نلفت النظر هنا إلى أن أمثال هذا الخطاب النموذجي ليس له علاقة بمادة الموضوع الذي نحن بصدده؛ وذلك لأن هذه الخطابات كانت بمثابة دروس يعطيها الرئيس للمرءوس الذي كان في الوقت نفسه تلميذًا له. والظاهر إذن أن رؤساء

إصطبلات الفرعون كان لهم الحق في وضع أيديهم على مثل هذه الأرض كلما احتاجوا إليها لرعي الخيل التي وكل أمر العناية بها إليهم، هذا بالإضافة إلى منفعتهم الشخصية على شرط ألا يكون قد زرعها أفراد آخرون قبل ذلك.

وظائف ملاك الأرض ومراكزهم الاجتماعية: رأينا في الفقرات ذات التقسيم أن المالكين للأرض رجالًا أو نساء كانوا أصحاب حرف ومراكز مختلفة. والواقع أنه يوجد نحو خمسين لقبًا لهؤلاء وسنحاول هنا أن نرتبهم ونحدد عدد تكرار كل منهم، وسنتحدث عن الأشخاص الهامة هنا؛ أي إننا سنترك جانبا المساعدين والعمال.

تحدثت فيما سبق عن النساء اللائي يملكن أرضًا (١٣١) ولذلك سنضرب صفحًا عنهن.

رؤساء الإصطبلات ورجال الحرب: لقد جاء ذكر رؤساء الإصطبلات كثيرًا في هذه الورقة، وقد كانوا يحملون هذا اللقب وحده، وأحيانًا نجد أنهم كانوا ينعتون بنعت «التابعين لمقر الملك». ومن المحتمل أن كثيرًا من رؤساء الإصطبلات — إن لم يكن كلهم — الذين ذكروا في هذه الورقة كانوا تابعين لمقر الملك (أي القصر الملكي). ومن الأشخاص الذين لهم صلة بالخيل «السياس» و«سائقو العربات».

ولا نزاع في أن خيل الفرعون وعرباته كانت كثيرة المنفعة في زمن الحرب منها في وقت السلم، فيستحسن أن نترك أولئك الذين يقومون بالعناية بهم ونتحدث عن الأفراد الذين كانوا يشغلون وظائف حربية. والواقع أننا وجدنا ما لا يقل عن ثلاثة وخمسين ومائة جندي يملكون حقولًا، وقد وصف أحدهم بأنه تابع لمقر الملك، وآخر تابع لسفن حربية (١٩، ٤٧).

وكذلك لدينا اثنان وأربعون من قوم «الشردانا»، غير سبعة عشر تابعًا وتسعة من حملة الأعلام من نفس القوم (p. 80). وهؤلاء الأجانب الذين ذكروا في المتون المصرية بوصفهم أعداءً وجنودًا مرتزقة في الجيش المصري منذ عهد العمارنة وما بعده، هم بلا شك القوم الذين استعمروا جزيرة «سردينيا»، وأطلقوا اسمهم عليها (راجع مصر القديمة ج٦) وBessing die Uberlieierunk) Uber die Scherdani in Wien Zeitschift j. d. Kunde d. Morgenlandes XXXIV, 230 ff).

وتدل قبعاتهم الغريبة ذات القرون، وسيوفهم ذات النصال العريضة على أنهم من أصل «قوقازي» وهو موطنهم الأصلي، ولا نزاع في أنهم قد وصلوا إلى مصر عن طريق البحر الأبيض. وقد لاحظ الأثري «وينريت» حديثًا ملاحظة هامة، وهي أن هذا الاسم «شردانا» على ما يظهر لم يكن معروفًا عند «الخيتا» (راجع J. E. A. XXV. p. 151). وعلى ذلك يمكن أن نلقي ظهريا الزعم القائل بأن «شردانا البحر» هؤلاء قد مروا «بآسيا الصغرى» في طريقهم إلى «سردينيا»، ويعنينا منهم هنا أنهم استوطنوا أرض مصر مثل الفرس ومقدوني عهد البطالمة. وقد كان هؤلاء المستعمرون الأجانب يطلق عليهم في مصر اسم أجانب أو همج، وبتعبير أدق «المتكلمين بلسان أجنبي»، ولكنا نجد اسمهم القومي «شردانا» مستعملًا في «الفيوم» والأقاليم المجاورة فقط. ونجد هذا الاسم مكتوبًا بوصفه لقبًا على لوحة كشف عنها «بتري» في «إهناسيا المدينة» (Petrie, Ehnasya, 27, 2 etc)، وكذلك في ورقة التبني التي كشف عنها حديثًا (J. E. A. XXVI, 24)، ويحتمل أن مكانها الأصلي بلدة «سبرمرو» Spermeru. ولدينا كذلك لوحة هبة يرجع عهدها إلى الأسرة الثانية والعشرين عُثر عليها على الشاطئ الشرقي للنيل على مسافة خمسة عشر كيلومترًا جنوبي «حلوان»، وقد جاء فيها ذكر حقول «شردانا»، ومن المحتمل أن هذا اسم مكان، ولكنه مع ذلك على الأقل كان يوجد في زمن ما قبل ذلك الوقت مستعمرون من هذا الجنس بالقرب من هذا المكان (راجع A. S. XV. p. 141) وأخيرًا تدل ورقة «أمين» على أن «رعمسيس الثالث» قد أسس

في المقاطعة العاشرة من الوجه القبلي — ومن المحتمل في غيرها — ضياعًا لمنفعة جنود «الشردانا» المرتزقة (راجع J. E. A. XXVII p. 46).

ومن المحتمل كذلك أن بعضًا من حملة الأعلام الآخرين (١٢) وكذلك بعض التابعين الآخرين (١٦) من الذين ذكروا في المتن الأول من الورقة هم من مستعمري «الشردانا» دون أن يذكر اسمهم. وعلى قدر ما وصل إلينا من معلومات نلحظ أن كل الناس والضباط الذين لهم بهم علاقة من الذين ذكروا في المتن الأول من الورقة يحملون أسماء مصرية، وقد جاء كذلك ذكر لقب «تابع»، وهو نوع من الحرس العسكري للفرعون أو لشخصية عظيمة، ولدينا لقب ضابط جنود التابعين لجلالته، وكان يحمله شخص يدعى «سبكنخت» (١٩، ٧٠؛ ١٩، ٦٦؛ ٤٢، ٥٥) وكذلك نجد (٢٨، ٣١) لقب «حرس» القائد أو «تابعه».

هذا ولدينا حامل علم يدعى «نبوع» ويلقب حامل العلم لقوم «ثك». وتدل شواهد الأحوال على أن «ثك» من اللوبيين (راجع مصر القديمة ج٧) حيث قد ترجمت هذه الكلمة «مغمى» على حسب رأي «إدجرتون».

هذا ويصادفنا في الورقة كذلك لقب حربي آخر وجد في لوحة «شيشنق»، التي عُثر عليها في «إهناسيا المدينة» وغيرها،[٢٨] وهو رئيس المحاربين من قوم «ثر»، وقد وجدنا من بين الذين يحملون هذا اللقب ثلاثة يملكون أطيانًا. ومن المحتمل أنهم كانوا يحملون أسماء مصرية طنانة مركبة مع اسم الفرعون بسبب أنهم أجانب، إذ كان أحدهم يسمى «رعمسيس مبررع» (رعمسيس في بيت رع) و«رعمسيس نبننفر» (رعمسيس سيد طيب) … إلخ. ويدل ما جاء في لوحة «شيشنق» بوضوح على أن هؤلاء الجنود الأجانب، الذين يحملون ألقابًا عالية هم الذين كانوا يملكون ضياعًا في مصر الوسطى.

ولا يفوتنا أن نذكر هنا ونحن نتكلم عن الأجانب أن اثنين من «المازوي» أي: الشرطة قد عزيت إليهم حقول في ورقة «فلبور» (٨، ٧١؛ ٣٠، ٦٩) وهؤلاء كانوا مصريين بلا شك، وإن كان اسم «مازوي» يدل على قبيلة نوبية.[٢٩]

ومن بين الضباط الحربيين الذين من أصل مصري، ووجد أنهم يزرعون أرضًا «نائب قائد الفرسان» (١٩، ٦١؛ ٢٩، ٤٧) وقد ذكر أنه يدير أرضًا مُنحت لآلهة الفرعون.

ولدينا كذلك لقب نادر لضابط حربي وهو «سكت»، وقد جاء ذكره في ورقة «بولوني» (راجع p. 81 note 6) كما يوجد أربعة ضباط يحمل كل منهم لقب «ضابط المهمات» (راجع 27, 4, ff) وآخرون يحمل كل منهم لقب «حامل الدرع»، أو الضباط حاملو الدرع للفرعون، وكلهم كانوا يملكون حقولًا. ويوجد لقب حربي آخر «حامل السيف»، وكان يملك أرضًا (راجع ٣٦، ٣٠؛ ٤١، ٣٢، ٢٢).

ومن المدهش وجود لقب «كشاف» أو «جاسوس» (١٣، ٤١) وهو مثال جديد للعداء لم يعرف من قبل بهذا المعنى الفني إلا في حالة واحدة وردت في موقعة «قادش» (راجع مصر القديمة ج٦)[٣٠] وأخيرًا جاء في الورقة ذكر كاتبين حربيين يملكان حقولًا (راجع ٧، ٨٤؛ ٢٣، ٦٥).

أصحاب الحرف: ولم تذكر لنا الورقة أسماء صناع ماهرين بوصفهم ملاك أرض. ولدينا مثال واحد من كل من أصحاب الحرف التالية: بناء، أو صانع فخار؛ (١٨، ٨٩) ونجار (١١، ٨٢) ونحاس (٣، ٩٢) ونساج (٢٧، ٤٦) وصانع أواني مرمر (١٢، ٢٤). وعلى أية

حال ذكر أسماء محنطين (٢٢، ٨٩؛ ١١، ٧٧).

المزارعون المحترفون وغيرهم: وقد كان بطبيعة الحال عدد عظيم من ملاك الأرض مزارعين محترفين، وقد ذكر في الورقة ما لا يقل عن تسعة ومائة اسم. وقد ذكرت من قبل أن كلمة «مزارع» هنا يمكن أن تطلق على فلاح بسيط أو على «مزارع مستأجر أطيانًا». وهؤلاء كانوا يقومون في غالب الأحيان بعمل يماثل عمل المراقبين الذين يقومون بإدارة زراعة الأطيان البعيدة التابعة للمعبد.

ولدينا بعض الأفراد يطلق عليهم لقب «مراقبين» في مكان من الورقة، وفي آخر يطلق عليم لقب «مزارعين». ولا بد أن نذكر هنا أن الفرد الذي كان يزرع الحقول سواء أكان لنفسه أم لغيره قد صار مزارعًا، وهذا الوصف كان على ما يظهر يقابل وظيفته الأصلية، أو أعظم وظيفة يشغلها. فمثلًا نجد أن المزارع «حوري» الذي ذُكر في الفقرة ٩٣ سطر ٢٣ كان هو نفس الكاهن الذي أشير إليه في عنوان الفقرة (§ 253)، وكذلك المزارع «مننفر» (١٧، ٣٩) هو نفس الكاهن الذي يحمل هذا الاسم (B 24, 1)، والجندي «خنسو» المزارع قد ذكر بهذا اللقب لا بلقبه الحربي (٣٤، ٨٥). ونجد رعاة كثيرين يحملون لقب «مزارعين»، وفي بعض الأحيان كانوا يعملون في هذه الصناعة في الأراضي التي كانوا يملكونها، ومعظمهم على ما يظهر كان يرعى الماشية أو الماعز، ولدينا راعٍ من قوم «شردانا» (١٨، ٦٧). ولدينا لقبان آخران لهما علاقة بالماشية أطلق على كل منهما مرة واحدة لقب «مسمن الماشية» (٣٤، ٢٧) ورئيس حظيرة البقر (٢٢، ٣٦). ولدينا كذلك لقب «كاوي الماشية» (حامل آلة الكي) (١٨، ٣٧) وعلى الرغم من أن العبيد كانوا يكوون مثل الماشية فإن الإشارة هنا للماشية بلا شك.[٣١]

أما مربو النحل فنجد منهم ثمانية عشر (راجع ١٧، ٦٩؛ ٣٦، ٣١؛ ٤٢، ٢٨) يملكون حقولًا، ولم يكن من المنتظر أن نجد البحارة يملكون أرضًا، ولكن لدينا ثلاثة من بحارة سفينة يملكون بعض الحقول التي مساحة كل منها بضعة أرورات (راجع ٣، ٤٨؛ ٤٩، ٣٩، ٤٧) وثالث هؤلاء كان من قوم الشردانا.

أصحاب المهن: والآن نلقي نظرة على أصحاب المهن المختلفة الذين كانوا يملكون حقولًا، فنذكر أوَّلًا طبيبًا (٢٢، ٩٢) هو الوحيد من نوعه الذي كان يملك حقولًا، فقد كان صاحب قطعة أرض تبلغ مساحتها عشرة أرورات، غير أنها لسوء الحظ كانت غير منتجة.

ومن بين ملاك الأرض ثلاثون من الكتَّاب العاديين، وعدد آخر من الكتاب ينسبون إلى إدارات أو مؤسسات، فمثلًا نجد كاتبين من الجيش قد ذُكرا من قبل؛ هذا إلى بعض كتاب معابد يدعى واحد منهم «كاتب بيت الإله» (٢١، ٩٥؛ ٢٦، ٧٦) على حين أن آخرين ينعتون بأنهم كتاب بيت «آمون الكرنك» (٣٩، ٧٥) وكاتب «معبد سبك» إله «أناشا» (٢٧، ٩٦؛ ٤٤، ٨٨) وكاتب معبد «ست» إله «سبرمرو» (٤، ٧٠؛ ٨، ٦٧). وكذلك لدينا كاتبان للوزير «نفررنبت» (٣٦، ٨١؛ ٤١، ٦١) وكاتب السائق الأول للفرعون «عبابدي» (31, 48, cf, 31, 39–42) وكل هؤلاء كانت لهم حقول ملكهم، وكذلك كاتب رسائل إدارة الفرعون، وكاتب خزانة الفرعون، هذا إلى كاتبين لمخزن غلال الفرعون (٥٠، ٧٧؛ ٤٠، ٦٩) ولقب هذين الكاتبين الآخرين يوضح لنا مرة أخرى أهمية الغلال في حياة مصر؛ لأن هذه الغلال كانت تحتاج إلى إدارة خاصة في حين أن كل المواد الأخرى كانت على ما يظهر تورد إلى إدارة الخزانة (بيت المال).

ومن بين الكتَّاب الذين ذكروا آنفًا من كانوا يقومون بإدارة أراضٍ موهوبة للآلهة.

بقي علينا أخيرًا أن نذكر من بين الكتاب الذين يملكون حقولًا لحسابهم كاتب بيت الحياة، وهو كاتب للكتب الدينية والعلمية (١٥، ٧٧) وكاتبان للحصيرة (؟) (٣٤، ٨٢؛ ٣٨، ١٧) والظاهر أنهما تابعان للأمور القضائية، وكانا يشتغلان بوجه خاص في المنازعات المتعلقة بالأمور الزراعية.

المراقبون وكبار الملاك: أشرنا فيما سبق مرات عدة إلى المراقبين الذين كانوا يديرون أرضًا لملاك أو لمؤسسات بعيدة جدًّا عنها، وبذلك لا يمكنهم إدارتها بأنفسهم. وقد ورد في ورقة «فلبور» ثمانية من هؤلاء المراقبين بصفتهم ملاك حقول (راجع ٢٠، ٧٥؛ ١٣، ٢٨؛ ٤١، ٢٣) وقد ذكر واحد منهم (٥٣) فيما بعد بوصفه من أهل الواحة الشمالية. ولم يبقَ أمامنا من بين الأفراد غير الدينيين الذين يملكون أرضًا غير بعض الشخصيات الراقية، ولكن قطع الأراضي التي كانوا يملكونها ليست عظيمة المساحة وذكرنا بعضهم فيما سبق، بأنهم استعملوا نائبين عنهم لإدارة أملاكهم، وعلى رأس هؤلاء الشخصيات ابن الملك «أمنحر خبشف» (١٤، ٣٧) والمحتمل أنه أصبح فيما بعد «رعمسيس السادس»، وقد كان يملك على أكثر تقدير حوالي عشرين «أرورا». ثم الوزير «نفررنبت» (٢٧، ٩٢؛ ١٣، ٩٠؛ ١٣-١٤، ٧٦) ولم يكن بأحسن حظًّا من الأمير، غير أن أقل ما يقال عنه أنه كان يمتاز بأن أرضه قد دونت في صورة أرض ذات تقسيم من طراز أملاك الآلهة. على أنه في ذلك لم يكن أسعد حالًا من كاتب مراسلات الفرعون (راجع p. 59) وقد كان المشرف على الخزانة «خعمتير» (١٧، ٨٦؛ ٨–٧٢، ٨٢) أغنى بهذا النوع من الأراضي التي وصفت في الفقرات ذات التقسيم، وهذا المشرف كان معروفًا لنا من ورقة «ملت» التي تحدثنا عنها فيما سبق؛ وقد كانت القطع الست عشرة التي يملكها لا تزيد مساحتها عن أربعة وتسعين ومائة «أرورا»، ولكن يحتمل أنه كان يملك أرضًا في أماكن أخرى من البلاد. أما مدير البيت «وسر ماعت رع نخت»، وهو أحد أبناء الكاهن الأكبر للإله «آمون» نفسه فقد كان يملك ـ المساحة السالفة. وكذلك كان لثلاثة من المشرفين على الماشية التابعين لمعابد مختلفة بعض الحقول (44 ,71 (c) ;44 ,71 (c) ;14 ,71 ,14 ,11 ,59 (b) ;20 ,8 ;15 + 6,7 x (a)).

لقب نائب ومعناه: ذكرنا فيما سبق لقب «النائب» أو «الممثل»، والواقع أنه ليس لدينا ما يمكننا من تحديد معناه عندما يذكر وحده وذلك لكثرة الموظفين الذين يمكن أن يكون لهم نائبون عنهم، فقد يكون نائبًا بالجيش أو لإدارة مدينة أو معبد. ولدينا نائب ذكر أنه كان قائدًا للفرسان، وكذلك يوجد على أقل تقدير خمسة نوَّاب آخرين يملكون أرضًا (راجع ٢٣، ١٩؛ ٢٨، ١٧. ٢٤).

الخدم ذوو الأملاك: ومن جهة أخرى نجد في الطرف الأسفل من الهيئة الاجتماعية «الخادم»؛ غير أنه كذلك لم تحدد وظيفته ولم ينعت بنعت خاص يميزه، ولدينا خمسة من هذا الصنف من الناس يملكون أرضًا (راجع ٣٤، ٨١؛ ١٠، ٢٣) في حين نجد أشخاصًا يدعون خدمًا، ويقومون برعاية بعض حقول لمؤسسة (42 ,85 ;15 .cf 19 .17 ,22).

الملاك من العبيد: غير أن الطائفة التي لم يكن منتظرًا أن يكون لأفرادها أملاك خاصة هم العبيد، ومع ذلك فلدينا منهم ما لا يقل عن أحد عشر ذكروا في ورقة «فلبور» (١٨، ٧٨؛ ٣٥، ٢٦؛ ٥٢، ٨). وليس لدينا شك في أن هؤلاء كانوا عبيدًا حقيقيين، وأنه لمن المهم جدًّا أن نجدهم يملكون أرضًا، وليس لدينا ما يماثل ذلك في المتون المصرية إلا ما وجد على لوحة صعبة القراءة كتبت بالهيراطيقية غير المعتادة عُثر عليها في «وادي حلفا» وهي الآن «بمتحف القاهرة»، فقد نقش فيها على ما يظهر بيع أرض ملك عبيد اشتراها إسكاف «وهذه اللوحة تحمل الترقيم ـ + ـــ بمتحف القاهرة».

ملاك الأراضي من الكهنة: وقد تركنا جانبًا الكهنة الذين يملكون أرضًا لنختم بهم ملاك الأراضي الذين من هذه الطائفة، فلدينا ما يقرب من اثني عشر ومائة كاهن عادي (وعب) قد ذكروا بهذه المناسبة، غير أنه لم تعين لنا المعابد التي كانوا يقومون فيها بالخدمة إلا في حالات قليلة، وبعد ذلك ذكرت لنا الورقة أربعة كهنة يحملون لقب «والد الإله» وحسب. أما الكهنة (خدمة الإله) فمعلوماتنا عنهم أحسن من معلوماتنا عن سابقيهم؛ وذلك لأنهم غالبًا ما يذكرون في عناوين الفقرات بوصفهم «المكلفين بالعناية بمعبد الإله الذي يخدمونه»، وقد

ذكر لنا منهم ثلاثون كاهنًا (خادم الإله) في المتن الأول، وكلهم كانوا يملكون أرضًا خاصة، ومن بين هؤلاء الكاهن الأكبر للإله «آمون» في «طيبة»، وكذلك الكاهن أعظم الرائين في «هليوبوليس»، وهو رئيس الكهنة في هذه المدينة (راجع W. Pap. II, Table III).

أسماء الأعلام التي يحملها ملاك الأراضي: إن هذا الموضوع له أهميته، غير أنه لا يمكن أن نفصل فيه القول؛ لأنه يحتاج إلى بحث طويل ودرس عميق، وأول ما يجب على الباحث في هذا الموضوع: أن ينسب أسماء الآلهة الذين ذكروا في الأسماء المركبة تركيبًا مزجيًّا باسم الآلهة إلى الأماكن التي وجدت فيها، فمثلًا من الأسماء التي ركبت مع الإله «باتا» بطل قصة الأخوين.[٣٢] وقد كان يعبد في بلدة «ساكو» (القيس) الحالية، ونجد اسم «باتا محب» (باتا في عيد) والواقع أن الكشف عن أن إله «ساكو» (القيس) كان «باتا» قد أكده ما جاء في ورقة «فلبور» (راجع W. P. p. 50 Note 6) ونجد كثيرًا أسماء مركبة لرجال تحتوي أسماء أعظم الآلهة المحليين مثل: «آمون» و«برع» و«بتاح»، ويقابلهم الإلهتان «موت» و«حتحور» اللتان ركب معهما أسماء سيدات. وفي «الفيوم» و«أناشا» نلاحظ أن الإله «سبك» كان يتمتع بشهرة عظيمة كما كان الإله «ست» مشهورًا في «سبرمرو»، ولا داعي لأن نذكر أن انتشار عبادة هذين الإلهين قد انعكست في أسماء الرجال الذين ركبت أسماؤهم مع اسميهما. ونجد اسم الإلهة «تاور» (جاموس البحر) = (توريس) مركبًا تركيبًا مزجيًّا في أعلام النساء. وعلى الرغم من أن اسم «بنتاور» المذكر كان شائعًا في كل البلاد، وهو مركب مع اسم هذه الإلهة، فإن الأسماء المؤنثة المركبة مع اسمها تدل على ما يظهر على عبادة هذه الإلهة في بلاد أو قرى، وقد جاء ذكر اسم معبد لهذه الإلهة في الورقة (راجع 102 §) ولدينا أدلة على انتشار عبادتها في مصر الوسطى.[٣٣]

وفي «هراكليوبوليس» (إهناسيا المدينة) التي كان يعبد فيها الإله «حرشف» نجد اسمه مركبًا في الاسم «حرشفنخت» (الإله حرشف قوي) (Eg. 8, 38)، وهو الاسم الوحيد الذي ركب مع الإله الرئيسي لهذه البلدة ويمثل في الصورة الكبش «حرشفي».

ولدينا فرد يدعى «عنت محب» (٤٣، ٨٠) أي الإله «عنتي»[٣٤] في عيد، وقد عُثر عليه في القسم الرابع من الجهات التي مسحت، ولكن الأسماء التي مزجت مع الإله «أونوبيس» نجد أنها قليلة هنا بشكل واضح، وهذا غريب إذا لاحظنا الإشارات الكثيرة إلى بلدة «حارداي» عاصمة المقاطعة «سينو بوليت».

ومن الصعب جدًّا أن نجد اسم الإله في تركيب الاسم العلم، عندما يكون الاسم قد مثل بصفة من صفات الإله فقط، فمثلًا «بنخمنوت» (المساعد) يظهر في الاسم «بنخو منوت» (ومعناه المساعد في المدينة) أنه إله طيبي، وهذه الصفة من صفات الإله «آمون» كما جاء في قاموس «برلين» (w. b. II, 304, 16. 17; 305, 1)، ويشبه ذلك في الشكل النعت «بابو»، فقد ركب مع أسماء مختلفة (راجع E. g. 36, 42; 48, 27; 59, 15). وقد كان الإله «ست» يوصف بهذا الوصف في هذه الجهة ومعناه الشهواني، ومن جهة أخرى قد يشير هذا الوصف إلى الإله «آمون» في صورة الإله «مين» ممثلًا بعضو التذكير منتشرًا (راجع W. P. II, p. 90).

ومن الأسماء المركبة الجديدة ما ركب مع الإله «مزوت»، مثل «مزوسعنخ» وكلمة «مزوت» تعني حظيرة البقر، ويحتمل أنه اسم إلهة كانت تشرف على حلب البقر في عصر الرعامسة كما كانت الإلهة «يات» في الدولة القديمة.

وقد ذكر الإله «باتا» الذي كان يمثل في صورة ثور، وقد وجدنا كاهنًا له يدعى «كانفر» (الثور الجميل). وبالقرب من بلدة «منعنخ» كان يوجد تمثال للملك «ستنخت» للعبادة (262 §) كما كان للكاهن «وسر خعرع نخت» (٩، ٨٢) حقول، واسم هذا الكاهن يذكرنا

بلقب الفرعون «سنوسرت الثالث». وكذلك لا يمكن أن يكون المزارع المسمى «نبوزفا» (رب المهلة؟) يحمل هذا الاسم الفريد من باب الصدفة؛ بل لأنه كان يسكن (٢٣، ٣٤؛ ٥، ٢٦) بالقرب من مكان يعبد فيه الإله «آمون»، ويحمل نفس هذا النعت (٢١، ٣٥؛ ٣٠، ٢٣).

ولن نحيد عن جادة الصواب إذا اقترحنا أن ثلاثة الرجال الذين يسمون «بعاننسو» (عظيم ننسو) (راجع ٩، ٢٧؛ ٢١، ١٨؛ ٨، ٧) كانوا من أهالي «أهنليسية المدينة»، وهذه التسمية توجد عندنا حتى الآن، فيقال فلان الإهناسي، والدمياطي، والإسكندراني، والرشيدي … إلخ.

والواقع أن أسماء الأعلام تعد مسرحًا سعيدًا كما يقول الأستاذ «رنكه» في كتابه أسماء الأعلام للأفكار الغريبة والتلميحات الخلابة، والمجال واسع في هذه الورقة لمن أراد درس هذه الأسماء، وقبل أن نترك هذا الموضوع لا بد من ذكر علم مذكر لم يعرف من قبل وهو «بننكا» (٣٢، ٣٧؛ ٢٢، ٣٦؛ ٣٣، ٢٩) ومن المحتمل أن معناه «لا فائدة».

الهبات لغله الفرعون أو آلهته: تسجيل الهبات: إن هذا النوع من الأرض الموهوبة يشمل سبعة وثلاثين مثلًا موزعة في القسم الأول من الورقة، ويعبر عنها في المتن على وجه عام كالآتي: أراضٍ وُهبت أو حبست لإله أو (لآلهة) الفرعون تحت إشراف (ثم يذكر لقب المشرف واسمه). وقد استنبط من المتن أن الأشخاص الذين عينوا لإدارة هذه الأطيان كانوا على ما يظهر يحملون ألقابًا عظيمة كما يأتي: فكان من بينهم الضباط الحربيون مثل وكيل قائد الفرسان (١١، ١٧) ورئيسان من «الخيتا» أو المحاربين السوريين (١٤، ٨٥؛ ٩، ٤٨).

وكذلك نجد أن طائفة الكتاب كانوا عديدين، غير أن النعوت التي تصفهم تبرهن على أنه لم يكن من بينهم كاتب قروي، فنجد من بينهم «رعموسى» كاتب مائدة قربان الفرعون (١٠، ٤٠) وآخر يحمل نفس الاسم ويلقب كاتب حجرات الفرعون في «شي» (مدينة كوم غراب) وكاتب الخزانة «بنتار» (٢٥، ٣٠؛ ٤٣، ٢٨).

ومن بين الذين يحملون الوظائف الإدارية المدنية المتوفى «نفروعب»، الذي كان يشغل وظيفة عمدة «حرداي» (٤٦، ٥٦) والمشرف على الخزانة «خعمتير» (٢٤، ٧٦).

ومن هؤلاء كذلك الكهنة وبخاصة الكاهن الأكبر للإله «آمون»، الذي كان يشرف على قطعتين من الأرض المحبوسة مساحتهما خمسة وستون أرورا على التوالي (٣٠، ٣٣؛ ٤٤، ٢٧).

وأخيرًا نجد أن قطعة أرض من هذا النوع كانت تحت إشراف امرأة (٢٥، ٣٧) ولا نعلم إذا كانت أرملة أم ابنة لضابط أو كاهن. وكذلك سنجد فيما بعد امرأة تزرع أراضي ملكية كانت تحت إشراف مشرف على الماشية، ولا نعلم إذا كان ذلك قد حدث لأنه كان غائبًا أو لأنه كان قريبًا لها ثم توفي.

ومن درس الفقرات التي ذكرت فيها هذه الهبات نخرج بنتيجة هامة على أية حال، وهي أن كلمة فرعون في هذه الهبات قد لا تعني على حسب المعتاد الفرعون الحاكم وهو «رعمسيس الخامس»، إذ قد وجدنا أنها تشير إلى «رعمسيس الثالث».

أما ما يخص التقديرات والمساحات للأرض، التي من هذا النوع فإنها مثل التقديرات التي كانت تطبق على الأفراد العاديين وسنتحدث عن ذلك فيما بعد. هذا وقد كانت مساحة القطع التي من هذا الصنف ليست بالكبيرة ولا بالصغيرة، فقد كانت أصغر قطعة مساحتها حوالي خمسة أرورات (٢٧، ٩٠؛ ٢، ٦١). ولدينا قطعة واحدة كانت مساحتها مائة أرورا (٣٢، ٢٦) والقطع التي كانت مساحتها عشرين أرورا كثيرة.

تقدير ضرائب الفقرات ذات التقسيم: تحدثنا سابقًا عن تقدير ضرائب الفقرات غير ذات التقسيم في ورقة «فلبور»، والآن نتناول ضرائب الفقرات ذات التقسيم في هذه الورقة، وقد دل الفحص على أن هذا الموضوع أكثر تعقيدًا من سابقه، ويرجع السبب في ذلك على وجه عام إلى أن قطع الأرض، التي تشملها الفقرات ذات التقسيم كانت أصغر كثيرًا عن التي تحتويها الفقرات غير ذات التقسيم. ففي الأخيرة تتراوح القطع بين أرورا واحدة وثمانين أرورا. ويلاحظ أن القطعة التي مساحتها عشرة أرورات كثيرة جدًّا، وإن كانت القطع التي مساحتها خمسة أو عشرون أرورا كثيرة أيضًا.

والفقرات ذات التقسيم يلاحظ فيها أن تقدير الضرائب قد تناول القطع التي مساحتها «أرورا» واحد فما فوق. وهنا يلاحظ أن القطع التي مساحتها خمسة أو ثلاثة أكثر شيوعًا من القطع الباقية، وأكبر قطعة مساحتها ثلاثون أو أربعون «أرورا». غير أنه توجد بين المساحات التي من هذا النوع قطع صغيرة جدًّا لدرجة أنها كانت تحسب بالذراع الأرضي، الذي يساوي جزءًا من مائة من الأرورا «والأرورا» كما نعلم تساوي ثلثي فدان تقريبًا. وأصغر قطع ذكرت في ورقة «فلبور» ما يأتي: اثنتان تبلغ مساحة إحداهما ست أذرع، والأخرى مساحتها عشر أذرع أرضية، وأصغر هاتين القطعتين تساوي حقلًا مساحته ١٤ ياردة في مثلها. وأغلبية الملكيات ذات التقسيم التي حسبت مساحتها بالذراع الأرضي هي التي مساحتها ١٢ و٢٤ و٥٠ و١٠٠ ذراع أرضي على التوالي.

هذا ويوجد عدد قليل من القطع مساحة كل واحدة منها ٢٠٠ ذراع أرضي أي: اثنان من «الأرورات».

وقد ذكرنا آنفًا أن الفقرات ذات التقسيم كانت ضرائبها الفعلية تقدر عينًا أي: بالغلة وذلك في قطع الأرض التي حسبت «بالأرورا». ونجد في هذه الحالة ثلاثة أرقام وأربعة أحيانًا — في التسجيل — ويلاحظ أن الرقمين الأخيرين من هذه الأرقام قد كتبا بالمداد الأحمر.

وقد اصطلح المقدر للضرائب على أن يضع نقطة في التسجيلات التي تحتوي على ثلاثة أرقام قبل العدد الأول وأخرى بعده. وهذا العدد الأول كان يكتب بالمداد الأسود، ولا نزاع في أن هذا الرقم والرقم المكتوت بالأحمر الذي تأتي بعده يعادل مساحة مقدرة بالأرورا. أما الرقم الأحمر النهائي وهو لا يتغير فيسبق بالعلامة الدالة على مكيال الحب، وهذا الرقم الأحمر يدل على فئة التقدير التي تعادل ـ مكيال عن كل أرورا من الأرض. وسنوضح ذلك بمثال خاص برئيس إصطبل يدعى «رعموسى»، فقد كان تقدير ما عليه من الضرائب مدوَّنًا كالآتي: ٥٠. ـ، ـ مكيال. وهذا يعني بدهيًّا أن «رعموسى» هذا كان يملك قطعة أرض مساحتها خمسة أرورات غير أنه كان يدفع عنها ـ «أرورا» إيجارًا أو ضريبة بسعر ـ مكيال عن كل «أرورا»، وبعبارة أخرى كانت الضريبة، التي يدفعها على ملكيته التي تبلغ مساحتها خمسة أرورات ـ حقيبة من الغلة وهو ما يساوي ـ ويبة، هذا إذا حسبنا أن مكيال القمح الذي قدرت به الضريبة هو الحقيبة (خار) أما إذا حسبت الضريبة بالويبة فيكون ما يدفعه هو ـ ويبة أي: حوالي ـ جالون. ويلاحظ هنا أن المثمن كان لا يدون بالمداد الأحمر إلا الأرقام التي كانت ذات أهمية حقيقية له.

ويدل ما جاء في هذه الورقة على أن المساحة التي كانت تفرض عليها ضريبة كانت دائمًا صغيرة، فقد كانت تتراوح بين ـ أو ـ أو «أرورا» واحد في أغلب الأحيان. ولدينا خمسة أمثلة نجد فيها أن المساحة التي فرضت عليها الضريبة كانت ٢ «أرورا» كما وجدنا في حالة واحدة ثلاثة «أرورات» تدفع ضريبة عن جملة المساحة التي يزرعها الفرد. ولا نزاع في أن معاملة صغار الملاك بهذا التسامح يُعد من الأمور الخارقة حد المألوف في عهدنا الحاضر.

وقد دل الفحص فوق ذلك على أن كل الملكيات التي حسبت بالأذرع الأرضية أي: الملكيات الصغيرة جدًّا كانت معفاة من الضرائب. ولا أدل على ذلك من أنه لم يوجد معها أرقام حمراء ولا نسبة تقدير تدفع عينًا.

ومما يدهش في هذا الصدد أن بعض هذه الملكيات المحسوبة بالذراع قد دونت مساحتها برقمين: الأول منهما هو الأصغر، ونجده أحيانًا أصغر بكثير من الرقم الثاني، فمثلًا نجد أن الملكيات التي مساحتها خمسون ذراعًا أرضيًّا قد دونت بالطريقة التالية ٤٩,١، ٤٨,٢، ٤٥,٥ أو ٤٠,١٠.

والواقع أن طريقة تقدير الضرائب على هذه المساحات تشبه التقديرات التي كانت مساحتها محسوبة بالأرورا، وعلى ذلك فإن المساحة التي دونت هكذا ٤٥,٥ ذراعًا أرضيًّا تفسر كالآتي: هذا الرجل يملك قطعة أرض مساحتها خمسون ذراعًا أرضيًّا، فإذا كانت هذه الأرض عرضة لدفع ضرائب فإنه لن يدفع إلا على خمسة أذرع أرضية، على حين أن الخمسة والأربعين ذراعًا أرضيًّا الباقية تكون معفاة من الضرائب.

وأخيرًا نلاحظ في الفقرات التي تحتوي على أرض ذات تقسيم وجود صورة تقدير أخرى لا نجد فيها إلا رقمًا واحدًا كتب بالمداد الأسود، ويأتي بعد هذا الرقم مباشرة عبارة مختصرة تدل على حالة الأرض. ولدينا أربعة أنواع من هذه الأرض وهي: (١) أرض جافة أو شراقي. (٢) أرض لا يصل إليها ماء؛ أي لم تُروَ. (٣) أرض بور. (٤) أرض لم تُروَ. وهذه تعني أرضًا قد تكون مدونة في قوائم المثمنين، أو نقلت إلى مالك آخر، أو ادَّعى فرد ملكيتها كذبًا أو خطأً. وهذه الأنواع من الملكيات كانت غير قابلة لفرض ضرائب عليها. وتدل شواهد الأحوال على أن معظم الملكيات التي يظهر فيها هذا النوع من التقدير كانت ملكيات صغيرة حسبت بالذراع الأرضي في معظم الأحيان، ومن ثم نرى أن مقدري الضرائب كانوا يراعون كل الأحوال، التي تحيط بالأرض التي كلفوا تقدير الضرائب عليها بطريقة عادلة يجب أن تكون هاديًا لمقدري الضرائب في عصرنا، ومن جهة أخرى نرى أن الحكومة كانت تراعي حالة الملاك ومقدار ملكياتهم، فتضع الضرائب عليهم بحيث يمكنهم أن يعيشوا عيشة لا يعتورها أي قلق على قوتهم الضروري.

أما أصحاب الأملاك الكبيرة، وبخاصة المؤسسات الدينية العظيمة والصغيرة معًا، فكانت تؤخذ منهم ضرائب تتفاوت قيمتها بتفاوت قيمة الأرض من حيث الخصوبة والإنتاج.

ومما تجدر ملاحظته هنا أن صغار الملاك كانت فئة الضرائب التي قُدرت على كل «أرورا» من الأرض التي يزرعونها واحدة وهي ـ حقيبة على أصح الأقوال؛ أي ما يقدر بحوالي ٦ ويبات، على حين أن الأراضي التي كانت تزرعها المعابد الصغيرة والكبيرة والمؤسسات الأخرى كانت ضريبتها تتفاوت على حسب جودة الأرض وقدرة إنتاجها كما ذكرنا من قبل، فكانت تتراوح الفئات ما بين خمس وعشر ويبات، هذا من جهة، ومن جهة أخرى كانت الضرائب تدفع على كل «أرورا» من المساحة التي تشملها قطعة الأرض،

على حين أن صغار الملاك كان لا يدفع المزارع منهم إلا عن جزء ضئيل من الأرض التي يملكها وبفئة متوسطة لا تتغير قط مهما كانت الأرض جيدة، وهذه الظاهرة إذا كانت تطبق صحيحًا في عهد الرعامسة، فإنها تدل على نظام حكم عادل، وأن العدالة الاجتماعية التي كان من واجب كل فرعون أن يسير على نهجها قد ظهرت واضحة جلية في تقدير الضرائب على صغار الملاك.

المتن الثاني من ورقة (ب): يشمل المتن الثاني من ورقة «فلبور» تعداد أراضٍ فرعونية تنحصر في جزء محدد من أرض مصر الوسطى، وتنقسم الخمس والعشرون صحيفة التي يحتويها هذا المتن خمسًا وستين فقرة. وأساس هذا التقسيم يدور حول اسم الموظف الذي وكل إليه أمر إدارة الأرضي الملكية التي يحتويها هذا المتن.

وتبتدئ كل فقرة على وجه التقريب بمقدمة قصيرة وهي: أرض «خاتو» ملك الفرعون تحت إدارة (هنا يذكر اللقب والاسم) وقد يضاف على ذلك أحيانًا بالمداد الأسود عدد الحقائب من الغلة التي تنتجها قطعة الأرض.

والسطر الثاني من كل فقرة أهم ما فيه ذكر الحقول ومعظمه مدون بالمداد الأسود. والأسطر التي تلي العنوان بما في ذلك السطر الثاني موحدة في التركيب كما يأتي: إقليم كذا (يذكر اسم المكان) شمالي أو جنوبي … إلخ (مكان كذا) على حقول (معبد كذا أو ما يماثل ذلك) أرض زراعية (قايت ومعناها الأرض العالية، وتتألف من عدد كذا من الأرورات).

وتدل الموازنة بين المتن الثاني من ورقة «فلبور»، وبين متن قطع البردي التي بقيت من ورقة «جرفت»[٣٥] أن الأول قد كتب بقصد معرفة الدخل الذي تنتجه الحقول التي تشتمل عليها.

مديرو أرض «خاتو» (الأرض الملكية): تنحصر أسماء أهم الموظفين الذين كانوا يديرون أرض «خاتو» فيما يأتي: مدير بيت «آمون» «وسر ماعت رع نخت»، وهو كما ذكرنا من قبل أحد أبناء الكاهن الأكبر للإله «آمون» المسمى «رعمسيس نخت»، وقد كان أعظم شخصية استخدمها الفرعون في إدارة أراضي «خاتو» ولا أدل على ذلك من أن كاتب الورقة قد خصص تسع صحائف، أي ما يزيد على مائتين وخمسين تسجيلًا للحقوق التي كان هذا المدير مسئولًا عنها.

ومن المدهش أن نجد ضابطًا حربيًّا يشغل المكانة الثانية في الأهمية بين مديري هذا النوع من الأراضي، وأعني به حامل علم مقر الملك المسمى «مرنبتاح»، وقد كان يلقب المشرف على أراضي «خاتو» (راجع §§ 44, 113 of Text A) وإليه تنسب إدارة سبع وخمسين قطعة مختلفة، أي أربع وعشرين قطعة أكثر مما كان يديره موظف يدعى «وسر ماعت رع نخت» وهو مجهول لنا غير أنه يحمل نفس اللقب (8 §)، ونجد كذلك حامل علم آخر من «الشردانا» يدعى كذلك «وسر ماعت رع نخت» (A 55, 7, § 143)، غير أنه ليس لدينا ما يثبت أو ينفي أنه هو نفس سميه في المتن الثاني (ب) (8 §). ويبقى لدينا بعد ذلك سبع وخمسون فقرة لفحصها نجد من بينها إحدى وثلاثين كان يديرها كهنة، هذا فضلًا عن المشرف على الكهنة الذي كان يسهم في ذلك (9 §)، وكذلك خمسة الكهنة الذين يتبعون معبد «إهناسيا المدينة» (18 §)، وكانوا يعملون بالتضامن معهم. وكذلك لدينا ست فقرات متتالية (16–11 §§) كان المشرفون فيها على الأرض عمد مدن. ومن بينهم عمدة قد ذكر معه ثلاثة آلاف حقيبة من القمح مما يرجح احتمال أنه كان عمدة «منف» (راجع p. 182) وإلا فلا بد من أنه كان عمدة «أطفيح».

ولدينا ست فقرات أخرى كان عمال التاج فيها رجالًا، يحمل كل منهم لقب «المشرف على الماشية» وقد ذكرت أسماء بعضهم في المتن الأول من الورقة، وتدل شواهد الأحوال على أن «بمرعحو» (27 §) كان سلف «رعمسيس نخت» المشرف على ماشية «آمون رع» ملك الآلهة، الذي كان يلعب دائمًا دورًا هامًّا في المتن الأول (أ) (راجع Synopsis A, § III).

وقد ذكر هنا كذلك سبعة مراقبين، والظاهر أن معظمهم كانوا ملحقين لضياع المعابد للعواصم وبخاصة ضيعة «آمون» (5–54 §§)، وضيعة «رع»، (1–60 §§)، وضيعة «بتاح» (57 §).

ولا بد أن نتصور أن كل هؤلاء العظماء الذين ذكرنا بعضهم هنا كانوا يراقبون التفصيلات العملية للمهمة التي كلفهم الفرعون أعباءها. ولا نجد إلا في حالات قليلة أن شريكًا أو مرءوسًا قد ذكر بوصفه مكلفًا بتنفيذ هذا الواجب، فمثلًا نجد أن «وسر ماعت رع نخت» العظيم السالف الذكر الذي كان له مساعد يدعى «ببس» (3 §)، والوكيل «حوري» (5 §) لم يُذكر واحد منهما في المتن الأول، وكذلك كان يعاضد عمدة «مرور» (كوم مدينة غراب) كاتب المركز «بنتاور» (12 §) في حين أن زميله في «إهناسيا المدينة» § (14) كان يساعده الكاتب «سبكحتب».

وقد كان ضمن الذين يديرون أراضي «خاتو» كهنة. والواقع أنه كان من الطبيعي والمستحب أن يستخدم الفرعون الكهنة البارزين في معابد الأقاليم للقيام على مصالحه في الأماكن المجاورة لمعابدهم. فقد كانت فائدتهم للفرعون من هذه الناحية لا تقتصر على معرفتهم التامة بالأحوال المحلية وبالسكان الريفيين، بل كانت سلطتهم الدينية يمكن استخدامها في كبح جماح المزارعين الخارجيين — وحتى العمال الزراعيين — أكثر من استخدام سلطة عمد المدن الإقليمية. ويؤكد استعمال الكهنة في هذا الغرض ما جاء في ورقة «تورين» الخاصة بالضرائب ونقل القمح (J. E. A. XXVII. p. 22 ff) وعنوانها دليل على ذلك وهو: «وثيقة تسلم غلة أرض «خاتو» ملك الفرعون من أيدي كهنة معابد الوجه القبلي.» وكذلك ما جاء في خطاب نموذجي يشكو فيه — بحرارة — كاهن بيت الإله «ست» في مكان يدعى «بينوزم» من فداحة الضرائب التي أثقل بها عاتقه بوصفه مديرًا لأراضي معبده، وكذلك أراضي «خاتو» التي كلف القيام على مصالحها. والفقرة المقتبسة لا تذكر صراحة غلة، وإنما تذكر فضة وهي القيمة المالية لأي محصول كان يمكن أن يورد، ومع ذلك فإن الجزء الخاص بذلك يستحق أن نقتبسه هنا. والمرسل هو مدير بيت لا نعرف إذا كان بيت الفرعون أو لا، وهاك النص:

> عندما يصل إليك خطابي ينبغي أن تذهب مع حامل العلم «بتاح مماين»، وتبلغ الوزير عن النقود الفادحة التي يأمرني التابع «إيا» بدفعها؛ لأنها ليست ضريبتي العادلة بأية حال. افعل ذلك بعد أن تكون قد أخذت إلى الجنوب (طيبة) نسخة مكتوبة بالمال والدخل، وضعها أمام الوزير، وقل له: إنه ينبغي ألا يفرض عليَّ ضريبة للناس (؟) لأنه ليس عندي ناس، ولكن السفينة في حوزتي، وبيت الآلهة «نفتيس» تحت إدارتي.[٣٦] والآن تأمل! فإن معظم المعابد التي بجواري ليست كمعبدي (في المعاملة) وذلك لأني قد أبهظت بدرجة عظيمة.
>
> وقد أثقلت بمنتهى العبء. ولكن، تأمل! فإن الناس اليوم على هذه الحال. وتحدث الأشخاص مختلفين هناك عن الأمر المجحف؛ عن الزرع الذي أثقل به عاتقي، مع مراعاة مساحة بيت الإله «ست»، ومقدار أراضي «خاتو» ملك الفرعون التي تحت إدارتي. تأمل! فإنها صغيرة، وزيادة على ذلك لا تتوانَ، بل يدك مع حامل العلم «بتاح مماين».

ننتقل الآن بعد ذلك إلى بعض الكهنة (خدام الإله) الذين في المتن الثاني (ب) ونجدهم كذلك في المتن الأول (أ) من هذه الورقة في آنٍ واحد، مثال ذلك: «حوي» صاحب «سبر مرو» (92 § .cf 23 §) و«بانحسي» التابع لمقصورة «منتو» في قرية «إنروشس» (§ 29 cf. A 29, 20) و«كنفر» و«بانحسي» في «ساكو» (القيس) (91.270 § .cf 46 §) … إلخ.

ولا بد أن نبرز هنا أن إدارة أراضي «خاتو» كانت تكليفًا شخصيًّا، وليست مفروضة على كهنة المعابد بوصفهم جماعات، وإن كنا نجد في المتن (ب) (18 §) خمسة كهان (خدام الإله) في معبد «إهناسيا» المدينة يتقاسمون المسئولية، وفي المتن الأول نجد أن معظم العناوين تشير إلى المعابد، ولا يظهر كل مدير على حدة إلا عندما تكون إدارة أملاك المعبد مقسمة عدة ضيعات.

أراضي «خاتو» في المتن «أ» وغيره: لقد خصص المتن الأول ثماني عشرة فقرة لأرض «خاتو»، ونجد ضمن ألقاب المديرين في المتن «ب»: المشرفين على الكهنة (B § 9)، وكذلك في المتن «أ» (114 §). ونجد ظاهرة مشتركة في كل من المتنين «أ» و«ب»، وهي تكليف العمد والكهنة والمشرفين على الماشية بإدارة أراضي «خاتو»، وكذلك حامل العلم «مرنبتاح» والمشرف على حجرات الملك. والفرق الرئيسي بين ما جاء في المتنين أن المتن الثاني «ب» يكلف المراقبين بالقيام على كثير من هذا النوع من الأراضي، وبخاصة مدير بيت الإله «آمون» «وسر ماعت رع نخت» في حين نجد في المتن الأول «أ» قد أبرز في فقرة واحدة بصورة ظاهرة مدير رؤساء جمع الضرائب (201 §). وتدل شواهد الأحوال على أن رئيس عمال الضرائب هذا هو نفس «وسر ماعت رع نخت» مدير بيت «آمون» (راجع Synopsis of Text A §§ 52, 201).

ولدينا فقرات من المتن الأول تبحث في نوع من الأرض يدعى «أرض منى» ملك الفرعون، ويديرها نفس الموظفين والكهنة مثل أراضي «خاتو» (راجع A §§ 40–3, 198–200). والواقع أنه ليس لدينا معلومات عن هذا النوع من الأرض إلا أنها قطع من الأرض كانت تروى جيدًا ويمكن زرعها. ولم تقدم لنا ورقة «فلبور» معلومات جديدة عنها إلا أنها كانت نوعًا من الأرض التي يملكها الفرعون، وهي تشابه إلى حد بعيد أراضي «خاتو» وتدار مثلها.

معنى أرض «خاتو»: تعني عبارة «خاتو» حرفيًّا «ألفًا من الأرض»، وكان هذا التعبير يستعمل في الأصل بمثابة مقياس حقول يعادل عشرة «أرورات»، أو قطعة من الأرض مساحتها ١٠ × ١٠٠ = ١٠٠٠ ذراع طولًا في مائة ذراع عرضًا.

وقد كتب عن هذا المقياس الأستاذ «جرفت» في عهد الدولتين القديمة والوسطى.[٣٧] وليس لدينا من عهد الدولة الحديثة إلا مثالان، والمؤكد منهما هو الذي وجد في نقش بالكرنك يشير إلى الكاهن الأكبر «أمنحتب»، الذي منحه «رعمسيس التاسع» — بمثابة حظوة بوساطة المشرف على مخازن غلال الفرعون — عشرين «أرورا» من أرض «خاتو» تزرع غلة، وتكون لاستعماله دائمًا كل سنة.[٣٨]

وتظهر هذه الهبة ضئيلة إذا قيست بمنحة عشرة الآلاف أرورا، التي كان يمنحها البطالمة للمقربين لديهم.[٣٩]

والمثال الثاني: «ورقة هاريس ١٢/٢٧»، حيث يقول «رعمسيس الثالث» لإله «هليوبوليس»: «لقد صنعت لك آلافًا من الأرض جديدة، (زرعت) شعيرًا نقيًّا، وردت في حقولها التي كانت قد انحطت؛ لكي أزيد — بمقدار عظيم — القرابين للاسم الكريم المحبوب.» وقد ترجم «برستد» كلمة «خاتو» بكلمة ضيعة. وهذا خطأ بالطبع. وقد كان أول من عرف حقيقة معناها، وأنها أرض مَلَكِيَّة الأستاذ «سبيجلبرج»، غير أنه لم يوضح أنها نوع من الأملاك الفرعونية.[٤٠]

المؤسسات التي تقع على حقولها أراضي «خاتو»: تدل شواهد الأحوال على أن أراضي «خاتو» التي تعرف بأنها ملك الفرعون لم تكن ملكًا له بدون قيد ولا شرط، وذلك يحتاج إلى إيضاح سنتحدث عنه بعد.

والمؤسسات التي تملك مثل هذه الأرض — وهي المعابد في أغلب الأحيان — أصبح من الصعب التعرف عليها؛ ويرجع ذلك إلى أن الكاتب الذي دوَّن الورقة كان يريد أن يحصر وصف كل قطعة أرض من هذا النوع في سطر واحد؛ ولذلك فإن المعلومات التي يريد حشرها في هذا السطر كانت تستدعي اختصارات مخلة، فمثلًا نجد أن عبارة: «على حقول بيت آمون» قد ذكرت أكثر من خمس وعشرين مرة. وكل الأحوال تدل على أن التعبير يشير إلى «بيت آمون رع» ملك الآلهة، أي معبد الكرنك. ومن المحتمل أن هذا هو التفسير الصحيح في معظم الحالات، وبخاصة عندما نعلم أن معبد مدينة «هابو» كان يشار إليه بعبارة: «القصر الذي في بيت آمون». ولدينا أمثلة فردية كتب فيها اسم «معبد الكرنك» بإضافة نعت «ملك الآلهة» على التعبير السابق، وكذلك معبد «مدينة هابو» حيث أضيف نعت «معبد وسر ماعت رع مري آمون»، وهو لقب «رعمسيس الثالث». ولكن هل نحن متأكدون دائمًا من أن عبارة «معبد آمون» تدل دائمًا على «معبد الكرنك»؟ الواقع أن ذلك جائز خصوصًا عندما نعلم أن أشكال «آمون» المحلية لها نعوت خاصة. مثال ذلك: «آمون صاحب الأرض الأمامية الجميلة في منف» (٣٣، ١٧) و«آمون الذي ينبئ بالانتصارات» (§ 24, 12) ونجد هذا الإبهام عند ذكر الآلهة الآخرين مثل «بيت رع» الذي ذكر — على أقل تقدير — خمسين مرة، وكذلك «بيت بتاح» الذي ذكر مرات عدة. فهل هذه تشير دائمًا إلى معبد الإله «رع حوراختي» الأصلي. وإلى الإله «بتاح جنوبي جداره» في كل من «هليوبوليس» و«منف» على التوالي؟ والواقع أن بعض هذه المعابد التي أقيمت في كلتا العاصمتين تشير إلى معابد أخرى أقامها ملوك بجانب هذين المعبدين (راجع The Wilbour Pap. II p. 168).

على أن أرض «خاتو» الفرعونية يمكن أن تكون ضمن حقول المؤسسات الأهلية والمعابد كما سنبرهن على ذلك، فقد جاء ذكر «بيت عابدة الإله في بيت آمون» (§ 3, 8). كما جاء ذكر «بيت الملكة» في المتن الأول (١٠، ٢٩). ونجد اسم مواني الفرعون مذكورة في هذا النوع من الأرض أربع مرات، وهي تشير إلى أماكن مختلفة.

الجهات التي تقع فيها أراضي «خاتو» الفرعونية في المتن الثاني (ب): يدل البحث الذي عمل في هذا الصدد على أن النطاق الجغرافي لما جاء في المتن الثاني ليس فيه ما يدل على أن هذه الأرض كانت تمتد إلى أبعد من جنوبي المنطقة الرابعة (انظر المصور الجغرافي) من أراضي المتن الثاني. ومن جهة أخرى نرى — من الأسماء الجديدة التي وردت في الفقرتين الخامسة والسادسة — برهانا كافيًا على أن حدود أراضي «خاتو» كانت تمتد شمالًا عن حقول أراضي المتن الأول.

الأنواع المختلفة لأرض «خاتو» ومساحاتها: ذكرت أنه يوجد في المتن الأول ثلاثة أنواع مميزة من الحقول وردت في المتن الثاني «ب»، وقد شرحنا الألفاظ الدالة على كل نوع، وأعم هذه الأنواع هو الأرض التي تسمى «قايت» (الأرض العالية). وقد ذكرنا عند الكلام على المتن الأول أن هذا النوع من الأرض يعد من أحسنها وأجودها، غير أنه اتضح فيما بعد أنه أرض عادية، ويؤكد هذا الرأي معنى هذه الكلمة في القبطية. وقد جاء كذلك في قطع البردي التي نشرها الأستاذ «جرفت» (J. E. A. XXVII, 64) أن كلمة «قايت» تستعمل كذلك للأرض الزراعية العادية التابعة لضياع المعابد. وكذلك ذكرت «أرض نخب»، وهذه الأرض يمكن أن تسمى «الأرض البكر»، وهي على عكس الأرض المستعملة، ويشمل المتن الثاني (ب) أكثر من ثلاثين مثالًا من الأرض البكر. أما الأرض

المستعملة فنجد منها حوالي عشرة أمثلة (E. g. B 10, 15; 11, 8. 17. 30; 12, 14). والآن يتساءل المرء كيف يمكن الموازنة بين هذه الأنواع الثلاثة من الأرض بالنسبة لإنتاجها. والجواب عن هذا يعترضه صعوبة خطيرة. ويجب أن نكتفي هنا بالسؤال عن نسبة إنتاج كل منها كما قدرها مثمنو ضريبة الغلة.

وقد دل الفحص على أن الأرض البكر تساوي ضعفيها من الأرض الزراعية العادية في المحصول. أما الأرض المستعملة فقد دلت الموازنة على أنها تقدر من جهة المحصول بما يعادل ثلاثة أرباع الأرض البكر، وتقدر بمرة ونصف مرة بالنسبة للأرض الزراعية العادية (الأرض العالية).

ويلاحظ أن مساحات أراضي «خاتو» تماثل القطع التي ذكرت في الفقرات غير ذات التقسيم من المتن الأول، التي تحتوي عددًا قليلًا من أرض «خاتو» أيضًا. ويشاهد في هذه الأرض تمييز بارز كما في أرض «خاتو» في المتن الثاني؛ وهو أن قطعها تكون مساحتها مضاعفة دائمًا خمس مرات، والمساحات الأقل من ذلك نادرة، في حين أن القطع التي مساحتها عشرة «أرورات» أو عشرون أكثر عددًا من غيرها. والفروق التي نجدها بين هاتين المجموعتين من المساحات التي تجري الموازنة بينها هنا هي أنه في المتن الأول من الورقة نجد أن أكبر قطعة لا تزيد على ثمانين «أرورا»، في حين أن المتن الثاني يشمل عشرين قطعة من ذات الحجم الكبير من بينها واحدة مساحتها ثلاثمائة «أرورا»، وأخرى مساحتها ثلاثمائة وأربعون «أرورا»، هذا ونجد أن أقل مساحة في المتن الثاني «ب» لا تقل عن اثنين من «الأرورات» في حين أنه في المتن الأول توجد بعض قطع مساحة كل منها «أرورا» واحد.

وأخيرًا نجد في مثالين في المتن الثاني «ب» أن هناك قطعًا مساحتها نصف «أرورا» في حين أن المتن الأول «أ» لم يأت فيه إشارة إلى أية كسور من «الأرورا». وهاك قائمة مفصلة بتوزيع القطع التي من نوع أرض «خاتو» (انظر جدول ١ قائمة توزيع القطع) في المتن «ب»، أي الأرض الأميرية، وهي تشابه بعض الشيء القطع غير ذات التقسيم في المتن الأول.

وخلاصة ما سبق عن هذا المتن «ب» الخاص بأرض «خاتو» الفرعونية ما يأتي: إن كثيرًا مما جاء في هذا المتن لا يزال غامضًا، غير أنه من المؤكد على الأقل أن أرض «خاتو» كانت العناية بأمرها موكلة إلى موظفين كل منهم مستقل عن الآخر، وبخاصة كهنة المعابد المحلية، فقد كان لهم النصيب الأوفر في إدارتها. وكذلك يلاحظ أن أرض «خاتو» كان يقع معظمها في أرض تملكها المعابد أو المؤسسات ذات الأملاك، ولكن نظرًا لاختلاف المساحات (كما يبرهن على ذلك الأعداد المضافة بالمداد الأحمر) ولأن أرض «خاتو» كانت فيما سبق تنسب لأشخاص من الأهالي يملكونها، ثم ماتوا عنها فاستولت عليها الحكومة، فإنه يوجد احتمال أن هذا النوع من الأرض الملكية كانت أرضًا (على الرغم من ذكرها بأنها ملك للمعابد) قد أعيدت للتاج، أو أنها لم تصبح بعد ملكًا خالصًا لملاكها الفعليين.

وإذا نظرنا نظرة عامة إلى محتويات المتن «ب» نجد أن الموظف أو الكاهن المذكور في عناوين الفقرات كانت سلطته لا تنحصر في أراضي «خاتو» التي في الحقول التابعة لإدارته أو معبده وحسب، بل كانت تمتد كذلك إلى أراضي «خاتو» أخرى تابعة لمعابد في العواصم الثلاثة: «طيبة» و«منف» و«هليوبوليس»، وكذلك تمتد إلى عدد قليل من المؤسسات صاحبة الأملاك، وقد كانت وظيفته تشبه وظيفة المراقب التي كان يؤديها للمعابد الكبيرة، والواقع أن التاج نفسه قد استعمل للإشراف على أرضه بعض موظفين يحملون لقب

مراقب أيضًا (54, 7: 59–61 §§)، وهذا يمكن أن يفسر كذلك السبب في أن الملك يكلف المراقب بالإشراف عليها بنفسه، وعلى ذلك فإن إدارة أي معبد من هذا النوع كانت تهتم فقط بملكيتها الخاصة دون الاهتمام بملكيات أخرى مهما كانت عظيمة أو مهمة.

جدول ١: قائمة توزيع القطع.

مساحة القطعة بالأرورات	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	–	١٣	١٤	١٥
عدد القطع	٧	٣	١	١٧	٢	٥	٢	٣	٩٨	١	٣	١	٢	١	٢١
مساحة القطعة بالأرورات	١٦	١٧	١٨	١٩	٢٠	٢١	٢٢	٢٤	٢٥	٣٠	٣١	٣٤	٣٥		
عدد القطع	١	٢	١	١	١٣١	٢	١	٣	٨	٣٢	١	١	٣		
مساحة القطعة بالأرورات	٣٦	٣٩	٤٠	٥٠	٥٢	٦٠	٦١	٦٥	٦٦	٧٠	٧٢	٧٥	٨٠		
عدد القطع	٢	١	٥٨	٣٣	١	١٨	١	١	٢	١	١	٢	٩		
مساحة القطعة بالأرورات	٨٢	٩٠	٩٥	١٠٠	–	١٢٠	١٥٠	١٨٠	٢١٠			٣٠٠	٣٤٠		
عدد القطع	١	٢	١	١٢	١	١	٣	١	١			١	١		

ومما يلفت النظر أنه لا يوجد كاهن محلي مُعَيَّن للإشراف على قطع من أراضي «خاتو»، التي كانت تقع في حقول أي معبد صغير آخر مجاور. وفضلًا عن أراضي «خاتو» التي كانت تقع في حقول المعبد الذي تحت مراقبته، فإنه كان مكلفًا بأراضٍ أخرى تابعة لمعابد أكبر من معبده تقع على بعد منها، وليست ملكًا للملك (أي أرض خاتو).

وتسهيلًا للمراقب ليدفع الضرائب المستحقة للتاج في أي ظروف كانت من أراضي «خاتو» كان لا بد أن يكون رجلًا من الميسورين؛ وذلك لأن التاج في هذه الحالة كان يعرف أنه ينتج غلة كافية تعطي كل ما يطلب منه، يضاف إلى ذلك أنه كان من المرغوب فيه بداهة

بمثابة سياسة عامة أن يزرع بمهارة أكبر مقدار ممكن من الأرض. ومن المحتمل أن هذا هو معنى نظام الزرع الذي ورد في خطاب بولوني (راجع A. Z. LXV 89 ff). فنجد واضحًا في هذا الخطاب أن نظام الزرع كان خاصًّا بالمجموع الكلي من الغلة التي يحصل عليها الكاهن، الذي جاء ذكره في الخطاب وقت الحصاد، على أنه لم يذكر لا قولًا ولا تلميحًا أن كل ما في هذا الخطاب كان يدفع للتاج. ونخرج بمثل هذه النتيجة من الخطاب الآخر من ورقة «بولوني» الكبيرة وقد ترجم من قبل،[٤١] ويلاحظ فيه أنه عندما شكا الكاهن «برعمحب» من فداحة النظام الذي فرضه عليه أتباعه لم يشر إلى مساحة أراضي «خاتو» التي تحت إدارته وحدها، بل كذلك إلى المعبد الذي هو في خدمته، فالظاهر أن الأمر يشير لمجموع الأرض التي طلب إليه زرعها حتى يمكنه أن يقوم بأية التزامات فرضت عليه، وهذا يفسر ثانية السبب الذي نجد من أجله أن عدد الحقائب المذكورة بالعنوان لم تعين نسبة معلومة عن مقدار أراضي «خاتو» التي ذكرت في صلب الفقرة، فإذا كان عدد الحقائب المذكور يشير إلى المعدل المعروف بنظام الزرع فإنه لا بد قد حسب على قاعدة مجموع الملكية من كل الأنواع، التي تحت تصرف الموظف أو الكاهن المكلف بأدائها.

هل كانت الضرائب تدفع للتاج أم كانت دخلًا للمعبد؟ لقد قارب فحص موضوع هذه الورقة نهايته، ومع ذلك فإن موضوعها الرئيسي لا يزال كما هو برمته لم يحل بعد، بل لم يكد يوضع في صيغته النهائية، وهذا الموضوع هو الخاص بالأغراض الإدارية التي تمدها بالأرقام التي حققت أو التي فصل فيها بمعرفة الموظفين المسئولين عن متني هذه الورقة. وإذا أمكن الكشف عن هذه الأغراض برمتها، فإننا بلا نزاع نجد أنفسنا قد حصلنا على صورة شاملة لا بأس بها تصف لنا حالة البلاد المالية من حيث الزراعة في عهد الزعامة المتأخر، ولكن مما يؤسف له أن هذا الكشف الذي نسعى إليه لم يتحقق تمامًا. وفي الصحائف القليلة التالية سنجمع بعض المعلومات الإضافية الموضحة، ونضيف بعض اعتبارات متفرقة للوصول إلى حل ما في هذا الصدد.

والواقع أن كل النقاد قد اتفقوا على أن المتن الأول (أ) يجب أن يشير إلى ضرائب أو إيجارات من نوع ما، وعلى الرغم من عدم الاكتراث بالفكرة القائلة بأن المزارعين كانوا أفرادًا آخرين غير ملاك الحقول إذ إنهم كانوا يتسلمون أجورًا على عملهم في الزراعة، ومن ثم لا يدفعون شيئًا من الضرائب المقدرة على الأرض، فإنه لا مفر من البرهنة على مثل هذا الرأي بصورة مادية، ويظهر أنه من المستحسن أن نشرع في إبداء الحكم بأن التقديرات كانت خاصة بالإيجار أو الضرائب، وفي هذه الحالة ليس أمامنا إلا فرضان هما: إما أن التقديرات كانت تشير إلى الضرائب التي تدفع إلى التاج، أو أنها إيجارات مستحقة لدخل المعبد. وسأفحص أولًا هذين الاحتمالين بصفة عامة.

ذكر كل من «هيرودوت» (II, 168) و«ديدور» (١، ٢٨، ١؛ ٧٣، ٥) بوضوح أن الكهنة كانوا يعفون من الضرائب، وكذلك جاء في سفر التكوين (٢٦/٤٧) أن «يوسف» قد وضع قانونًا خاصًا بأرض مصر حتى يومنا هذا يقضي بأن الفرعون يجب أن يكون له الخمس، وأن أراضي الكهنة فقط أصبحت لا يملكها الفرعون، وقد أظهر كثير من علماء الآثار المصرية في بحوث خاصة وجود إثباتات لهذا الرأي في المصادر المصرية القديمة، فقد اقتبس الأثري الألماني «فيدمان» (راجع Herodotus Zweites Buch. p. 171) برهانًا لذلك من حجر رشيد (Greek 1, 30)؛ ليظهر أنه كان على كل ملك أن يؤيد هذا الإعفاء من الضرائب التي كانت تتمته به المعابد، ولكن هذه الفقرة التي اقتبسها «فيدمان» لا تدلي بشيء من هذا القبيل، وسنتكلم عنها بعد، وقد نقد الأثري «أوتو» بحق تقرير «فيدمان» هذا نقدًا لاذعًا، ولكن بحق،[٤٢] وقد أكد الأستاذ «إدورد مير» بمناسبة الكلام عن «رعمسيس الثالث» في ورقة «هاريس»

الكبرى: «أنه فوق ذلك كانت كل أملاك المعابد تحت مراقبة الملك ومع ذلك فقد كانت معفاة من الضرائب الحكومية كلها ومن السخرة أيضًا.»[٤٣]

والأساس الأصلي الذي بُني عليه هذا الرأي يرجع إلى ما جاء في «مراسيم الإعفاء» التي منحها ملوك الدولة القديمة ومن بعدهم لجماعة رجال المعابد، وأهم هذه المراسيم هي مراسيم «قفط» التي عثر عليها «ريمند فيل»، وهي التي نشرت ثانية نشرًا لا بأس به مع بعض قطع جديدة بمعرفة الأستاذ «موريه» أوَّلًا، وكذلك في كتاب الأستاذ «زيته» الخاص بوثائق الدولة القديمة،[٤٤] وعلى ضوء ما جاء في هذه المراسيم قرَّر كل من «موريه»[٤٥] والأستاذ «كيس»،[٤٦] ثم الأستاذ «بيرن»،[٤٧] أن معبد «قفط» كان معفى من الضرائب. والواقع أننا لم نجد في هذه المراسيم أي شيء يحقق ما قرره هؤلاء الأثريون، يضاف إلى ذلك أن الأستاذ «زيته» في تحليله الدقيق لأحسن هذه المراسيم حفظًا لم يخرج منه بمثل هذا الرأي. وحقيقة الأمر أن الإعفاءات التي مُنحت كانت كلها تقريبًا منصبة على مجهودات عمال المعابد والموظفين، فقد نهت المراسيم على ألا ينتقلوا من أداء واجباتهم الخاصة بالمعبد لأداء أية خدمة أو سخرة لأجل الحكومة في مكان آخر. وهذا الرأي ينطبق على ما جاء في مرسوم «نوري» في بلاد النوبة (راجع مصر القديمة ج٦) وهو أتم المرسومات التي وصلت إلينا من العصور المتأخرة وأوضحها؛ ففي هذا المنشور وكذلك في نقش مهشم عُثر عليه في «إلفنتين» ونشر نشرًا رديئًا نجد في الواقع حظرًا موجهًا إلى الموظفين بألا يختلسوا أملاك المعبد. وعلى ذلك ينبغي ألا يحرف هذا الحظر إلى إثبات أن المعبد كان معفى من الضرائب. وقد ذكر الأستاذ «زيته» في مقاله عن «الدود كانيز: Sethe Unter suchungen II, p. 28» أن الإعفاء من الضرائب قد ذكر في كل من مرسوم «إلفنتين» ولوحة «الفحط»، غير أن كلتا الفقرتين اللتين تشيران إلى ذلك غاية في الغموض، ويحتمل أنهما لا يعنيان إلا ما جاء في المتن وحسب. وبعد مرور بضع سنين على ذلك اقتبس الأثري «أوتو»[٤٨] عن الأستاذ «زيته» قائلًا بأنه لم يكن معروفًا أي شيء عن إعفاء المعابد من الضرائب في العهد الفرعوني.

على أن دليل الإعفاء الذي ذكر فيما كتبه المؤلفان القديمان اللذان اقتبسنا رأيهما فيما سبق، وكذلك ما جاء في كتاب «العهد القديم» يحتمل أن يلقي أمامنا ضوءًا على صورة إدارة نموذجية كان الفرعون قد عملها خدمة بمجرد القول لا الفعل، على الرغم من أنه لدينا براهين كافية تدل على أن الكهنة في الواقع لم يكونوا يتمتعون بذلك الإعفاء دائمًا. وفي الحق إن واحدًا من المراسيم السالفة الذكر لا يحتوي على أي ضمان يوحي بأن الملك لم يفرض طلبات من أنواع مختلفة على المعابد، وهذه المراسيم كانت تحض الموظفين الذين كانوا في خدمة التاج على ألا يدَّعوا لأنفسهم الحق في انتهاك ما للمعبد من امتيازات. وقد ذكرت لنا ورقة «هاريس» (٥٧/٨-٩) عن قصدٍ أخذ عامل واحد من كل عشرة للتجنيد العسكري، على الرغم من أن «رعمسيس الثالث» يفتخر بأنه أبطل هذا الإجراء.

والواقع أن تجنيد عمال الحقول التابعين للمعابد كان معروفًا من مصادر أخرى أيضًا.[٤٩] وليس لدينا برهان على أن ذلك العمل كان خرقًا لامتيازات خولت للمعبد من قبل. ولدينا ما يبرهن على أن طعامًا كان يؤخذ أحيانًا من المعابد لاستعمال بيت الملك نفسه.[٥٠] (وراجع كذلك مصر القديمة ج٦) حيث نجد أن حوالي عشر الطعام الذي يتطلبه البلاط الملكي كان يؤخذ من «معبد آمون».[٥١]

والظاهر أن النقوش التي دُونت فيها وظائف الوزير وواجباته — وأهم نسخة محفوظة منها على جدران مقبرة الوزير «رخ ميرع»، الذي عاصر الفرعون «تحتمس الثالث» — تقول: إن هذا الموظف الكبير قد تناول جمع ضرائب المعابد، غير أن التعبير الدال على ذلك غامض، ولا يمكن أن نعثر على برهان قاطع بأن المعابد كانت تدفع ضرائب (راجع J. E. A. XXVII, p. 75).

ولدينا فقرات عدة من عهد الرعامسة تشير بوضوح إلى ضرائب كان الكهنة يدفعونها. وفي الحق إن ورقة «تورين» الخاصة بالضرائب (Ibid. p. 22 ff) تشير إلى هذه الضرائب على أنها من أرض «خاتو» التي يملكها الفرعون، وكذلك تشير إلى ذلك الفقرة التي ترجمناها فيما سبق من ورقة «بولوني» الكبيرة. وعلى هذا قد يظهر أن كلامنا مجرد سفسطة إذا أنكرنا أن الكهنة كانوا عرضة لدفع ضرائب — هذا ما ورد في عهد الدولة الحديثة.

بعد ذلك ننتقل إلى العهد الصاوي المتأخر، فنجد أن ورقة «ريلند p. Rylands IX» تمدنا ببراهين هامة تدل على فرض ضريبة على المعابد من جهة، كما تدل على إعفائها منها أحيانًا من جهة أخرى. وترجمة الأستاذ «جرفت» للجمل الصائبة الخاصة بهذا الموضوع ستتحدَّث عن نفسها (Griffith Catalogue of the Demotic Papyri in the John Rylands Library III, p. 80): «… وعندما حل هذا الزمن النحس فرض على معابد مصر العظيمة دفع ضريبة. وأُثقلت هذه المدينة بالضرائب الفادحة، ولم يكن في وسع الأهالي دفع الضرائب التي أثقلوا بها ولذلك رحلوا. وتأمَّل! فإنه — على الرغم من أنه قد عمل إعفاء لمعابد مصر العظيمة — إلا أنهم أتوا إلينا قائلين: ادفعوا ضرائبكم حتى الآن.»

وفي بلاد النوبة نجد أن ملكها «إسبالون» النوبي الأصل قد أمر بإعطاء أرغفة للأميرة «خب» من دخل «معبد آمون» صاحب «نباتا» (AZ. XXXIII, 107–8) ودليلنا التالي يرجع عهده إلى قرنين بعد حكم هذا الملك، وذلك عندما قيل: إن الفرعون «تاخوس» قد استولى على تسعة أعشار دخل المعابد؛ لينفقها على الحروب الفارسية (Aristotle Economics, II, 2, 25).

ننتقل بعد ذلك إلى عهد البطالمة. فنجد أن حجر رشيد حوالي سنة ١٩٦ق.م يحدثنا أن الملك «بطليموس أبيفان» أعفى المعابد من ضريبة إردب من الغلة عن كل أرورا من الأرض المقدسة (١. ٣٠). وقد صدر مرسوم «فيلة» بعد المرسوم السابق باثنتي عشرة سنة، ويحدثنا كيف أن نفس الملك قد نزل عن المتأخرات التي على الكهنة بالنسبة لدخلهم ووظائفهم، وعن المعابد بالنسبة للكتان الذي كان عليهم أن يوردوه (Sethe Urkunden der Griech-rom. zeit. (II) 202–3). وكذلك لدينا مرسوم أصدره الملك «بطليموس إيورجتيس الثاني» (١١٨ق.م) أعلن فيه إعفاء الأرض المقدسة من الضرائب. ولكن يظهر أن الإعفاء كان في هذه الحالة من المتأخر بمعدل إردبين عن كل «أرورا».[٥٢] على أن كل الضرائب التي أشير إليها فيما سبق لم تكن من نوع واحد؛ وبخاصة لأننا لم نحاول عمل تمييز بين الضرائب المستحقة من المعابد مجتمعة وبين الضرائب المستحقة من الكهنة أنفسهم.

ويلاحظ أن المصريين أنفسهم لم يفصلوا دائمًا بين هاتين الضريبتين، ولا أدل على ذلك مما جاء في ورقة «تورين» الخاصة بالضرائب؛ إذ تتحدَّث إلينا في فقرة عن دفعات من الغلة من الكهنة (١، ٣).[٥٣] وفي أخرى تذكر اثنتين ومائتي حقيبة مستحقة على معبد «خنوم» و«نبو» في «إسنا» (٣، ١٠-١١). وفي كلتا الحالتين تشير إلى نوع الضريبة نفسها على أرض «خاتو». وإذا أنعمنا النظر في كل ما سبق ذكره، فإنه — على ما يظهر — أصبح من حقنا أن نؤكد أن الإعفاء من الضرائب المنسوب إلى الكهنة الذي ذكره المؤلفان القديمان، وكذلك ما نوه عنه في كتاب التوراة من ضرائب ليس إلا إعفاء مثاليًّا أكثر منه حقيقيًّا. وهذه هي النتيجة التي وصل إليها الأثري «أوتو» (op. cit, II. 43 ff) عن الأزمان الإغريقية الرومانية. ونجد الآن أن المصادر الخارجة عن ورقة «فلبور» لا تقوم عقبة كأداء أمام نظرية الأستاذ «شرني» القائلة بأن تقديرات هذه الورقة تشير إلى ضرائب مستحقة للحكومة.

ويتبقى الآن على أية حال احتمال آخر يساعد على فكرة عدم الإعفاء، ويلفت نظرنا، بل يدعو إلى الأخذ به، وذلك أن الفرعون كان يصور على جدار كل معبد وهو يقوم بتقديم القرابين للآلهة. ولدينا براهين كثيرة على أنه يعتبر نفسه المالك لكل ملكية مصرية أيا كانت، فليس من الممكن على حسب هذا الفرض — على الرغم من أن المعابد كانت مستولية على ممتلكات شاسعة من الأرضي وكانت بلا شك تديرها لمصلحتها — أن يكون الفرعون قد حفظ لنفسه الحق في تقدير المبالغ، التي كان ينبغي على المعابد أن تفرضها بمثابة إيجار من مستخدميها، وفي هذه الحالة يمكن أن تشير تقديرات ورقة «فلبور» إلى دخل المؤسسات صاحبة الأراضي، التي ذكرت في العناوين المدونة في الورقة.

وتعضيدًا لهذا الاحتمال قد علقنا أهمية عظيمة على فقرة في ورقة «هاريس» الكبرى (هاريس ١٢ (أ) ١–٥)[٥٤] قد أشير فيها إلى السلع والضرائب ومنتجات الأهلين، وكل التابعين للمعابد المنوعة التي أعطاها الملك «وسر ماعت رع» الإله العظيم خزائنها ومخازنها وشونها بمثابة هباتها السنوية (J. E. A. XXVII, op. cit; pp. 72-3) حقًّا إن الكلمات «التي أعطاها الملك» لم تظهر إلا في الجزء الخاص بمدينة «طيبة» في ورقة «هاريس» إذ لم تظهر في الجزء الخاص «بهليوبوليس» ولا في الجزء الخاص «بمنف». ومع ذلك فإن الفقرة يظهر أنها تعني أن هذه الهبات السنوية كانت تحت تصرف الفرعون «رعمسيس الثالث» المباشر، على أننا لو أخذنا بهذا الرأي وجب ألا ننسى — على أية حال — البرهان الذي قدمه الأستاذ «شادل»، وهو من الأهمية بمكان، وذلك أن ورقة «هاريس» كانت تبحث فقط في المؤسسات الجديدة التي أقامها هذا الفرعون، وفي حالة المعابد الصغيرة كانت تبحث في الإضافات التي عملها في المؤسسات القديمة.

والواقع أنه عندما تكون هبات «رعمسيس الثالث» هي مدار البحث كان في مقدوره بطبيعة الحال أن يدعي قانونًا: المراقبة على رأس المال والفائدة التي تنجم منه للمعابد. غير أن رأي «شادل» على حسب ما جاء في ورقة «هاريس» يمكن أن ينقلب إلى ضد الرأي الذي ذكرناه فيما سبق.

ولا شك أن «رعمسيس الثالث» قد أخذ لنفسه هنا — إذا كان «شادل» محقًّا فيما يقول — الحق في الهبات التي كان لها اتصال بإنعاماته الخاصة، مما يجعل من المحتمل أنه لم يَدَّعِ لنفسه حق التصرف في أي دخل آخر للمعابد، أو بعبارة أخرى أن ما جاء في ورقة «هاريس» حجة مضادة للرأي القائل: بأن تقديرات ورقة «فلبور» تشير إلى الضريبة التي رخص الفرعون للمؤسسات صاحبة الأراضي أن تتسلمها من موظفيها.

وعلى أية حال فإن المصادر الخارجة عما جاء في ورقة «فلبور» توحي بتدبيرات تجعلنا نتأرجح في حكمنا. فإذا كانت التقديرات تشير إلى ضرائب تدفع للحكومة، فماذا نقول في فقر التاج المدقع الذي نسمع صداه في «ورقة الإضراب الشهيرة» من عهد «رعمسيس الثالث»، وكذلك في يوميات الجبانة المحفوظة في متحف «تورين»؟ وإذا كنا نجد فعلًا في عهد «رعمسيس الثالث» العمال الذين كانوا يعملون في بناء القبر الملكي يُجابون عندما يطلبون قمحًا لجراياتهم الشهرية بأن لا غلة في مخازن غلال الحكومة، فإنه من الصعب إذن أن نصدق أن مالية الفرعون كانت أحسن حالًا في عهد الملوك النكرات الذين أعقبوا ابنه وحفيده. أوَليس من حقنا إذن أن نستخلص أن خلفاء «رعمسيس الثالث» لم يكونوا يتسلمون إلا القليل جدًّا من الإيرادات التي كانت تفرض على رعاياهم؟

وكل ما ذكر هنا كان قد كتب عنه عندما طلع[٥٥] علينا البرهان الذي يحتمل معه أن نسير على هدي الحقائق التالية: (١) إن أواخر ملوك الرعامسة كانوا أنفسهم في فقر مدقع، فلم يمكنهم الإنفاق على إقامة مقابرهم أو على مشروعات أخرى. (٢) وإنه مع ذلك كانت لا تزال تدفع ضرائب كبيرة إلى حد ما للحكومة. والواقع أنه قد كشف حديثًا نقش في الأشمونين عثر عليه الأستاذ «ريدر» عام ١٩٣٥ يبرهن على أن مدير البيت «وسر ماعت رع نخت» — وهو الرجل الذي لعب دورًا هامًّا في المتن (ب) من ورقة «فلبور» بوصفه المدير لأراضي «خاتو» التابعة للفرعون — كان ابنًا للكاهن الأكبر «لآمون» المسمى «رعمسيس نخت». وهذا يعيد إلى الذاكرة أن الورقة التي اطلع عليها الأستاذ «جاردنر» في نفس الوقت الذي عرضت عليه فيه ورقة «فلبور»، قد جاء فيها كذلك ذكر نفس اسم الكاهن الأكبر «لآمون» (راجع w. p. II, p. 20. note. 4.). ومن الجائز أن كلا الوثيقتين من أوراق أحد سجلات معبد الكرنك، وكذلك نذكر أن «مري برستت» والد «رعمسيس نخت» الكاهن الأكبر كان يحمل لقب «الرئيس الأعلى لعمال الضرائب».

هذا إلى أن اسمي «مري برستت» أو «مري باستت» و«رعمسيس نخت»، كانا من الأسماء التي يسمى بها أشخاص آخرون أصحاب مكانة عظيمة في ورقة «فلبور».

وتدل شواهد الأحوال على أن مدير البيت «وسر ماعت رع نخت» كان يشغل نفس هذه الوظيفة الإدارية «الرئيس الأعلى لعمال الضرائب» (راجع W. P. II, p. 150).

وبعد كل ذلك أليس من الظاهر إذن أن مالية البلاد في هذا الوقت كانت برمتها في أيدي أسرة كهنة مدينة «طيبة»؟ وهذا قد يفسر لنا السبب الذي من أجله لم يكن في يد الفرعون من حبوب الأرض إلا قليل جدًّا، يضاف إلى ذلك أن قطع بردي «جرفت» تحدثنا عن توريد غلة إقليمية إلى شونة «آمون» (راجع Ibid p. 161) وكذلك في ورقة «شستر بيتي» (p. Chester Beatty V) في فقرة ترجمت من قبل (Ibid p. 57) قد دونت مواد مختلفة جمعت من دافعي الضرائب في أقصى الجنوب، وأرسلت إلى خزانة «آمون رع» ملك الآلهة. كل هذه الحقائق تتفق مع مجرى حوادث التاريخ في هذه الفترة، كما وصفه كثير من المؤرخين الذين كتبوا عن مصر، والتي كانت نتيجتها النهائية إسقاط ملوك الرعامسة وإحلال أسرة الكهنة الأول «لطيبة» مكانهم، وهي الأسرة التي حكم ملوكها البلاد فترة من الزمن كما سنرى بعد.

صورة عن ضرائب الزراعة في عهد الرعامسة: كان غرضنا حتى اللحظة الأخيرة في أثناء الكتابة عن محتويات هذه الورقة أن نقدم للقارئ صورة شاملة من الوثائق، التي في متناولنا بما فيها ورقة «فلبور» عن الضرائب الزراعية في عهد الرعامسة، غير أنه في نهاية البحث اتضح لنا أن الغرض لم يمكن تحقيقه بصورة مرضية، وكل ما يمكن أن نضعه أمام القارئ هنا إنما هو صورة يحوطها الشك وقلة التركيز، وعلى الرغم من ذلك فإننا سنحاول أن نضع تفسيرًا لهذا الموضوع البكر الذي لم يفكر فيه أحد من قبل حتى الآن، وذلك لقلة المصادر من جهة، ولصعوبة محتويات الورقة وبخاصة تعبيراتها الفنية المحضة، التي لم نعثر على مثلها إلا نادرًا في المتون المصرية حتى الآن.

«أولًا» يمكن أن نؤكد الآن تأكيدًا قاطعًا أن معابد الأسرة العشرين كانت تدفع ضرائب من منتجات حقولها، وإذا كنا قد تكلمنا عن هذا الموضوع من قبل بشيء من التردد، فإن ذلك يرجع إلى أن مقدمة ورقة «تورين» الخاصة بالضرائب (J. E. A. XXVII, p. 22) [٥٦] — وهي أتم المصادر التي في متناولنا وأقلها غموضًا، وهي التي نستقي منها معلوماتنا في هذا الصدد — تحدثنا عن كهنة الأقاليم

بأنهم يدفعون ضرائب فقط لجباة الضرائب من «طيبة» على غلة أرض «خاتو» ملك الفرعون (٣، ١) وقد علمنا قبل ذلك من دراسة ورقة «فلبور» أن هذا النوع من الأرض أي: أرض «خاتو» كان مختلفًا في التشريع المصري الخاص بهذا العصر عن أرض المعبد الأصلية، هذا على الرغم من الإشارات إلى أن أرض «خاتو» هذه كانت أحيانًا تقع في حقول هذا الإله أو ذاك. ولم نشاهد في متن ورقة «تورين» إلا كمية واحدة من الحب من بلدة «أميورتو Imiortu» (الرزفات الحالية) قد ذكرت صراحة بأنها غلة أرض «خاتو» (٢، ٣) وعلى ذلك أصبح من الجائز لنا أن نفرض أن كل التوريدات الأخرى التي ذكرت في هذه الورقة ينطبق عليها نفس الوصف، ولكن يعارض ذلك الاستنباط أنه لم يصل إلينا من ورقة «تورين» إلا جزء والآخر قد فقد. وعلى ذلك يمكن أن يكون في الصفحات المفقودة إشارات أخرى عدة لغلة يمكن أن تكون وصفت حقًّا بهذا الوصف. وكذلك يلاحظ في نفس الورقة أنه بعد ذكر هذه الغلة مباشرة (٢، ٣) قد دون دخل آخر وصف عن قصد بأنه «ضريبة الحصاد». ولدينا على ما يظهر سبب قوي يدعونا إلى التفكير في أن هذا التعبير المضاد كان تعبيرًا فنيًّا قد استعمل فقط عند الإشارة إلى الضرائب، التي كان يدفعها المزارعون من الأهالي وصغار الملاك، كما نجد ذلك في قطع البردي المستخرجة من «كوم مدينة غراب»، وهي التي ترجمناها فيما سبق.

وفضلًا عن ذلك نجد في وثيقة «تورين» التعبيرات: «غلة معبد «منتو» رب طيبة» (٣، ١–٨) و«غلة معبد «خنوم» و«نبو»» (٣، ١٠-١١) في إسنا، وعلى ذلك فإن جزءًا من الغلة التي جاءت من معبد «إسنا» كان قد وردها المزارع «ساحتنفر»، وقد خصص بأنه ضمن «ضريبة حصاده». والمفروض أن «ساحتنفر» كان مستخدمًا أو مستأجرًا لأراضي معبد «إسنا»، ونحن نعلم من جهتنا بوجود مثل هؤلاء المزارعين في كل من نوعي فقرات ورقة «فلبور»، وكذلك نعلم أن شحنات الغلة — كما جاء في ورقة «أمين»[٥٧] — كانت تأتي دائمًا من الضيعات الإقليمية التابعة لأحد معابد «طيبة». وهذه الوثيقة لم يأتِ فيها أية إشارة إلى أرض «خاتو». وأخيرًا تقدم لنا قطع ورق «جرفت» شاهدًا آخر (J. E. A. XXVII, p. 64 ff) يشير إلى نفس الاتجاه. ويشير ما جاء في هذه القطع وما جاء كذلك في ورقة «أمين» إلى أن جمع ضريبة الغلة كان بوساطة إدارات المقاطعة. كما أشير إلى مثل ذلك في ورقة «فلبور» (W. P. II, p. 39 ff). ومثل هذا النشاط من جانب رجال الإدارة في المقاطعة يشعر بأن جمع هذه الغلة كان جزءًا من النظام الحكومي. وتدل شواهد الأحوال على أن هذه الإدارة كانت تستعملها المعابد الكبيرة فقط في الحقول التي تبعد عنها مسافة كبيرة، وهي التي كان يجلب منها غلة، أما المعابد الصغيرة فقد كان في إمكانها أن تجبي غلة الضريبة من مستخدميها ومستأجريها مباشرة. ويجب أن نذكر هنا ما قيل من أن الفقرات الخاصة بالضيعات ذات التقسيم التي وردت في ورقة «فلبور» (Ibid p. 25) — أي: تلك الفقرات التي تحتوي على إشارة عن «إدارة المقاطعة» — يمكن أن تكون قد أدت للمعابد الكبيرة الحجم والبعيدة عنها نفس الوظيفة، التي قامت بها فقرات «ضريبة الحصاد» للمعابد الصغيرة، وعلى ذلك فإن هذين النوعين من الفقرات في الواقع هما مجرد صورتين مختلفتين شكلًا، ولكنهما موحدتان معنى.

والخلاصة أن ما يسمى «غلة المعبد» و«غلة ضريبة الحصاد» يدلان على معنى موحد، أو على الأقل كانت الغلتان مرتبطتين بعضهما ببعض ارتباطًا وثيقًا، وأنهما على طرفي نقيض ظاهر من «غلة أرض خاتو»، وهي التي كان المسئول عنها شخص ذو نفوذ اختير خصيصًا لهذا الغرض كما شاهدنا في المتن الثاني (ب) من ورقة «فلبور»، وفي خطاب «فلنسي». ومن ثم نكرر هنا أنه أصبح من المؤكد أن معابد العصر المتأخر من عهد الرعامسة كانت تدفع ضريبة للحكومة، أو كانت تدفعها في هذا العهد إلى ما كان معادلًا للحكومة أي: طائفة كهنة «آمون رع» بالكرنك كما أشرنا إلى ذلك من قبل (راجع (W. P. II, p. 204.

غير أن الاعتراف بأن المعابد كانت تدفع ضرائب من محصولها الزراعي شيء، وأننا نؤكد أن التقديرات التي وجدناها في المتن الأول من ورقة «فلبور» تذكر المبالغ الصحيحة لهذه الضرائب شيء آخر.

ولقد أصبح من الجائز أن نفرض الآن أن التقديرات الخاصة للضرائب بالمتن الأول من ورقة «فلبور» تمثل مجرد قواعد استعملها موظفو الضرائب في تحديد الحصة التي تدفعها كل من المؤسسات المختلفة التي تملك أرضًا. والحجة في ذلك هزيلة ولكنها لا تستحق أن نهمل ذكرها، فعلى حسب مثل هذا الاستنباط نجد أن التقديرات التي وضعت للفقرات غير ذات التقسيم (أي التي لم تؤجر) –– إذا كانت تخميناتنا صحيحة –– (W. P. II, p. 71 ff) عالية جدًّا بالنسبة للضرائب، منخفضة جدًّا لتكون بمثابة بيانات للمحصول الكلي للحقول. والظاهر أن رجال الضرائب عند عمل مساحتهم للأرض ظنوا أنه من السياسة أن يحسبوا إيرادات المؤسسات التي تملك أطيانًا برقم متواضع، ومن الجائز أن خروجهم في تقديراتهم يحتمل أنه قد ظهر في التقدير الغريب الخفي الذي قدرت به الأرض (العيانة) وهي التي أشرنا إلى الضريبة التي كانت تدفعها من كل «أرورا» من أرضها (راجع Ibid p. 178). ولكن نعود ثانية إلى ذكر برهاننا الخاص على ذلك.

وأول دليل نجده في قطع ورقة «جرفت» التي ذكرناها مرارًا من قبل، ففي فقرتين منها ذكرنا إحداهما فيما سبق (صفحة ١٧٩ من ورقة «فلبور» ج٢ ص١٧٩ في أسفل) نجد أن الضريبة التي تدفع لمخزن غلال «آمون» كانت بمعدل حقيبة واحدة عن كل «أرورا» أي: جزء من خمسة من التقدير العادي للأرض الزراعية، كما ورد ذلك في الفقرات غير ذات التقسيم من المتن الأول، وسواء أكانت هذه الضريبة معقولة أم لا فإن الرأي في ذلك يجب تركه لرجال الاقتصاد للحكم عليه.

أما البرهان الآخر الذي يجب أن أقدمه، فإنه كذلك مستنبط من الوثيقة الممزقة المدونة على ورق محفوظ في «متحف اللوفر» (J. E. A. XXVII, p. 70 ff)، والواقع أن الحقيبة ونصف الحقيبة من الغلة المذكورة هنا، وهي التي كانت تؤخذ ضريبة عن كل «أرورا» هي نفس المكيال والنصف من القمح التي ذكرت في الفقرات ذات التقسيم في ورقة «فلبور»، ففي كلتا الحالتين نجد أن هذا الرقم يمثل المعدل الذي يدفع عن الحقول ذات المساحة الصغيرة التي يملكها الأهلون، وأنه لمن الصواب افتراض أن نوع الدفع كان واحدًا في الحالتين. والآن نجد في ثلاثة أماكن في وثيقة «اللوفر» تسجيلًا من الطراز الآتي: «عشرة «أرورات» قد حصل عليها بمعدل حقيبتين عن كل أرورا.» وكل التسجيلات التالية لذلك –– ولدينا منها سلسلة طويلة –– معدلها ـ حقيبة حتمًا، وهناك مثال نموذجي: «الجندي بنتاور» بن «نفررنبت» حصل على ـ أرورا بمعدل حقيبة ونصف عن كل أرورا «ـ ».

وإذا طبقنا النتيجة التي وصلنا إليها على المتن الأول من ورقة «فلبور» استنبطنا أن في هذا المتن كذلك كانت الإشارة لشراء أو لإيجار، وربما كان الإيجار هو الأرجح؛ وذلك لأن المالك الصغير المقصود هنا كان بداهة قد ظل بصورة ما تابعًا للمؤسسة المالكة للأرض المذكورة في عنوان الفقرة. فنرى هنا إذن ثانية أن التقديرات لا تشير إلى دفعات الضريبة الفعلية التي كانت ستفرض، ولكن تشير إلى مواد في دخل بعض معبد أو ما يشبه ذلك، وهذا الاستنباط يعد حجة قوية في صالح النظرية القائلة: إن تقديرات ورقة «فلبور» هي بيانات الضرائب، التي تحصل من فائدة الأرض على حسب تقدير المثمنين الذين فحصوا هذه الأرض.

والواقع أنه يجب أن يضيف الإنسان في فكره عند فحص كل تسجيل من الفقرات ذات الإيجار في المتن الأول كلمة «قُسم» أو «أُحصي». لا «حصل على»، وعلى الرغم من أن الفعل الأول يقرب معناه من الحقيقة بطريقة مختلفة، فإن معناه ليس بعيدًا كل البعد

عن الفكرة التي تشتملها كلمة «إيجار»، أفليس معنى الإيجار يوحي بتقسيم الربح من ملكية معينة بين الفريقين المؤجر والمستأجر؟ حقًّا إنها قد تكون قسمة غير متكافئة في الفائدة ولكنها مع ذلك تعد قسمة. ويلاحظ أنه في بعض سياق الكلام في ورقة «فلبور» يمكن الإنسان في الواقع أن يترجم بطريقة حسنة كلمة «بش» المصرية بكلمة يؤجر.

وعلى ذلك نجد في مثال في المتن الثاني (ب) من الورقة الذي اقتبس في ص٥٩ ما يوافق هذا المعنى، وهو إقليم مزرعة «عاعا شرقي تنتيور» على حقول ملك المعبد الذي في بيت «رع» (أي معبد هليوبوليس لرعمسيس الثاني) وهو الذي كان مقسمًا سابقًا «لحورمحب» كاتب مخزن غلال الفرعون. أرض زراعية مساحتها عشرون «أرورا» (Ibid p. 59). ويظهر جليًّا أنه يمكن ترجمة العبارة «الذي كان مقسمًا «لحور محب».» بترجمة أنسب، وهي: «الذي كان مؤجرًا سابقًا «لحور محب».»

وهذا يرجع بنا ثانية — ولحسن الحظ لآخرة مرة — للمسألة المعقدة الخاصة بالعلاقة بين التسجيلات ذات التقسيم (الإيجار) من طراز (أ) والتي من طراز (ب) وفي هذه النظرة النهائية إلى ما سبق تقديم حل أكثر احتمالًا من أي حل آخر اقتُرِح حتى الآن. ففي الصيغتين السابقتين يظهر أنه لا يمكن أن نترجم الفعل «بش» بالكلمة العربية «أجر»، ولكن في كلتيهما على أية حال فكرة التقسيم محببة جدًّا ومقبولة، وإذا رجعنا إلى مثال التسجيل الطبقي Typical ذي التقسيم من طراز (ب) الذي في ورقة «فلبور» (راجع W. P. II. p. 58) وهو: «بيت «أوزير» رب العرابة الإله العظيم حاكم الأبدية: مساحة أجريت في الشمال الشرقي لقرية «إنروشس»: المزارع «بننكا» في القسمة الخاصة بأرض زرعت لأجل المعبد الذي في بيت «آمون» (أي مدينة هابو) في الضيعة التي تحت إدارة المراقب «مري ماعت» ١٠ «أرورا» ـ مكيال ـ .» لوجدنا على حسب النظرية الجديدة أن المزارع «بننكا» يدفع (ـ × ـ = ـ) حقيبة من الغلة بمثابة إيجار على ملكية من الأرض خاصة بمعبد «أوزير» بالعرابة، وهذه الملكية مساحتها عشرة «أرورات» ولكن المثمنين قرروا أن يدفع فقط ما يوازي ربع هذه المساحة، ولكن التسجيل للتقسيم (ب) يؤكد بوضوح أن «بننكا» لا يزرع هذه القطعة لحسابه ولكن لحساب مالك آخر أعظم شأنًا منه، وهو معبد مدينة «هابو»، وما اختاره المقدرون أو الجُباة ليكون بمثابة ربح لهذا المعبد الأخير من ملكية هذه القطعة دون مع التسجيل ذي التقسيم (ب) المقابل لذلك هو ما يأتي:

مساحة عملت في الشمال الشرقي لقرية «أنروشس»: أرض زُرعت بوساطة المزارع بننكا: ١٠، مكيال ٥ = مكاييل ٥٠، أعطى منها لبيت «أوزير» سيد العرابة حقائب ـ ، ونجد هنا أن قطعة الأرض التي كانت من الأراضي العادية المنزرعة ومساحتها عشرون «أرورات» قد قدرت ضريبتها بمعدل خمس حقائب لكل «أرورا»، فيكون محصولها خمسين حقيبة، ولكن لأجل أن يأخذ العدل مجراه بدقة لم ينسَ المقدرون أن يذكروا أن من هذا المحصول الكلي يجب أن يطرح ـ ، حقيبة مستحقة بصفة إيجار لمعبد العرابة، وبذلك لن يفقد المقدرون شيئًا مما يمثل هذا التصرف في الأرقام؛ وذلك لأن ما طرح من إيراد معبد قد أضيف لدخل لآخر، وإذا كان الإيجار الذي دفع للمعبد المؤجر يظهر صغيرًا — وقد كان ـ ٪ من الأرباح المقدرة على الأرض — فإنه على أقل تقدير كان أعظم بكثير من الإيجارات التي كان يدفعها الأفراد أصحاب الملكيات الحرة، وهي التي كانت تصل نادرًا إلى أكثر من المعدل العادي وهو ـ حقيبة عن كل ـ أو ـ أو «أرورا» واحدًا مهما بلغت مساحة الملكية (راجع pp. 91, 100).

واللغز البارز الذي يتطلب تفسيرًا هو لماذا يلتجئ معبد لمعبد آخر ليساعد على ضمان زراعة حقوله.

والجواب الذي سنقدمه هنا هو من باب الحدس المحض. وعلى أية حال يظهر أن هذا الإجراء قد يكون سببه الصعوبة التي يلاقيها بعض المعابد أو المؤسسات صاحبة الأملاك في استخدام مزارعين صالحين من قبلها، ومن المحتمل أن معبد العرابة كان له حق في خدمات «بننكا»، ومن الجائز أن الإيجار الذي كان يدفع له كان موازيًا لما كان يدفع لأي إدارة عمل ما، ومن المحتمل جدًّا أن الحكومة المركزية قد ضغطت على المؤسسات صاحبة الأملاك بأن تكون كل الحقول التي تملكها دائمًا مزروعة، وأن الغرامة التي تدفع بسبب التقصير في ذلك هو أن كل الأرض المروية ريًّا حسنًا، ثم تركت بدون زرع كانت تضاف للتاج وتصبح ضمن أرض «خاتو» الفرعونية.

وعندما كانت تصل بعض الحقول إلى هذه الحالة، أي تصبح ملكًا للتاج، فإنها كانت توضع كما رأينا تحت إشراف موظف عظيم أو كاهن محلي من واجبه أن يتخذ الإجراءات لزراعتها، ومثل هذا التكليف يكون مصيره أحد أمرين: إما عناءً ثقيلًا، أو فرصة عظيمة لفائدة المكلف شخصيًّا. فعندما تكون مثل هذه الحقول في يد رجل ميسور الحال وصاحب جاه مثل «وسر ماعت رع نخت»، فإنها كانت تدر عليه المكاسب الطائلة من ذلك الجزء من غلة أرض «خاتو»، الذي كان لا يورده للكاهن الأعظم في الكرنك؛ ولكن من جهة أخرى لو أصبحت هذه الأرض في يد عمدة عاجز من عمد الأقاليم، أو في يد كاهن؛ فإنها يخاف أن تصبح مثل هذه الأرض عبئًا عليه، إذ قد تكون غير مثمرة أو لا تجذب أي مزارع إليها، فيكون عليه أن يدفع ضريبة وليس لديه ما يكفي لسد هذه الضريبة. ومثل هذه الحالة يمكن قراءتها بين السطور في خطاب «فلنسي» الذي ترجمناه فيما سبق (W. 2 p. 163). وعندما يكلف موظف بإدارة جزء من أرض «خاتو» لا يمكنه زراعته فإنه كان في مقدوره أحيانًا — كما كانت تفعل أي مؤسسة أخرى صاحبة أرض — أن يطلب مساعدة معبد قريب أو بعيد بما في ذلك المالك الأصلي.

وعلى ذلك فإن فقرة أرض «خاتو» الخاصة بالمتن الأول، يظهر فيها تسجيل إيجار بالإضافة إلى تقديره الخاص العادي (راجع الأمثلة على ذلك في W. P. II. p. 169 ff).

(١-٢) المعابد والمؤسسات التي ذكرت في ورقة «فلبور» خاصة «برعمسيس الخامس»

معبد «رعمسيس الخامس» الجنازي (راجع W. P. II, p. 132)

كان معبد «رعمسيس الخامس» يسمى «المعبد الجنازي لملايين السنين لملك الوجهين القبلي والبحري وسر ماعت رع سخبر نرع في بيت آمون».

وقد كانت ضيعة هذا المعبد تحت سلطان الكاهن الأول «لآمون»، أما الذي يدير شئون ضيعة هذا المعبد في مصر الوسطى فهو المراقب «برع نخت». وهذا المعبد يحتمل أنه هو الذي وضع تصميمه بحجم يساوي نصف حجم أكبر معبد جنازي في «طيبة» الغربية. وقد كشف عن دمنه الضئيلة الأثري «ونلك» في شتاء سنة ١٩١٢-١٩١٣،[٥٨] وبعد ذلك فحصه فحصًا تامًّا الأثري «لانزنج».[٥٩]

يقع هذا المعبد عند نهاية طريق الفرعون «نبحتبرع-منتو حتب» حيث الأرض الزراعية، ومن بين قطع الحجر العديدة التي تركها قاطعو الأحجار المتأخرون بعض قطع نقش عليها اسما «رعمسيس الخامس» والسادس، وقد كان من نتائج الحفائر التي قام بها

«لانزنج» في هذه الجهة أن كشف عما لا يقل عن سبع «ودائع أساس»، كلها تحمل اسم «رعمسيس الرابع». وعلى الرغم من هذه الحقيقة، فإن الأثري «ونلك» بقي يعتقد أن هذا المعبد الشاسع الذي نحن بصدده للفرعون «رعمسيس الخامس». ويرجع السبب في نسبة هذا المعبد إلى «رعمسيس الرابع» إلى أن الأعمال التي قام بها اللورد «كارنرفون» في «طيبة» الغربية قد أدت إلى الكشف عن أساس وديعة لمعبد باسم هذا الفرعون، على مسافة قريبة شمالًا من المعبد الذي نتحدَّث عنه.[٦٠] ويفسر الأثري «ونلك» ودائع الأساس التي عثر عليها «لرعمسيس الرابع» — وهي التي عثر عليها هو والأثري «لانزنج» — بما يأتي:

بما أن هذه الأشياء الصغيرة كان من المحتمل أن توجد بالآلاف، فإن من الجائز أن عددًا عظيمًا منها باسم «رعمسيس الرابع» كان في متناول القوم بعد بضع سنين من وفاته، عندما بدأ خلفه «رعمسيس الخامس» في إقامة معبده. والواقع أنه يصعب على الإنسان أن يصدق أن «رعمسيس الخامس» قد استعمل قطعًا لمعبده الجنازي، الذي أقامه هو فعلًا لنفسه منقوشًا عليها اسم سلفه، اللهم إلا إذا عد «رعمسيس الرابع» مغتصبًا للملك من والده (وهذا ما يرجحه «شادل» كما ذكرنا آنفًا). وقد كان من المنتظر — على الأقل — أن نجد بعض قطع — ولو قليلة — منقوشة باسمه هو. والظاهر أن الأثري «لانزنج» قد وافق على رأي «ونلك» هذا إذ يقول في هذا الصدد: لقد كان «رعمسيس الرابع» إذن هو الذي بدأ العمل في هذا الموقع، وأن خلفيه قد استمرَّا في إتمامه فقط. وإذا كان من الجائز أن «رعمسيس الرابع» قد شرع في إقامة معبد في الأصل لنفسه، وهو الذي تنسبه «ورقة فلبور» إلى «رعمسيس الخامس»، فإن السبب في ذلك يرجع إلى البقايا التي وجدت باسم «رعمسيس الخامس» فعلًا في هذا الموقف. والظاهر أنه لم يبقَ على قيد الحياة واحد من الرعامسة الثلاثة — الرابع والخامس والسادس — ليرى هذا المبنى الضخم في صورته النهائية. ومن المحتمل أن كلًّا منهم كان يعده معبده الجنازي. ولكن يجب أن نذكر هنا أنه يناقض هذا الرأي، وأن ورقة «فلبور» تشير بوجه خاص إلى معبد جنازي للملك «رعمسيس الرابع» بوصفه مؤسسة لا تزال قائمة بذاتها كما ذكرنا من قبل.

وقد أشرنا من قبل إلى أن «كرستوف» في مقاله عن لوحة «رعمسيس الرابع» قد ذكر أن عبارة «مكان الصدق» هي تسمية عامة، وتنطبق بوجه خاص على معبد «رعمسيس الرابع»، ويقول: إن الحفائر الحديثة لم تكشف بعد عن ملحقات هذا المعبد المخربة (راجع Robichon Varille Rev. Archeol. t. III, (1938) p. 99) والظاهر أنه ينبغي أن نعدل عن نظرية الأستاذ «جاردنر» (.J E. A. Vol. 24 p. 163) القائلة أن معبد «رعمسيس الرابع» يقع بجوار معبد الرمسيوم. إذ على الرغم من الكشف الهام عن ودائع أساس عليها طغراءات «رعمسيس الرابع»، فإنه لم يقم معبده لا في الدير البحري، ولا في «مدينة هابو» (راجع Carnarvon and Carter, Five Years, explorations at Thebes p. 48 & Pl. XL; Lanzing Bulletin of Metropolitan Museum of Art Nov. 1935. The Egyptian Expedition 1934-1935 p. 7–9 N. Holscher Medinit Fig. 79 Habu. in Morgerland in helf 24 p. 7).

وقد كانت الأملاك التابعة لهذا المعبد الطيبي في مصر الوسطى خاصة أولًا بالكلأ (§ 105) الخاص بالماشية المملوكة لهذا المعبد الجنازي. كما كان لهذا المعبد حقول خاصة في مصر الوسطى وكذلك بطعام الماعز الأبيض (§§ 187, 247)، وقد كتب عنوان هذه الفقرة كالآتي: طعام للماعز الأبيض ملك معبد ملايين السنين «لرعمسيس منخبر خبش مري آمون». وهذه الضيعة كانت تقع جنوبي بحيرة «ديمة». وبعد ذلك ذكر أسماء الرعاة الذين كانوا يقومون برعي الماعز. أما في الفقرة رقم ٢٤٧، فقد اختصر فيها اسم المعبد

بعبارة «معبد ملايين السنين «لآمون».» ومما يلفت النظر أنه في الفقرات العادية الخاصة بهذا المعبد (راجع 214 ,122 ,58 §§) ما نجده من أن حقوله كانت تحت سلطان الكاهن الأكبر للكرنك «رعمسيس نخت»، كما أن الإدارة الفعلية كانت في يد المراقب «برع نخت».

مقبرة «رعمسيس الخامس» والسادس

يحمل هذا القبر رقم (٩) في مقابر «وادي الملوك»،[٦١] وقد أطلق عليه الفرنسيون «قبر تقمص الأرواح»[٦٢] وقد أطلق عليه هذا الاسم لوجود صورة تقمص الروح في الممر الثاني من ممرات هذا القبر. كما أطلق عليه الإنجليز «قبر ممنون» خطأ. وقد نتج ذلك من أن «رعمسيس السادس» كان يحمل لقب «أمنحتب الثالث» الذي كان اليونان يسمونه «ممنون». وهذا القبر كان قد حفر في الأصل «لرعمسيس الخامس»، الذي كان يلقب «وسر ماعت رع سخبر نرع» محبوب «آمون» حوالي ١١٣٥ق.م، والظاهر أن «خلف رعمسيس السادس» قد أعوزته الفرصة في عصره المضطرب ليقيم قبرًا لنفسه، فلما توفي دفنه الكهنة في قبر سلفه، وغيروا طغراء «رعمسيس الخامس» باسم «رعمسيس السادس» على الجدران. وتدل الأحوال على أن القبر كان قد نُهب بعد وفاة «رعمسيس السادس» بمدة وجيزة، وعندما أتى الكهنة لنقل موميات الفراعنة إلى مقبرة «أمنحتب الثاني» لإخفائها عن أعين اللصوص لم يجدوا إلا مومية «رعمسيس الخامس». وطول هذه المومية متر وسبعة وسبعون سنتيمترًا. وقد كشف عنها كما قلنا الأستاذ «لوريه» عام ١٨٩٨ في مقبرة «أمنحتب الثاني». وقد وجدت مضطجعة في قعر تابوت من الخشب مستطيل الشكل، وكان اللصوص قد نهبوا ما فيه وعبثوا بالجثة، غير أن كهنة «آمون» أعادوها إلى حالها الأولى، ووجدت بقايا طغراء الفرعون مكتوبة بالمداد على صدر المومية، ومنها عرف أنها «لرعمسيس السادس». وبقدر ما وصل إليه البحث الذي أجري على جسم هذا الملك اتضح أنه — على وجه التقريب — كان قد توفي وهو أقل سنًّا من «رعمسيس الرابع» الذي كان يبلغ من العمر أكثر من خمسين عامًا. وتدل لطع الطفح التي على وجهه وعلى معدته أنه قد قضى بمرض الجدري. والخرم الذي على صدغه الأيسر كان قد خرم قبل مماته، ومن المحتمل أن هذه العملية كانت قد أجريت له لأجل شفائه من هذا المرض، ويمكن قرن هذه العملية بالتي يجريها الزنوج في السودان — إلى يومنا هذا — للمصابين بهذا المرض.[٦٣] وقد نقلت هذه المومية هي وتابوت «رعمسيس السادس» الخشبي، ووجدا في مقبرة «أمنحتب» في عصرنا الحالي عندما كشف عنه الأستاذ «لوريه». وقد كان القبر مفتوحًا في العهد الإغريقي ووجد منقوشًا على أحد جدرانه ما يأتي:

> إن «هرمو جيتس الأماسي» قد شاهد هذه المقابر وأعجب بها، ولكن تقديره لقبر «ممنون» هذا كان أكثر من الإعجاب به عندما فحصه. ويمتاز هذا القبر بأن نقوشه محفوظة حفظًا ممتازًا، غير أن فنه أقل جودة من فن عصر الأسرة التاسعة عشرة. وهاك وصف ما على جدرانه من نقوش ومناظر:

يشاهد الإنسان عند دخول الممر الأول على اليسار صورة الملك في حضرة الإلهين «حرمخيس» و«أوزير» أول أهل العالم السفلي، وقد كتب «رعمسيس الخامس» تحت هذا المنظر الإهداء التالي:

> «حور» العائش، الثور القوي، العظيم الانتصارات ومن يجعل الأرضين حيتين، ومحبوب الإلهتين، عظيم القوة، وصاد الملايين «حور» الذهبي، الكثير السنين مثل «بتاح تاتنن» رب الأعياد الثلاثينية، حامي مصر، ومالئ الأرض بالآثار

العظيمة باسمه، ملك الوجه القبلي والوجه البحري، سيد الأرضين «نب ماعت رع-مري آمون-ابن رع» من جسده ومحبوبه، رب التيجان «أمنحر خبشف رعمسيس الخامس نتر حقا أيون» معطي الحياة مثل «رع» أبديًّا.

لقد عمله (أي القبر) بمثابة أثره لآبائه آلهة العالم السفلي (دوات) صانعًا لهم إحصاء من جديد لكي تجدد ثانية أسماؤهم ولكي يمنحوا أعيادًا ثلاثينية عدة لعرش «حور» الأحياء، ويجعلوا كل مملكة تحت قدميه مثل «رع» سرمديًّا (راجع L. D. III, Pl. 224).

وعلى الجدار المقابل يُرى منظر مماثل للسالف. وبعد ذلك يشاهد على اليسار سفينة الشمس بين ساعات الليل الاثنتي عشرة مقلوبة لتدل على أنها في الجهة الأخرى من العالم كما تشاهد ساعات النهار الاثنتا عشرة. وعلى الجدار الأيمن من الممر الثاني تشاهد صورة «أوزير» على عرش صاعدًا نحوه ثمانية أشكال، وفوق هذا المنظر تسيح سفينة الشمس، وقد صور فيها خنزير يمثل كائنًا شريرًا تطارده قردة «حرمخيس» المقدسة، وفي هذا الجزء من المقبرة مثلث صور عدة لأعداء إله الشمس الذين يقابلهم ويهزمهم خلال سياحته الليلية.

ننتقل بعد ذلك إلى الممر الثالث، فيدخل الإنسان أوَّلًا حجرة ترتكز على عمد أربعة، وهنا يشاهد الإنسان على الباب الآخر لها الملك يحرق بخورًا أمام «أوزير»، ويشاهد على العمد صورة آلهة مختلفين، وقد جلى السقف بصورة الإلهة «نوت» (إلهة السماء). ويشاهد — ممتدًّا من هذه الحجرة إلى أسفل — منظر الثعبانين المجنحين الخاصين بالعالم السفلي على اليمين وعلى الشمال. ويمر الإنسان بعد ذلك في الممرين السادس والسابع، ومن ثم يدخل حجرة انتظار نُقش على جدرانها الفصل المائة والخمسة والعشرون من كتاب الموتى وهو الذي يتبرأ فيه المتوفى من كل الآثام التي كان ارتكابها شائعًا في عالم الدنيا.

وبعد ذلك يصل الإنسان إلى حجرة الدفن وفي وسطها تابوت مهشم. والصور الفلكية التي مثلت على سقف هذه الحجرة ذات أهمية عظيمة.

وعلى الجدار الأيمن مثلت سفينة الشمس التي يقف فيها إله الشمس في صورة جعل (وهو يمثل الشمس المشرقة) وله رأس كبش (الشمس الغاربة). وقد صورت السفينة سابحة في عرض السماء محمولة على أسدين. ويشاهد كذلك طائران كل منهما برأس إنسان — وهو الرمز العادي عند المصري للروح «با» — يتعبدان للشمس خلال سياحتها، وهذان الروحان يمثلان إلهين: الشمس الغاربة، والشمس المشرقة (ويلاحظ أن هذا القبر يحتوي على نقوش كثيرة إغريقية وقبطية)[٦٤] (راجع Baedeker's Egypt. 303; Weigall Guide p. 204).

ولدينا «إستراكون» تحدد لنا تاريخ بداية إقامة هذا القبر، فقد جاء عليها أن الفرعون ذهب إلى الشاطئ الغربي من «طيبة» حتى موقع القبر، وكان لا بد أن يبدأ العمل في شهر بابه في اليوم الثاني من وصول الفرعون إلى هذه[٦٥] الجهة.

أسرة الفرعون: لم تصل إلينا معلومات عن أسرة هذا الفرعون إلا من ورقة «فلبور» حتى الآن، فنعلم من المتن الأول أن الملكة العظيمة زوجه كانت تدعى «حنت عالي».[٦٦]

ويدل المتن على أنه كان لها حقول لرعي ماعزها البيضاء، وكان المشرف على هذه الأطيان المراقب «بنحسي».

وكذلك جاء ذكر ملكة أخرى لهذا الفرعون تدعى «تورتنر»، وكان لها ضيعة يديرها الكاهن «كانفر» ولا نعلم شيئًا عن هذه الملكة، والمحتمل أنها إحدى زوجات الفرعون الثانوية (راجع W. P. § Text 276 (101 ,15-14. وكان للفرعون عدا زوجاته نساء لهن ضياع وبيوت خاصة في أماكن مختلفة من القطر ونخص بالذكر هنا:

(١) حرم «منف»: وكان لنساء هذا الحرم مؤسسات ذات أملاك تحت سلطان موظفين عظام كانوا — بدورهم — يكلفون آخرين بإدارتها، فمثلًا نجد أن ضيعة منها كانت تحت سلطان عمدة «تبحو» أي: «أطفيح» (راجع W. p. II § 38. 19, 10-11) وكذلك نجد لهن ضيعة أخرى (راجع Ibid 110. 43, 1-2) كلف بإدارة شئونها عمدة «حارداي».

(٢) الحرم المقيم في «مر-ور» (كوم مدينة غراب) (راجع Ibid 39 (14-15)): وكانت ضيعة هؤلاء النسوة تحت سلطان المشرف على ماشية «آمون» (راجع § 111 (43, 5-6)). أما المكلف بإدارتها فكان المراقب «بانحسي»، واسم المشرف على ماشية «آمون» (أي آمون رع) هو «رعمسيس نخت». وكذلك ذكرت ورقة «فلبور» أنه كان تحت سلطانه حقول حرم «منف» (§ 277)، وقد كان نفس هذا المشرف على الماشية مكلفًا بملاحظة كثير من أطيان المعابد الأخرى (راجع Ibid § 191) وقد كان لحرم هذه الجهة مشرف يلقب: المشرف على حجرات الملك لحرم «مر-ور» (راجع W. P. II, p. 193).

أولاد الفرعون: لم تكشف لنا الآثار حتى الآن عن أسماء أولاد الفرعون «رعمسيس الخامس» وبناته، وكل ما نعرفه في هذا الصدد هو اسم ابن ملك يدعى «رعمسيس أسنحر خبشف»، جاء ذكره في ورقة «فلبور»، ويقال عنه: إن من المحتمل أنه هو الذي أصبح فيما بعد «رعمسيس السادس». وقد ذكر بمناسبة ملكيته لبعض حقول لا تزيد مساحتها على عشرين «أرورا»، وكان له مزارعون يقومون بزراعتها، وتدل شواهد الأحوال على أنه كان يؤجرها لهم (راجع Text A, Section II, 37, 4).

آثاره الباقية في أنحاء القطر وخارجه

تل الحصن

وجدت قطعة من الحجر عليها اسمه وهي الآن محفوظة في متحف «جلاسجو» (راجع Porter & Moss, IV, p. 61).

جبل السلسلة

وفي جبل السلسلة نقش «رعمسيس الخامس» في الصخر لوحة لا تزال باقية حتى الآن (راجع L. D. III, 223 b).

ويشاهد في الجزء الأعلى منها قرص الشمس المجنح، وتحته صور الفرعون «رعمسيس الخامس»، يقدم اسمه (وسر ماعت رع سخبر نرع) للآلهة «آمون رع»، والإلهة «موت» والإله «خنسو» ومنهم يتألف ثالوث «طيبة» ثم للإلهين «بتاح» والإله «خنوم» رب الشلال.

وفي أسفل هذا المنظر متن يتألف من عشرة أسطر، وهو نقش عادي لا يحتوي إلا على جمل كلها تفاخر بالألقاب كمعظم النقوش التي تركها لنا الفراعنة في النقوش الخاصة بالإهداء، وهاك بعض ما جاء فيه:

يعيش الإله الطيب، الجبل الذهبي الذي يضيء الأرض كلها مثل الأفقين، ملك الوجه القبلي والوجه البحري «وسر ماعت رع سخبر نرع» بن الشمس «رعمسيس أمنحر خبشف» محبوب «آمون» معطي الحياة مثل «رع» يوميًّا، والناس كلهم في فرح عند إشراقه، والآلهة في حبور بحبه؛ لأنه عمل لهم العدالة للأحياء الذين معه مثل «رع»، والمفيد مثل والده رب الأرضين «وسر ماعت رع سخبر نرع» رب التيجان «رعمسيس أمنحر خبشف» محبوب «آمون»، ومن يجعل الناس سباعًا مطمئنين، ومن مشاريعه تتضاعف … إلخ.

القيس

جاء في ورقة «فلبور» أن هذا الفرعون كان له معبد في «ساكو» (القيس الحالية) وكان يدير ضيعة هذا المعبد جندي يدعى «خنسو»، أما المعبد نفسه فكان يسمى بيت «رعمسيس أمنحر خبشف» محبوب «آمون» (راجع Willbour Pap. II, p. 157, § 274).

وتوجد مسلة صغيرة لهذا الفرعون محفوظة الآن في متحف «بولونيا»،[٦٧] وهي مصنوعة من الحجر الجيري، وقد رسم على الجزء الهرمي منها صورة سفينة الشمس. كذلك يوجد له عدة تماثيل مجيبة بالمتحف البريطاني (B. Mus. 869 6–9) هذا وله بعض جعارين وألواح صغيرة وقلائد كتب عليها اسمه في مجموعة «إدواروز» وفي مجموعة «فلندرز بتري».[٦٨]

وصية المواطنة «نونخت» والوثائق المتعلقة بها

(J. E. A. Vol. 31, p. 29 ff.)

جرت العادة عند معظم المؤرخين المحدثين أنه عند التحدث عن أحد الملوك القدامى، وفي التاريخ المصري القديم بخاصة أن يذكروا أعماله العظيمة لا سيما حروبه ومبانيه، مع ذكر القليل عن الأفراد الذين عاصروه. وعن حالة العهد الذي عاش فيه من الناحية الاجتماعية. وإذا اتفق أن الفرعون الذي يكتب عنه كان خامل الذكر، أو لم يكشف من آثاره إلا الشيء اليسير مروا على تاريخ حياته وعصره مرًّا سريعًا، ولم يكتبوا عن عهده إلا النزر اليسير، غير مهتمين بالحياة الاجتماعية في زمنه، على الرغم من وجود الوثائق الكثيرة التي تقدم لنا صورة جلية لبعض نواحي حياة القوم، وبخاصة الطبقة الدنيا التي هي في الواقع المحك الأصلي الذي يكشف عن مقدار ما كانت عليه البلاد وأهلها من رخاء أو ضيق في العيش، وتوضح لنا كذلك أحوال معاشهم ومعاملاتهم. وأكبر مثال لدينا من هذا النوع هو عهد «رعمسيس الخامس»، الذي لم نعرف عنه شخصيًّا إلا القليل، ولكن الوثائق التي وصلت إلينا من عهده تقدم لنا صورة صادقة عن الحياة الاجتماعية في عهده، وأهم هذه الوثائق ورقة «فلبور» التي فصلنا القول فيها بعض الشيء فيما سبق. وقد أسعدنا الحظ بالعثور على سلسلة وثائق أخرى مرتبط بعضها ببعض عن تاريخ أسرة من العمال، وقد وصلت إلينا عن طريق وصية تركتها سيدة من المواطنات المصريات، اللائي عشن في عهد هذا الفرعون، وقد عثر على بعض أوراق أخرى لها ارتباط بهذه الوصية مكملة لها، وقد جمعها الأستاذ «شرني»، وترجمها وعلق عليها تعليقًا علميًّا يدل على سعة اطلاعه ورسوخ قدمه.

ذكرنا في غير هذا المكان أن العمال والكتاب الذين كانوا يشتغلون في حفر المقابر الملكية في عهد الدولة الحديثة، وكذلك أفراد أسرهم كانت تذكر أسماؤهم مرارًا وتكرارًا في النقوش الهيروغليفية وإضمامات البردي، مما سهل علينا معرفة شيء عن حياتهم وعن تفاصيل أحوالهم الشخصية.

والموضوعات التي من هذا النوع قليلة، ويكاد يكون موضوع المواطنة «نونخت» التي سنتناول الحديث عن متاعها فريدًا في بابه من هذه الناحية، فلدينا أربع برديات جاء ذكرها فيها؛ منها ثلاث تبحث على وجه التأكيد في موضوع الإرث الذي تركته، والرابعة تتناول نفس الموضوع إلى حد بعيد. وقد عثر على اثنتين من هذه الوثائق في الحفائر التي عملت في «دير المدينة» عام ١٩٢٨ على يد البعثة الفرنسية.

أما الوثيقتان الأخريان فقد بيعتا في السوق السوداء بعد ذلك بعدة سنين، وهما الآن في حيازة السير «آلن جاردنر».

وهاك نص الوثيقة الأولى:

«السنة الثالثة، الشهر الرابع من فصل الفيضان، اليوم الخامس في عهد جلالة ملك الوجه القبلي والوجه البحري رب الأرضين «وسر ماعت رع سخبر نرع» بن «رع» رب التيجان مثل «آتوم» (رعمسيس أمنحر خبشف مري آمون) معطي الحياة سرمديًّا.

في هذا اليوم قد عمل (العمود ١ سطر ٥) إعلان عن متاعها على لسان المواطنة «نونخت» أمام أعضاء المحكمة الآتية أسماؤهم:

(١) رئيس العمال «نخمموت» (٢) رئيس العمال «أنحور خعو» (٣) كاتب قبر الملك «أمننخت» (٤) الكاتب «حورشري» (٥) الرسام «أمنحتب» (٦) العامل «تلمونت» (٧) والعامل «تا» (٨) والرسام «بنتاور» (٩) (العمود ١ سطر ١٠) العامل «وسرحات» (١٠) العامل (١ سطر ١٥) «نبنفر» (١١) العامل «أمنبحعبي» (١٢) وضابط المركز «أمننخت» (١٣) وضابط المركز «رع موسى» (١٤) والعامل «نبنفر» بن «خنسو» (٢ سطر ١) وقد قالت (أي المواطنة نونخت): أما عني فإني امرأة حرة من أرض الفرعون، وقد ربيت خدامكم[٦٩] الستة هؤلاء، وأعطيتهم من كل شيء كما يفعل عادة لمثل أولئك الذين في منزلتهم؛ ولكن انظر؛ لقد أصبحت عجوزًا (٥، ٢) وانظر إنهم من جهتي لم يعتنوا بي، وإن أي واحد منهم قد ساعدني سأعطيه من متاعي، ولكن من لم يعطني فلن أهبه من متاعي (شيئًا) (٣ سطر ١).»

قائمة بأسماء العمال والنساء الذين وهبتهم (شيئًا من متاعها): (١) العامل «ماينختف» (٢) العامل «قنحر خبشف». وقالت: لقد أعطيته بصفة مكافأة خاصة (؟) طست غسيل من البرنز زيادة عن زملائه، عشر حقائب من الحنطة، (٣) و(العمود ٣ سطر ٥) العامل «أمننخت» (٤) والمواطنة «وسرنخت» (٥) والمواطنة «منعت نختي». وقالت عن المواطنة «منعت نختي»: ستأخذ نصيبها في تقسيم ملكي عدا ويبة الحنطة التي أعطاها إياي أولادي الثلاثة الذكور، وكذلك المواطنة «وسر-نختي»، وكذلك ما عدا «هن» السمن الذي أعطوه إياي بنفس الكيفية.

(٤، ١) قائمة بأسماء الأولاد الذين قالت عنهم: إنهم لن يأخذوا نصيبًا في تقسيم ثلثي (أي الثلث في التركة التي بينها وبين زوجها) وأما في الثلثين الخاصين بوالدهم، فإنهم سيأخذون نصيبهم (١) العامل «نفرحتب» (٢) و(٤، ٥) المواطنة «منعت نختي» (٣) المواطنة «حنشي» (٤) المواطنة «خعنوب». وأما أولادي الأربعة هؤلاء فإنهم لن يشتركوا في تقسيم ملكي. وأي متاع للكاتب «قنحر خبشف» زوجي (٤ سطر ١٠) وأملاكه من الأرض ومخزن والدي هذا، وويبة الحنطة التي جمعتها بالاشتراك مع زوجي فليس لهم نصيب فيها (٥ سطر ١). أما أولادي الثمانية هؤلاء فسيكون لهم نصيب في قسمة متاع والدهم في تقسيم واحد.

أما عن غلايتي التي أعطيتها إياه ليشتري بها خبزًا لنفسه، وكذلك آلة «خا» التي ثمنها سبع دبنات (٥ سطر ٥) والآنية «إرر» التي ثمنها سبع دبنات، والمنقر الذي ثمنه ست دبنات، أي ما مجموعه أربعون دبنًا، فإنها ستقوم مقام نصيب له، وعلى ذلك لن يشترك في أخذ أي نحاس آخر، بل ذلك سيكون ملكًا لإخوته (وأخواته).

كتبه «أمننخت» كاتب قبر الملك المحظور دخوله (ثم كتب بيد أخرى ما يأتي):

«السنة الرابعة، الشهر الثالث من فصل الفيضان، اليوم السابع عشر من الشهر. في هذا اليوم تقدم العامل «خعمنون» (٥ سطر ١٠) وأولاده ثانية للمحكمة قائلين: أما الكتابات التي عملتها المواطنة «نونخت» خاصة بعقارها، فإنها ستنفذ تمامًا كما أمرت به، فلن يأخذ العامل «نفرحتب» نصيبًا فيه، وقد أقسم يمينًا بالسيد (أي الملك) قائلًا: إذا نقضت تعهدي بادعائي له ثانية، فإنه عندئذ يكون عرضة لعقاب مائة جلدة وحرمانه أملاكه.»

(الشهود): (٦ سطر ١) أمام رئيس العمال «خعو» ورئيس العمال «نخمموت»، وكاتب الملك «حورشري»، وضابط المركز «رع موسى» وضابط المركز «بنتاور» بن «نخت مين».

(العنوان الذي على ظاهر الورقة): حجة اعتراف عملتها المواطنة «نونخت» عن عقارهم[٧٠] (؟).

أما الوثيقتان الثانية والثالثة فهما قطعتان صغيرتان من البردي، وجدتا في دير المدينة عام ١٩٢٨، وحجمهما واحد ولم تكتبا بخط واحد ومحتوياتهما واحدة إلا في بعض روايات مختلفة في الكتابة، وعلى ذلك سنضع ترجمتهما في عمودين متوازيين للموازنة.

الوثيقة الثانية قائمة تقسيم أمتعة والدتنا	الوثيقة الثالثة قائمة تقسيم أمتعة والدتنا
أعطي «أمننخت» حجرَ طاحون واحدًا	أعطي «أمننخت» حجر طاحون واحدًا
أعطيت «وسر نختي» حجر طاحون واحدًا	أعطيت «وسر نختي» حجر طاحون واحدًا
أعطيت «منعتنختي» أثاث «إقر» واحدًا	أعطيت «منعتنختي» أثاث «إقر» واحدًا
أعطي «قنحر خبشف» أثاث «إقر» واحدًا	أعطي «قنحر خبشف» أثاث «إقر» واحدًا
أعطي «ماينختف» صندوقًا	أعطي «ماينختف» صندوقًا
… … … … … …	ثانيًا قسمة أخرى
أعطيت «منعتنختي» هاونًا	أعطيت «منعتنختي» هاونًا
أعطي «أمننخت» هاونًا	أعطي «أمننخت» هاونًا

الوثيقة الثانية قائمة تقسيم أمتعة والدتنا	الوثيقة الثالثة قائمة تقسيم أمتعة والدتنا
أعطي «قنحر خبشف» هاونًا	أعطي «قنحر خبشف» هاونًا
أعطي «نبنخت» هاونًا	… … … … … …
أعطي «ماينختف» صندوق خشب	أعطي «ماينختف» صندوق خشب (؟)
… … … … … …	أعطي «وسر نختي» هاونًا
… … … … … …	ثانيًا قسمة أخرى
أعطي «أمننخت» قفصًا واحدًا (؟)	أعطي «أمننخت» قفصًا واحدًا (؟)
أعطيت «منتختي تب» (قفص)	أعطيت «منتختي تب» (قفص)
أعطي «قنحر خبشف» سيقان ماست	أعطي «قنحر خبشف» سيقان ماست
أعطي «ماينختف» كرتًا واحدًا	أعطي «ماينختف» كرتًا واحدًا
أعطيت «وسر نختي» سلة	أعطيت «وسر نختي» سلة
… … … … … …	مرة ثانية قسمة أخرى
… … … … … …	ظهر الورقة
أعطيت «منعتنختي» مكيالًا واحدًا	أعطيت «منعتنختي» مكيالًا واحدًا
أعطي «قنحر خبشف» زحافة	أعطي «قنحر خبشف» زحافة
أعطي «ماينختف» زحافة واحدة	أعطي «ماينختف» زحافة واحدة
… … … … … …	مرة ثانية قسمة أخرى
أعطي «قنحر خبشف» ماستًا واحدًا	أعطي «قنحر خبشف» ماستًا واحدًا
من عب (؟)	من عب (؟)
أعطي «أمننخت» ساقًا واحدةً من حتب	أعطي «أمننخت» ساقًا واحدةً من حتب

الوثيقة الثانية	الوثيقة الثالثة
قائمة تقسيم أمتعة والدتنا	قائمة تقسيم أمتعة والدتنا
أعطيت «وسر نختي» سلة واحدة وهاونًا	أعطيت «وسر نختي» سلة واحدة وهاونًا
أعطيت «منعتنختي» خدًا واحدًا	أعطيت «منعتنختي» «خدًا» واحدًا
أعطي «ماينختف» صندوقًا من الحجر	أعطي «ماينختف» صندوقًا من الحجر
… … … … … …	مرة ثانية قسمة أخرى
… … … … … …	أعطي «قنحر خبشف» مسند قدم (؟)
… … … … … …	أعطيت «منعتنختي» مسند قدم (؟)
… … … … … …	أعطيت «وسرنختي» مسند قدم (؟)

الوثيقة الرابعة وهاك النص: بيان وضعه العامل «خعمنون» أمام العامل «أني-نخت» والعامل «قداختف» والعامل «حرنفر» والعامل «نفرحتب» والعامل «أمنخت» والعامل «ماينختف» والعامل «خنسو»: انظر، سأعطي «طست الغسيل» هذا الذي يزن ثلاثة عشر دبنًا من النحاس، وسيكون ملك «قنحر خبشف» ولن يتنازعه ابن أو ابنة ولن تسمع شهادته في ذلك؛ لأنه لم تتضمنه أية قسمة. السنة الثالثة، الشهر الثالث من فصل الفيضان، اليوم العاشر من الشهر.

في هذا اليوم قرر العامل «خعمنون» ما يأتي: أما عن «طست الغسيل» الذي أعطيته العامل «قنحر خبشف» ابنه (؟) فإنه سيكون ملكًا له، ولن يتنازعه ابن أو ابنة، ولا زوج «فن» وكذلك لن تسمع شهادته في المستقبل.

التسليم في هذا اليوم (؟) أمام العامل «أني نخت» والعامل «قداختف» والعامل «نبخت» والعامل «خنسو» والعامل «نفرحتب»، والعامل «أمننخت»، والعامل «خعمنون» نفسه، والعامل «قنحر خبشف» قد أعلن: سأعطيه حقيبتين وثلاثة أرباع حقيبة. وبعد أن حلف يمينًا بالسيد قائلًا: بحياة «آمون» وبحياة الفرعون إذا استوليت على هذا الدخل غلة من والدي، فإنهما سيأخذان هذه المكافأة (؟) ملكي، وسأعطي زوجين من النعال العامل «أمتنحت» وسأعطي صندوقًا العامل «ماينختف» لدفع ثمن الكبابات التي كتبوها، وهي الخاصة بتنازل والدهم.

هذا هو نص الوثائق الأربع حرفيًّا، وسنتناولها بالشرح لنصل منها إلى قيمتها التاريخية في هذا العهد المظلم من تاريخ البلاد.

والواقع أن موضوع المواطنة «نونخت» يرجع إلى عهد «رعمسيس الخامس» كما ذكرنا. والوثيقة الأولى تعد موردًا جديدًا نرحب بإضافته إلى مجموعة الوثائق التي في متناولنا الخاصة بالوصايا التي ليس لدينا منها إلا واحدة من عهد الدولة القديمة.[٧١] وأخرى من عهد الدولة الوسطى.[٧٢] كما يوجد لدينا وثيقتان فقط من عهد الدولة الحديثة حتى الآن.[٧٣] والوصية التي تبحثها — وهي تخالف الوصايا

الحديثة التي يكتبها الوصي أو التي يمضيها — قد كُتبت على غرار كل الوثائق المصرية القانونية، وهي مثلها تحتوي على اعتراف شفوي ينطق به الموصي أمام المحكمة أو الشهود، ثم يكتبه كاتب محترف في وثيقة. وعلى ذلك لم تكن الكلمة المكتوبة فقط هي التي تضفي على الوثيقة صحة شرعيتها، ولكنه الاعتراف الشفوي الذي كان يدون فيما بعد بوصفه حادثة واقعية. وكانت المحكمة التي حدث أمامها الإعلان الخاص بالوصية تتألف من أربعة عشر شخصًا كلهم يعملون في مقبرة الفرعون، اثنان من رؤساء العمال، وكاتبان، ورسامان، وستة عمال، وضابِطَا مركز. وقد كانت هذه المحكمة صغيرة، ولكن يحتمل أن تأليفها كان يتناسب مع موضوعها.

أما في القضايا الخاصة بالأمور العامة الهامة، مثل قضية السب الذي أذاعه ثلاثة عمال وامرأة لدرجة أن رئيس العمال «حاي» قد سب الفرعون «سيتي الثاني»، فإنها نُظرت أمام محكمة أكبر من تلك التي نحن بصددها. وفي قضية السب هذه كانت المحكمة تتألف من رئيس العمال الثاني المسمى «بنب»، ومن أحد عشر عاملًا بسيطًا ذُكر اسم كل واحد منهم (راجع A.S. XXVII, 200–5 op. Cit. 204) ورئيسا العمال اللذان ذُكرا في وصية «نونخت» نجدهما في «ورقة تورين» التي لم تنشر بعد، وهي المؤرخة بالسنة السادسة من عهد «رعمسيس الرابع». و«أنحور خعوي» هو صاحب القبر رقم ٣٥٩ بالدير البحري — وقد تحدثنا عنه فيما سبق (راجع J. E. A. Vol. 31 p.43) وقد كان «أنحور خعوي» يشغل وظيفة «رئيس العمال» منذ العهد الأخير من حكم «رعمسيس الثالث»، ثم خلفه ابنه «حور موسى»، ويحتمل أن ذلك كان في أوائل عهد «رعمسيس التاسع». وقد كان زميله في الوظيفة «نخمموت» الذي نعلم أنه كان ابن رئيس العمال «خنسو»، وكان أصغر منه والسبب في كتابته أولًا في قائمة أعضاء المحكمة يرجع — على ما يظن — إلى أنه كان رئيس العمال المكلف بالجانب الأيمن من طائفة عمال الفرعون، في حين كان الجانب الأيسر تحت إدارة «أنحور خعوي». وتدل شواهد الأحوال على أن الأفضلية كانت للجانب الأيمن في مثل هذه الأمور. وقد كان «أنحور خعوي» في العام الرابع والعشرين من حكم «رعمسيس الثالث» في الخدمة، وقد كان الرئيس الآخر لا يزال هو «خنسو» والد «نخمموت» الذي كان لا يزال رئيس الجانب الأيمن بعد موت «أنحور خعوي» بسنوات عدة، وكان لا يزال يباشر أعمال وظيفته في السنة السادسة عشرة من حكم «رعمسيس التاسع»، وكان صاحب شهرة عظيمة في السرقات التي وقعت في المقابر الملكية، والمحاكمات التي أتت في أعقاب هذه السرقة.[٧٤]

والكاتبان «أمننخت» و«حور شري»، أي الأب والابن ينسبان إلى أسرة كتبة مقبرة الملك، وقد صادفناهما مذكورين في عدة برديات وإستراكا (راجع مصر القديمة ج٧). أما «أمننخت» فكان قد عُين كاتبًا لقبر الملك في السنة السادسة عشرة من عهد «رعمسيس الثالث» غير أن تاريخ موته لم يُعرف. وقد كان «حور شري»، ومعه كاتب آخر هما اللذان اتهما عمدة «طيبة» بالسرقة التي وقعت في الجبانة الملكية في السنة السادسة عشرة من عهد «رعمسيس التاسع». وقد رُقِّيَ الرسام «أمنحتب» إلى وظيفة «رسام أول» في السنة السابعة عشرة من حكم «رعمسيس التاسع».

أما العمال «تلمونت» و«تا» و«أمنحعبي» و«ونبنفر» بن «خنسو»، فقد جاء ذكرهم في وثائق مختلفة يرجع تاريخها إلى النصف الأول من الأسرة العشرين (راجع J. E. A. Vol. 31 p. 43 Note. 5).

أما «نبنفر» الآخر الذي جاء ذكره في الورقة فلم يمكن تحقيق اسمه، ويرجع السبب في ذلك إلى كثرة شيوع هذا الاسم في ذلك العهد.

وكان عدد ضباط المراكز — على ما يظهر — اثنين، غير أننا لا نعرف في أي عمل كان ينحصر نشاطهم، والاثنان اللذان ذكرا في الوثيقة الأولى لم يذكرا — في أغلب الظن — في أي متن منشور حتى الآن.

نعود الآن إلى الشخصية الرئيسية في الوثيقة، وهي السيدة «نونخت» ومعنى الاسم «طيبة منتصرة»، وكانت تحمل لقب «المواطنة» وهو لقب كانت تُعطاه في هذا الوقت كل امرأة حرة ليست في خدمة أحد، وعلى ذلك فلم تكن رقيقة. وقد افتتحت الوثيقة الخاصة بها بقولها: «إنها امرأة حرة» والظاهر أنه كان لهذا التصريح أهمية؛ لأنه يعطيها حق التصرف في أملاكها.

ولن يمكن فهم وصيتها التي نزلت فيها عن متاعها دون أن نعرف من أول الأمر أنها قد تزوجت مرتين، وأن الأولاد الذين جاء ذكرهم في الوصية لم يكونوا من زوجها الأول الكاتب «قنحر خبشف»، بل كانوا من زوجها الثاني العامل «خعمنوت»، وهذه الحقيقة ليست موضحة تمامًا في الوصية نفسها، غير أن ذلك لم يكن أمرًا ضروريًّا؛ لان المحكمة التي اعترفت أمامها «نونخت» اعترافًا قانونيًّا بنزولها عن أملاكها كان أعضاؤها يعرفون علاقة الأسرة معرفة تامة.

ولا نزاع في أن «قنحر خبشف» كان زوج المواطنة «نونخت»، كما جاء على لسانها هي في الوثيقة (راجع ص١ سطر ٤، ٩) ولا يمكن إلا أن يكون هو الكاتب الذي يحمل هذا الاسم، وهو الذي كان يقوم بالعمل في مقبرة الملك في النصف الثاني من حكم.[٧٥] «رعمسيس الثاني»، وثانيًا في عهد «مرنبتاح»، وكذلك في حكم أخلافه.

ولا نعلم إذا كان قد عاش في عهد «رعمسيس الثالث»، وإذا كان فعلًا قد بقي على قيد الحياة في عهده فلا نعلم إلى أي سنة امتدت حياته في حكمه، ولكن إذا كان قد عاش في عهد هذا الفرعون فإن أهميته تجعله يذكر في الوثائق التي في متناولنا من التي يرجع عهدها إلى أواخر حكمه. وعلى ذلك فإن في إمكاننا أن نقول إنه قد توفي في أواخر سني هذا الفرعون تقريبًا.

ولا بد أن «نونخت» كانت قد بلغت سن الشيخوخة في هذا العهد؛ فكان من حقها أن تنتظر بعض المساعدة من أولادها الثمانية الذين ربتهم وجهزتهم بالمتاع اللازم عندما تركوا بيت والديهم ليتزوجوا ويؤسسوا بيوتًا لأنفسهم. وعلى ذلك فإن ما قاله «هرودوت»[٧٦] صحيح، من أن الأبناء كانوا أحرارًا في إعالة والديهم المسنين إذا أرادوا. ولكن — من جهة أخرى — كان على البنات أن يقمن بهذا الواجب، ومن الجائز أن هذا القول لم يكن — على الأقل — نافذ المفعول من عهد الرعامسة. ومهما يكن من أمر فإن وصية «نونخت» تظهر أن معاملة أولادها قد أثرت على تصرفها في الوصية، إذ تدل على أنهم كانوا يعاملونها معاملة حسنة، كما جاء في ورقة «التبني» (راجع J. E. A XXVI, 23 ff) إذ نجد فيها أن الأبناء الأدعياء كانوا يعاملون والديهم معاملة طيبة.

ومن الغريب أن نجد «نونخت» — على الرغم من أنها امرأة حرة — قد قدمت أولادها إلى المحكمة بأنهم «هؤلاء خدامكم»، وهي بعملها هذا قد استعملت كلمة مصرية (باك) التي تدل على شخص تابع، وأحيانًا على «عبد» وقد كان المنتظر من المرأة الحرة أن يكون أولادها أحرارًا مثلها، ولكن يحتمل أن «نونخت» كانت لا تقصد إلا أن تصف أولادها بأنهم الخدم المطيعون لرجال السلطة الجالسين في المحكمة، كما تستعمل عبارة «الخادم هنا» للدلالة على كاتب الخطاب في التعبير المصري القديم، ولا يزال هذا الاستعمال شائعًا حتى الآن في ختام الخطابات، إذا تكتب عبارة «خادمكم المطيع. فلان» أو عندما يقدم شخص متواضع نفسه لآخر فيقول له: خادمك فلان، وهكذا.

وكان من بين أولادها أربعة ذكور وهم: «ماينختف» و«قنحر خبشف» و«أمننخت» و«نفرحتب»، وأربع بنات هن: «وسر نختي» و«ومنعتنختي» و«حنشني» و«خعنوب».

وإلى هنا يظهر أن كل شيء لا تعقد فيه في ألفاظ الوصية، ولكن تظهر فجأة صعوبة جاءت بعد اعتراف «نونخت» (ويقع في ص٤ سطر ٣) بأن الأولاد العاقين يرثون من الثلثين الخاصين بوالدهم. وبعد ذلك بأسطر نقرأ أنهم لا يرثون من الكاتب «قنخر خبشف»، ومن ثم نفهم بطبيعة الحال — إذا كان المتن صحيحًا — أن الكاتب «قنحر خبشف» ليس والدهم. ويؤكد ذلك ما جاء في عبارة المتن الأول (راجع ١، ٥، ٩ … إلخ) حيث نجد الأولاد في تاريخ متأخر يترددون على المحكمة بوصفهم أولاد «خعمنون»، ولا بد إذن أن يكون «خعمنون» هذا والدهم. وكذلك في الوثيقة (١ ص٤ سطر ٣) نجد أن ترتيب ـ + ـ كان خاصًا بزواج «نونخت الثاني».

والحقائق التي وصلنا إليها هنا قد عثرنا عليها بعد فحص البردية فحصًا دقيقًا، ومع ذلك فإنه كان من الممكن أن يحوم حولها الشك إذا لم تكن قد دعمت بوثيقتين أخريين ذواتي طابع مختلف كلية.

وأولى هاتين الوثيقتين لوحة في «المتحف البريطاني».[٧٧] ففي الجزء الأعلى المستدير من هذه اللوحة مثلت البقرة «حتحور» يتعبد لها في الجزء الأسفل من اللوحة رجل راكع وهو متجه نحو اليسار، وحوله نقش طويل وصف فيه بأنه ممتاز ومستقيم، وأنه هو الذي صنع أشكال الآلهة كلها، خادم مكان الصدق «قنحر خبشف» المبرأ أبديًّا، ووالده خادم مكان الصدق «خعمنون» وأخته ربة البيت «تانفرت»، وابنه … «كامبيتاح» المبرأ.

والجزء الذي بين قمة اللوحة وجسمها يضيف إلى ما سبق ابنين آخرين هما. ابنه «نبسوتي» المبرأ، وابنه «أمنمحاب» المبرأ. وأمام صورة «قنحر خبشف» ذكر في سطر عمودي ابنتها (؟) «نونخت» المبرأة. واسم والده «قنحر خبشف» — الذي لم يكن له مكان في الأسطر العمودية التي في الجزء الرئيسي من اللوحة — قد أضيف في الجزء الأعلى منها على يمين الإلهة، وقد وصفت «نونخت» بأنها أمه مغنية «آمون» «نونخت».

أما الوثيقة الأخرى فهي النقش الذي على الصخر رقم ٨٠٣، وقد عززته ثلاثة نقوش أخرى تكاد تكون موحدة معه.[٧٨] وقد جاء عليها ما يأتي:

(١) الكاهن المطهر «لآمون رع»، رب المقابلة الحسنة «قنحر خبشف» المبرأ.

(٢) وابنه «أمننخت» المبرأ.

(٣) ابنه «كامبيتاح» المبرأ.

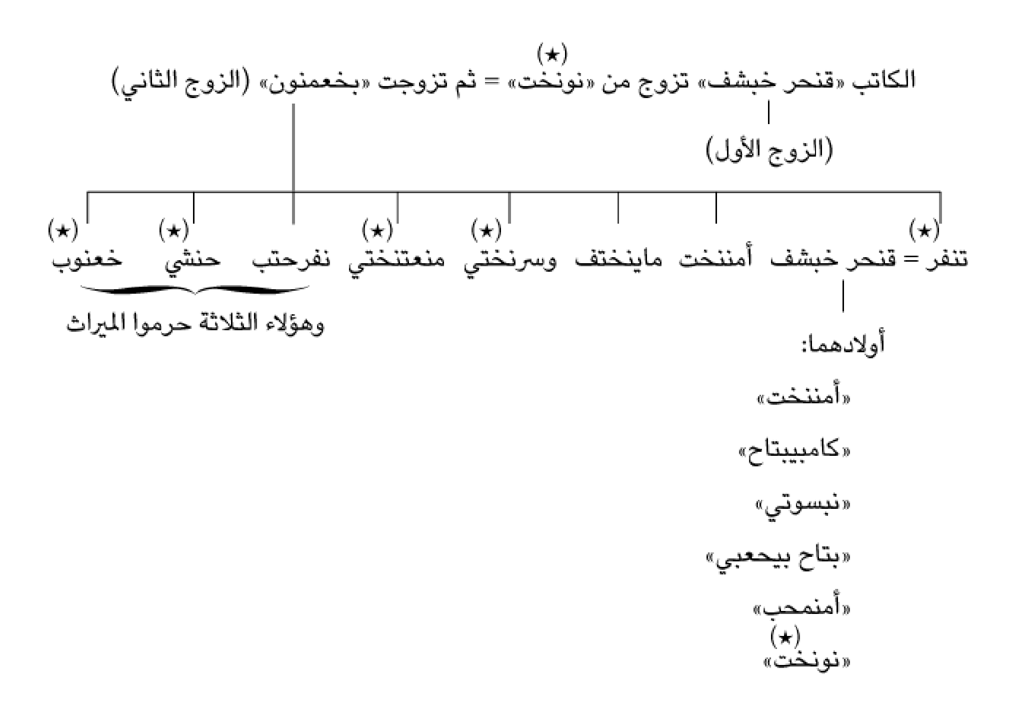
(٤) وابنه «نبسوتي» المبرأ.

(٥) ابنه «بتاح بحعبي» المبرأ.

(٦) والده خادم مكان الصدق «خعمنون» المبرأ.

ولا شك في أن «قنحر خبشف» الذي جاء ذكره على لوحة «المتحف البريطاني» رقم ٢٧٨ هو نفس الرجل الذي ذكر على نقوش الصخور، ولا أدل على ذلك من توحيد أسماء الأبناء «أمننخت» و«كامبيتاح» و«نبسوتي» في كل من اللوحة والنقش، على حين أن «بحعبي» قد ذكر فقط في النقش الذي على الصخر، وأما «أمنمحب» وكذلك ابنته التي تدعى «نونخت»، فقد ذُكرا فقط على اللوحة.

ومن هذه الوثائق كلها نجد أن «قنحر خبشف» كان ابن «خعمنون»، وتذكر لوحة «المتحف البريطاني» أن «نونخت» هي أمه. ولما كان في الوصية كذلك أن «قنحر خبشف» كان أحد أبناء «نونخت»، فإن الاستنباط الممكن من ذلك هو أن «خعمنون» لا بد كان زوج «نرنخت». ولما كانت هي نفسها على أية حال تذكر الكاتب «قنحر خبشف» بأنه زوجها، فإن «خعمنون» كان لا بد زوجها الثاني، وهو أمر كانت تعتقد أنه كان معروفًا لكل إنسان بما في ذلك أعضاء المحكمة، فلم ترَ ذلك من الأمور الهامة حتى تذكره. وليس من المتناقضات الخطيرة ألا يذكر «قنحر خبشف» على نقش الصخر بوصفه عاملًا، بل ذُكر بأنه كاهن مطهر؛ لأن كونه عاملًا لا يمنع من أن يكون كاهنًا مطهرًا في الوقت نفسه، فلقب «كاهن مطهر» كان في غالب الأحيان يطلق على رجل غير ديني قد طهر واتخذ حرفة الكهانة مهنة مؤقتة، وكان ذلك يحدث عادة مع الذين كانوا يحملون القارب المقدس في أثناء الأعياد والأحفال الدينية كما يقال في أيامنا: الشيخ فلان؛ وهو ليس بشيخ، وإنه لمن الملاحظات اللاذعة أن النقش الذي على الصخر رقم ٨٠٣ الخاص «بقنحر خبشف» بن «خعمنون» قد نقش فوق نقش هيراطيقي أقدم منه، كتبه كاتب مكان الصدق «قنحر خبشف» بن «بنحتي»، والكاتب الذي ذكر اسمه هنا موحد بالتأكيد مع اسم الكاتب «قنحر خبشف» زوج «نونخت» الأول. على أن «محو» «قنحر خبشف» بن «نونخت» الذي من زوجها الثاني لاسم زوج أمه الأول لم يكن من غير قصد، وليس من الضروري أن يكون حاقدًا عليه بل إنه في الواقع برهان لذكرى كريمة قد تركها الكاتب «قنحر خبشف» في الأسرة جعلت أعز أولاد «نونخت» يحمل اسم زوجها الأول. على أن توحيد اسم الزوج الأول باسم الابن «قنحر خبشف» لا يدل على أنه ابنه؛ وذلك لأنه من النادر أن تجد الأبناء يسمون بأسماء آبائهم، بل كانوا في الغالب يسمون بأسماء أجدادهم. وليس لدينا دليل على أن «قنحر خبشف» كان حفيدًا للكاتب «قنحر خبشف». ومن المعلومات السابقة يمكننا أن نضع — بثقة — شجرة الأنساب لهذه الأسرة. والإشارة التي تدل على أسماء النساء فيها هي (⋆).



وإذا كنا في حاجة إلى برهان إضافي لإثبات أن أولاد «نونخت»، الذين ذكروا في وصيتها الأخيرة كانوا من زوجها الثاني «خعمنون»، فلدينا إمضاء كتاب الأحلام الذي وجد في مجموعة أوراق «شستربيتي»،[٧٩] جاء فيها: «عمله الكاتب «أمنخت» بن «خعمنون» وأخو النجار «نفرحتب» والنجار «قنحر خبشف» والكاتب «بما» …» فلدينا هنا ثلاثة إخوة: الأول منهم يدعى «أمننخت» بن «خعمنون»، وهم يحملون نفس الأسماء مثل أولاد «نونخت»؛ ومن المحتمل أن الاسم المهشم هو «ماينختف»؛ على أن كون اثنين ممن ذكروا في الإمضاءات يحملان لقب كاتب، وأن اثنين آخرين يحملان لقب «نجار» ليس بعائق في توحيد هذه الأسماء؛ لأن لقب «كاتب» يجوز ألا يعني هنا الكاتب المحترف، بل يمكن أن يعني فقط معرفة الكتابة. كما أن لقب «نجار» بين هؤلاء القوم يظهر أنه تسمية لأشخاص ضمن «رجال طائفة قبر الملك».

والبيان الذي قدمته لنا «نونخت» في وصيتها يتألف من جزأين، ففي الجزء الأول نجدها، بعد أن أعلنت عزمها على أن تورث فقط من أولادها أولئك الذين أعالوها في شيخوختها، قد عددت بالاسم أولئك الذين أرادت أن يرثوها، وهؤلاء هم: «ماينختف» و«قنحر خبشف» و«أمننخت» و«وسرنختي» و«منعتنختي»؛ وفي الجزء الثاني من الوصية ذكرت لنا أسماء أولادها الذين أبعدتهم عن الإرث، وهؤلاء هم: «نفرحتب» و«منعتنختي» و«حنشني» ثم «خغنب».

ومن ثم نلاحظ أن «منعتنختي» قد ظهرت في جزأَيْ وصية «نونخت».

والسبب في ذلك (راجع ١، ٣، ٨–١١) ظاهر من الوصية نفسها، وذلك أن «منعتنختي» كانت لا ترث من متاع أمها، بل كانت تحرم من وراثة ويبة الغلة و«هن» من السمن، وهما اللذان أعطاها إياهما أولادها البارون «ماينختف» و«قنحر خبشف» و«أمننخت» وابنتها «وسرنختي». وويبة الغلة هنا هي التي تقول عنها «نونخت» فيما بعد في الوصية أنها كانت تجمعها هي وزوجها، ولا بد أن نتخيل هنا أنها كانت تأخذ من كل ولد من أولادها البارين ربع ويبة؛ وتدل شواهد الأحوال على أن الزوج الثاني هو الذي كان يستفيد

معها من هذه الغلة، والويبة تعادل كمية قليلة تبلغ «هنًا» أي: حوالي ثمانية عشر لترًا، أي أقل من أربعة جالونات بمقدار يسير وتعادل ربع حقيبة، كما ذكرنا ذلك من قبل عند التحدث على ورقة «فلبور». وهذه الويبة لم تكن أعطيت على وجه التأكيد مرة واحدة فقط، بل كانت مرتبًا شهريًّا معينًا هي و«هن» السمن؛ وإنه لمن السخافة أن نفرض أن «نونخت» قد ادخرت عندها ويبة من الغلة و«هنًا» من السمن مدة طويلة لتضعها ضمن ميراثها، ولكن كون ويبة من الحب و«هن» من السمن كانا ضمن ميراثها فهذا أمر يظهره حرمان «منعتنختي» من الاستيلاء على أي نصيب منهما، ومن الواضح أن الحب والسمن قد أوصت بهما «نونخت» فقط لأولادها الذين تعودت أن تأخذهما منهم، وقد كان الموقف على ذلك يقتضي أن تقطع الجراية الشهرية بمجرد موتها، وأن ابنتها «منعتختي» على الرغم من أنها قد عوملت معاملة أبنائها الأبرار لم يكن في الإمكان أن تطلب أي تعويض على قطع هذه الجراية، إذ إنها لم تدفع منها شئيًا لأمها؛ على أن السبب في أن «نونخت» قد خصت ابنها «قنحر خبشف» بحظوة خاصة غامض، ومهما يكن من أمر فإن الوصية قد اشترطت أن يتسلم طست غسيل من البرنز فضلًا عن نصيبه بالتساوي مع الآخرين وهو خمس العقار، وهو يعد بالنسبة للحالة المعيشية لهذه الأسرة من الأشياء الكمالية ذات القيمة العظيمة. وقد كان البرنز والنحاس في عهد الأسرة العشرين هما المعدنان الوحيدان اللذان كانا يستعملان في قرية العمال الواقعة في «وادي دير المدينة». أما الذهب والفضة فكانا غير معروفين فيها تقريبًا. وقد كان الدفع يدفع بتقدير أشياء خاصة بالنحاس أو الحب.

وقد كان حرمان «نونخت» لأولادها العاقين مقيدًا بشرط واضح في وصيتها، إذ كان لها الحق في حرمانهم فقط من الجزء الذي لها حق التصرف فيه، وهذا الجزء تسميه في الوصية «ثلثي»، والفقرة الخاصة بذلك إذا ضممناها إلى ما جاء في ورقة «تورين» رقم ٢٠٢١ [٨٠] توحي إلينا أنه في هذا العهد كان الزوجان قد اعتادا أن يكونا ملكية مشتركة يكون للزوج فيها الثلثان، وللمرأة الثلث، وكان لكلٍّ الحق في التصرف في نصيبه عند انفصام عقدة الزواج إما بالموت أو الطلاق، وذلك في الجزء الذي أضافه هو أو هي،[٨١] وعلى ذلك فإنه في الحالة التي نحن بصددها لم يكن في مقدور الأم أن تحرم الأولاد العاقين لها من أن يرثوا ما تسميه هي «الثلثين الخاصين بوالدهم»، والبراهين التي لدينا ليست كافية تمامًا لتقديم صورة واضحة عن ظروف هذا الموضوع. وعلى أية حال فكون «نونخت» قد ورثت من الكاتب «قنحر خبشف» زوجها الأول عند موته، فإن ذلك ظاهر في الوصية (١، ٤، ٩–١٢) حيث يذكر أن الأولاد العاقين قد حرموا وراثة أي شيء من متاعه، فهل عندما تزوجت «خعمنون» أحضرت له «ثلثها» الأصلي من الزواج الأول، وهو على ما يظهر كان يحتوي «حجرة الخزين» الخاصة بوالدها. وكذلك قد تركنا في حيرة؛ فكيف أن «خعمنون» الذي كان على ما يظهر رجلًا فقيرًا نسبيًّا، استطاع أن يدفع الثلثين نصيبه. يضاف إلى ذلك أننا لم نعلم من الذي كان سيرث الكاتب «قنحر خبشف» في أمتعته وعقاره بعد موت «نونخت». وأخيرًا يظهر غريبًا أن امرأة لها ثمانية أطفال من زوجها الثاني، لم يكن لها أولاد من زوجها الأول، إذ لم يُذكر للكاتب «قنحر خبشف» أولاد قط. ولكن من المحتمل أنه تزوج «نونخت»، وهو متقدم في السن ومات بعد الزاج مباشرة. على أن ذلك لا يمنع أنه كان متزوجًا من قبل بغيرها وله أطفال منها على قيد الحياة، أو أنه كان رجلًا عقيمًا.

والحاشية التي كتبت بخط مختلف عما سبقها، وأضيفت إلى وصية «نونخت» (١، ٥، ٦–٩، ١٥) تصبح غير مفهومة إذا لم تعترف بوجود زواج ثانٍ، وأن الزوج الثاني هو والد أطفالها، وإلا فإنه يصبح من المستحيل علينا فهم السبب الذي من أجله ظهر العامل «خعمنون» مع أولاده أمام محكمة؛ ليعترفوا بأنهم لن يعارضوا في تنفيذ الوصية وحرمان «نفرحتب» من وراثة أمه. ونلحظ أن «خعمنون» كانت له حقوق قليلة خاصة به، وأن وظيفته الرئيسية في الظهور أمام المحكمة هي الموافقة على الترتيب الذي عملته

«نونخت» خاصًّا بالوصية، ويمكن تفسير ذلك على أكمل وجه بأن نفرض أن زوجها الأول «قنحر خبشف» كان رجلًا ثريًّا، بينما كان «خعمنون» مجرد عامل، وأن ما يكسبه كان بمقدار ما يكفيه فقط هو وأولاده، وأنه من جهة أخرى لم يضف شيئًا لثروة الأسرة على الأقل فيما يختص بالأثاث والأطيان.

ويلاحظ أن تاريخ الحاشية هو السنة الرابعة دون ذكر الفرعون، ولكن من المحتمل أنه كان في حكم الفرعون «رعمسيس الخامس»، الذي تنسب إلى حكمه الوثيقة الرسمية المؤرخة بالسنة الثالثة. ولا يمكننا دون معرفة تاريخ تولية «رعمسيس الخامس» بالضبط أن نحسب الفترة التي بين هذين القسمين من الكتابة، وأقصى مدة هي ٧١٢، وأقل مدة هي ٣٤٧ يومًا إذا كان تاريخ تولي العرش هو الشهر الثالث من فصل الفيضان، اليوم السابع عشر. وفي كلتا الحالتين كان من المحتمل جدًّا أن «نونخت» لا تزال على قيد الحياة، إذ لا بد أنها كانت قد فكرت في أنه من المهم أن تتأكد من موافقة الأسرة في وقت مبكر بقدر المستطاع.

ومن المحتمل أن تاريخ موت «نونخت» لن يعرف قط، ولكنَّ القائمتين اللتين في الوثيقتين الثانية والثالثة يرجع تاريخهما إلى ما بعد وفاتها، وذلك عندما حضر أولادها إلى بيتها ليقسموا الميراث بين أنفسهم. ونص الوثيقتين واحد تقريبًا، غير أن الوثيقة الثالثة أطول منهما، إذ في آخرها جزء غير موجود في الثانية، وعلى ذلك يمكننا أن نعد الوثيقة الثانية صورة ابتدائية، على حين أن الثالثة كانت الصورة النهائية للوصية.

والوثيقة الثالثة تحتوي على ستة أجزاء كل منها يقابل قسمًا منفصلًا، وعلى ذلك يمكننا أن نتصور الورثة الخمسة يقومون بست زيارات لبيت والدتهم، وفي كل زيارة كانوا يقومون بتقسيم طائفة من الأشياء، وكل طائفة منها قيمتها متساوية مع الأخرى على وجه التقريب. والمتاع الذي تركته «نونخت» لورثتها كان لا قيمة له. وأسماء الأشياء التي يمكن تحقيقها، ومخصصات الأشياء غير المعروفة لنا تبرهن على أنها كانت تحتوي على قطع من الأثاث وأدوات المطبخ، وإذا تركنا جانبًا الأشياء القليلة المصنوعة من المعدن التي جاء ذكرها في الوثيقة، فإن الباقي منها لا يوازي قيمة البردي التي كُتبت عليه الوصية.

والورثة الخمسة الذين كتبوا في القائمتين هم الذين ذكروا في صلب الوصية (راجع ١، ٣، ١–١١) بمثابة عمال ونساء وهم الذين ورثتهم وهم: «أمننخت» و«قنحر خبشف» و«ماينختف» و«وسرنختي» و«منعتخني». وخلافًا لذلك نجد أن المتن الثاني يقدم لنا في حالتين رجلًا يدعى «نبننخت» (٢، ١٠، ١١) وهو الذي حل مكان اسمه في الوثيقة الثالثة اسم المرأة «وسرنختي»، ومن المحتمل أن «نبننخت» كان زوج «وسرنختي»، وأنه قد حضر مرتين ليأخذ أشياء من القسمة، واسمه لم يكتب في الوثيقة الأصلية (رقم ٢) ولكن الوارثة الشرعية «وسرنختي» كانت قد حلت محل اسمه في النسخة النهائية للقائمة.

وقد تركنا فحص الوثيقة الرابعة آخر شيء؛ لأنه كان من المحتمل في بادئ الأمر أن يكون هناك شك في أن هذه الوثيقة لها علاقة ما بميراث «نونخت» على الرغم من أنه من المؤكد تمامًا أن العامل «خعمنون» وابنه «قنحر خبشف» وكذلك شخصان آخران وهما: «أمننخت» و«ماينختف» الذين ذُكروا في الوثيقة الرابعة هم نفس الأشخاص الذين ذكروا في الوثائق الثلاث الأولى. وحلقة الاتصال بالأشخاص الذين ذكروا في الوثائق الثلاث الأولى، والذين ذكروا في الوثيقة الرابعة هي طست الغسيل الذي قد اهتمت به الوثيقة الرابعة بوجه خاص، ولا بد أن يكون هو نفس الطست الذي ذكر في الوثيقة الأولى (١، ٣، ٤) وقد ذكر فيها بأنه قد أعطى «قنحر خبشف» «نونخت»، في حين أن الوثيقة الرابعة يظهر أن الذي أعطاها هو «خعمنون» اللهم إلا إذا كان «خعمنون» في هذه الحالة، كما جاء في

الحاشية قد وافق على إعطائه، ولكن إذا تدبرنا الحقائق التالية وهي أولًا أنه قد أعطى نفس الشخص في كلتا الحالتين، وثانيًا أنه قد سُمي في كلتا الحالتين باسم خاص، فإن في ذلك برهانًا كافيًا على أن الطست واحد.

والموقف إذن على ما يظهر هو أن «نونخت» قد أعطته أولًا «خعمنون» ليستعمله، وأن وصيتها الأخيرة قد اشترطت فيها أن يئول لابنهما «قنحر خبشف». وإذا كان الأمر كذلك فإن «خعمنون» كان عليه أن يسلمه لابنها «قنحر خبشف»، وقد وعد بذلك أولًا في اعترافه أمام المحكمة في الجزء الأول من الوثيقة الرابعة، في حين أنه فيما بعد في الجزء الثاني من الوثيقة قد دُوِّن تسليم الطست إلى «قنحر خبشف»، ويلاحظ أنه في التنازلين قد اعترف «خعمنون» بألا يدعي هذا الإناء أي شخص آخر، وبذلك يعترف هو بأنه ليس له الحق شخصيًّا في ادعاء ملكيته، ووزن هذا الإناء كان ثلاثة عشر دبنًا من النحاس، وكانت قيمته التجارية على ذلك هذا المبلغ نفسه، وهذا يساوي أكثر من ضعفي ثمن ـ حقيبة من الحب، وهذا المقدار هو الذي تعهد «قنحر خبشف» أن يعطيه «خعمنون» مقابلًا للطست. وثمن الحقيبة من الشعير كانت وقتئذ حوالي ـ «دبنًا» من النحاس، في حين كان ثمن حقيبة الحنطة «دبنين»،[٨٢] وعلى ذلك يكون ثمن الطست مقدرًا بالحنطة وهو ١٣ «دبنًا» من النحاس يعادل ـ حقائب، أي ٢٦ ويبة من الحنطة، وبهذا يصبح من الواضح أن ما كان يقصده «قنحر خبشف» هو مرتب منتظم قدره ـ حقيبة لمدة زمن معين، ويؤكد ذلك بإشارته المصرية القديمة الدالة على الدخل بالغلة الذي كان يدفع للعمال في العهود الفرعونية.

وعلى الرغم من كل ما استخلصناه من هذه الوثيقة فلا يزال الكثير منها غامضًا.[٨٣]

---

[١] راجع: Pleyte & Rossi Papyrus de Turin Pls. LI–LX.

[٢] راجع: A. Z. 29, 73 ff.

[٣] راجع: J. E. A. Vol. 10. p. 116.

[٤] راجع: Gardiner, Ramesside Administrative Documents p. 173–82.

[٥] راجع: J. E. A. Vol. 15. p. 244.

[٦] كرر «أمننخت» هنا أنه أخ «لنفرحتب»؛ ليظهر أنه كان أحق برياسة العمال بعد موت أخيه غير أنه بدلًا من ذلك عين الوزير «بنب» الذي رشاه.

[٧] هذا النوع من العقاب كان يوقعه الفرعون نفسه، ولم يرد ذكر قطع اليد في المصادر المصرية، ولكن ذكر «ديدور» أنه كان يعاقب به في مصر (راجع Diodorus I. 79).

[٨] كانت في حيازة اللورد «كرنرفون».

رعمسيس السادس



جاء في متن «ورقة فلبور» ذكر أمير يدعى ابن الملك «رعمسيس أمنحر خبشف» وتدل شواهد الأحوال على أنه هو الذي تولى العرش بعد والده «رعمسيس الخامس»، كما يقول الأستاذ «جاردنر»،[1] ولم نعثر إلى الآن على أي تاريخ في عهد هذا الفرعون باسمه، ولكن إذا حكمنا من الآثار التي تركها لنا، فإنه لم يكن من الملوك الخاملين أو الذين لم يمكثوا على العرش إلا فترة قصيرة.

(١) مقبرة «بننوت»

والواقع أن أهم أثر لدينا — على ما نعلم حتى الآن — من عصر هذا الفرعون لا يوجد في القطر المصري نفسه، بل في بلاد النوبة الشقيقة، وأعني بذلك مقبرة «بننوت» التي أقامها لنفسه في بلدة «عنيبة» بوصفه نائب ابن الملك في «واوات»[2] للفرعون «رعمسيس السادس». وقد كان يلقب نائب «واوات»، كما كان يحمل لقب رئيس مصلحة قطع الأحجار في هذه الجهة ومدير بيت الفرعون «حور».

وفي خلال إقامته في بلاد النوبة أقام تمثالًا هناك للفرعون «رعمسيس السادس» في معبد «الدر»، وقد أرسل له الملك مكافأة على ذلك طبقين من الفضة، وقد وقف على عبادة هذا التمثال قرابين كانت تورد بصفة منظمة من المراكز الخمسة المتاخمة. وقد حدد «بننوت» هذه المراكز بدقة بالغة في النقوش التي تركها لنا على جدران قبره، ومنها نستقي على وجه التقريب معظم ما نعلمه عن نظم الحكم المصري في هذه الأصقاع النوبية، وبخاصة عندما نعلم أن «بننوت» كان يستعين

بأقاربه في تسيير أمور الحكم في هذه الأصقاع، فقد كان اثنان من عشيرته يحمل كل منهما لقب خازن رب الأرضين في «عنيبة»، وآخر يحمل لقب كاتب بيت المال وعمدة «عنيبة» (؟).



شكل ١: تمثال الملك «رعمسيس السادس» وهو ممسك بناصية أسير.

وهاك وصف مناظر هذه المقبرة وترجمة ما جاء عليها من نقوش:

يشاهد الفرعون «رعمسيس السادس» جالسًا على عرش الملك لابسًا خوذة الحرب «خبرش»، وأمامه ابن الملك صاحب «كوش» منحنيًا في يده المروحة، وفوق هذا المنظر كتب المتن التالي: قال جلالته لابن الملك صاحب «كوش»:[٣] أعط إناء العطور والأصماغ الفضيين (تبو) للوكيل.

وقد أجاب ابن الملك بما يأتي: «سأفعل هذا! تأمل إنه اليوم السعيد وسيحتفل به في كل أرض.»

وفي المنظر الذي على «الجدار الغربي» نشاهد فيه نائب «كوش» يصل إلى «عنيبة» مقدما الإناءين إلى «بننوت». ويرى نائب الفرعون أمام تمثال الفرعون الموضوع على الحامل الذي كان «بننوت» مكلفًا بالقيام عليه، وخلف النائب يشاهد مدير بيته يحمل إضمامة من البردي. ومن جهة أخرى نشاهد «بننوت» يصحبه كاهنان وهو واقف أمامهما يحمل في يديه المرفوعتين طبقين فيهما أقراص من العطور، ولا بد أنهما هما الإناءان اللذان أشير إليهما في المتن، وعندئذ يخاطب نائب «كوش» «بننوت» بما يأتي:

ليت «آمون رع» ملك الآلهة يحبوك! وليت الإله «منتو» رب «أرمنت» يحبوك، وليت روح الفرعون له الفلاح والحياة، السيد الطيب يحبوك، وهؤلاء هم الذين جعلوك تصنع تمثال «رعمسيس السادس» بن «آمون» المحبوب مثل «آمون»، والمحبوب مثل «حور» سيد «معام» (عنيبة) … وإنه ذبح الثائرين.

اصغَ يا نائب «واوات»، يا «بننوت» إلى «آمون» في «الكرنك»؛ إن هذه الأشياء قد تحدث عنها في بلاط الفرعون السيد الطيب. ليت «آمون رع» ملك الآلهة يحبوك، وليت «حوراختي» يحبوك، وليت «منتو» يحبوك، وليت روح الفرعون له الحياة والفلاح والصحة؛ الإله الطيب يحبوك، وهو الذي قد فرح بما تفعله في إقليم السود، وفي بلاد

«أكاتي»، وإنك أنت الذي جعلتهم يحضرون أسرى أمام الفرعون له الحياة والفلاح والصحة، والسيد الطيب يدفع ضريبتك ... تأمل**!** إني أعطيتك الإناءين الفضيين حتى تعطر نفسك بالأصماغ؛ زد أنت ... في أرض الفرعون له الحياة والفلاح والصحة حيث أنت.

أما جواب «بننوت» على ذلك فقد كان قصيرًا، وقد وُجد مهشمًا، وكل ما يمكن استخلاصه منه هو أنه كان بطبيعة الحال إطراء للفرعون له الحياة والفلاح والصحة، سيده الطيب.

وقد ذكر لنا «بننوت» الأراضي التي تجبى منها القرابين التي كانت تقدم لتمثال «رعمسيس السادس»، ولا نزاع في أن النقوش الخاصة بهذا التمثال وقرابينه كانت مأخوذة من السجلات الرسمية الخاصة به، وهذه الأراضي تحوي خمس مساحات مختلفة كل واحدة منها محددة بحدودها الأربعة الأصلية.

وهاك أسماء هذه الأقاليم:

العنوان: الأرض الموهوبة لتمثال «رعمسيس السادس»[٤] الثاوي في «عنيبة».

الإقليم الأول: الإقليم الواقع شمال «رعمسيس مري آمون في بيت رع» (وهذا هو اسم معبد «رعمسيس الثاني» في «الدر»، والكاتب يقصد هنا المدينة لا المعبد) قبالة بيت «رع» رب الانحناء الشرقي (ويلاحظ هنا أن النيل ينعطف انعطافًا شديدًا نحو الشرق بعد «الدر» مباشرة، أما بيت «رع» فيحتمل أن يكون معبدًا أو مقصورة صغيرة للإله «رع» المحلي في هذه الجهة، ولكنه اختفى الآن).

الحدود: الحد الجنوبي هو أراضي ضيعة زوج الملك «نفرتاري» الموجودة في «عنيبة». والحد الشرقي الصحراء، والشمالي حقول كتان الفرعون له الحياة والفلاح والصحة، والحد الغربي النيل.

المساحة: «٣ إترو» (والإترو ...)

الإقليم الثاني: الإقليم التابع ... خلف أرض «ميو» في أراضي نائب «واوات» (أي الأراضي التي تحت سلطان نائب «واوات»).

الحدود: الحد الجنوبي أراضي ضيعة التمثال التي تحت إدارة الكاهن الأول «أمنمؤبت» والحد الشرقي الجبل العظيم، والشمالي حقول الكتان ملك الفرعون له الحياة والفلاح والصحة، وهي التي في يدي نائب «واوات» والغربي النيل.

المساحة: ٢ إترو.

الإقليم الثالث: إقليم بيت الآلهة شرقي الأراضي التي ... وشرقي الجبل الكبير.

الحدود: الحد الجنوبي أراضي ضيعة التمثال، وهي التي تحت إدارة نائب «واوات» المسمى «مري»، والشرقي لجبل الكبير، والشمالي أراضي الراعي «باحو» والغربي النيل.

المساحة: ٤ إترو.

الإقليم الرابع: إقليم ضيعة «تيحنوت» الواقعة عند الحد الغربي لمقاطعة «تيحنوت» في حقول كتان الفرعون له الحياة والفلاح والصحة، هذا إلى الأراضي التي ...

الحدود: الشرقي الجبل الكبير، والجنوبي حقول كتان الفرعون له الحياة والفلاح والصحة شرقي الجبل الكبير، والشمالي حقل «أراسا»، والغربي النيل.

المساحة: ٦ إترو.

الملخص: مجموع الأراضي التي أعطيها (أي التمثال) خمسة عشر «إترو» ويتألف من ذلك ... الحقول العلوية، وقد (تسلمها) كاتب الضيعة النائب «بنوت» بن «هرونفر» حاكم «واوات» ... بمثابة حقول أجرت له ويدفع لها ثورًا يذبح سنويًّا.

الإقليم الخامس: الإقليم الذي في ... الحقول التي تحت سلطان نائب «واوات»، وهو لا يوجد في الملف (السابق).

الحدود: الحد الغربي أمام الأرض الحصباء ملك النائب «بننوت»، والجنوبي الأرض الحصباء ملك النائب «بننوت»، والشمالي هو ... الحقول التي في ضيعة الفرعون له الحياة والفلاح والصحة، والشرقي هو الجزء الأمامي من الأرض الحصباء ملك النائب «بننوت».

المساحة: ٨ إترو.

اللعنة على المعتدي: «أما كل إنسان سيهملها فإن «آمون» ملك الآلهة سيقفو أثره، والآلهة «موت» ستقفو أثر زوجه، والإله «خنسو» سيقفو أثر أولاده، وإن الجوع سيأخذه، والعطش سيلحقه، وسيغمى عليه وينتابه المرض.»

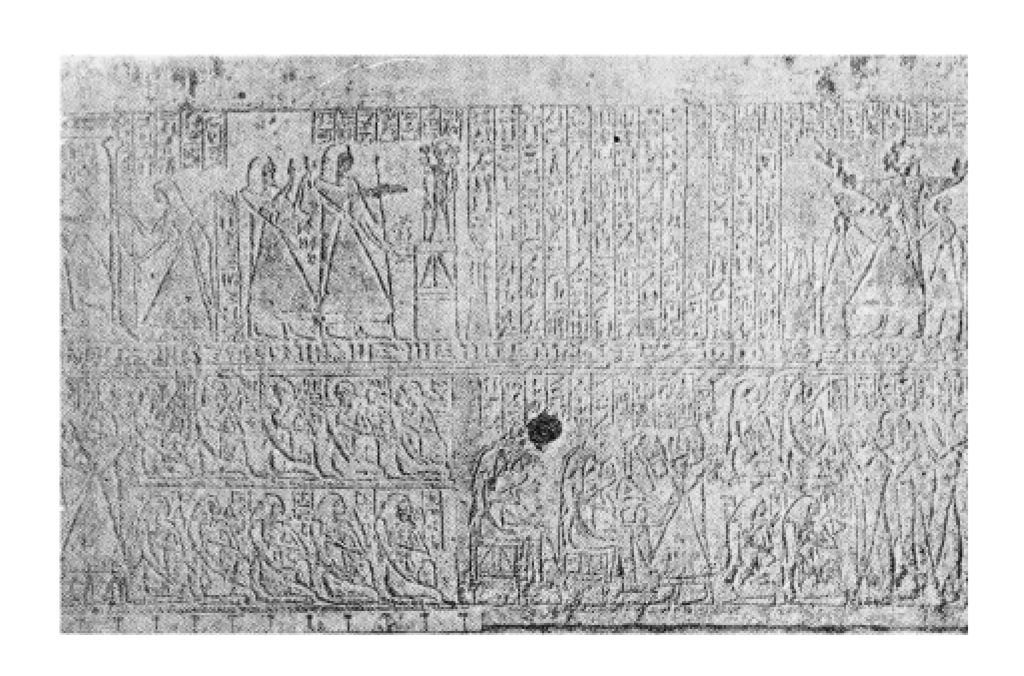
هذا هو أهم متن في المقبرة، أما وصفها العام فكما يأتي:

وصف المقبرة: تقع مقبرة هذا العظيم على مسافة نحو كيلومتر من الجبانة الجنوبية من «عنيبة» من عهد الدولة الحديثة، وقد قطعت في جانب التل وتحتوي على حجرة مستطيلة حفرت فيها كوة مقابلة للمدخل وفيها ثلاثة تماثيل مهشمة نحتت في الصخر الطبيعي. وفي وسط الحجرة توجد بئر بين المدخل والكوة يبلغ عمقها عشر أقدام تقريبًا، وفي نهايتها الفتحة المؤدية إلى حجرة الدفن، وقد كانت البئر مغطاة في الأصل بحجر ليخفيها عن الأنظار.

وجدران الحجرة الرئيسية مغطاة بمناظر لا تزال ألوانها محفوظة حتى الآن، ولم تهشم هذه المناظر إلا في بعض أجزاء في الركن الجنوبي الشرقي. والمقبرة مفتوحة الآن، وقد دفن فيها العظيم «بننوت» النائب أو نائب «واوات»، وهو الذي كان يحمل كذلك لقب كبير بيت المال للفرعون، وعمدة «عنيبة»، ورئيس المحاجر، ومدير بيت «حور» رب «عنيبة».

وقد قدم «بننوت» أراضي وأثاث معبد لعبادة تمثال سيده «رعمسيس السادس»، وفي مقابل ذلك — كما قلنا — أغدق عليه هذا الفرعون الإنعامات والهدايا. وكانت زوجه «تاحقا» مغنية في معبد «عنيبة».

ويلاحظ في الصور والنقوش التي في الحجرة الرئيسية أن هناك نظامًا متبعًا؛ فنجد النصف الشرقي خاصًّا بعالم الدنيا، ويحتوي على حوادث خاصة بصاحب المقبرة وقرابين تقدم للآلهة وللمتوفى.



شكل ٢: نائب «كوش» أمام الفرعون الذي يكلفه بإعطاء إناءين من الفضة للنائب «بننوت».

والقسم الغربي خاص بعالم الآخرة، ويحتوي على صورة من كتاب الموتى، وإذا استثنينا جدار المدخل الغربي (راجع Tafel 101 a) الذي غطي بنقوش طويلة، فإن كل الجدران قد غطيت بسلسلة من الصور في صفين علوي وسفلي.

القسم الشرقي من جدار القاعة الرئيسية: (أ) يشاهد على جدران المدخل من الجهة اليمنى (راجع Aniba II, Tafel 101 = L. D. III, 229 c) نقش تذكاري خاص بالوقف الذي تحدثنا عنه فيما سبق، وهو لإمداد تمثال الفرعون «رعمسيس السادس» بالقرابين في معبد «عنيبة».

وعلى يمين هذا النقش يشاهد في أعلى الجدار ثالوث «طيبة»، وهم: «آمون» (وقد لون باللون الأزرق) و«موت» (وكانت ترتدي ملابس بيضاء) ثم الإله «خنسو» ممثلًا برأس صقر. وفي

أسفل هذا المنظر يشاهد «بننوت»، ومدير مخزن الغلال «نبررع» يتعبدان، ويلاحظ هنا أن «نبررع» ليس من مرءوسي «بننوت»، ولكنه قد صور هنا؛ لأن له علاقة ما بإدارة هذا الوقف.

ويشاهد على الجهة اليسرى من أعلى الإله «بتاح»، وقد لون وجهه بالأزرق وملابسه بيضاء، والإله «تحوت». وفي أسفل هذا المنظر صورت امرأتان.

(ب) الجدار الشرقي الضيق (راجع Ibid. Tafel 102. = L. D. III, Pl. 230).

الصف الأعلى من اليسار إلى اليمين: (١) (يشاهد نائب «كوش» —— الذي لم يذكر اسمه ولكن ذكر لقبه —— واقفًا منحنيًا أمام مقصورة الفرعون «رعمسيس السادس»، الذي يلبس التاج الأزرق وفي يده اليسرى علامة الحياة). وعلى حسب ما جاء في النقوش يكلفه الفرعون إعطاء إناءين من الفضة للنائب «بننوت»، وهذان الإناءان خاصان بالعطور.

(٢) يرى بعد ذلك منظر آخر مثل فيه نائب «كوش» يتبعه مدير البيت «مري»، ويقفان أمام تمثال الفرعون الواقف على قاعدة، ويحيط بذراعيه علمان واحد منهما برأس كبش ويرمز للإله «حور».

(٣) وأخيرًا نرى في نفس الصف الأعلى صورة «بننوت» بذراعيه منتشرتين، وفي كل من يديه إناء من الإناءين اللذين أهداهما له الفرعون، هذا ويشاهد اثنان من أتباعه يزينانه. (انظر الشكل ٢).

الصف الأسفل من اليسار إلى اليمين: (١) يشاهد «بننوت» يصب الماء على مائدة قربان مزينة بالأزهار وملأى بالمأكولات. وقد نقش في السطرين العموديين اللذين أمامه صيغة القربان العادية، وقد تضرع فيها للإلهة «أوزير حتيا» و«لأوزير نخت» و«لأوزير بننوت»، و«أوزير أمنمأبت» [٥] ولزوجاته اللاتي في عالم الآخرة، وهؤلاء كلهم بوصفهم أجدادًا متوفين من أسرة «بننوت»، وكلهم قد صوروا على النصف الشرقي من الجدار الشمالي في الصف الأسفل (راجع Tafel 153 a).

(٢) والمنظر الثاني يشاهد فيه «بننوت» يصب الماء على مائدة قربان بمثابة قربان لوالدته «تاخعت»، ولامرأة أخرى يحتمل أنها جدته وكانتا جالستين أمامه وقد مُحي اسم الأخيرة؛ وخلف هاتين المرأتين يشاهد صفان من الأشخاص: خمسة رجال في الصف الأعلى، وخمس نساء في الصف الأسفل. ويتألف صف الرجال من كهنة (خدمة الإله) كما يتألف صف النساء من مغنيات، غير أنه قد غاب عنا نسبة هؤلاء الكهنة والمغنيات لصاحب المقبرة «بننوت»؛ وأخيرًا نشاهد في منظر زواج «بننوت» المسماة «تاخعت» تتبعها ابنتها «تحنت» وامرأتان أخريان، وهما مرسومتان على لوحة (Ibid. Tafel. 101 a = L. D. III, 229 c)، وهن يقدمن القربان أمام أربعة أشخاص: رجلان في الصف الأعلى، وامرأتان في الصف الأسفل. والزوجان الأولان هما والدا «بننوت»، والزوجان الآخران هما جداه.

النصف الأيمن الشرقي من الجدار الخلفي الشمال: (راجع Tafel 103 a; = L. D. III, 213 a).

الصف الأعلى: يشاهد «بننوت» وزوجه وأولاده الذكور الستة يتقدمون متعبدين أمام الإله «رع-حوراختي» برأس صقر جالسًا على عرشه، ويلاحظ أن الرجال يحمل كل منهم في يده اليسرى سيقان بردي، واليد اليمنى مرفوعة تعبدًا. أما المرأة فتحمل صاجات.

الصف الأسفل من اليسار إلى اليمين: (١) يشاهد «بننوت» وزوجه يتعبدان للإله «أوزير» الجالس على عرشه، وقد ظهر أمامه على زهرة صور أولاد «أوزير» الأربعة، وخلفه رسمت علامة الغرب.

ويمسك «بننوت» في يده اليسرى ثلاث سيقان من البردي، كما تمسك زوجه بيسراها الصاجات، وكل منهما يرفع يده اليمنى تعبدًا كما في المنظر السابق.

(٢) أما الأشخاص الثمانية الذين رسموا في هذا الصف فهم تابعون للمنظر السابق، (راجع Ibid. Tafel 102).

الباب المؤدي للحجرة الصغيرة الواقعة وسط الجدار الخلفي الشمالي: (Ibid Tafel 104 d = L. D. III, 229 b): صور على عارضتي الباب صاحب المقبرة متعبدًا، وقد نقش على العارضة اليسرى صلاة للإله «رع-حوراختي»، وعلى العارضة اليمنى صلاة للإله «آتوم» صاحب «هليوبوليس»، والصورة التي على عتب الباب تمثل سفينة الشمس يتعبد لها قردان، والماء الذي تجري عليه السفينة ظهر فيه سمكتان.

النصف الغربي من الحجرة الرئيسية على اليسار: جدار المدخل من جهة الجنوب (راجع Ibid Tafel 104 a = L. D. III, 232 b.).

الصف الأعلى: (١) يشاهد «بننوت» أمام قاعة العدالة.

(٢) محاكمة: يشاهد «بننوت» وزوجه يدخلان من باب القاعة ويقفان بيدين مرفوعتين. ثم يشاهد في المنظر التالي على يمين الإله «أنوبيس» يزن القلب، ويجلس بجانب الميزان المارد الذي في صورة فرس البحر (وهو الذي يلتهم قلب المتوفى إذا خفت موازينه) وبعد ذلك يشاهد على اليمين الإله «تحوت» يكتب النتيجة على إضمامة بردي، وهذه الصورة تستمر على الجدار الضيق الغربي في الصف الأعلى.

الصف الأسفل: مثل فيه الاحتفال بفتح الفم أمام المقبرة، فعلى اليمين نشاهد كاهنًا ممسكًا بالمومية، وبجوارها أرملة المتوفى تندبه راكعة، ويأتي بعد ذلك كاهن آخر (الكاهن سم) وقد مثل وهو يصب الماء، ثم كاهن ثالث في إحدى يديه زهرة وفي الأخرى الإناء «حسي»، ثم كاهن رابع يرتل الشعائر، وخلف هؤلاء الكهنة يأتي المشيعون للجنازة منهم ثلاثة أبناء (تسمى النقوش ثلاثة بأسمائهم، وخلافًا لذلك يلقب واحد بابن ابنه وأخته وآخر تصفه بوارث إرثه، كما تذكر ست نساء تحمل كل منهن لقب مغنية، ويحتمل أنهن بنات المتوفى غير أنهن لم ينعتن بهذا النعت).

الجدار الضيق الغربي (Ibid Tafel 104 b & c = L. D. III, 232 a) تكملة منظر المحاكمة السابق.

الصف الأعلى من الشمال إلى اليمين: (١) يقود الإله «حور» بن «إزيس» صاحب المقبرة «بننوت» وزوجه أمام «أوزير»، ويحمل «بننوت» في يده إناء عطور على شكل القلب، ويشاهد «أوزير» على عرشه في محراب وأمامه زهرة ذات ساق عليها صورة أولاد «أوزير» الأربعة، وتقف خلفه أختاه «إزيس» و«نفتيس». ويلاحظ أن باب المحراب مفتوح وأمامه مائدة قربان.

(٢) بعد ذلك يأتي مشهد آخر يرى فيه الإله «أنوبيس» على سرير المتوفى وبالقرب منه على الجانبين يشاهد كل من «إزيس» و«نفتيس» راكعتين منتحبتين، وتضع كل واحدة منهما إحدى يديها على رأسها والأخرى على علامة تدل على الخلود، والمتن التابع لهذا المنظر يحتوي جملًا من الفصل الخامس والعشرين بعد المائة من كتاب الموتى، وهو الفصل الذي يعترف فيه الراحل بعدم ارتكاب أي ذنب (راجع مصر القديمة ج٥).

الصف الأسفل من الشمال إلى اليمين: (١) يشاهد فيه «بننوت» يتعبد للآلهة الثلاثة الجالسين على قاعدة وهم: الإله «رع-حوراختي» برأس صقر، والإله «آتوم» لابسًا التاج المزدوج، ثم الإله «خبري» وعلى رأسه «جُعَل».

(٢) ويتبع ذلك منظر مثل فيه «بننوت» وزوجه يتعبدان.

(٣) وأخيرًا نشاهد منظرًا مؤلفًا من ثلاثة صفوف بعضها فوق بعض، وهذا المنظر مأخوذ من الفصل العاشر بعد المائة من كتاب الموتى، وهو يمثل العمل في حقول المنعمين.

النصف الأيسر من جهة الغرب للحائط الشمالي الخلفي (راجع Ibid Tafel 103. = b. L. D. III, 231 b.).

الصف الأعلى من اليسار إلى اليمين: (١) يشاهد المتوفى راكعًا وهو يتعبد بيدين مرفوعتين أمام البقرة «حتحور» سيدة الجبانة، وقد أحيطت بسيقان البردي وهي خارجة من المدفن الجبلي الهرمي الشكل، وبجوار البقرة «حتور» تقف الإلهة «تاورت» التي صورت في هيئة فرس البحر، وفي إحدى يديها عصا وفي الأخرى عقرب[٦] (وهي إلهة الولادة).

(٢) وفي المنظر الذي يلي السابق يشاهد «بننوت» وزوجه يتعبدان للإله «رع خبري» جالسًا على عرشه وقد مثل برأس إنسان.

الصف الأسفل من اليسار إلى اليمين: (١) يشاهد الإله «رع حور» برأس صقر جالسًا على عرشه في مقصورة، وأمام هذه المقصورة يشاهد المتوفى يطهر بالماء بواسطة الإلهين «تحوت» و«أنوبيس».

(٢) وفي المنظر التالي يُرى المتوفى وفي يده سيقان بردي وزوجه وفي يدها صاجات، وكلاهما يتعبد للإله «بتاح سكر-أوزير» برأس إنسان.

تعليق: هذا مجمل وصف مقبرة «بننوت»، والواقع أنها تعد الوثيقة الوحيدة التي تقدم لنا لمحة عن علاقة مصر ببلاد النوبة في هذا العصر المظلم من تاريخ البلاد، فقد رأينا في الجزء السابق من هذا المؤلف (مصر القديمة ج٧) أن «رعمسيس» الثالث قام بحملة على بلاد النوبة، كما كانت عادة الفراعنة الفاتحين الذين كانوا يقصدون بأمثال حملاتهم هذه إظهار ما لهم من سلطان وعظمة تقليدًا لمن سبقهم من الفراعنة العظام. ولقد كان المنتظر بعد عهد «رعمسيس الثالث» أن نرى ملك مصر آخذًا في الانهيار في تلك الجهات الجنوبية، ولكن مقبرة «بننوت» التي حفرها في صخور بلدة «عنيبة» دلت على أن سلطان الفرعون كان لا يزال قويًّا، فقد كان هذا الموظف نائبًا للفرعون في «بلاد واوات»، التي كانت تعد من أعظم منابع الذهب للملك، وبخاصة أنه يحمل لقب رئيس رجال المناجم، والمدير العظيم لبيت المالية للملك، وعمدة بلدة «عنيبة». وأخيرًا كان يحمل لقب مدير معبد الإله «حور» صاحب «عنيبة»؛ وهذا المعبد كان أحد المحاريب العدة التي كانت مقامة

لهذا الإله في هذه الإمارة. ومن المحتمل أن المعبد المشار إليه هنا هو الذي عثر على بقاياه الأثري «ويجول» في بلدة «عنيبة» (Weigall, Guide p. 465). وتدل شواهد الأحوال على أن «بننوت» هذا كان رجلًا صاحب ثراء؛ فقد أقام للفرعون «رعمسيس السادس» تمثالًا في هذا المعبد، وحبس عليه الأوقاف من أملاكه في هذه الجهات، وقد كافأه الفرعون على ذلك بإهدائه آنيتين من الفضة، وقد كلف الفرعون نائب «كوش» بإعطائها له رسميًّا. ويلاحظ هنا أن الآنيتين كانتا من الفضة لا من الذهب الذي كان يُعد آنئذ أثمن من الفضة، وقد يرجع السبب في ذلك إلى أن الذهب كان كثيرًا في بلاد «واوات» ويجلب منها، فلو كان الإناءان من الذهب فإن ذلك يكون كجلب التمر إلى «هجر»، والفحم إلى «نيوكاسل»، وبهذه الهدية الملكية أظهر الفرعون ارتياحه إلى ما فعله «بننوت» في أقاليم السود، وفي أرض «أكاتا». و«أكاتا» هذه هي إقليم وادي «علاقي»، ويحتمل أن اللقب «رئيس التنجيم» الذي يحمله «بننوت» قد يشير إلى أعمال التنجيم هناك؛ ولا نزاع في أنه لا توجد في بلاد النوبة السفلية مناجم ذات حجم عظيم، على أن سكنى «بننوت» في «عنيبة» فيه دليل آخر على أن «وادي علاقي» كان يمكن الوصول إليه عن طريق «توشكا-إبريم».

ومما يلاحظ في وثيقة الوقف التي تركها لنا «بننوت» أنه يشير إلى ضياع الملكة «نفرتاري»، وكذلك إلى حقول الكتان الملكية، وهذا يدل على أنه كان للبيت المالك ضياع خاصة في بلاد النوبة، وأن الفرعون كان لا يزال له نفوذ قوي في هذه الأصقاع النائية، على الرغم من تدهور الأحوال في مصر نفسها. وأخيرًا نلحظ أن بلاد النوبة كانت حقلًا عظيمًا لزراعة الكتان كما يظهر ذلك من وثيقة الوقف.

ونقوش مقبرة «بننوت» تعد نموذجًا لنقوش كبار الموظفين في هذا العصر؛ فإذا قرنا بين نقوش هذه المقبرة ونقوش مقبرة «أنحور خعوي» الذي عاش في عهد الفرعون «رعمسيس الرابع» (راجع عهد رعمسيس الرابع) وجدنا بينهما أوجه شبه كبيرة تكشف لنا عن الحالة الدينية

والاجتماعية في هذا العصر، فنجد أن كلًّا من «أنحور خعوي» و«بننوت» قد حرص على رسم أفراد أسرته وأجداده بصورة مفصلة، وكذلك نلحظ أن معظم أفراد هذه الأسر كان ذكورهم يشغلون وظائف الكهنة للآلهة، كما كانت الآنسات يشتغلن مغنيات للآلهة في المعبد. هذا وقد حرص كل منهما على أن يمثل صورة جنازته وحسابه في الآخرة، وعلى اقتباس فصول من «كتاب الموتى» للدلالة على ما كان يرغب المتوفى أن يكون فيه من نعيم مقيم، وبخاصة بعد أن أصبح مُبرأً من الذنوب كلها أمام الإله «أوزير»، كما فصلنا ذلك في المناظر التي على جدران مقبرة «بننوت»؛ وهذه النقوش تدل من جهة أخرى على أن العبادة كانت موحدة في كلا القطرين كما كانت الحال من أقدم العهود.

(٢) بلدة «عنيبة» وأهميتها

إن أقدم أثر ذكر لنا في بلدة «عنيبة» يرجع تاريخه على ما يظهر إلى عهد الهكسوس؛ وذلك في القائمة التي نشرها الأستاذ «جاردنر» عن حصون بلاد النوبة (راجع مصر القديمة ج٣) واسم البلد القديم هو «معام» وقد اختلف المؤرخون في موقع «معام» هذه، ولكن المؤكد أن موقعها هو بلدة «عنيبة» الحالية. وإقليم «معام» يشمل المواقع القديمة التي كانت على الشاطئين الشرقي والغربي؛ هذا بالإضافة إلى الجزيرة الواقعة في النيل التي تسمى جزيرة «إبريم» وجزيرة «الرأس»، وقد وجد نقش ذكر عليه اسم الجزيرة: جزيرة «معام».

(٢-١) معبد «عنيبة»

ومعبد هذه البلدة قد تهدم تمامًا ولم يبقَ له أثر، وكان للإله «حور» سيد «معام» الذي مثل بصورة صقر يحمل على رأسه قرص الشمس، أو بإنسان له رأس صقر، ويلبس التاج المزدوج. وهو نفس الإله «حور»، الذي كان يعبد في «بوهن» (وادي حلفا) باسم سيد «بوهن» وفي «دكا» و«كوبان» باسم «سيد باكي».

والظاهر أن عبادة «حور» في المدن الثلاث الرئيسية لبلاد النوبة السفلية الجنوبية قد أدخلت في نهاية الدولة القديمة، ويحتمل أن ذلك كان في نفس الوقت الذي كانت تقدس فيه بلدة «أبشك» القريبة من «أبو سمبل» (Gautheir Dic. Geog. I, p. 65) الإله «حتحور» التي كانت تنعت بسيدة «أبشك»، وكانت «حتحور» تمثل هناك في صورة بقرة.

وترجع مكانتها الممتازة من الناحية السياسية والثقافية في بلاد النوبة السفلية إلى خصب تربتها، وكثرة خيراتها؛ ولذلك كانت تعد محطة عظيمة لطرق التجارة الآتية من واحدة «دنقل» الواقعة في الصحراء الغربية. ولا نعلم إذا كانت هناك طريق تجارة على الشاطئ الشرقي عند «إبريم» مخترقًا الوديان حتى البحر الأحمر أم لا. ويقول «ويجول»: إن «عنيبة» تحتل مكانة استراتيجية عظيمة الأهمية، ومن المحتمل أنه كانت توجد في قديم الزمان شلالات عند قصر «أبريم»، وعلى ذلك كان لا بد من إقامة حصن هناك لحماية السفن الذاهبة جنوبًا، ولمهاجمة العدو المنقض من جهة الشمال، غير أننا لا نعرف شيئًا عن هذا الشلال، ومن الجائز أن تحصين «معام» كان يستعمل لملاحظة التجارة على النيل، كما كان يعد مركزًا لجمع الضرائب على السفن التي تمر من هناك.

ويمكن أن نلخص تاريخ «معام» (عنيبة) مما لدينا من الوثائق التاريخية، ومن نتائج أعمال الحفر التي قامت في هذه الجهة في النقط الآتية:

(أ) تدل أقدم الآثار التي عثر عليها في هذه الجهة على وجود مستعمرة، يرجع عهدها إلى العصر الثاني القديم من تاريخ بلاد النوبة (أي عصر الأسرات المصري المبكر).

(ب) أما في العصر النوبي الثالث وهو ما يقابل عهد الدولة القديمة المصرية، فلم نجد له أثرًا يذكر في «عنيبة»، كما كانت الحال في الجهات الأخرى لبلاد النوبة، ومن الجائز أن «عنيبة» وكذلك كل بلاد النوبة السفلية قد حاقت بها خسائر على يد أحد فراعنة هذا العهد الذين قاموا

بغزوات في هذه الجهات كما جاء على حجر «بلرم»، ومنها حملة في عهد الملك «سنفرو» (الأسرة الرابعة) وقد غنم فيها سبعة آلاف أسير وعشرين ألف رأس من الماشية.

ولا نعلم إلى أي حد في عهد الأسرة السادسة قد امتدت مشروعات القوافل، التي كان يرسلها أمراء مقاطعة «أسوان» وعظماء تجارها من «إلفنتين» إلى بلاد النوبة والسودان؛ وذلك لأن أسماء الأماكن النوبية التي جاءت في المتون المصرية لم يمكن تحقيق مواضعها حتى الآن. وهذا العصر هو الذي أسس فيه المصانع التجارية في «كرما» التي اتخذها رجال القوافل نقطة ارتكاز، ومن المحتمل أنه في هذا العهد قد أقام المصريون محطًّا أو حصنًا، كما يدل على ذلك الآثار الباقية (راجع Steindorff, Aniba II).

(جـ) وعندما استوطن قوم مجموعة C [٧] وادي النيل في البقعة، التي تقع بين الشلال الأول والثاني في نهاية الأسرة السادسة أصبحت «عنيبة» بجوار «دكة» أهم بلدة ممثلة لهذا العهد. وفي الحروب التي نشبت بين الأهالي الأصليين وبين الأقوام الجائلين، قاسى الأهالي الذين كانوا على ما يظهر في الحصن عذاب الحريق الذي جعل عاليه سافله، وهذا العهد هو أقدم جزء في الجبانة N يمكن معرفته، وهو الذي يعرف بمجموعة C القديمة.

(د) وفي نهاية الأسرة الحادية عشرة ابتدأ عهد تغلب مصر الحربي على بلاد النوبة. وقد أقام «سنوسرت الأول» حصن «عنيبة» في مكان الحصن القديم (وهو الذي يعرف بالحصن الثاني) وفي خلال الأسرة الثانية عشرة أقيمت زيادات محسة على هذا الحصن. وفي هذا العهد أقيمت للمرة الأولى جبانة مصرية في منبسط الصحراء وهي المعروفة بالجبانة حرف S. وعلى الرغم من وجود أثر الفاتح المصري، فإن الثقافة النوبية مجموعة C كانت لا تزال هي الثقافة المزدهرة تمامًا. ولم تتوارَ هذه المدنية إلا في نهاية الدولة الوسطى، كما يظهر لنا ذلك من الفخار المنسوب إلى هذه المدنية فقد أخذ يختفي تدريجًا. والمقابر العديدة الخاصة بالجبانة حرف N، وبخاصة المقام

سقفها بحجر مقطوع من المحاجر، والقباب المبنية باللبن قد ظهرت في هذا العهد، وكذلك في العهدين الثالث والرابع للمستعمرة أي: في مجموعة C الوسطى.

(هـ) ولما كان قد قُضي على قوة مصر السياسية في عهد الهكسوس، فإن ثقافة مجموعة C النوبية قد انتعشت من جديد، وهذا العهد يعرف بعهد ثقافة مجموعة C المتأخرة.

(و) وعندما تمصرت بلاد النوبة في أوائل الدولة الحديثة اختفت ثقافة مجموعة C. ولدينا كثير من الموظفين المصريين الذين سكنوا في «عنيبة»، ودفنوا في مقابر خاصة أقيمت لهم، كما يوجد آخرون ممن اهتموا بالعمل على أن تدفن جثثهم في أرض الكنانة نفسها؛ لأجل أن تحنط ويحتفل بها احتفالًا دينيًّا. ولكننا لا نعلم على وجه التأكيد إلى أي حد اشترك النوبيون في «عنيبة» في الحكم. وعلى أية حال نجد أنه كان يعيش بجانب المصريين، وبمعزل عنهم سكان أصليون تحت حكم رئيس من بني جلدتهم، ويحمل لقب «أمير معام» ويدعى «حقا نفر» وقد عاش في عهد «توت عنخ آمون»، وكان بين عظماء «واوات» الذين أحضروا الجزية المفروضة عليهم لابن الملك في «طيبة»، وقد بقيت السيادة المصرية مستمرة في «عنيبة»، حتى حكم الفرعون «رعمسيس السادس» الذي نحن بصدده الآن.

وفي عهد الأسرة الثامنة عشرة تم بناء مدينة «عنيبة»، التي بدأت في عهد الدولة الوسطى، وكذلك أقيم المعبد في الركن الشمالي الشرقي داخل السور.

ويتبع الجزء الرئيسي من الجبانة S بما فيها من آبار ومقابر هرمية الشكل هذا العهد، وفي نهاية هذه الجبانة تقع مقبرة «بننوت» العظيمة المحفورة في الصخر (راجع Steindorff Aniba, I, p. 21 ff.).

(٣) الآثار التي خلفها «رعمسيس السادس»

(٣-١) سرابة الخادم (المعبد)

وجد لهذا الفرعون نقوش على عمد في إحدى قاعات المعبد باسمه،[٨] وكذلك عثر على الجزء الأعلى من لوحة في المعبد صور في أعلاها المستدير قرص الشمس المجنح. وفي الجزء الأسفل رسم الفرعون لابسًا التاج الأزرق، وهو يتعبد للإلهة «حتحور» ربة الفيروزج.[٩]

(٣-٢) بنها

وجدت له قطعة حجر عليها طغراؤه.[١٠]

(٣-٣) تل بسطة

عثر لهذا الفرعون على عدة آثار في «تل بسطة» (الزقازيق الحالية) منها:

(١) الجزء الأسفل من تمثال من الجرانيت الأسود وقد ترك في مكانه.[١١]

(٢) تمثال صغير من الحجر الجيري «لرعمسيس السادس»، وهو محفوظ الآن «بالمتحف المصري».[١٢]

(٣) الجزء الأعلى من تمثال من الجرانيت الأحمر «لرعمسيس السادس» وهو «بالمتحف المصري» أيضًا.[١٣]

(٣-٤) منف

يوجد بمتحف «كوبنهاجن» كرنيش عليه طغراء هذا الفرعون،[١٤] وقد عثر عليه في «منف»، وكذلك توجد قطعة من الحجر باسم «رعمسيس الثالث» اغتصبها «رعمسيس السادس» لنفسه.[١٥]

(٣-٥) وفي السرابيوم

وجد مدفن للعجل «أبيس الثاني» من عهد الفرعون «رعمسيس السادس».[١٦]

(٣-٦) قفط

وفي «قفط» عثر على الجزء الأعلى من لوحة باسم «إزيس» بنت الفرعون «رعمسيس السادس» في الجزء الخلفي من معبد البطالمة القائم في هذه الجهة، وهذه اللوحة لها أهمية تاريخية، إذ منها نعرف أن اسم زوج «رعمسيس السادس» هو «نب خزدب» (ذهب ولازورد) ولم يكن معروفًا من قبل. ويشاهد في وسط اللوحة إهداء «لأوزير» الملك رب الأرضين «نب ماعت رع» محبوب «آمون» بن «رع» «رعمسيس أمنحر خبشف نتر حقا إيون» والد الزوجة المقدسة «لآمون» (عابدة الإله «إزيس») ويُرى على اليمين في اللوحة «إزيس» تقدم القربان «لأوزير» …



شكل ٣: لوحة المتعبدة الإلهية «إزيس» بنت «رعمسيس السادس».

رب الأرض المقدسة والإله العظيم رئيس الجبانة وهي تقدم قربانًا «لأوزير» رب الأبدية قائلة: «ليتك تجعلني أتسلم طعامًا مما يقدم على موائد قربانك يشمل كل شيء طيب وطاهر من «أوزير» الزوجة الإلهية «لآمون» (عابدة الإله «إزيس») المبرأة.» وخلف «إزيس» هذه اسم والدها الملك

رب الأرضين «نب ماعت رع» محبوب «آمون» بن «رع» «رعمسيس» ... وعلى يسار اللوحة نشاهد الأميرة «إزيس»، تقدم القربان للإله «رع حوراختي» الذي بأشعته تضيء الأرض، الإله العظيم، أمير الأبدية. وتقول: «إني ألعب بالصاجات أمام وجهك، والذهب أمامك، فهب لي أن أرى الفجر المبكر.»

ما قيل على لسان «أوزير»: «الأميرة الوراثية صاحبة الحظوة العظيمة، والزوجة الإلهية «لآمون»، والابنة الملكية (عابدة الإله «إزيس») ووالدتها هي زوجة الملك العظيمة التي يحبها، سيدة الأرضين «نب خزدب» المبرأة». وهذه اللوحة محفوظة الآن بمتحف «مانشستر» (راجع Petrie Kaptos 616) (انظر الشكل ٣).

وكذلك وجد لهذا الفرعون تمثال جالس، وهو محفوظ الآن بمتحف «ليون».[١٧]

وفي متحف «القاهرة» يوجد رأس «لرعمسيس السادس» في صورة الإله «بتاح-خبري»، وقد سمي خطأ «رعمسيس الرابع».[١٨]

(٣-٧) آثاره في «طيبة»

عثر «لجران» في خبيئة «الكرنك» على تمثالين للفرعون «رعمسيس السادس». أهمهما منحوت في الجرانيت الرمادي. وهو يعد من القطع الفنية المنقطعة النظير حتى الآن، فقد مثل الفرعون واقفًا برأس مرفوع ويمشي بخطًى واسعة، وفي يده اليمنى بلطة حرب، ويقبض بيده اليسرى على ناصية لوبي يمشي منحنيًا بجواره، وذراعاه مكتوفتان خلفه. ويشاهد الأسد الأليف يسير بين الملك والأسير اللوبي (انظر الشكل ١).

أما التمثال الثاني فقد صنع في حجر الشيث، ويبلغ ارتفاعه حوالي ٩٢ سنتيمترًا، وقد مثل ماشيًا وممسكًا بيديه صورة تمثال صغير للإله «آمون» موضوع على قاعدة. ويلبس الفرعون التاج المزدوج.[١٩]

وكتب على قاعدته من جهة اليمين ملك الوجه القبلي والوجه البحري: «نب ماعت رع مري آمون» وهو لقب الفرعون، وعلى اليسار كذلك كتب نفس اللقب ونقش بين تمثال «آمون» و«رعمسيس السادس» على وجه العمود الداخلي لساق الفرعون الأيمن صورة أمير فتى كتب فوقه: «ابن الملك حاكم هليوبوليس sic سيد مصر».

ورسم على الوجه الخارجي لطرف الساق الأيسر «لرعمسيس السادس» صورة ملكة واقفة رافعة يدها اليمنى نحو الفرعون، وممسكة بيدها اليسرى زهرة بشنين. وقد كتب فوقها: «الزوجة الإلهية والأم الملكية ...» ومما يؤسف له أن طغراءها مهشم فلم نعرف اسمها على وجه التأكيد، وقد نقش على العمود الذي يحمي ظهر التمثال أسماء الفرعون وألقابه.[٢٠]

وصناعة التمثال جميلة جدًّا، وعلى الرغم من أن تماثيل «رعمسيس السادس» هي من طراز العهد، الذي كان قد أخذ فيه الفن ينحط فعلًا في عهد الرعامسة، فإنها مع ذلك جديرة بأن يشار إليها هنا لجمالها نسبيًّا. حقًّا إن تمثاله هذا ليس كاملًا من كل الوجوه إلا أنه من الوجهة التقليدية يعد من القطع الممتازة تقريبًا (راجع Legrain Stat. II. No. 42153).

(٣-٨) وفي «الكرنك»

كتب اسمه على مسلة «تحتمس الأول» الجنوبية في الأسطر الخارجية.[٢١]

وكذلك كتب اسمه على البوابة التاسعة (الثامنة على حسب تعداد «لبسيوس») فوق اسم «رعمسيس الرابع»، وكذلك نلاحظ أن النقوش التي في أسفل السفينة المقدسة، وهي التي كانت باسم «رعمسيس الرابع» قد غيرت باسم هذا الفرعون (راجع Petrie. Hist, of Egypt III p. 172).

(٣-٩) الرمسيوم

وفي معبد «الرمسيوم» نجد أن طغراء «رعمسيس السادس» قد كتب كذلك فوق طغراء «رعمسيس الرابع» (L. D. III, p. 130) على الجانب الخلفي للعمود الذي في أقصى الجنوب.

(٣-١٠) مدينة هابو

وفي «مدينة هابو» نجد اسم هذا الفرعون منقوشًا على جدران مساكن البوابين (راجع L. D. T. III, p. 156).

(٣-١١) وفي معبد «الأقصر»

نقش اسمه وربما أنه زاد بعض المباني في هذا المعبد (Weigall, Guide p. 71).



شكل ٤: تمثال «رعميس السادس» ممسكًا بيده تمثال الإله آمون.

(٣-١٢) الكاب

وفي معبد «الكاب» يوجد في غربي الردهة طوار أقيم أمامه لوحة قطعت في الصخر يشاهد عليها هذا الفرعون يقدم للإله «حرمخيس» والإلهة «نخبت» ربة «الكاب» القربان، ولكن هذا الأثر

كان في الأصل قد صنعه موظف مُحي اسمه الآن، وقد مثل وهو يصلي لروحه الذي يتسلم القربان العادية (راجع Weigall. Guide p. 328).

(٣-١٣) وفي دير «البخيت» (طيبة الغربية)

وجدت ثلاث قطع عليها نقوش وصور، وتدل النقوش على أنها من عهد «رعمسيس السادس»، إذ كتب عليها اسم ابنته «إزيس» (راجع L. D. T. III, p. 100-101) وكذلك ظهر عليها اسم وزيره «نحسي».

(٣-١٤) أرمنت

نقش «رعمسيس السادس» اسمه باللون الأحمر فوق اسم «رعمسيس الرابع» على بوابة «تحتمس الثالث» (على الجانب الأيمن من المدخل). وتدل شواهد الأحوال على أن ثلاثة الأسطر من النقش الذي في هذه الجهة قد أعيد نقشها مرات عدة على يد ملوك مختلفين من الرعامسة، ويمكننا أن نشاهد في إحدى الحالات ثلاث طغراءات نقشت الواحدة فوق الأخرى، وهذه الأسطر الثلاثة كان قد نقشها في الأصل «رعمسيس الثاني». وقد كان آخر من نقش اسمه هنا «رعمسيس السادس». [٢٢]

وكذلك عثر في «أرمنت» في معبد «البوخيوم» (أي معبد العجل «بوخيس») على قطعة من الحجر صوِّر عليها رأس «رعمسيس السادس» يتعبد وهي محفوظة «بالمتحف البريطاني».[٢٣]

(٣-١٥) الرديسية

ويوجد في معبد «الرديسية» نقش في الصخر عليه طغراء «رعمسيس السادس». وهذا النقش قد حفر على الجدار الخارجي في الجهة الشرقية من الردهة الأمامية (راجع L. D. T. IV, p. 75).

(٣-١٦) جزيرة «سهيل»

وعلى صخور جزيرة «سهيل» نقش الكاهن الأكبر للإله «خنوم» المسمى «دوامن» لوحة مثل فيها واقفًا أمام الإله «آمون رع» ملك الآلهة، وثالوث الجزيرة وهم: الإله «خنوم»، والإلهتان «ساتيت» و«عنقت»، وقد ظهر خلف هذه الإلهة طغراء هذا الفرعون وصورته.[٢٤]

(٣-١٧) عمارة «غرب»

وفي المعبد الذي عثر عليه حديثًا في بلاد النوبة في عمارة «غرب» نقش الفرعون «رعمسيس السادس» اسمه على المدخل الرئيسي على الجانبين من البوابة (J. E. A. Vol. 24. p. 155).

ويقول «فرمان»: إن النقوش التي ظهرت في هذا المعبد وُجد فيها اسم نائب جديد لبلاد النوبة لم يكن معروفًا من قبل وهو «سا إيست»، وإن النائب «ونوات» يرجع عهده إلى عصر «رعمسيس التاسع»، وربما كان هو نفس «ونتاوت» الذي ذكره «ريزنر» (راجع J. E. A. Vol. 25. p. 143).

وقد وجد لهذا الفرعون عدة تماثيل مجاوبة من المرمر الخشن الصنع جدًّا مشوهة التصوير ولونت بالأسود والأخضر وعددها ثمانية منها خمسة في المتحف البريطاني (راجع B. Mus. 8699 29998-9 ;…) وثلاثة في «ليفربول» (Gatty. Cat. Liverpool 225)، وكذلك وجد له خاتم من الخشب في «تورين» (راجع الشكل ٣).

(٣-١٨) وفي «ليدن»

آنية من الخزف المطلي من مدفن العجل «أبيس» عليها اسم الفرعون «رعمسيس السادس» محفوظة الآن بمتحف «باريس» (راجع Matiette, Serapium 22,3) وكذلك يوجد في «ليدن» قطعة من حزام من الجلد عليه اسم هذا الفرعون.[٢٥]

(٣-١٩) وفي «تورين»

توجد بردية عليها أنشودة باسم هذا الفرعون (راجع Pleyte. Papyrus De Turin 31–3).

وقد عثر له على عدة جعارين منها أربعة في مجموعة «فلندرز بتري»، واثنان «بمتحف اللوفر»، وفي «تورين» و«المتحف المصري».

(٤) مقبرة «رعمسيس السادس»

تحدثنا عن مقبرة «رعمسيس السادس» عند الحديث على مقبرة سلفه «رعمسيس الخامس».

وقد وجدت جثته في مقبرة الفرعون «أمنحتب الثاني»، وقد وصفها «مسبرو» بما يأتي: طول المومية متر واحد وسبعون سنتيمترًا، والتابوت مصنوع من الخشب الملون، وهو للكاهن الأول «لآمون»، والكاهن الأول للفرعون «تحتمس الثالث» الذي كان يدعى «رعيا»، وقد وضع كهنة الأسرة الواحدة والعشرين مومية الفرعون «رعمسيس السادس» في تابوت هذا الكاهن. وقد كشف عنها عام ١٨٩٨ «لوريه»، وفحصت عام ١٩٠٥م على يد الدكتور «إليوت سميث» وكان قد هشمها اللصوص، فأصلح من شأنها الكهنة بوضع أجزائها على لوحة، وضم بعضها إلى بعض لتأخذ صورة جسم إنسان (راجع Maspero, Guide (1915) p. 403).

وكان طول «رعمسيس السادس» ١٫٧١٤ متر وتدل حالته على أنه كان متوسط العمر عند وفاته، ويحتمل أنه كان أسن من «رعمسيس الخامس» وأصغر من «رعمسيس الرابع». وقد حنط جسمه على طريقة تحنيط سلفيه.

ولم يُرَ على وجهه شعر بالعين المجردة إلا رمش العينين، غير أنه بالعدسة وجد أن ذقنه حليق تمامًا ويمكن رؤية شاربه. والجزء الأمامي من رأسه أصلع ولكن مع ذلك يُرى بعض الشعر في باقي الرأس.

وقد غُطي الوجه والعينان بطبقة كثيفة من عجينة الراتنج. ووجدت أذناه مثقوبتين، أما أسنانه فكانت متآكلة بدرجة خفيفة (راجع Elliot Smith The Royal Mummies p. 93-4, Pls. LVIII–IX).

(٥) الكاهن الأكبر «لآمون» في عهد «رعمسيس السادس»

رأينا عند الكلام على ورقة «فلبور» أن الكاهن الأكبر «رعمسيس نخت» قد عاش في عهد الفرعون «رعمسيس الخامس»، وأنه كان ذا مكانة عظيمة هو وأسرته في إدارة البلاد من الناحية المالية والدينية. وقد دل على ذلك الكشوف الجديدة بالإضافة إلى ما جاء في ورقة «فلبور». فقد رأينا أن والده كان كبير رؤساء الضرائب في البلاد، وأن أحد أبنائه المسمى «وسر ماعت نخت» قد ورث هذا المنصب عنه، كما كان «رعمسيس نخت» الكاهن الأكبر «لآمون» في «الكرنك». وقد ورث عنه هذه الوظيفة ابنه الأكبر «نسيآمون»، وقبل أن نتحدث عن الأخير يجدر بنا أن نذكر أفراد هذه الأسرة، التي كان في أيدي رجالها معظم الوظائف الهامة الرئيسية في البلاد في عهد ملوك الرعامسة الأواخر.

(٥-١) مري باستت

كبير رؤساء الضرائب، والمشرف على كهنة آلهة «الأشمونين» كلهم وكاتم أسرار الفرعون، والمدير العظيم لسيد الأرضين، والمدير العظيم للمعبد الملكي (معبد مدينة هابو) «مري باستت» (أي «مري باستت»).

زوجه

رئيسة حريم الإله «آمون» (لم يذكر الاسم).

(١) ابنه: الكاهن الأكبر للإله «آمون رع» ملك الآلهة «نسيآمون».

(٢) ابنه: الكاهن الأكبر «لآمون رع» ملك الآلهة «أمنحتب».

(٣) ابنه: «وسر ماعت رع نخت» مدير بيت «آمون»، وكبير رؤساء الضرائب، والمدير العظيم للأراضي الملكية (راجع Wilbour, Pap. II, p. 150).

(٤) ابنه: الكاهن والد الإله «لآمون رع» ملك الإلهة «مري بارست» (أو «مري باستت») (أو «مري باستت») (وهو حمو «ستاو») صاحب الكاب.

ابنته

رئيسة حريم «آمون» (عزوت) زوج «أمنمؤبت» الكاهن الثالث للإله «آمون»، والكاهن أعظم الرائين للإله «رع» في «طيبة»، والكاهن الأول للإلهة «موت».

(٥-٢) نسيآمون: الكاهن الأكبر «لآمون» في «الكرنك»

تولى «نسيآمون» رياسة الكهانة في «معبد الكرنك» بعد وفاة والده «رعمسيس نخت»، الذي رأينا أنه كان يشغل هذه الوظيفة في عهد «رعمسيس الخامس». ولا نزاع في أنه كان يشغل هذه الوظيفة في عهد «رعمسيس السادس». وهذا الكاهن الأعظم لم يترك لنا أي أثر. والواقع أننا لم نعرف اسمه ووظيفته إلا من الإهداء الذي على تمثال والده وهو: «عمله ابنه الذي جعل اسمه يحيا؛ الكاهن الأول «لآمون» ملك الآلهة «نسيآمون».» وقبل الكشف عن هذا التمثال كان مجرد وجود «نسيآمون» أمرًا مجهولًا، وقد وجد خطأ اسم هذا الكاهن في قائمة الكهنة العظام التي وضعها «فرشنسكي».[٢٦]

وذلك لأن «نسيآمون» الذي جاء ذكره في ورقة «أمهرست وليو بولد الثاني»، كما سنرى بعد وهو الذي أشار إليه «فرشنسكي» لم يحمل قط لقب الكاهن الأول «لآمون» بل كان مجرد كاهن «سم» ملحقًا بمعبد «رعمسيس الثالث» في ضيعة «آمون» (أي مدينة هابو). وهذه الورقة التي

تعد مكملة بصورة ما لورقة «إبوت» تشمل اعتراف لص نهب مقبرة الملك «سبكمساف»، وكذلك أسماء شركائه في الجريمة، وقد ذكر فيها كذلك عدد من المذنبين الذين أفلحوا في الهرب، وهم العامل «ستنخت» بن «بنعنقت» الملحق بمعبد «آمون» بمدينة «هابو»، وقد وضع تحت إدارة الكاهن الأكبر للإله «آمون رع» ملك الآلهة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى الكاهن «سم» المسمى «نسيآمون» التابع لمعبد «آمون» في «مدينة هابو».[٢٧]

وعلى أية حال فإن محضر قضية ورقة «إبوت» مؤرخ بعهد «رعمسيس التاسع» كما سنرى بعد، وقد كان الكاهن الأكبر «لآمون» وقتئذ هو «أمنحتب» بن «رعمسيس نخت»، وعلى ذلك فإنه لا يجوز قط أن نذكر اسم «نسيآمون» في قائمة الكهنة العظام للإله «آمون» الكرنك قبل الكشف عن تمثال والده «رعمسيس نخت»، كما أنه لم يكن من الجائز أن نذكر اسم «باسر» قبل الكشف عن تمثاله على يد «لجران» في خبيئة الكرنك (راجع مصر القديمة ج٦). والواقع أنه كان يوجد كاهن أكبر «لآمون» اسمه «باسر»، وكذلك كان يوجد كاهن أكبر اسمه «نسيآمون»، ولكنهما ليسا الشخصين اللذين نُسبت إليهما هذه الوظيفة السامية بدون سند يعتمد عليه.

---

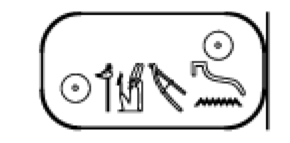
[١] راجع: Wilbour, Pap. II Text A. Section II, 37, 14.

[٢] راجع: Steindorff, Aniba II, p. 242 ff & Tafel. 101–4.

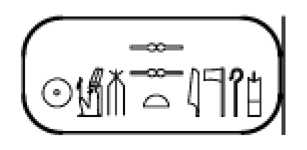
[٣] لم يذكر اسم نائب «كوش» هنا ويحتمل أنه «ونتاويات» (راجع مصر القديمة ج٥). J. E. A. Vol. 6 p. 50.

[٤] راجع: Wilbour Pap. II, p. III.

رعمسيس السابع



وسر ماعت رع مري آمون ستبن رع



رعمسيس آن آمون نترحق أيون

لقد ظلت مدة حكم هذا الفرعون مجهولة — كسابقه — إلى أن كتب الأستاذ «بيت» مقاله العظيم عن تواريخ دولة الرعامسة (راجع J. E. A. vol. XIV p. 52 ff) وفيه كشف عن بعض نقط هامة تحدد لنا تواريخ بعض هؤلاء الملوك. وقد ساعده في الكشف عن مدة حكم هذا الفرعون بالذات ما جاء في ورقة محفوظة الآن بمتحف «تورين» لم تكن محتوياتها قد نشرت بعد (راجع J. E. A. vol. XI p. 72 ff).

وهذه الورقة خاصة ببعض حسابات. ومنها استخلص الأستاذ «بيت» أن الفرعون «وسر ماعت رع» (رعمسيس السابع) كان الخلف المباشر للفرعون «رعمسيس السادس»، وأنه حكم على أقل تقدير ست سنوات.

والآثار التي تركها هذا الفرعون قليلة ومعظمها مغتصب أو مقام بحجارة من مبانٍ مجاورة؛ مما يدل على فقر الملوك في هذه الفترة وقلة مواردهم.

وأهم أثر كُشف عنه في منطقة «هليوبوليس» من عهد هذا الفرعون هو مقصورة للعجل «منفيس» غرب قرية «الأطاولة» شمالي «هليوبوليس». والواقع أنه توجد جبانة للعجل «منفيس» على مسافة ٢ كيلومتر من «عين شمس» تقريبًا. وتحتوي على مقابر لعجول «منفيس» يرجع عهدها إلى عهد الأسرة العشرين وما قبلها، وكل اللوحات التي وجدت في هذا المكان محلاة برسم هذا العجل.

والمقبرة التي تنسب إلى عهد هذا الفرعون كشف عنها «أحمد باشا كمال» سنة ١٩٠٢، وقد نسبها خطأ لعهد «رعمسيس الثالث». ثم كتب عنها «دارسي».[١]

وجدران هذه المقبرة تتألف من أربعة مداميك؛ الثلاثة العليا منها مغطاة بالنقوش، وأما الأخير فخالٍ من النقوش كلية، وليس لهذه المقبرة إلا باب واحد من الجنوب يفتح نحو مدينة الشمس، وعرضه ١,٢٠ من المتر، وقد كان هذا الباب مسدودًا بحجر واحد ضخم، أما المقصورة نفسها فتبلغ مساحتها ٥,٨٦ × ٧,٧٩ أمتار، وقد بنى «رعمسيس السابع» هذه المقبرة بأحجار مأخوذة من قاعات «معبد هليوبوليس» الذي كان مخربًا آنئذ، وقد كُسِيَ خارج هذه المقصورة باللبن، أما من الداخل فقد كانت محلاة بصور دينية ومعها متون مفسرة لها.

فنشاهد فوق الباب قرص الشمس المجنح، وقد كتب في أسفله: «ملك الوجه القبلي والوجه البحري «وسر ماعت رع آمون ستبن رع» محبوب «مرور» (العجل منفيس) بن رع «رعمسيس السابع» محبوب العجل «منفيس».» وقد نقش على العارضة اليمنى للباب من أسفل: «إله برأس أسد واقف وفي يده سكين وفوقه نقش عمودي: الإله الطيب الذي يعمل الخير في بيت والده (الثور منفيس) ملك الوجه القبلي والوجه البحري، رب الأرضين، معطي الحياة، ابن رع رب التيجان مثل «رع» لقد عمله بمثابة أثره لوالده لتكون مقصورة فاخرة لإخفاء الجثة أبديًّا.»

وعلى العارضة اليسرى يشاهد من أسفل صورة ابن آوى (إله التحنيط) وفوقه متن مهشم، ويدل ما تبقى منه على أنه إهداء كالسابق.

الجدار الشمالي: يشاهد في أعلى الشمال قرص الشمس المجنح، وتحته رسم بناء يعلوه كرنيش فيه مومية العجل منفيس ممثلًا مضطجعًا على سرير برأس أسد متجهًا نحو اليمين (الشرق) وقد وضع قرص الشمس بين قرنيه، وعلى كتفه صورة صقر منتشر الجناحين قابض بمخالبه على الحلقة الدالة على الأبدية، وتحت رأس الثور رسم الفرعون راكعًا، ورافعًا يديه ليمسك بهما طبقًا فيه رأس

الحيوان المقدس، وقد كتب فوق الثور النقش التالي: الثور «منفيس» (مرور) الكائن الطيب (أي أوزير المتوفى) الذي يبلغ العدالة للملك، ويمنحه الحياة والثبات والعافية ملك الوجه القبلي والوجه البحري «رعمسيس السابع». وتحت الثور نقش ما يأتي: يعيش الإله الطيب الذي يجعل الطيبات تعمل في قاعة عمد العدالة ملك الوجه القبلي والوجه البحري، رب الأرضين «رعمسيس بن رع» من صلبه، ومحبوبه، رب التيجان «رعمسيس» معطي الحياة مثل «رع». لقد عمله بمثابة أثره لوالده الثور «منفيس».

الجدار الشرقي: وقد قسم هذا الجدار قسمين متساويين، يحتوي كل قسم منهما على منظرين:

المنظر الأول من الشمال (من اليمين إلى الشمال): يشاهد فيه الملك يقدم رغيفًا ثلاثي الشكل لثلاثة آلهة كل منها برأس صقر، وفوق الآلهة نقش ما يأتي: «الآلهة أرواح مدينة[٢] (ب).»

اللوحة الثانية: يشاهد الملك يصب الماء من إناء أمام أربعة آلهة «أوزير» محنطة وفي يده الصولجان «واس»، وتتبعه «إزيس» قابضة على نبات بردي، وباقي المنظر مهشم.

المنظر الثالث: يشاهد فيه الفرعون واقفًا أمام مائدة قربان يقدم إناءين من الخمر لخمسة آلهة، وهم: «جب» إله الأرض، و«توت» إلهة السماء، و«إزيس» و«نفتيس»، ثم الإله «حور» لابسًا التاج المزدوج ... إلخ.

المنظر الرابع: يشاهد فيه الفرعون أمام مائدتين من القربان مقدمًا القرابين لأربعة آلهة وهم أرواح بلدة «نخن»،[٣] وقد نقش فوق الفرعون اسمه ولقبه.

الصف الأسفل: اللوحة الأولى: يشاهد فيها الفرعون يقدم على طبق أربعة أوانٍ للإلهة «نايت» وكتب فوق الملك: «رب الأرضين، وسيد التيجان «رعمسيس»، وعلى الآلهة نقش: «نايت» الأم الإلهية، معطية الحياة، والصحة كلها، والعافية كلها مثل «رع» أبديًّا.»

اللوحة الثانية: الملك يقدم أربعة أوانٍ على طبق للإله «حابي» واقفًا برأس قرد (وهو أحد الآلهة الأربعة الذين يحفظون أحشاء المتوفى) وفوق الملك كتب: «رب الأرضين، وسيد التيجان،

«رعمسيس»، وفوق الإله «حابي» كتب اسمه والصيغة العادية، (غير أنها مهشمة بعض الشيء): معطي الحياة والعافية كلها مثل «رع».»

اللوحة الثالثة: الملك يصب الماء من إناء أمام الإله «كبح سنوف» معطي الحياة والعافية كلها مثل «رع» (وهو أحد الآلهة الحارسين للأحشاء).

اللوحة الرابعة: الملك يقدم طاقتين من البشنين للإله «أنوبيس» برأس ابن آوى، ونقش فوق الملك: «يعيش الإله الطيب، ابن «رع»، رب الأرضين، «رعمسيس» سيد التيجان.» ونقش فوق «أنوبيس»: «أنوبيس» الذي في أكفانه معطي الحياة (وهذا الإله كان يحفظ المتوفى ويكفنه).

اللوحة الخامسة: الملك أمام مائدتين يقدم النار، ويصب الماء أمام إلهين برأس إنسان، وفوق الملك كتب اسمه ولقبه: رب الأرضين وسيد التيجان. وفوق الإلهين: موقد النار، ومن يجعله يرى والده. وأمام الملك كتب: إطلاق البخور لوالده. وأمام الإلهين: لقد أعطيناك الشجاعة كلها والقوة.

المنظر السادس: الملك أمام قربان يتعبد للإلهة «نايت» لابسة التاج الأحمر. (والظاهر أن الكاتب هنا قد وضع الإلهة «نايت» خطأ بدلًا من الإلهة «إزيس» التي ذكرت في المتن). وفوق الملك كتب اسمه ولقبه، وفوق «إزيس» كتب: كلام تقوله «إزيس» العظيمة، «الأم الإلهية».

الجدار الغربي: الصف الأعلى: اللوحة الأولى: يشاهد الفرعون واقفًا أمام مائدتين من القربان، يصب الماء أمام ثلاثة آلهة برءوس بشرية، وكتب فوق الملك: رب الأرضين وسيد التيجان «رعمسيس» … إلخ.

اللوحة الثانية: يُرى الفرعون أمام مائدة قربان وهو يتعبد لأربعة آلهة واقفين برأس ثور، وتتبعه الإلهة «نوت»، وفوق الملك كتب اسمه، وفوق المتن نقش مهشم بعض أجزائه «… الثور «منفيس» ابن البقرة «حسات» الذي يصعد إلى «آتوم» …» إلخ.

اللوحة الثالثة: يشاهد فيها الفرعون يصب الماء على مائدة من إناء يقبض عليه بكلتا يديه، وأمامه ثلاثة آلهة بأجسام محنطة يقبض كل واحد منهم بيديه على الصولجان «واس»، وقد مثل كل منهم

برأس ثور، ويتبع الفرعون البقرة «حسات»، وعلى رأسها قرص الشمس وقرنان ملصقان بالريشتين العاليتين اللتين تتحلى بهما. وفوق الملك كتب اسمه.

أما فوق الآلهة فقد نقش ما يأتي: الثور «منفيس» (مر-ور) الكائن الطيب «منفيس» ابن البقرة «حسات»، و«منفيس حسات» «الأم الإلهية» (أي أم الثور «منفيس»).

اللوحة الرابعة: الملك يقدم كأسًا لثلاثة آلهة واقفين، وكل واحد منهم برأس إنسان، وهم آلهة الجنوب. وقد كتب فوق الملك اسمه: «رعمسيس» معطي الحياة أبديًّا، وفوق الآلهة: آلهة الجنوب.

الصف الأسفل: اللوحة الأولى: الملك يتعبد — وذراعاه منخفضان — للإلهة «نفتيس». وقد كتب فوق الملك اسمه، وفوق الإلهة: كلام تقوله «نفتيس» التي تعطي الحياة. وأمام الإله نقش: التعبد للإلهة. وأمام الإلهة: أعطيك السلامة كلها.

اللوحة الثانية: الملك يقدم آنية تحتوي على نار لإله برأس «مالك الحزين» (تحوت) وفوق الفرعون كتب اسمه ولقبه كالمعتاد. وفوق الإله كتب: الذي تحت الزيتونة، رب السماء الذي يعطي الصحة كلها. وكتب أمام الإله: إني أعطيك فرح القلب كله.

اللوحة الثالثة: الملك يقدم إناء لإله في هيئة صقر، يلبس التاج المزدوج. وفوق الملك كتب اسمه ولقبه كالعادة. وفوق الإله كتب: «حورختني» ... وأمام الإله كتب: إني أعطيك القوة كلها.

اللوحة الرابعة: الملك يقدم رغيفًا طويلًا للإله «دواموتف» (أحد الآلهة حفظة الأحشاء) واقفًا وبيده الصولجان «واس» ومصورًا برأس ابن آوى. وفوق الفرعون كتب اسمه ولقبه، وفوق الإله كتب: كلام يقال بوساطة الإله «دواموتف» ... وأمام الملك كتب: تقديم رغيف «شنس» ... وأمام الإله تقديم ... كل الطعام.

اللوحة الخامسة: الملك يقدم إناءين من الخمر للإله «أمستي»، وقد كتب فوق الملك اسمه ولقبه كالمعتاد. وفوق الإله: «أمستي» يعطيه كل الحياة والعافية. وأمام الفرعون: تقديم إناءين من النبيذ لوالده «أمستي».

اللوحة السادسة: الملك يقدم طاقتين من الأزهار للإلهة «سلكت» وعلى رأسها حية، وفوق الملك اسمه ولقبه. وفوق الإلهة كتب: «سلكت» معطاة كل الحياة مثل «رع».

هذا وصف موجز لما نُقش على جدران هذه المقصورة، ومن محفوظة «بالمتحف المصري». يضاف إلى ذلك لوحة لم يتبقَ منها إلا قطعتان، وهي من الحجر الجيري. وقد جاء عليها ذكر إقامة هذا القبر للعجل «منفيس» بأمر من الفرعون «رعمسيس السابع». وهاتان القطعتان من أسفل اللوحة ومتنهما مهشم، ويفصل بعضهما عن بعض فجوة كانت تشمل سطرين. وعلى جانبي اللوحة كُتب اسم الفرعون وألقابه الرسمية.

وقد عثر في هذا القبر على لوحة مستديرة القمة. وفي هذا الجزء المستدير نقرأ المتن التالي: «الثور «منفيس» (مر-ور) مكرر[٤] «رع». قربان يقدمه الملك لروح الثور «مر-ور» عندما يمتزج «برع»، ويرتفع مع «آتوم»، وإلى روح الكاهن أعظم الرائين «وعبب م برع» بن «أنحور».» وهذه الصيغة يتبعها منظر يشاهد فيه العجل «منفيس» واقفًا على محراب، ومحاطًا بالبشنين، ومتوجًا بقرص الشمس، وأمامه مائدة قربان عليها طاقة أزهار. والكاهن أعظم الرائين قد مثل كذلك واقفًا يحرق البخور.

وفي أسفل اللوحة صيغة دينية تتألف من ستة أسطر، وهي: قربان يقدمه الملك لروح الثور «منفيس» مكرر «رع»، عندما يصعد «لآتوم» ليعطي الهواء لحنجرته في عالم الآخرة في بيت «رع»، والحمد في بيت «آتوم» الكاهن أعظم الرائين التابع لمعبد «رع»، والخبز «لأنحور» المرحوم، رب الاحترام، ويجعله يبتلع الهواء الجميل، رب الاحترام.

وبعد ذلك نشاهد على اليمين في اللوحة صورة الكاهن الأعظم للشمس مرتديًا قميصًا ذا ثنيات (كسر) ويتحلى بقلادة، رافعًا يده اليمنى تعبدًا، وفي يده اليسرى ساق بشنين.

وقد وجد كذلك في القبر سبعة أوانٍ للأحشاء، أربعة منها من المرمر، طول الواحدة منها خمسة وأربعون سنتيمترًا، وقد عثر عليها في الزاوية الشمالية الشرقية من القبر. وكل واحدة منها لها غطاؤها برأس الإله الذي يحمي جزءًا من أحشاء العجل. وهؤلاء الآلهة هم: «داموتف» ومعه الإلهة «نايت»، والإله «حابي» ومعه الإلهة «نفتيس»، والإله «أمستي» ومعه الإلهة «إزيس»، وأخيرًا الإله «كبح سنوف» ومعه الإلهة «سلكت». وقد كانت هذه الأواني — بطبيعة الحال — لحفظ أحشاء الثور «منفيس». وقد وجد كذلك إناء خامس مصنوع من الحجر الجيري بنفس الحجم السابق غير أنه كان خاليًا من النقوش، ووجدت ثلاثة أخرى مهشمة في الزاوية الشمالية الغربية خالية من النقوش.

وأخيرًا وجدت أربعة أوانٍ أخرى للأحشاء في الزاوية الجنوبية الشرقية أقل حجمًا من السابقة. هذا وقد عُثر على إناء كبير من الفخار مهشمًا.

أما مومية الثور فقد وجدت مهشمة في وسط القبر، غارقة في الماء. وقد وجدت بجوارها مقابض من النحاس، مما يدل على أنها كانت في تابوت من الخشب، وأنها سرقت في العصور القديمة ومزقها اللصوص.

وكذلك عُثر على آنية من الحجر الجيري ملونة باللون الأزرق، وارتفاعها ٧سم ونُقش عليها اسم «رعمسيس السابع»، ولقبه بالمداد الأسود. هذا إلى جُعَل من الحجر الجيري نقش عليه: «أوزير مرور» (أي أوزير الثور منفيس). وكذلك وجد جعرانان كبيران من حجر «الشيست»، وبعض أشكال آلهة صغيرة الحجم.

تعليق: تُعد هذه المقبرة من المقابر الهامة في هذا العصر المظلم، الذي لا نعرف فيه شيئًا عن أواخر ملوك الرعامسة. والواقع أن عبادة العجل «منفيس» — على ما يظهر — كانت منتشرة في عهد الرعامسة بصورة بارزة، وهذا الثور — كما ذكرنا من قبل — كان يعد حاجبًا للإله

«رع» ومبلغًا لأوامره وبخاصة العدالة التي كانت أهم قانون نشره «رع» على الأرض أيام كان يحكمها كما ذكرت الأساطير. ولم يكن الثور «منفيس» إلهًا بالمعنى الحقيقي كما نفهمه، بل كان مثله كمثل الفرعون؛ ولذلك كان يجري عليه ما يجري على الفرعون، فكان يحنط، وتعمل له أواني أحشاء باسمه، ويدفن في قبر خاص. ولعل السبب الأكبر في عناية الملوك بتحنيطه ودفنه هو أنه كان حاجبًا لوالده «رع»، الذي كان يعد والدًا لكل فرعون يحكم البلاد. وقد كانت كل المراسيم التي تقام للعجل «منفيس» يقوم بأدائها الفرعون نفسه، فكان يقدم له القربان ويحرق أمامه البخور؛ ويوقد له النار ليضيء له قبره وكان الاعتقاد السائد أن الثور «منفيس» بعد مماته يرتفع إلى السماء لينضم للإله «آتوم» في عالم السموات، وهذا هو نفس الاعتقاد فيما يخص الفراعنة (راجع مصر القديمة ج٦).

وخلاصة القول: أن رسوم هذه المقبرة وما جاء عليها من مناظر تقدم لنا صورة واضحة بأن الثور «منفيس» لم يكن إلهًا بالمعنى الحقيقي، بل كان إلهًا بالمعنى الذي نفهمه عن الفرعون، وكانت تُعمل له كل المراسيم التي كانت تعمل للفرعون.

آثار أخرى لهذا الفرعون: وقد جاء ذكر هذا الفرعون على بردية (Pleyte-Rossi p1. LXXII). وهذه الورقة تحتوي على متنين، وهما جزء من يوميات الجبانة. والصفحة الأولى من المتن الثاني (أسطر ٢–٨) تحتوي على قائمة ملابس أعطيت في السنة السابعة المواطنة المسماة «تاور تمحب»، وهي نصيبها في قسمة ملابس كانت للكاتب «أمننخت» بين أولاده، ومن المحتمل أنها كانت زوجه. وقد قام بعمل القسمة كاتب الجبانة المسمى «حوري».

ونجد — خلافًا لذلك — اسم هذا الفرعون منقوشًا على آثار بعض الملوك الذين خلفوه. ففي «الكرنك» نقش اسمه على قطعة حجر منسوبة إلى الملك «شبانا كا» الأثيوبي، مما يدل على أن

الأخير اغتصبها (راجع L. D, V., 49). ونجد في «الكرنك» أن هذا الفرعون محا اسم «رعمسيس الرابع»، وكتب اسمه فوقه على البوابة التاسعة (L. D. III, 219 a).

وفي «الرمسيوم» كذلك محا اسم «رعمسيس الرابع»، ونقش اسمه فوقه (راجع L. D. T. III p. 132).

وقد اغتصب هذا الفرعون موائد قربان باسم «رعمسيس الثاني» لنفسه، وهي محفوظة الآن «بمتحف باريس».[٥]

كما وجد له كذلك موائد قربان مغتصبة من نفس الفرعون «رعمسيس الثاني»، وهي محفوظة الآن «بمتحف مرسيليا».[٦]

ووجد له قاعدة تمثال نقش عليها اسمه، وهي محفوظة الآن «بمتحف اللوفر» برقم ٣١٨١٧.

وفي متحف «تورين» بردية دُوِّنَ فيها أنشودة لهذا الفرعون.[٧]

وفي «نانت» من أعمال فرنسا توجد قطعة بردي عليها اسمه في مجموعة مندويت.[٨]

وقد نقل صورة له «لبسيوس».[٩]

قبر الفرعون «رعمسيس السابع»: يقع قبر هذا الفرعون في مقابر «وادي الملوك». والظاهر أنه لم ينظف في الأزمان الحديثة، وهو صغير الحجم، وليس فيه من المناظر ما يلفت نظر المتفرج العادي. فيشاهد — على يمين الداخل — الملك يتعبد لصورة الإله «بتاح» — سكر — «أوزير» جالسًا. وعلى اليسار يتعبد الإله «حرمخيس-آتوم»، وكذلك ترى صور خرافية على كلا الجانبين في أثناء مرور الزائر، وبعد ذلك نرى ممثلًا على اليمين وعلى الشمال صورة الإله «حور عماد أمه». (أو صورة الكاهن، أو الأمير الذي يقوم بدور هذا الإله في الجناز) قابضًا بيده على إناء يتدفق منه ماء الطهور على الملك المتوفى، الذي مثل مرتديًا ملابس «أوزير». وبعد

ذلك ننتقل إلى حجرة الدفن حيث نشاهد تابوتًا خشنًا من الجرانيت غير كامل الصنع. وعلى جدران هذه الحجرة كانت الصورة المعتادة غير أنها قد هشمت هنا. وفي السقف صورة الإلهة «نوت» بالشكل المستطيل الذي تظهر فيه أحيانًا، وفي الكوة التي في نهاية الحجرة يشاهد الملك — على اليمين — يقرب العدالة للإله «أوزير-وننفر» إله الموتى. ولم يعثر قط على مومية هذا الفرعون. ومن المحتمل أن قبره لم يكن معروفًا للكهنة الذين نقلوا الموميات الفرعونية إلى مخبئهم. ومن المحتمل أنه وجد وسرق في عهد متأخر، وقد كان مفتوحًا؛ لأنه وجدت على جدرانه بعض نقوش على الصخر من عصور متأخرة (راجع .Weigall, Guide p. 195 f).

---

[١] راجع: Rec. Trav. 25. p. 29 ff; A. S. XVIII. p. 211–17; Gauthier, L. R. III, p. 203.

[٢] يقصد هنا الملوك السابقين؛ لأن كل ملك بعد موته يصير روحًا (راجع Sethe, Urgeschichte Und Alteste Réligion Der Agypter Par. 127).

[٣] راجع: Sethe, Ibid. Par. 127.

[٤] أي صورة «رع».

[٥] راجع: De Rouge, Monuments Egyp. du Louvre. p. 210, d, 61; Lepsuis Auswahl XIV.

[٦] راجع: Maspero, Cat. Marseille. p. 5.

[٧] راجع: Pleyete, Papyrus de Turin, 123.

الفرعون رعمسيس الثامن

«وسر ماعت رع آخن آمون»

«رعمسيس ست حرخبشف»

إن وجود هذا الفرعون لا يدل عليه في الآثار المصرية إلا طغراؤه الذي نشاهده في نقوش «مدينة هابو» في قائمة الأمراء (راجع L. D. III. p. 214) وكذلك وجد له ثلاثة جعارين (راجع L. D. III, p. 214).

وليس لدينا — بطبيعة الحال — أي دليل يبرهن على أنه كان خلف الفرعون «رعمسيس السابع» المباشر على عرش الملك. وعلى ذلك فإن مكانه في تاريخ هذه الأسرة لا بد أن يبقى غير مؤكد، وليس لدينا أي تاريخ من عهده كتبه هو.

كما أنه ليس لدينا آثار لرجال من عصره إلا لوحة محفوظة «بمتحف برلين» عثر عليها في «العرابة»،[1] وقد مثل في أعلاها هذا الفرعون وهو يقدم «ماعت» (العدالة) أمام خمسة آلهة. وفوق صورة الملك نقش طغراؤه. وخمسة الآلهة هم: (١) «أنحور-حور» صاحب الذراع القوي. (٢) «أوزير» رب الأبدية، وحاكم الأرض. (٣) و«أوزير» رب «ددو» (بوصير) الإله العظيم رب السماء، وملك الآلهة. (٤) و«حور» حامي والده. (٥) والإله «إزيس» الأم العظيمة المقدسة.

ويلي ذلك نقش طويل يشمل صلوات لهذه الآلهة بأن يهبوا ابنهم «رعمسيس الثامن» أعيادًا ثلاثينية كثيرة، وسني حكم طويلة. وبعد ذلك يقول «حوري» صاحب اللوحة وكاتب الملك: إنه خادم بلدة الإله «ددو» (بوصير) التي في أرض الشمال (الوجه البحري) وابن خادم بيتك في العرابة «باكاوتيو» بن «سني» خادمك، وقد أتيت من بلدتي التي في الدلتا حتى بلدتك بالعرابة أحمل رسالة من الفرعون — له الحياة والفلاح والصحة — راجيًا له الأعياد الثلاثينية الكثيرة، وأن

يسمع تضرعاته، وغير ذلك من الدعوات. ثم يطلب لنفسه أن يكون ممدوحًا أمام الفرعون، ثم يطلب القربات، ويذكر اسم والده الذي كان كاتبًا للفرعون، ووالدته التي كانت مغنية الإله «آمون».

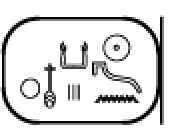
وفي الجزء الأسفل من اللوحة نشاهد أربعة رجال وثلاث نسوة يتعبدون، والذكور هم: «حوري» ووالده، ثم كاهن الإلهة «إزيس» «باعب أنحور»، وكاهن الإله «أنحور» ... «نختو». أما النساء فهن: «تاوسرت» مغنية «آمون»، و«نب خعتي»، و«حررموت» مغنيتا «آمون» أيضًا. وهؤلاء الأفراد هم بطبيعة الحال أسرة «حوري»، وقد جرت العادة في هذه العصر وغيره أن يكتب زائر «العرابة» في اللوحة، التي يقيمها عند حجه اسم أهله وعشيرته تبركًا وزلفى للإله «أوزير»، الذي كان يحج إليه كل مصري منذ أقدم العصور، إما في «بوصير» القريبة من «سمنود»، وهي موطنه الأصلي، وإما في «العرابة» التي كان قد دفن فيها رأسه — على حسب الخرافة التي تُروى عن تقطيع جسمه على يد أخيه «ست».

وقد حضر «حوري» من بلده «بوصير» برسالة خاصة من الفرعون إلى «العرابة» كما ذكرنا من قبل، وهذا يدل على أن عاصمة الملك كانت في الشمال، وأن الفرعون قد أرسله إلى العرابة في الجنوب ليتضرع إلى هذا الإله ليطيل في عمره، ويعطيه الأعياد الثلاثينية العديدة، وقد انتهز «حوري» هذه الفرصة وتقرب للإله بدوره.

---

[١] راجع: Aegyptesche Inschriften Aus den Staatlichen Museen Zu Berlin Zweiter Band p. 186–189 (No. 2081).

الفرعون رعمسيس التاسع





يدل البحث الذي قام به الأستاذ «أرك بيت» على أن هذا الفرعون قد حكم — على أقل تقدير — نحو سبع عشرة سنة.[1]

وعلى الرغم من أن هذا الفرعون كان مثله كمثل سابقيه من الرعامسة ليس له أعمال عظيمة، فإن الأحداث التي وقعت في عهده تعد من الأهمية بمكان في تاريخ البلاد الداخلي من حيث الحياة الاجتماعية والدينية والسياسية. والواقع أنه قد كُشف عن عدة أوراق بردية يرجع بعضها إلى عهده، وهي تميط اللثام عن الهوة التي سقطت فيها البلاد من الوجهة الخلقية، سببها الفقر الذي كان ضاربًا أطنابه في البلاد، ذلك الفقر الذي أدى بالأهلين إلى نهب قبور الموتى من علية القوم، ثم تخطوا ذلك إلى قبور الفراعنة أنفسهم الذين كانوا موضع التقديس والمهابة في كل زمان ومكان في تاريخ مصر القديمة، ولكن الفقر والجوع جعلا الناس يكفرون بفراعنتهم، فضربوا باحترامهم عرض الحائط، ونهبوا مقابرهم، وباعوا متاعها ليسدوا به رمقهم. وقد ساعد على ذلك ضعف ملوك الرعامسة أنفسهم في هذه الفترة من كل الوجوه، فلم يكن الغزو الأجنبي على أية حال هو الخطر الوحيد الذي كان يواجه هؤلاء الفراعنة الضعاف، بل كانت هناك عوامل أخرى تعمل ببطء وعلى مهل في هدم كيان البلاد، وذلك أن الغزوات المظفرة التي قام بها «رعمسيس الثاني» ومن بعده ابنه «مرنبتاح»، وأخيرًا «رعمسيس الثالث» كانت سببًا في جلب الغنائم العظيمة إلى مصر حقًّا، غير أن معظمها سلك — بطبيعة الحال — سبيله إلى خزائن الآلهة الذين كانوا يهبون هؤلاء الفراعنة النصر؛ وبخاصة إلى خزائن الإله «آمون-رع» ملك الآلهة، والإله «رع»، ثم الإله

«بتاح» كما فصلنا القول في ذلك في ورقة «هاريس» الكبرى، وورقة «فلبور»، مما دل على أن ثروة المعابد والكهنة وقتئذ كانت عظيمة بدرجة فاحشة.

وفضلًا عن ذلك تدل الحوادث على أن الفراعنة كانوا يتولون العرش تباعًا وبسرعة، فكان الواحد منهم لا يمكث على أريكة الملك إلا فترة قصيرة، ثم يخلفه آخر لا يدوم حكمه إلا سنوات معدودة ثم يختفي، في حين كان الكاهن الأكبر «لآمون» ثابت العرش حتى إنه كان يعد في نظر الشعب وقتئذ أعظم شأنًا، وأعز سلطانا من الفرعون نفسه في الواقع لا في الظاهر؛ ولا غرابة في ذلك فإنه منذ عهد «رعمسيس الثالث» حتى حكم «رعمسيس التاسع»، الذي نحن بصدده الآن لم يتولَّ كرسي الكاهن الأول إلا ثلاثة نفر وهم: «رعمسيس نخت» و«نسيآمون» ثم «أمنحتب» وكلهم من أسرة واحدة؛ وليس من الأمور الغريبة إذن أن فكرة استيلاء أسرة الكهنة على عرش الملك من أسرة الرعامسة كانت قد اختمرت في عقولهم واستولت على مشاعرهم، ثم انتهت بالتنفيذ؛ وتدل شواهد الأحوال على أن تنفيذ هذا المشروع كان قد بدأ في هدوء وسكينة وروية وحكمة وسياسية بالغة، على الرغم من أننا قد سمعنا بحرب الكاهن الأكبر «أمنحتب».

ومن المحتمل أن ذلك كان هجومًا عليه لا هجومًا قام به هو كما سنرى بعد. ومهما تكن الطرق التي استخدمها الكهنة وقتئذ فإن الكاهن الأكبر «حريحور» كان في قدرته في نهاية الأمر أن يعتدي على امتيازات الفرعون بنجاح عظيم، ويسلبها منه واحدة فواحدة لدرجة أنه استولى في نهاية الأمر على عرش ملك الرعامسة، وأسس الأسرة الواحدة والعشرين، وهي أسرة الكهنة. وهذه كانت حالة البلاد في الوقت الذي نهبت فيها المقابر، وارتكبت فيها سرقات أخرى تحدثنا عنها أوراق البردي التي عثر عليها من هذا العصر. وليس من الغريب إذن أن نجد الحكومة التي كان عليها أن تواجه مثل هذه المعضلات الحيوية غير قادرة على أن تحمي من العبث والتدنيس المقابر الملكية، ولا معابد الآلهة، ولا مقابر علية القوم، وقد انحط سلطان مصر في الخارج إلى

الحضيض، وسنرى مقدار هذا التدهور في تقرير «ونآمون»، وضياع هيبة البلاد في «سوريا» وكذلك الغزوة التي قام بها جنود «المشوش»، و«بابيخسي» السوداني على ما يظهر.

(١) أهم أوراق البردي[٢] التي كشف عنها في عهد هذا الفرعون وغيره خاصة بسرقات القبور

والأوراق التي سنفحصها هنا لا تؤلف وحدة متصلة الحلقات، ولكن تاريخها كلها يمكن أن نعزوه على وجه عام إلى أواخر الأسرة العشرين، وليس من بينها وثيقة ترجع إلى ما قبل عهد الفرعون «رعمسيس التاسع» (نفر كارع). هذا ولا يمكن ترتيب محتوياتها؛ لأن بعضها كان قد استعمل أكثر من مرة، أي استعمل وجه الورقة أولًا وبعدها بفترة استعمل ظهرها. وكل ما يمكن القول عن كل ورقة منها على وجه عام هو أنها تشمل متنًا خاصًّا بسرقة القبور، أو الأماكن المقدسة، وسنرى أحيانًا أن لدينا أكثر من ورقة واحدة تبحث في نفس الواقعة. والقائمة التي سنوردها هنا تقدم لنا مجاميع من أوراق البردي سهلة التناول على حسب محتوياتها وتاريخها، تمهيدًا لفهم سير البحث الذي سنفصل القول فيه عن كل مجموعة:

المجموعة الأولى «أ»: (١) ورقة المتحف البريطاني رقم ١٠٢٢١، وهي المعروفة بورقة «إبوت» وقد أرخت بالسنة السادسة عشرة من عهد الفرعون «نفر كارع». ويتناول موضوعها تفتيش المقابر الملكية وغيرها من المقابر التي قيل إنها سرقت؛ هذا بالإضافة إلى الحوادث التي نتجت عن ذلك.

(٢) ورقة «أمهرست وليو بولد الثاني»، ويرجع تاريخها إلى السنة السادسة عشرة من حكم الفرعون «نفر كارع»، وهي متصلة بتفتيش المقابر التي سجلت في ورقة «إبوت».

المجموعة «ب»: وتحتوي على ورقة «المتحف البريطاني» رقم ١٠٠٥٤، وهذه الورقة تحتوي على متون عدة مميزة وهي:

(١) عنوان قائمة على ظهر الورقة (الصفحة رقم ١ والوجه ص١، ٢ وجزء من الثالثة سطر ١–٦) وهذه من وثيقة متناسقة، وتشير إلى سرقات القبور. ولما كانت عصابة اللصوص هنا هي نفس عصابة ورقة «أمهرست وليو بولد الثاني»، فإنه يمكن تأريخها بالسنة السادسة عشرة من حكم «رعمسيس التاسع».

(٢) الصفحتان الخامسة والسادسة من الظهر وتحتويان قائمة لصوص، بعضهم من الذين اتهموا في المتن (أ) وبعضهم معروف لدينا من نفس العصر.

(٣) وجه الورقة، الصفحة الثالثة وينتهي عند السطر السابع المتن الخاص بالسرقات من مباني المعبد، وقد أرخت بالسنة الثامنة عشرة، ويحتمل أنها من عهد «رعمسيس التاسع» أو من عهد «رعمسيس الحادي عشر».

(٤) الصفحات الثانية والثالثة والرابعة تشمل متنًا خاصًا بتوزيع قمح وخبز، وقد أرخت بالسنة السادسة من عهد «رعمسيس الحادي عشر».

(٥) سجل خاص بموضوع تسليم قارب، وقد أرخ بالسنة العاشرة ولا يمكن أن يكون تاريخه قبل تاريخ المتن الرابع، وهذا السجل كتب في نهاية متن وجه الورقة في الصفحة الثانية.

المجموعة «ج» وتحتوي على: (١) **ورقة المتحف البريطاني رقم ١٠٠٦٨:** ووجه الورقة مؤرخ بالسنة السابعة عشرة من عهد «رعمسيس التاسع»، وتبحث في كميات من الذهب والفضة والنحاس ومواد أخرى استعيدت من لصوص المقابر، وعلى ظهر الورقة متنان ليس لهما علاقة بالمتن الذي على وجهها. فالصفحة الأولى من أولهما سجل فيه مقادير من الذهب والفضة والنحاس والملابس سلمت من أشخاص بمثابة مؤن للجنود، والمتن الثاني من الصفحة الثانية حتى الثامنة قائمة ملاك منازل في غربي «طيبة»، وتاريخه السنة الثانية عشرة من عهد «رعمسيس الحادي عشر». المتن الأول (ص١ من الظهر) لم يذكر فيه التاريخ، ولكن تدل شواهد الأحوال على أنه يؤرخ بتاريخ قائمة المنازل.

(٢) **ورقة المتحف البريطاني رقم ١٠٠٥٣:** المتن الذي كتب على وجه الورقة. ويعرف هذا المتن حتى الآن باسم «ورقة هاريس A»، وقد أرخ بالسنة السابعة عشرة من حكم «نفر كارع»، ويحتوي على شهادة نفس اللصوص الذين في الورقة رقم ١٠٠٦٨ بخصوص تصرفهم في النحاس من القبر. واللصوص الذين تتناولهم هذه المجموعة قد أشير إليهم في يوميات ورقة «تورين» المؤرخة بالسنة السابعة عشرة، من عهد الفرعون «نفر كارع» «رعمسيس التاسع».

المجموعة «د»: هذه المجموعة تحتوي على متنين ليس لأحدهما في الواقع علاقة بالآخر، غير أن كلًّا منهما يتناول نفس نوع السرقة، أي إن الأفراد الذين ذكروا فيهما كانوا لصوصًا يسرقون من أماكن غير المقابر.

(١) **ورقة المتحف البريطاني رقم ١٠٠٥٣ (ظهر الورقة):** وهي مؤرخة بالسنة التاسعة، ويحتمل أنها بعد الفرعون «نفر كارع»، وعلى ذلك تكون من عهد الفرعون «رعمسيس الحادي عشر»، وتتناول سرقات من أماكن مختلفة، وربما يدخل في ذلك معبدا «رعمسيس الثاني» والثالث.

(٢) **ورقة المتحف البريطاني رقم ١٠٣٨٣:** وهي مؤرخة بالسنة الثانية من عصر النهضة، أي عهد «رعمسيس الحادي عشر»، وتتناول السرقات التي من معبد «رعمسيس الثالث» بمدينة «هابو».

المجموعة «هـ»: وهذه المجموعة تتناول طائفتين من اللصوص قد حُقق معهم في نفس الوقت وهي سرقات في الجبانة، وسرقات من صناديق صغيرة تحتوي على حلي للمعابد (صناديق النفائس). وتشمل الأوراق التالية:

(١) **ورقة «إبوت» الصفحة الثامنة:** كُتبت على ظهر الورقة، وهذه الصفحة أو الصفحتان قد عرفتا عادة بجداول ورقة «إبوت»، وقد أرخت بالسنة الأولى المقابلة للسنة التاسعة عشرة من عهد «رعمسيس الحادي عشر»، وتشمل قوائم لصوص قد اتهموا في سرقات من الجبانة ومن صناديق النفائس.

(٢) ورقة المتحف البريطاني رقم ١٠٠٥٢: وتشمل الأدوار الخاصة بالتحقيق مع لصوص الجبانة الذين اتهموا في سرقات صناديق النفائس من الجبانة.

(٣) ورقة «ماير» حرف «أ»: وقد سجل فيها أدوار أتت بعد عن نفس هذه التحقيقات، وكذلك تحتوي على جزء من التحقيق مع لصوص صناديق النفائس التي ذكرت في جداول «إبوت»، وقد أرخت بالسنة الأولى والثانية من عهد النهضة.

(٤) ورقة المتحف البريطاني رقم ١٠٤٠٣: وقد دونت فيها بعض حقائق أخذت في أثناء إجراءات التحقيق الخاص بصناديق النفائس.

المجموعة «و»: ورقة «ماير» حرف «ب»: وهي قطعة من اعتراف لصوص بخصوص سرقات من مقبرة «رعمسيس السادس». وتاريخ هذه الورقة مفقود ولا يمكن استخلاصه من أسماء الأشخاص المتهمين.

المجموعة «ز»: ورقة «أمبراس» الموجودة الآن بمتحف «فينا» رقم ٣٠: وهي مؤرخة بالسنة السادسة من عهد النهضة. وهي قائمة بأسماء وثائق وجدت محفوظة في إناءين. وقد وحدت جزئيًّا ببعض الأوراق التي في المجاميع الأخرى.

ورقتا «إبوت» و«أمهرست ليو بولد الثاني»

وأهم الأوراق الخاصة بسرقة المقابر الملكية هما ورقة «إبوت» و«ورقة أمهرست»، ومتناهما متصلان بعضهما بالبعض الآخر اتصالًا وثيقًا. فالأولى تحدثنا عن تفتيش المقابر الملكية وغيرها، وقد كان الحافز لذلك تقارير وصلت إلى السلطة الحاكمة عن نهب بعض هذه المقابر، هذا إلى بعض حوادث خاصة تبحث عن التفتيش الذي أدى إلى إقحام موظفين طيبيين مختلفين وبعض عمال الجبانة.

أما ورقة «أمهرست» والجزء الضائع منها الذي عثر عليه حديثًا، وأطلق عليه ورقة «ليو بولد الثاني» كما سنتحدث عن ذلك فيما بعد، فقد دون فيها محاكمة بعض اللصوص الذين نهبوا قبر

الملك «سبكمساف» وزوجه الذي فحص من قبل ووجد أنه قد نهب، وبعد ذلك سلم المجرمون للكاهن الأكبر «أمنحتب» حتى يصدر الحكم عليهم؛ ولأجل أن نفهم العلاقة التي بين هاتين الورقتين لا بد من فحص محتوياتهما وترجمتهما ترجمة حرفية، ثم وضع مجمل عن مشتملاتهما معا.

ورقة «إبوت»: تعد ورقة «إبوت» من ذخائر «المتحف البريطاني» رقم «١٠٢٢١». وقد نشرت صورتها للمرة الأولى عام ١٨٦٠م (راجع Select Papyri in the Hieratic Character from the Collection of the British Museum Part II, p. VIII).

وقد ذكر في هذا المؤلف أنها اشتريت عام ١٨٥٧ من الدكتور «إبوت» في مصر، وذلك بإرشاد السير «جاردنر ولكنسون»، ولا يعرف المكان الذي وجدت فيه، ويبلغ طولها ٢١٨ سنتيمترًا، وعرضها ٤٢٥ سنتيمترًا. وقد تناولها بعض العلماء بالبحث، ونخص بالذكر منهم «ونلك» (J. E. A. Vol. X p. 217 ff) ثم الأستاذ «إرك بيت» كما ذكرنا من قبل.

وقبل أن نقدم ترجمة حرفية لهذه الورقة سنضع أمام القارئ مختصرًا للحوادث التي يشملها المتن تسهيلًا لفهم الترجمة.

والحوادث التي جاء ذكرها في هذه الوثيقة يرجع عهدها إلى اليوم الثامن عشر، وتستمر حتى اليوم الحادي والعشرين من فصل الفيضان من السنة السادسة عشرة من حكم الفرعون «نفر كارع» (رعمسيس التاسع).

ففي اليوم الثامن عشر أرسلت لجنة مؤلفة من مراقبي كتاب الجبانة بالإضافة إلى كاتب الوزير، والكاتب المشرف على الخزانة الفرعونية لفحص مقابر الملوك القدامى، ومقابر المنعمين الذين عاشوا في الأزمان السالفة الكائنة في غربي «نو» أي: المدينة (ولفظة «نو» تطلق على «طيبة» وقتئذ كما تطلق لفظة المدينة على «يثرب» مدينة الرسول في أيامنا). وهذه اللجنة قد أرسلها كل

من الوزير «خعمواست» وساقي الفرعون «نسآمون» ومدير بيت المتعبدة الإلهية، والساقي الملكي «نفر كارع-مبر آمون»، وكان السبب في إرسالها هو تقرير قدمه «بورعا» أمير (أو عمدة) القسم الغربي لمدينة «طيبة» بالاشتراك مع رئيس المازوي (الشرطة) للجبانة، إلى الوزير والأشراف، وساقي الملك عن لصوص. وقد كتبت قائمة بأسماء أعضاء اللجنة، وعلى رأسهم «بورعا» نفسه.

وبعد ذلك تأتي قائمة بأسماء المقابر التي فحصت، وتحتوي على قبرين من مقابر الأسرة الرابعة عشرة، وسبع مقابر من مقابر ملوك الأسرة السابعة عشرة، ومقبرة واحدة من مقابر ملوك الأسرة الثامنة عشرة. وهذه المقبرة الأخيرة هي للفرعون «أمنحتب الأول»، وقد كان عمدة «طيبة» الشرقية «باسر» قد أبلغ عنها الموظفين العظام الأربعة السابقين الذين أرسلوا لجنة التحقيق، وكذلك الأشراف بأنها قد نهبت، ولكنها على أية حال بعد الفحص وجدت سليمة. ولا نزاع في أن «باسر» قد أبرز بصفة خاصة مقبرة «أمنحتب الأول» دون غيرها من مقابر الملوك الأخرى؛ لأنها كانت تعد أقدس شيء عند العمال، ويرجع السبب في ذلك إلى أن «أمنحتب الأول» كان يُعد إله العمال وحاميهم، إذ كانوا يرجعون إلى تمثاله في حل مشكلاتهم بما يوحي به (راجع مصر القديمة ج٤) وفي سرقة مقبرة «أمنحتب» تنديد صريح بالعمال؛ لأنه كان معبودهم، وقد فحصت كذلك مقابر الملوك الآخرين فلم يوجد من بينهم قبر نهب إلا قبر الفرعون «سبكمساف»، وكذلك فحصت أربع مقابر لمغنيات بيت المتعبدة الإلهية، ووجدت منها اثنتان قد عبث بهما. أما مقابر الأفراد الذين كانوا أقل أهمية من الذين ذكرنا من قبل فقد فُحصت ووجدت مخربة كلها. وقد أبلغت اللجنة التي أُرسلت للفحص عن كل ما رأوا، أربعة الموظفين العظام، وكذلك الأشراف الذين كلفوهم بهذه المهمة.

وقد أبرز «بورعا» عمدة «طيبة» الغربية في نفس اليوم على ما يظهر قائمة باللصوص الذين كانوا قد سجنوا، وعند سؤالهم اعترفوا بما حدث.

وفي اليوم التاسع عشر ذهب كل من الوزير «خعمواست»، وساقي الفرعون «نسآمون» شخصيًّا إلى «مكان الجمال» أي: وادي مقابر الملكات لفحص مقابر الأمراء الملكيين، والزوجات والأمهات الملكيات. وقد اصطحبا معهما نحاسًا يدعى «بيخال» وكان قد قبض عليه مع اثنين آخرين على مقربة من هذه المقابر، وحقق معه في السنة الرابعة عشرة الوزير «نب ماعت رع نخت» وقتئذ، وقد قرر «بيخال» في التحقيق الحالي أنه ارتكب جرائم سرقة في مقبرة الملكة «إزيس» زوج الفرعون «رعمسيس الثالث». وعند وصول هذا النحاس إلى الوادي طلب إليه أن يرشد عن القبر الذي سرق منه، غير أنه لم يكن في مقدوره الإرشاد عنه على الرغم من الضرب الذي انصب عليه، بل كل ما استطاع الإرشاد عنه هو قبر لم يكن قد استعمل قط، وكوخ عامل أيضًا.

وقد فحصت أختام المقابر كلها التي في «وادي الملوك» ووجدت كلها سليمة، وعلى ذلك أمر الأشراف المفتشين وعمال الجبانة بالطواف حول «طيبة الغربية»، وقد استمروا في طوافهم حتى «طيبة الشرقية» نفسها في موكب عظيم أو مظاهرة فرح معبرين عن براءة حراس الجبانة وسلامة مقابرها.

وفي نفس اليوم قابل أمير «طيبة» (العمدة) الشرقية «باسر»، ومعه ساقي الفرعون «نسآمون» وبعض موظفي الجبانة، وتناقش معهم بشدة، وقد أشار إليهم بأن المظاهرة التي قاموا بها كانت موجهة في الواقع لشخصه، ثم أضاف قائلًا: إن سبب غبطتهم كان أقل مما تصوروا؛ لأن كاتبَيِ الجبانة قد أخبراه بخمس حوادث نهب خطيرة سيبلغ عنها الفرعون.

اليوم العشرون: والظاهر أن هذه المحادثة كانت قد وصلت إلى مسامع «بورعا» الذي كتب عنها تقريرًا مفصلًا ووضعه أمام الوزير. وهذا التقرير أكثر تفصيلًا من المحادثة ويشمل اتهامًا لكاتبَي

الجبانة؛ لأنهما قد وضعا التهم أمام «باسر» بدلًا من الوزير كما هو المعتاد، وطلب أن تفحص التهم في الحال.

اليوم الحادي والعشرون: وعلى أثر ذلك طلب تشكيل المحكمة، وكان «باسر» عضوًا فيها، وقد حضر أمامها النحاس «بيخال» وشريكاه في الجريمة. وأخبر الوزير المحكمة أن «باسر» قد قدم بعض اتهامات في اليوم التاسع عشر من الشهر في حضرة الساقي «نسآمون» عن جرائم وقعت في المقابر التي في «مكان الجمال». ثم يقول الوزير مع ذلك إنني عندما ذهبت هناك وفحصت المقابر التي قال عنها «باسر» إنها قد نهبت وجدتها سليمة، وإن كل ما قاله «باسر» غير صحيح، وبعد ذلك أجري تحقيق مع النحاسين واتضح أنهم لا يعرفون أي قبر في «مكان الفرعون»[٣] من التي ادعى «باسر» أنها قد نهبت. وقد أوضحوا له خطأه، وعلى ذلك أطلق الأشراف سراح النحاسين ووضعوا تقريرًا عن الإجراءات التي اتخذت، ووضع في سجلات الوزير، والمفتاح إلى فهم هذه القصة وفهمها فهمًا صحيحًا ينحصر في معرفة الدور الذي لعبه عمدة «طيبة» «باسر»، فقد ظهر أنه عدو هيئة عمال الجبانة، وبخاصة رئيسهم الملقب عمدة غربي «طيبة»، ورئيس شرطة الجبانة (المازوي) «بورعا» كما يقول الأستاذ «بيت». والظاهر أن سبب العداوة التي كانت بينهما هي التنافس على الوظيفة. وإذا قرأنا الوثيقة كلها بدقة وعناية، فلا يمكن أن نتحاشى النتيجة المحتومة التي تؤدي إليها ما توحي به الورقة من التلميحات، التي تدل على التحيز الذي كتبت به من وجهة نظر «بورعا».

والواقع أننا نجد اتهامات «باسر» كانت موضع استخفاف في الوقت الذي كانت فيه صحيحة، ولكن عندما كانت كاذبة، فإنها كانت تتخذ وسيلة لإعلان مظاهرات الفرح الصاخبة. وتنتهي القصة بخيبته التامة وهزيمته الساحقة أمام أعضاء محكمة كان هو عضوًا فيها. هذا هو رأي الأستاذ «بيت»، وسنرى بعد أنه لا يطابق الواقع في بعض النقط عندما نتحدث عن وثيقة «إبوت»، ووثيقة «ليو بولد الثاني» معًا.

ترجمة الوثيقة: وقبل أن نتحدث عن تفاصيل ما جاء في هذه الوثيقة يجب أن نضع أمام القارئ الترجمة الحرفية؛ لتكون عونًا عند مناقشة تفاصيلها ونقدها.

الصفحة الأولى (p1. 1): (١) السنة السادسة عشرة، الشهر الثالث من فصل الفيضان، (اليوم) الثامن عشر في عهد جلالة ملك الوجه القبلي، والوجه البحري، رب الأرضين «نفر كارع ستبن رع» له الحياة والفلاح والصحة ابن «رع» رب التيجان. (٢) («رعمسيس») محبوب «آمون» له الحياة والفلاح والصحة محبوب «آمون رع» ملك الآلهة، ومحبوب «رع حور» صاحب الأفق، معطي الحياة أبد الآبدين. (٣) (في هذا اليوم أرسل) مفتشو الجبانة العظيمة السامية، وكاتب الوزير، وكاتب المشرف على خزانة الفرعون (٤) ليفحصوا مقابر الملوك القدامى، وقبور وأضرحة المنعمين (٥) (الذين عاشوا في الأيام الخوالي، الواقعة) في غربي المدينة (طيبة) وقد أرسلهم عمدة المدينة والوزير «خعمواست»، وساقي الفرعون «نسآمون» كاتب (٦) الفرعون ومدير بيت المتعبدة الإلهية «لآمون رع» ملك الآلهة، والساقي الملكي «نفر كارع-مبر-آمون» حاجب الفرعون (٧) ... لصوص غربي المدينة، وهم الذين بلغ عنهم الأمير «بورعا» رئيس المازوي (الشرطة) التابعين للجبانة العظيمة السامية (٨) لآلاف السنين الفرعونية في غربي «طيبة»، والوزير والأشراف، وساقيا الفرعون.

(٩) ... أرسل هذا اليوم. الأمير «بورعا» رئيس شرطة الجبانة (مازوي). (١٠) رئيس المازوي «بكورل» التابع لهذا المعبد (١١) ... التابع للجبانة (١٢) ... هذا المعبد. (١٣) ... لهذا المعبد. (١٤) ... «آمون». (١٥) رئيس المازوي «منتوخبشف» التابع لهذا المعبد (١٦) كاتب الوزير «بعنبك». (١٧) الكاتب والحارس للمخزن «بينفر» التابع للمشرف على الخزانة. (١٨) كاهن معبد «أمنحتب» المسمى «باعنخو». (١٩) الكاهن «سر آمون» التابع لإدارة النبيذ لمعبد «آمون». (٢٠) شرطة الجبانة الذين معهم.

الصفحة الثانية (P1. I): (١) الأهرام والمدافن والمقابر التي فحصت في هذا اليوم على يد المراقبين. (٢) الأفق الأبدي للملك «زسركا» Sic بن «رع أمنحتب»، ويبلغ عمقه عشرين ومائة

ذراع من أول لوحته (؟) المسماة «باعاقا» (ومعناها الارتفاع) شمالي معبد «أمنحتب» (٤) الحديقة،[٤] وهو الذي بلغ عنه أمير المدينة «باسر» لحاكم المدينة والوزير «خعمواست» (٥) وللساقي الملكي «نسآمون» كاتب الفرعون، ولمدير بيت المتعبدة الإلهية «لآمون رع» ملك الآلهة (٦) ولساقي الفرعون «نفر كارع-مبر-آمون» حاجب الفرعون، وللوجهاء العظام قائلًا (٧) إن اللصوص قد نهبوه. وقد فحص في هذا اليوم ووجده هؤلاء المراقبون سليمًا. (٨) القبر الهرمي للملك «سا-رع إن عا» الواقع شمالي معبد «أمنحتب» في الردهة (أي الذي تمثاله في ردهة المعبد) (٩) والذي أزيل هرمه منه، ولكن لوحته لا تزال مثبتة أمامه، (١٠) وصورة الفرعون قد صورت على هذه اللوحة وكلبه المسمى «بهك» بين قدميه (١١) وقد فحص هذا اليوم ووجد سليمًا.

(١٢) المقبرة ذات الهرم للفرعون «نب-خبررع» بن «رع» «أنتف»، وقد وجد أنها كانت في سبيل أن ينقبها اللصوص، فقد عملوا فيها نقبًا سعته قدمان ونصف في الجانب الشمالي (١٤) من القاعة الخارجية من المقبرة المنحوتة في الصخر لصاحبها المشرف على القربان لمعبد «آمون» (المسمى) «شوري» (؟) المتوفى، وقد وجدت سليمة، ولم يفلح اللصوص في اختراقها. (١٦) المقبرة ذات الهرم للملك «سخم رع-رب ماعت» بن «رع» «أنتف عا»، وقد وجد أن اللصوص قد أخذوا في نقبها عند النقطة التي وضعت فيها لوحتها في هرمها (١٨) وقد فحصت في هذا اليوم ووجدت سليمة، ولم يفلح اللصوص في نقبها.

الصفحة الثالثة (P1. II): (١) المقبرة ذات الهرم للملك «سخم رع-شدتاوي بن رع سبكمساف» (٢) وقد وجد أن اللصوص نقبوها بنقب في حجرة «نفرو»،[٥] التي في (٣) هرمها من القاعة الخارجية التابعة لمقبرة «نب آمون» المنحوتة في الصخر وهو المشرف على مخزن الغلال للملك «منخبر رع». (٤) وقد وجدت حجرة دفن خالية من سيدها، وكذلك وجدت خاوية حجرة دفن الزوجة الملكية العظيمة الفرعون «نبخعس» شريكته، إذ قد استولى عليهما اللصوص، وقد فحص الوزير. (٦) والأشراف وساقيا الفرعون الأمر، وقد كشف عن نوع الهجوم الذي عمله (٧)

اللصوص على هذا الملك وزوجه. (٨) المقبرة ذات الهرم للملك «سقنن رع بن» «رع تاعا» قد فحص هذا القبر على يد المراقبين ووجد سليمًا. (١٠) المقبرة ذات الهرم للملك «سقنن رع تاعاعا»، وهو ملك ثانٍ يُدعى «تاعا» (١١) فحصه هذا اليوم المراقبون، وقد وُجد سليمًا.

(١٢) المقبرة ذات الهرم للملك «وازخبر رع» بن «رع كامس». فحصت هذا اليوم، ووجدت سليمة.

(١٣) المقبرة ذات الهرم للملك «أحمس[٦] سابئير» فحصت هذه المقبرة، ووجدت سليمة.

(١٤) المقبرة ذات الهرم للملك «نب حتب رع» التي في «زسر»، وقد كانت سليمة. (١٥) المجموع: المقابر ذات الأهرام للملوك القدامى التي فحصت في هذا اليوم على يد المراقبين. (١٦) ووجدت سليمة: تسع مقابر ذات أهرام، وقد وجدت واحدة منهوبة، فالمجموع الكلي إذن: عشر مقابر. (١٧) ومقابر مغنيات بيت المتعبدة الإلهية «لآمون رع» ملك الآلهة التي وجدت سليمة: اثنتان. (١٨) ووجدت اثنتان نهبهما اللصوص، فيكون المجموع: أربع مقابر.

الصفحة الرابعة (P1. III): (١) المقابر والحجرات التي آوى إليها المنعمون الغابرون، والمواطنون والمواطنات، في الجهة الغربية من «طيبة». وقد وجد أن اللصوص نهبوها كلها، وجروا أصحابها (٣) من توابيتهم الداخلية والخارجية حتى إنهم تركوا في الصحراء، وسرق متاعهم الجنازي (٤) الذي كان قد أعطي إياهم، وكذلك الذهب والفضة والحلي التي كانت في التوابيت الداخلية. (٥) وقد وضع الأمير ورئيس «المازوي» (الشرطة) «بورعا» الخاص بالجبانة العظيمة السامية، ومعه رؤساء الشرطة والشرطة (٦) ومراقبو الجبانة، وكاتب الوزير، وكاتب المشرف على الخزانة — الذين كانوا معهم — تقريرًا عنها (٧) لعمدة المدينة، والوزير «خعمواست» والساقي الملكي «نسآمون» كاتب الفرعون، ومدير بيت المتعبدة «لآمون رع» ملك الآلهة، وللساقي الملكي «نفر كارع-مبر آمون» حاجب الفرعون، وللوجهاء العظام. (٩) وقد وضع «بورعا» أمير الغرب، ورئيس الشرطة في الجبانة قائمة كتابية باللصوص. (١٠) أمام الوزير والوجهاء والساقين؛ فقبض عليهم وسجنوا، وقد حقق معهم فاعترفوا بما حدث.

(١١) السنة السادسة عشرة، الشهر الثالث، اليوم التاسع عشر، هو اليوم الذي ذهب فيه لفحص المقابر العظيمة الخاصة بالأطفال والزوجات الملكية، والأمهات الملكية التي في مكان الجمال عمدة المدينة والوزير «خعمواست» والساقي الملكي «نسآمون» كاتب الفرعون.

(١٣) وذلك بعد أن أخبرهم النحاس «بيخال» بن «خاري»، الذي تدعى أمة «ميت شري» من غرب المدينة، وهو رجل من هيئة عمال (١٤) معبد «وسر ماعت رع مري آمون» في بيت «آمون» الموكل بأمره الكاهن الأكبر «لآمون رع» ملك الآلهة «أمنحتب»، وكان هذا الرجل قد وجد هناك (١٥) وضبط مع اثنين آخرين تابعين للمعبد القريب من المقابر، وهو الذي كان عمدة المدينة قد حقق معه هو والوزير «نب ماعت رع نخت» (١٦) في السنة الرابعة عشرة، وأخبرهم قائلًا: لقد كنت في قبر الزوجة الملكية «إزيس» زوج الفرعون «وسر ماعت رع مري آمون» ولقد أحضرت معي بعض (١٧) أشياء من هناك، واستوليت عليها. والآن دفع الوزير وساقي الفرعون هذا النحاس أمامهما إلى.

الصفحة الخامسة (P1. III): (١) المقابر معصوب (العينين) بوصفه سجينًا مقبوضًا عليه، ثم كشف عن بصره الغطاء عندما وصل إليها. وقال له الأشراف: (٢) سر أمامنا إلى القبر الذي تقول إنك أحضرت منه الأشياء، وسار النحاس أمام الأشراف. (٣) إلى قبر من مقابر أطفال الملك «وسر ماعت رع ستبن رع» الإله العظيم، ولم يكن قد دفن فيه أحد قط، وكان قد ترك مفتوحًا. (٤) وكذلك ذهب إلى بيت العامل «أمنموني» بن «حوي» التابع للجبانة، الذي في هذه النقطة قائلًا: تأمل المكان الذي كنت فيه. (٥) وقد أمر الأشراف أن يمتحن هذا النحاس (أي يضرب) أقسى امتحان في الوادي العظيم، غير أنه لم يوجد (٦) أنه كان يعرف أي مكان هناك إلا المكانين اللذين أشار إليهما، وحلف يمينًا بأن يُضرب ويجدع أنفه وأذناه، ويوضع على خازوق قائلًا: إني لم أعرف مكانًا ما بين هذه المقابر إلا هذا القبر المفتوح، وهذا البيت الذي أشرت إليه. ثم فحص الأشراف أختام المقابر العظيمة التي في «مكان الجمال»، الذي يثوي فيه الأولاد الملكيون والزوجات الملكيات، والأمهات الملكيات، وأجداد وجدات الملك الأشراف. (١٠) وقد وجدت

سليمة، وقد أمر الأشراف العظام المراقبين، وقواد العشرة، وعمال الجبانة (١١) ورؤساء الشرطة، والشرطة، وكل عمال الجبانة أن يطوفوا حول غرب المدينة في مظاهرة كبيرة حتى المدينة. (١٢) السنة السادسة عشرة، الشهر الثالث من فصل الفيضان، اليوم التاسع عشر. في هذا اليوم أتى عند الغروب — بالقرب من معبد «بتاح» سيد «طيبة» — الساقي الملكي (١٣) «نسآمون» كاتب الفرعون، وأمير المدينة «باسر» وقابلا رئيس العمال «وسرخبشف» والكاتب «أموننخت» (١٤) والعامل «أمنحتب» التابع للجبانة. وقد قال أمير المدينة هذا لأهل الجبانة في حضرة ساقي الفرعون: أما عن هذه المظاهرة التي قمتم بها اليوم فإن ما فعلتموه لم يكن مظاهرة قط، بل أغنية لابتهاجكم (على حسابي) (١٦) وهكذا تحدث إليهم، ثم أقسم يمينًا أمام ساقي الفرعون هذا قائلًا: إن الكاتب «حوري شري» بن «أمنمنخت» (١٧) التابع لجبانة «خن-خني»، والكاتب «بيبس» التابع للجبانة، قد أخبرني عن خمسة اتهامات رئيسية ضدكم (١٨) وإني أكتب عنها للفرعون سيدي؛ لكي يرسل بعض خدم الفرعون لمحاسبتكم أجمعين. وهكذا تحدث.

(١٩) السنة السادسة عشرة، الشهر الثالث من فصل الفيضان، اليوم العشرون. صورة من الوثيقة التي وضعها أمام الوزير «بورعا» أمير غرب المدينة، ورئيس «مازوي» الجبانة (٢٠) خاصة بالكلمات التي تكلم بها أمير المدينة «باسر» لأهل الجبانة أمام ساقي الفرعون، وأمام «بينوزم» كاتب المشرف على الخزانة (٢١) تقرير أمير الغرب. لقد قابلت الساقي الملكي «نسآمون» كاتب الفرعون، وكان معه «بورعا» «باسر» أمير المدينة واقفًا يتشاجر مع أهل الجبانة، بالقرب من معبد «بتاح» سيد «طيبة». وقد قال أمير المدينة للناس.

الصفحة السادسة (P1. III, IV): (١) التابعين للجبانة: لقد ابتهجتم على حسابي أمام باب بيتي نفسه، فماذا تقصدون بذلك؟ فأنا الأمير الذي يبلغ (٢) للحاكم. فإذا كنتم مبتهجين بهذا القبر الذي كنتم فيه، وفحصتموه ووجدتموه سليمًا، فإنه مع ذلك (٣) قد وجد (قبر) الملك «سخم شدتاوي» بن «رع سبكمساف» منهوبًا ومعه قبر «نبخعس» الزوجة الملكية، وهو حاكم عظيم قد (٤) نفذ عشرة أعمال عظيمة «لآمون رع» ملك الآلهة، وهذا الإله العظيم، أعماله موجودة في وسطه هذا

اليوم (أي معبده) (٥) ثم قال العامل «وسرخبش» الذي تحت إشراف رئيس العمال «نخمموت» التابع للجبانة مجيبًا: «إن كل الملوك وأزواجهم (٦) الملكية، والأمهات الملكية، والأطفال الملكيين الذين يثوون في الجبانة العظيمة السامية، ومعهم أولئك الذين يأوون في «مكان الجمال» سالمون، (٧) وإنهم محفوظون وآمنون سرمديًّا، وإن إرشادات الفرعون الحكيمة ابنهم تحفظهم وتؤمنهم إلى الأبد، وإنهم سيفحصون فحصًا دقيقًا.» (٨) وقد أجابه أمير المدينة هذا قائلًا: «إن أعمالك تكذب كلماتك. ولكن في الحق إنها ليست تهمة حقيقية تلك التي عملها أمير المدينة هذا.» فقال له (٩) أمير المدينة هذا مرة ثانية: «إن الكاتب «حرو شري» بن «أمننخت» التابع لجبانة «خن-خني» (١٠) قد أتى إلى هذا الجانب العظيم من المدينة حيث كنت ليقدم إليَّ ثلاث تهم (١١) خطيرة، وقد كتبها كاتبي وكاتبا حي المدينة، وقد قدم لي كاتب الجبانة «ببس» تهمتين أخريين (١٢) فيكون المجموع خمس تهم، وقد كتبوا هاتين أيضًا إذ لم يكن في الإمكان إخفاؤها؛ لأنها تهم خطيرة تعاقب بالبتر (١٣) والوضع على الخازوق، أو أقسى العقوبات، وإني أكتب عنها للفرعون سيدي (١٤) لأجعله يرسل خدمًا من التابعين للفرعون لمحاسبتكم.» وهكذا تحدث إليهم أمير المدينة هذا وأقسم عشرة أيمان قائلًا: (١٥) حقًّا إني سأفعله، وقد سمعت الكلمات التي فاه بها لأهل الجبانة العظيمة السامية لملايين السنين التابعة للفرعون في غربي طيبة؛ وقد بلغتها لسيدي لأنه يعد من الإجرام لواحد في مركزه (١٧) أن يسمع شيئًا ويخفيه. والآن لا أعلم علاقة التهم الخطيرة التي يقول أمير (١٨) المدينة: إن كتاب جبانة «خني» الذين يطوفون بين الناس قد ألصقوها به. وفي الحق إنه ليس في (١٩) إمكاني سَبْر غَوْرها، ولكني أبلغها سيدي حتى يصل إلى عمق هذه التهم، التي قال عنها أمير المدينة هذا (٢٠) بأن كتاب الجبانة قد وجهوها إليه، وإنه كان يكتب عنها للفرعون. وإنه لخطأ من جانب (٢١) كاتبي الجبانة هذين أن يذهبا إلى أمير المدينة هذا ويبلغاه في حين أن أسلافهما من الكتاب لم يبلغوه قط (٢٢) ولكنهم أبلغوا الوزير عندما كان في الإقليم الجنوبي، وإذا اتفق أنه كان في الإقليم الشمالي (الدلتا) فإن الشرطة وخدم جلالته (٢٣) التابعين للجبانة كانوا ينحدرون في النهر إلى حيث كان الوزير حاملين معهم الوثائق. وإني أشهد على نفسي في السنة السادسة عشرة، في الشهر الثالث من فصل الفيضان، في اليوم العشرين (٢٤) فيما يخص الكلمات التي سمعتها من أمير المدينة هذا. وإني أضعها في وثيقة أمام سيدي لكي تفحص على الفور.

الصفحة السابعة (P1. IV): (١) السنة السادسة عشرة، الشهر الثالث من فصل الفيضان، اليوم الحادي والعشرون في هذا اليوم في محكمة المدينة العظمى بجوار اللوحتين العلويتين، الواقعتين شمالي محكمة «آمون» عند بوابة (٢) «دوارخيت».

الأشراف الذين جلسوا في المحكمة العظيمة للمدينة في هذا اليوم: (٣) عمدة المدينة والوزير «خعمواست» الكاهن الأول «لآمون رع» ملك الآلهة «أمنحتب»، والكاهن الثاني (؟) «لآمون رع» ملك الآلهة، والكاهن «سم» «نسآمون» لمعبد ملايين السنين (٤) التابع للملك «نفر كارع ستبن رع» وساقي الفرعون «نسآمون» كاتب الفرعون، ومدير البيت للمتعبدة «لآمون رع» ملك الآلهة (٥) والساقي الملكي «نفر كارع-مبر آمون» حاجب الفرعون، ونائب القائد للفرسان «حوري» (٦) وحامل العلم للبحرية «حوري» وأمير المدينة «باسر».

أمر عمدة المدينة والوزير «خعمواست» بإحضار النحاس «بيخان» بن «خاري» (٧) والنحاس «ثاري» بن «خعمؤبي» والنحاس «بيكآمن» ابن «ثاري» التابع لمعبد «وسر ماعت رع مري آمون» الذي تحت إدارة رئيس كهنة «آمون» (٨) وقد قال الوزير للأشراف العظماء المؤلفين للمحكمة العظيمة التابعة للمدينة: إن أمير المدينة هذا قد وجه تهمًا معينة (٩) للمراقبين وعمال الجبانة في السنة السادسة عشرة، الشهر الثالث من فصل الفيضان، اليوم التاسع عشر في حضرة الساقي الملكي «نسآمون» كاتب الفرعون (١٠) مدليًا ببيانات عن المقابر العظيمة التي في «مكان الجمال». ومع ذلك فإنه عندما كنت هناك بوصفي وزيرًا للبلاد (١١) وبصحبتي الساقي الملكي «نسآمون» كاتب الفرعون فحصنا المقابر التي قال عنها أمير المدينة: إن النحاسين (١٢) التابعين لمعبد «وسر ماعت رع مري آمون في بيت آمون» هاجموها، وقد وجدناها سليمة، وإن كل ما قاله كذب. والآن تأمل (١٣) إن النحاسين يقفون أمامكم. دعهم يقصون كل ما حدث. لقد سئلوا فوجد (١٤) أنهم لا يعرفون أي قبر في «مكان الفرعون» (قبره) قد أُعطي عنه هذا الأمير بيانات. وعلى ذلك وضع في موضع المخطئ فيما يخص ذلك (١٥) وقد أطلق الأشراف العظام سراح

النحاسين التابعين لمعبد «وسر ماعت رع مري آمون»، وسلموا للكاهن الأكبر «لآمون رع» ملك الآلهة (١٦) «أمنحتب» في هذا اليوم، وقد كُتب تقرير وأودع في سجلات الوزير.

شرح وتعليق: وقبل أن ننتقل إلى ما جاء في ورقة «أمهرست» التي تعد مكملة لهذه الورقة يجب أن نحلل ما جاء فيها لتكون محتوياتها واضحة أمام القارئ حسب المتن، وليفهم القارئ لب موضوع الأوراق الخاصة بسرقات المقابر عند تلخيصه في نهاية هذا الفصل. ففي اليوم الثامن عشر أرسلت لجنة التحقيق لمتابعة الكشف، والتثبت مما جاء في التقرير الذي كتبه «بورعا» عن لصوص، ولكن (ص٢ س٤–٧) يظهر جليًّا أنه كانت هناك سرقات قد كشف عنها «باسر» على الأقل، ونشك في أن «بورعا» قد سمع بمقصد مناظره الذي كان يرمي إلى عمل فحص، وأنه سعى إلى أن يسبقه بطلب تشكيل لجنة للتحقيق. ولقد نجح في أن يجعل نفسه يذكر في هذه الوثيقة بأنه المؤلف لهذه اللجنة. وفي نهاية عمل اللجنة في هذا اليوم يلاحظ أنه لم يكن هناك أية مظاهرة من جانب هيئة عمال الجبانة. والمحتمل أن الكشف عن السرقات التي حدثت في مقبرة «سبكمساف» ونهب مقبرتي «المغنيتين» وكل المقابر الصغيرة قد غطى عليه الكشف بأن تهمة «باسر» الخاصة بمقبرة «أمنحتب الأول» لم يكن لها أساس من الصحة. والظاهر أن ما جاء في (ص٢ سطر ٥–١٠) وهو الخاص بتقرير اللجنة والقبض على اللصوص والتحقيق معهم واعترافهم كانت كلها أشياء قد حدثت في هذا اليوم. وقد ظن «بورعا» وهيئة عماله بلا شك أن مقدرتهم على الإتيان بالمجرمين يُعد انتصارًا عظيمًا على عدوه «باسر». وسنرى أن ورقة «أمهرست» تحتوي على جزء من اعتراف اللصوص عن سرقة مقبرة «سبكمساف»، وفضلًا عن ذلك تحتوي على أدلاء اللصوص بموضع الجريمة في اليوم التاسع عشر، وقد أغفلت ورقة «إبوت» هذه الحادثة، وليس لدينا وسيلة لمعرفة ما إذا كان هؤلاء فقط هم اللصوص الذين حقق معهم بناء على تقرير اللجنة، أو أن أولئك الذين ارتكبوا جرائم في المقابر الأخرى الصغيرة قد قبض عليهم أيضًا.

وحوادث اليوم التاسع عشر لا بد أن نميزها بدقة عن حوادث اليوم الثامن عشر، ففي هذا اليوم الثاني أرسل الموظفون الأربعة الرئيسيون في منطقة «طيبة» لجنة قامت بجولة تنحصر في منطقتي «ذراع أبو النجا» و«الدير البحري». وفي اليوم التاسع عشر زار الوزير نفسه وساقي الفرعون «نسآمون» «مكان الجمال» (وهو المعروف الآن «بوادي الملكات») وقد قاموا بالتفتيش على حسب البيان الذي ذكره لهم النحاس «بيخال» (وهو الذي كان قد قبض عليه فيما مضى في السنة الرابعة عشرة لتسكعه بالقرب من المقابر) بتهمة أنه نهب قبر الملكة «إزيس». ولكن إذا رجعنا إلى الصفحة السابعة من المتن (س١١-١٢) وجدنا أن «باسر» هو الذي ذكر أن بعض المقابر قد نهبها «بيخال» ورفيقان له معه، فكيف نفسر هذا التناقض ولماذا كان ينبغي «لبيخال» أن يخرج عن نطاقه ليتهم نفسه بجريمة لم يكن قد ارتكبها؟ فهل من الجائز أن «باسر» هو الذي عمل الاتهام، وأن «بيخال» كان بريئًا، وأنه نطق بهذا الاعتراف ليهرب من العذاب الذي كان سيلاقيه عند التحقيق؟ وعلى أية حال فإنه عندما سيق إلى «وادي الملكات» لم يكن في مقدوره أن يرشد عن قبر الملكة «إزيس» وأي قبر آخر، وكل ما استطاع أن يرشد إليه هو قبر لم يستعمل وكوخ عامل، وقد قال عنهما: إنهما المكانان اللذان كان فيهما. ومن المحتمل أن هذين المكانين هما اللذان كان يتسكع فيهما من سنتين مضتا، وقصة هذا الرجل لها رنة صدق في الآذان، ويمكننا أن نستخلص أن «باسر» كان يرغب في الحط من أمانة أهل الجبانة باتهامهم بعدم الاستقامة في «وادي الملكات»، وفي غيره من الدائرة التي يعملون فيها، فقبض على هذا الرجل بسبب الشبهة التي كانت تحوم حوله في العام الرابع عشر من حكم هذا الفرعون (أي رعمسيس التاسع) بمثابة آلة مناسبة لتنفيذ غرضه. ومن الجائز أنه على الرغم من اتهامه الخاطئ للأشخاص، فإن التهمة نفسها كانت لها ما يبررها، إذ ليس لدينا ضمان في أن التفتيش الذي قام به الوزير وساقي الملك كان تفتيشًا شريفًا، إذ من الغريب أنه بعد مضي سنة إلا يومين وجد مراقب الجبانة قبر الملكة «إزيس» هذا نفسه قد نهب.[٧]

ولا يسع الإنسان إلا أن يستغرب فيما إذا لو كانت شُكلت لجنة محايدة للكشف عن التدنيس الذي لحق بالقبر منذ سنة مضت. وقد أعقب النتيجة السلبية التي أدى إليها الفحص في هذا اليوم قيام هيئة عمال الجبانة بمظاهرة فرح أوحى بها الأشراف العظام. وقد كانت موجهة ضد «باسر» بلا شك، ولا أدل على ذلك من أنها امتدت إلى الشاطئ الشرقي للنيل، حيث وصلت إلى باب داره نفسه. ولم يكن يخامره شك في معنى هذه المظاهرة، فقد ميزها بأنها مظاهرة ابتهاج على حسابه، وقد أضاف أن كاتبي الجبانة قد وضعوا اتهامات ضد أهل الجبانة وأنه سيبلغها الفرعون. (اليوم العشرون) وتكمل محادثة «باسر» مع العمال من محتويات الشكوى التي قدمها «بورعا» بخصوص هذه المحادثة، وقد أظهر «باسر» لأهل الجبانة نقطة من نقط ضعف مركزهم وهي ظاهرة للقارئ المحايد، وأعني بذلك أنه مهما كانت نتائج الفحص الذي حدث في اليوم التاسع عشر في «وادي الملكات»، فإن نتائج فحص اللجنة في اليوم الثامن عشر في «ذراع أبو النجا» وما حوله لا ينبغي تجاهله؛ وذلك لأن مقبرة الملك «سبكمساف» قد وجدت منهوبة. وكذلك نعلم من الوثيقة أن «حوي شري» ارتكب ثلاث تهم من الخمس وأن «ببس» ارتكب اثنتين.

وهذه المحادثة لا تحتوي على صعاب خطيرة إلا في تفاصيل الترجمة. وعلى أية حال فما هي التهم الخمس؟ هل هي التهم الأصلية التي بنى عليها «باسر» هجومه على أهل الجبانة أو هل هي تهم جديدة كان غرضه متابعتها. وبعبارة أخرى هل اعترف «باسر» بأنه هزم حتى الآن أو أنه صمم على إماطة اللثام عن أسباب جديدة يحتمي خلفها؟ أو هل ظن أن تهمه لم تقابل بأمانة، وأن الفحص كان قد طبخ وأنه على ذلك عزم على رفع الأمر لسلطة أعلى (أي الفرعون)؟ وحوادث اليوم الواحد والعشرين ينبغي أن تفصل في هذه النقطة:

فقد وضع «بورعا» في هذا اليوم (الواحد والعشرين) شكوى أمام الوزير جاء فيها أن «باسر» في حديثه مع العمال لا يزال يوجه تهمًا. ويكون جواب الوزير على ذلك هو طلب عقد محكمة «طيبة العليا» التي كان «باسر» عضوًا فيها. ونجد أن الثلاثة النحاسين الذين كان قد قبض عليهم عام ١٤

بوصفهم مشبوهين، وقد حقق مع «بيخال» من بينهم في «وادي الملكات» في اليوم التاسع عشر قد أحضروا. وأخبر الوزير المحكمة أن «باسر» في حديثه مع العمال قد أدلى بتصريحات خاصة «بوادي الملكات» (وهي أول تلميح في ورقتنا يشير إلى أن اتهامات «باسر» في اليوم التاسع عشر كانت خاصة بمنطقة الجبانة هذه). وأنه هو بنفسه والساقي «نسآمون» قد فحصا الوادي المذكور ووجدا المقابر سليمة. وفضلًا عن ذلك فإن النحاسين المتهمين قد حضروا فلتسألهم المحكمة، وفعلًا قد حقق معهم واتضح أنهم لا يعرفون أية مقبرة في مكان الملك (أي في الجبانة الملكية) أعطى عنها «باسر» بيانات، وبذلك هزم «باسر».

ولكن يتساءل المرء هل هذا جواب شافٍ لاتهامات «باسر»، وما الضوء الذي يلقيه عليها إذا فرضنا أن اتهامات «باسر» الخمسة هي مجرد تكرار لاتهامات عملت من قبل، وأن الوزير كان أمينًا في نسبتها فقط إلى «وادي الملكات»؟ والخطة التي سار على هديها الوزير في المحكمة هي أن هذه الاتهامات لا يمكن أن تكون صحيحة لسببين؛ «أولًا»: لأنه وجد بنفسه أن مقابر الوادي سليمة. «ثانيًا»: أن النحاسين الذين اتهمهم بالاسم قد حقق معهم ووجدوا أبرياء، ولما حقق معهم مرة أخرى وجد أنهم أبرياء أيضًا.

وإذا فرضنا من جهة أخرى أن «باسر» كان حقيقة يهدد باتهامات جديدة خاصة «بوادي الملكات»، فإنه يمكننا أن نأخذ تصرفات الوزير على الوجه التالي: إن الفحص الذي قام به شخصيًّا وبراءة النحاسين يبرهن على أن «باسر» كان مخطئًا في اتهاماته الأصلية. فهل يحق لنا بعد ذلك أن نعد أي اتهامات يوجهها جدية؟ وعلى أية حال فإن أحد هذين الرأيين يمكن أن يكون هو الرأي الصحيح، وإنه لمن الصعب أن نعرف كيف نفصل بينهما. وفي الوقت نفسه نجد أن التفسير الذي جاء في الصفحة الخامسة (سطر ١٧) وفي الصفحة السادسة (سطر ٩–١٣) يشير إلى اتهامات جديدة.

وعلى الرغم من كل هذه الصعوبات، فإن لدينا حقيقة واضحة وهي — كما رأينا في أوراق أخرى — أن الحالة التي كانت عليها الجبانة في هذا العهد كانت مخزية. ومن الجائز أن «باسر» كان مصريًّا صالحًا قد هاله هذا التدنيس، الذي ارتكب في الجبانة الملكية وغيرها، والأمر الأكبر احتمالًا أن يكون قد انتهز فرصة ليشفي غلته من «بورعا» لحقد كان يغلي مرجله في صدره منه ومن أفراد آخرين من هيئة عمال الجبانة، ولكنه قد أساء تقدير ما عليه مناظره من قوة، إذ إن «بورعا» قد كسب إلى جانبه عواطف كبار الموظفين إما بالرشوة أو بطريق أخرى أقل نفقة لا نعلمها، وبذلك ألَّف حلفًا على «باسر»، فقد كانت لجنة اليوم الثامن عشر مؤلفة من موظفين من رجال الجبانة يصحبهم كاتب الوزير وكاتب الخزانة، ومع ذلك فإن الحالة التي وجدت عليها مقبرة «سبكمساف» لا يمكن إخفاؤها، وقد كان الفحص الذي عمل في اليوم التاسع عشر يقوم به الوزير وساقي فرعون فقط. وكان تحريضه لكبار الأشراف أنفسهم للقيام بمظاهرة على «باسر» (ص٥ س١٠-١١) وعقد هيئة المحكمة في اليوم الحادي والعشرين، كل ذلك كان بمثابة رواية تمثل للحط من قدر «باسر» الذي لم يعين الاتهامات التي وجهها لمناظره. على أن وجود مقبرة الملكة «إزيس» مخربة بعد مضي سنة من هذا التاريخ بالضبط يجعلنا في حيرة فيما إذا كان كل من الوزير وساقي الفرعون مدققًا وأمينًا في فحصه كما يجب أن يكون أم لا؟

والآن يتساءل المرء ما نوع هذه الوثيقة؟ فهي ليست بلا شك كما يقترح برستد (Br. A. R IV, 509) الملخص الرسمي من ملفات الوزير؛ لأنه قد جاء في الصفحة السابعة السطر السابع عشر أنه قد وُضع تقرير (سواء أكان لكل القضية أو لجزء منها) وأودع في سجلات الوزير. وواضح أن ورقة «إبوت» ليست هي هذه الوثيقة. وفضلًا عن ذلك نجد في الأسطر ١٠ و١٢ و١٥ من الصفحة الأولى أن بعض الموظفين قد ذكروا بأنهم ضباط هذا المعبد، فعلى ذلك تكون الورقة قد كتبت في المعبد، وكان القصد أن تكون في سجلات المعبد، ولن نكون بعيدين عن جادة الصواب

إذا قلنا: إن هذا المعبد هو معبد «رعمسيس الثالث» في «مدينة هابو». وهو كما ذكرنا آنفًا كان مركزًا لإدارة الجبانة في أواخر الأسرة العشرين.

ورقة «أمهرست وليو بولد الثاني»

لقد ظلت معلوماتنا عن هذه الوثيقة منحصرة في الجزء الذي بقي لنا منها، وهو الذي نشره الأستاذ «نيوبري»[8] إلى أن فاجأ العالم الأستاذ «كابار» بكشف جديد غاية في الغرابة عن الجزء المفقود من هذه الورقة التي تعد في الواقع مكملة لما جاء في ورقة «إبوت». وقد تناول الأستاذ «بيت» فحص الجزء الأول في كتابه عن السرقات التي حدثت في المقابر الملكية، كما ذكرنا آنفًا (راجع Eric Peet Ibid p. 45).

ولكن بعد الكشف الجديد تناول الأستاذ «جاردنر» ترجمة هذه الورقة بأكملها ترجمة دقيقة (J. E. A. Vol. XXII p. 170)، فأصبحت بذلك معلوماتنا لا بأس بها عن السرقات التي وقعت في القبور الملكية، والملابسات التي حدثت في أثناء ذلك العهد من الأحداث الهامة جدًّا في تاريخ هذا العصر، وما انطوى عليه من مخازٍ لا تقع عادة إلا عند أفول نجم الدول.

ويلاحظ أن ورقة «أمهرست» تحتوي على ثمانية أوجه بردية طولها ثماني بوصات وعرضها ثماني بوصات ونصف بوصة، وهي تؤلف الأنصاف السفلية لأربع صفحات، ورابعتها هي نهاية الورقة. والورقة التي عثر عليها «كابار» كانت في داخل تمثال صغير من الخشب أهداه الملك «ليو بولد الثاني» ملك بلجيكا «لمتحف بروكسل»، وهي التي كملت الجزء المفقود من ورقة «أمهرست»، وقد أطلق «كابار» على الجزء الجديد من الورقة اسم «ليو بولد الثاني»، وبهذا الكشف الجديد أصبحت الورقة كاملة إلا بعض كلمات لا تؤثر كثيرًا على المعنى وسنطلق عليها اسم ورقة «أمهرست وليو بولد الثاني»، وهاك الترجمة حرفيًّا كما وضعها الأستاذ «جاردنر» مع بعض تغيير بسيط:

(١-١) السنة السادسة عشرة، الشهر الثالث من فصل الفيضان، اليوم الثالث والعشرون في عهد جلالة ملك الوجه القبلي والوجه البحري، رب الأرضين «نفر كارع ستبن رع» بن «رع» رب التيجان مثل «آمون» «رعمسيس خعمواست مري آمون» (محبوب «آمون رع») رب الآلهة، و«رع حوراختي» معطي الحياة أبد الآبدين.

التحقيق مع الرجال الذين وُجد أنهم قد نهبوا المقابر التي في غربي «طيبة»، وهم الذين اتهمهم «بورعا» عمدة غربي «طيبة»، ورئيس الشرطة خادمي القبر العظيم السامي لملايين السنين للفرعون، وكاتب الحي «وننفر»، وملاحظ المركز غربي «طيبة» (المسمى) «أمننخت»؛ وقد أجرى التحقيق معهم في بيت مال «منتو» رب «طيبة» حاكم المدينة، والوزير «خعمواست»، وساقي الفرعون «نسآمون» كاتب الفرعون، ومدير بيت متعبدة «آمون رع» مل كالآلهة، وساقي الملك «نفر كارع-مبر-آمون» حاجب الفرعون، وعمدة «طيبة» «باسر».

وقد أحضر هناك «أمنبنفر» بن «أنحور نختي»، وهو بناء بيت «آمون رع» ملك الآلهة تحت سلطان الكاهن الأكبر (لآمون رع ملك الآلهة «أمنحتب» … وقد قيل له) … لصوص … اذكر اللصوص الذين كانوا معك … (آمون رع ملك) الآلهة …

(١–١٥) قال: لقد كنت أشتغل في عمل تحت سلطة «رعمسيس نخت»، الذي كان الكاهن الأكبر «لآمون رع» ملك الآلهة مع زملائي البنائين الذين كانوا معي، وقد أصبحت معتادًا سرقة المقابر بصحبة البناء «حعبي ور» بن «مرنبتاح» التابع للمعبد «وسر ماعت رع مري آمون» في بيت «آمون» تحت سلطان «نسآمون» الكاهن «سم» لهذا المعبد، والآن عندما بدأت السنة الثالثة عشرة من حكم الفرعون سيدنا، أي منذ أربع سنين مضت، انضممت مع النجار «سننخت» (٢-١) بن «بنعنقت» التابع لمعبد «وسر ماعت رع مري آمون» في بيت «آمون» تحت سلطة الكاهن الثاني «لآمون» ملك الآلهة، أي الكاهن «سم» «نسآمون» التابع لمعبد «وسر ماعت رع مري

آمون» في بيت «آمون»، وكذلك مع المزخرف «حعب عا» التابع لمعبد «آمون»، ومع الفلاح «أمنمحب» التابع لبيت «أمنؤبي» تحت سلطة الكاهن الأكبر «لآمون رع» ملك الآلهة المذكور، ومع النجار «إرنآمون» التابع للمشرف على الصيادين «لآمون»، ومع (صابِّ الماء) «خعمواست» التابع للمحراب الذي يحمل على الأعناق للملك «منخبرورع» (تحتمس الرابع) في «طيبة»، ومع نوتي عمدة المدينة «عحاي» بن «ثاروي» والكل ثمانية. وقد ذهبنا لنسرق المقابر على حسب ما تعودنا، وقد وجدنا هرم الملك «سخمرع شدتاوي» بن «رع سبكمساف»، وهذا لم يكن قط كالأهرام ومقابر الأشراف التي كنا نذهب لسرقتها عادة. وأخذنا آلاتنا المصنوعة من النحاس وحفرنا بها طريقنا إلى داخل هرم هذا الملك حتى وصلنا إلى نهاية عمقه فوجدنا حجراته السفلية، وأخذنا شموعًا متقدة في أيدينا ونزلنا فيها، ثم نزعنا الأحجار الصغيرة التي وجدناها عند فوهة منحدرة، ووجدنا هذا الإله (الملك) مضطجعًا عند نهاية حجرة الدفن، ووجدنا مكان دفن الملكة «نبخعس» ملكته بجواره وكانت — حجرة الدفن — محمية ومحفوظة بالجبس ومغطاة بالحصى، وقد اقتحمنا هذه أيضًا، ووجدناها ثاوية هناك على النمط السابق، ووجدنا تابوتيهما وصندوقيهما الخشبيين اللذين كانا فيهما، ووجدنا المومية الكريمة لهذا الملك مسلحة بسيف وعدد كبير من التعاويذ، والمجوهرات الذهبية حول رقبته، وغطاء رأسه المصنوع من الذهب كان عليه.

وكانت مومية هذا الملك العظيمة مزينة تمامًا بالذهب، وكانت صناديقه الخشبية مزينة بالذهب والفضة من الداخل والخارج، ومرصعة بكل أنواع الأحجار الكريمة، فجمعنا الذهب الذي وجدناه على المومية الكريمة لهذا الإله، وكذلك الذهب الذي وجدناه على التعاويذ والمجوهرات[9] التي كانت على رقبته، والتي كانت على الصناديق الخشبية التي كان يثوي فيها، وقد وجدنا الملكة في الحالة نفسها بالضبط، فجمعنا كل ما وجدناه عليها أيضًا، وأشعلنا النيران في صناديقهما الخشبية، وأخذنا أثاثهم الذي وجدناه معهم، ويحتوي على أشياء من الذهب والفضة والبرنز، وقسمناه فيما بيننا، وجعلنا الذهب الذي وجدناه على هذين الإلهين — وهو المأخوذ من موميتيهما وتعاويذهما

وصناديقهما الخشبية (ص٣–١) — ثمانية أنصبة، فكان نصيب كل منا نحن الثمانية عشرين دبنًا من الذهب، فيكون المجموع مائة وستين دبنًا من الذهب (الدبن ٩١ جرامًا) ولم يكن في ذلك قطع الأثاث. ثم عبرنا النهر إلى «طيبة». وبعد بضعة أيام سمع مشرفو أحياء «طيبة» أننا كنا نسرق في الغرب، فقبضوا عليَّ وسجنوني في إدارة عمدة «طيبة»، فأخذت العشرين دبنًا من الذهب التي كانت نصيبي وأعطيتها «خعمؤبي» كاتب المركز التابع لمرسى «طيبة»، فأطلق سراحي ولحقت برفاقي فعوضوني بجزء مرة ثانية، واستمررت مع اللصوص الآخرين الذين كانوا معي حتى اليوم في مزاولة سرقة قبور الأشراف وأهالي البلاد الذين يثوون في غربي «طيبة»، وكان عدد عظيم من أهل البلاد يسرقونها أيضًا، وكانوا شركاء في ذلك مثلنا.

بيان بأسماء اللصوص الثمانية الذين كانوا في هذا الهرم

- «أمنبنفر» بن «أنحور نختي» بنَّاء لمعبد «آمون رع» ملك الآلهة تحت سلطان الكاهن الأكبر «لآمون رع» ملك الآلهة «أمنحتب».

- «حعبي ور» بن «مرنبتاح» بناء لمعبد «وسر ماعت رع مري آمون» في بيت «آمون» تحت سلطان الكاهن الثاني «لآمون رع» ملك الآلهة «نسآمون» الكاهن «سم» لهذا المعبد في «بيت آمون».

- المزخرف «حعبي عا» بن التابع لبيت «آمون رع» ملك الآلهة تحت سلطة الكاهن الأكبر «لآمون» المذكور آنفًا.

-

النجار «إرنآمون» التابع «لنسآمون» المشرف على الصيادين لبيت «آمون رع» ملك الآلهة.

•

الفلاح «أمنمحب» التابع لبيت «أمنؤبي» المستخدم في جزيرة «أمنؤبي» تحت سلطة الكاهن الأول «لآمون» المذكور آنفًا.

•

صابُّ الماء «كامواست» التابع للمحراب الذي يحمل، وهو الخاص بالملك «منخبرو رع» (تحتمس الرابع) تحت سلطة (ترك الكاتب هنا فضاء).

•

(ص٣ س١٥) «عحانفر» بن «نخمموت»، الذي كان في خدمة العبد النوبي «ثايلامون» التابع لكاهن «آمون» الأكبر المذكور.

فمجموع من كانوا في هرم هذا الإله ثمانية. وهذا التحقيق قد أجري بضربهم بالعصي وغل أيديهم وأرجلهم. وقد قصوا نفس القصة. وأمر حاكم المدينة والوزير «خعمواست» وساقي الفرعون «نسآمون»، وهو كاتب الفرعون بأخذ اللصوص أمامهما إلى غربي «طيبة» في السنة السادسة عشرة، الشهر الثالث من فصل الفيضان، اليوم التاسع عشر. وقد دل اللصوص على قبر هذا الإله الذي نهبوه (يقصد هنا بالإله الملك).

وقد عمل محضر مكتوب للتحقيق معهم واتهامهم، وأرسل التقرير الخاص بذلك إلى حضرة الفرعون على يد الوزير والساقي، والحاجب، وعمدة «طيبة».

(ص٤–١) السنة السادسة عشرة، الشهر الثالث من فصل الفيضان، اليوم الثاني والعشرون، وهو يوم تسليم اللصوص الذين كانوا في هرم هذا الملك «لأمنحتب» الكاهن الأكبر «لآمون رع» ملك الآلهة (وقد عمل هذا) في المحكمة العليا على يد حاكم المدينة، والوزير «خعمواست»، وساقي

الفرعون «نسآمون» كاتب الفرعون، ومدير البيت للمتعبدة «لآمون رع» ملك الآلهة، وساقي الملك «نفر كارع مبر آمون» حاجب الفرعون، وعمدة (طيبة) «باسر»، والأشراف العظام للمحكمة العليا الفرعونية، وقد دوِّن على إضمامة بردي، وأودع في إدارة المكتبات في هذا اليوم.

الناس الذين سُلموا إليه في هذا اليوم على يد الأشراف العظماء: البناء «أمنبنفر» بن «أنحور نخت» التابع لمعبد «آمون رع» ملك الآلهة تحت سلطان الكاهن الأكبر «لآمون» المذكور.

(ص٤ س٥) «حعبي-ور» بن «مرنبتاح»، وهو بناء تابع لمعبد الملك «وسر ماعت رع مري آمون» في بيت «آمون» تحت سلطة الكاهن الثاني «لآمون رع» ملك الآلهة «نسآمون»، وهو الكاهن «سم» لمعبد «وسر ماعت رع مري آمون» في بيت «آمون».

الوكيل «أمنمحب» التابع لبيت «أمنؤبي» الذي كان مستخدمًا في جزيرة «أمنؤبي» تحت سلطان الكاهن الأكبر «لآمون رع» ملك الآلهة المذكور آنفًا، البستاني «شد-سواني» بن «آني نخت» التابع لبيت «أمنحتب» محبوب «آمون رع» ملك الآلهة تحت سلطة الكاهن الأكبر «لآمون» ملك الآلهة المذكور آنفًا. إنه لم يدخل هرم الملك، ولكنه كان ضمن السبعة عشر لصًّا الذين وجدوا يسرقون المقابر التي غربي «طيبة».

المجموع: واللصوص الذين كانوا في هرم الإله المذكور، وهم الذين سُلموا للكاهن الأكبر «لآمون» المذكور في هذا اليوم ثلاثة رجال — لص مقابر: رجل واحد.

(ص٤ سطر ١٠) لصوص هرم الإله المذكور الغائبون؛ وهم الذين كلف بإحضارهم ثانية الكاهن الأكبر «لآمون رع» ملك الآلهة لأجل أن يُلقى بهم في السجن، ومعهم رفقاؤهم اللصوص في حصن بيت «آمون رع» ملك الآلهة إلى أن يقرر الفرعون سيدنا عقابهم.

النجار «ستخنخت» بن «بنعنقت» التابع لمعبد «وسر ماعت رع مري آمون» في بيت «آمون» تحت سلطة الكاهن الثاني «لآمون رع» ملك الآلهة «نسيآمون»، وهو الكاهن «سم» لمعبد «وسر

ماعت رع مري آمون» في بيت «آمون» (والبقية تركت ولم تكتب).

المجموعة «ب»

والآن ننتقل إلى مجموعة أخرى لها علاقة بهذه السرقات.

ورقة «هاريس» رقم ١٠٠٥٤ بالمتحف البريطاني: هذه الورقة قد دون عليها عدة متون غير مرتبط بعضها بالبعض الآخر من حيث الموضوع، ولكنها كانت كلها خاصة بالسرقات التي كانت تحدث في المقابر في ذلك العهد (Select, Pap. P1 ZXXIX)، وهي ضمن مجموعة الأوراق التي تركها «هاريس»، ويبلغ طولها حوالي ١١٦ سنتيمترًا وعرضها ٤١ سنتيمترًا. ومحتويات هذه الورقة يمكن تلخيصها باختصار فيما يأتي:

(١) **ظهر الورقة (ص١):** التاريخ: السنة السادسة عشرة والعنوان. التحقيق مع البناء «أمنبنفر»، الذي يعترف بأنه سرق مع جماعة آخرين مقابر في الجهة الغربية من «طيبة».

(٢) **وجه الورقة: (ص٢ س١–٧):** (فقط منها سطران تقريبًا).

لص (قد ضاع اسمه) يعترف مع ثلاثة آخرين بسرقة ١٦ قدتا من الذهب من مقابر، وأحد هذه المقابر لكاهن ثالث «لآمون» ويدعى «ثانفر». وهذا القبر هو رقم ١٥٨ في «ذراع أبو النجا» (راجع Gardiner & Weigall Cat. No. 158).

(٣) **وجه الورقة: (ص١ س٨–١٢):** نجد اللص نفسه يعترف بارتكاب سرقة من مقبرة في حي «نفرتاري» (؟).

(٤) **وجه الورقة: (ص٢ س١–٦):** اعتراف سماك اسمه قد ضاع بأنه قد عدَّى في قاربه ستة لصوص، وتسلم من واحد منهم يدعى «بانخترسي» ثلاثة قدات من الذهب أجرًا له. وهذه هي نفس

الحادثة التي سنقرؤها فيما بعد وهي المنسوبة إلى «باخيحات» في وجه الورقة (ص١–٦) حيث نعرف أسماء هؤلاء اللصوص الستة، والسماك الذي عبر بهم في قاربه إذ يدعى «بانختمؤبي».

(٥) **وجه الورقة: (ص٢ س٧–١٢):** نقرأ عن شخص يدعى «أمنبنفر» الذي يعرف بزيارة قام بها مع آخرين لمقابر غربي «طيبة»، وإحضار ذهب وفضة من هناك.

(٦) **ظهر الورقة: (ص٢ س١٣–١٦):** يعترف نفس الرجل بسرقة ذهب من تابوت داخلي لشخص يدعى «أمنخعو» يلقب حارس الخزانة، وحامل المروحة لمعبد «آمون». وهذا القبر على ما يظهر ليس معروفًا لنا حتى الآن.

(٧) **وجه الورقة: (ص١٣ س١–٦):** يعترف هنا «باخيحات» بسرقات من الذهب والفضة من مقابر غربي «طيبة»، ويشترك معه في ذلك خمسة رجال آخرون. وهذه هي الحادثة التي أشرنا إليها من قبل في (ص٢ س١–٦) وهي التي قصها السماك «بانختمؤبي» وهو الذي يتهمه هنا بحق «باخيحات».

والمتن الذي يسترعي نظرنا في هذه الورقة غير ما ذكر هو الذي جاء في الصفحة الثالثة من وجه الورقة (س٧–١٧) إذ نجد السطر السابع يبتدئ بالتاريخ: السنة الثامنة عشرة، الشهر الثاني من فصل الفيضان، اليوم الرابع والعشرون. ويأتي بعد ذلك شهادة كاهن يدعى «بنون حاب» إذ قد اعترف أنه قد ذهب مع كهنة آخرين إلى مكان لم يعين، وسرق أوراق ذهب من تمثال الإله «نفر توم» الخاص بالفرعون «رعمسيس الثاني». هذا فضلًا عن أنه قد اتهم بأنه قد ذهب إلى مكان ما خاص بهذا الإله، وسرق منه أربع قطع من الفضة، ووضع مكانها أخرى مصنوعة من الخشب أو مادة أخرى، وقد دُعي صائغ لتحقيق الموضوع. ويقدم لنا هذا الشخص قائمة بالأفراد الذين اشتركوا معه في الجريمة، واستولوا على الغنيمة. وأخيرًا نجد مذكورًا في السطر السابع عشر أن نحاسَيْنِ قد اتُّهما بسرقة البرنز الذي كان على تمثال «السيد»، وهذا الجزء كما هو ظاهر ليس له

علاقة بما سبقه، وتاريخه بعد تاريخ المتن الذي على ظهر الورقة في الصفحة الأولى بسنتين، وبهذا ينتهي المتن الذي على وجه الورقة.

نعود الآن إلى متن ظهر الورقة، بصرف النظر عن الصفحة الأولى منه الخاصة بسرقة المقابر، فيصادفنا المتن الذي على يسارها. وهذا المتن يشمل عمودين من الأسماء فوقها سطران طويلان بمثابة عنوانين. ومن هذه نفهم أنها قائمة رجال تابعين للأرض كان يصنع لهم الشعير خبزًا، ويقدمه لهم مدير بيت مغنية «آمون» و«قاشوتي» كاتب الجيش. وقد أرخت القائمة بالسنة السادسة، الشهر الثالث من فصل الفيضان، اليوم العاشر من الشهر.

والأشخاص الذين كانوا يتسلمون الشعير قد وصفوا بأنهم: كل رجل من كل بيت داخل حصون معبد «وسر ماعت رع مري آمون» (رعمسيس الثالث). وقد كان يقوم بالتوزيع الأمير «بورعا»، وكاتب الحي «وننفر»، وضابطا المركز «آني نخت»، و«أمنخعو». ومقدار الشعير (الشوفان) الذي كان يصرف لكل شخص قد كتب بالمداد الأحمر على اليسار لكل رجل أو امرأة، ومجموع الشعير الذي دون هو ـ حقيبة (خار) والحقيبة تعادل أربع دبنات.

والآن نعود إلى بحث متن السرقة الذي على وجه الورقة ١، ٥، ٦، والذي على ظهرها ١، ٢، ٣، ١ـ٦.

فالمتن الذي على وجه الورقة مؤرخ بالسنة السادسة عشرة، الشهر الثالث من فصل الفيضان، اليوم التاسع عشر، وعنوانه: محاكمة اللصوص الذين وجد أنهم سرقوا مقابر غربي «طيبة»، وهم الذين حاكمهم الوزير «خعمواست» وساقي الفرعون «نسآمون» وهو كاتب الفرعون، وساقي الفرعون «نفر كارع-مبر آمون» حاجب الفرعون، وأمير «طيبة» (باسر) والشاهد على ذلك هو البناء «أمنبنفر» (VSI. 4)، وقد اعترف بأنه نهب التوابيت الداخلية لأصحاب المقابر (وإن لم يذكر أسماء أصحاب المقابر).

ويحتمل أن سبب ذلك ينحصر في أنه لا يعرفه، وكان له ستة شركاء، وهم: البناء «حعبي-ور»، والفلاح «أمنمحب»، والنجار «ستخ-نخت»، والنجار «أرنآمون»، وقاطع الأحجار «حعبي عا»، والسقاء «خعمواست»؛ ويذكر أن السرقة قد حدثت في السنة الثالثة عشرة، أي منذ أربع سنين مضت من هذا التاريخ.

ولن يغيب عن الذهن أن شركاءه الستة هم من بين ثمانية اللصوص الذين جاء ذكرهم في ورقة «أمهرست»، وأنه من الجائز إذن أن «أمنبنفر» هو الرجل الذي لم يذكر اسمه، وهو الذي يدلي باعترافه هناك. وعلى أية حال فإننا هنا في حضرة عصابة اللصوص نفسها، وكانت أكبر سرقة قاموا بها هي نهب مقبرة الملك «سبكمساف» وزوجه «بنخعس». والسرقات التي يعترف بها هنا «أمنبنفر» قد ارتكبت في مقابر أفراد من الشعب، لا مقابر أمراء أو ملوك، في نفس السنة، كالسرقة العظيمة التي قصت في ورقة «أمهرست» و«ليو بولد الثاني».

أما الاعترافات التي على وجه الورقة فأقل أهمية، ولما كان «أمنبنفر» لم يُدلِ ببيان آخر، فمن الجائز أنها لم تقع في تاريخ اليوم الذي ذكر على ظهر الورقة، وهي تبحث في سرقات منوعة يظهر أنها ارتكبت في مقابر أفراد. وإذا استثنينا الإشارة إلى السماك «باتحمنوبي» التي نجدها مرة أخرى في الورقة (١٠٠٥٢) فإنه لا توجد فيها معلومات مفيدة يمكن استنباطها.

وقد بقي للفحص القائمة التي وردت في الصفحتين الخامسة والسادسة؛ فمن بين الأسماء العشرين التي لم يبقَ منها سليمًا إلا سبعة يتألف منها جماعة اللصوص المتهمين — على حسب ما جاء من براهين تثبت ذلك — في المتن الذي على وجه الورقة (ص٣ س١–٦).

ولدينا خمسة آخرون من اللصوص الذين ذكرهم «أمنبنفر» على ظهر الورقة (س١–٩) من مجموعة «هاوست»، على حين أن الثمانية الباقين لم يردوا في أي متن على ما نعلم من متون السرقات. ولا نزاع في أنها قائمة لصوص قُبض عليهم، أو دونت أسماؤهم للقبض عليهم، ومما

تجدر ملاحظته أن هذه القائمة لا تحتوي على اسم من الكهنة اللصوص الذين ذكروا على وجه الورقة (ص٣ س٧–١٧).

ولم يبقَ لدينا من متون سرقة المقابر الآن إلا قائمة الأسماء التي على ظهر الصفحتين الخامسة والسادسة، وقد فقدت عنوانها بكل أسف، ولا يمكن الإدلاء عنها برأي، إلا أنها كتبت بعد المتن الأصلي، الذي على ظهر الورقة في الصفحة الأولى.

وهاك ترجمة الجزء الخاص بسرقة المقابر من هذه الوثيقة:

ظهر الورقة: (ص١) (P1. VII): (١) السنة السادسة عشرة، الشهر الثالث من فصل الفيضان. اليوم التاسع عشر[١٠] التحقيق مع اللصوص الذين وجد أنهم سرقوا مقابر غربي المدينة، وهم الذين حقق معهم عمدة المدينة والوزير «خعمواست» وساقي الملك (٣) «نسيآمون» كاتب الفرعون، وساقي الفرعون «نفر رع-مبر-آمون» حاجب الفرعون، والأمير «باسر» حاكم المدينة (٤) وقد أحضر البناء «أمنبنفر» بن «أنحور نخت» وأمه «مري» النوبية، وقد حقق معه بالضرب العصى، ولويت يداه ورجلاه فاعترف بأنه ذهب إلى ما وراء (؟) القلعة أو الحصن الواقع غربي المدينة (طيبة) على حسب عادته ... في السنة الثالثة عشرة من حكم الفرعون، أي منذ أربع سنين مضت. وقد كنت مع البناء «حعبي ور» والفلاح «أمنمحب» (؟) (٧) والنجار «ستخنخت» والنجار «أرنآمون» التابع للمشرف على الصيادين «لآمون» وقاطع الأحجار «حعبي عا» وحامل الماء «خعمواست» (٨) التابع لمقصورة الملك ... فيكون المجموع ٧ رجال. فاقتحمنا مقابر غربي المدينة، وأخرجنا توابيتها الداخلية التي كانت فيها (؟) ونزعنا ما عليها من ذهب وفضة وسرقناها وقسمتها بيني وبين شركائي.

وجه الورقة (ص ١): (P1. VI) (ضاع من أول الورقة سطران): (١) ... مومية ووجدنا ... (٢) ... مغطاة بذهب منقوش عند رقبته (٣) ونحن ... ذهبنا إلى قبره «تانوفر» (٤) الذي كان كاهنًا ثالثًا «مون» ففتحناه، وأخرجنا تابوته الداخلي وأخذنا المومية وتركناها هناك في ركن مقبرته. وأخذنا توابيته الداخلية إلى هذا القارب مع الباقي إلى جزيرة «أمنمؤبي»، وأشعلنا فيها

النيران في أثناء الليل، وأخذنا الذهب الذي وجدناه (٧) عليها، وقد كان نصيب كل واحد منا أربعة قدات من الذهب، وذهبنا مرة ثانية إلى حي «نفر»[11] ... (الحياة والسعادة) والصحة. ودخلنا مقبرة وفتحناها وأخرجنا منها تابوتًا داخليًّا، وقد كان مغطًى بالذهب حتى رقبته فنزعناه بقادوم من النحاس وأخذناه (١٠) ثم أشعلنا فيه النار داخل القبر. ووجدنا حوضًا من البرنز وإناءين منه فأحضرناها إلى هذا الشاطئ وقسمتها مع رفاقي. الآن عندما ضبطنا جاء كاتب الحي «خعمؤبي» ... فأعطيته ٤ قدات من الذهب وهي التي كانت نصيبي.

وجه الورقة (ص٢): (P1. VI) (فقد سطر أو سطران): (١) نحاس (؟) ... (٢) تعال واذهب معي لتعبر بنا إلى الشاطئ الآخر. أنا ... (٣) عبرت معهم ليلًا وأنزلتهم على شاطئ غربي المدينة (طيبة) وقالوا لي ... (٤) حتى تأتي ثانية. والآن في مساء اليوم التالي أتوا إليَّ ونادوا عليَّ ليلًا وذهبت (٥) إليهم على هذا الشاطئ، وأخذتهم ستة وأحضرتهم إلى هذا الشاطئ من النهر، وأنزلتهم عند شاطئ ميناء المدينة (٦) والآن بعد بضعة أيام أتى «بنخت رس» إليَّ محضرًا ثلاثة قدات من الذهب.

(٧) وقد أحضر «أمنبنفر» بن «أنحور نخت» وأمه هي «مري» النوبية، وهو بنَّاء في معبد «آمون» الذي تحت إدارة كاهن «آمون»، وقد حقق معه (٨) وقال: لقد ذهبت إلى مقابر غربي المدينة. وأحضرنا (٩) الفضة والذهب اللذين وجدناهما هناك في المقابر وأواني القربان التي وجدناها فيها (١٠) وكنت أحمل أزاميلي النحاس التي كانت في أيدينا، وفتحنا التوابيت الخارجية بالأزاميل النحاسية التي كانت في أيدينا، وأخرجنا (١١) التوابيت الداخلية التي كان عليها ذهب وكسرناها وأشعلنا النار فيها في أثناء الليل في داخل المقبرة (١٢) وحملنا الذهب والفضة التي وجدناها فيها وأخذناها وقسمناها بين أنفسنا (١٣) والآن ذهبت ثانية إلى المقابر مع قاطع الأحجار «حعبي ور» بن «مرنبتاح» وقاطع الأحجار «حعبي عا» معي. المجموع ثلاثة (١٤) وذهبنا إلى مقبرة «أمنخعو» أمين الخزانة وحامل المروحة لمعبد «آمون»، ونزلنا إلى حجرة الدفن (؟)

فوجدنا تابوتًا خارجيًّا من حجر «خنو» (أي حجر السلسلة) في حجرة دفنه (؟) ففتحناه وهشمنا (١٦) موميته وتركناها هناك في قبرها، ولكنا أخذنا تابوته الداخلي وغطاءه ونزعنا منه ذهبه.

وجه الورقة (ص ٣): (Pls. VI-VII): وقد أحضر «بخيحات» بن «قداختف» وأمه هي «بوبيت Buipet» من غربي المدينة، وكان نحاس الجبانة. وقد حقق معه فقال: ذهبت إلى مقابر غربي المدينة مع النحاس «يا وارسي»، والنحاس «بنتحت نخت» والنجار «ستخنخت» ... (٣) و«نبنحترس»، وهو رجل من هيئة عمال معبد الملك «عا خبر رع» (؟) الذي تحت إدارة كاهن «آمون»، والنحاس «أتنفر» التابع لمعبد «منتو» رب «زرتي» (٤) ودخلنا مقابر عرب المدينة، وسلبنا الفضة والذهب التي وجدناها في المقابر (٥) فأخذناها وبعناها في قارب (؟) «زار» عند ميناء المدينة، وذهبنا نحن الستة جميعًا معًا. وكان السماك «بنحتمؤني» التابع لأمير المدينة هو الذي عبر بنا إلى غربي «طيبة» وكان نصيبه كنصيبينا بالضبط. (٧) السنة الثامنة عشرة، الشهر الثاني من فصل الفيضان، اليوم الرابع والعشرون، أخذت شهادة الكاهن «وعب» المسمى «بنو نحاب» وقد استمع إلى بيانه. وقد قالوا له: ماذا عندك لتقوله عن ورقة الذهب هذه الخاصة بالإله «نفرتم» الخاص بالفرعون «وسر ماعت رع ستبن رع» الإله العظيم. فقال: لقد ذهبت مع الكاهن والد الإله «حعبي ور» ووالد الإله «سدي»، ووالد الإله «بيسن» بن «حعبي ور» ووالد الإله «بيخال» (٩) ونزعنا الذهب الذي كان على أسطوانة العمود (؟) الخاص بالإله «نفرتم». وقد سلبنا أربعة دبنات وستة قدات من الذهب وأذبتها، وقسمها الكاهن والد الإله «حعبي ور» بينه وبين رفاقه. وأعطوني ثلاثة قدات من الذهب، وأعطوا مثلها لوالد الإله «بيخال» ابن (؟) ... وأخذوا الباقي (١١) والآن قال الصائغ: إن الإله الخاص بالفرعون قد بقي منزوعًا منه الذهب حتى هذا اليوم، وإنه ليس مغطى و... قال أيضًا ... ذهبت إلى محاريب هذا الإله، وسلبت أربع تعاويذ في صورة ثور (؟) من الفضة وكسرتها. وعملت صورًا لها من الخشب ... ووضعتها مكانها (١٣) ووزن أربع التعاويذ التي على شكل ثور ستة دبنات من الفضة، وقد قسموها بينهم (١٤) الرجال ووالد الإله «بيخال»، والكاهن المطهر «بنو نحب» الذين منحوا ذهب الإله «نفرتم»، فأخذ الكاهن «سم خعمؤبي» دبنًا واحدًا من الذهب، وكاتب السجلات الملكية «ستخموسى» ستة

قدات من الذهب، والكاهن والد الإله «حعبي ور» ثلاثة قدات، والكاهن والد الإله «سدي» ثلاثة قدات، والكاهن والد الإله «بخرو» ثلاثة (١٦) والكاهن المطهر «بنو نحب» ثلاثة قدات، والكاهن المطهر «بش» بن «حعبي ور» ثلاثة قدات، والكاهن المطهر «ستخموسى» قدًّا واحدًا من الذهب؛ المقدار الذي لا يزال يغطي الإله ثمانية قدات، والمجموع أربعة دبنات من الذهب (١٧) وقال الكاهن والد الإله «بيخال» والنحاس «خنسموسى» والنحاس «وسر ماعت نخت»: إنهم سلبوا خمسين ومائة دبن من النحاس من التمثال العظيم الذي يقف في الردهة، وهي في حوزتهم.

وبعد ذلك يأتي في الصحيفتين الخامسة والسادسة قائمة بأسماء، ولكن مما يؤسف له أننا لا نعرف موضوعها؛ لأن عنوانها فُقد.

تعليق عام على الوثائق الثلاث: والآن — بعد أن استعرضنا الوثائق الثلاث الهامة الخاصة بسرقة المقابر الملكية على وجه خاص وغيرها من مقابر الأفراد، وأعني بذلك ورقة «إبوت» وورقة «أمهرست» و«ليو بولد الثاني»، ثم ورقة «المتحف البريطاني» رقم ١٠٠٥٤ — يجدر بنا أن نلخص الموضوع بصورة واضحة من محتويات كل هذه المصادر؛ لأنها من الأهمية بمكان في تاريخ البلاد الاجتماعي في هذه الفترة من عهد فراعنة أواخر الأسرة الواحدة والعشرين. والواقع أنه منذ عهد «رعمسيس الثالث» أخذت مدينة «طيبة»، التي كانت — إلى حد بعيد — المركز الديني للبلاد في تدهور مستمر بصورة مشينة، فكما قلنا: شهد عصر «رعمسيس الثالث» إضرابات للعمال الذين كانوا يشتغلون في حفر المقابر الملكية وغيرها، هذا بالإضافة إلى مؤامرات قامت في الحريم الملكي، وغزو الأجانب للدلتا. وقد خلف «رعمسيس الثالث» سلسلة فراعنة ضعفاء جلبوا «لطيبة» الفقر أكثر مما كانت عليه باتخاذهم إحدى العواصم الشمالية عاصمة لملكهم. وقد حدث من وقت لآخر غارات نوبية في عهد «رعمسيس التاسع» على إقليم «طيبة»؛ ولهذا السبب وغيره كان العمل في جبانة «طيبة» في أغلب الأحيان يتوقف جملة. ولا

غرابة إذن في أن ترى العمال الذين أصابهم الفقر، وغمرهم البؤس من جراء ذلك يبحثون عن علاج لهذه الحالة الموئسة، فولوا وجوههم شطر نهب المقابر طلبًا للأصفر الرنان.

ففي العام الرابع عشر من عهد الفرعون «رعمسيس التاسع»، نسمع بمحاكمة نحاس يدعى «بيخال» أمام الوزير في ذلك العهد، وقد اعترف أنه سرق أشياء من مقبرة الملكة «إزيس»، غير أنه لم يكن في مقدوره الإرشاد إلى موقع القبر.

وقد اعترف لنا البناء «أمنبنفر» بأنه بدأ سرقاته للمقابر في السنة التي قبل السنة السالفة الذكر، أي في السنة الثالثة عشرة من حكم هذا الفرعون. ومن المحتمل أن حسن طالعه هو وشركائه قد ساقهم في السنة الرابعة عشرة — أو في باكورة السنة الخامسة عشرة — إلى العثور على قبر الملك «سبكمساف» الذي كان غنيًّا بالذهب والحلي بصفة تفوق المعتاد، وكذلك قبر زوجه الملكة «نبخعس»، ولدينا مختصر عن سرقة هذا القبر الذي ينسب صاحبه إلى الأسرة الرابعة عشرة يقول: إنه قد نهبه اللصوص بثقب نهاية الهرم من الحجرة الخارجية لمقبرة «نبأمون» الذي كان يلقب بالمشرف على مخزن الغلال، وكان معاصرًا للفرعون «منخبر رع» (تحتمس الثالث). وقد وجد مكان الدفن خاليًا من سيده، وكذلك مكان دفن الملكة العظيمة «بنخعس» زوجه وقد سرقهما اللصوص (إبوت ص٤ س١٥-١٦).

وقد ظن الأثريان «نيوبري» و«سبيلبرج» اللذان كانا يقومان بحفائر في هذه الجهة لحساب المركيز «نور ثمبتون» عام ١٨٩٨-١٨٩٩ أنهما عثرا على قبر «نبأمون» الحقيقي الذي دخل منه اللصوص إلى مقبرة الفرعون «سبكمساف»، وقد عرف هذا القبر فقط على أنه للمشرف على مخزن الغلال من بعض «مخاريط» تحمل اسمه ولقبه، ولكن يجوز أنها تناثرت من القبر رقم ٢٣١، الذي يبعد عن النقطة التي كانا يحفران فيها. وفضلًا عن ذلك فإن النفق الذي عثر عليه «نيو بري» وزميله ممتدًّا تحت الهرم الذي كان مفروضًا أن يكون فيه الملك «سبكمساف» لا يبتدئ من

الحجرة الخارجية — كما تقول البردية — بل من الحجرة الداخلية. ومن الحقائق الغريبة التي نلحظها وجود عدد من المقابر المختلفة معروفة لأشخاص يسمى كل منهم «نبأمون»، ويحمل كل منهم لقب «المشرف على الغلال» أو «حاسب غلال آمون»؛[١٢] ولهذا السبب نجد أن الأستاذ «ونلك» كان يشك في هذا التحقيق الأثري (Winlock. J. E. A. vo1. 10 p. 241 note 4) الذي قام به زميلاه الأستاذان «نيو بري» و«سبيجلبرج».

ومن المحتمل أننا لن نعرف يومًا ما قط الأسباب التي دعت «باسر» عمدة «طيبة» إلى التصميم على القيام بهذه الحملة المنظمة في بداية السنة السادسة عشرة على زميله حاكم «طيبة» الغربية «بورعا»، ومن الجائز أنه شعر بأن مركزه الرسمي في خطر من جراء الفضيحة العلنية الخاصة بسرقات المقابر، التي كانت تجري على مقربة من مقر سلطته. ومن المعقول كذلك أن مما دفعه إلى ذلك هو العداوة الشخصية التي كان يكنها في صدره لعمدة «طيبة» الغربية «بورعا» حيث كانت الجبانة. ومن الجائز أخيرًا أن يكون الدافع إلى ذلك تألمه الطبعي من الفظائع، التي كانت ترتكب هناك ضد ملوكه الغابرين وولاؤه للفرعون الغائب في عاصمته الشمالية. ومهما تكن الأسباب التي دعته إلى القيام بهذا العمل، فإن «باسر» هو الذي قام بالحركة الأولى لفحص المقابر بنشاط بين اليوم الثامن عشر واليوم الثاني والعشرين من الشهر الثالث من فصل الفيضان. ولدينا براهين مبينة على أنه هو الذي ادعى أن قبر الملك «أمنحتب الأول» قد نهب (إبوت ١، ٣-٤) وأنه هو الذي اتهم كذلك النحاس «بيخال» ورفيقيه من العمال بأنهم قد قاموا بارتكاب سرقات في «مكان الجمال»، أي في الوادي المعروف بمقابر الملكات.

وليس لدينا كبير شك في أن «باسر» هو الذي اتهم «أمننفر» بسرقة هرم «سبكمساف». ومن الجائز حقًّا أن كل المقابر الملكية التي فحصت على أثر ذلك بوساطة اللجنة كانت قد عُينت في الاتهامات التي وضعها «باسر» أمام الوزير. وقد ناقض هذا الرأي الأستاذ «أرك بيت» كما ذكرنا من قبل. وحتى إذا كان الأمر كذلك فإنه إما أن يكون قد ادخر للمستقبل، أو أضاف إلى عمله

فيما بعد خمسة اتهامات كان يعتقد أنها براهين هادمة للعمال ولموظفي الجبانة (راجع ورقة إبوت ص٥ س١٦–١٨، ص٦ س٩–١١).

وقد كان «باسر» بطبيعة وظيفته عضوًا في المحكمة العليا التي كانت تعقد في أماكن مختلفة في داخل حدود «معبد الكرنك»، غير أنه لم يجد قبولًا حسنًا من زملائه، ومن بين هؤلاء كان الوزير «خعمواست» الذي يمثل العدالة المطلقة، في حين أن ساقي الملك «نسيآمون» و«نفر كارع مبر آمون» قد نالا مركزيهما في هذه المحكمة لاتصالهما الوثيق بالملك. وفي الجلستين اللتين عقدتا في الحادي والعشرين والثاني والعشرين من الشهر كان «أمنحتب» الكاهن الأول «لآمون رع» عضوًا بارزًا في المحكمة، ولا يعلو عليه فيها إلا الوزير بين الأعضاء كلهم، والأعضاء الباقون هم: ممثل الجيش، وممثل البحرية، والكاهن الثاني «لآمون»، ثم الأشراف العظام. والظاهر أن أعضاء المحكمة كلهم كانوا متفقين على استقباح الافتراءات التي رميت بها — ضمنًا — إدارة «بورعا».

ومن المحتمل أن «بورعا» — لكي يخلص نفسه — بدأ هو ومرءوسوه — كما جاء في كل من ورقة «إبوت» (ص١ س ٧، ٨) وورقة «أمهرست» و«ليو بولد الثاني» (ص١ س٣–٥) — بوضع المعلومات التي كانت المحكمة العليا قد أخذت تعمل بمقتضاها، وقد كانت أول خطوة اتخذها أعضاء المحكمة إرسال لجنة لزيارة كل المقابر التي اشتبه في أنها سرقت. وهذه اللجنة هي التي كانت تدعى بالمراقبين للجبانة العظيمة السامية، وكانت تألفت من «بورعا» نفسه، ومن مرءوسيه من ضباط الشرطة، ومن بعض كهنة مدينة «هابو»، ومن السكرتاريين الخصوصيين للساقيَيْن «نسيآمون» و«نفر كارع مبر-آمون». وقد مكثت دورتهم التفتيشية معظم اليوم الثامن عشر. وقد قدم التقرير إلى الوزير وإلى عظماء الأشراف في ظهيرة نفس اليوم، فوجد أنه — من بين عشر المقابر الملكية التي ذكرت في الاتهام — لم ينهب إلا مقبرة واحدة هي مقبرة الملك «سبكمساف»، أما المقابر الباقية فقد أعلن أنها سليمة بما في ذلك مقبرة الفرعون «أمنحتب

الأول»، وهي أعظم مقبرة ذكرت في اتهامات «باسر». ومن جهة أخرى وجد أن مقبرتين لكاهنتين مغنيتين — هذا إلى مقابر عدة لأشخاص أقل أهمية — قد خربت (راجع ورقة المتحف البريطاني رقم ١٠٠٥٢ ظهر الورقة ٥-٦). وقد قام «بورعا» وزملاؤه — على عجل — بكتابة قائمة بأسماء لصوص المقابر، وقد عُدد فيها حوالي خمسة وعشرين لصًّا، وقبض — في الحال — على أكثر عدد ممكن منهم وأحضروا للمحاكمة، ومن بين هؤلاء «أمنبنفر» وعدد كبير من شركائه. ومن المحتمل كذلك النحاس «بيخال» ونحاسان آخران تابعان لمعبد مدينة «هابو». هذا بالإضافة إلى فرد يدعى «بخيحات» وهو نحاس له صلة بقبر الفرعون الحاكم الذي كان في طور البناء، واللص المذكور أخيرًا كان له عصابة خاصة ليس لها علاقة بعصابة «أمنبنفر» إلا أن النجار «ستخ نخت» كان عضوًا في العصابتين، وقد ضُرب هؤلاء الناس وغيرهم ضربًا مبرحًا، ولويت أذرعهم وأرجلهم، وبعد ذلك أمروا بالاعتراف بجرائمهم. ومن المحتمل أن «أمنبنفر» قد اعترف في الحال بنهب هرم «سبكمساف»، وقد كان لديه فضلًا عن ذلك سلسلة مغامرات ليقصها.

ولا يسع الإنسان إلا أن يعجب بالسرور الذي كان يفيض على نفس «أمنبنفر»، عندما كان يقص سرقاته — إلا إذا كانت هذه الاتهامات التي ذكرت في الورقة ملفقة[١٣] — بما في ذلك التخريب التام لمقبرة «ثانفر» الذي كان يشغل وظيفة الكاهن الثاني «لآمون» في عهد «رعمسيس الثاني». وهذا القبر على ارتفاع عظيم في جانب تلي «ذراع أبو النجا» ويمكن زيارته حتى الآن (راجع Gardiner & Weigall Topographical Cat. No. 158).

والظاهر أن «بخيحات» قد نال بعض النجاح بوصفه لص مقابر في حين أن «بيخال»، على الرغم من أنه لم يكن موضع ثقة فيما أكده قد أفشى حادثًا مثيرًا، وهو اقتحامه مقبرة الملكة «إسي» (إزيس) زوج «رعمسيس الثالث».

والواقع أن ما كشف عنه التحقيق الأول على أية حال يتضاءل أمام ما قام به «أمنبنفر»، عندما نهب مقبرة الملك «سبكمساف» كما قصها هو في اليوم الثاني والعشرين أمام المحكمة العليا. وقد ذكرنا القصة في الترجمة التي أوردناها فيما سبق، ولا داعي هنا لسردها من جديد. ولسنا على يقين من أن كل هذه التفصيلات قد أدلى بها «أمنبنفر» عندما حُقق معه للمرة الأولى في اليوم التاسع عشر من الشهر، ولكن لا بد أنه قد اعترف بما فيه الكفاية ليثير بلبلة عظيمة. ولا نزاع في أن القضاة قد تولاهم الخزي بخاصة عندما اعترف بأنه كان قد قبض عليه بسبب هذه الجريمة نفسها منذ سنة كاملة مضت، ولكنه أفلت منها بتقديم رشوة للكاتب «خعمؤبي» وهو كاتب تابع لمرسى «طيبة». وقد أفلح هذا الموظف المدنس في انتزاع عشرين دبنًا من الذهب من هرم «سبكمساف»، هذا فضلًا عن أربعة قدات من الذهب من الغنيمة التي سلبت من مقبرة «ثانوفر». وقد ألقت لنا ورقة «أمهرست وليو بولد الثاني» ضوءًا هامًّا على هذا الموضوع؛ إذ أبانت أن أفرادًا من أتباع عمدة مدينة «طيبة» كانوا منذ أن جرت هذه الحال يحاربون تلك الجرائم التي كانت تقع في الجبانة، ومنذ أن سجن «أمنبنفر» في إدارة «باسر» ظهر أنه كان من المؤكد تمامًا أن «باسر» هذا نفسه قد أصبح على علم بسرقة مقبرة الملك «سبكمساف» منذ زمن كبير قبل أن يضع اتهاماته أمام عيني الوزير. ونحن نعلم أن بعض الاتهامات التي وجهها «باسر» كانت قد وجهت على علم مؤكد بحقيقتها. أما عن «أمنبنفر» فإنه عند عودته إلى الجبانة لم يضيّع لحظة من وقته في العودة سيرته الأولى من السرقة والنهب. وإذا صدقنا ما جاء في محضر التحقيق، فإنه على ما يظهر كان يفخر بذلك العمل المشين، بل وصلت به القحة إلى أن يلتمس لنفسه العذر في تلك الجرائم بقوله: إن نصف سكان «طيبة الغربية» كانوا يمارسون نفس المهنة[١٤] (Leopold, 3, 5–7).

ولا نزاع في أن تفتيش المقابر نفسها في اليوم الثامن عشر قد عد نجاحًا للأمير «بورعا»، إذ إن معظم التهم التي وجهت لسكان الجبانة قد نفيت عنها، على الرغم من أن نهب مقبرة الملك

«سبكمساف» كان أمرًا لا مراء فيه، وقد أضاف إلى ذلك النحاس «بيخال» جريمة جديدة إلى قائمة جرائمه، باعترافه أنه قد سرق أشياء من مقبرة الملكة «إسى» (إزيس). وقد عد الوزير «خعمواست» وساقي الفرعون «نسيآمون» الموقف جد خطير، ويحتاج إلى ذهابهم بأنفسهم ليحققوا الأمر في مكان الحادث. ولا بد أنهما قد عبرا النهر إلى الشاطئ الغربي في عصر اليوم التاسع عشر من الشهر وبصحبتهما «أمنبنفر» وشركاؤه، وكذلك النحاس «بيخال». وقد كان المتهمون مقبوضًا عليهم بمثابة سجناء، أما «بيخال» فقد عصبت عيناه فضلًا عن ذلك. وبعد أن حقق «أمنبنفر» وعصبته موقع هرم الملك «سبكمساف» في جبانة «ذراع أبو النجا» سار الموكب الذي كان فيه الوزير نحو الجنوب إلى مقابر الملكات. وعندئذ كشف الغطاء عن عيني «بيخال»، وعلى الرغم من أنه قد صب عليه سوط عذاب، فإن هذا الرجل قد أخفق في الإشارة إلى أي مكان دخله في هذه الجهة إلا مقبرة مهجورة لبعض أولاد الفرعون «رعمسيس الثاني»، وإلى كوخ لعامل يدعى «أمنموني» بن «حوي». وبعد ضربه ثانية بالعصا أقسم «بيخال» هذا أن هذه الأماكن المفتوحة هي الوحيدة التي عرفها. هذه على الأقل هي الرواية التي انحدرت إلينا من تلك الأزمان السحيقة ويحتمل أنها صحيحة. وتوجد بعض أحوال تدعو إلى الريبة؛ فمما يلاحظ أن «باسر» لم يدع إلى مصاحبة الوزير «خعمواست» والساقي «نسيآمون». هذا ومما كان ينذر بسوء المنقلب أنه بعد انقضاء خمسة عشر شهرًا ويوم واحد على ذلك، نجد أن الوزير «خعمواست» يقوم بفحص جديد، ويجد أن نفس القبر الذي قال عنه «بيخال» أنه قد نهبه ببابه المنحدر المصنوع من الجرانيت مهشمًا وكل محتوياته قد سلبت (راجع Peet. Ibid. p. 34).

ويمكن أن نقرأ بين سطور وثيقة «إبوت» أن «خعمواست» و«نسيآمون» كانا مسرورين من نتيجة هذا الفحص بقدر ما كان «بورعا» مرتاحًا له؛ وذلك لأنه قد ذكر ببراءة أنهما أمرا المراقبين والمساعدين وعمال الجبانة ومعهم رؤساء الشرطة ورجالها وهيئة العمال التابعين للقبر الملكي أن يطوفوا حول غربي «طيبة»، ويقوموا بمظاهرة عظيمة حتى المدينة. وقد قدمت لنا نتيجة هذه

المظاهرة صفحة من أبرز صفحات التاريخ الواقعي الذي وصل إلينا من الأزمان القديمة، وإنه لمن المدهشات تقريبًا أنه بعد مضي أكثر من ثلاثة آلاف سنة لا يزال في مقدورنا أن نقرأ الكلمات الأصلية، التي تبودلت بين رعاع الجبانة الظافرين وبين عمدة «طيبة» الذي حوكم بمرارة ولكن دون أن يهزم.

وتدل شواهد الأحوال على أن الساقي «نسيآمون»، كان يرغب في أن يظهر بمظهر المحايد؛ ولذلك يُظن أنه عبر إلى «طيبة» ليخبر «باسر» بنتيجة الفحص. وفي المساء تقابل هذان الموظفان بالمتظاهرين بالقرب من معبد الإله «بتاح» «بالكرنك»، وقد كان على رأس العمال رئيسهم «وسرخبش» والكاتب «أمننخت» والعامل «أمنحتب». وقد قابل «باسر» هذه المظاهرة بقوله بصوت عالٍ: «إن هذه المظاهرة التي قمتم بها اليوم ليست مجرد مظاهرة، بل هي أنشودة ظفر لكم، إنكم تبتهجون على حسابي عند باب بيتي نفسه. فما معنى هذا وأنا عمدة «طيبة» الذي من واجبه أن يبلغ الفرعون (ما يحدث)؟ فإذا كنتم مبتهجين من أجل هذا المكان الذي كنتم فيه لفحصه، وهو الذي وجدتموه سليمًا، فإنه مع ذلك قد وجد قبر الملك «سبكمساف» وزوجه الملكية «نبخسي» منهوبين، وكان هذا الملك حاكمًا عظيمًا قد أنجز عشر مهمات خطيرة للإله «آمون رع» ملك الآلهة، وآثاره لا تزال باقية في المحراب الداخلي حتى يومنا.» وقد أجاب على ذلك العامل «وسرخبش» أن كل الملوك ومعهم زوجاتهم الملكيات وأمهاتهم وأولادهم، الذين يثوون في الجبانة العظيمة السامية، وأولئك الذين يثوون في «مكان الجمال» قد وجدوا سالمين. وأنهم مصونون ومحميون إلى الأبد، وأن نصائح الفرعون ابنهم الحكيمة تقبض عليهم في السجن وتحاكمهم بقسوة (أي المتهمين الذين يعبثون بالمقابر). وعندئذ أجاب «باسر» قائلًا: «هل تصنعون من كل هذا مفخرة؟» وبعد ذلك قال: «إن كاتبَيِ الجباني «حورشري» بن «أمننحب» و«ببس» قد أتيا إليه ووضعا خمس حوادث اتهم فيها العمال، وأفشيا له أمر سرقات يعاقب عليها

بالموت، ثم أضاف بأيمان مقدسة فيما يخص ذلك: «إني سأكتب للفرعون سيدي لأرسل رجالًا من قبله ليتصرفوا معكم جميعًا».»

وهكذا نجد أن «باسر» بدلًا من أن يسحب اتهاماته على أي صورة، فإنه أكدها وأضاف إليها أخرى جديدة. وفضلًا عن ذلك فإنه نوه بعدالة المحكمة العليا بحلفه أنه سيلجأ إلى الفرعون الذي على رأسها. وكل ذلك قد قيل في حضرة ساقي الفرعون، وقد بلغ ذلك في الحال إلى أذني «بورعا» عمدة «غرب طيبة»، ولما رأى «بورعا» أنه هوجم من جديد قضى جزءًا من اليوم الحادي والعشرين في كتابة تقرير كامل للوزير عن الإجراءات التي حدثت في مساء اليوم السابق. وبعد أن كرر الكلمات التي تبودلت بين «باسر» و«سرخبش» ختم خطابه كالآتي: «لقد وصلتني معلومات عن التهم التي وجهها عمدة «طيبة» إلى الناس التابعين للقبر العظيم الفاخر لملايين السنين للفرعون الذي في «غرب طيبة» وقد بلغتها لسيدي؛ لأن سماع اتهامات وإخفاءها من رجل في مثل مركزي يعد جريمة. وإني لا أعرف الآن معنى الجرائم التي قال عنها عمدة «طيبة» أنه قد سمع بها من كاتبي القبر الخاصين بالجزء الداخلي (أي مكان الدفن لا المعبد الجنازي) وهما اللذان يقفان في وسط العمال، وإن قدمي لا تستطيعان أن تصلا إليها (كناية عن أنه لا يمكنه أن يصل إلى كنه هذه الجرائم) ولكني أبلغها لسيدي، وأنه سيصل إلى عمق الاتهامات التي قال عنها عمدة «طيبة» أنه قد حدثه عنها كتَّاب الجبانة، وأنه سيكتب عنها للفرعون. وإنها لجريمة من هذين الكاتبين التابعين للجبانة أن يتصلا بعمدة «طيبة» ليضعا معلومات بين يديه؛ لأن والديهما لم يفعلا ذلك من قبل، بل كانا يضعان الأخبار أمام الوزير عندما يكون في الصعيد، وإذا اتفق أنه كان في الوجه البحري، فإن الشرطة وخدم جلالته التابعين للقبر كانوا يسبحون منحدرين في النهر ومعهم وثائقهم إلى أي مكان كان فيه الوزير لتعرض عليه. وإني أشهد في اليوم العشرين من الشهر الثالث من فصل الفيضان في السنة السادسة عشرة على التهم التي سمعتها عن طريق عمدة «طيبة»، وإني أضعها أمام سيدي مكتوبة حتى يكون في مقدوره أن يصل إلى عمقها في الصباح الباكر.»

وهكذا نشاهد أن المخاصمة الصامتة التي كانت بين العمدتين قد انفجرت أخيرًا إلى عداء ظاهر وحرب سافرة.

وقد تناولت المحكمة العليا الموضوع في اليوم الحادي والعشرين، وفي هذه الجلسة — إذا كانت وثيقة «إبوت» تذكر كل الموضوع — بحث موضوع «بيخال» والنحاسَيْنِ اللذين اتهما معه فقط. وقد اشتد الوزير «خعمواست» في التنديد بسلوك «باسر»، وأشار بنوع خاص إلى أنه هو وساقي الفرعون «نسيآمون» قد فحصا التهمة الخاصة بمقبرة الملكة «إسي» (إزيس) وأنهما قد عثرا على اللصوص المزعومين. ولما أُخذ هؤلاء اللصوص إلى مكان الحادث لم يكن في استطاعتهم بأية حال معرفة مكان القبر. وقد جيء بثلاثة النحاسين إلى المحكمة، وطلب «خعمواست» التحقيق معهم من جديد، وقد تم ذلك وأُخلي سبيلهم. وقد وجد أن «باسر» على الرغم من أنه عضو في هيئة المحكمة كان على غير حق فيما ادعاه. ولسنا في حاجة إلى فطنة كبيرة لنتصور أن الاتهامات الموجهة من «باسر» لا يمكن دحضها بتحقيق قضية «بيخال» من جديد فقط، ولكن يظهر أن الوزير كان قد فكر في أن عمدة «طيبة» يحتاج إلى توبيخ، وأن هذه كانت أسهل وسيلة لإزجائه إليه. على أن لدينا بعض كلمات في نهاية وثيقة «إبوت» تجعل الإنسان في حيرة من ناحية ما إذا كان المعتقد في «بيخال» ورفاقه وقتئذ أنهم أبرياء كما برهن الحكم الذي صدر بذلك، وهو: إن الأشراف العظام قد صفحوا عن نحاسي معبد «رعمسيس الثالث»، وقد سلموا إلى الكاهن الأكبر للإله «آمون» ملك الآلهة «أمنحتب» في هذا اليوم. ولكن الجزء الأخير من ورقة «ليوبولد» يوحي بأن تسليم المتهمين للكاهن الأكبر يعادل حفظ هؤلاء الرجال وحجزهم حتى يقرر عقابهم.

ويظهر «باسر» ثانية بوصفه عضوًا في المحكمة العليا في الثاني والعشرين، عندما أعيد النظر في تحقيق قضية «أمنبنفر» وشركائه. ولا بد أن «أمنبنفر» كان وقتئذ قد قدم معلومات مفصلة عن كشفه لهرم الملك «سبكمساف» ونهبه، وهذا ما نقرؤه في ورقة «ليو بولد الثاني». وعند نهاية المحاكمة سلم هو وكثير غيره إلى الكاهن الأكبر حتى تصل تعليمات من الفرعون عن عقابه.

والظاهر أن ذلك كان على حسب القانون القديم، الذي يطلق للفرعون اليد العليا في إصدار الأمر بقتل المجرم أو تشويهه. على أن الحكم على «أمنبنفر» لم يكن نهاية محاكمة سرقة القبور، وهذه كانت شغل «خعمواست» الشاغل، وكذلك أخلافه لمدة أعوام مقبلة كما سنرى بعد. ولم نسمع عن «باسر» فيما بعد شيئًا، غير أنه لا ينبغي لنا أن نعلق أهمية كبيرة على ذلك؛ لأن المصادر التي بين يدينا لم تذكر — إلا نادرًا — عمد مدينة «طيبة». أما «بورعا» زميل «باسر» في غرب «طيبة»، فقد ظل يشغل وظيفته بعد هذه القضية ما لا يقل عن سبع عشرة سنة. وقد ذكر الدكتور «شرني» أن الكاتب «حورشري» كذلك بقي في وظيفته على الرغم من اعترافاته غير الحازمة «لباسر»، وهي التي وبخه عليها بعنف «بورعا».

ولا بد قبل أن نختم موضوع سرقة المقابر الملكية، التي جاء ذكرها في هذه الوثائق الثلاثة من أن نتحدث بعض الشيء عن المخطوطات التي حفظت لنا هذه الوثائق، التي تحتوي هذه الحوادث المثيرة للدهشة. فورقة «إبوت» وورقة «أمهرست وليو بولد الثاني» وثيقتان هامتان كتبهما كاتب واحد، وقد دونهما على بردي لم يستعمل من قبل، وقد صنعتا لتكتبا من وجه واحد فقط. ولا يشك الإنسان في أنهما سجلات حقيقية كالتي كانت تحفظ في المعابد والإدارات العامة.

وتدل البراهين الداخلية التي في ورقة «إبوت» وإشارة في ورقة «أمبراس» Ambras على أنهما كانا ضمن سجلات معبد «رعمسيس الثالث»، أما ورقة «المتحف البريطاني» رقم ١٠٠٥٤ فتختلف عنهما كثيرًا، فهي مثلهما في ظاهرها. وفي محتوياتها توحي بأنها على عكس الوثيقة الحكومية الرسمية. وتقرير الأستاذ «بيت» عن هذه الورقة صحيح إلى الحد الذي ذهب إليه، غير أن ذلك يحتاج إلى تكملة. فالسبب الذي من أجله بدأ الورقة من ظهرها، أي من الخلف، هو أن وجهها كان — فعلًا — مشغولًا بمتن آخر. ولما أتم كتابة الصحيفة الأولى من الظهر لوحظ أن الكاتب — على ما يظهر — غسل الكتابة الزائدة التي على وجه الورقة، ثم بدأ بكتابة سجلاته القضائية هناك. وتاريخ السنة الثامنة عشرة الذي نجده على وجه الورقة في السطر السابع من

الصفحة الثالثة يجعلنا في حيرة من ناحية ما إذا كانت كل محتويات الورقة عبارة عن صور لمتون نسخت فيما بعد. والواقع أن إنشاءها مجزأ مثل ورقة «مايِر (أ) Mayer A» كما سنرى بعد.

ويدل الخط الذي كُتبت به على أنه واحد في كل أجزائها، وأنه يقرب من خط الكتَّاب الذين كتبوا في عهد النهضة أكثر من خط الكتَّاب الذين عاشوا في عهد «رعمسيس التاسع»، ولكن في مقابلة ذلك يجب أن نذكر أنه توجد ملاحظات يظهر بداهة أنها ثانوية الأهمية وضعت أمام اسم كل فرد في قائمة اللصوص في الصفحتين اللتين على ظهر الورقة وهما الخامسة والسادسة؛ لتدل على ما إذا كان الأشخاص المذكورون قد قبض عليهم أم لا، وذلك يكون طبعيًّا فقط إذا كانت القائمة المذكورة معاصرة — أو تقرب من ذلك — للحوادث المسجلة.

وقيمة هذه الأوراق الثلاث من الوجهة التاريخية أنها تقارير صادقة لما حدث بالفعل. أما حكم الأستاذ «بيت» بأن حقائق ورقة «إبوت» غير محايدة لدرجة عظيمة؛ لأن «بورعا» كتبها معبرًا عن وجهة نظره هو، فإن ذلك يرجع إلى ارتباك في التفكير. فإذا كانت ورقة «إبوت» حقيقة غير محايدة فهل كانت تظهر انحيازها بطريقة خفية كالطريقة التي كتبت بها؟ وما قصده هو: أننا نحس شبهة عُبِّرَ عنها بلباقة في ورقة «إبوت» تدل على أن الوزير وكل أعضاء المحكمة العليا كانوا مناصرين بقوة عمدة المدينة الغربية «بورعا». هذا فضلًا عن أنه قد ذكر تقرير كامل في هذه الورقة عن أقوال «باسر» لسكان الجبانة. هذا إلى أن خطورة الجريمة التي ارتكبت في هرم «سبكمساف» لم يقلل من شأنها في ورقة «إبوت» ولا في ورقة «ليو بولد الثاني»، ولا يفوتنا أن الورقتين كتبتا بخط واحد، وإذا كانت ورقة «إبوت» لم تذكر زيارة الوزير لهرم «سبكمساف» في اليوم التاسع عشر، فإن ذلك يرجع إلى أن هذا الموضوع كان لا بد أن يبحث في ورقة مكملة لورقة «إبوت» تكون خاصة بالتهم التي وجهها «باسر» وتكمل إحداهما الأخرى. وبالاختصار نلحظ أن ورقة «إبوت» تكشف لنا عن حالة إحساس غاية في التحامل على «باسر» وفي صالح «بورعا»، غير أن هذا الإحساس قد دون بطريقة صريحة حسنة. والثقة التي نضعها نتيجة لذلك في ورقة

«إبوت» بأنها وثيقة تاريخية يعتمد عليها يمكن أن نضعها كذلك في ورقة «ليو بولد الثاني»، غير أنه لا يمكن لأحد في العالم أن يخبرنا إلى أي حد كان «أمنبنفر» صادقًا في اعترافاته، وبخاصة إذا قسنا ما يحدث في عصرنا في أثناء التحقيق بما كان يحدث في الأزمان الغابرة، إذ كثيرًا ما نجد المحقق — وبخاصة في التحقيقات الإدارية — يأمر المتهم بأن يختم على ما يدونه هو على حسب أهوائه وميوله، وهذه الظاهرة لا تخفى على فطنة أي مصري حديث حقق معه رجال الإدارة من الذين لا ضمير لهم.

المجموعة «ج»

(وتشمل الورقتين رقم ١٠٠٥٣ (وجه الورقة) ١٠٠٦٨ المحفوظتين بالمتحف البريطاني)

ولدينا مجموعة ثالثة من أوراق البردي خاصة بسرقات المقابر وغيرها من عهد «رعمسيس التاسع» كذلك محفوظة بالمتحف البريطاني، وتشمل المجموعة ورقتين تبحثان عن غنائم حصلت عليها عصابة مؤلفة من ثمانية لصوص من مقبرة أو مقابر، ويحتمل أنها من مقبرة «إزيس» زوج «رعمسيس الثالث»، السالفة الذكر. ونجد على الورقة رقم ١٠٠٥٣ بيانات أدلى بها هؤلاء اللصوص الثمانية عن توزيع أنصبتهم بالتوالي فيما بينهم من النحاس، وقد أدلى كل لص بالأشخاص الذين باع لهم، والكمية التي باعها، وقد ذكر أن القائمة قد عملت في معبد «ماعت» «بطيبة»، حيث كان اللصوص قد سجنوا بأمر من الوزير والكاهن الأكبر بقصد استرجاع النحاس المسروق بوساطة «بورعا» عمدة «طيبة» الغربية، وموظفين آخرين مختلفين من موظفي الجبانة الذين كان لهم الحق في مقاضاتهم؛ لا لأن السرقة كانت خاصة بالمقابر؛ بل لأن المتهمين كانوا كلهم ضمن أعضاء هيئة الجبانة.

ووجه الورقة رقم ١٠٠٦٨ التي من نفس ملف الورقة السابقة يبحث عن سرقة ذهب وفضة ومجوهرات أخرى عدا البرنز والنحاس.

والوثيقتان مؤرختان بالسنة السابعة عشرة من حكم الفرعون «رعمسيس التاسع». وهذان المتنان إذا بُحثا على حدة ما وجد فيهما القارئ إلا فهرس أسماء أشخاص وأمتعة مسروقة، غير أنه — لحسن الحظ — توجد لدينا حقائق أخرى تقلبها إلى قصة كاملة شيقة، وأعني بذلك يوميات لجبانة «طيبة» عثر عليها في تلك الجهة يرجع تاريخا إلى نهاية الأسرة العشرين.[١٥]

والجزء الباقي من هذه اليوميات يحتوي على جزء من اليوميات التي عملت في السنة السابعة عشرة من عهد الفرعون «نفر كارع رعمسيس التاسع»، وهي السنة التي حدثت فيها السرقات التي يبحثها وجه الورقة رقم ١٠٠٥٣، ووجه الورقة رقم ١٠٠٦٨ السالفتي الذكر.

الورقة رقم ١٠٠٦٨: British Museum. 10068: وهذه الوثيقة تعد تكملة للمتن الذي على وجه الورقة ١٠٠٥٣، ففي حين أن الأخيرة تقدم لنا شهادات ثمانية لصوص من حيث تصرفاتهم في النحاس، فإن الورقة التي نحن بصددها قد سجلت لنا بعض تفاصيل عن الذهب المسروق وكذلك الفضة والمواد الأخرى، وتتألف من ثمانية قوائم:

القائمة الأولى: تتحدث عن الغنيمة التي لا تزال في أيدي اللصوص. وقد ذكر أسماء اللصوص واحدًا فواحدًا، ودُوِّنَ مع كل اسم مقدار الذهب الجيد والذهب الأبيض والفضة والمواد الأخرى التي يملكها. وفي كل حالة نجد مجموعًا مدونًا للمعادن الثمينة كالذهب الجيد، والذهب الأبيض، والفضة.

وكان المجموع الصحيح للملابس هو ٦٣، أما الأشياء الأخرى القليلة، فقد ذكرت دون تدوين مجموع.

والغنيمة التي ذكرت في هذه القائمة قيل: إنها حملت مع اللصوص إلى معبد الإله «ماعت» في «طيبة». ونعلم كذلك من المتن أنها وضعت تحت حراسة الوزير والكاهن الأكبر «لآمون».

القائمة الثانية: سجل فيها تسلم بعض أشياء من معبد «ماعت» من المتاع المسروق الذي استولى عليه اللصوص وذهبوا به إلى تجار كل بيت. وهذه الأشياء كان قد استولى عليها كل من الوزير

«خعمواست» والكاهن الأكبر «أمنحتب». وبعد ذلك تأتي قائمة بأسماء أربعة عشر تاجرًا ذكر مع كل مقدار الذهب الذي استولى عليه ثانية منه كل من الوزير «خعمواست» والكاهن الأكبر «أمنحتب»، ونجد في الصفحة الرابعة أن المجاميع الصحيحة خمسة دبنات وقدت واحد من الذهب و٣٢ قدتًا من الفضة، هذا إلى ثلاث حزم من الملابس ذكرت في هذه القائمة.

والجدول التالي يوضح لنا الأرقام والمجموعات التي في القائمة:

السارق	ذهب جديد		ذهب أبيض		فضة		المجموع	
	دبن	قدت	دبن	قدت	دبن	قدت	دبن	قدت
نختمين	٢	٦	١٣		٣٤	٥	٤٢	٥
أمنيوا					٢٧		٣٤	٦
بنتاور		٥	٢		١٤	٥	١٧	
أمنحتب	١	١	٧	٥	٣٤	٥	٤٣	١
موسى			١	٩	٢٠	٣	٢٢	٢
بيسون	٢	٢	٤	٥	١٢	٢	١٨	٩
عنقن	١	١	٦	٧	٢٩	٥	٣٧	٣
حوري	١	٧	٣	٥	١٦		٢١	٨
المجموع	٩	٢	٣٩	١	١٨٨	٥	٢٣٦	٨

وهذه القائمة مؤرخة بالسنة السابعة عشرة، الشهر الثاني من فصل الشتاء، اليوم الحادي والعشرين. ونعلم أن هذه الأشياء قد سلمت إلى معبد «رعمسيس الثاني».

القائمة الثالثة: وعنوان هذه القائمة هو: الذهب والفضة التي أعطاها اللصوص رجال المدينة، ورجال غربي المدينة، وهي التي استولى عليها ثانية الوزير والكاهن الأكبر «لآمون»، ويتلو ذلك قائمة بخمسة عشر رجلًا يحملون ألقابًا منوعة، ومع كل ذكر كمية الذهب أو الفضة. والمجاميع هي: ثمانية قدات من الذهب وأربعة دبنات، وسبعة قدات من الفضة. هذا عدا ثمانين دبنًا من خشب «كتي». ونجد هنا أن مجموع كل من القائمتين الثانية والثالثة قد جمعا معًا ووصف المجموع بأنه «ما استولى عليه ثانية في هذا اليوم».

القائمة الرابعة: وتحتوي على جدول ذكر فيه خمسة رجال تسلموا ذهبًا من اللصوص، وقد أعادوه دون أن يطلب إليهم ذلك على ما يظهر.

القائمة الخامسة: (٦–٢٠–٢٥) أواني البرنز التي سرقها اللصوص، ودونها الكاهن الأول والوزير وهي التي استعادها أمير غربي طيبة «بورعا» وكاتب الحي «وننفر»، وهذه القائمة تتفق تمامًا مع ما جاء على وجه الورقة رقم ١٠٠٥٣ السالفة الذكر، وتحتوي على تعليمات كلتا الحالتين للأمير والكاتب باستعادة الغنيمة التي ذكرت وعرفت تفاصيلها على يد الوزير والكاهن الأكبر.

ويمكننا بعد ذلك أن نقدر طبيعة هذه الوثيقة وبخاصة إذا علمنا أنه قد جاء في يوميات الجبانة التي ذكرت في ورقة محفوظة في «تورين»، وهي التي أشرنا إليها فيما سبق.

«إنه في اليوم الحادي والعشرين من الشهر الثاني من فصل الشتاء سلم الوزير والكاهن الأكبر «لآمون» إلى موظفي الجبانة ثمانية لصوص، والفضة والذهب والملابس والزيت، وكل شيء وجد في حيازتهم.» والمتن الذي على ظهر الورقة رقم ١٠٠٦٨ يذكر لنا تسلم هذه الغنيمة، ولكن في أي صورة؟ ونجد أن القائمتين الثانية والثالثة ومجاميعهما مؤرختان باليوم الحادي والعشرين، وقد سجل فيهما تسلم ذهب وفضة وملابس كان قد استعادها الوزير والكاهن الأكبر «لآمون» من

معبد «ماعت» بطيبة. يضاف إلى هذه المجاميع تلك التي في القائمة الأولى، وقد قيل عن الكل: إنها وردت إلى مخزن معبد «وسر ماعت رع مري آمون» (رعمسيس الثاني).

ويمكننا الآن معرفة نوع القائمة الأولى. فهي من الجائز نسخة مطابقة للوثيقة التي كتبت في معبد «ماعت» بطيبة، عندما أحضر إليه اللصوص الغنيمة التي كانت في حيازتهم. وتاريخ هذه القائمة لا يمكن تحديده على وجه التأكيد، ومن المحتمل أنه كان تاريخ القبض على اللصوص وإحضار أول غنيمة إلى معبد «ماعت» في اليوم الثامن من الشهر الأول، وهو تاريخ البردية رقم ١٠٠٥٣ التي سنتكلم عنها بعد.

وعنوان القائمة الرابعة مختصر حتى إنه ليس في إمكاننا أن نعرف فيما إذا كانت السلع التي ذكرت فيه قد وردت مباشرة إلى معبد «وسر ماعت رع»، أو أنها مثل السلع الباقية مرت أولًا بمعبد «ماعت» في طيبة.

أما القائمة الخامسة فإنها بمثابة تعليمات مكتوبة من الوزير والكاهن الأول إلى أمير «طيبة» وكاتب الحي؛ لإعادة بعض أوانٍ من البرنز مسروقة.

أما ظهر هذه الورقة فقد أرخ بالسنة، الشهر الثاني من فصل الشتاء، اليوم السادس عشر. ويلاحظ هنا أن الكاتب قد ترك العدد الدال على السنة دون كتابة.

أما عنوان الورقة فهو: في هذا اليوم تسلم الذهب والفضة والنحاس والملابس الخاصة بالجنود على يد الكاتب «تحتمس» والكاتب «خنسموسى» والتابع «شدمويا»، ويتلو ذلك قائمة بأسماء أشخاص أُعطي كل منهم مقدار من الذهب والفضة أو النحاس، وكذلك عدد من الملابس من هذا النوع أو ذاك. وهذه القائمة ليس لها بطبيعة الحال أية علاقة بقائمة أسماء اللصوص. ويلاحظ أن كل هؤلاء الجنود قد ذكروا بين أسماء أصحاب البيوت التي تشغل بقية ظهر الورقة.

أما المتن الأخير الذي يحتويه ظهر الورقة فيشمل قائمة بأسماء بيوت. وقد أُرِّخَ بالسنة الثانية عشرة، الشهر الثالث من فصل الصيف، اليوم الثالث عشر. وقد عنون: سجل بلدة «غرب المدينة» من أول معبد «من ماعت رع» حتى مستعمرة «مايونهس» (ومن المحتمل أن المساحة التي وضعت هنا تقع في داخل جدار محصن). وتبتدئ هذه القائمة بالكلمة «البيت» التابع. ويأتي بعد ذلك لقب مالك البيت واسمه، ولم يشذ عن ذلك إلا ثلاثة أماكن، وهي: معبد «سيتي الأول» و«رعمسيس الثاني» و«رعمسيس الثالث». ففي المثال الأول نجد بيت معبد «من ماعت رع»، الذي تحت سلطة الكاهن «حعبي ور»، والثاني كان تحت سلطة الكاهن سم «خعمؤبي» في حين أن الثالث لم يذكر معه أي كاهن، ومن المحتمل أن عبارة «بيت معبد» هنا تدل على المسكن والمباني الأخرى التي كانت تؤلف جزءًا من مباني المعبد.

وتشمل القائمة ١٨٢ بيتًا عدِّدت بالترتيب من الشمال إلى الجنوب. والنتيجة التي نستخلصها من ذلك هامة جدًّا لمعرفة جغرافية غربي «طيبة» في هذا العهد. فيوجد بين معبد «سيتي الأول» الجنازي ومعبد ابنه «رعمسيس الثاني» اثنا عشر بيتًا فقط، وبين معبد «رعمسيس الثاني» ومعبد «رعمسيس الثالث» يوجد فقط أربعة عشر بيتًا. وبين معبد «رعمسيس» ومستعمرة «مايونهس» لا يوجد أقل من خمسة وخمسين ومائة بيت. فأين تقع هذه البيوت العديدة؟ يقول الأستاذ «ونلك» الذي كشف عن هذه البقعة تمامًا أنه لا يوجد أية إشارات تدل على بيوت قديمة في المساحة الجنوبية لامتداد الخط الذي يربط بين معبدي «رعمسيس الثاني» والثالث، ويقترح أن قائمة الأسماء بعد أن تصل مدينة «هابو» تنحرف بشدة نحو الغرب وتتجه نحو «دير المدينة»، حيث كشفت بعثة الآثار الفرنسية عن عدد كبير من المنازل من هذا العهد، ولا نزاع في أن هذا هو الحل الصحيح لتحقيق موقع هذه البيوت. وعلى ذلك يمكننا أن نتخذ من هذه الوثيقة برهانًا على أنه في عهد الأسرة العشرين كان معظم السكان محتشدًا في «دير المدينة» أو على مقربة منها، وعلى ذلك كان اسمها القديم هو «مايونهس»، على أنه لا يمكن أن نحكم على عدد سكان غربي «طيبة» من

عدد هذه البيوت، إذ ليس لدينا معلومات عن عدد الأشخاص الذين كانوا يسكنون في كل بيت، ولا عن عدد الأشخاص الذين كانوا يسكنون المباني التي تؤلف جزءًا من تخوم المعبد. فإذا كان لا يوجد إلا ١٨٢ منزلًا فقط على هذا الجانب من النهر فإن عدد السكان كان نسبيًّا متواضعًا.

ولدينا مجموعة هامة من البيوت في هذه الجهة وهي التي تقفو مباشرة معبد مدينة «رعمسيس الثالث». وهي التي لكاتب الجيش «قاشوتي» ولأمير «طيبة الغربية» «بورعا»، ولكاتب الحي «وننفر» ولضابطي المركز «آيننخت» و«أمنخعو»، وهؤلاء الموظفون الخمسة قد جاء ذكرهم في الورقة رقم ١٠٠٥٤ (راجع Pap. 10054, VS. PP. 2–4) مع «نسموت» الذي كان يشغل وظيفة مدير بيت لمغنية «آمون»، وذلك عند توزيع الحنطة لعمل الخبز، وواضح أنهم كانوا يؤلفون جزءًا هامًّا في إدارة غربي «طيبة»، على أن التصاق بيوتهم مباشرة بمدينة «هابو» يدل على أن هذا المعبد على أغلب الظن كان المركز الرئيسي لإدارة غربي «طيبة» في هذا العهد. وسنرى أهمية مجموعة هذه الأسماء من الوجهة التاريخية فيما يلي.

وسنحال هنا أن نفحص الوظائف التي كان يحملها أصحاب هذه البيوت لما في ذلك من فائدة. ويمكن تقسيمها كالآتي:

الكهنة: كاهن واحد يحمل لقب خادم الإله، وسبعة يحملون لقب الكاهن والد الإله، وواحد وأربعون يحملون لقب كاهن مطهر (أي كاهن عادي).

الكتبة: كاتب واحد للجيش، وواحد للخزانة، وكاتب للحي، وكاتب جبانة، وكاتبان للسجلات المقدسة، وسبعة كتبة لم تعين نسبتهم.

الموظفون الإداريون: أمير «طيبة الغربية» واحد، ضابطا مركز، ومراقب، ووكيل، ومشرف على الحي (أو الناحية).

أصحاب الحرف والتجارات: ذُكر طبيب، واثنان من رؤساء الشرطة، وسبعة من رجال الشرطة، وستة من رجال الإصطبل، ورئيس مخزن، وخازن، ورئيس عمال، ورئيس بوابين، وبواب، وحارس، واثنان من رؤساء البستانيين، وخمسة بستانيين، وثمانية عشر راعيًا، وستة عمال يد، وستة من الغسالين، وتسعة نحاسين، وصائغ، ومذهب، واثنا عشر سماكًا، وثلاثة نحالين، وأربعة من صانعي الجعة، وثمانية من صانعي الأحذية، وثلاثة من التابعين، واثنان من المبخرين، وكيال، وثلاثة من صانعي الفخار، واثنان من قاطعي الأخشاب، وواحد بدون لقب.

ويمكن أن نضيف إلى هذه القائمة الكاهن «حعبي ور» والكاهن «سم» «خعمؤبي»، وقد كانا يشرفان على معبدي «سيتي الأول» و«رعمسيس الثاني» على التوالي.

ولا نزاع في أهمية هذه القائمة في دراسة الأحوال الاجتماعية في مصر عند نهاية الأسرة العشرين، ويجب عند استعمالها ألا يفوتنا التنويه بتأليف سكان غربي «طيبة» المصطنع، حيث يحتمل أنه لم يكن هناك كثرة معاملات تذكر إلا فيما يختص بالمعابد الجنازية الملكية العديدة والجبانة، ففيما هو خاص بالأخيرة يلاحظ إذا استثنينا الكاتب «أفنآمون» أننا لا نجد موظفًا أو عاملًا في الجبانة بين ملاك هذه البيوت، وهذا يتفق مع البراهين الأخرى التي تميل إلى إظهار أن عمال الجبانة كانوا يسكنون في مكان مسور نظم لهم بخاصة، ولم يكونوا مبعثرين بين سكان غربي «طيبة».

وتدل شواهد الأحوال على أن هذه الورقة يرجع عهدها إلى عصر الملك «رعمسيس الحادي عشر» على وجه التقريب (راجع Tomb Robberiès p. 86 ff).

الورقة رقم ١٠٠٥٣: Pap. B. M, 10053 (Rect): كانت هذه الورقة سليمة في الأصل، ويبلغ طولها ٢١٥ سنتيمترًا، وارتفاعها ٤٢ سنتيمترًا، وقد أصابها عطب في أثناء الانفجار الذي حدث في بيت المستر «هاريس» بالإسكندرية، وهو الذي اشتراها سنة ١٨٦٠ على ما يظهر، ويقال: إنه عثر عليها بالقرب من «مدينة هابو».

وفي عام ١٨٧٢ اشتراها المتحف البريطاني، ولحسن الحظ كانت مس «هاريس» قد شفتها، وهذه الورقة تحتوي على متنين: المتن الذي على وجه الورقة وهو المعروف بمتن «أمهرست»[١٦] (أ) ثم المتن الذي على ظهر الورقة (راجع B. M. 10052) وسنتحدث الآن عن المتن الذي على وجه الورقة.

وطبيعة هذا المتن ظاهرة جدًّا، وهو مؤرخ بالسنة السابعة عشرة من عهد الفرعون «نفر كارع» «رعمسيس التاسع». اليوم الثامن من الشهر الأول، من فصل الشتاء.

وهو يحتوي على شهادة ثمانية لصوص عن تصرفهم في بعض أشياء أو كميات من النحاس سرقت من «المكان الجميل» أو «وادي الملكات» من مقبرة لم تُعين، وهذه الشهادات قيل عنها: إنها دونت كتابة لمساعدة أمير غرب «طيبة» المسمى «بورعا»، وبعض موظفين آخرين تابعين للجبانة لاستعادة المتاع المسروق، وقد عمل هذا بلا شك بناء على طلب الوزير والكاهن الأكبر «لآمون»، اللذيْنِ حققا مع الرجال في معبد «ماعت» «بطيبة» حيث كانوا قد سيقوا إلى هناك.

والمتن يحتوي على ثمانية شهادات للصوص، وكل شهادة جاء فيها الصيغة التالية: «ما قاله فلان.» ولدينا من لص واحد منهم شهادتان كل واحدة منهما مستقلة عن الأخرى، ولم يذكر فيهما اسم، وليس لدينا سبب ظاهر في أنه — خلافًا لزملائه — قد أدلى بشهادتين منفصلتين، وكل قائمة تحتوي على سلسلة أسماء أشخاص ذوي ألقاب منوعة جدًّا، وكل اسم متبوع بكمية من النحاس مقدرة «بالدبن»، وفي أحوال نادرة نجد أن صفة الشيء المصنوع من النحاس قد ذكر مثل آنية «نو» أو مرآة أو آنية «قب» وهكذا.

وعلى الرغم من أن القوائم تدل على أنها خاصة بالنحاس، فإنه لدينا بعض أشياء من البرنز والذهب والفضة.

وهاك ترجمة هذا المتن:

الصفحة الأولى: (P1. XVII): (١) السنة السابعة عشرة، الشهر الأول من فصل الشتاء، اليوم الثامن في عهد جلالة ملك الوجه القبلي والوجه البحري، سيد الأرضين «نفر كارع ستبن رع» بن «رع» رب التيجان (٢) «رعمسيس خعمواست مري آمون» محبوب «آمون رع» ملك الآلهة (٣) معطي الحياة أبد الآبدين مثل والده «آمون رع» ملك الآلهة و«موت» العظيمة سيدة «إشرو».

(٤) سجل شهادات: النحاس الخاص باللصوص الذين سرقوا «المكان الجميل» (٥) وحقق معهم الوزير «خعمواست» والكاهن الأكبر «لآمون» ملك الآلهة «أمنحتب» في معبد «ماعت» بطيبة (٦) وهي التي وضعت كتابة لأجل استعادتها على يد الأمير «بورعا»، وكاتب الحي (الناحية) و«ننفر»، ورئيس عمال (٧) الجبانة «وسرخبش» الـ ... قادت، و(؟) الحمال «خنسموسى» التابع للجبانة.

(٨) شهادة اللص «أمنيوا» Amenua بن «حوري» التابع للجبانة.

(٩) المواطنة «إنر» زوج الكاتب «سني» المتوفى، آنية «قب» من البرنز زنتها ٣٥ دبنًا، وآنية «عا» من البرنز زنتها عشرة دبنات.

(١٠) التاجر[١٧] «خنسوي» (؟) من بلدة «مرور» (كوم مدينة غراب) طست غسيل من البرنز زنته عشرون دبنًا.

(١١) الكاتب «باكنخنسو» التابع لمقر الملك (؟) عشرون دبنًا من النحاس.

(١٢) راعي الماعز «منتنخت» التابع لمعبد «آمون»، الذي تحت إدارة الكاهن الأكبر «لآمون»، عشرة دبنات من النحاس.

(١٣) العبد والبوَّاب «إنرك» التابع للكاهن الأكبر «لآمون»؛ خمسة دبنات من النحاس.

(١٤) السماك «نبان» التابع للكاهن الثاني «لآمون» عشرة دبنات.

(١٥) التاجر «نسسبك» بن «سنيري» التابع «لكوم مدينة غراب» إناء «نو» من البرنز، وطشت غسيل من البرنز وزنهما ثلاثون دبنًا من النحاس.

(١٦) شهادة اللص «بنتاور» بن «أمننحت» التابع للجبانة.

(١٧) الكاتب «مري رع» التابع للكاهن الأول «لآمون»، إناء «قب» من البرنز، وما زنته خمسة (؟) دبنات من النحاس.

(١٨) ضابط القارب «إفِيآمون» التابع للمعبد، الذي تحت إدارة الكاهن الأول «لآمون» عشرة دبنات من النحاس.

الصفحة الثانية: (P1. XVII): (١) النجار «بينفر» التابع لبيت المتعبدة الإلهية «لآمون»؛ عشرة دبنات.

(٢) النساج «خنسموسى» بن «تحو نوزم» التابع لمعبد «آمون»؛ عشرة دبنات.

(٣) النساج «بحسي» التابع لمعبد «آمون»؛ عشرة دبنات.

(٤) النساج «تحو نوزم» التابع لمعبد «آمون»؛ عشرة دبنات.

(٥) الحارس «سدي» التابع لشونة الفرعون؛ عشرة دبنات.

(٦) النساج (؟) «ثايأمنميمو» التابع لمعبد «آمون»؛ عشرة دبنات.

(٧) الراعي «قني آمون» التابع للمتعبدة الإلهية «لآمون»؛ عشرة دبنات.

(٨) رجل المطافي «سننفر» التابع لمعبد «سبك» رب الجبلين؛ عشرة دبنات.

(٩) السماك «نخت أمنواست»؛ خمسة دبنات.

(١٠) الكاهن المطهر «سدي» التابع لمحراب الملك «نب ماعت رع»، الذي تحت إدارة الكاهن سم «حوري»؛ خمسة دبنات.

(١١) شهادة اللص «نخت مين» بن «بنتاور» التابع للجبانة.

(١٢) التاجر «بورامنوت» الفيومي (مرور) خمسة دبنات.

(١٣) التاجر «نسسبك» بن «سنيري»؛ خمسة قدات من الذهب، وعشرون دبنًا من النحاس.

(١٤) النحاس «أمنحر إب» التابع للجبانة؛ ثلاثة دبنات من النحاس.

(١٥) صانع الأحذية «بأبنخت» التابع لمعبد «وسر ماعت رع مري آمون»، الذي تحت إدارة الكاهن الأكبر «لآمون»؛ ثلاثة دبنات.

(١٦) صانع الأحذية «عشا تيخت» التابع لمعبد «وسر ماعت رع مري آمون»؛ دبنان.

(١٧) العامل «وسرجات مر» التابع للجبانة؛ دبنان.

(١٨) المواطنة «عارف» التابعة للجبانة زوج العامل «حوري»؛ دبن واحد.

(١٩) المواطنة «تاكيري» التابعة للجبانة؛ دبن واحد.

الصفحة الثالثة: (P1. XVII): (١) التاجر «بيخال» من يد التاجر «بيسبتي»؛ خمسة دبنات.

(٢) التاجر «حور ماعت» بن «تبنر»؛ خمسة دبنات.

(٣) العامل «سننوزم» التابع للجبانة؛ خمسة دبنات.

(٤) حامل الماء «بناسونيآمون» التابع للكاهن الأكبر «لآمون»؛ عشرون دبنًا.

(٥) صانع الجعة «ونر» التابع للكاهن سم «حوري» لمعبد الملك «نبماعت رع»؛ ستة دبنات.

(٦) التاجر «بايونزم» التابع كوم مدينة غراب؛ خمسة دبنات.

(٧) غالي الزيت «سني» التابع لمعبد «خنسو»؛ ستة دبنات.

(٨) غالي الزيت «ببس» التابع لمعبد «آمون»؛ ثلاثة دبنات.

(٩) غالي الزيت «إتانفر» التابع لمعبد «آمون»؛ خمسة دبنات.

(١٠) التاجر «عشات قني» التابع «لكوم مدينة غراب»؛ سبعة دبنات.

(١١) كاتب المعبد «بانخت رسي تب» التابع لمعبد «وسر ماعت رع مري آمون»؛ سبعة دبنات.

(١٢) العامل «كيسون» بن «أمننخت»؛ ثلاثة دبنات.

(١٣) البستاني «أنوا» التابع للمعبد الذي تحت إدارة مدير البيت للمعبد؛ دبنان.

(١٤) غالي الزيت «باكام بايويا» المشرف على الصيادين «لآمون»؛ ثمانية دبنات.

(١٥) المواطنة «تامت» من يد العامل «نحسي» التابع للجبانة؛ عشرة دبنات.

(١٦) شهادة اللص «أمنحتب» بن «بنتاور» التابع للجبانة.

(١٧) ضابط القارب «أفنآمون» التابع لمعبد «وسر ماعت رع مري آمون»، الذي تحت إدارة الكاهن الأكبر «لآمون»؛ عشرون دبنًا.

(١٨) العامل «سننوزم» التابع للجبانة؛ خمسة دبنات.

(١٩) الكاهن المطهر والنحاس «بيخال» التابع لمعبد الملك «نبماعت»، الذي تحت إدارة الكاهن «سم» (حوري) عشرون دبنًا.

الصفحة الرابعة: (P1. XVIII): (١) الكاتب «باسر» التابع لبيت الفرعون؛ خمسة دبنات.

(٢) الخباز «حور موسي» التابع لمعبد «وسر ماعت رع مري آمون»؛ خمسة دبنات.

(٣) الكاتب «شد سو خنسو» التابع لنساجي «معبد آمون»، الذي تحت إدارة الكاهن الأكبر «لآمون»؛ عشرة دبنات.

(٤) التاجر «بكورنر» التابع لمعبد «خنوم» سيد «إلفنتين»؛ عشرة دبنات.

(٥) التاجر «نسسبك» بن «حوري» ووالدته تدعى «تي»؛ ثلاثون دبنًا من النحاس وستة قدات من الذهب.

(٦) النساج «بنونحاب» التابع لمعبد «آمون»، الذي تحت إدارة الكاهن الأول «لآمون»؛ عشرة دبنات.

(٧) السقاء «بناسو نيآمون» التابع للكاهن الأول «لآمون»؛ خمسة دبنات.

(٨) الحارس «عاشفي» التابع لشونة «آمون»؛ خمسة دبنات.

(٩) شهادة اللص «موسى» بن «بنتاور» التابع للجبانة.

(١٠) العبد «محف بِنبِن» التابع للتاجر الذي يعيش في محراب «آمون» ... عشرون دبنًا.

(١١) التاجر «نانجيترو» التابع لكوم «مدينة غراب»؛ أربعة قدات من الذهب وعشرة دبنات من النحاس.

(١٢) المواطنة «تاميت» من سكان «المدينة» = (طيبة) عشرة دبنات.

(١٣) الخازن «ررت» التابع لمعبد «آمون»، والذي يسكن في مأوى معبد «آمون»؛ مرآة من البرنز زنتها ستة دبنات.

(١٤) وأُعطي في فرصة أخرى؛ عشرة دبنات من النحاس.

(١٥) المشرف على النساجين «إري-برت» التابع لمعبد «آمون»؛ عشرة دبنات من النحاس.

(١٦) صانع جعة (؟) بيت المتعبدة الإلهية «لآمون» من يد العامل «بونش»؛ عشرة دبنات.

(١٧) النساج «بزز» التابع لمعبد «آمون» الذي تحت إدارة الكاهن الأول «لآمون»؛ خمسة دبنات.

(١٨) الخادم «ماهر بعل» التابع لبيت المتعبدة الإلهية «لآمون»؛ عشرة دبنات.

(١٩) النساج «بمد وشبسينخت» التابع لمعبد «آمون» تحت إدارة الكاهن الأكبر «لآمون»؛ عشرة دبنات.

(٢٠) المواطنة «تانبي» زوج «بنفروي» التابع لبيت المتعبدة الإلهية لآمون؛ عشرة دبنات.

الصفحة الخامسة: (P1. XVIII): (١) الكاهن المطهر «باسر» بن «وسرحات» التابع لمعبد «آمون»، الذي تحت إدارة الكاهن الأول «لآمون»؛ عشرة دبنات.

(٢) التاجر «بورمنوت» التابع «لكوم مدينة غراب»؛ سبعة دبنات.

(٣) المشرق «ساو يبدمي» التابع لنساجي مغنية آمون «إنر»؛ خمسة دبنات.

(٤) شهادة اللص «بيسون» بن «إمنيوا Amenua» التابع للجبانة.

(٥) التاجر «نبان» التابع «لكوم مدينة غراب»؛ ثلاثون دبنًا من النحاس.

(٦) المواطنة «ترري» زوج اللص «موسى» بن «بنتاور» آنية «قعحت» من النحاس قيمتها؛ عشرة دبنات. والصندوق الذي يحتوي فضة، وهو الذي في يدي.

(٧) النساج «قنيمنو»: ونحاس إناء «قعحت»؛ وزنه عشرة دبنات.

(٨) العامل «برحتب» التابع للجبانة؛ عشرة دبنات.

(٩) العبد «تك» التابع «لآمون» الذي تحت إدارة الكاهن «آمون»؛ عشرة دبنات.

(١٠) المواطنة «تاسنت» زوج اللص «بيسون» آنية «مح-بق» من البرنز زنتها ثمانية دبنات.

(١١) الجندي «بكورنر» التابع للفرقة النوبية؛ عشرة دبنات.

(١٢) ضابط القارب «منتو آمون» التابع لمعبد «وسر ماعت رع مري آمون» تحت إدارة الكاهن الأول «لآمون»؛ دبن واحد من الفضة.

(١٣) التاجر «ستخنخت» من يد المواطنة «ونمدي موت»؛ خمسة دبنات.

(١٤) آنية واحدة «عا» من البرنز. ووصل إلى المخزن صندوق يحتوي على فضة.

(١٥) المواطنة «تامي» زوج الغسال التابع لكاهن «آمون الأول»؛ عشرة دبنات.

(١٦) صانع الأحذية «بأَبْنخت» التابع لمعبد «وسر ماعت رع مري آمون»، تحت إشراف الكاهن الأول «لآمون»؛ خمسة دبنات.

(١٧) شهادة اللص «حوري» بن «أمنيوا» التابع للجبانة.

الصفحة السادسة: (P1. XIX): (١) السقاء «أهوتي» التابع للكاتب الملكي، وولي العهد «حوي»؛ خمسة عشر دبنًا من النحاس.

(٢) الغسال «ثوباو» (؟) التابع لمعبد «آمون» الذي تحت إدارة الكاهن الأول «لآمون»؛ عشرة دبنات.

(٣) المواطنة «تاحنوت بثو» Tahenutpethew التابعة لغرب المدينة؛ سبعة دبنات.

(٤) المواطنة «تنت باوبا» التي تسكن في مخزن غلال معبد «خنسو»؛ عشرة دبنات.

(٥) السقاء «بنتحت نخت» التابعة للكاتب الملكي وولي العهد «حوي»؛ خمسة دبنات.

(٦) المواطنة «تمي» زوج الكاهن الرابع «لآمون»؛ عشرة دبنات.

(٧) الغسال «خنسخعو» التابع للكاتب «آمِنْ إمْبرمُوتْ» التابع للكاهن الأول «لآمون»؛ خمسة دبنات.

(٨) النساج «روتيتي» التابع لمعبد «آمون» الذي تحت إدارة الكاهن الأول «لآمون»؛ عشرة دبنات.

(٩) العبد «تاشس» التابع لمعبد «آمون» الذي تحت إدارة الكاهن الأول «لآمون»؛ عشرة دبنات.

(١٠) المشرف «بنون حب» التابع للنساجين الخاصين بكاتب معبد «آمون» المسمى «بابير سخر»؛ عشرة دبنات.

(١١) الكاهن المطهر «أهوتي عا» التابع لمعبد «منتو» رب «هرمنتس» (أرمنت) عشرة دبنات.

(١٢) المجموع: sic.

(١٣) شهادة اللص «بقن» بن «أمنوا» التابع للجبانة.

(١٤) العامل «بينفر» بن «بحمنتر» التابع للجبانة.

(١٥) العامل «بيسون» بن «بحمنتر» التابع للجبانة.

(١٦) الكاهن المطهر «خنسمحب» التابع لمعبد الملك «عاكاخبر».

(١٧) الكاتب «بنتاور» بن «حوري» التابع للمعبد الذي تحت إدارة مدير البيت.

(١٨) النساج «بسبت» التابع لمعبد «آمون» الذي تحت إدارة رئيس الكهنة.

الصفحة السابعة: (P1. XIX): (١) النساج «قينيمينو» الذي يعيش في المدينة؛ عشرة دبنات.

(٢) العامل «إزدنوزم» بن «بيكروي» التابع للجبانة؛ خمسة دبنات.

(٣) الملاح «نسآمون» التابع لكاهن «أنحور»؛ خمسة دبنات.

(٤) العبد «زاتي تكر» التابع لمعبد «آمون»؛ عشرة دبنات.

(٥) الجندي «بكورنر» التابع للفرقة النوبية؛ عشرة دبنات.

(٦) الكاهن المطهر والنافخ في البوق «سرت» التابع لمعبد «آمون»؛ ستة عشر.

(٧) الحارس «بنفر منب» التابع لشونة «آمون»؛ عشرة دبنات.

(٨) المواطنة «موت آمون» زوجة النجار «أمنرخ» التابع لمكان الصدق؛ عشرة دبنات.

(٩) الحارس «سدي» التابع لمخزن غلال «آمون»، الذي تحت إدارة المشرف على مخزن الغلال المزدوج؛ عشرة دبنات.

(١٠) الطبيب «بحاتيو» التابع لمعبد «آمون»؛ عشرة دبنات.

(١١) الحلاق «كنبن»؛ خمسة دبنات.

(١٢) المقعد (؟) «كنبن» الذي يعيش في محراب «من بحتي رع»؛ خمسة.

(١٣) سؤال اللص «حوري» بن «أمنيوا» التابع للجبانة.

(١٤) النساج «بمدو شبسينخت» الذي يعيش في بيت الفرعون في داخل معبد «محبت»؛ خمسة عشر دبنًا من النحاس.

(١٥) النحاس «بحيخات» التابع للجبانة؛ ستة دبنات من النحاس.

(١٦) الملاح «باتي»، الذي يعيش في «إبت» (الأقصر) في بيت الكاهن الأول «لآمون»؛ خمسة دبنات.

(١٧) الغسال «خاري» التابع للكاهن «منتو» رب «أرمنت» الذي تحت إدارة كاهن «منتو»؛ خمسة دبنات.

(١٨) التاجر «ختحسي» الذي يسكن على قارب التاجر «نسسبك»؛ عشرة دبنات، ودفعت للتاجر «حارشفخعو»؛ عشرة.

الصفحة الثامنة: (P1. XIX): (١) التاجر «أنري» التابع «لكوم مدينة غراب»؛ خمسة دبنات.

(٢) المواطنة «أنر» القاطنة غربي المدينة؛ خمسة دبنات.

تعليق: على الرغم من ذكر سلسلة من الأسماء في هذه القوائم التي — في ظاهرها — تبدو لأول وهلة مملة لا تسترعي الأنظار، إلا أنها للباحث في تاريخ مصر في هذا العصر، وبخاصة في حالة القوم الاجتماعية في البلاد في تلك الفترة، تكشف لنا عن حقائق مدهشة فنلحظ أولًا: أن نهب المقابر والمعابد في ذلك العصر كان شائعًا بين سكان «طيبة» الغربية وغيرها، وأن اللصوص الذين كانوا يقومون بنهب هذه الأماكن المقدسة كانوا لا يرعون إلًّا ولا ذمة في الوصول إلى أغراضهم، سواء أكانت هذه الأماكن لآلهة، أم لملوك، أم لأفراد من الأغنياء، وقد اشترك معهم في تلك الجرائم كل طبقات الشعب في تلك الجهة، وبخاصة رجال الدين الذين كانوا مكلفين بحراسة تلك الأماكن والمحافظة عليها، والظاهر أن المكان المسروق هنا ليس من الأماكن الغنية؛ لأن معظم الأشياء المسروقة منه مصنوعة من النحاس أو البرنز، ولم يذكر إلا أشياء قليلة من الذهب والفضة، على أنه من جهة أخرى يجوز أن يكون ما اعترف به اللصوص قد تخطوا فيه ذكر الذهب والفضة، أو أن الذهب كان قد سرق من قبل، وعلى أية حال فإن الكمية المسروقة قد استرعت أنظار الوزير والكاهن الأكبر «لآمون»، حتى إنهم قاموا بعمل تحقيق في السرقة كما فعلوا ذلك من قبل، عندما سرق قبر الملك «سبكمساف»، وزوجه «نبخعس»، وقبر بعض ثراة القوم.

وتدل شواهد الأحوال على أن المسروقات كانت تتناولها الأيدي، وتباع لتجار الآثار كما هي الحال في عصرنا، وقد ضرب تجار «مر-ور» (كوم مدينة غراب الحالية) بسهم صائب في شراء تلك المسروقات من اللصوص، كما هي الحال الآن مع تجار الأقصر.

وخلاصة القول في هذا الموضوع هو أن حالة البلاد في هذه الفترة كانت حالة بؤس وفقر، كما ذكرنا من قبل؛ مما دفع سكان «طيبة الغربية» إلى سرقة المقابر حتى يمكنهم أن يقتاتوا مما ينهبونه، والظاهر أن معظمهم كانوا يسكنون بجوار معبد «رعمسيس الثاني»، الذي كان تحت إشراف الكاهن الأكبر «لآمون»، ومن المدهش أن نرى من بين الأفراد الذين اشتركوا في إخفاء تلك المسروقات بعض الجنود، وعددًا عظيمًا من الكهنة الحفظة لهذه الأماكن المقدسة، وهكذا نرى أن رجال الدين في كل زمان ومكان لهم اليد الطولى في العبث بما كلفوا المحافظة عليه، والخروج على التعاليم التي يلقنونها للناس، وفي نفس الوقت يحرضونهم على محاربتها، ولا شك في أن مثل تلك الأشياء لا تحدث إلا عندما تصل أداة الحكم إلى أقصى درك الفساد، وهذا هو ما وصلت إليه مصر في نهاية الأسرة العشرين كما أشرنا إلى ذلك، وكما سنرى بعد.

سرقة أمتعة المعابد: تحدثنا فيما سبق عن سرقة المقابر الملكية وغيرها من مقابر الأفراد، ولدينا بعض متون خاصة بسرقة أمتعة المعابد وأثاثها، مما يدل على أن السرقات قد أصبحت علنية في المعابد الكبيرة، بعد أن كانت ترتكب خلسة في المقابر التي تحت جوف الأرض.

وقد ترك لنا السلف بعض الأوراق التي تحدثنا عن سرقات هذه المعابد، ونخص بالذكر منها وثيقتين محفوظتين «بالمتحف البريطاني» (راجع B. M. 10053 Verso; & Pap. B. M. 1083) وهاتان الورقتان — كما قلنا — تبحثان في سرقات ارتكبت لا في المقابر بل في أماكن مقدسة، فهي من نوع مختلف عن الوثائق الأخرى التي بحثناها فيما سبق. هذا إذا استثنينا المتن الذي على وجه الورقة رقم ١٠٠٥٤ (ص٣ سطر٧–١٧) وهو الذي يشبهها في محتوياته. ويلاحظ

أن المتنين السالفين لا يبحثان في سلسلة حوادث موحدة؛ ولذلك سنتناول كلًّا منهما بالبحث على حدة.

المجموعة «د»

ورقة المتحف البريطاني رقم ١٠٠٥٣ ظهر الورقة: دون على وجه هذه الورقة متن كان يعرف لعدة سنين باسم ورقة «هاريس» حرف Papyrus Harris AA. وقد تحدثنا عنه فيما سبق، والوثيقة التي على ظهر نفس الورقة ذات أهمية. وقد أصابها عطب، ولكن «الشف» الذي عملته مس «هاريس» لهذه الورقة قد ساعد على فهم معظمها، وتشمل خمس صحائف. ولما كانت الصفحة الأولى قد ضاعت أسطرها الأولى، فإن تحديد معناها أصبح من الصعب.

والظاهر أن كاتب المعبد «سدي» والكهنة كانوا قد تعودوا السرقة من مكان ما في غربي «طيبة». وقد قام مفتش على ما يظهر بكتابة تقرير عن سرقة «سدي»، هذا في كل تفتيش قام به، وقد بلغ مجموع هذه السرقات ثلاثمائة دبن من الفضة، وتسعة وثمانين دبنًا من الذهب.

والظاهر أن الذي ارتكب هذه السرقات فرد يدعى «أمنخعو»، وأن «سدي» الكاتب الذي كان مسئولًا عن الكشف عن هذه السرقات قد تقاضى ثمنًا للتغاضي عن ذلك، ويقال: إن هذه المحاكمة قد جرت في «طيبة» على يد الكاهن الأكبر «لآمون».

وتبتدئ الصفحة الثانية من هذه الوثيقة بتاريخ السنة التاسعة، الشهر الثاني من فصل الفيضان، اليوم الثالث والعشرون (أو الخامس أو السادس والعشرون) على أن وجود تاريخ جديد في هذه الصفحة لا يعني أن محتوياتها ليست لها علاقة بما سبق، بل الواقع أنه يظهر من استمرار الإشارات إلى كاتب المعبد «سدي» أن هذا هو البرهان الذي قدم في نفس هذه المحاكمة.

وتدل شواهد الأحوال على أن الأماكن التي سُرقت منها هذه الأشياء تقع في غربي «طيبة»، وأن معبد «رعمسيس الثاني» المسمى «الرمسيوم» كان المكان الذي نهب، وأن السرقة لم تقتصر على

الذهب والفضة والنحاس، بل تعدَّت إلى سرقة الأخشاب الثمينة، وبخاصة من الأبواب. والمحتمل جدًّا أن تاريخ ظهر الورقة يرجع إلى حوالي السنة التاسعة من عهد النهضة أي: في عهد «رعمسيس الحادي عشر».

الترجمة: (P1s. XIX–XXI) الصفحة الأولى: (١) … (٢) … «بنحسي» … (٣) … «آمون» (٤) … «خنسو» … (٥) … (٦) … (٧) … (٨) غربي المدينة. وقد وُجد أن كاتب المعبد «سدي» وكهنة (٩) المعبد قد ارتكبوا ضررًا (؟) وقد دون كل سرقة ارتكبها في كل تفتيش (١٠) له. وقد بلغ ثلاثمائة دبن من الفضة، وتسعة وثمانين دبنًا من الذهب، وكان قد سرقها الكاهن «أمنخعو» (١٢) بن «بكبتاح»، وهي التي فحصها في المدينة (١٣) الكاهن الأكبر «لآمون»، وقد اتخذت الإجراءات لإعادتها (يلي ذلك نصف صحيفة بيضاء).

الصفحة الثانية: (P1. XX): السنة التاسعة، الشهر الثاني من فصل الفيضان، اليوم الثالث والعشرون (أو الخامس والعشرون أو السادس والعشرون) … «نسيآمون» بن «بيخال» … (٢) … «وسر ماعت رع ستبن رع» … (حوالي ثلاثة أسطر فقدت هنا) … (٣) الأربعة تغطى (؟) … (٤) … وقد أزلتها (٥) وأذبتها وطحنت (؟) … أنا … وسلمتها له وإلى (٦) الكاهن الشاب «نبنفر» ابنه، والآن عندما (؟) … شغلت الذهب وسلمته له، فإنه أخذني (٧) معه في داخل «وسر ماعت رع مري آمون» (اسم المعبد) وقت الظهيرة. وقد أحضر حامل خشب «كتي» ملك الفرعون «عاخبررع» (٨) ووضعه أمامي، وجعلني أنتزع الذهب الذي كان عليه (؟) وأخذه مني، وجعلني أولي ظهري (؟) وأُلقي بي خارج باب (٩) الحجرة المؤدية إلى (؟) الخزانة. وإنه هو الذي شغله مع الصائغ «أمنخعو» بن «بكشري» (؟) ولم يعطني قدتًا واحدًا منها. وقد سمعت شهادته، وقد قالوا له: أخبرنا عن كل الذهب الذي نزعته (١٠) من بيت الذهب للمك «وسر ماعت رع ستبن رع» (رعمسيس الثاني) الإله العظيم، وكذلك عن كل رجل كان معك وذهب؛ لينتزع ذهب (١١) عارضتي باب بيت الذهب التابع للملك «وسر ماعت رع ستبن رع» الإله العظيم. فقال: لقد ذهبت إلى عارضتي باب بيت الذهب ومعي رفاقي (١٢) وقد أحضرنا دبنين من الذهب منها وقسمناها فيما بيننا. وذهبنا مرة أخرى إلى الباب الشمالي التابع «لسدت إيادت» الخاص

بالاحتفال اليومي، ونزعنا دبنين من الذهب منه (١٣) وقسمتها بين رفاقي. والآن بعد بضعة أيام ذهبت معهم مرة أخرى، وأحضرنا المحفة التي تحمل إلى «المحل السري» (المحراب) ونزعنا منها دبنين من الذهب (١٤) وقد قسمتها بيني وبين رفاقي بنفس الطريقة السابقة. (١٥) وقد قالوا له: ما الذي عندك لتقوله عن النحاس الذي أخذته، وهو الخاص برباط الباب العلوي للبوابة المصنوعة من حجر «إلفنتين»؟ فقال: «إن ملاحظي المشرف على الماشية قد أتوا ... وذهبنا (١٦) إلى الباب وأخذنا أربعين دبنًا ونصفًا من النحاس. والآن عندما كنا واقفين نقسمهما أتي التابع «نخت آمون واست»، وأخذ سبعة دبنات من النحاس، وكذلك أتى الأجنبي (١٧) «بتاح خعو»، وأخذ ثلاثة دبنات من النحاس وأخذ الكاهن الشاب «باحرر» نصف دبن من النحاس، وبقي لنا ثلاثون دبنًا من النحاس فقسمناها (١٨) وقد أخذ على نفسه ميثاقًا قائلًا: إن كل ما قلته صدق، وإذا رجعت في كلمتي بعد الآن فلأُرسل إلى فرقة النوبيين (أي ينفى إلى بلاد كوش).»

الصفحة الثالثة (P1s. XX–XXI) (سطران أو ثلاثة مفقودة): (١) وصنعنا ... وذهبت ... (٢) منه، وقسمناها فيما بيننا، وذهبنا إليها ثانية وأخذنا ... من النحاس ... (٣) والآن بعد مضي بضعة أيام ذهبنا إلى باب البوابة المصنوعة من حجر «إلفنتين» وأحضرنا ـ ... ووضعناها في ... (٤) فأخذ التابع «نخآمون واست» ٧ دبنات من النحاس، وأخذ الأجنبي «بيخال» ثلاثة دبنات من النحاس، وأخذ الكاهن الشاب «باحرر» نصف دبن من النحاس، وقد بقي لنا ثلاثون دبنًا من النحاس، وقد أخذ على نفسه ميثاقًا باسم الحاكم: «إذا كان كل ما أقول ليس بصدق، فإني أوضع على خازوق.»

(٦) سؤال الكاهن والبستاني «كر» التابع للمعبد وقد سمعت شهادته. وقد قالوا له: قص علينا قصة ذهابك ونزعك هذا الذهب الذي كان على عارضتي الباب ومعك أصحابك (٧) فقال: إن كاتب المعبد «سدي» قد ذهب مع الكاهن والصائغ «توتي» إلى عارضتي الباب ونزعا منها دبنًا وثلاثة قدات ونصف من الذهب، وقد أخذها (أي سدي) إلى ضابط الجند «بمينو» (٨) وذهبنا ثانية إلى عارضتي الباب وأحضرنا ثلاثة قدات من الذهب، وكنا مع كاتب المعبد «سدي» والكاهن «توتي»

والكاهن «بيسون» والمجموع أربع دبنات (٩) وذهبنا ثانية إلى عارضتي الباب مع كاتب المعبد «سدي»، والكاهن «نسيآمون» وأحضرنا خمسة قدات من الذهب وقسمناها (١٠) وذهبنا كرة أخرى إلى عارضتي الباب مع الكاهن «حوري» بن «بيخال»، وكاتب المعبد «سدي» والكاهن «نسآمون» إلى عارضتي الباب (هكذا Sic) وأحضرنا خمسة قدات من الذهب (١١) واشترينا بها غلة في طيبة وقسمناها. والآن بعد بضعة أيام أتى كاتب المعبد «سدي» ثانية محضرًا معه ثلاثة الرجال، الذين كانوا معه وذهبوا إلى عارضتي الباب ثانية (١٢) فأحضروا معهم أربعة قدات من الذهب وقسمناها بيننا وبينه، والآن بعد مضي بضعة أيام تشاجر رئيسنا «بمينو» معنا قائلًا لم تعطوني شيئًا، وعلى ذلك ذهبنا ثانية (١٣) إلى عارضتي الباب، وأحضرنا خمسة دبنات من الذهب وأعطوها بدلًا من ثور، وأعطوه «بمينو»، ولكن «ستخموسى» كاتب السجلات الملكية كان قد سمع صوته، وهددنا قائلًا: (١٤) سأبلغ ذلك لكاهن «آمون» الأكبر. وعلى ذلك أحضرنا ثلاثة قدات من الذهب، وأعطيناها كاتب السجلات الملكية «ستخموسى». وفي مرة أخرى ذهبنا ثانية وأعطيناه قدتا ونصفًا من الذهب. ومجموع الذهب الذي أعطى كاتب السجلات الملكية «ستخموسى» هو أربعة قدات ونصف من الذهب.

(١٦) والآن بعد مضي بضعة أيام ذهب الكاهن «حوري» والكاهن «توتي» ليلًا ودخلا بيت الذهب، وانتزعا قطعة ذهبية من عارضتي الباب، ولكنا قد قبضنا عليهما وسلمناهما للكاتب «سدي» (١٧) فأخذها Sic وسلمها مذابة وأعطاها «بمينو» (١٨) فقال: إن الكاهن «توتي» والكاهن «نسآمون» قد ذهبا إلى أبواب السماء (أبواب المحاريب) وأشعلا النار فيها ونزعا ذهبًا وسرقاه مع الكاتب «سدي».

(١٩) ثم قال: ذهبنا ثانية لعارضتي الباب نحن الثلاثة، ونزعنا ثلاثة قدات وقسمناها نحن الثلاثة (٢٠) وبعد بضعة أيام ذهب الكاتب «سدي» إلى عارضتي الباب مع الصائغ «توتي»، وأحضرا ثلاثة قدات من الذهب وسرقاها.

(٢١) وقال: ذهبنا إلى عارضتي باب المعبد، غير أن أمير المدينة سمع بذلك، وأرسل رجالًا وقد وجدوها ... إناء «قب» ووضعها في إنا «ونر» (٢٢) ووضع خاتم كاتب السجلات الملكية «ستخموسى» عليها وحملها معه، ولكن الذهب الآخر بقي في حوزتنا، فأخذناه وأذبنا ما كان معنا ووجدناه ثلاثة دبنات وثلاثة قدات من الذهب.

الصفحة الرابعة (P1. XXI): (١) ... قسمناها بيننا ... وقسمنا الباقي بيننا ... (٢) ... (٣) ذهبنا ... (٤) ... بيننا كلنا ... (٥) وأحضر الكاهن «بيسون» وسُمعت شهادته. فقالوا له: ما لديك عن التهم التي ... تعمل ... (٦) فأخذ على نفسه ميثاقًا بحياة الحاكم قائلًا: «إذا كان كل ما قلته ليس بصدق فلأرسل إلى فرقة (النوبيين).»

(٧) التهمة الخاصة بثلاثة الألواح من خشب الأرز، وهي التي أعطاها الكاتب «سدي» الكاتب «ثلنفر»، وهي الخاصة بالأرضية من الفضة للملك «رعمسيس الثاني» الإله العظيم.

(٩) التهمة الخاصة بالباب العظيم من الأرز الخاص بحجرة الملك «رعمسيس الثاني» الإله العظيم، وهي التي أعطاها الكاتب «ثلنفر»، (١٠) وقد أخذها كاتب الجيش «كاشوتي».

(١١) التهمة الخاصة بمحراب الإله «نفرتم»، وهو الذي قطعه النجار «بيسون»، فأعطى خمسة ألواح من الأرز لضابط الجنود «بمينو».

(١٢) التهمة الخاصة بإطار باب بيت «التاسوع» المقدس، وهو الذي قطعه النجار «بيسون» والنجار «نسيآمون»، وقد صنعنا منه أربعة ألواح (١٣) وأعطياهما ضابط الجنود «بمينو».

(١٤) تهمة خاصة بباب محراب «موت» المصنوع من الأرز، وهو الذي سرقه الكاتب «سدي»، وأعطاه ضابط الجنود «بمينو».

(١٥) تهمة خاصة بالألواح الأربعة من الأرز الخاصين بالأرضية الفضية للفرعون «رعمسيس الثاني» الإله العظيم، وهي التي أعطاها الكاتب «سدي» للمواطنة (١٦) «تحرر» زوج الكاهن

والد الإله «حوري»؛ وقد أعطاها النجار «أهوتي» التابع لمزار «حوي» (١٧) الجنازي. وقد صنعها تابوتًا داخليًّا لها.

(١٨) تهمة خاصة بالعرش العظيم المصنوع من خشب «كتي» (؟) وهو الموضوع في معبد «رعمسيس الثاني» في المكان المسمى «مكانا الدقة» (؟) الخاص به، وهو الذي أعطاه الكاتب «سدي» (١٩) الكاهن «سم» التابع لمعبد «أمنحتب» صاحب الردهة.

(٢٠) تهمة خاصة بثلاثة قطع من خشب مري لتمثال الردهة العظيم التابع للمعبد، وهو الذي أعطاه الكاتب «سدي» كاتب الجيش «عنر» التابع لمعبد «آمون» (٢١) وكان النجار «بيسون» هو الذي قطعه. وبعد ذلك أرسل إليه كاتب الجيش «عنر» ثانية قائلًا: أرسل إليَّ محرابًا (٢٢) من الأرز، وأعطاه الكاتب «سدي» محرابًا ارتفاعه ذراعان.

(٢٣) تهمة خاصة بالعرش العظيم المصنوع من خشب «كتي»، وهو الموضوع في مكان الأساس (؟) وهو الذي سرقه النجارون الثلاثة التابعون لهذا المعبد والصائغ «توتي».

الصفحة الخامسة (P1. XXI): (١) ... محل ... (٢) ... (٣) ... (٤) ... (٥) تهمة خاصة بالمحراب المصنوع من الأرز و... والخشب الذي سرقه كاتب السجلات الملكية «ستخموس»، وقد باعه في «طيبة» وتسلم ثمنه (بقية الصفحة بيضاء).

وهذا المتن على ما به من تمزيق يكشف لنا عن حالة عدم العناية بالمعابد الإلهية والعبث بها. والظاهر أنها كانت حتى هذا العهد معنيًّا بأمرها، ويقوم على حراستها موظفون خاصون كما ذكرنا عند الكلام على ورقة «فلبور»، ولكن حالة البؤس والفقر وفساد نظام الحكم قد سرت في البلاد بصورة مفزعة. إذ نشاهد الكهنة والعمال وأصحاب الحرف لا يتورعون عن نزع الذهب والفضة والنحاس، التي كانت على تماثيل الآلهة وأبواب معابدهم ويبيعونها لسد حاجتهم، فقد ذكرنا في المتن الذي نحن بصدده أن بعض اللصوص باعوا أنصبتهم من المعادن المنهوبة، واشتروا به غلة

من «طيبة»؛ ليسدوا بها رمقهم. وإذا كنا في حاجة إلى مثال يثبت أن الفقر كافر، وأنه يدفع الشخص إلى ارتكاب أفظع الجرائم، فإن بيع الكاتب «سدي» تمثال الإله الذي كان يعبده بعد تمزيقه قطعًا لدليل كافٍ، وهكذا نجد أن حالة البلاد على الأقل في أكبر عواصم مصر كانت تنحدر نحو الهاوية، وأن عمدة «طيبة الغربية» كان مكتوف اليدين مذهول العقل أمام النهب الذي كان يصيب جبانة «طيبة الغربية»، وقد اشترك في ذلك الرجال والنساء، حتى إن امرأة من أهالي تلك الجهة بمساعدة زوجها الذي كان كاهنًا قد انتزعت من أقدس مكان في معبد «رعمسيس الثاني» ألواحًا وصنعتها لنفسها تابوتًا داخليًّا تدفن فيه. والظاهر أن نزع الذهب والفضة والنحاس كان يعمل بفن؛ فقد كان يقوم به صياغ فنيون، وكذلك نزع الخشب كان يقوم به نجارون على مرأى ومسمع من الحراس والكتاب، ولا غرابة، فإنهم كانوا شركاءهم في الجريمة ويتقاسمون الغنيمة.

ورقة المتحف البريطاني ١٠٣٨٣: Papyrus B. M. 10383 هذه الورقة أهداها للمتحف البريطاني عام ١٨٥٦ المستر بورغ Mrs. Burgh، وطبعت ضمن الأوراق البردية في هذا المتحف (Select Papyrus. Part, II p. 7)، وطولها ٨٥ سنتيمترًا وعرضها ١٩ سنتيمترًا وتحتوي ثلاث صفحات.

والصفحة الأولى معنونة بالسنة الثانية، الشهر الرابع من فصل الصيف، اليوم الخامس والعشرون. وهو يوم فحص الذهب والفضة التي سرقت من معبد «وسر ماعت رع مري آمون» أي: معبد مدينة «هابو»، وكانت تلك السرقات قد بلغها الكاهن «أمنموسى» التابع لهذا المعبد الفرعوني، وقد أمر الفرعون بدوره الوزير «تب ماعت رع نخت» وموظفين آخرين هما: «من ماعت رع نخت» و«ينس»؛ ليقوما بعمل تحقيق. وتحتوي الصفحة الأولى على البرهان الذي قدمه كاتب الجيش «قاشوتي» عن تهمة معينة، وهي سرقة فضة انتزعت من حامل آنية (إذا كانت الترجمة صحيحة) غير أن هذه السرقة بنوع خاص ليس لها من الأهمية ما يدعو إلى تبليغ الفرعون، إلا إذا

كان أمر الحراسة والعناية بمعبد «رعمسيس الثالث» موضع تشديد، وبخاصة أنه كان أعظم المعابد مكانة في هذا العهد كما شاهدنا في ورقة «فلبور».

وتحتوي الصفحة الثانية على الإدلاء بكيفية السرقة. أما الصفحة الثالثة فتبحث عن ملكية قطعة خشب قامت عليها منازعة، ومما يؤسف له أنه قد فقدت بعض الأسطر في نهاية الصفحة الثانية، مما تعذر معه تحديد علاقة هذه الفضة ببقية الورقة.

الترجمة: الصفحة الأولى: (P1. XXII): السنة الثانية، الشهر الرابع من فصل الصيف، اليوم الخامس والعشرون، يوم الفحص الخاص بالذهب والفضة، التي سرقت من معبد «وسر ماعت رع مري آمون» في بيت «آمون» (٢) وهي التي بلغ عنها الكاهن (خادم الإله) «أمنموسى» بن «تا» التابع لمعبد الفرعون. وقد أصدر الفرعون التعليمات بفحصها لعمدة «طيبة» والوزير «نب ماعت رع نخت» (٣) وللمشرف على خزانة الفرعون والمشرف على مخزن غلال الساقي الملكي «من ماعت رع نخت»، ولمدير البيت والساقي «ينس» (٤) وقد أُحضر كاتب الجيش «قاشوتي» التابع للمعبد، وقد عمل تحقيق عن قاعدة الآنية (زنتها) ستة وثمانون دبنًا من الفضة، وهي التي كانت قد سرقت وبلغ عنها الكاهن «بيسيني Peiseni» التابع لمعبد الفرعون، فقال: إنني لا أعرف ما حدث لها وكيف ينبغي لي هذا؟ فاستمع للقصة (؟) قال: (٦) إن كاتب الخزانة «ستخموسى»، وهو الذي كان مشرفًا على الأراضي، أتى وأخذ حامل الآنية هذا إلى حجرة الوزير التي في المعبد (٧) وقد قطع ... دبنًا منها وأخذها. وبعد ذلك أتى الكهنة آباء الآلهة، والكهنة المطهرون، والكهنة المرتلون التابعون للمعبد، وأخذوا قاعدة الآنية ثانية وقطعوا ... دبنًا من الفضة منها. المجموع خمسة دبنات والباقي ستة وثلاثون دبنًا من الفضة، وقد وكل أمر المحافظة عليها إلى «بورعا»، وقد أعيد وزنها ونقشت باسم الفرعون ووضعت في مكانها ثانية. وعندما جاء الفرعون سيدنا إلى المدينة عين الكاهن سم «حوري» للمعبد. وأتى «حوري» إلى المعبد وأمر بإحضار قاعدة الإناء هذه ... ٢٦ (أو ٣٦) واستولى عليها (يلاحظ وجود بقية سطر والباقي فقد).

الصفحة الثانية (P1. XXII): (١) وقد قص قصة الألف والمائة دبن من النحاس، وهي التي كانت قد أحضرت من باب «ستاو» (؟).

(٢) وقد قص قصة المائة والخمسين دبنًا من النحاس الخاصة بباب هذا …

(٣) وقص قصة هذه الاثنين والعشرين والمائتَيْ دبنٍ من النحاس الخاصة بباب «سبتير» (اسم حجرة) التابعة للخزانة.

(٤) وقد قص قصة هذه المائتين والألف دبنٍ من النحاس الخاصة بأبواب بيت الفرعون، وقد أحضر «بيسون» الكاهن المطهر، الذي كان حارسًا لبيت الفرعون وقال: إني غادرت بيت الفرعون عندما أتى «بنحسي»،[١٨] وطرد رئيسي على الرغم من أنه لم يرَ معيبًا. (الباقي فقد).

الصفحة الثالثة (P1. XXII): (١) … هذه جانبي السفينة في مكانهما. وقد حضر تاجر وتعرف على السارية.

(٢) غير أن الأمير «قد» أبى إعطاءه إياها. فذهب وبلغ عنها «تويتوي».

(٣) الذي كان في طيبة مع الفرعون وأرسل «تويتوي» قائلًا: سلم السارية (٤) لتجاري، غير أن الأمير رفض تسليمه دون موافقة الفرعون سيده. (٥) وبعد ذلك تحدَّث «تويتوي» عن موضوع هذه السارية إلى الفرعون، فأرسل الفرعون حامل المروحة الأول قائلًا: أعطِ التاجر التابع «لتويتوي» هذه السارية، فقال الأمير: سأعطيه إياها. (٧) وتأمل فإنها موجودة في حيازة هذا التاجر «تويتوي» خلف جدار هذه التحصينات التابعة لهذا المعبد في هذا اليوم (الباقي فقد).

المجموعة «هـ»

ولدينا مجموعة أوراق من البردي مؤلفة من أربع وثائق عن سرقة المقابر وغيرها لبعضها اتصال ببعض، ويرجع عهدها إلى عصر «رعمسيس الحادي عشر» وهذه الوثائق هي:

(١) الجداول التي على ظهر ورقة «إبوت»، وهي المعروفة بالصفحة الثامنة من هذه الوثيقة.

(٢) ورقة «ماير A» Pap. Mayer A، وهي محفوظة بمتاحف «لفربول» Liverpool Free Public Museums، (٣) والورقة رقم ١٠٠٥٢ بالمتحف البريطاني، (٤) وأخيرًا الورقة رقم ١٠٤٠٣ بالمتحف البريطاني أيضًا.

محتويات هذه الأوراق: (١) تحتوي جداول «إبوت» على قائمتي لصوص. الأولى تنقسم قسمين: «الأول» يشمل لصوص صناديق النفائس، و«الثاني» يشمل لصوص جبانة.

القائمة الثانية: تحتوي على أسماء لصوص فقط. (٢) وورقة «ماير» Pap. Mayer A تعد خليطًا من الوثائق القصيرة، التي لها علاقة بالمحاكمتين اللتين نوَّه عنهما في القائمتين التاليتين؛ إحداهما: خاصة بسرقات من أحد مباني «رعمسيس الثاني» وإدارة معبد «سيتي الأول»، والثانية: خاصة بسرقات من مقابر منوعة في الجبانة (راجع Mayer, Pap. A & B. pp. 5–10).

أما ورقة المتحف البريطاني رقم ١٠٠٥٢، فإنها تبحث في جرائم لصوص أقدم عهد ارتكب في جبانة «طيبة» الغربية. وأخيرًا تضيف الورقة رقم ١٠٤٠٣ المحفوظة بالمتحف البريطاني تفاصيل أخرى عن البراهين التي قدمت في المحاكمة الخاصة بصناديق النفائس التي ذكرت في ورقة «ماير A». هذه هي الروابط التي تجمع بين هذه الوثائق، وسنتحدث عنها ببعض الإيضاح.

وتاريخ ورقة «ماير A»، ووثيقتا المتحف البريطاني رقم ١٠٠٥٢ و١٠٤٠٣ هو العهد المعروف بعهد «النهضة»، الذي يقع في حكم «رعمسيس الحادي عشر».

أما جداول ورقة «إبوت»، فالمحتمل أنه قبل عهد الفرعون السابق بقليل.

جداول «إبوت»: تحتوي هذه الجداول كما ذكرنا من قبل على قائمتين بأسماء لصوص.

والجدول الأول ينقسم قسمين وهما: (١) لصوص صناديق النفائس، (٢) لصوص الجبانة فقط. وهذا الجدول مؤرخ في السنة الأولى من عهد النهضة، السنة التاسعة عشرة من عهد «رعمسيس الحادي عشر»، وذلك خلافًا لما يقوله «بيت» .Peet, The Great Tomb Robberies) .pp. 129-30)

والجداول التي أمامنا في الورقة قيل عنها أنها نسخ من الأصل، أما الأصول فكانت مدونة بصورة مختلفة؛ لأن الأولى كان قد وضعها «بورعا» أمير «طيبة الغربية» أمام الفرعون، فالصفحة الأولى من ورقة «ماير» A 8، والثانية وهما اللتان أرختا بتاريخ يرجع إلى سبعة أسابيع فيما بعد قد أعطاها نفس الموظف للوزير «نب ماعت رع نخت». ومن المحتمل أن الفرعون عندما تسلم القائمة الأولى أعطى التعليمات للوزير بفتح محضر، ومن أجل ذلك استحضر «بورعا» قائمة جديدة أتم من الأولى.

والجدول الأول يحتوي على جزأين: الجزء الأول يشتمل على أسماء عشرة لصوص من لصوص الجبانة، وقد كرر منهم تسعة في الجدول الثاني من لصوص الجبانة، ولم يشذ إلا اسم الملاح «خنسموسى»، وسنرى أن تسعة من هؤلاء العشرة قد ذكروا في المحاكمة التي سيأتي ذكرها في الورقة رقم ١٠٠٥٢، وكذلك في ورقة «ماير A» التي تبحث في سرقات الجبانة.

والجزء الثاني من هذا الجدول الأول (8, A, 14–18) يحتوي على أسماء خمسة لصوص من الذين سرقوا صناديق النفائس، وأربعة من هؤلاء لم يذكروا في الورقة رقم ١٠٠٥٢، وهي التي ليس لها صلة بسرقة صناديق النفائس، ولكنهم ذكروا — في ورقة «ماير» — بطبيعة الحال في الفقرات الخاصة بصناديق النفائس.

والجدول الثاني (A. 12 to B 22) يحتوي على أسماء واحد وثلاثين لصًّا من لصوص الجبانة، عشرة منهم جاء ذكرهم في الجدول الأول، كما ذكرنا من قبل.

وهذا الجدول الثاني قد روجع بلا شك وأضيف عليه أسماء جديدة؛ لأنه يحتوي على كل الأسماء الخاصة بالجبانة في الجدول الأول ما عدا البحار «خنسموسى» هذا مع إضافة أسماء جديدة. أما الأسماء الواحد والعشرون الجدد، فيوجد منهم ثلاثة عشر في الأجزاء الخاصة بالجبانة من ورقة «ماير» والورقة رقم ١٠٠٥٢ ... إلخ.

الترجمة: الجدول الأول: (P1. XXII): (١) السنة الأولى (من عصر النهضة) الشهر الأول من فصل الفيضان، اليوم الثاني، المقابلة للسنة التاسعة عشرة من عهد «رعمسيس الحادي عشر». نسخة من سجل لصوص الجبانة وصناديق النفائس.

(٢) لصوص صناديق النفائس، وهي التي وضعها أمام الفرعون أمير غربي طيبة «بورعا».

(٣) الكاتب «تتي شري» بن «خعمواست» التابع لخزانة معبد «آمون» (وقد جاء ذكره في الورقة رقم ١٠٠٥٢).

(٤) نافخ البوق «بربثومؤبي» بن «بورعا» التابع لمعبد «آمون» (ذكر في الورقة رقم ١٠٠٥٢).

(٥) البوَّاب الأول «تحوتحتب» بن «بربثومؤبي» التابع لمعبد «آمون» (ذكر في الورقة رقم ١٠٠٥٢).

(٦) النجار «تونآني» التابع لمكان الصدق، وهذا أجنبي (ذكر في الورقة رقم ١٠٠٥٢).

(٧) البحار «بيكأمن» بن «باوا آمون» التابع لمساحة أرض (؟) «آمون» (ذكر في الورقة رقم ١٠٠٥٢ وفي ورقة «ماير»).

(٨) أخوه واسمه «أمنؤنبنخت».

(٩) العبد «سخا حتيأمون» التابع للتاجر «بازيمواست»، الذي في مدينة «حفاو» (ذكر في الورقة رقم ١٠٠٥٢).

(١٠) الكاهن «بيرسخر» التابع «لخنسو» المراقب (ذكر في الورقة رقم ١٠٠٥٢، وكذلك في ورقة «ماير»).

(١١) الراعي «بوخعف» بن «أيوتي» Iuthi التابع لمعبد «آمون»، الذي في بلدة «أبب»[١٩] (ذكر في ورقة «ماير»، وفي الورقة رقم ١٠٠٥٢).

(١٢) البحار «خنسموسى» بن «بيونزم» وأمه «تامسي» التابع لمعبد «آمون» (ذكر في ورقة «ماير» وفي الورقة رقم ١٠٠٥٢).

(١٣) لصوص صناديق النفائس.

(١٤) الكاتب «بيبكي» بن «نسيآمون»، وأمه «إسي» (إزيس) التابع لمعبد «وسر ماعت رع مري آمون» (ذكر في ورقة «ماير»).

(١٥) الكاهن «ثانفر» بن «باي إنبمس» التابع لمعبد «آمون» (ذكر في ورقة «ماير»).

(١٦) الأجنبي «بنحسي»، الذي كان كاهنًا للإله «سبك» صاحب «برعنخ» (ذكر في ورقة «ماير»، وفي الورقة رقم ١٠٠٥٢).

(١٧) الأجنبي «بيكآمن» الذي يسكن في بلدة «آرمنت» (ذكر في ورقة «ماير»).

(١٨) مربي النحل «سبكتخت» بن «إري نفر» التابع للمعبد (ذكر في ورقة «ماير»).

الجدول الثاني: (8 A. 19 to 8 B 22): (١٩) السنة الأولى (من عصر النهضة) الشهر الثاني من فصل الفيضان، اليوم الرابع والعشرون، المقابلة السنة التاسعة عشرة (عهد رعمسيس الحادي عشر) نسخة من سجل لصوص.

(٢٠) الجبانة الذي أعطى الوزير «نبماعت رع نخت» من يد أمير غرب المدينة المسمى «بورعا».

(٢١) نافخ البوق «أمنخعو» التابع لمعبد «آمون» ... «بربثو».

(٢٢) الطفل «بشري» التابع «لنررنن» (؟).

(٢٣) محمص البخور «سدشو خنسو» التابع لمعبد «آمون» وأخواه (؟).

(٢٤) «وسر حتنخت» من بلدة «الأشمونين» الذي يعيش في حديقة ...

(٢٥) الأجنبي «باقارانا» الذي كان تابعًا لدير بيت «آمون».

(٢٦) العبد الصغير «أفتموت» التابع لمعبد «موت»، الذي يشتغل في الذهب (ذكر في ورقة «ماير» وفي الورقة رقم ١٠٠٥٢).

(٢٧) التابع «ونآمون» بن الكيال «بورعا» التابع لمدير بيت «آمون» (ذكر في «ماير»، وفي الورقة رقم ١٠٠٥٢).

الجدول الثاني: (P1s. XXIII—XXV): (١) الكيال «بوخعف» بن «قاقا» التابع لمعبد «آمون» (ذكر في ورقة «ماير»، وفي الورقة رقم ١٠٠٥٢).

(٢) الراعي «بوخعف» التابع لمعبد «آمون».

(٣) الراعي «بايس» بن «نبان» (ذكر في ورقة «ماير» وفي الورقة رقم ١٠٠٥٢).

(٤) الكاتب «تتي شري» بن «خعمواست» التابع لأمين خزانة معبد «آمون» (ذكر في جداول «إبوت»).

(٥) الكاتب «باعامتا ومت» Paoemtaumt ... «باعا متومت» بن «بورعا» (ذكر في الورقة رقم ١٠٠٥٢، وفي ورقة «ماير»).

(٦) الأجنبي «مينمواست» فيكون الرابع عشر (؟).

(٧) الأجنبي «ثوناني» التابع لمكان الصدق.

(٨) الأجنبي «بيكآمن» بن «باوا آمون».

(٩) الأجنبي «أمن عابنخت» ابن شرحه (أي كالسابق).

(١٠) الأجنبي «سخا حتيآمون» خادم التاجر «بسيمواست».

(١١) الكاهن «باير سخر» التابع «لخنسو المراقب».[٢٠]

(١٢) الخادم «بكنني» التابع لمعبد «آمون» (ذكر في ورقة «ماير» وفي الورقة رقم ١٠٠٥٢).

(١٣) حامل الماء «كر» التابع لمزار قبر الملك «داخبر كارع» (ذكر في ورقة «ماير» وفي الورقة رقم ١٠٠٥٢).

(١٤) الكاهن «بيونش». وكان مع ضابط الجنود «أفنآمون» (ذكر في ورقة «ماير»).

(١٥) البحار «بيخال» الذي كان مع ضابط الجنود «أفنآمون» (ذكر في ورقة «ماير» وفي الورقة رقم ١٠٠٥٢).

(١٦) الأجنبي «بينحسي» وهو كاهن الإله «سبك» لبلدة «برعنخ».

(١٧) البواب الأول «تحوتحتب» بن «بربثومؤبي» (جاء في جداول «إبوت»).

(١٨) كاتب الجيش «عنخف» بن «بتاحمحب» التابع لمعبد «آمون» اسمه الكامل «عنخفآمون» (ذكر في ورقة «ماير» وفي الورقة رقم ١٠٠٥٢).

(١٩) كاتب الجيش «أفنآمون» ابن شرحه (أي كالسابق الذكر في الورقة رقم ١٠٠٥٢، ويجوز في ورقة «ماير»).

(٢٠) الخادم «كزر» التابع لمعبد «آمون» (ذكر في ورقة «ماير»).

(٢١) صانع الجعة «بنحتمنوت» التابع لضابط الجنود «أفنآمون» (ذكر في ورقة «ماير»، وفي الورقة رقم ١٠٠٥٢).

(٢٢) الفلاح «عازر» التابع لمعبد «منتو» (ذكر في ورقة «ماير» وفي الورقة رقم ١٠٠٥٢).

الورقة رقم ١٠٠٥٢ بالمتحف البريطاني: هذه الورقة يبلغ طولها ١٨٠ سنتيمترًا، وعرضها ٣٦ سنتيمترًا، وقد كتبت من الوجهين بيد الكاتب الذي دون ورقة «ماير Mayer»، وتحتوي على ثماني صفحات على الوجه وتسع على الظهر. وقد ضاع منها بعض أجزائها.

وأول تاريخ فيها هو السنة الأولى من عصر النهضة، الشهر الرابع من فصل الصيف، اليوم الخامس، والعنوان: في هذا اليوم عقدت محاكمة الأعداء الكبار، وهم اللصوص الذين انتهكوا حرمة المكان العظيم عندما عملوا الـ … وانتهكوها في الردهة (؟) والمحكمون المحققون هم نفس الذين حققوا في ورقة «ماير» Mayer A أي: «نبماعت رع نخت» و«منماعت رع نخت» و«ينس» ثم «بميآمون». وقد استغرقت المحاكمة من اليوم الخامس إلى اليوم العاشر من الشهر الرابع من فصل الصيف. ويدل المتن على أنه في اليومين السادس والسابع كانت تعقد المحكمة مرتين في اليوم. كما يحدث الآن أحيانًا، وهذه الوثيقة تظهر مربكة لأول وهلة، وبخاصة الجزء الأخير منها، ولكن الإنسان عندما يدقق النظر يفهم أنها تبحث في مجموعتين مميزتين من السرقات التي لها علاقة باسم رئيس العصابة في كل من المجموعتين. وسنطلق على واحدة منهما اسم عصابة «بوخعف» والثانية عصابة «أفنآمون». على أن هذا التمييز ليس واضحًا في الوثيقة بصفة خاصة، وعلى أية حال فإن هذه الوثيقة، كغيرها من التقارير الخاصة بالمحاكمة، قوائم تحدثنا عن ضرب المتهمين، وانتزاع بينات منهم بهذه الكيفية. ولا نزاع في أن الحقيقة قد استخلصها القضاة وكتبوا عنها تقريرًا مختصرًا؛ ليطلع عليه الفرعون عندما كان ينطق بالحكم كما هو معلوم من أنه كان يفعل ذلك في الحالات التي كانت أعظم خطرًا من هذه.

وينقسم متن الورقة جزأين وسنتحدث عن كل منهما فيما يلي:

الجزء الأول: قضية «بوخعف»: وتاريخ هذه القضية اليوم الخامس. وقد حقق في هذا اليوم مع الراعي «بوخعف»، فسئل أن يقص قصة هجومه على المقابر الملكية. وقد حاول أن يهرب من الموضوع بعدم ذكر زيارته للمقابر، بل أخذ يقص حادثه وقعت فيما بعد. والظاهر أنه من بين الاثني عشر رجلًا الذي اشتركوا مع «بوخعف» في السرقة الأصلية ستة كانوا بقيادة «شد سو خنسو» و«بربثو» قد تسللوا دون علم اللصوص الآخرين ليحضروا الفضة المسروقة، وهي التي، كما جاء في المتن، كانت مخبأة مؤقتًا في مقبرة الكاتب «بن» ... وقد سمع بذلك «بوخعف» وهو أحد الذين أُخفي عليهم هذا الأمر، فقام بصحبة اللصوص الآخرين، الذين لم يعلموا ما كان يقوم به إخوانهم، وانقضوا عليهم، وطلبوا إليهم أن يعطوهم نصيبهم من الغنيمة، وقد تسلموه فعلًا. على أن احتيال «بوخعت» للهروب من سرد الحقيقة لم يخدع المحكمة التي طلبت إليه ثانية أن يقص عليها حملته الأصلية الأولى على المقابر، ولما لم يعترف جُلد مرة أخرى أدلى بعدها بزيارته لمقبرة الملكة «حبرزت»، وقد اعترف أنه وجدها مفتوحة من قبل، وهنا قد حدثت محاورة قصيرة شيقة خلال اعترافه بينه وبين كاتب الجبانة «نسأمنؤبي»، الذي تجده على ما يظهر في خلال كل المحاكمة يعمل بمثابة مستشار غير رسمي للادعاء، غير أنها لسوء الحظ لم توجد كاملة لعطب في الورقة عند هذه النقطة.

أما الملكة «حبرزت» فيجوز أنها موحدة بالأم الملكية «حمرزت»، التي عثر على اسمها على قطعة حجر رملي في دير «البخيت» (L. D. III 218 b: & Guathier. R. III p. 174)، ولدينا اسم مماثل لذلك ويجوز أنه صورة أخرى لنفس الاسم يحمله والد الأم الملكية «إزيس»، التي دفنت في المقبرة رقم ٥١ في مقابر الملكات.

وبعد ذلك يقدم لنا «بوخعف» قائمتين: الأولى تحتوي على أسماء الاثني عشر رجلًا الذين كانوا معه في المقبرة، والقائمة الثانية بأسماء الرجال الذين باع لهم الأشياء المسروقة ومعظمها من الذهب والفضة.

وقد عنونت الصفحة الثالثة بكلمة «تحقيق»، وفيها وصف الشاهد الأول «شد سو خنسو» زيارة القبر الأولى، التي لم يشترك فيها «بوخعف» إلا عند ذهابه ليطالب بنصيبه في الغنيمة. أما الشاهد الثاني وهو «بربثو»، فقد قال عن نفس هذا الحادث: إنه أُخذ من بيته بوساطة رجال آخرين؛ ليذهبوا لإحضار الأشياء التي كانت في قبر الكاتب «بن» — (بقية الاسم ضاعت). والشخص التالي الذي حقق معه هو «أمنخعو»، وقد أكد «بربثو» أنه قد اتهمه زورًا، وذلك لما بينهما من ضغائن، وبعد أن ضرب عدة مرات — وكانت آخر مرة ضرب فيها بعد الأولى قبلت قصته وأخلي سبيله، وعلى ذلك لم يظهر اسمه في الأطوار الأخيرة للمحاكمة التي سجلت في ورقة ماير Mayer A. والشاهد الذي يلي ذلك عبد يدعى «دجاي» ملك «بوخعف». وقد أكد أن «بوخعف» قد حصل على الفضة من «نسآمون» وشركائه، ولكنه قدم قائمة بأسماء رجال كانوا حاضرين عند تقسيم الغنيمة في بيت «بربثو»، وقد أضاف إليها أسماء أخرى عند التحقيق معه ثانية في اليوم السادس، ويدل على أنه قد وجه اتهامات معينة ضد بعض هؤلاء الرجال، غير أنهم لم يسجلوا في الورقة.

وفي اليوم السادس وهو اليوم الثاني من أيام التحقيق مع اللصوص، سئل حارق البخور «نسآمون» وقد أضاف اسمًا واحدًا إلى العصابة وهو «بينفري» التابع لبلدة «كوم مدينة غراب» (مر-ور) وقد حاول في أول الأمر أن يقنع المحكمة بأنه هو وزملاؤه لم يسرقوا من القبر إلا بعض أوانٍ من الفضة، ولكنه عندما جلد كرة أخرى اعترف كذلك بأنه أخذ الكفن المصنوع من الفضة من الجسم، وهي جريمة من أبشع الجرائم السالفة. وقد حاول كاتبا الجبانة اللذان كانا حاضرين في التحقيق أن

يجعلاه يعترف بأن السرقات المنوَّعة، التي ذكرها كانت خاصة بثلاث مقابر، غير أنه أصرَّ على تأكيده بأن كل الفضة كانت من مقبرة واحدة.

وفي الصفحة السادسة نجد أننا في وسط محاكمة امرأة، وهي بلا نزاع زوج لص قد مات أو فقد، ولا بد أن بداية اعترافاتها كانت في الأسطر المفقودة التي في نهاية الصفحة السابقة. وهي تصف قسمة غنيمة قد أخذت منها نصيب زوجها، وقد أجبرت على رده ثانية لرجلين من اللصوص الآخرين بعد بضعة أيام. بعد ذلك نجد أن أربعة من المسجونين وزوجتي اثنين قد أحضروا لأجل أن يتهم كل واحد منهم زميله، ثم ينادي حارق البخور (أو المبخر) «نسيآمون»، ويصف العرض الأصلي الذي عرضه عليه عامل الجبانة «بور يختف» بمثابة نصيب له ولزملائه في بعض الخبز. وبعبارة أخرى يرشدهم إلى المقبرة التي يمكنهم سرقتها وهم في مأمن. وهذا الرجل هو بلا شك «بور»، الذي ذكر في الصفحة الأولى وهو الذي أرشد إلى قبر الملكية «حبرزت».

وفي اليوم السابع شهد «بنفرحاو» على «أمنخعو» بن «موت محب»، وعند هذه النقطة في الورقة تأتي قصة أخرى يرجع بعدها الكلام إلى القصة الأولى التي نحن بصددها، وقد صار التحقيق في نفس اليوم السابع مساء (الصفحة الثالثة عشرة من الورقة) فنجد التحقيق مع «بكنني» الذي يقال: إن «بوخعف» قد أعطاه دبنين من الفضة. وكذلك حقق مع «موت مويا» زوج «بورعا» بدلًا من زوجها الذي كان على ما يظهر قد توفي، وقد جاء ذكره في قائمة اللصوص التي قدمها «بوخعف»، وكذلك حقق مع «موت مويا» زوج الكاتب «نسآمون».

اليوم الثامن. جلسة المساء: حقق مع السماك «بنختمؤبي». والحادثة التي يذكرها ليس لها علاقة بسرقة «بوخعف» ولا بسرقة «أفنمنتو» بل يجوز أنها الحادثة التي جاء ذكرها في الورقة رقم ١٠٠٥٤ بالمتحف البريطاني (B. M. 10054 ro. 3, 1–5) ولا يمكننا أن نذكر السبب الذي من أجله حوكم هنا، وكذلك في ورقة «ماير» (Mayer. A. 5, 9) إلا أن المفهوم من هذه

المحاكمات هو أنه عند الكشف عن سرقة، فإن شباك رجال الشرطة كانت تطرح في نطاق واسع، وكل إنسان يقع في الأحبولة كان من الذين عرفوا أو يظن أن لهم علاقة ما بالسرقات أو اللصوص.

وما يتبقى من الوثيقة ينحصر في بعض تحقيقات مع أشخاص لهم صلة بأشكال منوعة في الموضوع، غير أنها ليست ذات بال؛ ولذلك لا داعي للمضي في تحليلها تحليلًا مستوفيًا. ولدينا حقيقة واحدة تستحق الذكر وهي الخاصة بكاتب الجيش «حوري» بن «أفنآمون» التابع لمكان «تحوت» وهو الذي أُحضر للمحاكمة؛ لأن والده قد دخل المقابر وسرق منها صناديق النفائس. وهذه هي الإشارة الوحيدة إلى صناديق النفائس في هذه الورقة. والواقع أن التهمة الموجهة إلى «أفنآمون» قد جاءت عرضًا؛ لأن لها علاقة بالمقابر.

قضية «أفنآمون»: حدثت كل هذه المحاكمة في اليوم السابع، وقد بدأت بالتحقيق مع الخازن «أفنمنتو» الذي جعله المحققون يقص قصة هجومه على المقابر هو و«أهومح» و«أفنآمون»، وقد ذكر أن «كربعل» والبحار «نسآمون» في استطاعتهما أن يدليا بأسماء الذين كانوا هناك كلهم. ولدينا هنا حادثة ليس لها علاقة ما بالجزء السابق من الورقة؛ لأن اللصوص الذين ذكروا فيها يختلفون كلية عن سابقيهم.

والشاهد التالي هو «سخاحاتي آمون»، وهو الذي اعترف بادئ الأمر أنه كان في بعض المقابر بالقرب من بلدة «جبلين»، ثم يفسر علاقته «بأهومح» و«أفنآمون» (الذي كان على ما يظن السبب في القبض عليه) بأنها علاقة جاءت عرضًا، بَيْدَ أن هذا العذر كان واهيًا جدًّا في نظر المحكمة. ولكنه بعد الجلد مرة ثانية اعترف بأنه كان في مقابر غرب «الجبلين» ومقابر غربي «طيبة»، ولكن التحقق من تعيين السارق كان صعبًا جدًّا.

أما اللصوص الثلاثة الذين أتوا بعد السابق، وهم «ثوناتي» و«بنتاور» و«بيكآمن»، فقد دافعوا عن براءتهم.

وكان البحار «نسآمون» أحد الرجال الذين اقترح «أفنمنتو» أن يؤتى به وكان فعلًا في خدمة «أفنآمون». وعلى أية حال فإن تصريحاته لم تدون.

ولدينا كذلك التحقيق مع فرد يدعى «بيخال» الصغير، وما أدلى به له أهمية واضحة، فإنه يقص أن والده قد رأى صندوق مومية مسروقًا من مقبرة في يد كاهنين اشتريا عدم إباحته بالسر بقميص قدم له هدية.

ثم يجيء ذكر التحقيق مع «إزيس» زوج «كر» وكان زوجها قد اتهم في سرقة فضة من المقابر العظيمة. وهذه المرأة قد بدت عليها آثار النعمة بشرائها عبدًا، وقد طُلب إليها أن توضح مصدر ثروتها، وقد شهد عليها أحد خدَّامها المسمى «بينخ».

وباقي هذا الجزء تحقيق مع أشخاص لهم علاقة مباشرة أو غير مباشرة بهذه القضية، وسيأتي ذلك في الترجمة.

الترجمة: (Plates XXV–XXXV) الصفحة الأولى: (P1. XXV): (١) السنة الأولى من عصر النهضة، الشهر الرابع من فصل الصيف، اليوم الخامس، في هذا اليوم أُجري التحقيق مع الأعداء الكبار وهم اللصوص الذين انتهكوا حرمة المقابر العظيمة، وذلك عندما قاموا ... وانتهكوا حرمتها (٣) في الردهة[٢١] (؟) على يد حاكم المدينة (طيبة) والوزير «نبماعت رع نخت» والمشرف على خزانة الفرعون، والمشرف على مخزن الغلال «منماعت رع نخت»، ومدير البيت، وساقي الفرعون (٥) «ينس»، وحامل مروحة الفرعون؛ مدير البيت، والساقي الملكي «بميآمون» كاتب الفرعون.

(٦) تحقيق: أُحضر راعي معبد «آمون» المسمى «بوخعف»، فقال له الوزير: عندما كنت تزاول ذلك العمل الذي كنت مشغولًا فيه (٧) وقبض عليك الإله، وأحضرك ووضعك في يد الفرعون، خبرني إذن عن كل الرجال الذين كانوا معك (٨) في المقابر العظيمة. فقال: أما عني فإني فلاح تابع لمعبد «آمون»، وقد أتت المواطنة «نسموت» (٩) إلى المكان الذي كنت فيه وقالت لي: «إن بعض الرجال قد عثروا على بعض شيء يمكن بيعه مقابل خبز، فدعنا نذهب حتى يمكنك أن (١٠) تأكل منه معهم.» وهكذا كلمتني. وقد وجدت النافخ في البوق «بربثو» (١١) والأجنبي «وسرحات نخت» التابع لأمير المدينة (أي طيبة) وحارق البخور (المبخر) «شد سو خنسو» وحارق البخور «نسيآمون» التابع لمعبد «آمون» (١٢) وحارق البخور «عنخفنخنسو» التابع لمعبد «آمون» و«أمنخعو» ابن المغني التابع لمائدة «حوري». والمجموع ستة. وقد جمع من كل واحد منهم عشرة دبنات من الفضة (١٣) وأعطوها إياي فيكون المجموع ستين دبنًا من الفضة. وقد حقق معه بالعصا فقال (١٤) قف سأتحدث. فقال له الوزير: قص قصة ذهابك لمهاجمة المقابر العظيمة الفاخرة (١٥) فقال: إن «بور» أحد عمال الجبانة هو الذي دلني على مقبرة الملكة «حبرزت» (١٦) فقالوا له: إن القبر الذي ذهبت إليه على أية حالةٍ وجدته؟ فقال: لقد وجدت أنه كان مفتوحًا (١٧) فعلًا. فحقق معه بالعصا ثانية، وعندئذٍ قال: قف سأخبركم. فقال له الوزير: قل ما فعلته (١٨) فقال: لقد أخذت التابوت الداخلي المصنوع من الفضة وكفنًا من الذهب والفضة أنا والرجال الذين كانوا معي (١٩) وكسرناهما وقسمناهما فيما بيننا؛ فقال له كاتب الجبانة «نسأمنمؤبي»: إذا ذهبت وسرقت جلد ماعز من حظيرة ماعز، وجاء واحد آخر يتبعني فهلا أخبر عنه حتى أجعل العقاب يقع عليه كما يقع عليَّ أيضًا؟ فقال: سواء أكان العقاب؟ … أنا وحدي (؟) أو في عصابة … (٢٢) … في عشرة … معه في عصابة أخرى (٢٣) (الباقي فقد).

الصفحة (أ ب): على يسار الأسطر من (١٢–١٥) تجد ما يأتي: (١) النافخ في البوق «بربثو».

(٢) «شد سو خلسو».

(٣) «نسآمون».

(٤) «عنخفنخنسو».

(٥) «أمنخنعو» ابن المغني التابع لمائدة القربان.

الصفحة الثانية: (P1. XXV–XVI): (١) قائمة بأسماء الرجال الذين أعطاهم «بوخعف» قائلًا: إنهم كانوا في عصابة اللصوص التي كانت معه.

(٢) العامل «بوريختف» بن «حورمين».

(٣) كاتب السجلات المقدسة «نسآمون».

(٤) حارق البخور «شد سو خنسو».

(٥) حارق البخور «نسآمون» المسمى «ثاي باي».

(٦) «أمنخعو» ابن المغني التابع لمائدة القربان المسمى «حوري».

(٧) حارق البخور «عنخفنخنسو».

(٨) العبد الصغير «أمنخعو» بن «موت محب».

(٩) الأجنبي «وسرحات نخت» الذي في كنف المشرف على الصيادين «لآمون»، وهو في خدمة أمير «المدينة».

(١٠) البحار «بورعا» التابع لمعبد «آمون».

(١١) القياس «بورعا» بن «قاقا» التابع لمعبد «آمون».

(١٢) القياس «باعا متا ومت».

(١٣) النافخ في البوق «بربثو».

(١٤) المجموع ثلاثة عشر رجلًا. كانوا معي في القبر، وقد اعترف عليهم.

(١٥) وقال: بحياة الإله وبحياة الحاكم، إذا كان هناك رجل كان معي.

(١٦) وقد أخفيته فليقع عليَّ عقابه.

(١٧) أما عن أين يوجد نصيب الراعي «بوخعف» من هذا المعدن الثمين (أي النقود) فقال:

(١٨) (أخذ) الخادم «بكنني» التابع لمعبد «آمون» دبنين من الفضة.

(١٩) والمشرف على حقول المعبد «آمون» «أخنمنو» أخذ دبنًا واحدًا من الفضة وخمسة قدات من الذهب بدلًا من أرض.

(٢٠) وقد أعطاه فضلًا عن ذلك «أمنخعو» بن «موت محب» دبنين من الفضة.

(٢١) وأعطاه الراعي «بوخعف» ثورين.

(٢٢) والكاتب «أمنحتب» المسمى «سرت» التابع لمعبد «آمون» (أخذ) دبنين بدلًا من أرض، مقابل أربعين دبنًا من النحاس، ومقابل عشر حقائب شعير.

(٢٣) الخادم «شدبج» مقابل ثمن العبد «دخاي». دبنين من الفضة (٢٤) وستين دبنًا من النحاس، وثلاثين حقيبة من الحنطة، وهي التي أخذت بدلًا منها فضة و(٢٥) ستة عشر ... ملابس «روز» من نسيج الوجه القبلي الجميل الذي عرضه أربع أذرع، ورداءان «دايو» من النسيج الملون.

(٢٦) السايس «خنسموسى» بن «تاي إري» خمسة قدات من الذهب.

(٢٧) صانع الذهب الذي عاش في البرج (؟) خمسة قدات من الذهب.

(٢٨) نسآمون خادم «بيبكين» خمسة قدات من الذهب.

(٢٩) «نسموت» زوج «بينحسي» خمس دبنات من الذهب.

(٣٠) تحقيق آخر: في الشهر الرابع من فصل الصيف، اليوم العاشر، قال:

(٣١) إن ضابط البحارة للقارب وزاي «خنسمحب» ٢ ... و٢ ... المجموع ٤.

(٣٢) غالي الزيت «نسآمون» بن «ببس» (؟) ... فضة.

(٣٣) مربي النحل «حابي عا» ... من الفضة.

(٣٤) الـ ... «آمون» ...

(الأسطر التالية فقدت تمامًا.)

الصفحة الثانية: (١) (P1. XXVI): (ما يأتي كتب بخط صغير على يسار الأسطر القليلة الأولى من الصفحة الثانية).

وقال: أعطيت خمسة دبنات من الفضة لحارق البخور «بنمنتنخت» التابع لمعبد «آمون» بدلًا من (٢) عشرة هنات من الشهد.

(٣) وقال: وأعطيت ثلاثة قدات من الفضة «إيرسو» خادم الكاهن الأكبر «لآمون» (٤) وقال: أعطى اللص العبد الصغير «أمنخعو» بن «موت محب» خمسة قدات من الفضة (٥) «عاشفتمواست» كاتب مدير بيت «آمون» بدلًا من ... من الخمر، وقد أخذناها إلى بيت المشرف على الفلاحين ووضعنا عليها هنين من الشهد وشربناها.

(٧) وقال: مر بإحضار حارق البخور اللص «شد سو خنسو» حتى يمكننا أن نخبركم عن موضوع الفضة كل على حدته، وقد أحضر حارق البخور ليؤيده (٩) وقالا سويًّا: إن اللص «أمنخعو» أعطى (١٠) دبنًا واحدًا وخمسة قدات من الفضة لحارق البخور «بنمنت نخت» في مقابل مكيال «مزكت» واحد من الشهد، والآن قال حارق البخور «بنمنت نخت» (١٢) قد أُعطي

مكيال «مزكت» آخر من الشهد، وإن اللص «أمنخعو» أعطاه دبنًا واحدًا وخمسة قدات من الفضة في مقابلها. فيكون المجموع ثلاثة دبنات من الفضة (١٤) وقال: أعطيت دبنًا وخمسة قدات من الفضة صانع الذهب «إفنموت» التابع لمعبد «موت».

الصفحة الثالثة: (P1. XXVI–XXVII): (١) تحقيق: أُتي بحارق البخور «شد سو خنسو» التابع لمعبد «آمون»، وقال له الوزير: أخبرني عن بعض رجال كانوا معك في المقابر (٢) فقال: كنت نائمًا في بيتي فأتى إلى المكان الذي كنت نائمًا فيه ليلًا «أمنخعو» ابن المغني التابع لمائدة القربان «حوري»، والأجنبي «وسرحات نخت» (٣) والنافخ في البوق «بربثو» وحارق البخور «نسيآمون»، الذي يدعى «ثاي باي»، وقالوا لي: اخرج إنا ذاهبون لنحضر هذه الصفقة (؟) من الخبز ونأكلها، فأخذوني معهم وفتحنا المقبرة وأخذنا منها ... كفنًا من الذهب والفضة فكسرناه (٦) ووضعناه في سلة وأحضرناه معنا وقسمناه، وجعلناه ستة أجزاء وأعطينا (٧) جزأين «أمنخعو» ابن المغني التابع لمائدة القربان «حوري»؛ لأنه قال: إنه هو الذي دلنا عليه، وأعطى أربعة أجزاء أربعة منا أيضًا، والحجر الذي كانوا يزنون به ملقى هناك في بيت المواطنة «نسموت» زوج النافخ في البوق «بربثو» إلى يومنا هذا. والآن تأمل؛ إن أخت «موتمويا» هذه وهي زوج «بربثو» (١٠) قد ذهبت إلى المكان الذي كان فيه «بوخعف»، وقالت له: لقد ذهبوا ليحضروا الفضة، وعلى ذلك حضر (١١) الراعي «بوخعف» مع كاتب السجلات المقدسة «نسآمون»، والقياس «بورعا» والبحار «بورعا» والقياس (١٢) «باعامتا ومت» بن «قاقا» و«أمنخعو» بن «موت محب» المجموع ستة، وقد أحضروا الوزن المصنوع من الحجر من بيت (١٣) «نسموت» زوج «بربثو»، وأخذوا أنصبتنا الأربعة وسرقوها. والآن (١٤) قال والدي لهم: أما عن الحبل الخاص بـ ... الذي وضعته على رقبة الصبي فإنك أتيت لتسلب نصيبه، ومع ذلك فإن عقابه سيلحق به غدًا. ولكن «أمنخعو» بن «موت محب» (١٦) قال له: أنت أيها الرجل الشيخ الفاني، ليت شيخوخته تكون تعسة، إذا قُتلت وألقيت في الماء (١٧) فمن الذي سيبحث عنك، وقد

حقق معه بالعصا والفلقة فقال: قف سأعترف، فقال له الوزير: لقد كان كذبًا قولك: إن عشرة دبنات من الفضة لكل رجل هو ما أعطاه هذا الرجل (أي بوخعف) وشركاؤه (١٩) وإنه لم يبقَ لك شيء. فقال: لقد بقي لكل رجل منا بعض الشيء فاتجرنا به وأنفقناه، فحقق معه (٢٠) بالعصا مرة أخرى. فقال: لقد سمعت أنه سلة مملوءة بالذهب من الجبانة كانت في حوزة البواب الأول «تحوت حتب». ٢٢

(٢٢) تحقيق: وقد أحضر نافخ البوق «بربثو» التابع لمعبد «آمون»، فحلف اليمين بالحاكم قائلًا: إذا قلت (٢٣) كذبًا فلأمزق وأرسل إلى بلاد «كوش». فقال له الوزير: حدثني عن قصة ذهابك لمهاجمة المقابر العظيمة عندما قمتم بالتخريب العظيم هناك. فقال: (٢٥) عندما كنت جالسًا في بيت المغني التابع لمائدة القربان «حوري» أتى ابنه «أمنخعو» وأحضر معه «وسرحات نخت» (٢٦) وحارق البخور «شو سو خنسو» وحارق البخور «نسآمون». المجموع: أربعة. فقالوا لي: اخرج سنذهب لنسلب (٢٧) الأشياء التي في مقبرة الكاتب «بن» … فأخذوني مع … وأحضرنا هذا الكفن من الذهب والفضة (٢٨) … وكسرناه ونحن … (بعض أسطر مفقودة في نهاية الصفحة).

الصفحة الرابعة: (P1s. XXVII-XXVIII): (١) قف سأعترف. فقال: لم أرَ شيئًا آخر. فقال له كل من المشرف على خزانة الفرعون، والمشرف على شونة الغلال، وساقي الفرعون «منما عت رع نخت»: (٢) خبرني فيما إذا كنت لم تذهب إلى القبر. فقال: لقد كنت هناك مع الرجال الذين قلت عنهم بالضبط (٣) فقالوا له: خبرني عن كل رجل سمعت عنه أو رأيته. فقال: لقد سمعت عن الجزار «بننسوت تاوي» غير أني لم أره بعيني، فامتحن كرة أخرى بالعصا. فقال: لقد سمعت أن سلة (؟) كانت في حوزة البواب الأول (٥) «تحوت حتب» مملوءة بالذهب الخاص بالجبانة.

(٦) **تحقيق:** ثم أحضر نافخ البوق «أمنخعو» التابع لمعبد «آمون». فقال له الوزير: ما قصة ذهابك (٧) مع حارق البخور «شد سو خنسو»، عندما هاجمتما هذا القبر العظيم وأحضرتما منه هذه الفضة (٨) بعد أن كان اللصوص قد دخلوه، فقال: إن هذا بعيد عني.[٢٣] إن «بربثو» هذا (٩) النافخ في البوق عدوي. لقد تشاجرت معه، وقلت له: إنك سيحكم عليك بالموت (١٠) بسبب هذه السرقة التي ارتكبتها في الجبانة. فقال لي: إذا ذهبت للموت فسآخذك معي، وهكذا تحدَّث إليَّ. (١١) فامتحن بالعصا على قدميه ويديه فقال: لم أر أي إنسان قط. ولو كنت قد رأيت (١٢) لأخبرت عنه، وامتحن بالعصا الغليظة وبالفلقة فقال: لم أرَ (١٣) شيئًا قط ولو كنت قد رأيت لأخبرت عنه، فحقق معه مرة أخرى في الشهر الرابع من فصل الصيف، اليوم العاشر، ووُجد بريئًا من السرقة (١٤) وأُخلي سبيله.

(١٥) **تحقيق:** ثم أحضر «دجاي» عبد الخادم «شدبج»، الذي كان في خدمة الراعي «بوخعف» (١٦) فقالوا له: ما قصة ذهابك مع «بوخعف» سيدك ومع الرجال الذين كانوا معه؟ فقال: إني لم (٥) أرها. وما هذا الموضوع الخاص بكمية من الفضة! لقد وجدها في حيازة مطلق البخور «نسآمون» واللصوص الذين كانوا معه. فامتحن بالعصا فقال: فليكن. سأعترف. فقال: كان هناك «أخنمنو» الذي كان (١٩) المشرف على الفلاحين ... (بعض كلمات محيت) الراعي «بايس» أخو «بوخعف» والراعي (٢٠) (بزازا) الحارس (؟) لخزانة الحرس «أهاوتي» التابع لمعبد «آمون» (٢١) وقال: لقد كانوا يقسمون الفضة في بيت نافخ البوق «بربثو».

(٢٢) الشهر الرابع من فصل الصيف، اليوم السادس، وقد أُتي به ثانية وحقق معه يومًا آخر، وقد طلب إليه الحلف بالحاكم بألا يتكلم الكذب وإلا عوقب بإرساله إلى بلاد «كوش» (٢٣) فقالوا له: عندما كنت واقفًا هنا أمس أمام المحكمة، لقد دللتنا على الطريق، عندما كانت الأرض مظلمة (؟) إلى المحكمة، غير أنك لم تستنفد (٢٤) قصتك. فقال: إن ما قلته هو الصدق، غير أني لم أخبر عن كل الرجال الذين رأيتهم مع «بوخعف» فقال: لقد كان هناك (٢٥) مطلق البخور «نسيآمون»،

والمشرف على الفلاحين «أخنمنو» و«بننفر أحاو» عبد المغني «موت محب» التابع لمعبد «موت»، والمراقب «حوي» (٢٦) على الأراضي المنبسطة التابعة لـ «بخفت حر» وأخو المراقب هذا «بنشنمح» والراعي «بزازا»، وحامل الماء «بيخال» التابع لمقصورة (٧) الملك «حقا ماعت رع»، و«بامري» (هاتان الكلمتان شطبتا بالأحمر) والنائب «تحوت محب» التابع لمعبد «آمون» (وقد مات) والجندي «أهوتي نفر» التابع لفرقة النوبة (٢٨) (وهو يعيش في الأقصر) والراعي «بايبس» أخو «بوخعف» و«أمنبيثو» عبد «أيوننفر آمون» الخادم (٢٩) التابع للكاهن الأكبر «لآمون» الذي ... في إقليم الصقر، وكذلك «بايس» أخو «بوخعف» sic و(٣٠) «بينوزم» ابن النجار ... «آمون» والنحاس «كازازا» ... (٣١) العبد ... (بعض أسطر فقدت هنا في آخر الصفحة).

الصفحة الخامسة: (P1. XXVIII–XXIX): (١) التاجر «باينفري» التابع «لكوم مدينة غراب» (مرور).

(٢) السنة الأولى الشهر الرابع من فصل الصيف، اليوم السادس: اليوم الثاني في التحقيق مع لصوص المقابر العظيمة على يد الوزير وموظفي مكان التحقيق الذين وكل إليهم هذا الأمر.

(٤) تحقيق: أحضر مطلق البخور «نسيآمون» المسمى «ثاي باي» التابع لمعبد «آمون»، وقد وجه إليه اليمين بالحاكم (٥) قائلًا: إذا تكلمت كذبًا فلأمزق وأرسل إلى بلاد «كوش»، فقالوا له: حدثنا عن قصة ذهابك (٦) مع شركائك لمهاجمة المقابر العظيمة، عندما أحضرت هذه الفضة من هناك واستوليت عليها. فقال: «ذهبنا إلى مقبرة وأحضرنا بعض أوانٍ من الفضة منها و(٨) قسمناها بيننا نحن الخمسة.» وعندئذ امتحن بالعصا، فقال: «لم أرَ شيئًا آخر (٩) وما قلته هو ما رأيته.» فامتحن بالعصا ثانية. فقال: قف سأعترف، فقال له الوزير: ما هذه الأواني (١٠) التي سلبتها (؟) فقال: بعض أواني «ثب» من الفضة وقطع «رر» من الذهب. فامتحن كرة أخرى

بالعصا (١١) فقال: لقد سلبنا بالضبط الكنز الذي تحدثت عنه. فقال له الوزير: أخبرني عن بعض الرجال الذين كانوا معك. فقال: كان هناك التاجر «بينفري» (١٢) التابع «لكوم مدينة غراب»، ومعه الرجال الذين أعطى اللصوص الآخرون قائمة بهم، فامتحن مرة أخرى بالعصا (١٣) فقال: قف سأعترف. لقد أحضرنا الكفن المصنوع من الفضة من القبر، وكسرناه ووضعناه في سلة (١٤) وقسمناه بيننا نحن الخمسة. وقال الكاتب «تحتمس» التابع للجبانة: إن القبر الذي سلبنا منه أواني «ثب» المصنوعة من الفضة والحلي غير القبر، الذي سلبنا منه الكفن أي إنهما قبران. فامتحن بالعصا فقال: قف سأعترف. فقال: هذه (١٦) الفضة هي التي سلبناها ولم أرَ شيئًا آخر. فامتحن بالفلقة فقال: قف سأعترف. إن هذه قصة حقيقية عن ذهابي. فقال له الكاتب «نسأمنؤبي» التابع للجبانة: (١٨) أخبرني عن كل رجل أُعطي فضة من هذه الفضة. فقال أُعطي بعضها الكاتب «تتي شري» ورئيس البوابين (١٩) «بكامباوبا»؛ لأنا أعطيناهما عندما سمعا عنها، على الرغم من أنهما لم يذهبا إلى هذا القبر معنا (٢٠) غير أن حجر الميزان الذي وزنا لهما به كان صغيرًا وليس بالحجر الكبير الذي قسمنا به لأنفسنا (٢١) وقد حقق معه مرة أخرى فقال الكاتب «نسأمنؤبي» التابع للجبانة: وعلى ذلك فإن القبر الذي تقول: إنك أحضرت منه أواني «ثب» المصنوعة من الفضة هو قبر آخر، أي إنهما قبران منفصلان عن الكنز الأصلي. فقال: إنه كذب (ما تقول) لأن أواني «ثب» تابعة للكنز الأصلي الذي أخبرتك عنه سابقًا (٢٣) فإن الذي فُتح هو قبر واحد فقط، فامتحن ثانية بالعصا ومد في القلقة (٢٤) فلم يعترف بأي شيء خلافًا لما قاله.

(٢٥) هذا اليوم في أثناء الليل. (٢٦) تحقيق: أحضر رئيس البوابين «بكامباوبا»، فوجه إليه اليمين بالحاكم قائلًا: إذا قلت كذبًا (٢٧) فلأمزق وأرسل إلى «كوش» فقال الوزير ... (٢٨) فقال: أما عني فقد أشعلت النار في بعض خشب (بعض أسطر فقدت).

الصفحة السادسة: (P1. XXIX): (١) ... مع كاتب السجلات المقدسة «نسآمون»، والآن بعد أن انقضت بضعة أيام أتى أخي هذا (٢) مع الأجنبي «وسرحات نخت»، ومطلق البخور «شد سو

خنسي» ومطلق البخور «نسآمون» و«بربثو» (٣) المجموع أربعة رجال، وذهبوا إلى هذا المصنع (؟) وذهبت معهم فوبخوني (٤) فقلت لهم: ما الذي سآكله معكم (أي ما نصيبي الذي سآخذه) فقال لي أخي هذا: اذهبي وائتيني بخمس قطع من الخشب[٢٤] (كانت تستعمل لعمل القسمة؟) فأحضرتها لهم (٥) وقسموا كمية الكنز وعملوه أربعة أجزاء، فكانت عشرة دبنات من الفضة ودبنان من الذهب وخاتمان نصيبًا لكل رجل منا، فأخذت نصيب زوجي ووضعته جانبًا في حجرة خزانتي و(٧) أخذت دبنًا واحدًا من الفضة منها، واشتريت به «حب شاشا» (نوع من الحبوب ذكر في الأوراق الطبية) وبعد انقضاء بضعة أيام أتى «أمنخعو» بن (٨) «موت محب» مع كاتب السجلات المقدسة «نسآمون»، وقال لي: سلمي هذا الكنز. وكان مع أخي «أمنخعو» نفسه، وقالوا لي سلمي هذا الكنز، ولكني أجبتهم بجسارة (١٠) إن أخي لن يجعل أحدًا يتدخل معي، وهكذا تحدثت، وعلى ذلك ضربني «أمنخعو» بحربة في إحدى ذراعي وسقطت (؟) فقمت، ودخلت حجرة خزانتي وأحضرت (١٢) هذه الفضة وسلمتها له مع دبنين من الذهب وخاتمين: واحد منهما من اللازورد (١٣) الحقيقي، والثاني من الفيروز. وكان يشتملان على ذهب وزنه ستة قدات من الذهب الجميل في صياغتهما وتركيبهما، ثم قالت: لم أرَ شيئًا آخر.

(١٤) تحقيق: ثم أحضر الراعي «بوخعف»، ومطلق البخور «شد سو خنسو»، (١٥) ونافخ البوق «بربثو»، والمواطنة «نسموت» زوجه، والمواطنة «موتمويا» (١٦) زوج كاتب السجلات المقدسة «نسآمون»؛ ليجعل كل واحد منهم يتهم زميله في أثناء وقوفهم جميعًا هناك (١٧) فقال مطلق البخور «نسآمون»: إن عامل الجبانة هذا «بور يختف» قد خرج وأتى إلى المكان الذي كان فيه «أمنخعو» ابن مغني مائدة القربان «حوري»، فقال له: اخرج لأعطيك (١٩) هذا الجزء وإنك ستعطيني منه نصيبًا. ولكن لا تعطني[٢٥] أكثر من اللازم حتى لا يكشف أمري زملائي من عمال الجبانة، وهكذا تحدث وذهبتُ مع «أمنخعو» و(٢١) «شد سو خنسو»، و«بربثو» ... (بعض أسطر مفقودة).

الصفحة السابعة: (P1s. XXIX-XXX): (١) الشهر الرابع من فصل الصيف، اليوم السابع.

(٢) تحقيق: أُحضر «بنفراهاو» عبد المغني «موتمحب» التابع للمعبد وحلف اليمين بالحاكم (الملك) قائلًا: (٣) إذا تكلمت كذبًا فلأمزق وأوضع على خازوق. فقال: إن «أمنخعوا» بن «موتمحب» كان شريك «بوخعف» والعصبة الذين كانوا معه؛ وقد خرج من بيت الراعي «بوخعف» فأحضرا معه (رداء-زابو) من نسيج الوجه القبلي وأعطاها إياي (٥) فغسلته وانحدر في النهر في القارب المسمى «القضيب الفاخر» (بامدوشبسي) وأخذه معه، فامتحن بالعصا (٦) وقالوا له: قص قصة هذه الفضة التي رأيتها في حيازة سيدك هذا فقال: لقد رأيت بعض الفضة (٧) في حيازته وهي سميكة مثل سمك أواني «ثب» المصنوعة من النحاس، غير أني لم أضع قدمي في هذا القبر (٨) ونظرتها فقط بعيني (٨) في حيازة «أمنخعو» بن «موتمحب» سيدتي.

(٩) تحقيق: وأُحضر رجل المخزن «إفنمنتو» التابع لمعبد «منتو» سيد «أرمنت»، وحلف اليمين بالحاكم قائلًا: إذا تكلمت كذبًا (١٠) فلأمزق وأرسل إلى بلاد «كوش»، فقالوا له: ما عندك لتقوله عن موضوع المقابر التي هاجمتها مع (١١) الرجال الذين أرسلهم «أفنآمون» ضابط الجنود مع «إهومح» أخيه على رأسهم؟ (١٢) فقال: إن «أفنآمون» كان كاهنًا للإله «منتو» وكان «باسمدت» التابع لمعبد «منتو» يسكن معه، وكنت أبا في بيت «أفنآمون» مع العامل «بننفر» التابع للجبانة والأجنبي «بنحسي» الصغير (١٤) فامتحن بعصا فقال: إني لم أرَ شيئًا آخر، فضرب بالعصا مرة ثانية وقالوا له: (١٥) خبر عن كل رجل كان في المقابر. فقال: مروا بإحضار «كربعل» والبحار «نسآمون» ليخبراكم عن كل رجل (١٦) كان معهما. فضرب بالعصا الغليظة (مد في الفلقة) فقال: قف سأعترف. وضرب ثانية بالعصا وبالعصا الغليظة، ومد في الفلقة ولكنه لم يرد الاعتراف بشيء.

الصفحة الثامنة: (P1s. XXX-XXXI): السنة الأولى، الشهر الرابع من فصل الصيف، اليوم السابع. اليوم الثالث للتحقيق مع اللصوص الأعداء الكبار.

(٢) تحقيق: أحضر هناك «سخا حاتي آمون» عبد التاجر «بسنواست»، فقال له الوزير (٣) ما قصة ذهابك لمهاجمة المقابر العظيمة مع الرجال (٤) الذين معك؟ فقال: إن ذلك بعيد عني (كما يقال: في أيامنا الشر بره وبعيد عني). القبور العظيمة! (٥) إذا كانوا يقتلونني بسبب مقابر «إيوميترو» (مكان «الرزيقات» الحالية) إن هذه هي المقابر التي كنت فيها. فضُرب بالعصا مرة ثانية (٦) فقال: لقد أعطيت بعض الشعير للعامل «بنفر» وأعطاني قدتين من الفضة غير أني وجدتهما رديئتين (مزيفتين) وعدت لأردهما له، وعندئذٍ خرج الراعي «أهومح» (٨) وأخو «أفنآمون» وقالا لي: ادخل، وأخذاني إلى (٩) حجرة سكنهما في بيتهما، واتفق أنهما كانا واقفين يتشاجران، وقال أحدهما لصاحبه: (١٠) لقد زيفت في أمر الفضة على الرغم من أني أنا الذي دللتك على القبر، وهكذا تحدث ابن «بنفر»؛ هذا العامل (١١) إلى الراعي «إهومح» والآن قال الكاتب «تحتمس» له: إنك حارس مخزن (١٢) الرجال (؟) فكيف حدث أنك كنت تقف معهما عندما كانا يتشاجران إذا لم يكونا قد أعطياك نصيبًا؟ فقال: إنهما لم (١٣) يعطياني نصيبًا! ولماذا يكونان مدينين لي؟ فضُرب بالعصا وبالمقرعة ومد في الفلقة (١٤) فقال: قف سأعترف. وقال: لقد كنت في غربي «إيوميترو» مع «نسآمون» الذي كان رئيسًا للشرطة (مازوي) و(١٥) وكنت في غربي «طيبة» معه أيضًا. وكنت في غربي «حفاو» (بلدة قريبة من الجبلين) مع الأجانب التابعين «حفاو» (١٦) كلهم، فضُرب ثانية، ولكنه قال: لم أرَ شيئا آخر.

(١٧) تحقيق: وأُحضر التجار «ثوناني» التابع لمكان الصدق، وحلف اليمين بالحاكم قائلًا: إذا تكلمت كذبًا فلأشوَّه، وأرسل إلى بلاد «كوش». وقال له الوزير: ما قصة ذهابك إلى المقابر العظيمة (؟) (١٩) قال: لقد رأيت العقاب الذي لاقاه اللصوص في زمن الوزير «خعمواست»، فهل من المحتمل أن (٢٠) أذهب لأبحث عن الموت في حين أني أعرفه (أي عقاب الموت)

فضرب ثانية على قدميه ويديه، فقال: لم أرَ (٢١) شيئًا ولم أفعل شيئًا، فقال له الوزير: انظر لقد ضربت ولكن إذا (٢٢) أتى بعض الأشخاص واتهمك فإني سأفعله[٢٦] Sic (أي أقتلك). فقال له: إذا أتى إنسان ما واتهمني فإنك توقع عليَّ أي عقوبة فظيعة، فضرب مرة ثانية بالعصا والمقرعة (ومد في الفلقة) (٢٤) فقال: إني لم أرَ إنسانًا قط. ولم يرد أن يعترف.

(٢٥) تحقيق: وأحضر الأجنبي «بنتاور» التابع لفرقة «كوش» فحلف اليمين بالحاكم قائلًا؛ إذا قلت كذبًا فلأشوه، وأوضع على خازوق. فقال له الوزير: ما قصة ... (بعض الأسطر مفقودة من نهاية الصفحة).

الصفحة التاسعة: (P1. XXXI): (١) تحقيق: أحضر الأجنبي «بيكآمن» التابع لمساحة أرض «آمون»، فوجه إليه اليمين بالحاكم قائلًا: إذا تكلمت غير الصدق فلأشوه، وأرسل إلى بلاد «كوش»، فقال له الوزير: ما قصة ذهابك (٣) لمهاجمة المقابر العظيمة (؟) فقال: إذا عرف أني رأيت قدتًا واحدًا من الفضة أو الذهب من المقابر فليوقع عليَّ أي عقاب فظيع مهما كان. فضرب ثانية (٥) بالعصا، فقال: لم أرَ شيئًا، فضرب ثانية بالعصا (٦) وبالمقرعة واللولب (مدَّ في الفلقة) غير أنه لم يرد أن يعترف (بياض حوالي خمسة عشر سطرًا).

(٧) تحقيق: وأحضر البحار «سآمون» التابع للمشرف على ماشية «آمون» الذي كان ضابط الجنود «أفنآمون»، وقد وجه إليه اليمين بالحلف بالحاكم (هنا في الأصل سطران أبيضان وبقايا سطر آخر).

الصفحة العاشرة: (P1. XXXI): تحقيق: أحضر البستاني «بيجال» الصغير بن «أمنمحب» التابع لمعبد «خنسو منمؤبي» فوجه إليه اليمين بالحاكم قائلًا: إذا تكلمت كذبًا فلأشوه، وأوضع على خازوق. فقال له الوزير: (٣) ما عندك عن موضوع المقابر العظيمة التي هاجمتها مع الرجال الذين كانوا معك؟ فقال: إني لم أذهب قط. دعني أقص عليك القصة؛ إن والدي قد عبر إلى جزيرة

«أمنمؤبي». وقد وجد تابوتًا داخليًّا في حيازة الكاهن «أي» (أوحعبي) التابع لمقصورة الملك «منخبر رع» له الحياة والصحة والسعادة (٦) وفي حيازة الكاهن «كامواست» التابع لهذا المعبد وقد قالا له: إن هذا التابوت الداخلي ملكنا (؟) وإنه ملك شخص عظيم (؟) (٧) وقد كنا في مسغبة فذهبنا وسلبنا، ولكن كن صامتًا وسنعطيك رداء «دايو». وهكذا تحدَّثوا إليه (٨) وقد أعطوه رداء «دايو»، ولكن والدتي قالت له: أنت أيها الرجل العجوز الغبي إن ما فعلته هو ارتكاب سرقة (٩) وهكذا تحدثت إليه، وقد ضرب بالعصا. وعلى ذلك قال لم أرَ أي شيء قط. (١٠) فضرب ثانية ولكنه لم يرد أن يعترف، وقد ضرب (Sic النهاية).

(١١) تحقيق: وقد أُحضرت المواطنة «إسي» (إزيس) زوج البستاني «كر» التابع لمقصورة «رعمسي» (١٢) وقد حلف اليمين بالحاكم على أنها إذا تكلمت كذبًا فيجب أن تشوه، وتوضع على خازوق (١٣) وقال لها الوزير: ما هذه الفضة التي أحضرها لك زوجك من المقابر العظيمة (١٤) فقالت: إنني لم أرها، فقال لها الكاتب «تحتمس»: كيف اشتريت العبد الذي اشتريته؟ فقالت: لقد اشتريته في مقابل محاصيل (؟) من الحديقة. فقال (١٦) لها الوزير: فليُؤتَ بخادمها «باينخ» حتى يتهمها، فأحضر العبد «باينخ» (١٧) فأمر بحلف اليمين بالحاكم بنفس الطريقة فقالوا له: ما الذي عندك لتقوله؟ فقال Sic هي قصة هذه الفضة التي سلبها سيدك؟ (١٨) فقال: عندما خرب «بينحسي» بلدة «حارداي»[٢٧] Gynopolis اشتراني النوبي الصغير «بوتحا آمون» والأجنبي (١٩) «بنتسخن» اشتراني منه وأعطاني دبنين من الفضة ملكًا لي، والآن عندما قتل (٢٠) اشتراني البستاني «كر».

الصفحة الحادية عشرة: (Pls. XXXI-XXXII): (١) تحقيق: أحضر صانع الجعة «نسبرع» التابع لمعبد «رع» من سطح معبد «آمون» وأمر بحلف اليمين قائلًا: إذا تكلمت الكذب (٢) فلأشوه وأرسل إلى بلاد «كوش». فقالوا له: ما لديك لتقوله؟ بعيد عني جدًّا، بعيد عني جدًّا (الشر بره وبعيد عني) فضرب بالعصا، فقال: لم أرَ شيئًا.

(٤) تحقيق: أحضرت المواطنة «أرينفر» زوج الأجنبي «بينحسي» بن «تات» فحلفت اليمين بالحاكم (قائلة): إذا تكلمت كذبًا فأرسل إلى بلاد «كوش» (٥) فقالوا لها: ما عندك لتقوليه عن هذه الفضة التي سلبها زوجك «بينحسي»؟ فقالت: إني لم أرها. فقال لها الوزير: كيف اشتريت الخدم معه؟ فقالت: إني لم أرَ أية فضة! وإنه قد اشتراهم عندما كان في العمل الذي كان يشتغل فيه. (٧) فقالت لها المحكمة: ما قصة الفضة التي صنعها «بيحسي» لـ «سبكمساف»؟ فقالت: لقد حصلت عليها في مقابل شعير في سنة الضبع عندما حدث قحط.

(٩) تحقيق: أحضر كاتب الجيش «عنخفآمن» بن «بتاح محب» التابع لمعبد «آمون» وحلف اليمين بالحاكم قائلًا: إذا تكلمت كذبًا فلأشوه (١٠) وأُرسل إلى بلاد «كوش». وقالوا له: ما قولك في قصة هجومك هذه على المقابر العظيمة مع أخيك «أفنآمون» بن «بتاح محب»؟ فقال: بعيد ذلك عني، بعيد ذلك عني، إني لا أعرف المقابر. إن رجالي هم الذين كانوا في الغرب (١٢) وذهبوا إلى الجبانة، فإذا كنت سأقتل بسبب رجالي فإن هذه جريمتي (يقصد برجاله الجنود)، وقد ضرب بالعصا ولكنه لم يُرد أن يعترف.

(١٤) تحقيق: أحضر المراقب «بابيرسخر» التابع لمعبد «آمون». وأمر بحلف اليمين بالحاكم قائلًا: إذا تكلمت الكذب فإني أشوه، وأوضع على الخازوق. فقالوا له: ما قصة ذهابك لمهاجمة المقابر العظيمة؟ فقال: بعيد ذلك عني، بعيد ذلك (١٦) عني، فضرب بالعصا، فقال: فليكن، وسأتكلم، غير أنه لم يعترف.

(١٧) تحقيق: أُحضر الكاهن «بونش» التابع لمعبد «موت» وقد طُلب إليه اليمين بالحاكم قائلًا: إذا تكلمت كذبًا فلأشوه، وأوضع على الخازوق (١٨) فقالوا له: ما لديك لتقوله؟ فقال: إني لم أرَ أي أحد، وقد عشت على بيت (؟) صغير تابع لمعبد «موت»، فضرب بالعصا (١٩) غير أنه لم يعترف.

(٢٠) تحقيق: أحضر البحار «خنسموسى» بن «بينوزم» التابع لمعبد «آمون». وقد وجه إليه الحلف باليمين بنفس الكيفية السابقة. فقالوا له: ما لديك لتقوله عن موضوع هذه (٢١) الفضة التي قال عنها البحار «بورعا» إنك اشتريتها؟ وقد ضرب بالعصا. وقال: لا تقل كذبًا؛ إن ذلك غير صحيح قطعًا (وفي مكان آخر نجد): «إذا جعلني أن أقول الكذب فسأكذب؛ أي إني قد فعلت الصدق، ولكن إذا داومت ضربي فلا بد أن أخترع قصة ما لأخلص نفسي بها من العذاب.» فضرب (٢٢) ثانية بالعصا، غير أنه لم يرد أن يعترف.

(٢٣) تحقيق: أُحضر … «آمون» وقد وجه إليه اليمين بالحاكم قائلًا: إذا قلت كذبًا فلأشوه وأرسل إلى بلاد «كوش». (٢٤) فقال: فليؤمر بإحضار … والمواطنة «موت». لا يوجد موضوع لا يعرفون عنه شيئًا، وهم كان الذي … (باقي الصفحة فقد).

الصفحة الثانية عشرة: (P1s. XXXII-XXXIII): (١) تحقيق: أحضر العبد الرقيق «كربعل» (٢) فقال: عندما قتل «أفنآمون» إخوة رؤسائي (٣) ذهبت معه إلى القارب، وذهبت إلى «جدار الجبار»[٢٨] (٤) والآن عندما وصل إلى بلدة «باوز محتين» … قالوا له: إن (٥) رجالك كانوا يسرقون الغرب (أي غربي «طيبة» حيث المقابر) فقال: الزم الصمت، ولا تخبر أحدًا، وعندما عاد (٦) ووصل إلى المدينة (أي: طيبة) أتوا قائلين لي: يا «كربعل» اذهب مع (٧) رفاقك، وأحضروا هذا الثور من «أهومح» أخيه (٨) ولكني قلت: إني لن أذهب فهل أنا الذي أتيت من «سوريا» أرسل إلى بلاد «كوش» (أي إني قد أتيت من «سوريا»، وهي بلاد رديئة فهل أرتكب جريمة لأرسل إلى بلاد «كوش»، التي هي أسوأ حالًا منها فأكون كالمستجير من الرمضاء بالنار) (٩) دع سيدي يعلم بذنبي ويضربني من أجله، وهكذا تكلمت (١٠) وقد رفضت الذهاب. دع «بيثو» يحضر وزوج «أفنآمون» (١١) و«منتسعنخ» الكاهن التابع للإله «منتو». فإذا اتهموني فإني أنال العقاب الذي تريدونه.

(١٢) تحقيق: في نفس اليوم مساء أحضر حارس المخزن «تحوتمحب» (١٣) التابع لمعبد «منتو» سيد «أرمنت» فقالوا له: احلف اليمين بالحاكم ألا تقول كذبًا، فقال له الساقي الملكي (١٤) «ينس»: قص علينا قصة ما فعلت. فحلف يمينًا بالحاكم قائلًا: إني لم (١٥) أضع قدمًا في المقابر. فضرب بالعصا فقال: قف (١٦) سأعترف. فقال: إني لم أرها، فضرب ثانية (١٧) بالعصا على قدميه وعلى يديه، وبالمقرعة، واللولب (مد في الفلقة) فقال: إني لم (١٨) أرها فإذا أمرتم بالكذب فسأكذب، فضرب ثانية بنفس الطريقة. فقال: لقد سمعت «بنحتمنون» و«إهومح» و(٢٠) «بينحسي» الصغير، والعامل «بنفر»، غير أني لم أرهم بعيني. لا تجبروني (٢١) على الكذب. (٢٢) وأحضر الكاهن والد الإله «منتسعنخ» التابع لمعبد «منتو» لسؤاله. فقال: لقد كنت في «أرمنت» (٢٣) وسمعت أن «أفنآمون» Sic (انتهى) تحقيق Sic.

(٢٤) تحقيق: أحضر الكاتب «تتي شري»، فوجه إليه اليمين بألا يقول كذبًا (٢٥) فقالوا له: ما لديك لتقوله عن هذه الفضة التي أعطاها إياك رجال هذه العصابة (٢٦) الذين أعطوك هذه الفضة؟ فقال: لقد تسلمت بعض الفضة حقًّا! دع (٢٧) من يتهمني بالحضور ودعه يتهمني. وكل شيء سيقول: إنه أعطاه إياي أكون قد تسلمته (أي إنه لا يوجد أحد يقول: إنه أعطاه فضة) (٢٨) وأحضر مطلق البخور «نسآمون» المسمى «ثاي باي» فقالوا له … (باقي السطر فقد، ويحتمل أن بعض الأسطر قد فقد بعد ذلك).

الصفحة الثالثة عشرة: (P1. XXXIII): (١) تحقيق: أحضر البحار «بيخال». وقد أمر بالحلف بالحاكم ألا يقول كذبًا (٢) فقالوا له: ما قصة عبورك بالرجال لترسيهم على هذا الجانب (٣) وتسلب هذه الفضة؟ فقال: إني لم أعبر بهم. فقد جاء رسول «أفنآمون» (٤) إليَّ وقال لي: اعبر بالرجال وأرسهم على هذا الشاطئ. وهكذا قالوا لي (٥) فقلت لهم: إذا قلتم لي ذلك عن هذا البحار الصغير فإنه (٦) سيأخذهم، وهكذا قلت لهم. وأعطيتهم البحار الصغير، فقال له ساقي الملك «ينس»: (٧) أي رسول أتى إليك من قبل «أفنآمون»؟ فقال: إنه «أهومح» أخوه (٨) الذي أتى

إليَّ. ثم قال: فَلْيُؤْتَ بالبحار «نسآمون» ودعه يتهمني، فأُحضر «نسآمون» (٩) فقالوا له: ما عندك لتقوله؟ فقال: إن «بيخال» لم يرها (أي إنه أنا الذي عبرت بالرجال).

(١٠) تحقيق: أحضر الخادم «بكنني» بن «وننفر» التابع لمعبد «آمون». وأمر (١١) بحلف اليمين ألا يتكلم كذبًا، فقالوا له: ما عندك لتقوله عن موضوع المقابر؟ (١٢) فقال: بحياة «آمون»، وبحياة الفرعون، إذا وجد أن لي علاقة بالرجال، (١٣) أو أنهم أعطوني قدتًا واحدًا من الفضة، أو قدتًا واحدًا من الذهب فلأشوه، وأوضع على خازوق. وقد ضرب بالعصا. قال (انتهى هكذا).

(١٥) تحقيق: وأحضرت المواطنة «موت مويا» زوج القياس «بورعا»، فقالوا لها: ماذا تقولين فيما يخص زوجك «بورعا» هذا الذي سلب هذه الفضة عندما كان في بيتك (١٧)؟ فقالت: إن والدي قد سمع أنه ذهب إلى هذا القبر، وقال لي: لن أسمح لهذا الرجل أن يدخل (١٨) بيتي، فضربت ثانية، فقالت: إنه لم يحضر لي قط حمله (أي: السرقة) (١٩) فضربت مرة أخرى بالعصا الغليظة واللولب (مدت في الفلقة) فقالت: إنه سرق (٢٠) هذه الفضة ووضعها في بيت المشرف على حجرة «روتي» زوج «تابكي» (٢١) أخت القياس «بورعا».

(٢٢) تحقيق: وأحضرت المواطنة «موت موا» زوج كاتب السجلات المقدسة «نسآمون» (٢٣) وطلب إليها أن تحلف بالحاكم ألا تقول الكذب. فقالوا لها: ما لديك لتقوليه؟ (٢٤) فقالت: عندما حدثت حرب الكاهن الأكبر سرق (٢٥) هذا الرجل متاعًا ملك والدي، وقال والدي: لن أسمح للرجل أن يدخل (٢٦) بيتي والآن ... خلافًا ... (والباقي مفقود).

الصفحة الرابعة عشرة: (١) تحقيق: أحضر الخادم «بينوزم» التابع لمعبد «آمون» بسبب شهادة العبد «دجاي» (٢) فأمر بحلف اليمين على ألا يقول الكذب. فقالوا له: ما لديك لتقوله بخصوص موضوع أواني الفضة التي يقولون عنها: إنها كانت في السلة مع أواني المرمر في الأرض المنبسطة؟ (٤) فأقسم قائلًا: إذا كُشف أني قد وضعت قدمًا على هذه الحصباء (٥) فلأوضع على

خازوق، وقال: دع أي رجل يحضر ليتهمني فأحضر العبد «دجاي» فقال (المتهم): إن هذا الرجل قد أتى إليَّ (٦) عندما عاد من هناك، وقال لي: لقد أتيت من المعبد، وإن لديه بعضًا من الخبز (يقصد غنيمة) وكانت السلة (؟) موضوعة (٧) في بركة (؟) وفيها الأواني. فقال العبد «دجاي»: إن كل ما قاله كذب، (٨) إنه قال للجارية «شد سو موت» لا تعترفي بأي شيء، املئي نفسك بشجاعتي في هذا ... (٩) امتحان منفرد، ولا تعترفي بشيء. (١٠) الشهر الرابع. اليوم الثامن في المساء.

(١١) تحقيق: أحضر السماك «بنختنؤبي» التابع لأمير المدينة، وقد أمر بحلف اليمين على (١٢) ألا يقول كذبًا فقالوا له: ما قصة ذهابك ومهاجمتك «المقابر العظيمة» مع (١٣) اللصوص الذين كنت معهم، والذين كنت معهم بمثابة نوتي (لتعبر معهم النهر)؟ فقال: لقد عبرت باللصوص من «مركز الصقر» وأرسيتهم على هذا الجانب، فقالوا له: ومن كانوا هم؟ (١٥) فقال: النحاس «وارسي» التابع للجبانة، والكاهن «بنخترسي» بن «بونش» التابع لمعبد «خبر ماعت رع» (رعمسيس العاشر) (١٦) والنجار «إتنفر»، وقد أحضرتهم إلى المدينة (طيبة) فقالوا له: هل رأيت ما كانوا يحملون؟ فقال: لم أر. فامتحن ثانية بالعصا. فقال: لا تكذبوا عليَّ فإني لم أرهم.

فقال له الوزير والمحكمة: أي نوع من الأحمال كانوا يحملون على ظهورهم؟ فقال: إن أشياءهم كانت على ظهورهم غير أني لم أرها (١٩) وقد حقق مع الخادم «بينوزم» ثانية بخصوص الكلمات التي قال العبد «دجاي»: إنه استعملها مع العبد «شد سو موت» (٢٠) وهي: ألا تعترف بأي شيء يمكن أن يسألوك عنه هذه المرة، فإذا ثبت بقلب قوي فإني سأخرج سالمًا. وقد حقق معه ثانية في الشهر الرابع من فصل الصيف، اليوم العاشر، وأخلي سبيله.

(٢٢) تحقيق: أحضر الكاتب «باعامتاومت» (٢٣) وأمر بالقسم على ألا يقول الكذب، فقال: بحياة «آمون» وبحياة الملك، إذا كشف أن لي علاقة ما بأحد اللصوص، فليُجدع أنفي وأذني، وأوضع

على خازوق. فضرب بالعصا، وقد كشف أنه قد ضبط بسبب القياس «باعامتاومت» بن «قاقا».

(٢٦) تحقيق: أحضر ... (٢٧) فقال: إني سمعت أن ... (الباقي فقد).

الصفحة الخامسة عشرة: (P1s. XXXIV-XXXV): (١) تحقيق: أحضر البحار «أمنحتب» بن «أريعا»، وقد حلف اليمين ألا يقول كذبًا. فقالوا له: ما لديك لتقوله عن (٢) زوج أختك الذي كنت معه في المقابر؟ فقال: دع إنسانًا ما يحضر ليتهمني، فإذا وجد أن ذلك صحيح استطعتم أن توافقوا على أي عقاب مريع. وقد حقق معه ووجد أنه بريء من جهة اللصوص.

(٤) تحقيق: أحضرت المواطنة «موتمحب» زوج صانع الذهب «رعموسى»، الذي اعتاد أن يذيب الذهب والفضة لهم (٥) وحلفت اليمين ألا تقول كذبًا. فقالوا لها: ما لديك لتقوليه عن موضوع هذه الفضة (٦) التي اعتاد اللصوص أن يحضروها لزوجك «رعموسى»؟ فقالت: إنه لم يحضر قط هذه الفضة عندما كان في (٧) بيتي، وإني إحدى زوجات أربع، توفيت اثنتان وواحدة لا تزال حية؛ ودعوها (٨) تتهمني. فقال الوزير: خذوا هذه المرأة، واحفظوها سجينة إلى أن يوجد لص (٩) يتهمها.

(١٠) تحقيق: وأحضر كاتب الجيش «حوري» بن «أفنآمون» التابع لمحل «تحوت» (أي إدارة السجلات في المعبد) في بيت «آمون» بسبب أن والده كان في المقابر (١١) وكذلك سرق من صندوق النفائس هذا. فقال له الوزير: هل فعل والدك بيده الخروق التي عملت؟ (١٢) فقال: إن والدي قد اشترى عبدًا وسماه هـ ... «آمون»، ولكن «بنحسي» أخذه، وقال فضلًا عن ذلك «حنوتنخن» و(١٣) «تابكي» وخادم تابع له «ستخ-بيكا» وأمة صغيرة كانت للكاتب «تنمنخت» (المعنى غير مفهوم).

(١٤) تحقيق: وأحضر قاطع الأحجار «حوري» التابع لأعمال الفرعون الذي كان يسكن في مدينة ... (١٥) وقد وجد بريء بالنسبة للصوص.

(١٦) تحقيق: أحضر الخادم «بيبونزم» التابع لمعبد «آمون» (١٧) وأخذ على نفسه الميثاق بالحاكم قائلًا: إذا وجد أن لي صلة باللصوص فلأوضع على خازوق. (١٨) وقد حقق معه ووجد أنه بريء فيما يخص اللصوص.

(١٩) تحقيق: أحضر صانع الذهب «سوا آمون» التابع لمعبد «آمون». وقد حلف اليمين (٢٠) فقالوا له: ما لديك لتقوله عن ابنك هذا الذي كان معك؟ Sic (النهاية!)

(٢١) تحقيق: أحضر الأجنبي «أهاوتي-نفر» بن «نخ» (٢٢) فقال: هذا بعيد عني هذا بعيد عني، (بعد الشر عني) (٢٣) وقد امتحن بالعصا ووجد بريئًا …

(٢٤) تحقيق: أحضر الراعي «بايس Pais» … (بعض أسطر قليلة فقدت).

الصفحة السادسة عشرة: (P1. XXXV): (١) تحقيق: أحضر الراعي «سوا آمون» التابع لمعبد «آمون»، وحلف اليمين … (٢) فقال: إني لم أرها. فامتحن بالعصا. هو …

(٣) تحقيق: أحضر السماك «بيوخد» التابع لمقصورة … (٤) فقال: إن رئيسي أرسل ليبحث عني قائلًا. دع … (٥) عشرة دبنات من النحاس إلى «شد سو خنسو»، وأعطاني حزمة (؟) … (٦) «بنمنتنخت». وأحضر العبد «دجاي»؛ ليتهمه … (٧) كتابة.

(٨) تحقيق: أحضر الراعي «بوخعف» التابع لمعبد «آمون» بسبب … (٩) هذه الفضة التي قالوا عنها: إنها أعطيت المشرف على الحقل «أخنمنوت» … (١٠) يتكلم كذبًا. فقالوا له: عندما تكون واقفًا أمام المحكمة … (١١) هذا المشرف على الحقل، خبر بقصة ما فعلته … (١٢) فقال: إن «أمنخعو» بن «موتمحب» سرق … (١٣) «أخنمنوت»، إنه زوج لهذه الأخت الصغرى … (١٤) فأعطينه ثلاث دبنات من الفضة.

(١٥) الشهر الرابع من فصل الصيف، اليوم العاشر.

(١٦) أحضر النحاس «حوري» الذي يسمى «قازازا» ... (١٧) وقد وجد أنه غير متصل باللصوص، وأطلق سراحه.

(١٨) وقد حقق ثانية مع البواب الأول «تحوتحب» وحلف اليمين بالحاكم ... (١٩) عن ذهابك إلى المقابر، فقال: إني لم أذهب ... (٢٠) وقد أحضر الراعي «بوخعف» النافخ في البوق «بن» ... (٢١) وقد أعيد إلى السجن لتحقيق آخر.

ورقة[٢٩] **مايرِ «أ»:** هذه الورقة المكتوبة بالخط الهيراطيقي، وهي المعروفة بورقة «ماير» حرف «أ» و«ب» محفوظة الآن في متحف «لفربول» الأهلي[٣٠] تحت رقمي (M. III 62 & III 86)، وقد أهداها المستر «ماير» سنة ١٨٦٧ لهذا المتحف مع مجموعة كبيرة أخرى من الآثار المصرية. وهاتان الورقتان قد عثر عليهما في «طيبة» كما يدل على ذلك محتوياتهما، وربما كانتا تؤلفان جزءًا من ملف الأوراق التي نحن بصددها الآن. وقد كتب عنهما الأثري «جدون» (A. Z. (1873) pp. 39 ff. & A. Z. (1874) pp. 61) ثم تلاه «سبيجلبرج» غير أنه لم ينشر إلا جزءًا من الترجمة (راجع Liverpool Museum Report Nr 5 1891).

وقد نشر «برستد» بعض أجزاء من الورقة حرف «أ» من متن «سبيجلبرج» (Br. A. R. IV, § 273) ويلاحظ أن «برستد» قد نسب خطأ القبر الذي انتهكت حرمته في الورقة حرف (ب) للفرعون «أمنحتب الثالث»، وقد قفاه في ذلك الأستاذ بيت (J. E. A. Vol. II p. 204 ff).

والورقة في حالتها الراهنة تحتوي على بردية واحدة طولها ١٤٣٠ مليمترًا، وعرضها ٤٢٥ مليمترًا وقد قُطعت جزأين.

وتاريخها: السنة الأولى من عصر النهضة الذي يقابل السنة التاسعة عشرة من عهد الفرعون «رعمسيس الحادي عشر».

محتويات الورقة: يلاحظ في كل كتب التاريخ المتداولة التي جاء فيها ذكر هذه الورقة أنها تُعزى إلى محاكمة اللصوص، الذين سرقوا مقبرتي «رعمسيس الثاني» و«سيتي الأول» في «وادي مقابر الملوك»، وهذا رأي خاطئ. والواقع أنها خاصة بسرقة صناديق صغيرة فيها كنوز كانت موضوعة في بيت مال معبد «مدينة هابو»، الذي أقامه الفرعون «رعمسيس الثالث» وقد سميناها هنا صناديق «النفائس».

(١) وهذه الورقة تحتوي على سلسلة وثائق صغيرة متعلقة بمحاكمتين منفصلتين: إحداهما عن تهمة سرقة أو تسلم أشياء مسروقة من مقابر في الجبانة، والأخرى خاصة بتهمة إتلاف وسرقة بعض صناديق نفائس.

(٢) وهذه الورقة لا تحتوي إلا على أجزاء من سجل كل من هاتين المحاكمتين.

(٣) وأن هذه الصناديق ليس لها أية علاقة بمقبرتي «رعمسيس الثاني» و«سيتي الأول».

والواقع أن هذه الورقة تنقسم سبعة فصول يمكن ترتيبها كالآتي:

الجزء الأول. (ص١–٧): وهو مقدمة للجزء الثاني والرابع ويتناول الصناديق. ويحتوي التاريخ والعنوان وقائمة بأسماء أعضاء المحكمة.

الجزء الثاني. (ص١ سطر ٨ إلى ص٣ سطر ٥): وعنوانه «المحاكمة». ويحتوي على حقائق خاصة بصناديق النفائس.

الجزء الثالث. (ص٣ سطر ٦ حتى نهاية ص٥): وقد أرِّخ باليوم السابع عشر من الشهر الرابع من الصيف وعنوانه: محاكمة سائر لصوص الجبانة.

الجزء الرابع. (ص٦ سطر ١–٧): وعنوانه: محاكمة بقية لصوص صندوق النفائس.

الجزء الخامس. (ص ٨ إلى نهاية ص٩): مؤرخ باليوم الخامس عشر من الشهر ... من فصل الصيف وعنوانه: تجديد محاكمة اللصوص. ومحتويات هذا الجزء هي أسماء الأشخاص الذين فيه

ويبرهن على أن هذا الجزء يتناول نفس الحوادث التي في الجزء الثالث.

الجزء السادس. (ص١٠): ويتناول كما نرى الإشارات إلى «بوخعف»، وهي نفس الأمور التي في الجزأين الثالث والخامس.

الجزء السابع. (ص١١–١٣): ويحتوي على ثمانية قوائم تشمل سجلات خاصة بمصير بعض العابثين، وبين هذه القوائم اثنتان A1, A2 خاصتان على وجه التأكيد بلصوص صندوق النفائس. أما القوائم الستة الباقية B1 to B6 فتتناول لصوصًا من لصوص الجبانة، وقد ذكر ذلك صراحة في حالة واحدة وفي الخمس الباقية، استنتاجًا من الموازنة بين المحتويات، وأسماء لصوص القوائم الأخرى، والأسماء التي جاءت في الأجزاء: الثالث والخامس والسادس.

ومن هذا المختصر أصبح من الواضح أن هذه الورقة تحتوي على طائفتين من الوثائق متباينتين:

المجموعة «أ»: وتشمل الأجزاء: ١، ٢، ٤ والقوائم (أ١) و(أ٢) من الجزء السابع، وهي التي تتناول موضوع التلف أو السرقات من صندوق أو صندوقين. والأشياء القليلة التي ذكرت وكلها من النحاس.

والمجموعة الثانية «ب»: وتشمل الجزء الثالث والخامس والسادس، هذا بالإضافة إلى القائمتين ب (١) وب (٦) من الجزء السابع، وتتناول السرقات التي وقعت في الجبانة. والتهم الموجهة إلى اللصوص من هذه المجموعة هي بوجه خاص: أنهم ذهبوا إلى الأماكن (أي مقابر الملوك) أو أنهم تسلموا أشياء مسروقة وأغلبها فضة والنادر من الذهب، أو أنهم كانوا في بعض الحالات متصلين بالسرقات أو اللصوص، والمقابر التي سرقت هي مقبرتا الملكتين «نسموت» و«بكورل» ومقبرة ثالثة لم يظهر اسمها في السجلات (راجع ص٤ س٢–٤).

ومما يبرهن على أن هاتين المجموعتين منفصلتان ما نلحظه عند فحص أسماء اللصوص والمشتبه فيهم، فمثلًا لا نجد اسمًا واحدًا ذكر في المجموعة حرف «أ» قد جاء ذكره قط في المجموعة «ب» إلا اسم «بينحسي» فقد كان متهمًا في القضيتين كما يتضح ذلك جليًّا من جداول «ورقة

إبوت». هذا ولدينا براهين أخرى نستخلصها من جداول «إبوت» تعطينا الحق في تقسيم الوثائق التي في ورقة «ماير» (أ) قسمين مميزين تتناول موضوع صناديق النفائس والجبانة على التوالي.

ولا نزاع في أن ورقة «ماير» (أ) لا تحتوي كل إجراءات المحاكمة التي اتخذت في كلتا القضيتين للفاحص المدقق في محتويات الورقة. وسنذكر بعضها هنا على سبيل المثال:

(١) فمن بين خمسة اللصوص الخاصين بسرقة محتويات صناديق النفائس الذين ذكروا في القائمة «ب» من جداول «إبوت» نجد أن الحقائق الفعلية التي جاءت في ورقة «ماير» (؟) خاصة فقط بثلاثة لصوص، أما الاثنان الآخران وهما الكاهن «ثانوفر» و«سبكنخت» فقد ذكرا فقط في الجزء السابع.

والقائمة التي ذكرت في الصفحة الحادية عشرة (سطر ١–١٦) تقدم لنا تفاصيل عن أربعة عشر من لصوص صندوق الفرعون. ومن بين هؤلاء لا نجد إلا ستة أشير إليهم في مكان آخر في الورقة وذلك في القائمة (١٣) «أ». وعلى ذلك لا تحفظ لنا الورقة أي حقيقة عن هؤلاء. ويلاحظ في القائمة (١٣) «أ» أن عنوانها: «شهادات اللصوص المتهمين بسرقة صندوق النفائس في الشهر الثاني، اليوم العاشر»، وما يأتي بعد ذلك ليس سلسلة شهادات كما كنا ننتظر، ولكن قائمة مؤلفة من أربعة عشر شخصًا الذين شهدوا، فإذا كانت الشهادات قد سجلت فإنها لم تكن في هذه الورقة.

وكذلك لم يذكر لنا قط مصير اللصوص.

المحاكمة الخاصة بالجبانة

(١) إن الجزء الثالث وهو القسم الأول من الورقة الذي يتناول السرقات من الجبانة قد عنون بما يأتي: «محاكمة باقي اللصوص.» وعلى ذلك فإن بعضهم كان قد حوكم من قبل فعلًا.

(٢) والجزء الخامس وهو القسم التالي الذي يتناول هذه المحاكمة قد عنون: «المحاكمة» (عادة محاكمة اللصوص). ويلاحظ أنه لا يوجد من بين الرجال الذين سجلت محاكمتهم في هذا الجزء

أحد ذكر في الجزء الثالث، وعلى ذلك فإنهم لا بد قد حوكموا من قبل وأن الورقة لم تذكر إلا الإجراءات.

(٣) وجاء في الصفحة الرابعة (سطر ١٣ وسطر ١٥) ذكر شخصين قد حوكما بسبب شهادة العبد «دجاي»، وفي الصفحة الرابعة (سطر ١٨) طلب «دجاي» وسئل عن شهادته، وقد أنكر المتهمان صحة تهمته، ونحن نعلم من جانبنا أن شهادة «دجاي» الأصلية لم تذكر في هذه الورقة.

(٤) وفي الصفحة الرابعة (سطر ٢–٤) سئل «بوخعف» أن يذكر المقابر التي فتحها فذكر مقبرتي الملكة «نسموت» و«بكورل»، وأضاف أن المجموع يكون ثلاثًا. فاسم المقبرة الثالثة كان مفهومًا ضمنًا أنه معروف للمحكمة، ونحن نعلم أنه لم يذكر في أي سطر من أسطر هذه الوثيقة، وذلك دليل واضح على أن كل الإجراءات في هذا التحقيق ليست أمامنا في هذه الورقة.

(٥) يلاحظ أنه في قائمة (صفحة ١٢ سطر ٨) أسماء ستة رجال يدعون لصوص الجبانة الذين حقق معهم؛ لأنهم كانوا في الأماكن (المقابر الملكية) ومن بين هؤلاء الستة نعرف أن «بوخعف» و«دجاي» و«بربثو» قد حقق معهم في نقط صغيرة لها علاقة باشتراك آخرين في الجريمة. أما التحقيق الأصلي معهم فلم يسجل هنا. وسئل رابع يدعى «أفنآمون» في موضوع عبوره مع اللصوص إلى الشاطئ الآخر. أما الشاهدان الآخران وهما «شد سو خنسو» و«نسآمون»، وكلاهما مطلق بخور فلم نجد لهما أي ذكر في الورقة.

الترجمة:

الجزء الأول: (الصفحة ١ من سطر ١–٧): السنة الأولى من عصر النهضة، الشهر الرابع من فصل الصيف، اليوم الخامس عشر، في هذا اليوم حدثت محاكمة لصوص صندوق النفائس الخاص بالملك «وسر ماعت رع ستبن رع» الإله العظيم، وكذلك المحاكمة الخاصة «بالأربعين بيت»[٣١] الفرعون «من ماعت رع سيتي الأول»، وهي التي كانت موضوعة في خزانة معبد ملك الوجه القبلي والوجه البحري و«سر ماعت رع مري آمون»، وهم الذين أعلن عنهم رئيس الشرطة

«نسآمون» على حسب دورهم، وقد كان واقفًا هناك مع اللصوص عندما وضعوا أيديهم على صناديق النفائس وقد ضربت أرجلهم وأيديهم في التحقيق؛ لأجل أن يعترفوا بما فعلوه بالضبط على يد العمدة، والوزير «نب ماعت رع نخت»، والمشرف على الخزانة المزدوجة، والمشرف على مخازن الغلال المزدوجة «ممن ماعت رع نخت» ومدير البيت و... «ينس» حامل مروحة الفرعون، ومدير البيت، وساقي الفرعون «بامري آمون» كاتب الفرعون.

الجزء الثاني: (من ص١ سطر ٨ إلى ص٣ سطر ٥): تحقيق: أحضر الأجنبي «بيكآمن» الذي كان في خدمة المشرف على ماشية «آمون» وقد وجه إليه اليمين بألا يقول كذبًا. فقالوا له: كيف كانت حالة ذهابك مع الرجال الذين كانوا معك وسلبتم صناديق النفائس، التي كانت في خزانة معبد الملك «وسر ماعت رع مري آمون»؟ فقال: لقد ذهبت مع الكاهن «تاشري» بن الكاهن والد الإله التابع للمعبد «حوري»، والكاتب «بابكي» بن «نسآمون» التابع للمعبد، والأجنبي «نسمنتو» التابع لمعبد «منتو» سيد «أرمنت»، والأجنبي «بينحسي» بن «ثات»، الذي كان كاهن الإله «سبك» صاحب «برعنخ»، و«تاتي»، وهو رجل ملك «بينحسي» بن «ثات»، الذي كان كاهن الإله «سبك» صاحب «برعنخ» والمجموع ستة رجال.

الصفحة الأولى (سطر ١٣): وأُحضر رئيس الشرطة «نسآمون»، وقالوا له: كيف وجدت الرجال؟ (أي اللصوص) فقال: لقد سمعت أن رجالًا قد ذهبوا ليرتكبوا عسفًا في صندوق النفائس هذا، وقد ذهبت ووجدت فعلًا هؤلاء الرجال الستة الذين ذكرهم اللص «بيكآمن»، وإني أشهد عليهم هذا اليوم. ثم قال رئيس الشرطة «أمن» ... إن «بيخال» بن «تاخارو» مشترك في الجريمة.

الصفحة الأولى (سطر ١٧): ثم حُقق بالعصا مع الراعي اللص «بيكآمن» التابع لمعبد «آمون» الذي كان تابعًا للمشرف على ماشية «آمون». وقد ضرب بالمقرعة ضربًا مبرحًا على قدميه. ووجه إليه حلف اليمين بأن يعاقب بالتشويه إذا قال كذبًا. فقال: إن ما قلته هو بالضبط ما فعلت. وقد اعترف بها في شهادته (؟) قائلًا: لقد فعلت ما فعلت بوصفي واحدًا من هؤلاء الرجال الستة وقد أخذت ... منهم واستوليت عليه.

الصفحة الأولى (سطر ٢١): وأحضر اللص الأجنبي «نسمتو»، وقد امتحن بالضرب بالعصا (وضرب) بالمقرعة على قدميه ويديه. ووجه إليه يمين بالتشويه إذا قال كذبًا فقالوا له: كيف كانت حالة ذهابك لارتكاب العسف بصندوق النفائس هذا مع شركائك؟

فقال: لقد ذهبت ووجدت هؤلاء الرجال الخمسة وكنت سادسهم، فأخذت ... منهم (؟) واستوليت عليه.

الصفحة الثانية (سطر ١): وأُحضر الراعي «قر» التابع لمعبد «آمون» وهو أجنبي. وقد امتحن بالعصا وضرب بالمقرعة على قدميه ويديه، ووجه إليه يمين بعقاب التشويه إذا قال كذبًا. فقالوا له: كيف ذهبت مع شركائك هؤلاء وارتكبتم العسف بهذا الصندوق؟ فقال: إن الأجنبي «بينحسي» قد أخذني وجعلني أحرس بعض الغلة، فملأت حقيبة مع ... حب. وقد كنت نازلًا فسمعت صوت الرجال وكانوا في هذه الخزانة. فوضعت عيني في الثقب ورأيت «بابكي» «وتاشري» في داخلها فناديت عليه (؟) قائلًا: تعال، فخرج عليَّ بخاتمين من النحاس في يده وأعطاهما إياي فأعطيته حقيبة ونصف حقيبة من الشعير في مقابلهما، وقد أخذت واحدًا منهما وأعطيت «عانفسو» الأجنبي الآخر.

الصفحة الثانية (سطر ١٠): وأُحضر الكاهن «نسآمون» بن «بابكي» بسبب والده فامتحن بالضرب بالعصا، وقالوا له: كيف ذهب والدك مع الرجال الذين كانوا معه (؟) فقال: إن والدي كان حقًّا هناك عندما كنت لا أزال طفلًا صغيرًا وليس لي علم بما فعل، فضرب ثانية فقال: لقد رأيت العامل «حوت-نفر» داخل الخزانة في هذا المكان الذي كان فيه الصندوق، ومعه الراعي «نفر» بن «سنور» والصانع «ونتحوي» بن «حوتي» والمجموع ثلاثة. وهؤلاء هم بالضبط الأفراد الذين رأيتهم. وإذا كان المقصود هو الذهب فإنهم هم الأفراد الذين يعرفون، فضرب بالعصا فقال: إن هؤلاء الثلاثة هم بالضبط الذين رأيتهم.

الصفحة الثانية (سطر ١٧): وأحضر النساج «وننخت» بن «تاتي» التابع للمعبد فامتحن بالضرب بالعصا، وكذلك ضرب بالمقرعة على قدميه ويديه. ثم وجه إليه اليمين بألا يقول كذبًا. فقالوا له: والآن خبرنا عن كيفية ذهاب والدك عندما ارتكب التخريب في صندوق النفائس مع شركائه فقال: إن والدي كان قد قتل وأنا طفل، وقالت لي والدتي: إن رئيس الشرطة «نسآمون» أعطى بعض ... من النحاس لوالدي، وتأمل فإن ضباط الجنود الأجانب قتلوا والدك وأخذوني للمحاكمة، وأن «نسآمون» أخذ النحاس الذي كان قد أعطاه إياي وإنه موضوع ... ثم أُحضرت المواطنة «إننري» زوج الكاهن «تاشري» بن «حوري»، فامتحنت بالضرب بالعصا ثم ضربت بالمقرعة على قدميها ويديها ووجه إليها يمين بألا تقول كذبًا، فقالوا لها: كيف كان ذهاب زوجك وكسره هذا الصندوق وأخذ النحاس منه؟ فقالت: إنه أحضر بعض النحاس الخاص بالصندوق فاتجرنا به وصرفنا ثمنه.

الجزء الثالث: (ص٣ سطر ٦ إلى نهاية الصفحة الخامسة): الشهر الرابع من فصل الصيف، اليوم السابع عشر. فمحاكمة باقي لصوص الجبانة.

الصفحة الثالثة (سطر ٧): أحضر عبد السجن «أمنخعو» بن «سبد-موسى»، وقد أحضر بوصفه وارثًا بسبب الحارث «باورعا» بن «قاوي» وقد امتحن بالضرب (؟) وكبلت قدماه ويداه ووجه إليه يمين بألا يقول كذبًا، وقد سمعت شهادته فقالت المحكمة: أما ما يخصه فهو أخو زوجه. دعه يحضر لمواجهته. ففك أسره وأصبح حرًّا.

الصفحة الثالثة (سطر ١٠): وأحضر الراعي «نسآمون» بن «تاتو»، فامتحن بالضرب بالعصا وكبلت يداه ورجلاه ووجه إليه يمين بألا يقول كذبًا، والعامل «بيخال» الصغير بن «أمنمحب» التابع لمعبد «خنسو» ملك «أمنؤبي»، وقد امتحن ثانية بالضرب بالعصا وكبلت رجلاه ويداه (؟) ووجه إليه اليمين بألا يقول كذبًا، وقد وجد بريئًا من السرقات، وأطلق سراحه، وأحضر البحار «أمنحوتب» بن «إري عا» التابع لمعبد «آمون»، الذي تحت إدارة الكاهن الأعظم «لآمون»،

وقد امتحن ثانية بالعصا وكبلت قدماه ويداه (؟) ووجه إليه يمين بألا يقول كذبًا، وقد وجد بريئًا من السرقات وأطلق سراحه.

الصفحة الثالثة (سطر ١٨): وأحضر الجزار «بننستاوي» بن «بس» والحاجب «بربثو»، فقال: سمعت أنه كان في الأماكن (أي المقابر الملكية) غير أني لم أره بعيني، وقد امتحن بالعصا وكبلت يداه ورجلاه، ووجه إليه يمين بألا يتكلم كذبًا، فقالوا له: كيف كانت حالة ذهابك مع «بوخعف» إلى الأماكن التي يقول عنها «بربثو» هذا الحاجب أنك كنت فيه معه (؟) فقال: إنه كذب، إني لم أرها. فأحضر الحاجب «بربثو»، فقال له: ما عندك لتقوله؟ فقال: إن هذا الرجل شريك «بوخعف» في الجريمة، وإنه سرق ثورًا ملك كبير البوابة (التشريفاتي) «حوتي» بالاشتراك معه ومع المراقب «سركت أمنخعو»، وعندئذ قالت المحكمة: دع «بوخعف» يحضر هنا فأحضر الراعي «بوخعف»، فقالوا له: ما عندك لتقوله؟ فقال: إنه لم يكن معي أبدًا. فما معنى رؤيته مع «أمنخعو» بن «حوري» ومع «نسآمون» بن «أزدي» ...! وما موضوع الذهاب معه! إنه لم يذهب قط. فامتحن ثانية بالضرب بالعصا ثم قالوا له: تعال أخبرنا عن الأماكن الأخرى التي فتحتها، فقال: لقد فتحت قبر الزوجة الملكية «نسموت»، فقال: إني أنا الذي فتحت قبر الزوجة الملكية «بكررل» للملك «منماعت رع» أي: المجموع ثلاثة. فقال له الوزير؛ تعال خبرني أين وضعت هذه الفضة، فقال: ذهبت أمامه ... عندما عمل بينحسي الـ ... والتابع «نسعا شفيت». وهذا الرجل الذي كان مدير بيت استولى على بيتي، وقد استولى على ثلاثة دبنات من الفضة، ومائة وخمسين دبنًا من النحاس مصنوعة أوانٍ، وخمسة أزواج (؟) وثمانية عشر رداء (رود) من نسيج الوجه القبلي، ورداءين (ديو) من النسيج الملون، وثمانية «كنت» (ملابس) ورداء (ذاي) واحدًا من النسيج الملون، ودبنًا واحدًا من الذهب، وثلاثين دبنًا من النحاس المطروق، وقلادة واحدة من الذهب الجميل وزنها ثلاثة قدات من الذهب، واستولت المواطنة «إستي» زوج العامل «قر» على دبن من الفضة وأعادت قدتين من الفضة، وبقي في حوزتها ثمانية قدات. وأخذت بنت الأجنبي

«أمنمآمون» بن «تاست-تحوت» خمسة قدات من الفضة ... (؟) وبنت صانع الذهب (راجع .J E. A. Vol. 32, p. 28 Note 5) «إفنموت» استولت على دبنين؛ لأنه هو الذي ... (؟) لأجلنا وقسمناها قسمة عادلة بيننا ثانية (؟) فقال «عاشفيتمواست»: أما عن الأشياء التي يقول عنها «بوخعف» إنها ملك أخته موت «ساتو»، فإنها أعطتها مدير البيت.

(٤ س١٢): وأحضر العبد «أمن بايثو» ملك التابع «إن-ونفر آمون» التابع للكاهن الأول «لآمون»، فامتحن بالضرب بالعصا، ووجه إليه اليمين بألا يقول كذبًا عن شهادة العبد «دجاي» فقال: إني لم أرَ شيئًا، دع أي إنسان يحضر ليتهمني.

(١٤ س١٥): وأحضر حامل آلة الكي (حوت نفر) الذي تحت إدارة نائب «كوش» بسبب ما قاله العبد «دجاي».

وقد امتحن بالضرب بالعصا، وكبلت يداه ورجلاه، ووجه إليه اليمين بألا يقول كذبًا. فقالوا له: ما لديك لتقوله عن مقابر الفرعون التي سرقتها؟ فقال: إنه كذب، إني لم أرها. دع مفتشي «طيبة» يحضروا ... إني أعيش على وجبة صغيرة (؟) وخرق قليلة. وأحضر العبد «دجاي» فقالوا له: ما لديك عن شهادة «حوت نفر» هذا الرجل الذي تقول عنه: إنه كان في الأماكن (المقابر الملكية) فقال: إني لم أره. أما ذهابي وإياه إلى الـ ... وقد وجد بريئًا من السرقة، وأطلق سراحه.

(٤، ٢١): وأحضر البناء «ونآمون» التابع لمعبد «آمون» الذي تحت إدارة الكاهن الأول «لآمون»، وقد امتحن بالضرب بالعصا وكبلت قدماه ويداه (؟) ووجه إليه اليمين بألا يقول كذبًا، فحقق معه ثانية ووجد بريئًا من السرقات وأطلق سراحه.

(٥ س١): وأحضر العبد العامل «باينخنؤبي» ملك العامل «كر» التابع لمزار قبر ... فامتحن بالضرب بالعصا، ووجه إليه اليمين بألا يقول الكذب، فقال له: تكلم عن «بكي» بن «بابنتبوت» (؟) الذي كان في الأماكن (المقابر الملكية) وسُمعت شهادته على الأمة «تاريبمح» وابنها

«إمننستاوي نخت» وعبد النساج «وسرحات نخت» فقال: إن المواطنة «زات» أختي أعطت مائة حقيبة من الشعير، وأعطى المفتش «خري» الذي في بيتها مائة حقيبة من الشعير.

الصفحة الخامسة (سطر ٩): وأحضر السماك «باونئوبي» المنتمي إلى أمير «طيبة»، فامتحن بالضرب بالعصا وكبلت قدماه ويداه، ووجه إليه اليمين بألا يقول كذبًا، وقالوا له: كيف عبرت باللصوص؟ فقال: لقد عبرت بهؤلاء اللصوص وأعطوني حقيبة من الشعير ورغيفين. وقد وجد (؟) أنه أعطي قدتين من الذهب وقد سلمهما.

الصفحة الخامسة (سطر ١٣): وأحضر العبد «بي نفر عاحي» وقد قيل: إنه غسل ملابس «داي» المصنوعة من نسيج الوجه القبلي (سلمت)؟ من «أمنخعو» و«موت محب»، وقد قال (؟) إنها ملك الفرعون ... وهو في يدي المحكمة.

الصفحة الخامسة (سطر ١٥): وأحضر حارس الباب «تحومحب» التابع لمعبد «آمون».

وأحضر الراعي «نسآمون» الذي تحت إدارة المشرف على ماشية «آمون» وقد امتحن بالضرب بالعصا، ووجه إليه اليمين بألا يقول كذبًا. وقالوا له: إنك كنت تسكن مع «إهي مح» وهو أخو «أفنآمون» الذي كان ضابطًا للجند، وإنك كنت معه في الأماكن (مقابر الملوك) فقال: إنه كذب، إني لم أره ولم أذهب معه. وقد امتحن بالضرب بالعصا وكبلت قدماه ويداه، ووجد بريئًا من السرقات وأطلق سراحه.

الجزء الرابع: (الصفحات من ٦-٧ حتى السطر الثالث): التحقيق مع سائر لصوص صندوق النفائس:

الصفحة السادسة (سطر ١): قال «نسآمون» بن «بايبكي»: رأيت «حوت نفر» و«ونتحوي» والراعي «نفر». دعهم يحضرون.

الصفحة السادسة (سطر ٣): وقد أحضر العامل «حوت نفر» بن «أمنخعو» وقد وجه إليه اليمين بألا يقول كذبًا فسمعت شهادته فقال: لقد أتى الأجانب، واستولوا على المعبد عندما كنت مكلفًا بحراسة بعض حمير ملك والدي. وقد قبض على «باهاتي» الأجنبي وأخذني إلى قرية «أبيب»، والآن قد ارتكب عسفًا (ووقف عن العمل) «أمنحتب»، الذي كان الكاهن الأكبر «لآمون» مدة ستة أشهر. والآن بعد أن انقضى خمسة أشهر من أيام الاضطهاد الذي عمل (؟) «لأمنحت»، الذي كان كاهنًا أكبر «لآمون»، فإن هذا الصندوق نهب ثم أشعلت فيه النار. ولكن عندما أعيد (؟) النظام قال أمير غربي «طيبة»، وكاتب الجيش «باسمننخت» وكاتب الجيش «قاشاتي»: دعنا نجمع الخشب (خشب الصندوق) وعلى ذلك فإن عبيد السجن لن يشعلوا النار فيه. فجمعوا ما تبقى ووضعوا خاتمًا عليه وإنه سليم حتى اليوم. أما عن هذا المكان الذي فيه بقية الصندوق،[٣٢] فإن معه خشب فرن العمال، وقد اتفق أني ذهبت هناك لأخذ الخشب منه. ثم قال: دع من بلغ ضدي يحضر هنا. فأحضر «نسآمون» بن «بايبكي». فقالوا له: ما عندك لتقوله عن هؤلاء الرجال الثلاثة الذين تكلمت عنهم؟ فقال: نظرتهم يسرعون إلى هذا المكان ... عن أي شيء هذا؟[٣٣] هل رأيتهم يفضون هذا الخاتم؟ إني لم أرهم يفضون هذا الخاتم قط. لقد قلت ذلك من الخوف. وقد أحضر «حوت نفر» ثانية. فقالوا له: لقد ذهبت إلى هذا المخزن فقال: إن ما في المخزن هو بعض الخشب والفحم من متاع المعبد، وقد وضعتها هناك لأجل أن أحفظ Sic هذا الخاتم (ربما أنه وضعها فوق الصندوق ليخفيه).

(٦ سطر ٢٠): وأحضر الأجنبي «عانفسو»، ووجه إليه اليمين ألا يقول كذبًا فسمعت شهادته إذ قال: لقد كنت جالسًا حارسًا لبعض الغلة مع الأجنبي «قر» والآن تأمل! لقد ذهبت إلى أسفل ووجدت الكاهن «تاشري»، والكاتب «بايبكي» واقفين يقرعان في المخزن، ورأيت وجههما من ثقب (؟) في الباب، وقد أحضرا لي خاتمين ... وأعطياهما إياي أنا و«قر» فأعطيته واحدًا، ونصف حقيبة شعير، ونصف ربع حقات من ... حب مقابلهما، ولم أرَ شيئًا آخر.

(٧ سطر): وأحضر العبد «وسرحات نخت». فقالوا له: ما عندك لتقوله؟ وماذا بالنسبة لأخيك (؟) الذي … «باينخت» يقول: إنه موجود في كنفك؟ فقال: إنه في كنف العبد «باي … آمون». دعه يحضر فهو في إقليم «باور».

الجزء الخامس: (صفحة ٨ إلى آخر ٩) الصفحة الثامنة (سطر ١): السنة الثانية من عصر النهضة (… الشهر من) فصل الصيف، اليوم الخامس عشر. تجديد التحقيق مع اللصوص.

الصفحة الثامنة (سطر ٢): أحضر الكاهن «باونش» بن «أمنحتب» التابع لمعبد «موت». وقد امتحن ثانية بالعصا، وقد وجه إليه اليمين بعقاب التشويه إن هو قال كذبًا. فقالوا له: عندما كنت واقفًا أمام المحكمة من قبل قالوا لك: تحدث عن كيفية ذهابك، غير أنك لم تخبر … دون أن تعلم أن ما عملته يدك سيسقط (؟). إن الامتحانات التي سيعملونها معك ستكون مؤلمة، فيدك ستوجعك بسبب ما ستفعله، لم أرَ شيئًا. لقد سبوني بسبب بيت ملكي. فامتحن ثانية بالضرب بالعصا ضربًا مبرحًا. فقال: إني لم أر شيئًا … وقد امتحن مرة ثانية وحبس لأجل أن يحقق معه مرة أخرى.

الصفحة الثامنة (سطر ١٠): أحضر صانع الجعة «تسبرع» وامتحن بالضرب بالعصا، ووجه إليه اليمين بألا يقول كذبًا، فقالوا له: تعال قص قصة دبن الذهب الذي أعطيته كاهن الإله «منتو» بدلًا من رداء «زاي»، وعن أربعة الدبنات من الفضة التي أعطيتها … «تابيكي». فقال: سأقص قصتها، وإذا وجد كذب فيها فلأوضع على خازوق! لقد اشتريتها من «المشوش»، وحصلت على دبن الذهب من «نسآمون» و«باجب» … و«حوري» بن «سوعا» …

الصفحة الثامنة (سطر ١٦): وأحضر كاتب الجيش «عنخفنآمون» بن «بتاح محب»، وقد امتحن بالضرب بالعصا وضرب بالمقرعة على قدميه ويديه، ووجه إليه اليمين بأن يعاقب بالتشويه إن تكلم كذبًا. وقالوا له: خبرنا عن كيفية ذهابك إلى الأماكن (مقابر الملوك) مع أخيك. فقال: دع شاهدًا

يحضر هنا ليتهمني، فامتحن مرة أخرى. فقال: لم أرَ شيئًا، وقد وضع تحت الحجز ليحقق معه مرة أخرى.

الصفحة الثامنة (سطر ٢٠): وأحضر النوتي «خنسموسى» بن «بينوزم»، فقالوا له: تحدث عن كيفية ذهابك لتحضر هذه الفضة. وقد امتحن بالضرب بالعصا فقال: لقد سمعت عندما كنت مسجونًا مع عبد السجن «أفنمنتو» أن «نسبرع» أعطى فضة في مقابل جعة. فامتحن بأن ضرب ضربًا مبرحًا ووضع في الحجز.

الصفحة الثامنة (سطر ٢٣): وأحضر عبد السجن «إفنمنتو» التابع لمعبد الإله «منتو» سيد «أرمنت» فقالوا له: ما لديك لتقوله عما قرره النوتي «نسآمون» الذي عبر بك إلى هذا الجانب مع شركائك في الجريمة، الذين سيأتون (؟) ليتهموك؟ لقد قلت: دع إنسانًا يحضر ليتهمني. وقد أحضر البحار «نسآمون» واتهمه فقال: لقد كنت أنا الذي عبرت به مع الراعي «أهومح»، وقد امتحن ثانية ووضع تحت الحجز.

الصفحة التاسعة (أ) (سطر ٢): تهمة ضد (؟) «نسآمون» بن ... «إري عا» و(؟) «قني» (؟) باكا «أمباويا» أعطى قضيبين من الذهب رجلًا. تهمة خاصة بـ (؟) ... من الذهب وهي التي قال «لنسآمون»: قسمها معه على الرغم من أنه لم يعطهم إياها (هكذا).

الصفحة التاسعة (سطر ١): وأحضر الـ ... «تحوتمحب» التابع لمعبد «منتو». فقالوا له: ماذا عندك لتقوله؟ فقال: لا تقولوا لي أنك كنت هناك! إني متأكد! وقد أحضر صانع الجعة «بانختمني» و«عازار» والأجنبي «بنوزيت» الذين كانوا ... مع «أفنآمون» و«إفنمنتو» والراعي «أهومح»، والأجنبي «بينحسي» الصغير سينجيكم إني متأكد. لا تسبوني. وقد امتحن ووضع تحت الحجز.

(٩ سطر ٥): وأحضر التابع «ونآمون» تابع المشرف على ماشية «آمون»، وقد امتحن بالعصا ووجه إليه اليمين بالعقاب بالتشويه إذا تكلم كذبًا، فقالوا له: ما عندك لتقوله؟ فقال: أما عن الذي

أعطاني فضة أو رآني فدعه يتهمني، حقًّا إني أقسم «بآمون» سيدي. فامتحن بالضرب بالعصا، ووضع تحت الحجز.

الصفحة التاسعة (سطر ٩): وأحضر العبد وحامل الماء «كربعل»، ووجه إليه يمين بألا يقول كذبًا، وإلا عوقب بالتشويه. فقالوا له: ما عندك لتقوله؟ فقال: إن «منتسعنخ» (؟) قبض على عبد السجن «أفنمنتو» و«عازار» فحقق معهما قائلًا: ما الذي أحضرتماه من هناك؟ إني لم أرَ ذلك بعيني، وقد امتحن بالعصا، ووضع تحت الحجز.

الصفحة التاسعة (سطر ١٣): وأحضر الكاتب «تاشري» فقالوا له: ما لديك لتقوله؟ فقال: أعطيت دبنين ونصفًا من الفضة، وانظر لقد بقي منها عشرة قدات. أما عما يقولونه فليؤكدوه. وقد حقق معه ووضع تحت الحجز.

الصفحة التاسعة (سطر ١٥): وأحضر الأجنبي «سخاحتآمون» فقالوا له: ما لديك لتقوله؟ فقال: إن كل ما نطق به في من قبل هو ما سأقوله الآن. فامتحن بالضرب بالعصا، وقالوا له: ما لديك لتقوله؟ فقال: أعطيت بعض الغلة وهي ثلاث حقائب إلى الصانع «سانفر» التابع للجبانة، وأعطاني بدوره قدتين من الفضة وقد حملتها له قائلًا: لا إنها (مزيفة) ولكني عجزت عن وجوده (؟) والآن خرج الراعي «أهومح» ووضعوا أرغفة في مخزن. وقد تسمعت إليهم عندما كانوا واقفين يتشاجرون على قطعة من الفضة، فقال: فلأوضع في مأزق (؟) وهذا ما قاله أحدهما لزميله.

الصفحة التاسعة (سطر ٢٠): وأحضر الأجنبي «بيكآمن» التابع لمساحة أرض «آمون». فامتحن بالضرب بالعصا فقال: إني لم أرها، فوضع تحت الحجز (قبض عليه).

الصفحة التاسعة (سطر ٢٢): وأحضر الصانع «ثوناني» التابع «لمكان الصدق»، وقد امتحن بالضرب بالعصا، وقالوا له: ما عندك لتقوله؟ فأجاب: إني لم أرَ شيئًا. فامتحن بالضرب بالعصا ووضع تحت الحجز.

الصفحة التاسعة (سطر ٢٤): وأحضر المفتش «بائير سخر» الذي كان كاهنًا للإله «خنسو»، فامتحن بالضرب ووجه إليه يمين بألا يقول كذبًا فقال: دعوا رجلًا يحضر ليتهمني. فامتحن ثانية فقال: لم أرَ شيئًا، فامتحن بالعصا ووضع تحت الحجز.

الجزء السادس الصفحة العاشرة: الصفحة الثالثة عشرة (سطر ١): الرجال الذين أحضروا في …

الصفحة العاشرة (سطر ٢): أحضر المشرف على الفلاحين «أخنمنو» فقالوا له: ما عندك لتقوله عن هذه الفضة التي قال «بوخعف» قد أعطيتها؟ فقال: لقد تسلمت خمسة قدات من الذهب ودبنًا من الفضة، وثورين من «بوخعف»، وتسلمت دبنين من الفضة من «أمنخعو» و«موت محب»، والمجموع في حوزته خمسة دبنات من الذهب، وثلاثة دبنات من الفضة وثوران، فأطلق سراحه. فقال الوزير: دع هذه الفضة ترد إلينا فقال: سأردها.

الصفحة العاشرة (سطر ٨): وأحضر «حوت نفر» بن «نخ» التابع لمعبد «منتو» سيد «زرو». وامتحن بالضرب. وقالوا له: ما عندك لتقوله؟ فقال: لم أر شيئًا فأطلق سراحه.

الصفحة العاشرة (سطر ١٢): أحضر الراعي «سوعا-آمون» التابع لمعبد «آمون»، فامتحن بالضرب بالعصا، ووجه إليه يمين بألا يقول كذبًا. وقد وجد بريئًا من السرقات، وأطلق سراحه.

الصفحة العاشرة (سطر ١٥): وأحضر الراعي «بايس» فامتحن بالعصا، ووجه إليه يمين بألا يقول كذبًا، وقد وجد بريئًا من السرقات وأطلق سراحه.

الصفحة العاشرة (سطر ١٨): وأحضر الخادم «بكني» التابع لمعبد «آمون». فقالوا له: ما لديك لتقوله عن هذه الفضة التي أعطاكها «بوخعف»؟ فقال: لقد تسلمت هذين الدبنين من الفضة وصرفتهما فأطلق سراحه.

الصفحة العاشرة (سطر ٢١): وأحضر كاتب الجيش «حوري» بن «أفنآمون» بسبب والده فقد قالوا: إنه كان في الجبانة، وفي دهليز البيتِ، على الرغم من أن هذا الرجل (أي حوري) لم يذهب، إذ كان وقتئذٍ طفلًا. فقالت المحكمة: دع هذه الأمة «بكي» تؤخذ إلى الجبانة، وقد ترك في يدي المشرف على الخزانة.

الصفحة العاشرة (سطر ٢٥): وأحضر التابع با … ر … «نخت»، فقالوا له: ما لديك لتقوله؟ فقال: لم أرَ شيئًا، دعني أتهم.

الجزء السابع. (صفحة ١١ إلى ١٣) القائمة الأولى «أ١»: الصفحة الحادية عشرة (سطر ١): السنة الثانية من فصل الفيضان، اليوم الثالث عشر، أسماء لصوص صندوق النفائس الخاص بالفرعون:

- الكاتب «تحتمس» بن «سرحات».
- الفلاح «نسمنتو» التابع لمعبد «منتو».

الصفحة الحادية عشرة (سطر ٥): الكاهن (حم) (؟) المسمى «نسآمون».

الفلاح «قر» التابع لمعبد «آمون».

النساج «شد سو خنوم» التابع للمعبد.

السايس «عانسو نآمن».

النساج «وننخت».

الصفحة الحادية عشرة (سطر ١٠): الفلاح «بيخال».

الراعي «بيكآمن».

مطلق البخور «عنخ إري آمف».

الكاهن «ثانفر».

التابع «باي أكح».

الصفحة الحادية عشرة (سطر ١٥): الـ ... «باي بن».

المواطنة «إننري».

القائمة «ب١» الصفحة الحادية عشرة، (سطر) ١٧**:** الرجال الذين سجنوا في الشهر الأول من فصل الفيضان اليوم ١٣ + س:

- غالي الزيت «بنفرعحي».
- الجندي «بنتاور».
- المواطنة «باي إمنتاور».
- «ماتوعا إن تي ماعت».
- «موت مويا».
- «حرر».
- «نسموت».
- «تاعا نحستي».

القائمة «ب٢» الصفحة الثانية عشرة، (سطر ١): لصوص الجبانة الذين حقق معهم، ووجد أنهم كانوا في الأماكن (أي المقابر الملكية):

- اللص الراعي «بوخعف» التابع لمعبد «آمون» تحت إدارة مدير البيت.

- اللص الحاجب «بربثو» التابع لمعبد «آمون».

- اللص مطلق البخور «سدسو خنسو» شرحه.

- اللص مطلق البخور «نسآمون» الذي يدعى «ثايأحي».

- اللص عبد السجن «أفنآمون» التابع لضيعة «منتو» رب «أرمنت».

- اللص العبد «دجاي». لم يقبضوا على ... ولكن الكاتب «تحوت» ... قال: إنه كان هناك.

المجموعة ستة.

القائمة «ب٣»: الرجال الذين تسلموا بعض الفضة عندما ... ولو أنهم لم يذهبوا ...

- الكاتب «تاشري» بن «خعمواست».

- مغني «بوتو» «المسمى باكا إمباوبا». المجموع رجلان.

القائمة «ب٤»: الصفحة الثانية عشرة، (سطر ١٢): قائمة بأسماء اللصوص الذين أحضروا من المكان الذي كان فيه الفرعون، وحقق معهم، ولو أن اللصوص قالوا: إنهم لم يكونوا معهم، والذين انحدروا في النيل:

- كاتب الجيش «عنخفنآمون» بن «بتاح محب».

- الكاهن «بونش» بن «أمنحتب».

- الكاهن «بائير سخر» التابع للإله «خنسو المخترع».

- التابع «ونآمون» المشرف على ماشية «آمون».

- عبد السجن «تحوت محب» التابع لضيعة «منتو».
- البحار «خنسموسى» بن «بينوزم».
- البحار «بيخال» وجد أنه بحار «نسآمون»، وهو الذي عبر باللصوص (إلى الشاطئ الآخر).
- العبد السقاء (؟) «كربعل».
- النوتي «بايكامون» بن «باوع آمون».
- الصانع «ثوناني» التابع لمكان الصدق.
- الأجنبي «سخاحتآمون» التابع للتاجر «باوع إمواست».
- صانع الجعة «نسبرع آتون» التابع لسقف معبد «آمون».
- البواب الأول «تحوتحتب». وقد أحضر أمام الفرعون. ولم يحضر إلينا كتابة.

القائمة «أ٢»: الشهادات التي أداها لصوص صندوق النفائس في الشهر الثاني، اليوم العاشر:

- «بايبن».
- «عنخ إري آمف».
- «سبك نخت».
- «شد سو خنوم».
- «ثانفر».
- «بيخال».

- «سابار».
- «تحتمس».
- «تاتوت» (؟)
- «حوري» بن «إني».
- «باسمون».
- رئيسا الشرطة للمعبد.
- المشرف على عبيد السجن «تحوت محب».
- «بانفر» البواب.
- «بنباون حور».
- الصانع «بنتا حتنخت».
- «ونآمون» بن «عامروت» الذي …
- «حوري» بن «بسنخت».
- «نسي».
- «أمنخعو» بن «بننا».

القائمة «٥ب»: اللصوص الذين أعدموا على الخازوق: سبعة رجال.

اللصوص الذين قتلوا في الحرب في الإقليم الشمالي: خمسة عشر رجلًا.

اللصوص الذين قتلهم «بينحسي» ثلاثة رجال، وهؤلاء الذين كانوا ... رجلان. المجموع خمسة رجال.

هؤلاء الذين حبسوا ولا يزالون أحياء وفي صحة: تسعة عشر رجلًا.

اللصوص الذين هربوا: ستة رجال.

هؤلاء الذي حوكموا:

- الجندي «بنتاور» التابع لجنود «كوش».
- «بنفرعح».
- «إمنبابثو»؛ وقد أطلق سراحه.
- «بننستاوي»: أطلق سراحه.

القائمة «٦ب»: النساء اللائي سجنَّ:

- المواطنة «نسموت» زوج الحاجب «بربثو» التابع لخزانة الفرعون.
- المواطنة «موت مويا» زوج كاتب السجلات المقدسة «نسآمون» بن «خرحت».
- المواطنة «تاعا إنحمتي» زوج «وسر حنتخت» التابع لخزانة الفرعون.
- المواطنة «موت محب» زوج صانع الذهب «رعموسى».
- المواطنة «حرر» زوج الحارس «باوع متاومت» التابع لخزانة الفرعون.
- المواطنة «تانفري» زوجه الأخرى فتكونان اثنتين.
- المواطنة «موت مويا» زوج الحارس «باورعا» بن «قاوي» التابع لخزانة الفرعون.

- المواطنة «منوعا إنني ماعت» زوج الخادم «كِزر».
- المواطنة إسي (إزيس) زوج «كربعل».
- المواطنة «تاي أمت تاور» زوج الفلاح «بايس».
- المواطنة «إري نفر» زوج ال سرد «باينحسي» بن «ثات».

ورقة المتحف البريطاني رقم ١٠٤٠٣: اشتريت هذه الورقة من «وسيلي» عام ١٨٥٦ كما جاء في سجل «المتحف البريطاني»، وقيل: إنه عثر عليها في «طيبة» ويبلغ طول البردية حوالي ٤٥ سنتيمترًا، وارتفاعها ٣٥ سنتيمترًا، ويدل متن هذه الورقة على أنه يشبه كثيرًا ما جاء في ورقة «ماير A».

وعنوان الورقة ١٠٤٠٣ هو: السنة الثانية من عصر النهضة، الشهر الرابع من فصل الصيف، اليوم السادس عشر (وهذا التاريخ يزيد سنة ويومًا عن تاريخ ورقة «ماير A» السالفة الذكر).

دون كاتب الجبانة «نسآمنؤبي» شهادات لصوص صندوق النفائس. وهذا الكاتب «نسآمنؤبي» كان أحد المحققين، الذي جاء ذكره في كل من ورقة «ماير A» وبردية «المتحف البريطاني» رقم ١٠٠٥٢، وتدل الكلمات الأولى منها على أننا نبحث في سرقات مشابهة جدًّا لسرقة الجزء الخاص بصندوق النفائس في ورقة «ماير A»، وقد ارتكبت الجريمة جزئيًّا بنفس اللصوص. فنجد البواب «إهاويتي نفر» قد سئل ليذكر كل الرجال الذي رآهم يدخلون هذا المكان، ويرتكبون تخريبًا في معدات صندوق النفائس هذا، وكان بينهم فرد يدعى «نبتحتنخت» قال عنه: إنه يعرف كل شيء عن قضية الصندوق الخفيف ملك «رعمسيس نخت»، ويضيف أن مدبري هذه الجريمة هم نفس الرجال الذين أتلفوا صندوق النفائس الخاص «برعمسيس الثاني»، وكذلك الخاص «بمعبد سيتي»، وقد أحضر «نبتحتنخت»، ووصف كل تفاصيل الهجوم على صندوق النفائس ملك «رعمسيس نخت».

والظاهر هنا أن المحاكمة الحالية خاصة فعلًا بصندوق «رعمسيس نخت» وأن «إهاويتي نفر» يقترح تحقيق هذا الموضوع مع «نبتحتنخت»، وقد أضاف بطريقة عرضية محضة أن المجرمين هم نفس رجال العصابة الذين أتلفوا صندوق النفائس الخاص «برعمسيس الثاني»، وكذلك الصندوق الخاص بمعبد «سيتي».

الترجمة: (P1s. XXXVI-XXXVII) الصفحة الأولى: (P1. XXXVI): (١) السنة الثانية من عصر النهضة، الشهر الرابع من فصل الصيف، اليوم السادس عشر. أخذ كاتب الجبانة «نسأمنؤبي» (٢) شهادات لصوص صندوق النفائس الذي كان في المعبد (٣) وقد أحضر العامل «إهاويتي نفر» التابع لمعبد الملك «وسر ماعت مري آمون» في معبد آمون (٤) فقالوا له: إنك بواب هذا المعبد. تعال وخبرنا عن كل رجل رأيته يدخل هذا المكان، ويرتكب تلفًا لقفل (أو غطاء؟). صندوق النفائس هذا، فقال: مر بإحضار النجار «نبتحتنخت» ليخبرك بكل ما حدث (٧) لصندوق النفائس ملك «رعمسيس نخت»، الذي كان كاهنًا أكبر للإله «آمون». وأولئك الذين فعلوا هذه الفعلة هم أنفسهم الذين ارتكبوا تلفًا في صندوق النفائس ملك الفرعون «وسر ماعت رع ستبن رع» (٩) الإله العظيم؛ ولهذا الصندوق (جس بر) ملك الفرعون «من ماعت رع» (سيتي الأول). وهكذا قال، وعلى ذلك أحضر النجار «نبتحتنخت». وقد لقن القسم بالحاكم بأن يعاقب بالتمزيق بألا (١١) يتكلم كذبًا، وقد سمعت شهادته فقال: إن البواب «بينفر» قد أرسل النساج «تاتي» إليَّ قائلًا (١٢) تعال. فذهبت إلى المكان الذي كان فيه وقال لي: اذهب أنت (١٣) مع «تاتي» وأحضر نحاس هذا الصندوق. ملك «رعمسيس نخت» الكاهن الأكبر (١٤) «لآمون». فذهبت معه ووجدت النساج «تتي» والنساج (١٥) ... أخاه، وحارس القارب «باثان آمون» ومطلق البخور (١٦) ون ... «آمون» بن «وسرحات»، والكاتب «تحتمس» بن «وسرحات»، والكاتب «حوري» بن «سني»، ورئيس البستانيين (١٧) «بتاحمحب»، والنحاس «بيسون» بن «إمنحر-إب» الذي مات، والكاتب «تتي شري» بن والد الإله «حوري» مجموع اللصوص (١٩) عشرة رجال، وأنا الحادي عشر. وقد أخذت بعض أحجار كبيرة، ووقفوا (٢٠) يكسرون أطراف عمد صندوق النفائس هذا ملك الكاهن الأول «لآمون» (٢١) فقلت لهم: لا تتلفوا هذا الخشب؛ لأنهم قد

كسروا طرفي العمود الأوسط (٢٢) واحدًا من الأمام، وواحدًا من الخلف. وكذلك كسروا الأطراف الأربعة (٢٣) الأخرى فيكون المجموع ستة (أطراف) وكان الكاتب «ببيك» والكاهن المطهر «تتي شري» اللذان أخذا حلقتي عمود من النحاس، ووضعاهما في الـ ... الاثنين منها. وقد أعطونا (٢٥) أربع حلقات من النحاس لسبعة من اللصوص منا. وقد قسمناها (٢٦) بيننا في بيت المواطنة «عا–مر»، فكان نصيب كل واحد عشرة دبنات من النحاس، (٢٧) فيكون المجموع تسعين دبنًا من النحاس، ولكن الأجنبي «بيزر» من بلدة «إيوميترو». والأجنبي «حور مواست» التابع لمعبد «سيتي» أتيا إليَّ قائلين: سلم (٢٩) هذا النحاس الذي أعطيته. وهكذا قالوا لي وأخذ الأجنبي «حور مواست» التابع لمعبد «سأتي».

الصفحة الثانية (P1s. XXXVI-XXXVII): (١) عشرة الدبنات من النحاس ملك النحاس «بيزون» بن «أمنحر-إب» (٢). وقد سرق الكاتب «تحتمس» والكاتب «حوري» بن «سني» لأنفسهم (٣) غطاء من النحاس من هذا الصندوق. والاثنان كانا معًا. وقد حلف يمينًا بالحاكم قائلًا: إن كل ما أقوله صدق، وإذا قلت كذبًا فلأوضع على الخشب (خازوق).

الصفحة الثالثة (P1. XXXVII): (١) أحضرت المواطنة «تاعبر» وقد امتحنت بالضرب بالعصا (٢) وقالوا لها: تعالَيْ وقصي قصة قطعة النحاس هذه التي تقولين عنها: إنها في حيازة (٣) الفلاح «بيخال» بن «بشنمح» وأنه قطع نصفها (٤) وباعه، وهي التي ذهبت من أجلها إلى بيت ضابط المركز «أمنخعو». والآن قد اتفق أني كنت جالسة (٦) جوعى تحت الجميز (ربما كانت مستجدية) واتفق أن الرجال كانوا يتجرون في النحاس (٧) وكنا جالسين جوعانين. وهكذا قلت له. تأمل فإنه قد قص الموضوع (٨) على «بيخال» وإني لم أقصه.

(٩) فأحضر الفلاح «بيخال» بن «بشنمح» وقد امتحن بالضرب بالعصا، ولويت رجلاه ويداه، وأمر بالقسم بالحاكم بأن يعذب بالتمزيق إذا قال كذبًا، فقالوا له: تعال خبرنا عن قصة هذا ... النحاس التي تقول عنها المواطنة «تاعبر»: إنها في حيازتك (١٣) وهي التي كان سمكها مثل سمك ذراع الرجل، وقد قطعت نصفها وبعته (١٤) فقال: كذب. إني لم أرَ قط صندوق النفائس هذا

بعيني ولا يوجد (١٥) إنسان يتهمني. فامتحن ثانية بالضرب بالعصا (١٦) فقال: إني لم أره. فقال له الكاتب «نسأمنوبي»: ولكنه أنت الذي شاهدت قطعة النحاس (١٧) فقال: إني لم أرها. فقالوا له: أما عن ... ابن «منتي» هذا الأجنبي فخبرني عن كل ما رأيته في حوزته، وقيل إنه من صندوق النفائس هذا (١٩) فقال: إن ما رأيته هو شيء خاص بالكاتب «بنتحتنخت» (٢٠) قد أحضره وكان يحمله إلى بيت (الكاهن) والد الإله «أمنخعو». ولم أر شيئًا آخر (٢٢) وأحضرت المواطنة «شدح نخت» زوج الفلاح «بيخال» وكانت جارية (؟) (٢٣) مع الكاهن المطهر واللص «تتي شري». وقد امتحنت بالضرب بالعصا (٢٤) ولويت قدماها ويداها. وحلفت القسم بالحاكم بأن تعاقب بالتمزيق (٢٥) إذا تكلمت كذبًا، فقالوا لها: عندما كنت جارية مع الكاهن المطهر واللص «تتي شري» (٢٦) هل كنت أنت التي تفتحين لأولئك الذين يدخلون، وتغلقين بعد الذين يخرجون بوصفك واحدة منهم (؟) فأخبريني عن الرجال الذين رأيتهم (٢٨) يدخلون في هذا المخزن الذي كان فيه صندوق النفائس؛ ليقوموا بإتلافه. وقد امتحنت كرة أخرى بالضرب بالعصا، وحلفت اليمين بالحاكم ألا تقول كذبًا، فقالت: لم أر أحدًا قط، وإذا كنت قد رأيت أحدًا لأخبرتكم.

ورقة «ماير ب»: متن هذه الورقة يحتوي على أربعة عشر سطرًا أفقية، وبعض قطع لا فائدة منها لعدم فهمها. والواقع أن هذه الورقة هي قطعة من ورقة كانت كبيرة، فأولها وآخرها قد ضاع، ولا تحتوي في حالتها الراهنة على تاريخ، كما أن الأشخاص الذين ذكروا فيها لا يمكن بأي احتمال قرنهم بالأشخاص الآخرين الذين ذكروا في الأوراق الخاصة بسرقة المقابر. يضاف إلى ذلك أن هذه الورقة لا تتناول نفس سلسلة الحوادث كأية ورقة أخرى، إذ فضلًا عن أن اللصوص الذين ذكروا فيها يختلفون عن لصوص المقابر الأخرى، نجد أن القبر الذي جاء ذكره فيها بأنه سرق، وهو قبر الفرعون «نب ماعت رع مري آمون» (رعمسيس السادس) لم يشر إليه في أية وثيقة أخرى من الوثائق التي نشرت حتى الآن.

الترجمة: ... (١) مائة وخمسون دبنًا من النحاس، فتشاجرت وقلت له: إن القسمة التي عملتها ليست عادلة قط، فإنك أخذت ثلاثة أجزاء وأعطيتني واحدًا، وهكذا قلت له (٢) وقد وزنا الفضة التي عثرنا عليها، وقد بلغت ثلاثة دبنات من الفضة. وقد أعطاني دبنًا وخمسة قدات من الفضة، وأخذ دبنًا وخمسة قدات. فيكون المجموع ثلاثة دبنات من الفضة.

(٣) والآن بعد بضعة أيام ذهب الأجنبي «بايس» إلى بيت الأجنبي «نسآمون» ووجد الأشياء موضوعة هناك، فاستولى عليها وأرسل (٤) الأجنبي «نسآمون» إليَّ قائلًا: تعال، وكان الأجنبي «بايس» جالسًا معه، فقال له الأجنبي «بايس»: أما عن الفضة التي وجدتها أنت كما يقولون لي (؟) (٥) فإنك لم تعطني شيئًا منها، وإني سأبلغ عنها أمير الغرب (أي غرب طيبة) وضباط الناحية وهكذا قال لنا، فتملقناه وقلنا له: سنأخذك إلى المكان الذي وجدناها فيه (٦) وأنت كذلك ستحضر بعض شيء لنفسك. وهكذا قلنا له.

والآن بعد بضعة أيام اجتمعنا مع الأجنبي «بايس» وصانع المعدن «بنتحنخت»، وصانع المعدن «حوري» (٧) والأجنبي «نسآمون» المجموع خمسة رجال. وذهبنا في يوم واحد، فأخذنا الأجنبي «نسآمون» وأطلعنا على (٨) قبر الملك «من ماعت رع مري آمون» له الحياة والفلاح والصحة، الإله الطيب، فقلنا له: أين عامل الجبانة الذي كان معك؟ فقال لنا: إن عامل الجبانة قد قُتل (٩) ومعه «بابك» الصغير الذي كان معنا، وهو الذي لم يرد أن يدعنا نخرج (؟) وهكذا قال هو لنا. وقد مكثت أربعة أيام في نقبه وكنا حاضرين نحن الخمسة، وفتحنا القبر ودخلناه فوجدنا سلة موضوعة على ستين ... صناديق (؟) ففتحناها ووجدنا ... من البرنز، وسوارًا (؟) من البرنز، وثلاثة طسوت غسيل من البرنز، وطست غسيل، وآنية «نو» لصب الماء على الأيدي من البرنز، وآنيتين «قب» من البرنز، وآنيتين «بوننت» من البرنز، وآنية «قب» وآنية «أنكر» ... من البرنز (١٢) وثلاثة أوانٍ «باس» من النحاس. وقد وزنا نحاس الأشياء، ونحاس الأواني، ووجدنا أنه خمسمائة دبن من النحاس (؟) (١٣) وكان نصيب كل رجل مائة دبن من النحاس ... فتحنا

صندوقين مملوءين بالملابس، فوجدنا أثواب «ديو» من الصنف الجميل للوجه القبلي ... وأثواب «إدج» وخمسة وثلاثين رداء (سبعة من نسيج الوجه القبلي الجميل، تقع نصيب كل رجل). ووجدنا سلة من الملابس موضوعة هناك ففتحناها، فوجدنا خمسة وعشرين رداء «رود» من النسيج الملون فيها، فكانت خمسة أردية (رود) من النسيج الملون تقع (نصيب لكل رجل ١٥ ...)

وهذا المتن على الرغم من انتقاص طرفيه يكشف لنا عن حقيقتين عظيمتين؛ الأولى: أن مقابر الملوك المعاصرين كانت عرضة للخطر كمقابر الملوك القدامى، الذين مضت عليهم عشرات المئات من السنين. والثانية: أنه لو حكمنا بما ذكر عن محتويات هذا القبر، وقرناها بما جاء في مقبرة «توت عنخ آمون» مثلًا لوجدنا الفرق العظيم بين ما كان عليه ملوك الأسرة الثامنة عشرة من جاه وغنى وثروة، وما كان عليه ملوك الأسرة العشرين من فقر وشح، ولا أدل على ذلك من أن ملوك الأسرة الثامنة عشرة، كانت توجد في مقابرهم القناطير المقنطرة من الذهب، وملوك الأسرة العشرين كانت محتويات مقابرهم لا تخرج عن النحاس الذي كانت قيمته لا تزيد على واحد في المائة بالنسبة للذهب. وهكذا نخرج من هذه الجذاذة من البردي بنذير الخطر الذي كان يهدد البلاد بسبب سوء النظام من جهة، والفقر والبؤس من جهة أخرى. هذا بالإضافة إلى أن الملك «رعمسيس السادس» صاحب هذه المقبرة، ولم يمضِ على دفنه إلا سنين قلائل، قد انتهكت حرمته، وبدد شمل محتوياته على الرغم من ضآلتها وعلى الرغم مما كان للفرعون من قداسة في نفوس الشعب.

«ورقة إمبراس»: هذه الورقة موجودة «بمتحف فينا» في مجموعة أوراق البردي رقم ٣٠ (راجع A. Z. (1876) P. P. I. ff). وقد نشر صورة منها «فون برجمان». ويبلغ طول هذه الورقة ٣٨ سنتيمترًا وارتفاعها ١٨ سنتيمترًا، ومكتوبة من جهة واحدة.

ويدل ظاهرها على أنها كاملة، وتحتوي على صحيفتين: الأولى تتألف من تسعة أسطر، والثانية من اثني عشر سطرًا. وقد أرخت بالسنة السادسة من عهد النهضة، ولم يذكر في التاريخ لا الشهر ولا اليوم، وترجمة السطرين الأولين يدلان على كنه الورقة إذ كانت خاصة بالضرائب؛ فحص الوثائق الخاصة بالضرائب التي أحضرها رئيس الضرائب من أهل البلاد، وهي التي كانت في آنيتي «قب». والإناء الأول يحتوي على وثائق مختلفة المادة، وعلى ذلك لم ترتب في مجاميع مثل التي في الإناء النائي تحت أي عنوان عام.

والوثيقتان الأوليان فيها تُدعيان «فدنو»، وهي مكتوبات خاصة بالضرائب. والوثيقة الثالثة هي سجل تفتيش قام به الكاهن «أمنخعو» الخاص بأكاليل «آمون-خنم-نحج». غير أننا لا نعلم ما هي هذه الأكاليل. أما عن مجموعة الوثائق التالية فليس فيها صعوبة. ففي السطر السادس نقرأ عن سجلات معبد «مدينة هابو» الذي أقامه «رعمسيس الثالث». وهذه السجلات لا بد أنها كانت في نوعها تشبه السجلات التي وجدت في «معبد اللاهون» ومعظمها الآن في «برلين». ومما يؤسف له جد الأسف أنها لم تصل إلينا حتى الآن. وقد جاء ذكر ورقة أخرى يظهر أنها مكررة مع الأخيرة، وكذلك ذكرت أربعة ملفات صغيرة فيها سجلات معبد. ولم يبقَ لنا من هذه البرديات التسع التي كانت في الإناء الأول واحدة.

والإناء الثاني يحتوي على وثائق خاصة باللصوص. فالوثيقة الأولى سجل فيها إيصال بذهب وفضة ونحاس، وجد أن عمال الجبانة قد سرقوها. والقبر الذي أخذ منه هذه السرقات لم يُعين، وعلى ذلك لا يمكننا تحقيق الوثيقة على وجه التأكيد. وإذا لم تكن هي الورقة رقم ١٠٠٦٨ فلا بد أنها وثيقة مماثلة لها. والورقة التالية (ص٢ س٤) وهي خاصة بتفتيش المقابر، ولا يمكن إلا أن تكون ورقة «إبوت». ويأتي بعد ذلك وثيقة تدعي التحقيق مع الرجال الذين وُجد أنهم خربوا حجرة الدفن (؟) ثم الورقة الخاصة بالتحقيق الخاص بمقبرة «سخمرع شد تاي»، ولا يمكن أن تكون تقريبًا غير ورقة «أمهرست»، التي تحدثنا عنها مع تكملتها بورقة «ليو بولد الثاني».

ويأتي بعد ذلك ورقة عنوانها: التحقيق الخاص بقبر قائد الجيش العظيم الذي عمل مع النحاس «وارسي»، والظاهر أن هذا النحاس قد يكون نفس الرجل الذي أشير إليه باسم «باوارسي» في الورقة ١٠٠٥٤ (ص٧ س٢) حيث قد اتهم بأنه قد ذهب مع آخرين لسرقة مقابر غربي «طيبة».

وقد جاء ذكر حادثة مماثلة لهذه الورقة رقم ١٠٠٥٢ حيث نجد الاسم قد كتب «وارسي» وعلى أية حال فإنه لا توجد أية إشارة لقبر قائد عظيم، وعلى ذلك لا يمكن توحيد وثيقة «إمبراسي» لا بالورقة رقم ١٠٠٥٢ ولا بالورقة رقم ١٠٠٥٤.

ولدينا وثيقة أخرى (ص٢ س١٠) عنوانها: قائمة بالشهادات الخاصة بالنحاس والأشياء، التي باعها اللصوص من «مكان الجمال»، ولا بد أن تكون هي الورقة رقم ١٠٠٥٣ من الوجه، وقد وصفت في هذه الوثيقة (وجه ص١ س٤) بنفس الكلمات تقريبًا. وكذلك لدينا قائمة لصوص (ص٣ س١١) غير أنها على ما يظهر قد فقدت.

والوثيقة الأخرى في هذه الصفحة (ص٢ س١٢) عنوانها: التحقيق مع الأجنبي «بيقح» بن (؟) «ستخمحب» وقد فقدت.

وبذلك تنتهي القائمة الثانية، وتحتوي على ثماني وثائق خاصة باللصوص. وقد أمكننا أن نتعرف على ثالث بالتأكيد نسبيًّا وهي: ورقة «إبوت»، وورقة «أمهرست»، والورقة رقم ١٠٠٥٣ (من الوجه).

ويلفت النظر في هذه التحقيقات أنها كلها تشير إلى مجاميع السرقات المبكرة، وهي: «إبوت»، و«أمهرست» رقم ١٠٠٥٤، ومجموعة «تورين» التي تشغل السنتين السادسة عشرة والسابعة عشرة من حكم «رعمسيس التاسع».

ويجد القارئ تفاصيل عن هذه الأوراق فيما كتبه الأستاذ «بيت» (راجع The Great Tomb-Robberies. P.p. 177–180).

الترجمة: (P1. XXXVIII) الصفحة الأولى: (P1. XXXVIII): (١) السنة السادسة من عصر النهضة. فحص سجلات رجال الضرائب[٣٤] التي استولى عليها رئيس الضرائب من الأهلين، التي كانت في الإناءين (٣) والملفان اللذان يحملان سجلات الفضة الخاصة بالضرائب، وهي التي استولى عليها رئيس الضرائب من الأهلين.

(٥) سجل الفحص الذي عمله الكاهن «أمنخعو» عن أكاليل «آمون-الممنوح-بالأبدية».

(٦) سجلات معبد ملك الوجه القبلي والوجه البحري «وسر ماعت رع مري آمون في بيت آمون».

(٧) الورقة الأخرى التي كان عليها صورة من السجلات.

(٨) أربعة الملفات التي كان عليها السجلات.

(٩) المجموع: ملفات البردي التي كانت في الإناء تسع وثائق.

الصفحة الثانية (P1. XXXVIII): (١) الوثائق الخاصة باللصوص التي كانت في الإناء الآخر.

(٢) سجل تسلم الذهب والفضة والنحاس التي وجد أن (٣) عمال الجبانة قد سرقوها: واحد.

(٤) فحص المقابر ذات الهرم: واحد.

(٥) التحقيق مع الرجال الذين وجد أنهم قد نهبوا (؟) (٦) مقبرة في غربي المدينة.

(٧) الفحص الخاص بهرم ملك الوجه القبلي والوجه البحري «سخم ماعت رع شد تاوي»: واحد.

(٨) الفحص الخاص بقبر القائد العظيم للجيش (٩) الذي أُجري مع النحاس «وارسي».

(١٠) شهادات خاصة بالنحاس والأشياء التي باعها اللصوص من «مكان الجمال»: واحد.

(١١) قائمة اللصوص: واحدة.

(١٢) التحقيق مع الأجنبي «بيقح» بن (؟) «ستخمحب»: واحد.

(٢) المحاكمات الجنائية في مصر القديمة استنباطًا من الأوراق التي فحصناها هنا

تحدثنا فيما سبق عن سرقات المقابر الملكية وغيرها، وكذلك الاعتداء على المعابد وسلب أثاثها. وقد رأينا المحاكمات التي قام بها رجال القضاء والمحاكم، وعلى رأسهم الوزير لمعاقبة الجناة، ورد السرقات إلى أماكنها إذا أمكن. وقد جمعنا المواد الخاصة بهذا الموضوع في فصل واحد، على الرغم من أنها حدثت في عهود ملوك مختلفين، ولكن يلاحظ أن معظمها وقع في عهد «رعمسيس التاسع» وعهد «رعمسيس الحادي عشر». والواقع أن الوثائق الخاصة بذلك العهد تقدم لنا مادة هامة عن الإدارة القضائية في مصر في تلك الفترة. وهو موضوع صعب التناول لقلة الوثائق التي وصلت إلينا عنه، وقد كان أوَّل من كتب فيه الأستاذ «سبيجلبرج»،[٣٥] ثم الأستاذ «بيرن»،[٣٦] وأخيرًا كتب الأستاذ «زيدل»،[٣٧] وغيره من الكتَّاب الذين جاء ذكرهم في سياق الكلام في كتاب «مصر القديمة».

وعلى أية حال فإن أوراق البردي التي ترجمناها هنا لها أهمية عظيمة في درس المسائل الجنائية على وجه خاص، وسنحاول هنا أن نستخلص منها ما يمكن استخلاصه بقدر ما تسمح به هذه المتون، وما لدينا من مصادر أخرى.

ولا بد أن نلحظ هنا منذ البداية أن هذه المتون ليست كلها من نوع واحد، فورقة «إبوت» وورقة «أمهرست» و«ليو بولد الثاني» تؤلف مجموعة قائمة بذاتها، فهي ليست تقريرًا عن محاكمة، بل بحثًا من نوع خاص. والمجموعة التي تتألف منها الورقة رقم ١٠٠٥٣ والورقة رقم ١٠٣٨٣ وكذلك جزء من متن، والورقة رقم ١٠٠٥٤ تبحث في سرقات ليست من مقابر بل من معابد. أما سائر الأوراق الأخرى فتبحث في سرقات من الجبانات، ولكن مجموعة الأوراق التي تشمل الورقة رقم ١٠٠٥٣، والورقة رقم ١٠٠٦٨، فتتميز بأن اللصوص المتهمين فيها كانوا كلهم من هيئة

عمال الجبانة العظيمة، ولا بد أن نلحظ هذه الفروق حتى يمكننا أن نصل إلى نتيجة جاءت عن روية وبحث، والأسئلة التي يجب أن نصل إلى حلها — وهي التي تهم رجال القانون — ما يأتي:

(١) من الذي ابتدع العمل ضد المجرمين؟

(٢) ما نظام المحكمة التي حاكمت هؤلاء المجرمين؟

(٣) كيف كانت الإجراءات عند المحاكمة؟

(٤) في يد من كانت سلطة النطق بالحكم، وما العقوبات التي كانت توقع؟

وسنتناول كلًّا من هذه الأسئلة على حسب الترتيب الذي وضعناها فيه:

من الذي ابتدع العمل ضد المجرمين؟ أو من الواضع لقانون العقوبات؟

لا شك في أن الوزير كان يلعب أهم دور في إدارة القضاء في مصر كما أشرنا إلى ذلك من قبل (راجع مصر القديمة ج٢ وج٣ وج٤) وبخاصة ما جاء في نقوش الوزير «رخ من رع»، وفي العهد الذي كتبت فيه «ورقة إبوت» أي: عهد «رعمسيس التاسع»، وما قبله مباشرة لم يكن في البلاد غير وزير واحد[٣٨] وهو «خعمواست»، وكان مقر وظيفته «طيبة» وهو الذي بلغه «بورعا» أمير غربي «طيبة» أوَّلًا بالسرقات التي تناولناها في ورقة «إبوت» (ص١ س٧–٩) وقد خطا «بورعا» هذه الخطوة على ما يظهر بسبب مركزه بوصفه أمير غربي «طيبة»، ورئيس الشرطة في الجبانة، وهذا بالطبع يجعله مسئولًا عن حفظ المقابر سليمة.

وقد وجه تقريره عن الحالة، لا للوزير وحده، بل كذلك للأشراف، وسقاة الفرعون؛ على أنه في الوقت نفسه لم يكن الموظف الوحيد الذي كان في مركز يجعله يبلغ مثل هذه الجريمة، إذ نجد في المتن أن «باسر» أمير «طيبة» الشرقية قد أبلغ التلف المزعوم الذي لحق بقبر الفرعون «أمنحتب الأول»، وقد وجه تقريرًا لنفس الهيئة التي قدم لها تقريره «بورعا» غير أنه قد وُضع هنا بتفاصيل

أكثر. ويلاحظ هنا أنه لا توجد أية إشارة للفرعون، وأن الوزير وعماله على ما يظهر قد قاموا بعمل تحقيق بدون أي إشارة إلى الفرعون أو تلقي تعاليم منه.

ومن جهة أخرى نجد أن «باسر»، عندما تضايق من المظاهرات المعادية له التي قامت بها هيئة عمال الجبانة هدد بإبلاغ الفرعون مباشرة (أو أبلغه فعلًا) عن سلسلة جديدة من التهم كان قد قدمها له كتاب الجبانة. ولا نعلم إذا كان «باسر» قد نفذ تهديده أم لا. ومن المحتمل أن تقديم موظف مرءوس تقريرًا مباشرًا للفرعون دون أن يُعرض على الوزير أوَّلًا كان أمرًا غير مألوف، والظاهر أن «باسر» في هذه الحالة قد شعر بأن الوزير كان معاديًا له، ويمكن على ذلك أن يهمل، أو على أية حال يستخف بأية تهم يمكن أن يقدمها له.

ومن هذه الحادثة نحصل على طرف ثمين من المعلومات، وهي أن الإجراء السليم عند حدوث مخالفات في المقابر أن يقوم كتاب الجبانة بتبليغ الوزير مباشرة إذا كان في الوجه القبلي، وإذا لم يكن هناك كان على الشرطة وأتباع جلالته للجبانة أن يقفوا أثر الوزير منحدرين في النهر، حاملين وثائقهم الخاصة به لتقدم له، ومن ثم نعلم أن الفرعون لم يظهر فعلًا في القصة التي قصت في «ورقة إبوت».

أما في المتن الذي على وجه الورقة رقم ١٠٠٦٨ (ص١ س٥-٦) فنسمع أن اللصوص قد بلغ عنهم «بورعا» وكتاب الحي «وننفر»، والوزير والكاهن الأكبر «لآمون»، وهذان الموظفان الكبيران أمرا بالقبض على الطوائف المتهمة، ونلحظ في قرن اسم الوزير باسم الكاهن الأكبر أهمية ملحوظة، وذلك أنه لما كان الكاهن الأكبر «لآمون» أكبر سلطة روحية في البلاد، فإنه كان بلا شك يهمه معرفة أية جريمة يكون من شأنها تدنيس أي معبد أو قبر. وهنا كذلك نجد أن الفرعون لم يكن له دخل في القصة، على الرغم من أن ذلك يمكن أن يعزى من جهة أخرى إلى قلة التفاصيل التي في متناولنا.

ولدينا محاكمتان كان للفرعون دخل فيهما، ففي متن الورقة رقم ١٠٠٨٣ نقرأ أن الكاهن «أمنموسى» قد أبلغ الفرعون سرقة أو سرقات من الفضة والذهب من المعبد، فأمر الفرعون الوزير والساقيين بتحقيق القضية. وفي نفس الورقة نجد سرقة معينة من الفضة بلغها كاهن المعبد المختص للفرعون. ومن الورقة رقم ١٠٠٥٢ (ص٣ س٢-٣) نعلم أن بعض لصوص المقابر قد حقق معهم الوزير وأشراف «مكان التحقيق» الذين وكل إليهم أمره. ولما كان الوزير يعد أكبر سلطة في البلاد بعد الفرعون، فلا بد أن الأخير كان هو الذي وكل القضية إليه ولمحكمته للفصل فيها، ويؤكد هذا الرأي ما جاء في ورقة «إبوت» خاصًّا بنفس القضية. فنجد في هذه الوثيقة أن «بورعا» يضع قائمة لصوص أمام الفرعون، وبعد سبعة أسابيع يضع قائمة مصححة وأطول من السابقة أمام الوزير. ولا بد أنه على ما يظهر في المدة التي بين هذين التاريخين كان الفرعون قد سلم القضية إلى الوزير.

وعلى ذلك فلدينا هنا قضيتان: إحداهما قضية سرقة من معبد، والأخرى قضية سرقة من مقابر، وفي كلتيهما وكل الفرعون أمر المحاكمة بلا نزاع إلى الوزير ورفاقه الأشراف، ومن المحتمل إذن أن هذا كان هو الإجراء المتبع في كل القضايا التي من هذا الطراز والضخامة. وليس لدينا في وثائق أوراق البردي التي في متناولنا ما يتعارض مع هذا الرأي؛ لأنه على الرغم من عدم وجود إشارة إلى الفرعون في حادثة ورقة «إبوت» صريحة إلا أنه لا بد أن نذكر أن هذه الحالة كانت خاصة جدًّا، وأن المحاكمة الوحيدة فيها (ص٧) كانت محاكمة قد عُرضت لغرض خاص عن رجال عُرف عنهم أنهم غير مذنبين، مما لا يكاد يجعلها محاكمة بالمعنى القضائي المعروف.

كيف كان تأليف المحكمة وطبيعتها؟

لقد عُملت محاولات من وقت لآخر للبرهنة على وجود محاكم قضائية في مصر القديمة ثابتة على وجه التقريب. وقد أثبتت معظم هذه المحاولات وجود أسماء جماعات في يدها على ما يظهر

وظائف قضائية مثل[٣٩] «ستة البيوت العظيمة»، أو هيئة «قنبت» التي ظهرت في عهد الدولة الحديثة. وفي العصر الذي نبحث فيه ظهرت الهيئة الأخيرة والحقائق عنها، هي التي جمعها الأستاذ «سبيجلبرج» (Stud. U. Mat. Pp. 13. ff) و«جاردنر» (راجع: Inscriptions of Mes. pp. 33 ff.) وغيرهما يجعل من البين أنه في عهد الدولة الحديثة كانت توجد محكمة تجلس للفصل في القضايا المدنية والجنائية تسمى غالبًا «قنبت» أو بتعبير أوفى «قنبت شزمو» أي: محكمة المستمعين، وأعضاء هذه المحكمة كان يشار إليهم بلفظة «سرو» أي: «أشراف» أو وجهاء. وقد أبان الأستاذ «جاردنر» أنه في المنازعة التي ذكرت في نقوش «مس»، وهي التي يرجع تاريخها على وجه عام إلى عهد الأسرة التاسعة عشرة، أنه توجد محكمتان «قنبت»، وهما: «قنبت» الكبيرة، ومقرُّها «هليوبوليس» تحت رياسة الوزير؛ و«قنبت» المحلية في «منف»، وتحتوي على أشراف المدينة «سرو»، ويشار إليها أحيانًا بأشراف المدينة. ويقابل المحكمة الكبيرة في «هليوبوليس» أخرى مماثلة لها في «طيبة» يرأسها وزير الوجه القبلي في الوقت، الذي كان يوجد فيه للبلاد وزيران، وكذلك كانت الحال عندما كان لا يوجد في البلاد إلا وزير واحد.

وفي المادة التي نجدها في الأوراق البردية التي فحصناها فيما سبق لم نصادف ذكر محكمة «قنبت» إلا مرة واحدة، وهي بالضبط «قنبت» الكبيرة التي في «طيبة» (راجع: Abbot p. 7) ويسمى أعضاؤها «سرو» أو بتعبير أدق «الأشراف العظام» (نا-سرو-عا) (راجع ص٧-٨) وتتألف من «الوزير» وكاهن «آمون» الأكبر، والكاهن الثاني «لآمون»، وساقيين من سقاة الفرعون، ومدير بيت «المتعبدة الإلهية»، ونائب قائد الجيش للخيالة، وحامل علم البحرية، والأمير «باسر» حاكم «طيبة الشرقية». ويلاحظ في إجراء هذه المحكمة أن المحاكمة الفعلية التي عملت مع ثلاثة النحاسين لم تكن إلا ثانوية فقط؛ لأن غرضها الرئيسي كان التخلص، ويحتمل عدم تتبع التهم التي قدمها «باسر»؛ الذي كان أحد أعضائها، ضد هيئة عمال الجبانة.

وهذا هو المثل الوحيد الذي جاء في أوراق البردي التي بحثناها، وفيه ذكر محكمة على النحو السابق. حقًّا نعلم مع ذلك تأليف الجماعات التي أدارت الكثير من التحقيقات، فنعلم مثلًا أن القضية العظمى الخاصة بسرقة المقابر في ورقة «ماير» Mayer A، وكذلك في الورقة رقم ١٠٠٥٢ قد أجرى التحقيق فيها الوزير «نبماعت رع نخت»، والمشرف على الخزانة، والمشرف على مخزن الغلال «منماعت رع نخت»، والساقيان «ينس» و«بميآمون».

وهؤلاء الأشخاص لا بد أنهم كانوا مثل الوزير والأشراف «سرو» الخاصين «بمكان التحقيق الذي وكل أمره إليهم» السالف الذكر (راجع الورقة رقم ١٠٠٥٢ ص٥ س٢-٣).

أما المحاكمة التي نقرأ عنها في ورقة «أمهرست-ليوبولد الثاني»، فقد قام بها الوزير والساقي وحاجب الفرعون وأمير «طيبة»، وهؤلاء هم على الأقل الأشخاص الذين كتبوا عنها تقريرًا للفرعون. وهؤلاء الموظفون الأربعة أنفسهم قد قاموا قبل ذلك ببضعة أيام بالتحقيق الذي سجل في الورقة رقم ١٠٠٥٤ عن سرقة المقابر. ولا يمكننا أن نذكر هنا أية محكمة أو جماعة من الموظفين قد حاكموا المجرمين الذين جاء ذكرهم في ورقتي ١٠٠٥٣ و١٠٠٦٨ السابقتي الذكر؛ فقد حبسوا أوَّلًا في معبد «ماعت» «بطيبة»، ثم سلمهم الوزير والكاهن الأكبر إلى موظفي الجبانة للمحافظة عليهم. وتحدثنا يوميات الجبانة عن التحقيق الذي أجري مع الرجال وزوجاتهم، غير أنه لم يأتِ ذكر الذين قاموا بهذا التحقيق. ونعلم أن استعادة المتاع المسروق كان قد قام به الوزير والكاهن الأكبر «لآمون».

وإذا حاولنا أن نوحد أي جماعة من هذه الجماعات الصغيرة بالمحكمة الكبرى الطيبية، أو نزعم أن أية واحدة منها كانت تؤلف محكمة قضائية ثابتة، فإن ذلك لا مبرر له كلية. وتدل كل الاحتمالات حقيقة على عدم صحة هذا الرأي، فتأليف المحكمة العظيمة «قنبت» قد ذكر في ورقة «إبوت»، ومع ذلك فإن الموظفين الذين كانوا يعملون في ورقة «أمهرست-ليو بولد الثاني»، والورقة رقم

١٠٠٥٤ وهي التي كانت قد كُتبت بعد يوم أو يومين من تاريخ «إبوت» لا يزيد عددهم عن أربعة، ولا يمكن أن يؤلفوا بأنفسهم محكمة كبيرة (قنبت). والمعقول في مثل هذه الأحوال أن هذه القضايا التي كانت غاية في الأهمية بسبب انتهاك حرمة المقابر والمعابد، كان الفرعون يكل أمر التحقيق فيها لثلاثة أو أربعة من أعلى الموظفين في الحكومة في العصر الطيبي.

طريقة المحاكمة

إن طبيعة المجرم المصري يمكن التحقق منها تمامًا إذا أمكن فهم الأحوال التي تختلف فيها عن المحاكمة العصرية. فالأشخاص الذين كان لهم علاقة بالقضية المنظورة أمام المحكمة هم أعضاء التحقيق والمجرمون والشهود، ولم يكن هناك أي محكمين، كما لم يكن هناك محامون لكلا الفريقين. وجماعة المحققين أنفسهم تتألف من مدعٍ وقاضٍ ومحكمين. ولم يكن هناك مجلس للدفاع، فلم يكن في مصر القديمة إذن مدافعون، فقد كان الأبرياء على ما يظهر يضعون ثقتهم في سرد قصتهم في صورة بسيطة خالية من كل تزويق ويأملون بعد ذلك في أحسن النتائج.

وهذه الأحوال[٤٠] لم تكن شائعة فقط في القضايا الجنائية بل كذلك في المحاكمات المدنية، وكان يوجد طبعًا في القضية حزبان: المدعي والمدعى عليه، وكان كل منهما يقوم بتسيير قضيته فيقدم الأدلة كتابة أو بإحضار شهود، وكان القاضي أو القضاة ينطقون بالحكم بعد سماع القضية.

وفي هذه الأحوال يمكن الإنسان أن يذهب إلى أن الإجراءات عند المحاكمة كانت غاية في البساطة، فالمشتبهون — وكان كثير منهم برآء كما كان يتضح ذلك بعد — كان يقبض عليهم، وفي كثير من الأحوال كان يقبض على زوجاتهم معهم. وكان يؤتى بهم واحدًا فواحدًا أمام الأعضاء المحققين، ويُسألون أسئلة من نوع معلوم.

وهذه الأسئلة كانت في معظم الأحيان يساعد الإجابة عليها نوع من التعذيب، ويلاحظ أن العلاقة الوثيقة التي توجد في العقلية المصرية بين فكرة السؤال وبين فكرة الحض على جواب صادق قد

عبر عنها في اللغة المصرية ببعض جمل مثل: «يمتحن بالضرب.»

والطرق التي كانت تستعمل لحض الشاهد على الكلام ثلاث، وكلها قد ذكرت في الورقة رقم ١٠٠٥٢ (ص٥ س٢٣، ص٧ س١٧) وهي العصا أو فرع الشجرة (نقز) وكذلك الضرب بالفلقة (المد في الفلقة كما يعبر عنه في عصرنا).

وقد كان التعذيب من أي نوع يستمر حتى يقول الشاهد: قف، سأعترف. وبعد ذلك يتلو بيانه، فإذا وجد أنه غير مُرْضٍ ضُرب ثانية أو عذِّب، وقد يحدث أن يشفع ذلك بالضرب مرة ثالثة، وكان هذا الضرب يؤدي إلى الاعتراف عادة بالمعلومات المطلوبة، أو إذا لم يؤدِ إلى ذلك فإن هذا الجزء من المحاكمة كان ينتهي بقول الشاهد: إني لم أرها، أو بقول الكاتب الذي يسجل الشهادة: إنه لا يريد الاعتراف. وقد كان يعترف أحيانًا بغير الحقيقة من شدة ألم الضرب.

وفي كثير من الأحوال لم يذكر لنا اسم واضع الأسئلة للمسئول؛ لأنه في معظم الأحيان يعبر عنه بضمير الغائب عادة، قال واحد له: قص قصة ذهابك لمهاجمة المقابر ... إلخ، وفي حالات قليلة على أية حال قد ذكر أن الوزير (الورقة رقم ١٠٠٥٢ ص٣ س١٨، ٤ س٦) أو ساقي الفرعون يضع سؤالًا، وكذلك نجد من وقت لآخر كاتبي الجبانة يضعان أسئلة، ولم يُذكرا ضمن الأشخاص الذين يؤلفون هيئة التحقيق ولكنهما كانا حاضرين بلا شك ليمثلا مصالح الجبانة (ص١ س١٩، ص٥ س١٤، ١٧). وبالإضافة إلى التعذيب كانت توجد طريقة أخرى كان يُظن أنها ذات أثر في استخلاص الحقيقة من الشاهد أو الجاني، وذلك بحلف اليمين؛ غير أن هذه الطريقة لم تحل محل التعذيب؛ لأننا نجد في كثير من الحالات أن الطريقتين كانتا تستعملان والاسم الذي استعمل للقسم هو «حياة السيد» أي: الملك. وأصل هذه الصيغة يرجع كما هو معلوم تمامًا إلى قسم بحياة الملك، وغالبًا بحياة الإله أيضًا، مثال ذلك: بحياة «رع»، وبحياة الملك سأفعل ... إلخ.

وكان يقال عند التعبير عن حلف اليمين أن الشاهد أخذ اليمين[٤١] أو أن اليمين قد أعطي له، وأبسط صيغة لليمين كان يضاف لها «ألا أتكلم الكذب.» وأحيانًا نجد في ألفاظه إشارة إلى العقاب الذي يوقع في حالة الحنث باليمين، مثال ذلك: «على شرط أنه يشوه» أي: يُجدع أنفه وأذنه. ولدينا عقوبتان أخريان من نوع خاص: إحداهما الوضع على الخازوق. والثاني هو النفي إلى بلاد «كوش»، أو بعبارة أكثر تفصيلًا إلى فرقة «كوش». ومن هذا يجب أن تفهم أنه كانت توجد حامية في مكان قاصٍ مثل «كرما»، أو فرقة جنود كانوا يشتغلون عمالًا في مناجم الذهب في بلاد النوبة، وهذا هو نفس المتبع في أيامنا مع المجرمين الذي يبعثون إلى الطور وغيره من الأماكن النائية.

على أنه توجد صيغ كثيرة لحلف اليمين؛ فنجد مثلًا في الورقة رقم ١٠٠٥٢ (ص٢ س١٥) أن سجينًا قد نطق يمينًا بكلماته هو كالآتي: بحياة «آمون»، وبحياة الملك؛ إذا وجد أي رجل معي قد أخفيت اسمه فليوقع عليَّ عقابه ... إلخ.

والأشخاص الذين حُقق معهم في هذه المحاكمات لا ينحصرون في المجرمين، بل كذلك في شهاد الجريمة، والذين تصرفوا في الأمتعة المسروقة، وكذلك الذين رآهم آخرون في جوار الأماكن أو المقابر التي اعتدي عليها أو خربت. وفي حالة أو حالتين قبض على أشخاص أبرياء (الورقة رقم ١٠٠٥٢ ص١٤ س٢٥). والظاهر أن كل الشهود، سواء أكان يعتقد أنهم مذنبون أم أبرياء، قد عوملوا جميعًا معاملة واحدة عند التحقيق معهم، وقد ضرب أكثر من شخص من المواطنين الأبرياء مرة أو أكثر من مرة قبل أن تجد لجنة التحقيق أو المحكمة أنه بريء من أية علاقة باللصوص، ثم يطلق سراحه (راجع الورقة رقم ١٠٠٥٢ ص٤ س٤، ص١٤ س٢١) وإذا اتفق أن مجرمًا قد مات فإن ابنه أو زوجه كان يؤتى به أو بها للتحقيق فيما ارتكبه المتوفى (راجع «ماير A») من جرائم.

وكذلك يمكن أن يحقق مع خادم فيما يخص سيده (الورقة رقم ١٠٠٥٢ ص٧ س٢، ص١٠ س١٦).

وقد كان ضمن حيل القضاة أن يواجهوا الشهود بعضهم بالبعض الآخر. وقد كان المشتبه في أمره أحيانًا يترافع عن براءته، ويضيف إلى ذلك قوله: «دع أي رجل يتهمني أن يحضر إلى هنا.» وفي بعض الأحيان لا تجد المحكمة على ما يظهر جوابًا على ذلك، ولكن في أوقات أخرى كان يؤتى بالمتهم في الحال، ويوجه إليه تهمته، وفي حالة واحدة أحضر عدد من المساجين أمام المحكمة لأجل أن يتهم بعضهم البعض الآخر (راجع الورقة رقم ١٠٠٥٢ ص٦ س١٦). وفي حالة أخرى (الورقة رقم ١٠٠٥٢، ص٢ (١) س٧) نجد سجينًا يطلب إحضار أحد رفاقه لأجل أن يصدق على ما قاله، فأحضر الرجل في الحال وصدق على ما أدلى به المتهم.

وكل من يقرأ المحاكمات التي في الورقة رقم ١٠٠٥٢، وورقة «ماير A» لا يشك في أن ما جاء فيها من طرق الأسئلة يعتبر أكثر من الدرجة الثالثة بالنسبة لنا، ومع ذلك قد حصل بها على مقدار ضخم من المعلومات الصحيحة؛ وإنه لمن الصعب أن نكوِّن فكرة عن مقدار عدم نجاح هذه الطرق، فهل كانت بسبب عدم القدرة على الحصول على حقائق هامة، أو بالنسبة للحصول على بيانات كاذبة؟ وهذا ما لا يمكن الحكم به، ففي ورقة ١٠٠٥٢ (ص١٤ س٢٠–١) نقرأ عن رجل أخبر شاهدًا عليه بألا يعترف بأي شيء، وبذلك ينجيه، ولكن مما يؤسف له أن كلام المحرض قد سمع، وبلغ للمحققين، وتجد مرة واحدة لا ثانية لها (Mayer A, 6, 17) أن رجلًا عندما ووجه بأفراد كان قد اتهمهم سحب اتهامه ثم قال: «لقد قلت ذلك من الخوف.» وهذه هي أمثلة تلقي بعض الشك على قيمة الطرق التي استعملت في التحقيق، على أن القائمة الكبيرة بالمحكوم عليهم، وهي التي نجدها في نهاية ورقة «ماير A» ترى فيها شاهدًا بارزًا على مقدار مهارة الطرق التي استعملها «إسكتلنديارد» المصري للقبض على المتهمين.

السلطة التي كان في يدها إصدار الحكم، ونوع العقاب الذي كان يوقع

ليس لدينا، مما يؤسف له، إلا مادة قليلة عن هذه الموضوعات؛ وذلك لأن الأوراق التي في أيدينا لا تزيد كثيرًا عن كونها سجلات دونت فيها الحقائق الواقعة التي وردت في المحاكمة، ولكن كان يحدث أحيانًا في القضية التي كان قد سجل فيها المحاكمات تسجيلًا كاملًا، وأعني قضية الورقة رقم ١٠٠٥٢ و«ماير A»، والورقة رقم ١٠٤٠٣ أن نرى بعض التعمق في الأحكام عن طريق سلسلة القوائم التي تختتم بها ورقة «ماير A». وهذه القوائم لا تخلو من صعوبات، كما سيظهر حالًا حتى عندما ندرسها مع كل الحقائق التي أمام أعيننا. فالقائمة «٢ب» (وإني أتناول هنا فقط المحاكمة الخاصة بالسرقات من الجبانة) تحتوي على ستة أسماء، وقد عنونت: لصوص الجبانة الذين حقق معهم، ووجد أنهم كانوا في الأماكن أي في المقابر. وهؤلاء إذن هم الرجال الذين وجدوا مذنبين بسبب التهمة الرئيسية الخاصة بالسرقة من المقابر.

والقائمة «٣ب» تقدم لنا رجلين تسلما بعض الفضة من آخرين عندما هدداهم بالفضيحة (؟) ... على الرغم من أنهما لم يذهبا. وهذه العبارة قد فسرها لنا ما جاء في الورقة ١٠٠٥٢ (ص٥ س١٨-١٩) حيث نجد لصًّا يصرخ بأنه هو ورفاقه قد أعطوا بعضًا من الفضة لهذين الرجلين، عندما سمعا عنها (أي السرقة) على الرغم من أنهما لم يذهبا معنا إلى هذا القبر. فهذان الرجلان قد أخلى سبيلهما فيما يخص التهمة الأصلية وهي السرقة؛ غير أنه قد حكم عليهما بسبب تسلم فضة عرف بأنها مسروقة.

والقائمة «٤ب» ذات عنوان مربك: (قائمة باللصوص الذين أحضروا من المكان الذي كان فيه الفرعون وحقق معهم) ولو أن اللصوص قالوا: إنهم لم يكونوا معهم، والذين انحدروا في النيل. ويلاحظ أن الرجال الذين تحتويهم هذه القائمة ما عدا واحدًا وهو «نسبرع» صانع الجعة، لهم علاقة بما سميناه قضية أو حادثة «إفآمون» (راجع التعليق على الورقة رقم ١٠٠٥٢) غير أن معلوماتنا يظهر أنها غير كافية لتوضيح عنوان هذه القائمة. إذ يتساءل الإنسان: من هم اللصوص

الذين قالوا: إن هؤلاء لم يكونوا معهم؟ هل كانوا هم اللصوص الستة الذين ذُكروا في القائمة «٢ب»؟ وأين كان الفرعون في هذا الوقت؟ وبطبيعة الحال لم يكن في «طيبة»، ولماذا ذهب الرجال منحدرين في النيل؟ كل هذه مسائل تحتاج إلى أجوبة.

والظاهر أن القائمة «ب٥» هي التي تلخص كل الموقف. فنحن لا نعلم شيئًا ما عن سبعة الرجال الذين حكم عليهم بالجلوس على خوازيق، كما لا نعلم كذلك شيئًا ما عن الخمسة عشر الذين قضوا نَحْبَهم في القتال الذي دار في الإقليم الشمالي، ولا عن الثلاثة الذين قتلهم «بينحسي» والاثنين الذين كانوا ... ويأتي بعد ذلك: لصوص قد سجنوا ولا يزالون أحياء وفي صحة: تسعة عشر رجلًا. وإنه لمن الصعب أن نعتقد أنه قد وجد من باب المصادفة أن مجموع القائمتين «ب٢»، و«ب٤» هو كذلك تسعة عشر. وبعد ذلك يأتي ستة رجال قد هربوا، وأخيرًا أربعة رجال قد فصل في قضيتهم. وظاهر أن هذا القرار قد أخذ صورة البراءة يدل على ذلك أن اثنين قد أطلق سراحهم قطعًا، على حين أن التهمة التي كانت وجهت لثالث، ويدعى «بنفر أحاو»، هي أنه غسل ملابس مسروقة لسيده. أمَّا ما قرر عن الشخص الرابع المسمى «بنتاور» (راجع الورقة رقم ١٠٠٥٢ ص٨ س٢٥ ... إلخ) فإنه بكل أسف وجد ممزقًا، ولكن نزعم أنه قد برئ أيضًا.

وهذه القوائم في حين أنها تمدنا بملخص غاية في الأهمية عن المحاكمة، وترينا عرضًا أنه كانت توجد محاكمات سابقة من هذا النوع، كان من نتائجها الحكم على سبعة بالإعدام؛ لا تعلمنا الشيء الكثير عن المسلك الذي اتبعه أصحاب السلطة في ذلك. ولا شك في أن القرارات التي وصل إليها قد وضعها الحكام المحققون بعد أن سمعوا الشهادات، وكذلك بعد الاستشارة فيما بينهم. على الرغم من أنه لم يبقَ لنا أي سجل عن هذا. ولا يمكن أن يكون العقاب على سرقة المقابر، وهي جريمة مزدوجة الفظاعة؛ لأنها تشمل إلحاق الضرر، بل أحيانًا إتلاف أجسام الموتى، إلا الإعدام.

وإذا كنا في حاجة إلى البرهان على ذلك فلدينا ما جاء في القائمة «ب٥» التي اقتبسناها فيما سبق، وكذلك ما جاء في الورقة رقم ١٠٠٥٢ (ص٨ س١٩-٢٠) حيث نجد شاهدًا يقول: لقد رأيت العقاب الذي وقع على اللصوص في زمن الوزير «خعمواست»، فهل أنا الرجل الذي يذهب ليبحث عن الموت بنفسه، في حين أني أعرف ما يعني؟ ومع ذلك فإن اللصوص لم ينفذ فيهم الإعدام في الحال؛ لأننا قد رأينا الآن أن تسعة عشر منهم في السجن أحياء، وفي صحة، والسبب المحتمل لذلك أن أحكام الإعدام هذه كانت تعرض على الفرعون للتصديق عليها قبل أن تنفذ، وهذه المحاكمة كما رأينا فيما سبق قد وكل أمرها الفرعون لجماعة من الموظفين وعلى رأسهم الوزير، فأي شيء أكثر طبعية من أن هذه كان من واجبها محاكمة المذنبين فيطلقون سراح الأبرياء على مسئوليتهم، ولكن يعرضون المجرم على الفرعون ليلاقي حتفه؟ ونجد مثل هذا الإجراء في ورقة (أمهرست وليو بولد الثاني ص٣ س٩) حيث نقرأ وضع التحقيق معهم، واتهامهم كتابة. وأرسلت رسالة إلى الفرعون بخصوص ذلك من الوزير، وساقي الفرعون، وحاجبه، وأمير «طيبة»، وإنه لمن المجحف طبعًا أن نستخلص من حقائق هذا النوع أن عقاب الإعدام في مصر كان يوقع بأمر الفرعون فقط. فهذه محاكمات حكومية ذات أهمية عظيمة تبلغ في أهميتها تقريبًا بلا شك تلك المحاكمة، التي تحدثنا عنها في مؤامرة حريم القصر في عهد «رعمسيس الثالث» وهي المؤامرة التي دبرت لقتله، على أن إحالة الفرعون أمر محاكمة المتآمرين على قتله في تلك القضية إلى محكمة خاصة أعطاها قوة الحكم بالإعدام أو براءة المتهمين، مما يجعلنا نظن أن الفرعون كان في الأحوال العادية قد حفظ لنفسه هذا الامتياز.

ولا نعلم إلا القليل عن الطريقة التي كان ينفذ بها حكم الإعدام في مصر القديمة، وقد أخبرنا أن سبعة رجال قد نفذ فيهم حكم الإعدام فيما سبق بالخازوق، وهذا العقاب يشار إليه كثيرًا عند حلف اليمين في أثناء تأدية الشهادة. والعبارة هي: إذا وجد أني تكلمت كذبًا فلأوضع على خازوق. وليس

لدينا شواهد أخرى من الأدب المصري عن هذا العمل الفظيع الذي كان عظيم الانتشار في بلاد «مسوبوتاميا»، وفي مصر في القرون الوسطى أيام حكم المماليك.

(٣) «أمنحتب» الكاهن الأكبر «لآمون» في عهد «رعمسيس التاسع»

تحدثنا فيما سبق عن السرقات التي حدثت في المقابر والمعابد الواقعة غربي «طيبة» في عهد «رعمسيس التاسع» بخاصة، وفي نهاية الأسرة العشرين بعامة. وقد رأينا أن الكاهن الأول «لآمون أمنحتب» قد كان له شأن عظيم في هذه التحقيقات؛ إذ كان يحتل فيها المركز الذي يلي الوزير. ولا غرابة فإن كل ما لدينا من معلومات توحي بأن كهنة «آمون»، وعلى رأسهم الكاهن كان نفوذهم يتزايد باطراد. وقد تحدثنا عن «نسآمون» فيما سبق، غير أننا لا نعرف حتى الآن المدة التي مكثها في هذه الوظيفة، ومن أجل ذلك أصبح من المستحيل علينا أن نحدد العهد الذي خلفه فيه أخوه «أمنحتب».

فإذا كان صحيحًا كما يدعي «بتري»[٤٢] أنه تزوج من «إزيس» بنت «رعمسيس السادس» في أثناء حياة هذا الفرعون، فلا بد من أن نعترف بأنه شغل هذه الوظيفة حوالي (١١٦٢–١١٥٩) ولكن ليس لدينا ما يبرهن على أنه تزوج من «إزيس» هذه، وكون هذه الأميرة تحمل لقب «الزوجة الإلهية لآمون»، ولقب «المتعبدة الإلهية» لا يعني قط كما يعتقد «بتري» أنها كانت امرأة كاهن أكبر. فنحن نعلم صفة الزوجات الثمان اللائي ينسبن إلى الكاهن الأكبر «لآمون» في عهد الأسرة الثامنة عشرة حتى الأسرة العشرين، فسبع منهن كن «الحظيات العظيمات لآمون»، وواحدة كانت مغنية بسيطة له، وسنبين أنه في عهد الأسرة الواحدة والعشرين قد تزوجت من «بينوزم الأول» الفرعون الكاهن امرأة كانت تحمل لقب «المتعبدة الإلهية»، وإذا كنا قد وجدنا أنها تحمل هذه الألقاب السابقة، فذلك بوصفها أميرة ملكية (وقد كانت بنت الفرعون «بوسنس الأول») وأنها كانت زوج ملك لا زوج كاهن، هذا فضلًا عن أن الملكة «كارعما» زوج «شيشنق

الأول» حملت هذه الألقاب فيما بعد، وكذلك الملكة «مري موت كرعماما» زوج الملك «تاكلوت الثاني»، وأخيرًا لم نجد «أمنحتب» هذا يشير إلى زوجه على آثاره العديدة التي خلفها لنا. والواقع أن «أمنحتب» لو كان فعلًا قد تزوج من «إزيس» هذه التي تنسب إلى البيت المالك لما تردد في ذكر هذه الصلة ببيت الفرعون. (والحوادث الهامة التي تنسب إلى هذا الكاهن هي التي وقعت في عهد «رعمسيس التاسع» ١١٥٦–١١٣٦ق.م)، وقد أرَّخ عدد كبير من الوثائق التي ظهر فيها اسم هذا الكاهن العظيم للسنين التالية من عهد هذا الفرعون، وبخاصة السنة العاشرة والسادسة عشرة والسابعة عشرة.

والظاهر أن «أمنحتب» بن «رعمسيس نخت» — وقد كان مغرمًا بنسبته إلى أبيه «ليبرز» صفة الوراثة في الأسرة — قد رقي من وظيفة الكاهن والد الإله إلى وظيفة الكاهن الأكبر «لآمون» مباشرة، فكان مثله في ذلك كمثل والده. ويلاحظ أنه في نقشين من نقوش «الكرنك» ذكرت مع اسمه وألقابه العبارة التالية: «على عرش والدة الكاهن الأكبر «لآمون» ملك الآلهة «رعمسيس نخت».» (راجع G. Lefebvre. Inscrip. Nr. 34 et 41) وكذلك كان «أمنحتب» مثل والده يشغل في القصر الملكي وظيفتي سكرتير الملك ومدير البيت، وكان كذلك مهندس عمارة. وفي الحق تلقبه النقوش فقط: المدير العظيم لكل أشغال جلالته. ومن المحتمل أنه كان مكلفًا ببناء المباني القليلة التي شرع في إقامتها «رمسيس التاسع» في «طيبة» (راجع Br. A. R. IV. & 490) فنشاهد في معبد الكرنك على واجهة الأثر المهدم، الذي يشمل محراب «تحتمس الثالث» المصنوع من المرمر، بقايا نقش يشيد بذكرى الأعمال التي نفذت في المعابد الجنازية الخاصة بفراعنة الرعامسة، وبخاصة «رعمسيس الثالث» و«رعمسيس السادس» على يد أحد الكهنة العظام قد مُحي اسمه. ويظن كل من «مسبرو» و«برسند» أن هذا الاسم الممحو هو اسم «أمنحتب»، وهذا محتمل جدًّا. وعلى أية حال فإن نشاط «أمنحتب» كان بارزًا في الكرنك نفسه في ضيعة إلهة، أو بعبارة أخرى في إقطاعية الكاهن الأكبر. وتشير النقوش الممزقة بكل أسف،

التي على قاعدة تمثاله الوحيد إلى أعمال البناء التي قام بها ... ومحضرًا (؟) عمالًا في كل الأعمال العظيمة، فبنيت «المكان العظيم» الواقع جنوبي البحيرة ... وأقمت ثانية هذا ... لمعبد «آمون»، وشيدت أبوابه المزدوجة المصنوعة من خشب «مري» المزينة بالنقش الغائر بالذهب الجميل ... وقد بنيته بطريقة ممتازة بشغل دقيق ... (راجع Musée du Caire, No. 36348 Legrain, A. S. V. p. 21). وربما كان المقصود هنا جزءًا من مسكن الكهنة العظام الذي رأينا فيما سبق أن «رومع-روي» منذ ثمانين سنة مضت قد أصلح فيه المباني الخاصة بالخبازين، وصناع الجعة (راجع مصر القديمة جزء ٦).

وأعمال البناء التي قام بها «أمنحتب» وقد ذكرت بتفصيل كثير في نقش آخذ الآن في الانمحاء عامًا بعد عام، حُفر في نهاية الجدار الشرقي من الردهة الداخلية للبوابتين السابعة والثامنة، وهذا المتن الهام (راجع Lefebvre. Ibid. p. 267 (j)) يعود بنا إلى الأصول القديمة إلى مساكن الكهنة العظام والإصلاحات التي أجريت فيها. وهذا المتن يصف بالتفصيل الأعمال التي قام بها «أمنحتب»: «عمل تحت إدارة من تسلم تعليمات جلالته؛ الكاهن الأول «لآمون رع» ملك الآلهة «أمنحتب» إذ يقول: لقد وجدت هذا المسكن المقدس للكهنة العظام (١) «لآمون» من الزمن القديم، وهو الذي في أملاك «آمون رع» ملك الآلهة قد صار خربًا، وهذا البناء كان قد أقيم في عهد الملك (٣) «خبر-كا-رع» بن «رع» (سنوسرت الأول) وقد تم بناؤه جيدًا (في هذا الوقت) (وفيما بعد) قد أصلح ثانية بطريقة ممتازة بشغل متقن (٤) وعلى ذلك فإني أمرت بتحديد سمك جداره من الخلف والأمام، وأقمت (؟) على هذا الجدار، وعملت عمده وإطارات الباب (٥) العظيمة بالحجارة بشغل متقن، ووضعت فيه بوابات عظيمة من خشب الصنوبر جمعت بصورة جميلة، وأقمت على جداره العظيم المصنوع من الحجر الذي يطل خارج الـ (؟) ... لكاهن «آمون» الكبير الذي في بيت «آمون». وقد وضعت لبابه العظيم المصنوع من الصنوبر أقفالًا من البرنز، ونقوشًا غائرة من الذهب الجميل ... وأقمت بوابته العظيمة (؟) المصنوعة من الحجر التي

تؤدي إلى البحيرة الشمالية على (الـ ...) (٨) طاهر لبيت «آمون»، وأحطته بجدار من اللبن، ونصبت اللوحات العظيمة المصنوعة من الحجر، على إطارات البوابة، وعلى العمد (؟) (٩) وعلى الأبواب المصنوعة من الصنوبر، وعملت ... من الأحجار الضخمة التي سُحبت حتى هناك، ونحتت ... (١٠) باللقب الملكي باسم الملك العظيم (سيدي ...) وأقمت خزانة جديدة في الردهة العظيمة باللبنات ... (١١) ... عمد من الحجر، وأبواب من الصنوبر منقوشة ... (١٢) ... جلالته، وكانت خلف مخزن دخل «آمون» ...» والنقوش التي تأتي بعد ذلك بها فجوات كبيرة جدًّا، وفي نهاية النقش صلاة محفوظة موجهة بلا شك للإله «آمون»؛ ليحفظ «رعمسيس التاسع» و«أمنحتب» نفسه.

وهذا المتن كما قلت قد نقش في داخل ردهة البوابتين السابعة والثامنة، وهو قريب جدًّا من الباب الخلفي المؤدي إلى البحيرة، وإلى مسكن الكهنة العظام، والباب الخلفي معاصر للبوابتين، ويرجع تاريخه إلى الأسرة الثامنة عشرة؛ غير أن جدرانه لم تكن مزينة، وقد كان أول من زخرفه «أمنحتب»، ففي اللوحة التي في شمال الكوة نقش منظر مثل فيه «أمنحتب» لابسًا جلد الفهد، ومقدمًا «لرعمسيس التاسع» الأزهار، والكاهن الأكبر هنا قد صور بنفس حجم الملك، فيقول له: «لك[٤٣] طاقة «منتو» المبجل في «طيبة» سيد النصر، وأمير الأقواس التسعة، رئيس الآلهة وملكهم، ليته يعطيك القوة على الجنوب، والنصر على الشمال.» واسم الكاهن الأكبر مصحوب هنا بألقابه الرئيسية: «عمل تحت إدارة ذلك الذي تسلم التعليمات من جلالة الأمير حامل الخاتم الملكي، السمير الوحيد، والثقة الممتاز عند سيده، والكاهن والد الإله، محبوب الإله، أعظم الرائين «لرع-آتوم» في «طيبة»، والكاهن «سم» لأفق الأبدية (أي المنقطع لسدانة قبر الفرعون) وفاتح أبواب السماء؛ ليرى من يوجد فيها (أي أبواب المعبد) الطاهر اليدين ليقدم البخور للإله «آمون» في المسكن العظيم للرئيس، والمدير العظيم للأشغال في بيت «آمون» الكاهن الأول «لآمون»؛ ملك الآلهة «أمنحتب» ابن الكاهن الأول «لآمون» بالكرنك «رعمسيس نخت».»

وعتب الباب وعارضتاه الخارجيتان قد بدئ في تزيينهما؛ فنجد في وسط العتب قد نقش طغراء «رعمسيس التاسع» جالسًا على علامة ضم الأرضين 𓋀 وحولها إلهان يمثلان النيل يربطان النباتين اللذين يرمزان إلى جنوب الوادي وشماله، وعلى اليسار يشاهد «آمون» جالسًا، يتقبل تحية الكاهن الأكبر «أمنحتب» ومرتديًا ملابس الاحتفال راكعًا أمام الإله، وكان المنتظر هنا أن يتقبل تحيات الفرعون. وفي الجهة اليمنى كان قد بدئ في تصوير المنظر نفسه، ولكن لم ينقش منه غير صورة الإله، وصورة الكاهن الأكبر لم تكن موجودة (راجع L. D. III. 237 d).

والظاهر أن الحفار قد قُوطع في عمله لسبب لا نعرفه.[٤٤] وكذلك ترك كل عارضة الباب اليمنى خالية من النقوش. أما العارضة اليسرى فإنها قد زينت بشريطين غير متساويين في الطول، وقد اختفى الجزء العلوي منهما، ويتألف الشريط الأول من ثلاثة أسطر عمودية كتبت موازية، ويبتدئ كل منهما بدعوات للملك «رعمسيس التاسع» موجهة إلى الإله «آمون رع» ملك الآلهة، أو للآلهة «موت» أو للإله «خنسو»، وتنتهي كل من هذه الأدعية الثلاثة بالصيغة الآتية: «عملت تحت إشراف من تسلم تعليمات جلالته. الأمير والكاهن والد الإله، صاحب اليدين الطاهرتين، رئيس الكهنة، والد الإله المحبوب، من الإله الكاهن الأول «لآمون رع» ملك الآلهة «أمنحتب».» والمتن الثاني الذي يتألف من سطرين، وهو المكتوب على الشريط الآخر يلفت النظر بعض الشيء: «(١) ... يقول: إني رجل يعظم الإله، وينفذ أحكامه، ويمشي دائمًا على طرقه، ومن يضعه (الإله) في قلبه، وإني كنت سعيدًا في هذا اليوم أكثر من أمس؛ وفي الفجر المقبل سأكون أكثر سعادة أيضًا، وإني رجل يداه منضمتان على قضيب سكان السفينة، ويؤدي في حياته وظائف نوتي «آمون».» (٢) ... يقول: «إني رجل عامل الخير لاسم سيده في «الكرنك» والذي يعمل لتبقى ذكراه أبديًّا، في «المكان الفاخر»، أمام الروح الفاخر، لسيد الآلهة، وإني المدير العظيم للأشغال في بيت «آمون»، ومسير كل طوائف الحرف تحت أمري».

وبقية الجدار الخارجي، الذي يمتد شمالي الباب الخلفي كان كذلك قد زينه هذا الكاهن الأكبر النشط حوالي منتصف حكم «رعمسيس التاسع»، وقد عمل فيه ثلاث لوحات أفردت للإشادة بذكره هو، والواقع أنها تمثل الفوز الذي أحرزه «أمنحتب».

وفي اللوحة الوسطى مثل «أمنحتب» الكاهن الأكبر مرتين، وهاتان الصورتان الضخمتان تواجه إحداهما الأخرى وتملآن كل الإطار. وقد مثل لابسًا الملابس الرسمية، وتشمل ثوبًا طويلًا طُرح فوقه جلد الفهد، ويحلي جيده ثلاثة عقود، وينتعل حذاء، ويمسك بيده أزهارًا، وأمامه مائدة القربان محملة بالقربان، وتدل شواهد الأحوال على أنه يقدم التحية لنفسه، وكلا صورتيه محاطة بمتون لم يبقَ منها إلا بعض نُتَف. وتحتوي فقط على صيغ دينية تتلى لأجل الكاهن الأكبر؛ فمثلًا الصيغة التي نقرؤها خلف الصورة التي على اليسار هي (راجع G. Lefebvre. Insc. No, 28): (١) «… الذي ليس له مثيل، ليت الإله يعمل ليبقى اسمي، ويكون مخلدًا، وثابتًا مدة الأبدية لروح الأمير، حامل الخاتم الملكي، والسمير الوحيد، ووالد الإله، محبوب الإله، والكاهن المرتل المدرب، والماهر اليد، وحامل الإله في الأحفال، الكاهن الأول … إلخ.» (٢) «… بنور عينيه ليمد الإله في خيط حياتي في حين أني أرى صليه، وأن يصير فمي مملوءًا بأغذية بيته لأجل روح الأمير الممتلئ عناية بهذا الإله الطيب، والمعتني بآثار سيده، والعامل على أن تبقى ذكراه للأبدية، الكاهن الأول … إلخ.»

واللوحتان اللتان تكنفان اللوحة الوسطى إحداهما على اليسار (الجنوب) والأخرى على اليمين (الشمال) وقد ألفتا بصورة موحدة، غير أن النقوش التي تتبع المناظر المصورة قد اختلفت متونها، ولكنها تشابهت في محتوياتها، وسنكتفي هنا بوصف أكثر اللوحتين سلامة وبقاء، وهي التي على اليمين؛ فيظهر فيها الملك واقفًا لابسًا خوذة الحرب، ومرتديًا قميص الأحفال، وعباءة فضفاضة، ويحلي جيده عقد مؤلف من صفين، ويقبض بيده اليسرى على صولجان طويل، ويده اليمنى ممتدة نحو «أمنحتب» الذي كان يرتدي جلبابه الطويل، ويحلي جيده عقد مؤلف من أربعة صفوف،

وينتعل حذاء مثل الذي ينتعله الفرعون، وقد رفع ذراعيه علامة الاحترام والتحية للفرعون، ويلاحظ هنا أن الكاهن الأكبر قد رسم بنفس الحجم الذي رسم به الفرعون، كما شاهدنا في الصورة التي على الباب الخلفي، والفرق الوحيد الذي يميز الملك عن «أمنحتب» الكاهن الأول، هو أن الملك كان يقف على طوار صغير على حين أن قدمي الكاهن الأكبر كانتا تقفان على الأرض. ولما كان المثَّال يقصد أن يظهر بطريقة ما التساوي في الطول بين صورة الفرعون، وصورة الكاهن الأكبر، فإنه قد صور المديرَيْن — اللذين كانا يقفان بجوار «أمنحتب» للقيام بإلباسه أو تضميخه بالعطور — بحجم أقل منه مرتين؛ إذا لا يكاد الواحد منهما يصل في الرسم إلى حزامه.

ويلاحظ أنه قد وُضع بين الملك والكاهن الأكبر ستة حوامل عليها أوانٍ وأقداح وعقود من المعادن الثمينة. وهذه الأشياء هي المكافأة التي يقدمها «رعمسيس التاسع» إلى «أمنحتب» كما يدل على ذلك الخطاب الذي ينطق به الملك شخصيًّا قائلًا للعظماء والندماء الذين حوله: «لتمنح إنعامات عدة، ومكافأة يخطئها العد من الذهب الجميل ومن الفضة؛ وآلاف من كل شيء طيب، الكاهن الأول «لآمون رع» ملك الآلهة «أمنحتب» بسبب الآثار الممتازة التي عملها بعدد كبير في بيت «آمون رع» ملك الآلهة، وهي المكتوبة باسم الإله الطيب ملك الوجه القبلي والوجه البحري «رعمسيس التاسع».»

ولدينا كذلك نقش مؤلف من سبعة عشر سطرًا فيها تاريخ وتفاصيل الأحفال؛ وتدل على الإنعامات التي أعطيها «أمنحتب» (Lefebvre Insec. No. 42).

السنة العاشرة، الشهر الثالث من فصل الزرع، اليوم التاسع عشر في بيت «آمون رع» ملك الآلهة: قِيد الكاهن الأكبر «لآمون رع» ملك الآلهة إلى الردهة الكبيرة «لآمون» المسماة: «تعلن مدائحه» لأجل أن يعظم فيها بالكلام الطيب المنتخب. والعظماء الذين تقدموا لإطرائه كانوا: مدير

خزانة الفرعون (٥) والمدير الملكي «أمنحتب»، والمدير الملكي «نسآمون» وسكرتير الفرعون، والمدير الملكي «نفر كارع أم بآمون» (٦) حاجب الفرعون.

الأشياء التي قيلت له بمثابة مدح وتعظيم في هذا اليوم، في الردهة العظيمة الخاصة «بآمون رع» ملك الآلهة هي: ليت «منتو» يباركك، وليت يباركك روح «آمون رع» ملك الآلهة و«برع حوراختي» (٨) و«بتاح» العظيم في جنوبي جداره، سيد حياة الأرضين (منف) و«تحوت» رب الكلام المقدس، وآلهة السماء، وآلهة الأرض (٩) وليته يبارك لك روح «رعمسيس التاسع» رئيس مصر العظيم، والطفل الذي تحبه كل الآلهة بسبب العمل الذي أنجزته! وإن عشر الحصاد والضرائب والجزية (١١) التي على ناس بيت «آمون رع» ملك الآلهة ستكون تحت سلطانك، وإنك تقدر الضرائب التي ستدفع لك كلية على حسب مقدارها (؟) وستعمل (١٢) … وستعمل على أن يملئوا داخل الخزائن والمخازن وشون بيت «آمون رع» ملك الآلهة. وفضلًا عن ذلك فإن ضريبة الرءوس والأيدي ستتألف منها مئونة «آمون رع» ملك الآلهة، (١٤) وهي التي كنت تجعلها فيما سبق تحمل إلى الفرعون سيدك، وهذا هو واجب الخادم الطيب المفيد (١٥) للفرعون سيده، والذي يبسط مجهوداته ليعمل كذلك ما يفيد الفرعون سيده … (١٧) … الذي تعمله، وهاك التعليمات التي أُعطيت مدير الخزانة، ورئيس مديري الفرعون (١٨) لمكافأتك ولتعظيمك ولتدليكك بزيت الصمغ الحلو؛ ولأجل أن يعطوك أحواضًا من الذهب والفضة المحفوظة (؟) للخادم الطيب، وهي التي يعطيكها (؟) الفرعون سيدك. وأعطوها إياه سرمديًّا في … الردهة العظيمة لمعبد «آمون» في هذا اليوم …

وفي أسفل اللوحة نقشت ثلاثة أسطر طويلة (Lefebvre. Ibid No. 43) معددة المكافآت التي نالها «أمنحتب» وهي: عقد ملكي، وعقد من الخرز، وصندوق صغير، وإكليل ملكي، ومشابك ملكية، وأشياء ثمينة منوعة، وكلها من الذهب الجميل وتزن عشرة دبنات، وأوانٍ من الفضة بأشكال منوعة تزن عشرين دبنًا. فيكون الكل ثلاثين دبنًا من الذهب والفضة، وخلافًا لذلك خبز

ولحوم وجرار من الجعة، وشراب الخروب، وزيت الصمغ، وأخيرًا عشرون «أرورا» من الأرض المزروعة شعيرًا، وهي التي أمر رئيس مخازن الغلال أن يعطيها إياه.

وهكذا نرى أن «أمنحتب» الذي كان يحمل فعلًا ألقابًا ورتبًا سامية — إذ كان رئيس الكهنة للوجهين القبلي والبحري، وحامل خاتم الفرعون، والسمير الوحيد، ورفيق الملك العظيم في قصره — قد أغدق عليه المكافآت ذات الثمن الباهظ في حفل يذكرنا كثيرًا بالحفل الذي أقيم للوزير «باسر»، وهو الذي تسلم فيه هدايا مشابهة من يد الفرعون «سيتي الأول» (راجع مصر القديمة ج٦) (اقرن كذلك ما جاء على لوحة اللوفر = pierret, Louver.II p.10 C 218) حيث يرى الإنسان رئيس الحريم الملكي «حورمين» يتسلم الذهب بمقدار عظيم من يد نفس الملك «سيتي الأول»،[٤٥] ولكن لا يغيب عن الذهن أن مثل هذه الإنعامات قد حدثت في عهد الأسرتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة، ولكنها كانت مفردة للشجاعة والجدارة عادة (ولم يشذ عن ذلك إلا الإنعام الذي أغدق على الكاهن والد الإله «نفرحتب»،[٤٦] ولكن يمكن أن يفسر ذلك بدون شك لرغبة الملك «حور محب» في الحصول على رضا كهنة «آمون». ولدينا استثناء آخر حدث في عهد الأسرة العشرين، وهو ما عمل لحمى الكاهن الأكبر «رعمسيس نخت» المسمى «أمنمؤبت»، الذي تكلمنا عنه فيما سبق). وهذه الإنعامات كان يمنحها الضباط الذين تميزوا بشجاعتهم في ساحة القتال أو الوزراء العظام الذين وقفوا حياتهم على خدمة البلاد الإدارية، فكان يخرج من بين هؤلاء الكهنة الذين كان من أبرز صفاتهم المهارة في الدسائس.[٤٧] ومنح هذه العطايا الثمينة الكاهن «أمنحتب» كان مشفوعًا بكلمات مدح يستغرب الإنسان أن توجه من الفرعون إلى تابعه، والشيء الذي زاد في كبرياء «أمنحتب» أكثر من هذه الهدايا هو رؤيته أن الامتيازات التي نالها كانت تفوق في أهميتها حد المألوف. والنقش السابق على الرغم مما جاء فيه من عبارات مبهمة يدلنا على أن بعض الدخل، الذي كانت تجبيه فيما سبق الخزانة الملكية؛ لأجل أن تدفعه إلى خزانة «آمون» كان يجب منذ الآن أن يجبى مباشرة بوساطة كتاب المعبد، ثم يدفع مباشرة إلى خزانة «آمون». وعلى ذلك

أصبحت مالية «آمون» مستقلة في صورة ما، وحل الكاهن الأكبر محل الفرعون في جبايتها ومراقبتها، واستعمال جزء من دخل الحكومة. ومن البدهي أن «أمنحتب» الذي كان على علم بما يجري في البلاد، والذي كان يخاف على منفعته الشخصية، قد ضغط على «رعمسيس التاسع» الضعيف. والواقع أن مصر كانت في عهد أواخر ملوك الرعامسة تنحدر سنة بعد سنة نحو الفقر، ولم يكن لدى الفراعنة مال لإرسال الحملات إلى بلاد النوبة أو إلى «سوريا»، وكان أمر الدلتا و«منف» قد أُهمل، ووقفت الأعمال العامة، وقطعت الهبات التي كان يغدقها الفرعون على كهنة «طيبة»؛ ولولا أن «أمنحتب» هذا الرجل النافذ البصيرة قد نجح كما رأينا في تحويل جزء من موارد الدولة العادية لمنفعة «بيت آمون» لساءت حالتهم.

ونفهم أن هذا الكاهن الأكبر كان معجبًا بقوته، ولذلك فإنه مِثْلُ الكاهن الأكبر «رومع روي»[٤٨] قد نقش صورته على جدران المعبد، ولكنه قد تغالى في جرأته لدرجة أنه تجاسر على أن يصور صورته بنفس حجم صورة الفرعون، وبذلك أصبح مساويًا له في أعين الشعب كله، ومما لا شك فيه أنه منذ هذه اللحظة قد فكر في إيجاد طريقة يمكنه بها أن يحل محل سيده على كرسي الفراعنة العريق في القدم.

وقد اكتفى «أمنحتب» مدة النصف الثاني من حكم «رعمسيس التاسع» أن يلاحظ الموقف متمتعًا بالميزات التي اكتسبها، ومع ذلك نجد أنه كان يقوم بكل دقة بالواجبات التي كلف بها، ومن ثم نراه كما ذكرنا آنفًا يتدخل في التحقيقات القضائية، التي عملت في الجبانة الطيبية، وفي القضايا الشهيرة التي تبحث عن ذلك.

ولا نزاع في أن الثروة التي جمعت في مقابر العظماء والملوك كان لا بد أن تلهب شره المجرمين، والموظفين أنفسهم الذين وُكل إليهم أمر حراسة هذه الآثار. ولا أدل على مقدار الكنوز التي كانت تحويها مقابر هؤلاء الملوك من الذخائر النفيسة، التي كشف عنها في مقبرة «توت عنخ آمون» في

أيامنا. هذا ولدينا فكرة عن ثروة هذه المقابر، مما جاء على لسان لصوص مقبرة «سبكمساف» وزوجه، وقد فصلنا فيها القول عند الكلام على ورقة «أمهرست» و«ليوبولد الثاني». وقد رأينا أن الكاهن الأكبر «أمنحتب» قد عين في تحقيق السرقات المختلفة، كما عين مرتين لهذا الغرض على حسب ما جاء في ورقة «ماير A». ومتن هذه الورقة كما نعرف خاص من جهة بتخريب بعض مقابر الجبانة الطيبية (ومن بينها مقبرتا الملكتين «نسموت» و«بكورل»). ومن جهة أخرى بنهب «صندوق نفائس» ثم إحراقه، وكان يحتوي على أشياء غريبة كانت على ما يظهر ملك الكاهن الأكبر «أمنحتب»، وقد كان في الأصل في مخزن معبد «رعمسيس الثالث» بمدينة «هابو». ولكن في هذه المرة لم يقم «أمنحتب» بدور عضو من لجنة التحقيق أو عضو في المحكمة المكلفة بمحاكمة المجرم، بل ذكر اسمه في جملة ليست بالتأكيد ظاهرة تمامًا؛ غير أنها على جانب عظيم جدًّا من الأهمية في تاريخ «أمنحتب»، وفي تاريخ مصر نفسها في نهاية عصر الرعامسة.

وهاك الترجمة الأخيرة لهذه العبارة (راجع: J. E. A. Vol XIII. p. 254) على حسب رواية ورقة «ماير A»: وقد أحضر العامل «حوت نفر» بن «أمنخعو» بعد ذلك. وقد وُجه إليه اليمين بالملك على ألا يقول كذبًا، وسُمعت شهادته وقال: إن الأجانب أتوا، واستولوا على المعبد عندما كنت مكلفًا برعاية بعض الحمير لوالدي، وقد قبض على «بحتي» وهو أجنبي وأخذني إلى «إبت» (الأقصر) عندما كان «أمنحتب» الذي كان رئيسًا لمعبد «آمون» قد أُقصي مدة ستة أشهر. واتفق أنني عدت بعد تسعة أشهر من إقصاء «أمنحتب» الذي كان رئيسًا لمعبد «آمون» عندما كان صندوق النفائس هذا قد لحق به عطب، وأشعل فيه النار، والآن بعد أن عاد النظام قام أمير غرب «طيبة»، وكاتب الخزانة «بسمن نخت»، وكاتب الجيش «قاشوتي»: دعنا نجمع الخشب حتى لا يحرقه رجال المخزن. وعلى ذلك أحضروا ما كان قد تبقى، ووضعوا خاتمًا عليه، وإنه سليم إلى هذا اليوم. والآن فيما يخص هذا المكان الذي فيه بقية صندوق النفائس فقد حفظ فيه خشب العمال الخاص بالفرن، واتفق أني ذهبت هناك لأخذ الخشب، ثم قال: دع من يتهمني يحضر هنا. فأحضر

«نسآمون» بن «ببيك» فقالوا له: ما عندك لتقوله عن هؤلاء الرجال الثلاثة الذين سميتهم؟ فأجاب: شاهدتهم يذهبون إلى هذا المكان ... ماذا تقصد؟ شاهدتهم يكسرون الخاتم! إني لم أرهم قط يكسرون هذا الخاتم، لقد قلت ذلك خوفًا.

وقد أحضر «حوت نفر» ثانية فقالوا له: لقد ذهبت إلى هذا المخزن، فأجاب: إن ما كان موضوعًا في المخزن هو بعض خشب حريق خاص بالقربان المقدسة، لقد وضعته هناك لحفظ (؟) هذا الخاتم.

وسواء أكانت هذه العبارة صحيحة في تفاصيلها أم لا فإننا نخرج منها بحقيقة تاريخية لها قيمتها. فمهما كان أمر إبعاد هذا الكاهن الأكبر «أمنحتب» فإنه استمر على أقل تقدير مدة تسعة أشهر. والواقع أن الحادث كان من الأهمية بمكان لدرجة أن العمال استعملوه للتأريخ به كما يؤرخ العامة عندنا «بثورة عرابي» فيقال: ولد فلان في «هوجة عرابي»، وقد صحبه حوادث غريبة وقعت في مصر؛ لأنه من الجائز أن الأجانب الذين استولوا على المعبد، ويحتمل أنه معبد «مدينة هابو» كانوا يقومون بأعمالهم المشروعة كما سنفصل ذلك بعد.

وهل من الممكن أن نحدد هذه الحادثة؟ حقًّا نجد في ورقة «ماير A» (Mayer A I. 10 ff) أن «نسآمون» متهم «حوت نفر» قد أُحضر للتحقيق معه بسبب والده. وقد سئل أن يقص قصة ذهاب والده (ليتلف صندوق النفائس) مع شركائه، فأجاب: لقد كان والدي حقًّا هناك عندما كنت طفلًا صغيرًا وليس لي علم بما قد فعل. وقد حقق معه كرة أخرى بعد أن ضرب، فاتهم «حوت نفر» واثنين آخرين بأنهم كانوا في هذا المكان حيث صندوق النفائس. و«حوت نفر» هذا لم ينكر وجوده هناك غير أنه ينكر أنه اشترك في الجريمة الأصلية، وهي تهمة لم يرتكبها قط «نسآمون»، فهو يعترف أنه كان في المكان الذي فيه الصندوق الصغير، ولكن بعد التلف الذي حاق به وكان موجودًا لسبب شرعي تمامًا.

والجريمة الأصلية وهي التي يمكن أن نضعها تاريخيًّا بين الشهر السادس والتاسع لإبعاد «أمنحتب» على حساب كلام «حوت نفر»، قد حدثت عندما كان الشاهد «نسآمون» ولدًا صغيرًا. وفي زمن التحقيق معه بوصفه شاهدًا في السنة الأولى من عصر النهضة (وهي تتفق جزئيًّا مع السنة التاسعة عشرة من عهد «رعمسيس التاسع») كان «نسآمون» كاهنًا، ولم يعد بعد ولدًا صغيرًا. وإنه لمن الصعب أن نحدد هذه الفترة، ولكن لا بد أن تكون عدة سنين، ولا تكاد تقل عن ثلاث أو أربع. والسنين الأخيرة من عهد «نفر كارع» «رعمسيس التاسع» كانت سنين مليئة بالشدة والاضطراب؛ وذلك لأنه في السنة الثالثة عشرة من حكمه حدثت سرقة القبور التي تكلمنا عنها عند الكلام على ورقة «إبوت» وورقة «أمهرست وليو بولد الثاني»، وكذلك التي دونت في الورقة رقم ١٠٠٥٤ المحفوظة «بالمتحف البريطاني» في حين أنه في السنة السابعة عشرة حدثت السرقات التي دونت في ورقة «هاريس» (pap. B. M. 10054 Recto) A وبعض وثائق محفوظة في «تورين»، والهجوم الذي حدث على صندوق النفائس يمكن أن يكون قد حدث قبل السنة السابعة عشرة. ومن المحتمل أن يكون قبل السنة الثالثة عشرة؛ غير أن ذلك ليس ضروريًّا.

ولدينا إشارات عدة في أوراق البردي من هذا العهد تدل على الفوضى، التي يمكن أن تكون لها علاقة بالفترة التي أبعد فيها «أمنحتب». وقد أصاب الأستاذ «سبيجلبرج» عندما لاحظ أن نفس الحادث قد ذكر في الورقة ١٠٠٥٢ بالمتحف البريطاني (ص١٣ س٢٤) حيث نجد شاهدًا اسمه «موت مويا» يقول عن شخص معين: «والآن عندما وقع حرب الكاهن الأول سرق هذا الرجل سلعًا ملك والدي.» وإبعاد «أمنحتب» كان قد نفذ بشدة بالغة لدرجة أنه كان يستحق أن يطلق عليه اسم «حرب».

وكذلك نجد في متن «ورقة ماير» (pap. Mayer A 13, b 2) أن بعض اللصوص قد ذكروا بأنهم قتلوا «في حرب الإقليم الشمالي»، وبعد ذلك نقرأ في نفس السطر التالي عن اللصوص الذين ذبحهم «بينحسي». وهذه الواقعة في ذاتها يمكن أن تكون حالة قتل عادية، غير أنها تعيد إلى

ذاكرتنا فقرة جاءت في بردية ((Pap B. M. 10054 (10-11 ff) بالمتحف البريطاني. حيث نجد امرأة تدعى «إسي» زوج «كر» قد اتهمت بأنها قد تسلمت فضة مسروقة من زوجها، وعندما أنكرت ذلك سئلت أن تفسر «مِن أين لها هؤلاء العبيد الذين تملكهم؟» وقد وُجد أن تفسيرها غير مقنع، وأحضر أحد العبيد، وسئل كيف أنه أصبح في خدمتها. فقال: «عندما خرب «بينحسي» بلدة «حارداي» حصل عليَّ النوبي الصغير «بوتح آمون» ثم اشتراني النوبي «بنتسخن» منه. وقد أعطاني دبنين من الفضة (لاحظ مقدار ثمن العبد هنا). وبعد أن قتل اشتراني البستاني «كر» بثمن.» ونحن نعلم أن «حارداي» هي «سينوبوليس» Cynopolis عاصمة مقاطعة «ابن آوى»، وكانت قد خربت على يد رجل يدعى «بينحسي» النوبي، ويمكن أن نأخذ كلمة نوبي التي ذكرت هنا، والتي جاءت في فقرة «ورقة ماير A» لا على أنها علم بل بمعناها الحرفي «هذا النوبي»، أي ذلك النوبي الشهير الذي يعرفه كل إنسان في ذلك العهد. ومما تجدر ملاحظته أن العبد بعد تخريب المدينة المذكورة انتقل من يد نوبي لآخر على التوالي لاقى ثانيهما حتفه ذبحًا. والآن يتساءل الإنسان هل نفهم أن هذه الحرب كانت مجرد حرب محلية في مصر، أو هل حدث غزو نوبي اخترق البلاد شمالًا حتى مقاطعة «ابن آوى»؟ وهل قتل النوبي الثاني المالك للعبد «بنتسخن» يشير إلى استرجاع المصريين للمدينة؟

وعلى أية حال هل هذه الحرب هي التي أشير إليها في فقرة سلفت بمثابة «الحرب في الإقليم الشمالي»؟

ومهما يكن حل هذه المسألة فإن النوبيين لم يكونوا وحدهم هم الأجانب الذين ثبت لدينا وجودهم في مصر في هذا الوقت. فقد رأينا من قبل أن «حوت نفر» قد سلبه أجانب إذ قبضوا عليه في المعبد، هذا إلى إشارات كثيرة عن أجانب في متون هذا العصر (J. E. A. Vol. XII G 258 ff)، حيث نجد أنه في يوم خاص من أيام السنة الثالثة عشرة من حكم «رعمسيس التاسع» العبارة التالية: «إن عمال الجبانة لم يقوموا بأي عمل؛ لأنه لا يوجد أجانب.» (راجع Mayer Pap. A

V B, 4) وفي جزء آخر من يوميات جبانة «طيبة» من السنة الثالثة من حكم الفرعون «خبر ماعت رع» يتحدَّث عن عدم قدرة هيئة العمال على الاستمرار في العمل بسبب الأجانب أو اللوبيين، وكذلك نجد على قطعة بردي من عهد ملك غير معلوم من هذا العهد في السنة الثامنة من حكمه أن عمال المدينة قد أرسلوا للوزير رسالة يخبرونه أن «المشوش» زاحفون على «طيبة». وفي قطعة أخرى من نفس اليوميات نفهم منها أن غزوة هؤلاء «المشوش» قد ذكرت بتفصيل كبير. وعلى أية حال فإن هذه الإنذارات بقرب غزو البلاد قد مكثت سنين عدة، والظاهر أنها كانت المقدمة للحركة التي انتهت بغزو اللوبيين كما سنرى بعد.

وتحتوي كتابات يوميات السنة الثالثة عشرة من حكم هذا الفرعون على عدة إشارات تدل على خيبة الهيئة الحاكمة، وعدم قدرتها على إعطاء عمال الجبانة جراياتهم، وسواء أكان ذلك عاديًّا في عهد الرعامسة، أم يرجع إلى أسباب خاصة من النوع الذي نسعى في تتبعه، فإن هذا لا يمكن الجزم به. ونذكر أن «إري نفر» زوج «بنحسي» التي اعترفت أنها حصلت على بعض الفضة ببيع غلة في «سنة الضباع»، عندما كان الناس جياعًا (راجع الورقة رقم ١٠٠٥٢ ص١٢ س٨). وهذه إشارة إلى قحط حدث في البلاد ليس سببه قاصرًا فقط على نقصان النيل.

وزراء هذا العهد: وأخيرًا يجب أن نلفت النظر إلى حقيقة غريبة عن الوزراء في هذا العهد. ففي ورقة «إبوت» (ص٤ سطر ١٠) نعلم أن «نبماعت رع نخت» كان وزيرًا في السنة الرابعة عشرة من حكم الفرعون «نفر كارع» (رعمسيس التاسع) ولكن نعلم أنه في زمن المحاكمة التي وردت في وثيقة «إبوت»، أي السنة السادسة عشرة، لم يكن «نبماعت رع-نخت» هو الوزير بل كان «خعمواست»، ومع ذلك فإنه في الجداول التي على ظهر ورقة «إبوت» التي أُرخت بالسنة الأولى من عهد النهضة وهي التي تقابل السنة التاسعة عشرة على ما يظهر من حكم «رعمسيس الحادي عشر» وكذلك في ورقة «ماير A» وورقة «المتحف البريطاني» رقم ١٠٠٥٢، وكذلك الورقة رقم ١٠٣٨٣ كان الوزير هو «نبماعت رع نخت» ثانية. هذا فضلًا عن أن «خعمواست»

لم يكن وزيرًا بعد، وحتى لو كان يوجد في تلك الفترة وزيران، فإن وزير الوجه القبلي هو الذي كان له علاقة بأحوال «طيبة» (راجع Gardiner. Inscrip. of Mes p. 33, Notes 495) وذلك لأنه في ورقة «المتحف البريطاني» رقم ١٠٠٥٢ (ص٨ س١٩) نلحظ أن شاهدًا يقول: «لقد رأيت العقاب الذي وقع على اللصوص في زمن الوزير «خعمواست».» ومن ذلك يظهر جليًّا أنه في وقت التحدث لم يكن «خعمواست» وزيرًا. على أننا لا نعرف السبب الذي من أجله عزل «نبماعت رع نخت» بين عام ١٤ وعام ١٧ من حكم «رعمسيس التاسع»، ولا السبب الذي من أجله أعيد ثانية. فهل هذا العزل والتعيين له علاقة بعصر النهضة أي «إعادة الولادات»، وهو اسم بلا نزاع وضع ليدل على عهد جديد، وليس من الضروري على يد فرعون جديد. والظاهر أنه بين اختفاء «نبماعت رع نخت» وظهوره ثانية تولى أمر الوزارة وزير يدعى «وننفر». ولكن ما هو أدهى ظهور «وننفر» ثانية على ما يظهر بعد «نبماعت رع نخت» في عهد «رعمسيس الحادي عشر»، كما سنرى بعد (راجع Rec. Trav. XIII 6178). ولا زلنا في حيرة كيف نفسر كل تلك التقلبات، التي يرجع سببها إلى عدم معرفتنا إلا القليل عن تاريخ هذا العهد.

نهاية عهد «أمنحتب» الكاهن الأكبر

وبعد هذه الجولة في تاريخ وزراء هذا العهد نعود إلى سياق حديثنا عن الكاهن الأكبر «أمنحتب» ونهاية عهده. والواقع أننا نجهل كيف انتهت حياته. ومن المحتمل إذن أنه قد اختفى خلال وقوع إحدى تلك الحوادث الخطيرة، التي كانت قد أثرت عليه كما أثرت على الوزير نفسه فجعلته يعتزل الحكم أو يجبر على اعتزاله. ومن المحتمل إذن أنه كان قد أجبر على التخلي عن مهام أعماله. ومن الحقائق العظيمة التي لها أهميتها أنه وجد على التوابيت الخشبية التي تنسب إليه، وهي الموجودة «بمتحف اللوفر»،[٤٩] عدد عظيم من ألقابه الدينية إلا لقب الكاهن الأكبر فإنه لم يذكر. ومن ثم يمكن الإنسان أن يستنبط أنه عند موته لم يكن يشغل منصب رياسة الكهانة. ويحتمل أنه قد

حل محله وقتئذ الكاهن الأكبر «حريحور»، ويلاحظ كذلك أنه لم يصل إلينا من تماثيله إلا تمثال واحد ممزق بدرجة مريعة، فهل هذا من طريق المصادفة؟ أو حدث عمدًا، ومن جهة أخرى هل هذه التوابيت خاصة به حقيقة؟ والواقع أننا لسنا متأكدين من هذا، ويعضد هذا الشك أن المخروط الجنازي الوحيد الذي وصل (راجع Wiedemann Grabkegel. I. 13) إلينا باسمه قد ذكر عليه بجانب لقبه: السكرتير والمدير العظيم للبيت الملكي، لقب الكاهن الأول «لآمون رع». وعلى ذلك لن نعطي رأيا قاطعًا في هذا الموضوع عن نهاية عهد «أمنحتب» بوصفه الكاهن الأكبر «لآمون» إلى أن تصل إلينا معلومات وثيقة يعتمد عليها. وسنتناول هذا الموضوع ثانية عند ذكر الرأي الذي أدلى به «مونتيه» عن عصر النهضة.

(٤) الآثار التي خلفها «رعمسيس التاسع»

الإسكندرية

(١) قطعة من تمثال وجدت بالقرب من عمود بومبي (عمود السواري) تمثل «رعمسيس التاسع» راكعًا وقابضًا بيديه أمامه على لوحة أو آنية، وعلى جانب الجزء الباقي نقرأ تحت الذراعين: رب الأرضين «نفر كارع ستبن رع» محبوب «آتوم» رب «هليوبوليس». وهذه القطعة قد جُلبت من «عين شمس» (راجع A. S. V. p. 116-117).

(٢) مائدة قربان عليها اسم الفرعون «رعمسيس التاسع»، عثر عليها في الإسكندرية بالقرب من عمود «بومبي»، وهي الآن «بالمتحف المصري» (Ahmed Kamal. Tables. d’ Offrardes Cat. Gen. Cairo 79-80).

منف

العجل «إبيس الثالث» مات في عهد «رعمسيس التاسع».

والقبر الذي كان فيه هذا العجل كان منقوشًا عليه اسم فرعونين، ويبرهن ذلك وجود إناءين في مكانهما الأصلي في كوة سليمة لم تُمس، وقد وُجد أحدهما في الآخر، وكتب على أكبرهما اسم الملك «رعمسيس سبتاح». وعلى الثاني، وهو الصغير، اسم الملك «رعمسيس التاسع» «نفر كارع ستبن رع». ولا نزاع في أن الملك الأول ينسب إلى الأسرة التاسعة عشرة. (راجع Porter & Moss. III. 207) وفي «منف» وجدت كذلك قطعة من الحجر كتب عليها اسم «رعمسيس التاسع» (راجع Ibed p. 227).

الفيوم

ويوجد في «المتحف المصري» عتب باب وعارضته لقبر شخص يدعى «حوري»، وقد كتب على العتب اسم الفرعون «رعمسيس التاسع» ولقبه.

وعلى الجهة اليمنى واليسرى من هذا العتب، يشاهد «حوري» راكعًا ومتعبدًا للفرعون. وقد كتب أمامه: صلاة للفرعون من «حوري» هذا بوصفه كاهنًا وكاتب الجنود. وعلى عارضة الباب نُقشت صيغة القربان العادية «لآمون رع» ملك الآلهة، ورب السماء، وحاكم «طيبة»، والإله العظيم رب الأبدية، ووالد الآلهة ... إلخ لروح الكاهن الأول للإله «سبك» «حوري»؛ وكذلك نقش عليه صيغة قربان أخرى للإله «حرشفي» رب الأرضين، ورب «إهناسيا المدينة»، ورب السماء وللملك «رعمسيس التاسع»؛ ليقدموا قربانًا لرئيس الكهنة لكل آلهة الفيوم «حوري»، ومن ثم نعلم أن هذا الموظف كان يحمل ألقابًا هامة في عهد هذا الفرعون، وأن قبره كان في هذه الجهة (راجع Rec. Trav, XIV. p. 28).

الكرنك

وقد تكلمنا على بعض الآثار التي تركها في «الكرنك» عند الكلام على الكاهن الأكبر «أمنحتب» هذا بالإضافة إلى أن «رعمسيس التاسع» أقام بابًا في الجهة الشرقية من الردهة التي بين البوَّابتين

الثالثة والرابعة (Champ. Not. Descrip. II 127) وقد نُقش على عارضة الباب منظر يشاهد فيه هذا الفرعون يتسلم علامة الحياة من الآلهة «رعت تاوي» وعلى باقي العارضة نشاهد منظرين للفرعون يتعبد «لآمون رع».

وكذلك وُجد نقش على صقر باسم هذا الفرعون (راجع Wiedemann Gesch. p. 519).

الدير البحري

وُجد حق من العاج والبرنز وخشب الجميز عليه اسمه (راجع Maspero. Momies Royales. p. 584).

وكذلك وجد له في «الكرنك» قطعة من لوحة بين الجناح الجنوبي للبوابة الرابعة والمسلة الجنوبية «لتحتمس الأول» (راجع L. R. III (1) 2/0 (XVI) 3).

نقوش كاهن المعبد «أمي سب»: بالكرنك

وُجدت لهذا الكاهن نقوش على المباني التي تحيط بمسلة «تحتمس الثالث» في الصف الأسفل (راجع A. Z. XLIV. p. 40–1). وهذه النقوش كما يقول «زيته» كانت منقوشة نقشًا رديئًا وقد تآكل كثير منها، وهي على حسب طرازها، والخط الذي كتبت به ترجع إلى عهد الرعامسة، وهي لشخصية معروفة لنا من عهد «رعمسيس التاسع» وأعني بذلك كاتب المعبد «أمي سب»، وهو الذي اغتصب لنفسه مقبرة كبيرة لأحد عظماء الأسرة الثامنة عشرة في جبانة «شيخ عبد القرنة»، والنقوش التي وضعها هذا الرجل العظيم في معبد الكرنك تستلفت الأنظار، وهي من نوع سلسلة النقوش التي نجدها منذ عهد «سيتي الثاني»، وهي التي كان يسمح الكهنة الأول أصحاب النفوذ الممتاز لأنفسهم بكتابتها في معبد إلههم.

والواقع أن أقدم كتابة نقشها الكهنة لأنفسهم في معبد «آمون» «بالكرنك» من عهدي «سيتي الثاني» و«ستنخت» توجد على البوابة الثامنة، وبعد ذلك نجد صور الكاهن الأول «أمنحتب» ونقوشه من عهد «رعمسيس التاسع» كما ذكرنا، والأخير معاصر للكاتب «أمي سب» هذا الذي دون نقوشه على الجدار الموصل بين البوابة السابعة، والبوابة الثامنة، وبعد ذلك نجد كتابات الكاهن الأكبر «حريحور»، ومناظره في عهد «رعمسيس الحادي عشر» في معبد «خنسو» بالكرنك، وهي التي نجد فيها أنه كان يحل محل الفرعون … إلخ كما سنرى بعد.

والنقوش التي نحن بصددها (Rec. Trav. II, p. 155) قد نشرها «بوريان»، ومن بعده «ماكس مولر» بصورة أدق، غير أنه لم يفهم مضمون النقش، وقد وضع لها أخيرًا الأستاذ «زيته» ترجمة بيَّن بها معنى هذا المتن وهي:

(١) توزيع خبز القربان الأبيض الذي يحضره كاتب المعبد «أمي سب» من بيت «آمون» إلى ردهة «آمون» يوميًّا: ثمانون رغيفًا «جسو» (نوع من الخبز).

(٢) رئيس الحمالين، والحمالون: ستة أرغفة «جسو» شهريًّا.

(٣) رئيس حاملي القربان، وحاملو القربان: ستة أرغفة وعشرة، فيكون المجموع ستة عشر رغيفًا «جسو».

(٤) رئيس العمال … ستة أرغفة بيضاء …

(٥) رئيس المغنين …

(٦) المشرف على المغنين والمغنيات …

ومن ذلك نفهم أن النقش يتناول موضعًا بسيطًا، إذ يشير إلى الخبز الأبيض «جسو»، الذي كان يحضره الكاتب «أمي سب» يوميًّا إلى ردهة المعبد، ويعطي كل طائفة[٥٠] من خدام المعبد نصيبه.

ومفهوم بطبيعة الحال أن التوزيع الذي نجده هنا للخبز الأبيض، لا بد كان توزيعًا جديدًا كان قد أدخل في مدة خدمة «أمي سب» كاتب المعبد.

ويوجد «لرعمسيس التاسع» لوح نقش عليه اسمه «بالمتحف البريطاني» (راجع York & Leake. Mon. Prin. Brit. Mus. XI, 3.2).

وكذلك له تمثال مجيب «بالمتحف البريطاني» (B. M. 8570–1).

وفي متحف «كوبنهاجن» مسلة صغيرة باسم «رعمسيس الأول» اغتصبها «رعمسيس التاسع» (راجع Schmidt, Musée de Copenhagen. 19).

وفي متحف «مرسيليا» مائدة قربان أخرى باسم «رعمسيس الثاني» اغتصبها «رعمسيس التاسع» Mespero, Catalogue Marseilles 15.

وفي متحف «أفنيون» بفرنسا نقوش باسم «رعمسيس الرابع» اغتصبها «رعمسيس التاسع» (Wiedemann Gesch, p. 520).

الكاب: مقبرة «ستاو» الكاهن الأكبر للإلهة «نخبت»

عاصر الكاهن «إستاو» عدة فراعنة من عهد «رعمسيس الثالث» حتى «رعمسيس التاسع» وقبره يعد أحدث قبر عليه نقوش في مدينة «الكاب». وعلى الرغم من أنه نقش بعد مضي أربعمائة سنة من آخر مقبرة في هذه البلد فإنه نقش على طرازها ورسم على منوالها.

واجهة القبر: يشاهد لوحة رسم عليها المتوفى وزوجه يتعبدان للإله «رع حوراختي-خبري». وفي أسفل هذا أنشودة (راجع Champ. Notices Disc. I. 270). ويشاهد على الجانب الأيمن من الباب منظر إحراق القربان (راجع: Rec. Trav. XXXI p. 5th fig 4).

المدخل: فوق المدخل يشاهد «حوي» والد «ستاو» يقدم القربان للإله «رع-حوراختي-آتوم» (راجع L. D. Tex. IV. p. 49).

ثم ينزل الزائر إلى الحجرة الجنازية في أربعة سلالم، وهذه الحجرة تؤدي إلى ثلاث حجرات أخر. وعلى الجدار الأيسر من هذه الحجرة بعض مناظر مهشمة كانت تمثل الحرث والحصاد، ثم أربعة قوارب كانت مجهزة للعيد الثلاثيني للفرعون «رعمسيس الثالث». وقد تكلمنا عنه في عهد «رعمسيس الثالث» (راجع مصر القديمة ج٧). وقد شرح الأستاذ «جاردنر» هذا المنظر شرحًا ممتعًا (راجع A. Z, XLVIII, p. 50 ff.) والمنظر الذي نحن بصدده يشغل النصف الأعلى من النهاية الغربية للجدار الشمالي، وعند نهاية الركن من اليسار من أعلى يرفرف صقر كما يمثل كثيرًا مرسومًا على صورة الفرعون، والمفهوم أن الملك هنا هو «رعمسيس الثالث»، وقد نُحتت صورته متجهة نحو اليمين (وقد محيت الآن) وأمام الفرعون كان المنظر مقسمًا صفين، وما في الصورة هو ما تبقى من الصف الأعلى. أما الصف الأسفل فلا يزال موجودًا منه بقايا قاربين يتحركان نحو اليمين أي: بعيدًا عن الملك. والقارب الأول الذي على اليمين قد نشر شراعه وهو يجر سفينة مقدسة مشابهة من كل الوجوه للتي في الصف الأعلى، وعلى ذلك يمكن استنباط أن السفينة كانت تجري منحدرة في النهر نحو الملك في عاصمته بالدلتا، وفيما بعد إلى أعلى النهر إلى معبد «الكاب».

ويلاحظ أن محراب الإلهة «نخبت» كان أحمر اللون، والعقاب الذي فوقه أخضر أزرق بساقين بيضاوين، وشريط أحمر يخترق الجناحين، وجسم السفينة كان أزرق أخضر، ولكن المقدمة، والغزالتين، والسير الذي على جانب السطح لونت بالأحمر، وملابس الكاهنين بيض بخطوط حمر، والقارب الذي يجر السفينة أحمر اللون كذلك، وذقنه بيضاء والمجاديف حمر، وصفحاتها بيض، والشريطان اللذان يتدليان من الدفة أحدهما أحمر والثاني أبيض.

وفي الصف الأسفل نشاهد نفس القارب الأحمر ذي السكان الأبيض، وهو يجر السفينة الملونة باللون السابق. ويمكن رؤية بقايا رأس الغزالتين والحيوان الذي على السطح هو الفهد. ويقف كاهنان، واحد خلف الفهد والثاني أمامه كما في الصورة العليا.

والنقش الذي فوق القاربين قد نشر أكثر من مرة.[٥١]

وقد حاول الأستاذ «برستد» ترجمة هذا النص (B R. A. R. IV, & 414) غير أنه أخطأ تمامًا في فهم معنى المنظر، وهاك الترجمة:

> السنة التاسعة والعشرون ... الشهر ... الفصل، اليوم ... في عهد جلالة ملك الوجه القبلي والوجه البحري، سيد الأرضين «وسر ماعت رع مري آمون» بن «رع» رب التيجان «رعمسيس حاكم هليوبوليس». العيد الثلاثيني الأول. أمر جلالته حاكم العاصمة، الوزير «تا» بإحضار القارب المقدس للإلهة «نخبت» للعيد الثلاثيني، وأن تقام أحفالها المقدسة في بيت العيد الثلاثيني.
>
> الوصول إلى «بررعمسيس مري آمون» (قنتير) روح الشمس العظيمة في السنة التاسعة والعشرين ... الشهر ... الفصل.
>
> اليوم.
>
> استقبال المقدمة «حاوسر» للقارب المقدس بالملك شخصيًّا.

والتفسير التاريخي لهذا المنظر سهل تمامًا. وذلك أن «إستاو» يذكر هنا حادثة من أهم الحوادث، التي مرت عليه في تاريخ حياته، وهي الحادثة التي قاد فيها الوزير «تا» قارب الإلهة «نخبت» ربة الكاب؛ لتشترك في العيد الثلاثيني للفرعون «رعمسيس الثالث».

ولا نزاع في أن «ستاو» نفسه بوصفه الكاهن الأكبر للإلهة قد صاحبها في هذه الزيارة لعاصمة الملك «بررعمسيس» في الدلتا، ومن المحتمل أنه هو الذي صُوِّر أمام المحراب الذي في القارب المقدس. وهذا المحراب لا بد كان يشمل صورة للإلهة؛ غير أننا لسنا على يقين مما إذا كانت هذه الصورة هي التي كانت تعبد يوميًّا في معبدها، أو إذا كانت صورة تمثال مكررة لصورة «آمون الطريق» التي نقرأ عنها في قصة «ونآمون» (راجع كتاب الأدب المصري القديم ج١ ص١٦١). وقد جاء في هذا القبر منظر يشاهد فيه المتوفى يقدم قربانًا لهذا الفرعون في السنة الرابعة من حكمه (راجع L. D. Text IV. p. 49-50).

وأخيرًا لدينا متن ذُكر فيه النحات الذي نحت مناظر هذا القبر على ما يظهر (راجع Rec. Trav. XXIV, p. 185) وهو الذي تحدث عنه الأستاذ «سبيجلبرج» ببعض التفصيل إذ يقول: من الفروق المميزة بين تاريخ الفن الإغريقي، وتاريخ الفن المصري أننا لا نجد شخصيات بارزة في الأخير، ولا نزاع في أن ذلك فيه شيء من الحقيقة، فإننا لا نجد في تاريخ الفن المصري أشخاصًا بارزين، كما يلاحظ ذلك في الفن الإغريقي؛ غير أننا نجد من وقت لآخر فنانين بارزين لهم شخصيتهم، ولا يقلدون غيرهم، فقد كان من الطبيعي أن يعرف البازُّون من رجال الفن.[٥٢] أو نجد نقشًا مثل الذي تركه «أرتسن» الذي أظهر فيه هذا الفنان الذي يرجع إلى عهد الدولة الوسطى، وظيفة الفنان العبقري (راجع Maspero. Bibl, Egyptol, VII p. 427). وأمثال هؤلاء الفنانين قليلون.

ولدينا مثال من هؤلاء الفنانين الموهوبين عُثر عليه في مقبرة «ستاو» الكاهن الأكبر للإلهة «نخبت» بمدينة «الكاب» من عهد «رعمسيس التاسع»، كما ذكرنا ويدعى «مري رع» وهاك النص الذي جاء معه:

> ... لم يكن تلميذ فنان (أو رسامًا مقلدًا) بل كان قلبه نفسه يرشده، ولم يرشده رئيس له، بل كان مفتنًّا ماهرًا بأصابعه، وقلبه ذكي في كل عمل. وقد أحضره الكاهن الأول للإلهة «نخبت» المسمى «ستاو» المرحوم؛ ليزين قبره بالرسوم في السنة الثالثة من عهد ملك الوجه القبلي والوجه البحري «نفر كارع» «رعمسيس التاسع» معطي الحياة.

وفي نفس القبر نجد نقشًا آخر هو:

> قربان ملكي تقدمه «نخبت» البيضاء صاحبة «نخن» سيدة «فعج»، و«حتحور» سيدة الجبانة لروح الكاهن، وكاتب كتاب الإله، وكاهن «ماعت»، وكاتب القربان في بيت «خنوم» والإلهة «نبوت» (إلهة في إسنا) «مري رع» المرحوم. وإنه هو الذي عمل هذه الرسوم بنفس أصابعه، عندما أتى إلى قبره ليزين قبر المرحوم «ستاو» الكاهن الأكبر للإلهة «نخبت».
>
> تأمل! ما أنجزه «مري رع» المرحوم، كاتب كتاب الإله؛ فإنه لم يكن تلميذًا مبتدئًا (أو رسامًا مقلدًا) فقد كان قلبه نفسه مرشده، ولم يدله رئيس، وقد كان رسامًا ذكيًّا ماهر الأصابع، ذكي الفؤاد في كل شيء.

ولا نزاع في أن هذين المتنين متحدان في المعنى والألفاظ تقريبًا. ويمكن الإنسان أن يكمل الجزء الناقص في بداية المتن الأول من نهاية المتن الثاني. ومن ثم نعلم أن «مري رع» كان مفننًا يعمل في الرسوم الدينية لمعبد «إسنا»، وأن الكاهن «ستاو» الذي كان يسكن في «الكاب» على مقربة منه، دعاه ليزين له قبره بالنقوش بوصفه الكاهن الأكبر لهذه الجهة. وقد قام «مري رع» بتزيين هذا القبر بالنقوش على حسب تصميم وضع من قبل، كما قام من قبله الفنان «حوي» برسم مقبرة «أنحور خعو» (راجع عهد رعمسيس الرابع).

أسرة الكاهن «ستاو»: تدل النقوش التي في هذه المقبرة على أن «ستاو» صاحبها قد ورث لقب الكاهن الأول للإلهة «نخبت» من والده «حوي». وكان والد زوجه كاهنًا أكبر لإله «هيرا كنيوبوليس» (إهناسيا المدينة) المجاورة. فنجد على نصف الجدار الجنوبي لباب المقبرة اثنين جالسين يتقبلان القربان من ولدٍ لهما ضاع اسمه، وفوق هذين الاثنين نقرأ النقش التالي: «والد كبرى حظيات «نخبت» «عات ورت» المرحومة، ورئيس كهنة الإله … صاحب «نخن» «نب مس» المرحوم، وزوجه ربة البيت «موت مويا» المرحومة.» ويلاحظ في هذا النقش أن السيدة «عات ورت» في مكان آخر تدعى «زوج ستاو». ولا شك في أنها لذلك نالت اللقب الغريب: الحظية[٥٣] الأولى للإلهة «نخبت» وقد تزوج أخو الكاهن «ستاو» — لوالده — من ابنتين من بناته (أي من بنتي أخيهما). والبرهان على ذلك ليس فيه شك أو إبهام، وذلك لأننا نجد رجلًا وزوجه ممثلين جالسين أمام «ستاو» (الجدار الجنوبي) وفوق رأسيهما نقرأ: أخوه زوج ابنته محبوبته، تشريفاتي الزوجية الملكية «نسآمون» المرحوم. زوجه ربة البيت «خنت سخمت»، وبجوارهما رجل وصف بأنه أخوه زوج ابنته محبوبته الكاهن والد الإله للإلهة «نخبت» كاتب الكتاب المقدس «باكري» المرحوم ابن الكاهن الأول للإلهة «نخبت» «حوي» المرحوم. ويلاحظ أن زوج هذا الأخ الأخير لم يذكر اسمها، وكذلك لم يذكر اسم بنت أخرى «لستاو» كانت قد تزوجت ابن «رعمسيس نخت» الكاهن الأكبر «لآمون» المعاصر لهذه الأسرة. ويشاهد هذا الرجل بوصفه شخصية ذات رتبة ممتازة واقفًا على رأس جماعة هذه الأسرة، التي يمكن أن نستخلص منها هذه المقدمات (على الجدار الجنوبي) وقد كتب فوقه الكلمات التالية: زوج ابنة محبوبه الكاهن والد الإله «لآمون رع»، ملك الآلهة «مري بارست» المرحوم ابن الكاهن الأكبر «لآمون» ملك الآلهة «رعمسيس نخت» المرحوم. وكذلك نجد له بنتين أخريين: «شدومدوات»، و«تايونزمت» المرحومة. وكانت كل منهما تشغل وظيفة مغنية «آمون» (الجدار الغربي عند الباب الجنوبي).

ومما هو جدير بالذكر هنا أن كل أولاد «ستاو» — عدا واحدًا — كانوا يشغلون وظائف دينية في معبد المدينة مسقط رأسهم. وأسماؤهم وألقابهم هي: (١) ابنه محبوبه الكاهن الثاني «لنخبت» (باسمسو) المرحوم. (٢) ابنه الكاهن والد الإله «لنخبت» (حوي) المرحوم. (٣) ابنه سائق عربة رب الأرضين «أمنواح سو» المرحوم. (٤) ابنه الكاهن والد الإله «لنخبت» ... أي: المرحوم. (٥) ابنه الكاهن والد الإله «لنخبت» (نسآمون) المرحوم. (٦) ابنه الكاهن والد الإله ... المرحوم. ونجد له ابنًا سابعًا يسمى «ثب مس» (على الجدار الجنوبي). ويحتمل أنه كان أصغر أولاده، وكان في الوقت الذي يزين فيه قبر والده لا يزال يحمل لقب الكاهن المطهر «لنخبت»، وهو أقل لقب يحمله كاهن.

وهذه العلاقات لها بعض الأهمية إذ تظهر لنا — كما شاهدنا في غير هذا القبر — الغرض المقصود الذي كانت تسعى إليه أسر الكهانة في ذلك العصر، وهو حفظ عدد عظيم من وظائف الكهنة في أيديهم. وقد شاهدنا أن «ستاو» كان لا يزال عائشًا في السنة الرابعة من حكم «رعمسيس التاسع»، عندما كانت سلطة الكهنة وسيطرتهم على كل مرافق الدولة آخذة في الازدياد المطرد، حتى انتهت بقيام دولتهم وتأسيس الأسرة الواحدة والعشرين.

والحقائق التي نستخلصها من مقبرة «ستاو» تدل على أن قوة الكهنة «آمون»، التي كانت دائمًا في الصعود قد أعارت شيئًا من عظمتها للكهنة المحليين بطرق شتى وأهمها المصاهرة. وكانت الرتب المدنية في خدمة الفرعون ليست ذات سوق رائجة وقتئذ في حين كانت الألقاب الدينية تزداد قيمتها ازديادًا عظيمًا. وإنه لطبعي إذن أن مثل هذه الحالة كانت تدعو إلى خلق طوائف كهانة وراثية، وهي التي نقرأ عنها في كتب مؤلفي اليونان عن مصر (راجع Wiedemann, Herodot. Zweiter Buch p. 179).

السلسلة: وجد نقش فيها مثل فيه الفرعون «رعمسيس التاسع» يتعبد فيه لثالثوث «طيبة» والإله «سبك» (راجع Baedeker. (1928) 361).

ويدل ما لدينا من معلومات على أن «ستاو» صاحب هذه المقبرة قد عمر طويلًا، وأنه شغل وظيفة كاهن مدة لا تقل عن ست وخمسين سنة تقريبًا (راجع petrie, Hist. of Egyp. III, p. 184).

آثار أخرى لهذا الفرعون

(١) في متحف باريس توجد لوحة باسمه من الخشب (راجع Wiedemann Gesch. 519). وكذلك عثر له على رمز الثبات 𓊽 الخاص بالإله «أوزير» نُقش عليه اسم «رعمسيس التاسع» (راجع petrie Ibid III, p. 180). هذا إلى خاتم وتعويذة وهي عين من الكرتلين في مجموعة «بتري»، وفي مجموعة (جرانت إبردين).

ونقل «لبسيوس» صورة هذا الفرعون في كتابه (راجع L. D. III. 234a, 300, 74) هذا إلى صورة له على قطعة من ورق البردي بدون لون وعليها اسمه (راجع Champ. Notices p. 718): رب الأرضين «نفر كارع ستبن رع». وفي تورين قائمة بأسماء الزيوت عليها اسمه (راجع pleyte. pap. Turin 48).

وفي برلين بردية عليها أنشودة عادية للشمس باسم هذا الفرعون (راجع L. D. VI, 199 & Chabas Choix des Textes 29).

وفي المتحف البريطاني «إستراكون» عليها رسم تخطيطي من منظر جدار نقش عليه اسمه (راجع Birch. Insc. Hieratic Demotic I. B. M. No. 5620) ووجدت له «إستراكون» بالمتحف المصري مؤرخة بالسنة العاشرة من حكمه (راجع Daressy,

كما يوجد له إستراكا أخرى بالمتحف المصري (راجع Ibid, Ostraca No. 25199 25021, 185, 201) وعلى «الإستراكون» رقم ٢٥١٨٤ بالمتحف المصري كذلك تصمم مقبرة باسمه (راجع Rev. Archeol. Pl. XXXII, p. 235).

وأخيرًا يوجد بالمتحف المصري صندوق صغير من الخشب والعاج، عليه اسم هذا الفرعون (راجع Maspero, Guide, (1915) p. 391).

مقبرة «رعمسيس التاسع»

لم يعثر على مومية هذا الفرعون، والظاهر أنها لم تفلت من يد اللصوص الذين طالما اقتفى أثرهم في عهده. وتدل شواهد الأحوال على أنها كانت قد فُقدت عندما خبأ الكهنة موميات الملوك المختلفين؛ لأنها لم توجد في قبر «أمنحتب الثاني» ولا في خبيئة «الدير البحري»، ومع ذلك فقد وجد صندوق صغير باسمه خاص بأثاث دفنه قد حمله الكهنة إلى خبيئة «الدير البحري». وكان قبر هذا الفرعون مفتوحًا في عهد البطالمة، وقد نظف في الأزمان الحديثة؛ ويحمل (رقم ٦). وهو يحتوي على حجرتين صغيرتين عند المدخل، ثم ثلاثة ممرات وحجرتين كبيرتين، ثم ممر رابع، وأخيرًا حجرة الدفن. ومعظم النقوش التي على الجدران كانت قد رسمت فقط ولم تحفر، وتختلف أجزاء منها في كتابتها من حيث النوع والسرعة لدرجة أنه قد وجد على جدرانه كتابة بالهيراطيقية الخالصة بدلًا من الهيروغليفية المعتادة. والمتون التي زينت جدرانه هي «أنشودة الشمس» من كتاب الموتى وغيرها من المتون الدينية وبخاصة الفصول ١٢٣، ١٢٥، ١٢٦، ١٣٠، وكتاب ما في العالم السفلي وبخاصة الأجزاء: الأول، والثاني، والثالث. وهذا القبر يحتوي على أقدم مثل لأطوار عمر الإنسان وهي: الطفولة، والشباب، والرجولة المبكرة، والرجولة الكاملة، ثم الشيخوخة.

وقبر هذا الفرعون يخترق جانب الجبل بانحدار خفيف، ولا نجد الانحدار العظيم إلا في الممرات الداخلية، وهذا الانحدار هو ما نجده عادة في المقابر التي قبل عهد هذا الفرعون.

وعلى درج السلم المؤدي إلى داخل القبر من اليمين نقش للملك لم يتم بعد، وعلى عتب الباب رسم قرص الشمس، وصورة الملك على كلا الجانبين يتعبد إليه، وخلف الملك نشاهد الإلهة «إزيس» على اليسار، والإلهة «نفتيس» على اليمين.

الممر الأول: وعندما ينزل الإنسان إلى الممر الأول يلاحظ على يمينه صورة الملك يحرق بخورًا، ويقدم آنية للإله «آمون-رع-حوراختي» (وهو صورة مركبة لإله «طيبة» العظيم «آمون»، وإله «هليوبوليس» إله الشمس، وقد مثل هنا بكبش له أربعة رءوس) والإلهة «مرسجرت» إلهة الموتى في «دير المدينة» (محبة الصمت). وعلى الجدار المقابل يشاهد الفرعون يؤدي الشعيرة المعروفة بتقديم القربان الملكي أمام الإله «حرمخيس» والإله «أوزير». والأول هو صورة هليوبوليتية للإله «رع» الذي وحد معه الملك، والآخر إله الموتى العظيم. وبعد ذلك بقليل يشاهد الإنسان على اليمين تسعة ثعابين يتبعها تسعة عفاريت لها رءوس ثيران، وتسعة أشكال كل منها موضوع في شكل بيضي، وتسعة صور برءوس أبناء آوى. وهذه هي تاسوعات لمخلوقات من مخلوقات العالم السفلي ترسم عادة في تفسير كتاب «سياحة الشمس في العالم السفلي»، وهو الذي كتب هنا. وهذا الكتاب هو المعروف بكتاب «ما في العالم السفلي». وعلى الجدار المقابل (٤) من الفصل الخامس والعشرين بعد المائة من كتاب الموتى، وهو الذي يبرأ فيه المتوفى من كل الآثار التي كانت ترتكب في عالم الدنيا فيقول: إني لم أزنِ. ولم أسرق، ولم أكذب، ولم أعتدِ على حدود آخر … إلخ.[٥٤] وتحت هذا المتن صورة كاهن ملابسه في هيئة الإله «حورا يونموتف» (أي حور سند والدته) ويصب العلامات الدالة على «الحياة» و«الثبات» و«الفلاح» على الفرعون في محراب أمام «آمون» والإلهة «مرت سجر» إحدى إلهات الموتى.

ويجب أن نذكر في تفسير هذا المنظر أن الإله «حور» بعد موت والده «أوزير» قيل: إنه ساعد والدته في دفن الإله المتوفى، وإنه في آنٍ واحد تغلب على أعداء والده وبخاصة الإله «ست».

وبهذه الكيفية عندما توفي الملك وتمثل في «أوزير» كان المنتظر أن يساعد ابنه البيت الملكية، ويقوم بأداء الشعائر الجنازية للملك الراحل. وفي المنظر الذي أمامنا يلاحظ أن «حور» يلبس خصلة الشعر المدلاة على صدغه وهي الدالة على أنه أمير ملكي. ويشاهد هنا أربع حجرات على كل جانب اثنتان وليس على جدرانها نقوش. والظاهر أنها كانت تستعمل لخزن القرابين.

الممر الثاني: ينتقل الزائر بعد ذلك إلى الممر الثاني، فيشاهد على كلا الجانبين الثعبان الذي يحرس الباب؛ فالذي على اليسار يقال: إنه يحرس الباب لمن يسكن القبر. والذي على اليمين يقال عنه: إنه يحرس بوابة «أوزير». وعلى اليسار يشاهد الفرعون متقدمًا نحو القبر. وتحمل اسمه إلهة أمامه تقوم له بوظيفة الحاجب. وبعد ذلك نجد على اليسار نقشًا من كتاب الموتى ونرى بعده الملك[55] يتعبد للإله «خنسو-نفرحت-شو» وهو إله في صورة إنسان برأس صقر يخاطب الفرعون بالكلمات التالية: «لقد أعطيتك قوتي وسني وسدتي وعرشي على الأرض لتصير روحًا في العالم السفلي، وإني أعطي أسماء روحك وجسمك العالم السفلي أبديًّا.»

الممر الثالث: يشاهد على الجدار الأيسر مسير الشمس في أثناء الساعة الثانية وبداية الساعة الثالثة من الليل. وعلى الجدار الأيمن يشاهد الفرعون يقدم صورة العدالة للإله «بتاح» الذي تقف بجواره إلهة العدل. وبالقرب من ذلك صورة القيامة حيث تشاهد مومية الملك مضطجعة على جبل بذراعيها المرتفعتين على الرأس. وفوق ذلك صورة جُعَل وقرص الشمس وهي تشرق. والجُعَل رمز للخلق الجديد يخرج من القرص ليجلب الحياة مرة أخرى للأرض. ولما كانت الشمس تجدد نشاط العالم في كل صباح فإن مومية الملك كذلك ستعود للحياة ثانية عند قيامتها، ثم يشاهد على هذا الجدار والمقابل له ثلاثة صفوف من الشياطين؛ الواحد منها فوق الآخر. ففي الصف الأعلى نشاهد ثماني شموس في كل منها رجل أسود واقف على رأسه، وفي الصف الأوسط نشاهد ثعابين يخترقها سهام، ونساء يقفن على تلال، وجعل في قارب ينتهي عند المقدمة والمؤخرة برءوس ثعابين. وفي الصف الأسفل شياطين مختلطة بثعابين، وأربعة رجال منحنين إلى الخلف يقذفون من أفواههم جعارين.

وفي الجهة المقابلة نشاهد صورة كاهن مماثل، يقبض على آنية من الماء تسيل على علم كبش «خنوم» إله الشلالات، التي يظن أن ماء النيل الظاهر المقدس ينبع منها. وهذان الكاهنان يرتديان جلد الفهد التقليدي. والظاهر أن المقصود منهما أنهما يهبان الملك الحكمة والطهر. ثم يمر الإنسان بعد ذلك إلى حجرة محمولة على أربعة أعمدة، ومن ثم إلى حجرة الدفن حيث يرى الإنسان حوضًا مقطوعًا في الصخر كان فيه تابوت مصنوع من الجرانيت، غير أنه فقد. ويشاهد على الجدران آلهة وشياطين، وعلى سقف الحجرة المقبب رسم صورتان لإلهة السماء (تمثلان الصباح والمساء) وتحت ذلك مجموعات من نجوم وقوارب. ويلفت النظر في حجرة الدفن صورة للطفل «حور» خلف الحوض المذكور، وقد مثل جالسًا في داخل قرص الشمس المجنحة. ومن الجائز أن هذه الصورة رمز لتجديد الحياة والشباب بعد الموت (راجع Baedeker’s Egypt 1928. p. 303; Weigall. Guide p. 198. ff; petrie, History of Egypt Vol III. p. 1837).

---

[1] راجع: Peet, Great Tomb Robberies of the XXth Dynasty p. 7 & J. E. A. vol. XIV, pp. 52 ff.

[2] كتب عن هذه الأوراق الأستاذ «بيت» كتابًا خاصًّا برهن فيه على براعة فحصه وعلو كعبه في هذا الموضوع، ولكن منذ أن كتب كتابه ظهرت بحوث أخرى غيرت الحقائق التي وصل إليها، وسنعتمد على كتابه في فحص هذا الموضوع مع تصحيح الأخطاء (راجع: Peet, Great Tomb Robberies etc.).

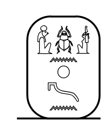
[3] هل يقصد المكان الذي دفن فيه الفرعون المؤله «أمنحتب الأول»؟

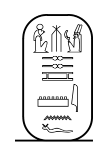
رعمسيس العاشر

خبر ماعت رع

ستبن رع

رعمسيس أمنحر خبشف





لا يوجد لهذا الفرعون إلا تاريخ واحد مؤكد. أما التواريخ الأخرى التي نسبها إليه المؤرخون الآخرون مثل: «بتري» و«جوتييه» فتنسب إلى عصر النهضة (وحم مسوت) أي: عصر خلفه «رعمسيس الحادي عشر» وسنتركها جانبًا.

والوثيقة المؤكدة هي الورقة المسماة «شاباس–ليبلين» (وهما العالمان اللذان نشراها) رقم (١) ويرجع تاريخها إلى السنة الثالثة من عهد الملك المسمى «خبر ماعت رع». وعلى ذلك فالسنة الثالثة هي أعلى تاريخ معروف لهذا الفرعون. وهذه الورقة نفسها هي المصدر الثمين الوحيد الذي به يمكن أن نحدد موضع هذا الملك بين ملوك الأسرة العشرين.[١]

ففي الصفحة الثالثة سطر ١٧ من هذه الورقة نجد إشارة للملك «نفر كارع» (رعمسيس التاسع) وذلك أن الوزير — على ما يظهر — طلب إلى أولي الشأن في الجبانة إرسال رجال لنقل بعض ملابس للملك «نفر كارع»، ولكن هذا الطلب قد رفض؛ وذلك لأن العمال كانوا في هذا الوقت في حالة ثورة، وقد أجاب عامل رسول الوزير قائلًا: «دع الوزير نفسه يحمل ملابس الملك «نفر كارع»، وكذلك خشب الأرز.» ويمكن أن نستخلص من ذلك بكل ثقة أن الملك «خبر ماعت رع» يوضع تاريخيًّا بعد الملك «نفر كارع». وقد لاحظ هذا الرأي «مسبرو» بنظره الثاقب،[٢] هذا على الرغم من أن لقب «الملك العظيم» الذي يوضع غالبًا بعد اسم الملك المتوفى لم يوجد في هذا المتن. وقد يوحي بأنه كان لا يزال على قيد الحياة، وأن الملك «خبر ماعت رع» ما هو إلا مغتصب، ولكن ذكر عشرة سماكين في هذه الورقة يورِّدون سمكًا للجبانة، وأن من بينهم ستة —

على الأقل — كانوا يقومون بهذا العمل في السنة السابعة عشرة من عهد «نفر كارع»، يدل على تقارب بين السنة الثالثة من حكم «خبر ماعت رع»، ونهاية حكم «نفر كارع»، ويعضد هذا الرأي أننا لا زلنا نرى أن «خعمواست» كان لا يزال وزيرًا في عهد «خبر ماعت رع»، وأن «بورعا» كان يشغل وظيفة أمير غربي «طيبة». هذا إلى أن الأشخاص الآخرين الذين ذكروا في هذه الورقة، وهم المعروفون لنا من مصادر أخرى مثل «أمنخعو» كاتب الوزير، قد ظهر ثانية في ورقة «تورين»، في السنتين الرابعة والخامسة من عصر النهضة، (وحم مسوت) وكاتب الجبانة «خعمحزت»، الذي ظهر (بدون وصفه «التابع للجبانة») على قطعة من يوميات الجبانة المؤرخة بالسنة السادسة عشرة.[٣] ويحتمل نسبتها لحكم «نفر كارع»، كما يظهر ذلك وجود اسم الوزير «خعمواست»، ورئيس العمال «وسرخبش»، وكاتب الجبانة «حوي شري»، وكلهم قد ذكروا في الأوراق الخاصة بعهد «رعمسيس التاسع».

وتدل الآثار المكشوفة حتى الآن على أن هذا الفرعون لم يترك آثارًا تذكر، وكل ما عثر عليه له حتى الآن بعض قطع بردي كتب على إحداها مديح للفرعون،[٤] وبعض قطع إستراكا بالمتحف البريطاني،[٥] وبالمتحف المصري.[٦] هذا إلى بعض جعارين محفوظة في مجموعة «فلندرزبتري».

أما ما عُزي إلى عهده من أوراق بردية، فهي في الواقع ترجع إلى عهد الفرعون «رعمسيس الحادي عشر»، وبخاصة ورقتي «ماير» (أ وب) كما وضحنا ذلك في مكانه.

وقبر هذا الفرعون يحمل رقم (١٨) بين قبور الملوك في «وادي الملوك» بطيبة، وتدل حالته الراهنة على أنه لم يكن قد تم ب اؤه عند موت هذا الفرعون الذي لم يحكم إلا ثلاث سنوات على ما يظهر. فقد حفر منه ممران، وليس له حجرة. وبدلًا من حفر نقوشه عملت على طبقة من الملاط وضعت على الصخر، والمنظر الوحيد الذي على الباب هو أهم شيء عمل فيه، غير أنه محي معظمه الآن، وهاك وصف هذه المقبرة كما ذكره «شامبليون».

إن المقبرة التي تقع عند التفرع الثاني الذي على اليسار من «وادي أبواب الملوك»، لها ممر واسع ومدخل كبير، له عتب عليه منظر عادي. فيشاهد فيه قرص الشمس مكررًا في داخل كل جُعَل يتعبد إليه الفرعون مرتديًا خوذته، وراكعًا أمامه يقدم له العينين الرمزيتين، وخلف صورتي الفرعون الإلهة «نفتيس» على اليمين والإلهة «إزيس» على اليسار، والمتن الذي على اليمين هو: رب الأرضين «خبر ماعت رع ستبن رع» رب التيجان «رعمسيس أمنحر خبشف».

ويشاهد على عارضتي الباب بقايا متون.

وكذلك نشاهد في الممر الأول والثاني أن الملاط قد هُدم، وكذلك النقوش التي لم يبقَ منها إلا بعض قطع صغيرة بالألوان. وهذا القبر لم يكن قد أُنجز العمل فيه (راجع .Champ. Notices Desc. p. 441 & p. 803).

---

[١] راجع: Botti-Peet. il Giornal della Necropoli de Tebe facs. 3.

[٢] راجع: Maspero, Les Momies Royales, 659-660.

[٣] راجع: Pap. Turin Pleyte & Rossi X C Line 8.

[٤] راجع: Pleyte. Pap. Turin LXXX, 83.

[٥] راجع: Birch. Inscr. Hieratic. Demotic, II–III.

[٦] راجع: Daressy. Ostraca, N. 25186, 190–3, 210.

رعمسيس الحادي عشر

مكان هذا الفرعون بالنسبة لفراعنة هذه الأسرة أصبح مؤكدًا، منذ أن أشار «مسبرو» (A. Z. 1883. p. 75–7) إلى أن مركز هذا الفرعون وألقابه قد اغتصبها شيئًا فشيئًا الكاهن الأول «لآمون» «حريحور»، كما استنبط ذلك من نقوش «معبد خنسو» (راجع Br. A. R. IV, §§ 608 ff). والتفسير الطبعي لذلك هو أن «حريحور» كان الخلف المباشر «لرعمسيس من ماعت رع». وليس لدينا حقائق أخرى يمكن أن تدحض مثل هذا التفسير أو تجعله غير محتمل. وقد دلت كل البحوث على أن «من ماعت رع» كان قبل «نفر كارع» «رعمسيس التاسع»، ويظهر ذلك جليًّا من ورقة «ونآمون»، وهي التي أرَّخها الأستاذ «إرمان» بحق بالسنة الخامسة من حكم «من ماعت رع» «رعمسيس الحادي عشر» (A. Z. XXXVIII, 2).

وفي هذه الورقة التي سنورد ترجمتها بعد يُذَكر أمير «ببلوص» (جبيل) «ونآمون» بمصير الرسل، الذين أتوا من مصر إلى هذه المدينة في عهد «خعمواست» الذي يقصد به على وجه التأكيد الفرعون «نفر كارع رعمسيس التاسع»، ومكث هناك مدة سبع عشرة سنة. ومن الواضح أن «من ماعت رع» «رعمسيس الحادي عشر» كان بعد «خبر ماعت رع» (رعمسيس العاشر) وذلك لوجود ملاحظة مؤرخة في عهده على ظهر ورقة «شاباس ليبلين».[١]

ومن أجل هذا كان من المحتم أن نقبل الرأي القائل: بأن الفرعون «من ماعت رع» كان آخر هذه الأسرة. ولدينا تواريخ عدة معروفة من عهده. فنجد على توابيت كل من «رعمسيس الثاني» و«سيتي الأول» كتابات هيراطيقية مؤرخة بالسنة السادسة، وبما أن «حريحور» كان لا يزال

يلعب دورًا في هذه النقوش بوصفه الكاهن الأكبر لا ملكًا بعد، فإنه يمكننا أن نقول دون تردد: إنها تنسب إلى عهد «من ماعت رع».[٢]

ويوجد في «تورين» أوراق بردية مؤرخة بالسنة الثانية عشرة، والسابعة عشرة من عهد هذا الفرعون.

ونفهم مما جاء في الأولى أن أمير غربي «طيبة» «بورعا»، الذي تحدثنا عنه طويلًا فيما سبق كان لا يزال حيًّا في السنة الثانية عشرة من عهد «من ماعت رع» بصحبة موظفين أقل منه سنًّا مثل كاتب الجبانة «تحتمس». أما الورقة المؤرخة بالسنة السابعة عشرة فهي خطاب جميل غير أنه غير كامل (راجع Pleyte–Rossi LXVI–LXVII) وقد كتبه الملك لقائد الجيش، والابن الملكي صاحب «كوش» المسمى «بينحسي»، وقد جاء فيه ذكر الساقي «ببس».

ولا نعلم لهذا الفرعون تواريخ أخرى إلا التاريخ الذي جاء على لوحة الكاتب المسمى «حوري» من العرابة، وهو السنة السابعة والعشرون. ويعد هذا التاريخ أقل مدة حكمها هذا الفرعون.

(١) عصر النهضة

لاحظنا فيما سبق وجود وثائق بالخط الهيراطيقي من عهد النصف الثاني من الأسرة العشرين مؤرخة بعصر النهضة (حرفيًّا = تجديد الولادات). وهذا النوع من التأريخ غريب في بابه، ويناقض المألوف عند المصريين حتى إن بعض المؤرخين ظن أن هذا التعبير يخفي في باطنه اسم ملك مصري هو «رعمسيس العاشر»، الذي يلقب «خبر ماعت رع» في نصوص أخرى. وقد كان أول من عارض هذا الرأي الأستاذ «بيت»، واقترح أن عبارة «تجديد الولادات» (وحم مسوت) تدل على عهد أو عصر خاص (راجع J. E. A. Vol. XII, p. 65 ff). وهاك الوثائق الست التي جاء فيها التأريخ بهذا التعبير (تجديد الولادات):

(١) السنتان الأولى والثانية في ورقة «ماير A».

(٢) السنة الأولى في الورقة رقم ١٠٠٥٢ بالمتحف البريطاني.

(٣) السنة الثانية في الورقة رقم ١٠٤٠٣ بالمتحف البريطاني.

(٤) السنتان الرابعة والخامسة في ورقة «تورين» (Cat. 190, 80).

(٥) السنة السادسة في ورقة «فينا» رقم ٣٠.

(٦) السنة السابعة من الوحي الخاص بالكاهن «نسآمون» «بالكرنك» وسنتحدث عنه في حينه.[٣]

ومما سبق نعلم أن عهد «تجديد الولادات» أو عصر النهضة قد مكث سبع سنوات على أقل تقدير. غير أن المعضلة في هذا الموضوع هي في تاريخ أي ملك من عهد الأسرة العشرين يمكن وضع هذا العهد؟ ولكن لحسن الحظ قد يساعدنا في تحديد ذلك بعض الشيء المتن الذي على ظهر ورقة «إبوت»، وهي التي أرخت كما سبق بالسنة التاسعة عشرة المقابلة للسنة الواحدة. وفي سياق الكلام نجد أن المتن يقدم لنا جدولًا بأسماء اللصوص، وهم بالضبط هؤلاء الذين كانت محاكمتهم قد شغلت جزءًا عظيمًا من ورقة «ماير A»، وورقة المتحف البريطاني رقم ١٠٠٠٥٢، وكل منهما مؤرخة بالسنة الأولى والثانية من تجديد الولادات (عصر النهضة) وعلى ذلك فإنه من الجائز لنا أن نعد السنة الأولى من ورقة «إبوت» موحدة بالسنة الأولى من تجديد الولادات (عصر النهضة) وأن السنة التاسعة عشرة موحدة بالسنة التاسعة عشرة من حكم ملك على أغلب الظن. ولما كان وجه ورقة «إبوت» مؤرخًا بالسنة السابعة عشرة من عهد «رعمسيس التاسع» «نفر كارع»، فإن من المحتمل أن السنة التاسعة عشرة التي على ظهر الورقة تشير إلى نفس الفرعون، وعلى ذلك فإن «تجديد الولادات» (عصر النهضة) إما أن يكون قد أتى بعد حكم «رعمسيس التاسع» «نفر كارع»، أو يكون بوجود كلمة «المقابلة» اسمًا آخر لجزء من حكمه مبتدئًا بالسنة التاسعة عشرة وما بعدها. وهذا الفرض يظهر — لأول وهلة — مقبولًا في ظاهره، غير أننا لا نعلم مع ذلك على وجه التأكيد إذا كان كل من متني ورقة «إبوت» أي: الذي على وجهها والذي على ظهرها قد

كتب في مدة قصيرة. وقد كان من الممكن أن تكون السنة التاسعة عشرة خاصة بحكم ملك خلف «رعمسيس التاسع»، ويفضل في ذلك حكم الملك «رعمسيس الحادي عشر»، الذي نعلم أنه حكم — على أقل تقدير — سبعًا وعشرين سنة عن «رعمسيس العاشر»، الذي لا نعلم له سني حكم أكثر من السنة الثالثة. وفي الواقع أنه لما كانت أسماء عمال الوثائق التي أرخت بعصر النهضة تختلف عن أسماء عمال عهد «رعمسيس التاسع»، كما أن هذه الوثائق تشير إلى عهد «رعمسيس الحادي عشر»، فإن الأستاذ «بيت» في بحثه هذا الموضوع (J. E. A. XIV p. 71-2) يميل إلى جعل (عصر النهضة) جزءًا من حكم «رعمسيس الحادي عشر».

ويرى الأستاذ «شرني» هذا الرأي بعينه،[٤] وأنه هو الذي يفسر لنا ثلاث حقائق بصفة مرضية يلاحظها الإنسان عند درس الوثائق الخاصة بعصر النهضة. وهذه الحقائق هي:

(١) وجود موظف يدعى «من ماعت رع نخت» المشرف على الخزانة في وثيقتين من وثائق «عصر النهضة».[٥]

ونحن نعلم أن «من ماعت رع نخت» هذا قد سمي باسم ملك، ويحتمل كثيرًا باسم «رعمسيس الحادي عشر» «من ماعت رع» لا باسم الملك «سيتي الأول» الذي حكم منذ مضي قرن ونصف. وإذا قبلنا ذلك فلا بد أن يكون عصر النهضة (وحم مسوت) قد جاء بعد حكم «رعمسيس الحادي عشر»، أو إذ لم يكن ذلك فإنه كان معاصرًا له.

(٢) وجود مبنيين باسم ملك يلقب «من ماعت رع سيتي» في وثائق عصر النهضة (وحم مسوت). وهذان المبنيان هما: مبنى الملك «من ماعت رع سيتي» (راجع ورقة «ماير A» ص١ س٣) وهو موحد بآخر في ورقة المتحف البريطاني رقم ١٠٤٣٣ (ص١ س٩) والثاني هو محراب الملك «من ماعت رع سيتي» في ورقة «تورين»،[٦] ونحن نعلم أن الملك «من ماعت رع سيتي» هو — بطبيعة الحال — «سيتي الأول» أحد ملوك الأسرة التاسعة عشرة، غير أن كتابة

اسمه بهذا الشكل شاذة تمامًا ومضادة لما هو متبع في عهد نهاية الأسرة العشرين، إذ في هذا الوقت كان الملك المتوفى يسمى بلقبه ولا يسمى باسمه قط، ولم يشذ عن ذلك إلا «أمنحتب الأول» الذي كان يعد رب الجبانة وقتئذ. ويمكن تفسير كتابة الاسم بالصورة الغريبة. «من ماعت رع سيتي» بدلًا من كتابته «من ماعت رع» فقط. وقد كان يكفي أن نكتب لقبه بهذه الطريقة الأخيرة —— إذا قبلنا أنه في عصر النهضة —— للتمييز بين «من ماعت رع سيتي» (أي سيتي الأول) وبين ملك آخر يدعى «من ماعت رع» (أي رعمسيس الحادي عشر) وبعبارة أخرى فإنا لذلك قد أجبرنا على وضع عصر النهضة في عهد «رعمسيس الحادي عشر» إن لم يكن بعده.

(٣) نجد من بين الأجانب الذين تشير إليهم أوراق البردي من عصر النهضة، وهم الذين كانوا قد اشتركوا في السرقات التي وقعت في جبانة طيبة، واحدًا يُدعى «باكآمن» بن «بارع آمن» جاء ذكره على ظهر ورقة «إبوت» (B, 2)، وجاء مرة أخرى في ورقة «تورين».[٧] وهذه الورقة الأخيرة هي في الواقع ظهر الورقة التي نشرها «بيت-روسي» (Ibid, Pls. 160, 155)، وجهها مؤرخ بالسنة الثانية عشرة من عهد «رعمسيس الحادي عشر» «من ماعت رع»، كما برهن على ذلك «بيت» (راجع J. E. A. XIV, p. 65) وظهر الورقة مؤرخ بالسنة الرابعة عشرة لملك لم يسمَّ، وفي هذه الحالة لا بد أن يكون «رعمسيس الحادي عشر» أيضًا؛ وذلك لأن كلًّا من وجه الورقة وظهرها يحتوي على مادة واحدة خاصة بحبوب وحسابات، وذكرت فيه نفس الأشخاص. ونحن نعلم أن الجريمة التي ارتكبها «باكآمن» بن «بارع آمن» كانت فظيعة لدرجة أن الحكم عليه بالإعدام فيها كان لا مفر منه. وعلى ذلك لا يمكن أن نضع ذكره في جداول ورقة «إبوت» قبل السنة الرابعة عشرة من عهد «رعمسيس الحادي عشر»، وكان في هذه السنة لا يزال حرًّا يورد مقدارًا من الحبوب لأهل الجبانة، ويحتمل أن ذلك كان ضريبة عليه عن الحقول التي يزرعها، وأظن أنه لا بد أن نستنبط من ذلك أن ظهر ورقة «إبوت» (وهي التي كتبت في

السنة الأولى من عصر النهضة) كان قبل السنة الرابعة عشرة من عهد «رعمسيس الحادي عشر» «من ماعت رع».

وإذا أخذنا المسائل الثلاث معًا فإنها تعضد الرأي القائل: بأن عهد «رعمسيس الحادي عشر» هو العصر الذي حدثت فيه النهضة.

ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن «سيتي الأول» كان يستعمل التعبير «تجديد الولادات» (وحم مسوت) في تأريخ (راجع Gauthier. L. R. III, II) وكذلك يلاحظ أن كلًّا من الفرعونين: «سيتي الأول» و«رعمسيس الحادي عشر» — وهما اللذان كانا يستعملان هذا التاريخ (عصر النهضة) — كان يحمل اللقب «من ماعت رع»، ويمكن الإنسان أن يتصور أن «رعمسيس الحادي عشر» قد نقل عن «سيتي الأول» هذا اللقب لسبب ما ربما كان لتثبيت العدالة في البلاد التي كانت حائرة في هذا الوقت، وللقيام بنهضة جديدة كالتي قام بها «أمنمحات الأول» الذي كان يلقب كذلك «من ماعت رع»، وهو الذي قام بالإصلاح الشامل الذي غمر البلاد وأعاد لها سؤددها بعد أن قضى على الأجانب في الخارج، وأخمد الثورات الداخلية في مصر نفسها، أو كالتي قام بها «سيتي الأول» لإرجاع مجد مصر لها. ولا غرابة في ذلك فإننا نجد أن «رعمسيس الثالث» كان يقلد «رعمسيس الثاني» في كل أعماله وأفعاله لإعادة مجد البلاد، وعلى ذلك فإن اقتراح الأستاذ «بيت» القائل: بأن عبارة «تجديد الولادات» (عصر النهضة) هو عهد إصلاح، قد جاء بعد عصر كان يعد رسميًّا عصر شذوذ واضطراب، ومثل هذا الشذوذ قد لا يكون إلا باستيلاء غاصب على العرش مؤقتًا، وإذا كان ذلك هو الواقع فإنه لم يترك في التاريخ أي أثر ظاهر، ولكن يمكن أن يشير من جهة أخرى إلى حادثة من طراز آخر. ولدينا من هذا الصنف حادثتان تسترعيان النظر: الأولى حرب الكاهن الأول «لآمون» «أمنحتب» — وقد تحدثنا عنها فيما سبق — والثانية هي غزو مصر — أو على الأقل منطقة «طيبة» — على يد الأجانب، وهي التي لدينا عنها براهين ظاهرة في يوميات هذه الجبانة، والحقائق التي لدينا عن مثل هذا الغزو قد تكلمنا عنها فيما سبق،

وليس لدينا ما نضيفه إلى ذلك إلا فقرتين تدلان على ذلك، الأولى في الورقة رقم ١٠٣٨٣ (ص٢ سطر ٥) بالمتحف البريطاني، حيث نجد لصًّا يبرئ نفسه من سرقة خاصة بنحاس من باب بيت الفرعون بقوله: لقد تركت بيت الفرعون عندما أتى «بينحسي» وارتكب أعمال عنف مع الضابط رئيسي مع أنه لم يكن فيه أي تلف (أي البيت). والفقرة الثانية جاءت في ورقة «ماير A» (ص٤ سطر ٥) حيث نجد متهمًا يقول: لقد هربت أمام إجرام «بينحسي» عندما ارتكبه.

وقد كان «بينحسي» الذي يحمل اسمًا نوبيًّا شخصية متزعمة في هذه الحوادث، بَيْدَ أنه كان يوجد في مصر وقتئذٍ لوبيون وبخاصة من قبيلة «المشوش». ويمكن أن نضيف إلى الفقرات التي ذكرناها من قبل بمثابة براهين لذلك ما جاء في ورقة «ماير A» (ص٨ سطر ١٤) حيث نجد أن رجلًا سئل عن المصدر الذي منه تملك بعض الذهب والفضة فقال: «لقد أخذتها من المشوش.» وأقدم تاريخ مؤكد لظهور اللوبيين في مصر جاء في يوميات الجبانة في السنة الثالثة عشرة من عهد «رعمسيس التاسع نفر كارع». ومن الجائز أن جزء اليوميات المؤرخ بالسنة الثامنة، وهو ما أشرنا إليه من قبل بمثابة برهان يرجع إلى عهد نفس الملك؛ وذلك لأنه ذكر فيه رئيس العمال «نخمموت» المعروف تمامًا في عهد «نفر كارع». وآخر إشارة وردت عن هؤلاء النزلاء جاءت في ورقة «شاباس-لبلين» رقم (١) وهي يوميات الجبانة للسنة الثالثة من عهد الفرعون «خبر ماعت رع». وليس من المستحيل أن إبعاد «أمنحتب» الكاهن الأكبر — وكذلك هذه الغزوات الأجنبية — يمكن أن يكون في نفس الفقرة؛ وذلك لأن في الفقرة التي من ورقة «ماير A»، والتي اقتبسناها فعلًا يقول فيها الشاهد: «إن الأجانب أتوا واستولوا على المعبد.» وأنه بعد ستة أشهر من عزل «أمنحتب» أتى «بحتي» وهو أجنبي، وقبض عليَّ وأخذني إلى «أبيت» (الأقصر) غير أنه من الصعب أن يفهم الإنسان لماذا وجه الأجانب ضربتهم للكاهن الأول «لآمون»؟ ولما كان في مقدورنا أن نتتبع إيغال الأجانب في البلاد حتى العام الثالث من عهد الفرعون «خبر ماعت رع» فلا بد من أن نعترف بأن عصر النهضة قد جاء بمثابة عهد إصلاح بعد طرد الأجانب نهائيًّا، وأن

هذا العهد لا بد أن يوضع بعد حكم «خبر ماعت رع» (راجع J. E. A. Vol. XIV. p. 66. ff) وعلى أية حال فإن موضوع الغزو الأجنبي لا يزال من الموضوعات المعلقة في تاريخ هذه الفترة.

تفسير آخر لعهد النهضة: وقد طلع علينا الأستاذ «مونتيه» بتفسير غريب في بابه عن عصر النهضة حاول فيه أن ينسبه إلى قصة ذكرها «جوسفس» اختصرها من كتاب المؤرخ «مانيتون»، غير أن المؤرخ «إدورد مير» حاول أن ينسب نفس هذه القصة إلى عهد بداية الأسرة العشرين عندما طرد «ستنخت» «أرسو» وأتباعه من مصر (مصر القديمة ج٧).

وسنورد هنا رأي «مونتيه» ببعض الاختصار ليحكم القارئ بنفسه على كلا التفسيرين،[٨] وليرى كيف يتلمس المؤرخ الحقيقة من قصص مشوهة بنيت على بعض وقائع تاريخية يصعب انتزاعها من الأساطير العتيقة. قال: إن تخريب مقر ملك ومحو عبادة واختفاء كل ما يذكر باسم إله ممقوت، كل هذه الأشياء تكون عادة من أعمال حرب أهلية. ويلاحظ أن المؤرخين لمصر القديمة الآن، عندما يصلون إلى عهد الأسرة العشرين والأسرة الواحدة والعشرين لا يتحدثون إلا عن تتابع الملوك ومدة حكم كل واحد منهم، حتى كأنه لم يكن قد حدث أي شيء في المدة التي بين «رعمسيس الثالث» و«شيشنق الأول». ولكن على الأقل قد حدثت حرب ضروس روعت المعاصرين لها كما روعت الخلف. ونحن مدينون «لجوسفس» مؤلف كتاب «كنترا أبيون» بقصة ذكرت فيها حوادثها المسببة.[٩] وكل عناصر هذه القصة مأخوذة من تاريخ مصر الذي وضعه «مانيتون». وقد بدأ «جوسفس» (يوسف) بمقدمة طويلة (من ص٢٢٧–٢٣٦) وفيها لخص ما ذكره «مانيتون» مع توجيه انتقادات له. ولكنه مع صفحة ٢٣٧–٢٥٢ نجده يقتبس «مانيتون» حرفيًّا إلا في الفقرة ٢٥٠ فإنه استقاها من مصدر آخر، ثم بدأ ينتقده ثانية حتى صفحة ٢٦٠، ثم من صفحة ٢٦١ إلى ٢٦٧ نجده لخص الحقائق التي عرفنا بها من قبل في الاقتباس الحرفي.

وفي الصحائف العشر الأخيرة نجده يجتهد في إظهار سخافات تدل على بعد المؤرخ المصري عن الصواب. ولكن من يقرأ هذه القطعة يتفق معنا على ما أظن، على أن هذه القطعة المقتبسة حرفيًّا من «مانيتون» واضحة ومتماسكة، ويمكن عدها أنها تحتوي على آراء مصرية تدعو إلى الثقة، إذ إن انتقادات «جوسفس» على العكس غامضة، وبسببها قد ظهر أن مجموعها يدعو إلى الشك عند علماء الآثار وهم الذين — اقتفاء لمسبرو — يرون فيها مجرد أسطورة، حيث نلحظ فيها القليل من الحقائق التاريخية وكثيرًا من الخرافة. ويمكن أن نتخلص من صعوبة كبيرة في هذا الموضوع إذا لاحظنا أن هناك ثلاث شخصيات بدلًا من اثنتين، كما هو المعتقد عادة، يدعى كل منهم باسم «أمنوفيس» قد اختلطت أسماؤهم في هذا التاريخ. فالفرعون «أمنوفيس» (أي أمنحتب الثالث) يعلم من معاصره «أمنوفيس» بن «حبو» أنه في المستقبل ستوضع مصر على يد النجسين وحلفائهم في النار وفي الدم.[١٠] وهذا الخبر ليس فيه ما يدهش للأثري المصري الحديث المدقق تدقيقًا عظيمًا؛ وذلك لأنه في عهد «أمنوفيس الثالث» (أمنحتب الثالث) كان يعيش رجل عظيم يدعى «أمنوفيس» (أمنحتب) بن «حابو» وكان ذا شهرة عظيمة لما أوتيه من الحكمة والعلم، وقد بلغ من العمر أرذله. وقد بنى له الفرعون الذي كان يحبه حبًّا جمًّا معبدًا خلف المعبد المخصص لعبادته. وقد كشف عنه اثنان من الأثريين الفرنسيين حديثًا (راجع مصر القديمة ج٥).

وقد كان الفراعنة مغرمين بمعرفة المستقبل، وكان الملك «سنفرو» أول ملوك الأسرة الرابعة قد أعلن على لسان حكيم هليوبوليتي وقوع غزوة آسيوية لن تقع فعلًا إلا بعد تاريخه بمدة خمسة قرون، (أي بعد الأسرة السادسة). وعلى الرغم من صمت الوثائق المصرية يمكننا القول: بأن «أمنوفيس الثالث» قد علم من سميه الحكيم بمصيبة من نفس هذا النوع، لدرجة أن فكرة هذه المصائب المقبلة اضطرت هذا الرجل المقدس أن يتخلى عن الأيام القليلة، التي بقيت له في الحياة. ولكن يبتدئ ارتباك هذه القصة عندما نعلم من الفقرة التي اقتبست حرفيًّا من «مانيتون» أن الفرعون «أمنوفيس» يجب أن يقوم بحرب على الأنجاس، وأن ابن «أمنوفيس» هذا كان يدعى

«سيتي» وكذلك يدعى «رعمسيس». وقد فسر «جوسفس» على ما يظهر أن الملك الذي سمع النبوءة وسميه الذي رآها تتحقق هما شخص واحد، ولكن لا شيء لدينا يبرهن على أن «مانيتون» لم يعتقد توحيدهما.

والواقع أن الحقائق التاريخية التي اقتبسها «جوسفس» من «مانيتون» تجبرنا على أن نميزهما بعضهما عن البعض الآخر؛ فالفترة التي تفصل بداية الأسرة الثامنة عشرة عن نهاية عهد «أمنحتب الثالث» (أمنوفيس) قد قدرت بثلاث وستين ومائة سنة وخمسة أشهر، على حين أن المدة التي كانت بين طرد الهكسوس وحرب «أمنوفيس» مع الأنجاس تقدر بثماني عشرة وخمسمائة سنة. وهذا الرقم — على أية حال — عالٍ جدًّا، وقد وصل إليه «جوسفس» بإضافة المدة التي تبتدئ من أول الأسرة الثامنة عشرة حتى عهد الأخوين «سيتي» و«همايوس». أي: ٣٩٣ سنة إلى التسع والخمسين سنة التي حكمها «سيتوس» وإلى الست والستين سنة التي حكمها «رميسيس» (رعمسيس الثاني) وقد نسي أن «رميسيس» هذا قد حسبت مدة حكمه فعلًا في الثلاث والتسعين والثلاثمائة سنة السالفة الذكر. وعلى ذلك يجب أن نطرح الست والستين سنة التي حكمها من المجموع الكلي. فيكون الباقي هو ٤٥٢ سنة.

ونحن نعلم أن الأسرة الثامنة عشرة قد ابتدأت حوالي ١٥٥٥ق.م، فحرب الأنجاس يمكن وضعها إذن في نهاية القرن الثاني عشر قبل الميلاد، (حوالي ١١٠٠ق.م) وهذا يتفق مع آخر عهد الأسرة العشرين.

وملوك هذه الأسرة — إذا استثنينا أولهم — سموا كلهم باسم «رعمسيس» وآخر الرعامسة قد اتخذ اسم تتويجه، أو بعبارة أخرى لقبه الرسمي «من ماعت رع»، وهو لقب «سيتي الأول» أيضًا. وهذا ينطبق تمامًا على ابن «أموفيس سيتوس» (سيتي) الذي كان يسمى كذلك «رعمسيس» أي: باسم جده «رميسيس» (رعمسيس) الذي لم يمكث إلا خمس سنين في بداية الحرب.

ولكن مَنْ «أمنوفيس» هذا الذي لا تذكره قوائم أسماء الملوك، والذي يعده «جوسفس» نفسه شخصًا خرافيًّا؟ والواقع أنه في عهد «رعمسيس التاسع» ظهر شخص ذو قوة عظيمة جدًّا يحمل نفس الاسم الذي يحمله ابن «حبو» ومليكه. وأعني بذلك الكاهن الأكبر «لآمون» المسمى «أمنحتب» (أمنوفيس) وهو الذي ورث هذه الوظيفة من أخيه «نسآمون»، الذي أخذها بدوره عن والدهما «رعمسيس نخت». وهذا الكاهن الدساس الماهر قد انتزع من مليكه الضعيف ألقاب شرف وسلطان تفوق حد المألوف وضعته فوق الفرعون. ويتساءل الإنسان عما إذا كان هذا الكاهن قد حاول الاستيلاء على العرش نفسه وهو ما فعله بعد فترة قصيرة خلفه في رياسة كهانة «آمون» «حريحور».

والواقع أنه ليس لدينا برهان يؤكد هذه الحقيقة، ولكن لدينا متون سنذكرها فيما بعد تظهر أن مجال حياة الكاهن الأكبر «أمنوفيس» كان مضطربًا عند نهايته. وقد جاء ذكر حرب خاصة بالكاهن الأعظم «لآمون»، وإذا كان كل من «جوسفس» و«مانيتون» — أو «جوسفس» فقط — قد أخطأ في أنه عد «أمنوفيس» بمثابة الملك الحقيقي، ووالد آخر الرعامسة، فإن هذا الخطأ يجب الاعتراف به، غير أنه خطأ يمكن التسامح فيه؛ إذ إنه لا يكاد يقلل من احتمال صحة القصة. «فرعمسيس العاشر» لم يكن له في الحكومة أهمية تذكر بالنسبة لوزيره الطموح.

وقد قدم لنا مؤلفنا «جوسف» تفاصيل دقيقة عن مشعلي هذه الحرب، فقال عنهم: إنهم مصريون قد أصيبوا بالبرص وبعاهات منوعة لم تمنعهم قط عن العمل في المناجم، ومن وجود حلفاء عند قيامهم بالثورة، ومن نشر الرعب في البلاد. وقد كانت «أواريس» (بلدة «تيفون» أي: الإله ست) مقرهم. وقد سنوا قوانين تتعارض تمامًا مع العادات المصرية، ولم يعبدوا الآلهة، وذبحوا الحيوانات المقدسة وأكلوها. وهذه المعلومات ليست واقعية بدون شك، ولكنها مع ذلك تقابل بالضبط الفكرة التي تكونها عن هذه الحروب عند أتباع «آمون» ولفظة «الأنجاس» التي فهمها كتَّاب العصر المتأخر على حسب معناها الحرفي وحسب، وهي في الواقع ترجمة كلمة «إدت»،

ومعناها الحرفي «الطاعون» ويقصد بها «الهكسوس». ولكن لماذا كان القوم يكرهون «الهكسوس»؟ وسبب هذا الكره — على الأقل — أنهم أجانب يحتقرون آلهة المصريين العظام عدا الإله «ست» (اتخذوه إلها لهم عندما دخلوا البلاد غازين ووحدوه مع أحد «آلهتهم» «بعل»).

والواقع أن تأسيس الأسرة التاسعة عشرة وإقامة مقر ملك في «أواريس» كان — على الأقل — علامة على انتقام الإله «ست» وسيادة سكانها الذين كانوا — من حيث الجنس — نصف ساميين. ولا نزاع في أن «سيتي» و«رعمسيس» ومن تَسَمَّى باسميهما من الملوك ليسوا — في الجملة — إلا هكسوسًا أكثر تمصرًا من الملك «خيان»[11] و«أبوفيس»، ومن تسمى باسميهما.

ولما كانت مصر ليس لديها ما تشكوه منهم فقد عمل القوم على أن ينسوا أنهم قد استقروا — عن طيب خاطر — في حقول «تانيس» أكثر من «منف» أو «طيبة»، وأنهم قد ضربوا المثل في عبادة «ست» وزوجه «عنتا» وغيرهما من الآلهة الآخرين الذين هم من أصل آسيوي. وقد كان كره المخلصين «لآمون» موجهًا إلى هذا الإله، وإلى السكان أيضًا.

وعلى أية حال فإن لدينا بعض اللوم الذي نوجهه إليهم، فقد كان سكان هذه المدينة لا يزالون يمارسون العادة الوحشية، وهي تضحية الآدمي ووضعه في ودائع الأساس، وهذا عادة لم تكن متبعة في سائر البلاد المصرية. وعلى العكس من ذلك فقد كانوا لا يهتمون بالحيوانات المقدسة، ومن ثم نرى أن الآلهة التي كانت ترسم على المسلات والعمد واللوحات والنقوش البارزة كانت تمثل كلها تقريبًا في صورة آدمية. يضاف إلى ذلك أن اللغة التي تسود الجهات من البحر الأبيض حتى الشلال الأول كانت واحدة، ولكن اللهجة والاصطلاحات والألفاظ كانت مختلفة لدرجة أن رجل «الدلتا» إذا أتى إلى «أسوان» كان لا يفهم شيئًا تقريبًا مما يسمعه، ولا يمكنه أن يجعل نفسه مفهومًا في آنٍ واحد كما هي الحال الآن.

ويقول «مانيتون»: إن أهالي «أواريس» هم وحدهم المسئولون عن هذه الحرب، فقد كان رئيسهم كاهنًا من «هليوبوليس» يدعى «أوسارسف» (وسر-سا-ف) (معنى الاسم «أوزير» حاميه). وقد قام بوساطة جمهور من العمال بإصلاح جدران المدينة، وأمر بالاستعداد لمحاربة الملك «أمنوفيس»، وقد أرسل مبعوثًا للرعاة (الهكسوس) يطلب التحالف معهم، وقد وعدهم بأن يقودهم أولًا إلى «أواريس» وهي موطن أجدادهم، وأن يمدهم بدون حساب بكل ما يحتاجون إليه، ثم يحارب في جانبهم عندما تحين الفرصة وتخضع لهم البلاد بسهولة. وقد أسرع الرعاة والفرح يفيض منهم في السير إلى الحرب عن بكرة أبيهم، وقد بلغوا حوالي مائتي ألف رجل تقريبًا، ووصلوا إلى «أواريس». ويلاحظ أن سكان الشمال الشرقي للدلتا كان لهم علاقات في الواقع تربطهم بالكنعانيين والفينيقيين أكثر من التي كانت بينهم وبين «طيبة»، وقد أخذوا يتنافرون مع هؤلاء، وعلى ذلك كان من الطبعي أن يتفاهموا مع أعداء مصر. وهذه المحالفة كانت قد عقدت وحدها من جديد عندما أصبحت «أواريس» عرضة لحرب الطيبيين.

وبعد أن تدبر الملك «أمنوفيس» الأمر مع رؤساء مصر وضع الحيوانات المقدسة والتماثيل العظيمة الاحترام في مأمن، وأمر بترحيل الأمير الشاب «سيتوس» وهو الذي كان يسمى كذلك «رعمسيس» (أي رعمسيس الحادي عشر) إلى بلاد «كوش». وبعد أن جمع جيشًا قوامه ٣٠٠٠٠٠ نسمة مدربين أحسن تدريب قام لمقابلة العدو، غير أنه لم يجسر أن يبدأ القتال، فعاد بجيشه إلى «منف» حيث أخذ العجل «أبيس» والحيوانات الأخرى المقدسة التي أمر بإحضارها، وبعد ذلك قام في الحال مع كل جيشه والسكان المصريين متجهًا نحو بلاد «كوش» متقهقرًا، فيا له من تقهقر! والتفسير الذي قدمه «مانيتون» لهذا، هو أن «أمنوفيس» قد رأى بأنه غير مجدٍ في معارضة ما قرره الآلهة، ويظهر أنه قد عمل ذلك ليحفظ عزة الطيبيين وكرامتهم. وإذا كان لدينا تقرير أو قصة عن هذه الحوادث بقلم أحد الأنجاس كما يسمون، فإننا كنا نعلم أنه من المحتمل إصابة الجيش الطيبي بهزيمة نكراء كانت ذكراها مؤلمة له، حتى إنهم لم يريدوا أن يتحدثوا عنها

قط. ومهما يكن من أمر فإن ملك «كوش» قد استقبل هذه الجموع من اللاجئين، وأحسن ضيافتهم بمحصولات البلاد مدة الثلاث عشرة سنة التي حُكم فيها على «أمنوفيس» بالنفي. وقد قام جيش نوبي لحراسة الحدود المصرية لحماية «أمنوفيس» وأتباعه. وقد انتشر الأنجاس المتحالفون مع «السولوميت» (الآسيويين) في كل مصر دون أن يجدوا أية مقاومة. وقد عاملوا السكان بطريقة دنسة قاسية. حتى إن عهد الرعامسة كان يظهر بجانب ذلك العهد عصرًا ذهبيًّا في نظر أولئك الذين قاسوا من ظلمهم الأمرَّيْن، إذ إنهم لم يحرقوا القرى والمدن وحسب، ولم يكتفوا بسلب المعابد وتحطيم تماثيل الآلهة، بل ما فتئوا يستعملون المحاريب مطابخ لشتى الحيوانات المقدسة التي كانت تعبد، وأجبروا الكهنة، وخدَّام الآلهة على تضحيتها وذبحها، ثم سلخها وإلقائها على قارعة الطريق. وكذلك نعلم أن الهكسوس قد أحرقوا المدن ومحوا المعابد وذبحوا، أو ساقوا الأهلين عبيدًا، وقد جدد الأنجاس هذا العسف، ولكنهم — فوق ذلك — اعتدوا على الحيوانات المقدسة كما فعل «قمبيز» فيما بعد، عالمين أن ذلك يعد أعظم شيء يجرح كرامة المصريين.

وعندما انتهى أجل الثلاث عشرة سنة عاد «أمنوفيس» من بلاد «كوش» على رأس جيش جرار. وكان الأمير «رميسيس» الذي بلغ وقتئذٍ الثامنة عشرة من عمره يقود كذلك جيشًا. وقد هاجم الجيشان معًا الرعاة والأنجاس وهزموهم. وبعد أن قتلوا عددًا عظيمًا طاردوهم حتى حدود سوريا.

وبقي علينا بعد ذلك ذكر الوثائق الأثرية والقصة التي رواها «مانيتون»، والتفسيرات التي أدلى بها «جوسفس» أن نمتحن الوثائق المختلفة التي وصلت إلينا من هذا العصر الذي وقع فيه حرب الأنجاس. والشخص المسئول عن هذه الحرب فيما يخص بلدة «طيبة» هو الكاهن الأكبر «لآمون» (أمنحتب). وقد تركناه في السنة العاشرة من عهد «رعمسيس التاسع». وقد بلغ من الغنى والجاه منتهاهما، فكان يد الفرعون؛ لأنه كان رئيس الخزانة. وسنرى من الآن الهجمات المروعة التي كانت ستقع في «طيبة»، ففي السنة الرابعة عشرة من حكم «رعمسيس التاسع» بدأ الإعلان عن السلب الذي كان يحدث في مقابر جبانة «طيبة»، وبخاصة مقبرة الملكة «إزيس»

زوجة الفرعون «رعمسيس الثالث». وقد خابت هذه المحاولة، ولكن في السنة السادسة عشرة قامت عصابة اللصوص بمحاولتها من جديد، وقد لوحظ على حين غفلة أن قبرًا ملكيًّا كان يثوي فيه الملك «سبكمساف» أحد ملوك الأسرة الرابعة عشرة، وكذلك قبر الملكة «نبخعس» قد نُهب، وقد حاول نقب قبرين آخرين ولكن خاب المسعى. ومن جهة أخرى نجد أن قبري مغنيتين لبيت العبادة، وعدد عظيم من مقابر الأفراد قد نُهب بوحشية.

فألقيت الموميات خارج التوابيت، وانتزع ما عليها وما فيها من ذهب وفضة وحلي، وقد قبض على اللصوص واعترفوا اعترافات تامة بالجريمة، وقد كان ذلك عملًا خطيرًا، غير أن الشائعات انتشرت عن سرقات أخرى أعظم أهمية قد حدثت. وقد اتهم أمير «طيبة» الشرقية صراحة أمير الجبانة بأنه يحمي اللصوص، وقد أحدث ذلك صخبًا كبيرًا. وقد ألفت لجنة للتحقيق كان فيها الوزير «خعمواست» ورئيس كهنة «آمون»، وسمعت أقوال المتهمين والشهود. وقد أجاب أحد هؤلاء بقوله: «إن كل الملوك والزوجات والأطفال الملكيين الذين يثوون في أماكنهم الكاملة لم يمسوا بعد، وأنهم محروسون، وأنهم محميون للأبدية، وأن قرارات الفرعون الحاسمة — وهو ابنهم — هي التي تحميهم، والتفتيش عليهم بدقة.» وكان هذا رأي اللجنة الذي جاء بمثابة إعلان رسمي. وعلى الرغم من حسن الظن الرسمي فقد تطورت الحال إلى فوضى علنية، إذ في السنة التالية لذلك بدأت السرقات من جديد. وقد اتهم فيها أكثر من مائة شخص كثير منهم من أتباع الكاهن الأكبر «لآمون». ولا نعلم إلا قليلًا جدًّا من السنتين الأخيرتين من حكم «رعمسيس التاسع» وعن السنين الثلاث التي حكمها «رعمسيس العاشر»، وعن بداية حكم الفرعون «رعمسيس الحادي عشر». والفرعون الأخير الذي اتخذ اسم تتويجه لقب «سيتي الأول» كان وزيراه الرئيسيان الكاهن الأكبر «لأمنوفيس»، ونائب «كوش» «بينحسي» حتى السنة السابعة عشرة على الأقل، وكان يقوم بوظائف هامة في الإدارة المصرية، فقد كان رئيس الخزانة الأعظم، والكاتب الملكي للجيش، والمشرف على مخزن الغلال المزدوج، وقائد الرماة. ويوجد في «متحف تورين» خطاب أرسله

إليه الفرعون في السنة السابعة عشرة، ونغمة هذه الخطاب ودية، ولكنه في ذاته لا يقدم لنا معلومات ذات بال، فقد جاء فيه أنه كان ينبغي لبينحسي أن يلاحظ موظفًا قد تسلم تعليمات لتنفيذها من الفرعون في «طيبة»، وقد أظهر نفسه قبل ذلك بزمن يسير بأنه جاء لإعادة النظام في المقاطعة السابعة عشرة، التي سقطت عاصمتها «سنيبوليت» (القيس) في يد أعداء قد تجمعوا في الجبلين،[١٢] وقد كانت فيما مضى مدينة للهكسوس. وبقيت بسبب إلهها «سبك» ذات علاقة ودية بالإله «ست».

وفي السنة التاسعة عشرة من حكم هذا الفرعون وقعت حادثة لم يعرفها متن معاصر، ولكنها على وجه التأكيد حادثة ذات شأن عظيم؛ وذلك لأن هذه السنة تعد بداية عهد جديد يسمى «تجديد ولادات» وعلى أية حال فإن السنة التاسعة عشرة من حكم «رعمسيس الحادي عشر» يمكن تسميتها في وثائق رسمية بالسنة الأولى من عهد تجديد الولادات. ولدينا وثائق أخرى مؤرخة بالسنين: الثانية، والرابعة، والخامسة، والسادسة، والسابعة من عهد تجديد الولادات أيضًا.

وقد ظهر في هيئة العمال الإداريين العظام أسماء جديدة، فقد حل محل الوزير «خعمواست» آخر يدعى «نبماعت رع نخت». وحل «حريحور» محل كل من «بينحسي» و«أمنحتب». وبذلك جمع بين وظائف نائب «كوش» والكاهن الأكبر «لآمون» في آنٍ واحد. وقد ظهر اسم «تانيس» للمرة الأولى في المتون المصرية حيث نعلم فضلًا عن ذلك أن وزير الشمال والملحق السياسي لآسيا كان يسكن في هذه المدينة، ويدعى «نسبانيبدد» وهو «سمندس» الذي ذكره المؤرخون الإغريق.

ونحن نعلم أن كلًّا من «حريحور» و«سمندس» قد صار ملكًا في وقت واحد، وعلى التوالي؛ بعد ذلك بقي «رعمسيس الحادي عشر» يحكم اسمًا بضع سنوات، إذ لدينا لوحة عُثر عليها في «العرابة» ذُكر فيها السنة السابعة والعشرون من عهد «رعمسيس الحادي عشر» (راجع:

(Gauthier L. R. III 233). ونعلم أن بداية الأسرة التاسعة عشرة وهو عصر نهضة جاء عقب حكم أسرة ثانية أنهكها الفقر. وقد افتتح بتولية أسرة قد وعدت بخلف ثري، وفي الوقت نفسه تعد بداية عصر تاريخي لإصلاح فرعوني داخلي وخارجي، وفي هذه المرة نجد أن أسرة الرعامسة كان لها ممثلون عديدون دائمًا (راجع عن أولاد الرعامسة A. S. XVIII, p. 245) وعن نواب «كوش» وهيئة العمال الإداريين في «كوش» (راجع Rec. Trav. XXXIX p. 179–237) ولكن كانت قد اقتربت اللحظة التي سيُقْصَون فيها عن السلطة إلى الأبد، والآن نتساءل هل هذا التغيير في هيئة العمال قد جلب معه في مصر إعادة قوة الفرعون؟

والواقع أن تلك القوة لم تظهر خارج البلاد؛ وذلك لأن «ونآمون» مبعوث «حريحور» و«سمندس» قد عوملا عند الملك «زاكاربعل» ملك إمارة «جبيل»، وهي صديقة مصر القديمة بدون احترام كبير، وقد عومل «ونآمون» معاملة أسوأ من أهالي «صيدا» و«السخاليين» وأهالي «قبرص». وعلى أية حال فإن الإصلاح في الداخل على الأقل كان قد أعيد فعلًا. ويلاحظ أن ورقة «ماير A»، وما جاء على ظهر ورقة «إبوت» رقم ٥، وورقتي «المتحف البريطاني» رقمي ١٠٠٥٢، ١٠٤٠٣، وورقة «أمبراس» الموجودة بمتحف «فينا» وهي التي يرجع تاريخها كلها إلى عهد النهضة لها علاقة بشئون السرقات والنهب مثل ورقة «إبوت»، وورقة «أمهرست ليو بولد الثاني» التي تعد أقدم من الأوراق السابقة بنحو ربع قرن، ويمكن أن نذهب إلى أنه في عهد «رعمسيس التاسع» قد حميت بعض اللصوص، ولكن لم يكن هناك مجال للمجاملة، فقد كان المجرمون يحلفون اليمين على أن يقولوا الصدق، وإذا كذبوا أو أخفوا شيئًا ضربوا بالمقرعة عدة مرات إذا اقتضى الأمر إلى أن يعترفوا، وكان يحدث أن تثبت براءة أحدهم بعد الضرب بالعصا الذي ناله، والأمور التي كان يلام عليها هؤلاء التعساء لم تكن معينة بتواريخ في العادة، ولكنا أحيانًا نجد أنها اتهامات قديمة يرجع تاريخها إلى عدة سنين، وعلى ذلك كان هذا العهد عهد فوضى وشقاء، لم يحترم فيه الناس المقابر ولا المعابد ولا حتى أملاك الأفراد، ولم يكن في مقدور رجال

الشرطة أن يمنعوا ارتكاب الجرائم، وعندما عاد النظام إلى نصابه قبض على الأشقياء بالجملة، سواء أكانوا مجرمين حقيقة أو مشتبهًا في أمرهم بأنهم اشتركوا في جرائم، ونجد في التحقيقات التي أجريت أن بعض الأسئلة والإجابة عليها تلقي ضوءًا كافيًا على حالة العصر الذي كانت تجتازه البلاد.

فقد أُحضرت المواطنة «إري نفر» زوج الأجنبي «بينحسي» بن «ساتي»، ووجه إليها اليمين بالملك أن تقول الحق وإلا عوقبت بالنفي إلى «كوش» وقيل لها: ما لديك لتقوليه في الفضة التي يملكها «بينحسي» زوجك؟ فقالت: إني لم أرها. فقال لها الوزير: بأية طريقة حصلت على الخدم الذين كانوا معه؟ فقالت: إني لم أرَ الفضة التي دفعها لهم، لقد كان في سفره عندما كان معهم، فقال لها القضاة: من أين أتت الفضة التي صاغها «بينحسي» «لسبك أم ساف»؟ فقالت: لقد دفعت ثمنًا للشعير في «سنة الضباع»، عندما كان الناس جياعًا (راجع ورقة المتحف البريطاني رقم ١٠٠٥٢ ص١١ س٤–٨) وسنة الضباع يمكن أن تكون سنة مات فيها كثير من الناس ولم يتمكن الناس فيها من دفن موتاهم، وقد أتت الضباع في خلالها حتى المدن والقرى. ولو فرضنا أن هذه استعارة تشبيهية فإن السنة التي استحقت هذا الاسم المستعار ينبغي أن تكون سنة قاسية.

والفقرة التي اقتبسناها قد استعملت في وصف «بينحسي» جاء فيها لفظ يظهر أنه لم يفسر تفسيرًا مرضيًّا بعد. وقد ترجم بلفظة أجنبي، وتدل شواهد الأحوال على أن هؤلاء الأفراد قد ذكروا كثيرًا في الوثائق المؤرخة بعصر النهضة هذا، وفي معظم الأحيان، نجد أنهم قد سئلوا على انفراد، وأحيانًا كانوا يعملون جماعة جماعة كما نشاهد ذلك في فقرة من ورقة «ماير A»، فقد حقق مع المسمى «عحا نفر» وبعد أن حلف اليمين بأن يقول الصدق شهد بالألفاظ التالية: لقد ذهب أجانب واستولوا على المعبد على حين كنت مشتغلًا ببعض حمير يملكها والدي، ولكن «باحاتي» وهو أجنبي قبض عليَّ وساقني قهرًا إلى «أبيب» (راجع ورقة «ماير A» ص٦ س٦، ٧). ويتساءل الإنسان عن هؤلاء الناس الذين يتكلمون لغة أجنبية ومع ذلك يحملون كلهم أسماء مصرية، وقد

اشتركوا في نهب القبور والمعابد، أليس من الجائز أن يكونوا من أهالي «أواريس» وحلفائهم الذين انتشروا في كل الإقليم «الطيبي»[١٣] بعد التقهقر المخزي الذي قام به جنود «أمنوفيس»؟ وهذا الحادث الأخير قد ترك أثرًا عميقًا، ونظن أننا نجده في إشارتين في متون التحقيق، فقد سئلت امرأة من «طيبة» تدعى «موت مويا» بأن تحلف أن تقول الصدق، وقالت: وعندما وقعت حرب الكاهن الأكبر استولى هؤلاء الرجال على أشياء لوالدي، وقد قال والدي: إني لم أترك هؤلاء الرجال يدخلون البيت ... (ونهاية الشهادة فقدت) (راجع الورقة رقم ١٠٠٥٢).

والعامل الذي عرف جيدًا كيف يضع حميره في مأمن عندما رأى اللصوص يهاجمون المعبد قد ذكر في شهادته اسم الكاهن الأكبر ليؤرخ المنظر، فقد قال: إن هذا قد حدث في مدة ستة أشهر بعد التعدي الذي عمله «أمنوفيس»، الذي كان كاهنًا أكبر «لآمون»، وقد اتفق أنني عدت بعد تسعة أشهر من تعدي «أمنوفيس» الذي كان كاهنًا أكبر، وعندئذٍ كان قد كسر خزانة النفائس وأشعلت فيها النار. (راجع ورقة «ماير A» ص٦ س٩، ٨) وعلى ذلك تكون قد وقعت حادثة معروفة لكل العالم في مجال حياة الكاهن الأكبر «لآمون»، وقد استعملت مدة طويلة نقطة ارتكاز لتاريخ الحقائق الخاصة، وقد سماها أحد الشهود حرب «خروي» وسماها الآخر «قها»، والكلمة هنا تعني (يتعدى بالمعنى الأدبي والقانوني) في كتاب الموتى الفصل ١٢٥ الذي فيه يعلن المتوفى براءته من الخطايا. وتعني هذه الكلمة «ينهب» (قبرًا). وفي ورقة «إبوت» تعني «يخرق الحدود» أي: (يتعدَّى عليها) وقد فهم ناشر ورقة «ماير A» وهو الأستاذ «بيت» ومن بعده تعبير الجملة الخاصة «بأمنحتب» في معناها بالبناء للمجهول وترجموها كما يأتي: التعدي أو القمع الذي لحق «بأمنحتب»، وعلى ذلك يظن البعض أن «أمنحتب» الكاهن الأكبر قد أوقف عن أعماله تسعة أشهر على أقل تقدير، غير أن هذه الترجمة وما تبعها من تعليق عليها معرضة لنقد كبير. وقد ترجمت «عمل المتعدي الذي ارتكبه «أمنوفيس»»، ولكن هل تعدَّى الكاهن الأكبر واجبات عمله مثلًا بمحاولته فرض نفسه ملكًا، أو المقصود مجرد القول أنه تعدى إلى الجهة الأخرى من

الحدود؟ وهاتان الترجمتان يمكن قبولهما والمدافعة عن صحتهما بالنسبة لما لدينا من وثائق تجيز الواحدة كما تجيز الأخرى. فقد حاول فعلًا أن يكون ملكًا، كما حاول وأفلح في تعدي الحدود بعد نفيه هو والملك.

خلاصة: لقد حاولنا فيما سبق تحليل قصة حرب الأنجاس أو الفكرة التي نقلها «يوسفس» على حسب ما جاء في «مانيتون»، وقد بحثنا عن إشارات إلى هذه الحوادث في المتون المعاصرة وأثرها في مدينة «أواريس» القديمة التي اتخذها «رعمسيس» عاصمة له، وسنحاول هنا الآن باستعمال هذه المصادر الثلاثة تأليف قصة متصلة لهذه الحرب التي لم يشر إليها أي تاريخ مصري قديم، على الرغم من أن أهميتها يمكن أن تقرن مثلًا بالحروب الدينية التي خضبت أرض فرنسا بالدماء في القرن السادس عشر.

لقد أتى «رعمسيس الثاني» بمعجزة عندما نقل مقر حكمه من «طيبة» إلى «بررعمسيس»، وجمع في مقر حكمه آلهة الشمال وآلهة الجنوب والآلهة الآسيويين وآلهة مصر، وبخاصة العدوَّيْن القديمين «ست» و«آمون»، دون أن يكون هناك أي احتجاج. وقد كان كهنة «آمون» وكهنة «ست» يتبادلون الود والتحيات، والطيبيون الذي جذبهم مقر الملك لم ينفكوا عن التحدث عن جمال مبانيها وبهاء مياهها ونضارة حدائقها وفرح أهلها،[١٤] وقد كان «لرعمسيس» الفضل في خلق هذا التناسق وتلك الميزات التي اختصت بها هذه المدينة، وبعد موته بدأت المتاعب وظهرت المصاعب، إذ لم تنقضِ بضع سنين حتى أصبح كل شيء في مصر على أسوأ حال، وذلك عندما هب «ستنخت» ليؤسس أسرة جديدة لم تكن في الحقيقة إلا امتدادًا للسابقة، وقد ظن الناس أن عهد «رعمسيس الثالث» سيعيد للبلاد أيام عهد «رعمسيس الأكبر». والواقع أن سلطان الفراعنة قد أخذ في الضعف، في حين أن كهنة «آمون» قد أخذوا يستعيدون نفوذهم، ويستردون ثروتهم التي كانوا يملكونها قبل عهد الفوضى. ولم يكن يكفي كهنة «آمون» العظام أن يصبحوا مستقلين عن الملك، وأن يجعلوا وظيفتهم وراثية، بل أرادوا أن يحكموا الدولة، ويخلطوا ماليتهم بمالية الحكومة،

ويسيطروا على الكهنة الآخرين. وقد كان الكاهن الأكبر منذ زمن بعيد الرئيس الأعلى لكل الآلهة، ولكن الإله «ست» سيد «أواريس» الذي أصبح «ست رعمسيس» أو «مرنبتاح» مقلقًا «لآمون» بمجرد وجوده هناك. وما دام «ست» هناك، فإن القوم لا يمكن أن يصبحوا في أمان بالنسبة للمستقبل، وقد يكون من باب المبالغة أن نعتقد أن مطمح «آمون» الوحيد قد سبب الحرب الأهلية. حقًّا إن أتباع «ست» لم يكونوا فئة سهلة المعاملة، فحينما كانوا يسكنون إقليمًا على الحدود، كان لديهم تقريبًا. بالنسبة للذين يسكنون في الجهة الأخرى من حدودهم كثير من علاقات التقارب بينهم وبين المصريين.

فقد كانت حقول «تانيس» مغمورة بالساميين قبل خروج بني إسرائيل، حتى بعد خروجهم. ويمكن القول بأن مصر كانت قبل نهاية الأسرة العشرين تقريبًا مقسمة حزبين: أحدهما يمثل الحزب الوطني، والآخر الحزب الأجنبي.

ولم يفت أهالي «طيبة» أن ينابزوا أتباع «ست» بالألقاب التي كانوا يصفون بها الهكسوس، فقد كانوا يلقبونهم «بالطاعون» و«الأنجاس»، وقد كانوا يلومونهم على أنهم كانوا يؤدون نفس الشعائر التي يؤديها المصريون الآخرون، وأنهم يؤدون شعائر أخرى، وأنهم يحتقرون الحيوانات المقدسة، ويتكلمون لهجات لا يمكن فهمها. ولدينا كل الأسباب التي تحملنا على الاعتقاد بأن هذه التوبيخات كانت صائبة في حدود معينة، وعلى ذلك فإن الحزبين كانا يتهيآن للقتال. وكان «أمنحتب» الكاهن الأكبر «لآمون» رئيس أتباع «آمون» الطيبيين، وكان رئيس أتباع «ست» كاهن من «هليوبوليس» ويدعى «أوسارسف»؛ وذلك لأنه كانت توجد بين «هليوبوليس» و«أواريس» صداقة قديمة تشبه التي كانت تربط السيد العالمي وسيد الأرضين صاحب هليوبوليس «رع» بالإله «ست» حامي سفينة الشمس ورب الرعد.

ولم تقم حرب قط دون مال. وقد اتفقت الصدف بشكل بارز على أن مقابر الملوك القدامى والأفراد، وهي التي كانت دائمًا موضع احترام، قد بدأت تنهب من بداية السنة الثالثة عشرة من عهد «رعمسيس التاسع». ولم تتحرك العدالة لهذا الموضوع إلا بعد مضي أربع سنوات، وقد كانت الخسائر أصابتها بشكل مريع، ولكن ماذا نعلم؟ نرى أن أمير مقابر «طيبة» قد أخذ في التقليل من شأن هذا النهب، وقد كان العدد الأكبر من المجرمين من موظفي الجبانة أو من أتباع الكاهن الأكبر «لآمون». وتدل شواهد الأحوال على أن المال المقبوض عليه كان يعطى لأولئك الكهنة العظام.

ومن ثم يظهر أن «أمنحتب» كان يريد زيادة مالية خزانته بسلب متاع الموتى. ولما كانت الوثائق المؤرخة بالسنتين السادسة عشرة والسابعة عشرة لم تشر بأية إشارة لحرب أهلية. فإن المظنون أن المناوشات لم تبتدئ إلا بعد ذلك بزمن يسير. وقد أمدنا المؤرخ اليهودي «يوسفس» بتحقيق تاريخي عندما قال: إن الملك «سيتي» الذي كان يسمى كذلك «رعمسيس» كان عمره خمس سنوات. وقد وحَّدنا هذا الأمير بالملك «رعمسيس الحادي عشر». ويمكننا أن نعترف بأنه على أثر موت «رعمسيس العاشر»، الذي لم يمكث على عرش الملك أكثر من ثلاث سنوات على ما نعلم كان الأمير الوارث للعرش لا يزال في طفولته، وفي هذه الحالة وجد الكاهن الأكبر «أمنحتب» سيد البلاد أن اللحظة المناسبة قد حلت لتحقيق خطط «آمون» وأتباعه.

وقد قام جيش من الجنوبيين لمقابلة الأنجاس الذين كان يقودهم «أوسارسف»، وقد حصنوا مدينتهم وبحثوا لهم عن حلفاء، ولم يكن يخالجهم الخوف في أن يفتحوا حدود بلادهم لأعداء مصر الألداء وهم الكنعانيون والعاموريون والفينيقيون، ويمكن أن نضيف إلى هؤلاء الإسرائيليين، وقد تخطوا الحدود بعدد يبلغ مائتي ألف رجل كما يقول المؤرخون الإغريق، وهذا بطبيعة الحال رقم ضخم، ولكن ليس هناك محل للمعارضة في أن أهالي «أواريس» قد وصلهم مدد أجنبي. وقد كانت الواقعة الأولى في غير صالح الجنوبيين الذين لم يقاوموا ولم يعتقدوا في أنفسهم أنهم من القوة، بحيث يمكنهم مقاومة الشماليين. وقد هجر «أمنحتب» مصر السفلى والعليا وذهب ليجد ثانية

الفرعون الشاب عند نائب «كوش» الذي كان وقتئذ «بانحسي» وقد وضع العجل «أبيس» في مأمن، وكذلك الحيوانات المقدسة والتماثيل ذات الاحترام الكبير. وانتظر هناك إلى أن تواتيه الفرصة في حماية بلاد النوبة بالقرب من صخور أسوان، وقد انتشر الأنجاس على أثر ذلك في البلاد، وقد ازداد عددهم بأولئك الذين لم يكن لديهم ما يخسرونه بنشر الفوضى، فلم يحترم أحد المعابد ولا المقابر ولا أملاك الأفراد. وقد سميت سنة خاصة في تلك الفترة «سنة الضباع»، وهذه السنة من غير شك هي التي ظهر فيها الأنجاس في مقاطعة «طيبة»، وهذا الوقت الفظيع كان لا يمكن أن يستمر إلى الآن. والواقع أن الجيش الذي يتحول إلى النهب لا بد أن يكون عرضة لأن يهزمه أولئك الذين هزمهم في أول الأمر. وقد أعاد الكاهن الأكبر والملك تنظيم قواتهما، وقد وجدا في «بانحسي» و«حريحور» رئيسين قادرين، وعلى ذلك فقد الأنجاس «جبلين» ومصر الوسطى، وطُردوا من كل مكان وتحصنوا بجدران «أواريس» كما فعل ذلك من قبل الهكسوس، وكما أخذت «أواريس» من قبل على يد الطيبيين. وقد ذُبح أتباع «ست» في هذا النضال أو طردوا إلى سوريا، وقد هدمت تمامًا المعابد والقصور كلها.

وهذا النصر قد عد بداية عهد جديد يسمى «عهد النهضة» تذكارًا لانتصار كل من «أمنمحات الأول» و«سيتي الأول» من قبل، وقد كان عصر كل منهما يسمى بهذا الاسم، ولكن مع ذلك نجد أن عصر النهضة الثالث هذا يختلف عن العصرين الأولين في أن حدوثه لم يتفق تمامًا مع تغيير أسري. وقد عاش «رعمسيس الحادي عشر» الذي حارب في الجانب المحق، وساعد على تخريب ما أسسه أجداده بضع سنين، وحافظ على لقبه الملكي، ولكن في الوقت نفسه كان قد قضى على أسرته.

وقد ظل الرعامسة محافظين على عرش البلاد أكثر من قرنين قبل ذلك، وقد كان سلطان الإله «ست» في مصر عظيمًا طوال مدة حكمهم. وقد بدأ هذا العصر بتجديد ولادة، غير أنها نهاية تجديد ولادة أخرى هي التي تعوزنا في النهاية؛ فقد سقطت الأسرة العشرون، وذهب ملوكها إلى

غير رجعة، وبدأت البلاد عصرًا جديدًا عاد بها إلى حالتها الأولى في أقدم عصورها عندما كانت مقسمة إلى مملكتين: مصر السفلى، ومصر العليا؛ وهذا ما سنشاهده في حياة مصر خلال الأسرة الواحدة والعشرين.

متن جديد عن عصر النهضة: وقد جاءت الكشوف الحديثة بوثيقة أخرى جديدة خاصة بعصر النهضة أو «تجديد الولادات» من عهد الفرعون «رعمسيس الحادي عشر» مثبتة للنتيجة التي وصل إليها الأستاذ «شرني»، كما ذكرنا من قبل (راجع: J. E. A. Vol XV. p. 194). وهذه الوثيقة كما سنرى تضيف سنة جديدة على امتداد هذا العصر. وعلى حسب التاريخ الذي على ظهر ورقة «إبوت» وهو السنة التاسعة عشرة المقابلة للسنة الأولى، فإن الوحي الذي سنتحدث عنه يؤرخ بالسنة الخامسة والعشرين من عهد الفرعون «رعمسيس الحادي عشر» والسنة السابعة من عهد «النهضة». وهذا النقش قد نحت على الجدار الخارجي الشمالي من قاعة العيد «لأمنحتب الثاني» بالكرنك عند النهاية الشرقية، وهذا المعبد الصغير يقع بين البوابتين التاسعة والعاشرة على الجانب الشرقي من الردهة.[١٥]

وسنورد هنا أوَّلًا المتن ثم نعلق عليه.

الترجمة: (١) حامل المروحة على يمين الفرعون، ونائب الملك في كوش، والكاهن الأول (٢) «لآمون رع» ملك الآلهة، والقائد والمرشد «بيعنخي» المرحوم.

(٣) الكاهن الثاني «لآمون» المسمى «نسآمون رع».

(٤) الكاهن المطهر كاتب مخزن ضياع آمون «نسآمون».

(٥) «آمون رع» رب تيجان الأرضين المقدم في الكرنك (٦) رب السماء، ملك الآلهة، ومن على رأس (٧) التاسوع العظيم (٨) والواحد الأزلي للأرضين (٩) ومن برأ كل كائن.

(١٠) السنة السابعة من (عصر) «تجديد الولادات» (عصر النهضة) شهر أبيب، اليوم الثامن والعشرون في عهد (١١) جلالة ملك الوجه القبلي والوجه البحري «من ماعت رع-ستبن رع» بن «رع رعمسيس الحادي عشر» (١٢) يوم ظهور جلالة هذا الإله السامي «آمون رع» ملك الآلهة (١٣) عند وقت الصباح في عيد «أبت-حمس» (ومنه اشتق اسم شهر أبيب في القبطية).

(١٤) وقف الإله العظيم على المنصة (التي كانت تحمل) وبعد ذلك (١٥) كلمة القائد «بيعنخي» المرحوم قائلًا: (١٦) يا سيدي الطيب قف عند شئون (١٧) ضيعتك. وعندئذ أشار برأسه بشدة.

وبعد ذلك وضع أمامه كل الموظفين الإداريين التابعين للضيعة، (١٩) فجعل مراقبي القربان المقدسة ينعزلون، (٢٠) ثم قال ثانية: (بيعنخي) يا سيدي الطيب إن مراقبي القربان المقدسة قد وضعوا جانبًا، (٢٢) فهز الإله العظيم رأسه بشدة.

وبينما كانوا أمامه (٢٣) إذ وقف عند «نسآمون» المرحوم (٢٤) ابن «عشاخت» المرحوم وهو الذي كان كاتبًا لمخزن ضيعة «آمون»، (٢٥) ثم قال ثانية (بيعنخي): «إنه (أي نسآمون) قد عين كاتب مخزن ضيعة «آمون» في وظيفة آبائه وعندئذٍ هز الإله رأسه بشدة.» (أي علامة على القبول).

وهذا المتن فضلًا عن التاريخ الجديد الذي أضافه لنا في تاريخ عصر النهضة كما سبق ذكره يقدم لنا معلومات جديدة عن تاريخ هذا العهد، فقد جاء في هذا المتن ذكر «بيعنخي» الذي لا نعلم عنه إلا الشيء القليل؛ ففي نقوش الردهة الأولى لمعبد «خنسو» ذكر أنه أول أولاد الكاهن «حريحور» الذين يحملون وظائف صغيرة (راجع L. D. III p. 1 237 a) وبعد أن وصل إلى مرتبة الكاهن الأول «لآمون رع» والوظائف الأخرى التي ذكرت في هذا المتن تولى قيادة الجيش على رأس حملة لبلاد النوبة كما ذكر لنا ذلك في بعض الأوراق البردية،[١٦] فقد ذكر أن «بيعنخي» بالاسم، ومن المحتمل أنه هو الذي قد أشير إليه بلقب قائد في خطابات مختلفة من خطابات العصر المتأخر

من عصر الرعامسة (راجع Ibid 627. 1, 9, & 629, 1. 9) وقد وجدت لوحته الجنازية في العرابة المدفونة،[١٧] وخلافًا لذلك فإن كل ما نعرفه عنه قد ذكر في نقوش ابنه «بينوزم» الذي خلفه كاهنًا أكبر «لآمون» إلا في حالة واحدة حيث نجد اسم ابنته ووالدها على لفافة مومية.[١٨]

وقد زعم بعض المؤرخين عند كتابة نهاية العصر الذي نحن بصدده، أي نهاية الأسرة العشرين وبداية الأسرة الواحدة والعشرين، أن «حريحور» قد استولى على عرش الملك بعد موت «رعمسيس الحادي عشر» وأنه بعد موت «حريحور» مباشرة أصبح «بيعنخي» الكاهن الأول «لآمون رع»[١٩] ولكن في هذا النقش المؤرخ بالسنة الخامسة والعشرين من عهد «رعمسيس الحادي عشر» يظهر أمامنا «بيعنخي» يحمل ألقابه التي من الدرجة الأولى، وقد ظن البعض أن هذا النقش قد كتب بعد الوحي بعدة سنين، غير أن ذلك احتمال بعيد، والواقع أن «حريحور» كان يعد العدة من كل الوجوه ليقفز على عرش الملك بمجرد موت «رعمسيس الحادي عشر»، ومن أجل ذلك قلد ابنه الألقاب التي كانت تؤهله للقبض على زمام الأمور من الوجهة الدينية والحربية. ومما تجدر ملاحظته في هذا الصدد أن «بيعنخي» قد أشير إليه في صلب النقش بوصفه قائدًا وحسب. ولا نزاع في أنه هو الذي خاطب الإله بوصفه قائد الجيش لا «نسآمون» الكاهن الثاني الذي كان حاضرًا. وذلك مما يقوي الرأي القائل: بأن صعود «حريحور» في مدارج القوة هو وأسرته، وتملكه عرش البلاد يرجع إلى نفوذه وسلطانه الحربي لا إلى قوته الدينية وحسب.

وعلى أية حال فإنا لا نجد في نقوش معبد «خنسو» الخاصة بأولاد «حريحور»، حيث نجده في المناظر المتصلة بهذا النقش، يظهر بوصفه ملكًا، أن «بيعنخي» كان يحمل ألقابًا عالية أو غيرها. ولكن من المحتمل أن هذه النقوش كانت تختلف في تاريخ نقشها.

أما الوحي الذي هو موضوع هذا النقش، فإنه مهما كانت الكلمات التي فُقدت من أوله (السطر السابع عشر) فإن الموضوع الوحيد الهام فيه كان تعيين كاتب مخزن ضيعة «آمون» المسمى

«نسآمون» خلفًا لوالده. وكانت الطريقة المتبعة في ذلك على ما يظهر هي أن يقبل الإله الفصل في الموضوع، وبعد ذلك كان يستعرض الموظفين الإداريين للمعبد أمامه في مجاميع، كل على حسب وظيفته، ومن بين هذه المجاميع انتخبت مجموعة المراقبين، ومن بينها اختير «نسآمون».

وفي هذا المتن نجد أن الطريقة في الاختيار هي أن يُسأل الإله أن يقف عند الشخص، الذي يريد أن يعينه في الوظيفة عند سرد أسماء المراقبين أمامه، وذلك يعني أن الإله عندما يكون محمولًا في القارب المقدس، فإنه يقف عند الشخص الذي يختاره في أثناء تلاوة الكلمات التي ينطق بها السائل للإله. ولدينا في مصدر آخر (Pap. B. M. 10335) عن لص كشف عنه بتلاوة أسماء سكان أهل قرية بوساطة المجني عليه، فقد هز الإله رأسه عندما ذكر اسم هذا الجاني (راجع J. E. A. Vol. XI p. 25 & P1. XXXN).

وتأكيدًا لمعرفة الجاني وأنه هو الشخص الذي يقصده الإله كانت تكرر العملية.

وقد ذكرنا من قبل أن تعيين كبار الموظفين في الوظائف العالية، سواء أكانوا ملوكًا أم كهنة عظام كان بوساطة الوحي (راجع مصر القديمة ج٤، وج٦). حيث نجد كيف تولى «تحتمس الثالث» عرش الملك بالوحي، وكيف اختير «نسب وننف» كاهنًا أعظم في عهد «رعمسيس الثاني» بالوحي أيضًا. ويلاحظ هنا أن تعيين «أوسركون» بوساطة الوحي كاهنًا أكبر «لآمون»، ليس بالأمر المؤكد كما ذكر ذلك «بلاكمان» (J. E. A. XXVII p. 92, Note 5) حيث يقول: إن «نب وننف» في عهد «رعمسيس الثاني» و«أوسركون» في عهد «تاكيلوت»[٢٠] قد عين كل منهما كاهنًا أكبر «لآمون» بوساطة الوحي.

ومن بين الأسئلة التي توجه للوحي مما كتب على «الإستراكا» واحد خاص بالتعيين في وظيفة،[٢١] فقد سئل الإله: هل يعين سيتي كاهنًا؟ والظاهر أن جوابًا بالإثبات كان ينفذ به التعيين. وهذا يماثل الجملة الأخيرة في المتن الذي نحن بصدده الموجهة إلى الإله. ومن المحتمل أن التعيين في

الوظائف الكبيرة والصغيرة كان يعمل غالبًا بوساطة الوحي، وفي الواقع قد تكون هذه الطريقة هي العادية في عهد الدولة الحديثة وما بعدها.

ولا نعلم السبب الذي من أجله نقش «نسآمون» هذا النقش، هل كان في أمر تعيينه شك، أم كان ذلك لمجرد الفخر والظهور كما هي عادة الموظفين المصريين الذين ينالون حظوة عند رؤسائهم؟ وما أشبه البارحة باليوم. وعلى أية حال فإنا مدينون للكاتب «نسآمون» بتلك الحقيقة التاريخية القيمة التي قدَّمها لنا عن عصر النهضة وعن قوة «حريحور» في تلك الفترة، هذا بالإضافة إلى المعلومات الجديدة التي حدثنا عنها بالنسبة إلى الوحي وكيفية إيحائه.

(٢) علاقة مصر بالبلاد المجاورة في تلك الفترة

ذكر فيما سبق أن علاقة مصر على ما يظهر لم تكن على ما يرام مع بلاد «لوبيا»، وأن بعض «المشوش» كانوا يهاجمون البلاد في غارات صغيرة من وقت لآخر، وكذلك ذكرنا أنه في عهد الملك «رعمسيس الحادي عشر» قد غزا البلاد نوبي، ولكن نجد من جهة أخرى أنه كانت لمصر فرقة في بلاد «كوش»، وأن كل مجرم كان يقترف ذنبًا جسيمًا كان ينفى فيها.

وكذلك نجد أن أهالي «سوريا» كانوا يفرون من بلادهم إلى مصر؛ فقد ذكر لنا أحد الشهود في محاكمة، وهو «كربعل»، أنه يريد أن يعترف بالحقيقة؛ لأنه لا يريد بعد أن فر من بلاده أن ينفى إلى بلد أشد بؤسًا منها، وهي بلاد «كوش» التي كانت منفى للمجرمين.

وتدل النقوش التي وجدت في بلاد النوبة على أن بلاد «كوش» كانت وقتئذٍ خاضعة لسلطان الفرعون، وأن نائبه هناك كان لا يزال صاحب قوة. وكان «بينحسي» هو نائب الفرعون «رعمسيس الحادي عشر» في السودان. وجاء من بعده «حريحور»، كما فصلنا القول في ذلك من قبل (راجع مصر القديمة ج٥).

ولدينا خطاب من الفرعون «رعمسيس الحادي عشر» إلى حاكم بلاد «كوش»، وهو على الرغم من أن محتوياته ليست من الأهمية بمكان إلا أنه ذو قيمة تاريخية بسبب التطور في مدى سلطة نائب بلاد «كوش». وقد عرفنا أنه في عهد الأسرة التاسعة عشرة قد أصبحت بلاد الذهب في يد الإله «آمون»، وأنه كان يدير شئونها حاكم بلاد «كوش»، وكانت الخطوة التي تلت ذلك أن أصبحت إدارة أرض الذهب هذه، وكذلك وظيفة حاكم بلاد «كوش» في يد الكاهن الأكبر «لآمون». وهذا هو ما فعله «حريحور» كما سنرى بعد، غير أن الخطاب التالي يظهر لنا أن «حريحور» لم يكن قد نفذ ذلك بعد مع «رعمسيس الحادي عشر» في السنة السابعة عشرة من سني حكمه، إذ في ذلك الوقت كان الفرعون لا يزال يمارس تنفيذ سلطته على حاكم بلاد «كوش» لدرجة أنه كان يرسله ليحث الساقي المتباطئ على الإسراع، ويحفزه على تنفيذ ما أمره به الفرعون من جمع مواد البناء وإتمام محراب. وهاك نص هذا الخطاب:

ألقاب الفرعون: «حور» الثور القوي محبوب «رع»، المنسوب الإلهتين، عظيم القوة، صادٌّ مئات الألوف «حور» الذهبي، عظيم القوة، ومن يجعل الأرضين تعيشان، الملك له الحياة والفلاح والصحة، المنشرح الصدر، العادل، سار الأرضين، ملك الوجه القبلي والوجه البحري، رب الأرضين «منماعت رع ستبن بتاح» — له الحياة والفلاح والصحة — ابن «رع» رب التيجان «رعمسيس الحادي عشر» «خعمواست مري آمون نتر حقن أيون» له الحياة والفلاح والصحة.

المقدمة: أمر ملكي لابن الملك صاحب «كوش» وكاتب الملك للجيش، والمشرف على الغلال «بينحسي» قائد رماة الفرعون له الحياة والفلاح والصحة يقول: إن أمر الملك قد أحضر إليك وهو: اذهب ... خلف مدير البيت ساقي الفرعون له الحياة والفلاح والصحة، واجعله يقوم بتنفيذ مأمورية الفرعون له الحياة والفلاح والصحة سيده، وهي التي قد أرسل لتنفيذها في الإقليم الجنوبي، وعندما يصلك مكتوب الفرعون سيدك (أي هذا الخطاب) اجتمع به لتجعله يقوم بعمل مأمورية الفرعون (له الحياة والفلاح والصحة) سيده، وهي التي قد أرسل من أجلها.

المحراب: ويجب أن تعتني بهذا المحراب الخفيف الخاص بهذه الآلهة العظيمة، ويجب أن تكمله، وعليك أن تحمله إلى السفينة، ويجب أن تجعله يؤتى به أمامه إلى مكان سكني العظيم (قنتير). ويجب أن تحضر له حجر «خنمت» (حجر ثمين) وحجر «إلن خو» وحجر «إس مارا» وأزهارًا من نبات «خاثا» وأزهارًا زرقاء كثيرة إلى مكان سكني لأجل أن أملأ بها يد الصناع، ولا تهمل هذه المأمورية التي أرسلها لك. تأمل؛ إن أكتب إليك للتأكد، ولأخبرك بصحة الفرعون.

«السنة السابعة عشرة، الشهر الرابع من الفصل الأول، اليوم الخامس عشر من الشهر.»

ومن ثم نعلم أن الفرعون كان لا يزال على اتصال وثيق برجال الإدارة في بلاد النوبة، وأنه كان يطلب إليهم المواد اللازمة لعمل المحاريب وغيرها لتوضع في مقر ملكه الذي كان وقتئذٍ في «قنتير» غير أننا لم نعرف لأي إلهة كان هذا المحراب، فهل كان للإلهة «موت» زوج الإله «آمون»، أو لإحدى الإلهات العظيمات الآسيويات اللاتي تمصرن (Br. A. R. IV §, 595 ff).

(٣) تقرير «ونآمون» أو قصة «ونآمون»

وقد جادت الصدفة علينا بوثيقة تعد من أهم الوثائق، التي تظهر لنا العلاقة بين مصر وبلاد سوريا بصورة قصصية فريدة في بابها.

وهذه الوثيقة مكتوبة على بردية عثر عليها الفلاحون في عام ١٨٩١ في بلدة «الحيبة» المقابلة للفشن بالوجه القبلي، وهي الآن محفوظة في متحف «موسكو». وكان أوَّل من ترجمها الأستاذ «جولينشيف» (راجع Br. A. R. V 557 Note (a)) ثم ترجمها وعلق عليها الأستاذ «إرمان». وكذلك كتب عنها الأستاذ «إرك بيت» أيضًا، وأخيرًا ترجمها المؤلف وعلق عليها في كتاب الأدب المصري القديم ج١ ص١٦١ … إلخ.

وهذه الوثيقة تعد أكبر مصدر تعرف منه مكانة مصر عند نهاية الأسرة العشرين، وقد وضعت في العام الخامس من عهد «رعمسيس الحادي عشر»، عندما كان لا يحمل من الملك إلا اسمه، وكان

المتولي أمور الدولة كلها هو الكاهن الأكبر «لآمون» «حريحور»، وإن لم يكن يحمل لقب الملك، وكان وقتئذٍ يسيطر على «طيبة» في حين كان «نيسو بنبدد» (سمندس) الذي أصبح فيما بعد أول ملوك الأسرة الحادية والعشرين يسكن في «تانيس» ويحكم الدلتا. وفي هذه الأحوال أرسل «حريحور» أحد موظفيه الذي يدعى «ونآمون»؛ ليحصل على خشب الأرز من غابات بلاد لبنان لبناء سفن مقدسة للإله «آمون». وعلى حسب وحي أوحى به إلي الإله «آمون» استؤمن هذا الرسول على تمثال لإله يدعى «آمون الطريق»؛ ليحمله معه بمثابة مبعوث لأمير «ببلوص» (جبيل) ولما كان المبعوث قد صادفته صعاب خارقة للمألوف في تنفيذ مأموريته قدم تقريرًا مفصلًا بعد عودته إلى وطنه مفسرًا فيه سلسلة الحوادث التي كانت تعرقل نجاح مساعيه، وعلى الرغم من ضياع جزء كبير من التقرير من سوط العمود الأول، وضياع جزء آخر من العمود الآخر مما جعل القصة لم تصلنا بأكملها، فإنها مع ذلك تعد من أهم الوثائق التي عثر عليها في مصر حتى الآن، وبخاصة في عصر غامض كالذي نبحث فيه.

ملخص القصة: ففي اليوم السادس عشر من الشهر الحادي عشر من السنة الخامسة في عهد الفرعون «رعمسيس الحادي عشر» غادر «ونآمون» «طيبة» إلى «تانيس»، وقدَّم أوراق اعتماده للملك «نسو بنبدد» فيها فأحسن استقباله، وبعد أن غادر «طيبة» بخمسة عشر يومًا، أي: في اليوم الأول من الشهر الثاني، أقلع من «تانيس» في البحر الأبيض في سفينة تجارية يقودها بحار سوري، ولما وصل إلى بلاد «دور» وجد أن الذهب والفضة التي أحضرها معه قد سرقت، وكانت «دور» وقتئذ مملكة صغيرة يحكمها قوم من «الثكل»، الذين كانوا قد أخذوا مع الفلسطينيين يستوطنون سوريا في عهد «رعمسيس الثالث» منذ حوالي ثمانين سنة خلت من ذلك العهد. وقد كانوا آخذين في الزحف دائمًا نحو الجنوب بعد الهزيمة التي لاقوها على يد «رعمسيس الثالث» في السنة الثامنة من حكمه، وقد استوطنوا على طول الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط بمثابة رعايا لفرعون مصر، وبعد موت «رعمسيس الثالث» لا بد أنهم كانوا قد نالوا

استقلالهم بسرعة. ولم يعامل رئيس الثكل «ونآمون» معاملة مرضية من أجل فقده ما كان يحمله معه من نفائس، وبعد أن مكث عنده «ونآمون» تسعة أيام أقلع شمالًا إلى بلدة «صور» (وهنا يلاحظ أن الجزء الذي يصف فيه ما حدث له في رحلته من «دور» إلى «صور» قد فقد من الأصل) وفي طريقه من «صور» إلى «جبيل» قابل بعض أهالي «ثكل» ومعهم حقيبة (؟) فيها فضة ووزنها ثلاثون دبنًا (الدبن ٩١ جرامًا) ولما كان قد فقد واحدًا وثلاثين دبنًا من الفضة فإنه أخذ الحقيبة رهينة عنده. وقد وصل إلى «جبيل» بعد مضي أربعة أشهر واثني عشر يومًا من رحيله من «طيبة»، ولما كان قد سافر في سفينة تجارية عادية وليس في سفينة خاصة من سفن الملك «نسو بنبدد»، ولما لم يكن معه كذلك هدايا ثمينة، وهي المظاهر العادية التي كان يظهر بها المبعوثون المصريون السابقون له إلى هذه الأصقاع، فقد رفض «زاكاربعل» أمير «جبيل» أن يستقبله وأمره بالرحيل. وبعد مضي تسعة عشر يومًا استولت على أحد شباب الأشراف الذين كانوا في خدمة الأمير غيبوبة تنبُّئِية، وقد طلب هذا الشاب في خلال غيبوبته إلى أولي الأمر أن يعامل «ونآمون» وإله «آمون الطريق» معاملة كريمة.

وفي الوقت الذي اعتزم فيه «ونآمون» العودة إلى «مصر» طُلب إلى قصر «زاكاربعل»؛ ولكن لما لم يكن معه وقتئذٍ نقود، هذا إلى تركه أوراق اعتماده جهلًا منه مع «نسوبنبدد» في «تانيس» ولم يكن معه إلا تمثال «آمون» الذي سبق ذكره وقد كان المفروض فيه أنه يمنح الحياة والصحة، ولكن على ما يظهر لم يكن له مقام يذكر عند السوريين، لكل هذا لم يعامل بالاحترام اللائق به، إذ نرى أنه احتقر ما «لحريحور» والإله «آمون» من حقوق في هذه البلاد، وفي الوقت نفسه برهن «زاكاربعل» — من الوثائق التي عنده — على أن آباءه كانوا يأخذون ثمنًا للأخشاب التي كانت ترسل إلى مصر، وعلى ذلك أرسل «نسو بنبدد» يطلب إلى الأخير إرسال نقود، وقد أظهر الأمير حسن استعداده لإرسال خشب ثقيل في الحال إلى مصر لهيكل[٢٢] السفينة. وقد عاد الرسول من عند

«نسو بنبدد» مدة ثمانية وأربعين يومًا ومعه جزء من ثمن الخشب المطلوب، وعلى ذلك أرسل «زاكاربعل» ثلاثمائة رجل وثلاثمائة ثور لقطع بقية الأخشاب وإحضارها.

وبعد مضي حوالي ثمانية شهور من مغادرة «ونآمون» مصر كان الخشب قد جهز، وقد أعطاه «زاكاربعل» «ونآمون» وقال له بشيء من المداعبة العابثة أنه قد عومل معاملة أحسن من التي عومل بها آخر مبعوثين من مصر الذين حجزوا في «جبيل» سبع عشرة سنة وماتوا هناك، وإثباتًا لذلك كلف الأمير أحد أتباعه ليقود «ونآمون» حتى قبره ويريه له. غير أن «ونآمون» أبى ذلك وسلم مودعًا، ووعد أن يعمل على دفع ما تبقى من ثمن الخشب، ولكن حدث أنه لما كان على أهبة الإقلاع ظهرت في عرض البحر عدة سفن لأهل «ثكل» غرضها القبض على «ونآمون»، وكان سبب ذلك بلا شك أخذه الفضة. وعندئذٍ جلس «ونآمون» التعس الحظ على الشاطئ وأخذ ينتحب، وعندما سمع «زاكاربعل» بما حاق به أرسل إليه رسله يطمئنونه ومعهم طعام ومغنية مصرية لتسري عنه، وفي الصباح قابل الأمير «الثكل» وأرسل «ونآمون» إلى البحر، وبطريقة ما تجنب «الثكل» غير أن ريحًا مضادة حملته على «قبرص» (ألاسا) وكان على وشك أن يقتله القبرصيون فإذا به يجد إنسانًا يتكلم المصرية ونجح في اكتساب حظوة ملكة قبرص، وبذلك نجا من القتل.

وإلى هنا ينتهي الجزء الذي وصل إلينا من هذا المتن الهام، ولا نعرف — بكل أسف — كيف وصل «ونآمون» إلى أرض الكنانة. ويلاحظ العالم بتاريخ مصر كيف أن مصر قد سقطت هيبتها في بلاد «لبنان» ذلك الإقليم الذي كان يدين للفراعنة منذ أقدم العصور بالطاعة والخضوع. وهكذا نرى عند نهاية الأسرة العشرين كيف أن مصر — على الرغم من أنها كانت محترمة بوصفها مصدر الحضارة — لم يكن في مقدورها أن تحصل على الحماية العادية والاحترام لمبعوثها في سوريا، ولا غرابة في هذا فإن شواهد الأحوال تدل على أن هذه الحالة كانت موجودة قبل عهد هذا الفرعون بكثير، ولكنها ظهرت بصورة بارزة في عهده. ومما تجدر ملاحظته في هذا التقرير

كذلك أن فيه أقدم مثال عن الغيبوبة التنبُّئِية كما أشرنا إلى ذلك. هذا بالإضافة إلى أن أمراء «جبيل» كان لديهم سجل تجاري في بردية قيدت فيه معاملته مع مصر، كما نوه بذلك أميرها مع «ونآمون» في حديث له.

هذا وقد كان من بين الهدايا التي أحضرت لأمير «جبيل» من الدلتا خمسمائة إضمامة بردي، ولا نزاع في أن الفينيقيين لم يكتبوا الخط المسماري بالقلم والحبر على هذه البرديات؛ لأن كتابة الخط المسماري بهذه الكيفية لا يمكن تصور قبحها، وقد كان من البدهي إذن أن الفينيقي كان يكتب على البردي بالخط الهيراطيقي العادي، وهي نفس المادة التي كان يُكتب عليها في مصر، وهذا الخط هو الوحيد الذي كان يعرف وقتئذ؛ لأنه يحتوي على علامات أبجدية لكل حروف الهجاء، ومن ثم يمكن القول بأنه في حوالي عام ١١٠٠ق.م قد حلت كتابة أخرى محل الخط المسماري.

تقرير «ونآمون» من الناحية الأدبية والسياسية

وإذا نظرنا إلى هذا التقرير من ناحية الأدب العالمي، فإنه يعد قصة من الأدب الراقي الذي وصل إلينا من عهد الدولة الحديثة، وإذا قسناها بغيرها من قصص الدولة الوسطى كقصة «سنوهيت» الراقية المغزى والتعبير، أو قصة الغريق السهلة التناول القوية الأسلوب وجدت أن أهم ميزة لقصتنا هذه هو الوصف الحي، الذي تضعه أمامنا والحوار الحاد الممتع الذي تعرضه على أسماعنا، وأهم من هذا وذاك البيئة التي أظهر القاص فيها، والجو الذي نقل القارئ إليه، والنواحي النفسية التي تتناولها كإبراز أخلاق «ونآمون» أهم شخصية فيها، وبيان أن الأسرة العشرين التي انحطت قوتها أعجز من أن تجلب لمصر ما اعتادت الأسر القوية أن تفعله، فلم يكن في مقدور حاكمها أن يصدر أمرًا في مصر لينفذ في لبنان. ولقد سرد الكاتب قصته أو تقريره بطريقة جميلة حتى لترسخ في ذهنك صورة أمير «جبيل» في حجرته العليا وظهره مستند إلى شرفتها وأمواج البحر السوري تتلاطم من خلفه، وحتى تشارك «ونآمون» أساه لهروب أحد أتباعه بما كان عنده

من ذهب أو فضة، وحتى ترثي لخذلانه عندما طولب بإبراز ما يتسلح به من توصية أو عدة، وحتى تبكي معه سوء طالعه عندما رأى الطيور تنزح للمرة الثانية إلى مصر، وهو على حاله من الخيبة والفشل في سوريا مقيم.

وقد وضع الكاتب أمام أعيننا صورة مدهشة لتدهور الدولة المصرية وسقوطها مشربة باعتقاد رقيق مؤثر في قوة «آمون» وقدرته على انتشالها من وهدتها، وإعادتها لما كانت عليه في غابر الأزمان.

وهذه القصة جديرة بأن توضع جنبًا لجنب مع بعض أحسن القصص التي وردت في التوراة مثل قصة «يونس» ورسالته، أو قصة «راعوت» في وسط القمح مع فارق واحد وهو أن قصتنا قد سبقت كلًّا منهما بنحو خمسة قرون، كما أنها تقدم لنا صورة حية عن السياحة وعن التجارة في شرقي البحر الأبيض المتوسط، وتساعدنا على تصوُّر ذلك العالم على حقيقته، كما كان ذلك العالم الذي لا تزال صورته نتمتع بها في قصة «الأوديسا» بأسلوبها البسيط الخالي من المحسنات اللفظية العميقة القديمة. هذا إلى أن القاص يستميلنا أكثر من هذا بنكاته الدقيقة، التي تجري على لسانه من غير تكلف أو اصطناع (وسنورد فيما يأتي متن القصة حرفيًّا).

متن القصة: في اليوم السادس عشر من الشهر الثالث من فصل الصيف سنة خمس[٢٣] سافر في هذا اليوم «ونآمون» أكبر رجال قاعة إدارة «آمون» بالكرنك ليحضر الخشب للسفينة الكبرى المعظمة الخاصة «بآمون رع» ملك الآلهة، وهي التي على النهر وتسمى «وسرحات آمون». ففي اليوم الذي وصلت فيه إلى «تانيس» مقر «سمندس» و«تنتآمون» أعطيتها خطابات «آمون رع» ملك الآلهة، وقد قُرئت في حضرتيهما وقالا: نعم سنفعل كما قال سيدنا «آمون رع» ملك الآلهة، وقد مكثت إلى الشهر الرابع من الصيف في «تانيس»، ثم أرسلني «سمندس» و«تنتآمون» مع قائد المركب «منجبت»[٢٤] وفي اليوم الأول من الشهر الرابع من فصل الصيف نزلت في بحر

سوريا العظيم. وقد وصلت إلى «دور» وهي مدينة «للزاكار»،[٢٥] وقد أمر «بدر» أميرها بإحضار (؟) رغيف لي وإناء من النبيذ وساق ثور.[٢٦] وقد ولى الأدبار أحد رجال سفينتي سارقًا أواني من الذهب ... يبلغ مقدارها خمس دبنات[٢٧] وأواني فضة أربعًا، يبلغ مقدارها عشرين دبنًا، وفضة في كيس يبلغ مقدارها ١١ دبنًا. فمجموع ما سرق خمسة دبنات من الذهب، وواحد وثلاثون دبنًا من الفضة، وكان في الكيس قطع من الفضة كانت تستعمل للتعامل زيادة على الأواني، وهذا مبلغ عظيم كان لا بد أن يستعمل معظمه لشراء الخشب.

وفي الصباح نفسه (؟) استيقظت وذهبت إلى حيث كان الأمير، وقلت له: لقد سُرقت في ثغرك، ولمَّا كنتَ أمير هذه الأرض وشرطيها، فابحث عن نقودي، وفي الحق إن المال ملك «آمون رع» ملك الآلهة ورب الممالك، وهو ملك «سمندس» وملك «حريحور» سيدي، وملك عظماء مصر الآخرين،[٢٨] ومن ملكك أنت، ومن مال «ورت» ملك «مكمر» و«زاكاربعل» أمير «جبيل»،[٢٩] فقال لي: أأنت مؤذٍ أم مسالم؟[٣٠] انظر! أنا لا أفهم شيئًا في هذا الموضوع الذي حدثتني عنه؛ لأنه لو كان اللص الذي دخل السفينة وسرق المال من بلادي حينئذ كنت أدفعه لك ثانية من خزانتي إلى أن يُعرف اللص المذكور، ولكن الذي سرقك هو منك وتابع لسفينتك، فانتظر هنا بضعة أيام حتى أبحث عنه، وقضيت تسعة أيام مقيمًا في ثغره ثم ذهبت إليه وقلت: «انظر! إنك لم تجد نقودي (فسأقلع أنا) مع القائد ومن سيسافرون.»

وفي الكسر الكبير الذي في البردية في هذا المكان يمكن أن نقدر أن عبارة كالآتية قد قيلت. قامت مناقشة حادة بين «ونآمون» وأمير «دور»، إذ قال له: الزم الصمت. وقد أساء إليه إنسان النصيحة بأن يعمل مثل غيره على أن يسترد ماله ثانية بنفسه، أي يذهبون ليبحثوا عن سارقهم، ومن ثَمَّ أتى إلى «صور» (؟).

وأتيت في الفجر من «صور» واستمر في سياحته إلى «زاكاربعل» أمير «جبيل»، ولسوء الطالع قابل بعض أهالي «زاكار» في خلال سياحته، وظن أنه محق في أن يعوض على نفسه السرقة التي كان هو فريستها في مدينتهم من متاعهم، فسلب منهم كيسًا (؟) وجدت فيه ثلاثين دبنًا من الفضة فأخذتها، فاشتكوا ولكنه أجاب (حقًّا إنها) نقودكم غير أنها ستبقى معي إلى أن توجد نقودي. وعلى ذلك أوجد لنفسه أعداء من أهالي «زاكار»، ثم ذهبوا ووصل هو إلى ثغر «جبيل»، وهناك بحث لنفسه عن مكان أمين، وقد خبأت فيه «آمون الطريق» ووضعت فيه متاعه.[٣١] ولكن أمير «جبيل» لم يظهر ارتياحه لزيارة رجل لم يكن على وئام مع «الزاكاريين»، فأرسل إلي أمير «جبيل» وقال: «اخرج من ثغري» (لم يبقَ من جواب «ونآمون» على هذا الطلب إلا الكلمات الأخيرة): «إذا كان هنا ناس على سفر فدعهم يأخذوني إلى مصر.» (والظاهر أن «ونآمون» نفسه كان مستعدًّا تمامًا ليتخلى عن هذه الرحلة الفاشلة، غير أنه لم يكن لديه أية فرصة ليسافر آمنًا إلى وطنه إذا لم يضمن له أمير «جبيل» مكانًا أمينًا على ظهر مركب مسافر إلى مصر. ثم يستمر المتن) وأمضيت تسعة عشر يومًا في ثغره، ولكنه استمر يبعث إليَّ كل يوم قائلًا: اخرج من ثغري، وبينما كان يقدم القرابين لآلهته أصاب الإله أحد شبانه النبلاء،[٣٢] فصار مخبولًا، وقال: «أحضر الإله هنا (؟) أحضر الرسول الذي معه، إنه «آمون» الذي أرسل، إنه هو الذي جعله[٣٣] يأتي.»

وهكذا استمر الشاب المخبول في خبله طول الليل. على حين أني وجدت سفينة مقلعة إلى مصر، وكنت أنقل كل ما عندي على ظهرها، وكنت أرقب الظلام حتى إذا أسدل ستاره أنزل الإله حتى لا تراه عين أخرى. وأتى إليَّ رئيس الثغر قائلًا: «امكث إلى الصباح تحت تصرف الأمير.» فقلت له: ألست الذي لا يفتأ يأتيني كل يوم قائلًا: اخرج من ثغري ولم تقل قط ابقَ؟ والآن سيدع الأمير المركب التي وجدتُها تسافر ثم أتى إليَّ ثانية قائلًا: فلتذهب؟

فذهب وأخبر الأمير بذلك، ولكن الأمير أرسل إلى قائد المركب قائلًا: «امكث إلى الصباح تحت تصرف الأمير.»

ولما جاء الصباح أرسل إليَّ وأحضرني أمامه والإله بقي في … الذي كان فيه على ساحل البحر، فوجدته قاعدًا في حجرته العليا وظهره متكئ على النافذة، وأمواج بحر «سوريا» العظيم تتلاطم من خلفه، فقلت له: «رحمة (؟) آمون!» فقال لي: ما المدة التي قضيتها منذ أتيت من مقر «آمون» إلى الآن؟ فقلت له: خمسة شهور كاملة إلى الآن … فقال لي: «أحقًّا تتكلم الصدق؟ وأين إذن مكتوب رئيس كهنة «آمون» الذي يجب أن يكون معك؟» فقلت له: أعطيته «سمندس» و«تنتآمون». فغضب جدًّا، وقال لي: «انظر. ليس لديك كتابة ولا خطاب، فأين على أقل تقدير سفينة خشب الأرز التي أعطاها إياك «سمندس»؟ وأين نواتيها السوريون؟ حقًّا إنه لم يسلمك لربان هذه السفينة لتذبح وتلقى في البحر فمن أين إذن أتوا (؟) بالإله؛ وأنت أخبرني من أين أتوا بك؟» وهكذا تكلم إليَّ وقد قلت له: «ولكنها سفينة مصرية ونواتيها مصريون يسيحون «لسمندس» وليس لديه ملاحون سوريون.»[٣٤] فقال لي: «ولكن يوجد في ثغري عشرون سفينة مشتركة مع «سمندس» وفي «صيدا» التي مررت بها سائحًا أيضًا خمسون مركبًا مشتركة مع «بركات إيل»،[٣٥] وهي تسافر إلى بيته.»

وقد كنت صامتًا في تلك اللحظة الرهيبة، فأجاب قائلًا: «لأي داع أتيت إلى هنا؟» فقلت له: «أتيت لأجل الخشب اللازم للسفينة العظيمة الشأن ملك «آمون» ملك الآلهة؛ وقد كان والدك وجدك معتادين أن يفعلا ذلك، وستفعل أنت كما فعلا أيضًا.»

وهكذا تكلمت معه. فقال لي: حقيقة قد فعلا ذلك؛ وإذا أعطيتني شيئًا مقابل تنفيذ هذه الرغبة فعلتها. وفي الحق إن قومي قد أنجزوا هذا الأمر، ولكن الفرعون قد أرسل ستة مراكب هنا محملة بسلع مصر، وقد أفرغوها في مخازنهم، فعليك إذن أن تحضر لي أنت بعض الشيء أيضًا، ثم ذهب

وأحضر سجلات والده اليومية وأمر بقراءتها بصوت عالٍ في حضرتي، وقد وجد أن ما دخل سجله يبلغ ألف دبن من كل أنواع الفضة.[٣٦]

وقال لي: إذا كان حاكم مصر سيد أملاكي، وكنت أنا خادمه كذلك لم يكن لزامًا عليه أن يرسل فضة ولا ذهبًا حينما يقول: نفذ أمر «آمون» على أنها لم تكن هدية ملك[٣٧] التي أعطوها والدي؛ وأنا لذلك لست خادمك ولا خادم من أرسلك.[٣٨] وإذا بعثت إلى «لبنان» فإن السماء تفتح، وتكون الأشجار ملقاة هنا على شاطئ البحر.[٣٩] أعطني القلاع التي أحضرتها معك لتقلع بسفنك التي تعود بالخشب إلى مصر. أعطني كذلك الحبال التي أحضرتها معك لتربط بها بإحكام[٤٠] (؟) الـ … شجر الذي سأقطعه حتى أصنعها … لك … لأنك من غير هذا كله لا يمكنك أن تسافر بالخشب، وإذا صنعتها لك قلاعًا لسفنك فإن أطرافها ستكون ثقيلة أكثر من اللازم وتنكسر إلى قطع، وتهلك أنت في وسط البحر. وتأمل! إن «آمون» يرعد في السماء، ويجعل «سوتخ»[٤١] يثور (؟) في وقته؛ لأن «آمون»[٤٢] قد أمدَّ كل البلاد، وقد أمدهم كما أمد أرض مصر التي أتيت منها فقد أمدها أولًا؛ لأن الشغل لدقيق قد أتى منها إلى مقري؛ وكذلك التعليم أتى منها ليصل إلى مقري.

فما هذه السياحات الصبيانية التي جعلوك تقوم بها؟! فقلت له: صه، إنها ليست سياحات صبيانية مطلقًا التي أقوم بها، فليست هناك سفينة على الماء إلا وهي ملك «لآمون»؛ فإنه هو البحر ولبنان ملكه، وهي التي تقول عنها «إنها ملكي» لأنها مزرعة للسفينة «وسرحات آمون» رب كل سفينة. وفي الحق هكذا تكلم «آمون رع» ملك الآلهة قائلًا «لحريحور»: «سيدي،[٤٣] أرسلني واجعلني أسافر مع هذا الإله العظيم، ولكن تأمل! لقد جعلت هذا الإله العظيم يمضي ٢٩ يومًا، وبعد ذلك نزل إلى ثغرك وأنت تعلم تمامًا أنه كان هنا! وهو لا يزال على ما كان عليه أبديًّا، وأنت تقف الآن وتريد أن تساوم عن «لبنان» مع ربها «آمون».»

أما من جهة قولك: إن الملوك السالفين أرسلوا فضة وذهبًا، فإذا كانوا قد قدموا الحياة والصحة فإنهم كانوا في غنى عن إرسال هذه الأشياء، وقد فضلوا أن يرسلوا إلى آبائك هذه الأشياء بدلًا من الحياة والصحة.[٤٤]

والآن من جهة «آمون رع» ملك الآلهة فإنه هو رب الحياة والصحة، وقد كان رب آبائك الذين قضوا مدة حياتهم يقدمون القربان «لآمون»، وأنت كذلك خادم «لآمون». والآن إذا قلت: نعم سأفعلها، ونفذت أمره فإنك ستعيش وتفلح، وتكون في صحة جيدة، وستكون محسنًا إلى كل الأرض وإلى قومك. ولكن لا تأخذ شرها لنفسك أي شيء خاص «بآمون رع» ملك الآلهة، حقًّا إن السبع يحب متاعه! دع كاتبك يحضر إليَّ حتى أرسله إلى «سمندس» و«تنتآمون» قائدي الأرض، وهما اللذان قد منحهما «آمون» الجزء الشمالي من أرضه، وسيرسلان كل ما يحتاج إليه وسأكتب أنا إليهما قائلًا: أرسلها (أي: الأشياء) حتى أعود للجنوب، وأرسل لك كل ما أنا مدين به لك. وهكذا تحدثت له. وقد سلم خطابي إلى يد رسوله، ثم حمل خشب قعر المركب والمقدمة والمؤخرة، وكذلك أربع قطع أخرى، أي إن المجموع كان سبع قطع، وأمر بإرسالها إلى مصر، وقد ذهب رسوله إلى مصر، وعاد إليَّ في «سوريا» في أول شهر من الشتاء، وأرسل إلى «سمندس» و«تنتآمون»:

	عدد
ذهب	٤ أباريق وإناء «كاكمنت»
فضة	٥ أباريق
ملابس من الكتان الملكي	١٠ قطع
كتان جيد من الوجه القبلي	١٠ خرد

	عدد
بردي جميل	٥٠٠
جلود ثيران	٥٠٠
حقيبة عدس	٢٠
سلة سمك	٣٠

وكذلك أحضروا لي[٤٥] ملابس من كتان الوجه القبلي الجيدة ٥ قطع، وكتانًا جديدًا من الوجه القبلي ٥ خرد:

	عدد
عدس	١ حقيبة
سمك	٥ سلات

ففرح الأمير، وأعد ثلاثمائة رجل، وثلاثمائة ثور على رأسها ملاحظون لقطع الأخشاب، وقد قطعوها وبقيت ملقاة طول الشتاء. وفي الشهر الثالث من الصيف جُرَّت إلى شاطئ البحر.

وأتى الأمير ووقف عليها (أي الأشجار المقطوعة) وأرسل إليَّ قائلًا: تعال. ولما أُحضرت بالقرب منه سقط ظل مروحته عليَّ، ولكن «بنآمون»[٤٦] ساقيه وضع نفسه بيني وبينه قائلًا: إن ظل فرعون ربك قد سقط عليك، وقد غضب (الأمير) قائلًا: «دعه وهذه.» وأُحضرت بالقرب منه،

وأجاب قائلًا لي: تأمل إن الأمر الذي قد أداه آبائي في الزمن الماضي قد أديته أيضًا، وإن كنت أنت من ناحيتك لم تفعل لي ما فعله آباؤك لي. انظر. إن آخر قطعة من خشبك قد وصلت الآن، وها هي ذي قد كُوِّمت، والآن افعل كما أريد؛ وتعال لشحنها لأنها في الحقيقة أعطيت إياك، ولكن لا تأتِ لتشاهد أهوال البحر،[٤٧] فإذا كنت ستشاهد هول البحر فشاهد هولي أيضًا، وفي الحق لم أفعل معك ما فعلوه مع رسل «خعمواست»،[٤٨] حينما قضوا سبع عشرة سنة في هذه الأرض، وقد ماتوا حيث كانوا.

ثم قال لساقيه: «خذه وأره قبورهم حيث يرقدون.» وقلت له: «لا ترني إياها.» أما عن «خعمواست» فإنه أرسل لك رجالًا رسلًا، وكان هو نفسه رجلًا، وأنا ليس معي أحد من رسله، ومع ذلك تقول: اذهب وانظر إلى زملائك.[٤٩] ألا يحسن بك أن تفرح وتأمر بعمل لوح تذكاري لك وتنقش عليه «آمون رع» الإله أرسل إلى (رسولًا) «آمون الطريق» ومع «ونآمون» رسوله من البشر من أجل الخشب اللازم لسفينة «آمون رع» ملك الآلهة العظيمة الفاخرة، وإن قطعتها وشحنتها وأرسلتها في سفني المجهزة بملاحي، وقد أرسلتهم إلى مصر ليلتمسوا لي حياة عشرة آلاف سنة من «آمون» أكثر مما هو مقدر لي، وسيحقق ذلك. وحينئذٍ عندما يأتي رسول من أرض مصر في الزمن المقبل، عالم بالكتابة ويقرأ اسمك على اللوحة التذكارية، فإنه سيقرب إليك ماء في الغرب مثل الآلهة[٥٠] الذين هنا. فقال: إنها لشاهدة عظمى على ما قد قصصته عليَّ. فقلت له: أما من جهة الأشياء العدة التي قلتها لي فإني لو وصلت إلى مقر كهنة «آمون» ونظر إلى ما أوصيت[٥١] به فحينئذٍ سيجيبك إلى هذه التوصية بعض الشيء،[٥٢]

وذهبت إلى ساحل البحر حيث كان الخشب محزومًا، ولمحت إحدى عشرة سفينة تقترب في البحر وهي من متاع «زاكار» وقد أتت بالأمر. خذوه سجينًا ولا تسمحوا له بسفينة أن تذهب إلى أرض مصر، وعند ذلك قعدت وبكيت. ثم أتى كاتب خطابات الأمير إليَّ وقال لي: ماذا يؤلمك؟ فقلت له: لا ريب أنك ترى الطيور التي تذهب إلى مصر للمرة الثانية.[٥٣] انظر إليها إنها تذهب إلى البرك

الباردة ولكن إلى أي وقت سأترك هنا؛ ولا شك أنك ترى هؤلاء الذين أتوا ثانية ليأخذوني سجينًا. فذهب وأخبر الأمير بذلك، فأخذ الأمير يبكي بسبب الأخبار المحزنة جدًّا التي قيلت له، وأرسل إليَّ كاتب خطاباته، وأحضر إليَّ قدحين من النبيذ وكبشًا، وزيادة على ذلك أحضر لي «تتنوت» وهي مغنية مصرية كانت معه قائلًا لها: غني له، ولا تجعلي قلبه تسكنه الهموم، وأرسل إليَّ قائلًا: كل واشرب، ولا تجعل قلبك مسكنًا للهموم، وستسمع كل ما أقوله غدًا، وعند الصباح أمر ... ينادي، ووقف في وسطهم وقال لرجال «زاكار» ما معنى مجيئكم هذا؟ فقالوا له: قد أتينا وبحثنا وراء السفن التي يجب أن تحطم، والتي ترسلها إلى مصر مع ... زملائنا، فقال لهم: أنا لا يمكنني أن آخذ رسول «آمون»، سجينًا في أرضي. دعوني أرسله بعيدًا، وعندئذٍ اقتفوا أثره لتأخذوه سجينًا (يظهر أن هذا كان نص القانون الدولي وقتئذ).

فوضعني على ظهر السفينة، وأرسلني بعيدًا عنه ... إلى ثغر البحر، فساقتني الريح إلى أرض «أرسا»[٥٤] وخرج أهل المدينة ليقتلوني، وقد ساقوني بينهم إلى مكان سكن «حتب» ملكة المدينة، وقد وجدتها حينما كانت آتية من أحد بيوتها داخلة إلى بيت آخر لها،[٥٥] وقد حييتها وقلت للناس الذين وقفوا بجانبها: يوجد من غير شك واحد من بينكم يفهم المصرية، فقال أحدهم: أنا أفهمها، فقلت له: قل لسيدتي: لقد سمعت أنه يقال من أول «طيبة» حتى مكان «آمون»: إن الظلم يفعل في كل مدينة، ولكن الحق يفعل في أرض «أرسا». والآن كذلك يفعل الظلم كل يوم هنا. فقالت لي: ولكن ما الذي تعنيه بما تقول؟ فقلت لها: إذا كان البحر قد هاج، وساقتني الريح إلى الأرض التي تسكنينها فإنك لن تسمحي لهم أن يقبضوا عليَّ ليذبحوني مع العلم بأني رسول «آمون» فتدبري الأمر جيدًا. إني فرد سيجري البحث عنه باستمرار.[٥٦] أما من جهة ملاحي أمير «جبيل» الذين يبحثون عنهم ليقتلوهم فإن سيدهم لو عثر على عشرة من ملاحيك كذلك سيقتلهم، وعلى ذلك أمرت بإحضار الناس فأُحضروا أمامها وقالت لي: ارقد ونم. (وهنا كسرت ورقة البردي، ولا نعلم كيف هرب «ونآمون» من هذه الأخطار الجديدة، وهل أفلح في إحضار الخشب إلى مصر، وهل دفع

ثمنه؟ وهل «آمون الطريق» الذي لم يستفد منه شيئًا قط في السياحة رجع سالمًا ثانية إلى الكرنك أو لم يرجع؟)

(٤) الآثار التي من عصر «رعمسيس الحادي عشر»

تحدثنا فيما سبق عن الأوراق البردية، التي تنسب إلى عهد هذا الفرعون وبخاصة الوثائق التي من عصر «النهضة» الخاصة بسرقة المقابر والمعابد، وقد وصلنا في بحثنا إلى أن الجزء الأكبر من هذه الأوراق لا ينسب إلى عهد «رعمسيس التاسع» كما كان المفهوم حتى إلى عهد قريب؛ ولذلك يجب على كل باحث في تاريخ هذا العصر مراعاة ذلك كما نوهنا بذلك في مكانه عند كل مناسبة. ولدينا ورقة أخرى من عهد هذا الفرعون سنتحدَّث عنها هنا خاصة بموضوع تَبَنٍّ غريب في بابه.

وثيقة التبني الخارق لحد المألوف: (راجع .J. E. A. Vol. 26 p. 23 ff)

وتوجد في حيازة الأستاذ «جاردنر» وثيقة كتبت على بردية عثر عليها في موقع مدينة «سبر مرو» الواقعة جنوبي «إهناسيا المدينة»، وقد كان معبودها الرئيسي الإله «ستخ»؛ وهذه البردية لها أهمية خاصة، إذ إن محتوياتها تقدم لنا صفحة جديدة في تاريخ التبني عند المصريين بصورة لم تكن قط في الحسبان. وسنورد هنا أوَّلًا ترجمة هذه الوثيقة، ثم نعلق عليها على حسب ما جاء في مقال الأستاذ «جاردنر» (Ibid)، وهي تنسب إلى عهد الفرعون «رعمسيس الحادي عشر»، وها هي ذي الترجمة الحرفية:

الترجمة

السنة الأولى، الشهر الثالث من فصل الصيف، اليوم العشرون في عهد جلالة ملك الوجه القبلي والوجه البحري «رعمسيس خعمواست» محبوب «آمون» الإله حاكم «هليوبوليس» مُعطي الحياة لكل السرمدية. في هذا اليوم إعلان «لآمون»[٥٧] عن إشراق

هذا الإله السامي؛ فإنه قد أشرق وأضاء وقدم قربانًا «لآمون». وعندئذ قد دون زوجي «نبنفر» كتابة لي أنا «ننفر» موسيقارة الإله «سوتخ» وجعلني طفلته (أي تبناني) وكتب لي كل أملاكه وأنه لم يكن له ولد (٥) أو ابنة غيري. كل مكسب عملته معها سأورثه إلى «ننفر» زوجي، وإذا قام واحد من إخوتي أو أخواتي لمعارضتها عند موتي في الغد أو ما بعده قائلًا: دع نصيب أخي يؤل لي ...[٥٨] وذلك أمام شهود كثيرين عديدين وهم: رئيس الإصطبل «رير»، ورئيس الإصطبل «كا إنريسو» ورئيس الإصطبل «بنرايدوا-نفر»؛ وأمام رئيس الإصطبل «نبنفر» بن «عنروكايا»، وأمام الشرداني (١٠) «بكامن» وأمام الشرداني «ساتا منيو» وزوجه «عازدما». تأمل لقد عملت الوصية إلى «رننفر» زوجي هذه اليوم أمام أختي «حواريمو».

السنة الثامنة عشرة، الشهر الأول من فصل الفيضان، اليوم العاشر في عهد جلالة الملك «منماعت رع ستبن-بتاح» بن «رع» رب التيجان «رعمسيس خعمواست مري آمون» الإله وحاكم «هليوبوليس» معطي الحياة لكل السرمدية. في هذا اليوم صدر إقرار (١٥) عمله رئيس الإصطبل «نبنفر» وزوجه مغنية الإله «ستخ» التابع لبلدة «سبر مرو» المسماة «رننفر»، وهو: لقد اشترينا الأمة «دي-في-حت-إري»، وإنها قد وضعت هؤلاء الأولاد الثلاثة ذكرًا وأنثيين ومجموعهم ثلاثة، وقد أخذتهم وأطعمتهم وربيتهم، وقد وصلت معهم إلى هذا اليوم دون أن يعملوا أي أذى لي، بل عاملوني معاملة حسنة، وليس لي سواهم (٢٠) ابن أو ابنة، وقد دخل بيتي رئيس الإصطبل «باديو» وتزوج من «تأمنني» أكبرهم وهو ينتسب إليَّ بوصفه أخي الأصغر، وقد قبلته لها (زوجًا) وهو معها في هذا اليوم. والآن تأمَّل لقد جعلتها امرأة حرة لأرض الفرعون، وإذا حملت ذكرانًا أو إناثًا فإنهم سيكونون أحرارًا في أرض الفرعون بنفس الطريقة، بوصفهم مع رئيس الإصطبل «باديو» هذا أخي الصغير، وسيكون الطفلان (أي الأخ والأخت

الآخران ابنا الأمة) مع أختهما الكبرى في بيت «باديو» (٢٥) رئيس الإصطبل أخي الصغير هذا، واليوم أجعله ابنًا لي (أتبناه) مثلهم بالضبط. ثم قالت: بحياة «آمون» وبحياة الفرعون، إني أجعل الناس الذين سجلتهم هنا أحرارًا في أرض الفرعون، وإذا نازعهم ابن أو ابنة أو أخ أو أخت من والدتهم أو والدهم في حقوقهم إلا «باديو» ابني هذا — لأنهم (ظهر الورقة سطر ٥) لم يصبحوا بعد خدمًا له بل هم له بمثابة إخوة وأطفال؛ لأنهم أحرار في أرض الفرعون — فلينكحه حمار ولينكح زوجه حمار أي شخص مهما كان — سيدعو أيًّا منهم بلفظ خادم. وإذا كان لي حقول في الريف أو أي متاع في الدنيا، أو إذا كان لي تجارة فإن هذه ستقسم بين أولادي الأربعة ويكون «باديو» واحدًا منهم. وهذه الأمور (ظهر الورقة سطر ١٠) التي تكلمت عنها قد وكلتها كلها إلى «باديو» أخي هذا الذي عاملني معاملة حسنة، عندما كنت أرملة، وعندما توفي زوجي أمام شهود عديدين كثيرين وهم: رئيس الإصطبل «ستخ محب»، وموسيقار «ستخ» «توحراي»، والمزارع «سوعا وي آمون»، وأمام «تاي موت نفر» وموسيقار الإله «عنتي» المسمى «تنت نبحت».

التعليق: ليس في هذه الوثيقة من الصعوبات ما يعوق القارئ عن فهمها كما يصادفنا كثيرًا في مثل هذه الوثائق المسطرة على البردي، فهي اعتراف قانوني قسم قسمين منفصلين ظاهرين: الأول مؤرخ بالسنة الأولى من حكم الفرعون «رعمسيس الحادي عشر» في يوم توليته عرش الملك، كأن الموصي أراد أن يتفاءل بهذا اليوم. والقسم الثاني مؤرخ بتاريخ جاء بعده بأكثر من سبعة عشر عامًا، وكان الغرض من هذه الوصية هو أن يورث «نبنفر» زوجه «رننفر» كل ممتلكاته، وبعد ذلك كان لها الحق هي في أن تتصرف فيها على حسب رغبتها، وعلى الرغم من أن «نبنفر» كان قد مات بدهيًّا منذ زمن طويل عندما عملت الوصية الثانية، فإن كلماتها الافتتاحية قد ضمنته مع زوجه معبرة عن قصدهما المشترك، وعلى ذلك فإن هذه الوصية يمكن أن تعد في الواقع بمثابة

وصية الموصي الأصلي. وقد توقع «نبنفر» أنه يحتمل أن يحاول أحد إخوته أو أخواته أن يحرم أرملته التي لا أولاد لها من جزء من أملاكه، وكان يمكن أن تحرم كل متاعه؛ وذلك لأنه كان لها جزء على حسب عقد الزواج بمقتضى العرف المتداول. وعلى ذلك اتخذ «نبنفر» إجراءات فوق العادة، وذلك بتبني زوجته بوصفها ابنته.

والواقع أن استعمال هذه البدعة القانونية، بالإضافة إلى الاستعمال المدهش الذي سيأتي بعد، يظهر كيف أن فكرة التعصيب في الوراثة كانت تضرب بأعراقها في القانون المصري، وإجراءات التبني كانت تحتوي — كما كانت الحال في الطلاق — على اعتراف شفوي أمام شهود. وعلى أية حال فإن «نبنفر» قد اتخذ الاحتياط في أن تكون إحدى أخواته بين الشهود على وصية زوجها ووالدها في آنٍ واحد، وقد مرت السنون وأصبحت بعدها «رننفر» أرملة، وقد عزمت من جانبها على أن تعمل وصية، فتحدثنا كيف أنها مع زوجها قد اشتريا أمة، وأن هذه الأمة قد وضعت ابنتين وابنًا، غير أنه لم يذكر هنا من هو الأب، ولكن يحتمل أن القارئ المصري القديم كان يعرف أنه هو «نبنفر» دون أن يذكر اسمه.[٥٩] ويمكن الاعتراض على هذا التخمين بأنه في الاعتراف الأول قد قيل: إن «نبنفر» لم يكن له ولد غير زوجه التي تبناها، غير أن ما كان يصح وقتئذ قد لا يكون صحيحًا فيما بعد. وعلى أية حال فإن «رننفر» قد أخذت الأولاد وربتهم، وجنت من ذلك طاعتهم لها وشفقتهم عليها، وعندما شعرت بعبء السنين على كاهلها، وأنه ليس لها أولاد من بطنها، عزمت على أن تتبنى هؤلاء الأولاد العبيد، ولكن اعترضتها في سبيل ذلك عقبة، هي أنهم من أصل وضيع، ولكنها تغلبت على ذلك بتحرير رقبتهم بالاعتراف أمام شهود بأنهم أحرار في أرض الفرعون وليسوا بخدم، وقد سنحت فرصة لهذه الأرملة بالعثور على حامٍ لهؤلاء الأطفال لم تكن تنتظر أحسن منه، وذلك أن أحد إخوتها وهو «باديو» قد ألف علاقة بينه وبين كبرى الأمتين، وقد رحبت «رننفر» برغبة أخيها في الزواج من هذه البنت، ولما كانت تريد أن تنزل له عن جزء من ممتلكاتها تبنته أيضًا، وكانت النتيجة التي وصل إليها، إذا أردنا أن نفسرها على حسب علاقات

النسب الحديثة، غريبة خارقة لحد المألوف، إذ لم يعد «باديو» مجرد الأخر الأصغر لـ «رننفر» وحسب، بل أصبح كذلك ابنها وزوج ابنتها أي: حماها. وفضلًا عن ذلك فإنه لما كان «نبنفر» قد تبنى زوجته، فإن أخ زوجته الصغير هذا قد أصبح بطبيعة الحال ابنه وحفيده بالتبني، هذا فضلًا عن أنه كان زوج حفيدة له قد تبناها، ومن الجلي أن المصري لم يكن ينظر إلى هذه العلاقات بالنظرة التي ننظر إليها نحن في عصرنا هذا، بل كان ينظر إليها بلا شك من حيث النسب الفردي لشخص قد تبنى في كل حالة من الأحوال السابقة، وإن هذا العمل المتكرر في أمثلة منفصلة كثيرة كان كافيًا لأن يعطي الفرد المقصود نفس حقوق الوراثة، التي كان يمكن لوارث حقيقي أن يتمتع بها، واليمين الذي حلفته «رننفر» أخيرًا قد أدى أغراضًا منوعة. فقد أعتق الأولاد الأرقاء وحفظهم من أي فرصة لحرمانهم إلا إذا كان «باديو» نفسه يقرر ما يراه، ومن جهة أخرى فإنه اشترط بأن لا يخرج أي جزء من أجزاء ممتلكاته — مهما كان — عن القسمة العادلة بين الوارثين الأربعة، وأخيرًا أعطى هذا اليمين «باديو» سلطة مطلقة بمثابة منفذ لوصية الأرملة ووكيل عن الأطفال، ويرجع بعض السبب في ذلك إلى المعاملة الحسنة التي لاقتها «رننفر» على يديه.

والواقع أن الوثيقة تحتوي على ثلاثة تبنيات:

(١) الأولى: هي أن «نبنفر» قد تبنى — بكتابة تمت في يوم تولي «رعمسيس الحادي عشر» عرش الملك — زوجه «رننفر»، وقد كانا بدون خلف، وقد كان عمله هذا لغرض مقصود، وهو جعلها وارثته في أمتعته مع حرمان كل أقربائه. وعبارة «كل مكاسب عملتها معها» توحي بتحديد للميراث، ولكن قبل ذلك مباشرة نجد في الوثيقة أنها تقول: «إنه كتب لي كل ما يملك.»

(٢) وقد تبنت «رننفر» بطريقة لا نعرفها، الأولاد الثلاثة الذين أنجبتهم الأمة «دي-ني-حت-إري»، التي اشتراها معها «نبنفر».

(٣) ومن الجزء الثاني من الوثيقة نعلم أن «رننفر» قد تبنت أخاها «باديو» الذي تزوج من «تأمنني» برضاء «رننفر» أخته، وهي كبرى أولاد هذه الأمة معلنة أن «باديو» والأولاد الثلاثة سيقتسمون ملكها على أن يكون «باديو» وصيًّا.

وفي كل من هذه التبنيات الثلاثة نجد أن الغرض الظاهر يرمي إلى عمل وصية. وتمدُّنا البردية بإيضاح بيِّن عن ظاهرة معروفة وهي استعمال التبني لأغراض خاصة بالوصية، ويلاحظ هنا أن نقل متاع المتبني لم يُترك أمره ليستنبط من سياق الكلام، كأنه شيء معلوم من قرابة المتبني لمتبنيه، بل ذُكر بعبارات ظاهرة، ففي موضوع التبني الأول نجد أن حرمان أقارب المتبني قد ذكر بوضوح وهم الذين كانوا الوارثين له إذا لم يقم بهذا التبني، ولكن الوصية كانت في بدايتها. ويقول الأستاذ «جاردنر»: إن الوثيقة كلها واحدة وقد كتبت في جلسة واحدة، وإن كل أجزائها وضعها شخص واحد وهو «رننفر»، ومع ذلك نجد أن الجزء الأول من الورقة (١٠-١١) يؤلف قطعة منفصلة تقص علينا تبني «نبنفر» لزوجة «رننفر»، وليس في مقدورنا أن نقرر هنا ما إذا كان الجزء الأول يمكن اعتباره إعادة تشملها الكتابة التي عملتها «رننفر»، وهي التي تحتل بقية البردية، أو أنه قد أضيف معها على يد «رننفر» لغرض التسجيل بمثابة جزء من سجلات الأسرة، وليس لدينا رابطة أصلية شفوية بين جزئي الوثيقة، هذا على أنهما لم يُربطا برباط منطقي قوي. وبقدر ما يتضح لنا نجد أن تبني «نبنفر» لزوجة «رننفر» لا يقدم لنا أي فرق قانوني لتبنيها الأولاد الثلاثة. ولكن لما كانوا هم الوارثين لها، فإن ذلك يعد بمثابة تبنٍّ لهم، والغرض من التبني الأخير ظاهر. فهو وصية قبل كل شيء. وبالتبني الأول أصبحت «رننفر» بنت زوجها، وإذا فكر الإنسان في حدوث شيء مثل هذا في «روما»، فإنه كان يعد في القانون الروماني النامي أمرًا يحتم طلاق الزوجين؛ لأن ذلك كان يعد زنًا، ولكن هذا كان مجرد منطق قضائي، ولم تكن تتذوقه مصر القديمة كثيرًا. ولكن يجب ألا ننسى على أية حال أن النظام القانوني الروماني البدائي كان

يجعل من الزوجة أختًا Loco Filiae لزوجها، وعلى ذلك إذا كان «نبنفر» رومانيًّا، فإنه كان في استطاعته أن يجعل من «رننفر» وارثته الوحيدة.

أما التبني الثاني والثالث، فيظهر أنه تبنٍّ غير روماني غير أنه ليس منافيًا للطبيعة. وسأعود فيما بعد لمسألة الطريقة التي أُجري بها التبني.

والتبني الثالث يظهر لنا أختًا تتبنى أخاها الأصغر، وإذا غيرنا جنس المتبني فإنه لا يوجد في القانون الروماني ما يعترض ذلك، غير أن الدافع لذلك هو عمل وصية، وذلك ظاهر جدًّا عند المصري، ولكن ذلك كان معدومًا في القانون الروماني، وعلى حسب التبني الثاني كان «باديو» خال زوجته، ولكن في القانون الروماني لم يكن في مقدور الإنسان أن يتزوج بنت أخته. ومعلوم أن الرومان كانوا يعدون علاقة التبني ما دامت موجودة حجر عثرة في سبيل مثل هذا التزاوج. وعندما صار «باديو» بالتبني الثالث أخا زوجته، فإنه على حسب القانون الروماني لا بد أن يطلق منها، وبدهي أن المصريين لم ينظروا إلى صلة التبني بصورة جديدة من هذه الناحية، بل كان كل ما يهمهم هو نتائجه في نقل الملكية؛ أليست الفكرة السائدة صحيحة في أن الزواج في مصر القديمة بين الأخ وأخته كان شيئًا عاديًّا جدًّا؟

وعندما نتعمق في تفسير هذا الموضوع تعترضنا صعوبة. ففي التبني الأول نجد أنه يؤلف موضوعًا منفصلًا، فيبتدئ بتاريخ له خاص وينتهي بشهوده الخاصين به، وباقي البردية تؤلف موضوعًا آخر يبتدئ بتاريخ وينتهي بشهود.

وهذا الجزء الثاني الذي سنسميه «المستند الحالي» يحتوي على موضوعين يعودان إلى حوادث وقعت في الماضي، وهي التي سميناها «أخبارًا» إلى أن نصل إلى عبارة: «والآن تأمل لقد أعتقتها.» (ص٢ سطر ٢٠–٢٥) وهذه الكلمات وما بعدها تدل على شيء واقعي: والآن فإن هذا الصك يشهد، والتاريخ الذي في بداية هذا المستند الحالي (ص٢ سطر ١٠–١٢) ينبغي أن يكون

تاريخ المستند نفسه؛ وذلك لأن الشهود الذين في نهايته هي شهوده، غير أن ذلك يظهر لأول وهلة مستحيلًا؛ وذلك لأننا بعد التاريخ مباشرة نقرأ (ص٢ سطر ١٤) وفي هذا اليوم عمل تصريح على لسان … «نبنفر» وزوجه «رننفر» في حين أنه عند تنفيذ المستند الحالي كان قد مضى على «رننفر» مدة وهي أرملة (ص٢ س١٢ من الظهر) وقد فهم بطبيعة الحال من التاريخ المذكور وهو السنة الثامنة عشرة أن «نبنفر» وزوجه قد عملا التصريح التالي: «لقد اشترينا الأمة «دي-ني-حت-إري»، وقد ولدت هؤلاء الأطفال الثلاثة: ذكرًا وأنثيين ومجموعهم ثلاثة.» وقد فُسر اختصار التصريح بأنه كان من عمل موظف يقوم بالإحصاء أو ما يشبه ذلك، غير أن الدكتور «جاردنر» يقترح رأيًا آخر قد يكون من الحماقة التخلي عنه، ولكني[٦٠] أتخلى — بمضض — عن السنة الثامنة عشرة بوصفها تاريخ التصريح المزدوج، ولكني أتعشم أنه يمكنني التمسك بأن التاريخ المشترك قد حدث في وقت ما، وهذا يساعد على فهم أهم نقطة في البردية، وهي: بأي الطرق أصبح أطفال «دي-ني-حت-إري» الثلاثة أطفال «رننفر»، وسنفرض أن هذا الإعلان أو التصريح قد حدث مهما كان تاريخه.

ومما تجدر ملاحظته أن ما جاء على لسان «رننفر» لا يحدثنا عن تبنٍّ رسمي للأطفال الثلاثة، فهي تقص أوَّلًا التصريح الذي عملته هي وزوجها «نبنفر»، وثانيًا أنها أخذتهم وأطعمتهم، وأنهم كانوا يعاملونها معاملة حسنة، وثالثًا أنه كان يرضى منها أن أكبرهم وهي «تأمنني» قد تزوَّجت من «باديو»، وعلى ضوء هذه الحقيقة وجدت أن أحسن تبنٍّ تفعله لمصلحة هؤلاء هو أن تعلن أنهم أصبحوا أحرارًا تمامًا، وأنهم يرثونها في أملاكها مع «باديو».

ويلاحظ أن التحرير من العبودية كان يسري على أولاد «تأمنني» أيضًا.

والآن يتساءل الإنسان: في أي ظرف بالضبط من هذا التاريخ أصبح الأولاد أولاد «رننفر»؟

على أنه من الصعب جدًّا القول بأن ذلك يرجع — فقط — إلى التصريح المشترك الذي قاله كل من «نبنفر»، و«رننفر»؛ لأن ذلك على ما يظن يجعلهم أولاد «نبنفر» وعلى ذلك يكونون وارثين له مع «رننفر»، ومع ذلك فإنه كان لا بد من سبب لذكر هذا التصريح، إذ إنه ضمن للأولاد أنهم ليسوا مجرد عبيد قد اشتروا. ومن الجائز كذلك أن هذا التصريح كان يحمل في طياته للمصريين فكرة أن الأمة «دي-ني-حت-إري»، التي كانت ملكًا مشتركًا للزوجين العقيمين قد منحتها الزوجة لزوجها، كما منحت «سارة» «لإبراهيم» «هاجر» خادمتها المصرية. وقد كان لابن الجارية حقوق على الرغم من أن أكبر أولاده إسحاق قد خفضها. وقد سارت «رننفر» في معاملة الأولاد بوصفهم أولاد البيت، وذلك لا يعني إلا أنها بطبيعة الحال قد تبنتهم، ولكن بالإضافة إلى أصلهم فإن ذلك قد يكون سببًا في تثبيت مركزهم، وفي الجزء العملي من المستند الحالي نجد أن «رننفر» قد عدتهم أولادها فعلًا، وقد تبنت «باديو» في هذا اليوم بالضبط مثلهم (ظهر الورقة ص١ سطر ١) غير أنه كان يوجد شيء ناقص في حالتهم وهو الإعلان المؤكد بفك رقبتهم، وكذلك بفك رقبة أولاد «تأمنني»، وإلى أن يعلن هذا فالمظنون أن حالتهم كانت بين العبودية والحرية، ولكنهم بعد ذلك لن يصبحوا مع «باديو» بمثابة خدم، بل صاروا معه بمثابة إخوة وأولاد (ظهر الورقة ص٢ سطر ١–٥).

وثيقة اتفاق خاصة بزواج من عهد الأسرة العشرين

يوجد بمتحف «تورين» بقايا وثيقة بالهيراطيقية تمتاز بطابعها القانوني، وقد سجلت برقم ٢٠٢١ في فهرس المتحف المذكور، وتحمل كذلك رقم ٢٧١، والقطعة الهامة الباقية من الورقة ارتفاعها ٢٣ سنتيمترًا، وطولها ٦٧ سنتيمترًا، ويوجد خلافًا لهذه القطعة خمس قطع أخرى لم يمكن معرفة موضعها بالضبط بالنسبة للقطعة الكبيرة.

ووجه الورقة كتب عليه سطران بالحروف الكبيرة الخشنة التي كانت ستعمل عادة في نهاية الأسرة الواحدة والعشرين. وقد جاء فيهما: «قائد الجيش، ورئيس أجناد الفرعون «بيعنخي» إلى ضابط الجنود «بسجس» التابع لجنود الفرعون قائلًا: عندما يصل خطابي.» وإلى هنا ينقطع المتن.

والشخصان اللذان ذكرا هنا معروفان تاريخيًّا، أو على الأقل نعرف واحدًا منهما هو «بيعنخي» بن «حريحور» الذي كان ملكًا على مصر، هذا إلى أننا نعرفه من عدة خطابات (راجع: Spiegelberg Correspondences du Temps des rois pretres 13–19. Erman Ein Fall Abgekurtzer Justiz in Aegypten (Abhandl. der Kgl. Akad. de. Wiss. Phel. Hist. Klasse, 1913 No. 1): Gardiner. A Political crime in Ancient Egypt in Journ. Manchester Eg. and Or. Soc. 1912-13 p. 57 ff.).

وهذان السطران لا يتألف منهما عنوان الخطاب، إذ لو كان الأمر كذلك ما وجد فيهما عبارة: «عندما يصل إليك خطابي»، وكذلك لا يمكن أن يكونا بداية خطاب، إذ لو كان الأمر كذلك لوضعتا في أول الصحيفة في الجزء الأعلى منها، وكان من المحتمل أن يتمم كتابته. وعلى ذلك فإنهما كتبا تجربة للقلم قبل استعماله. وإذا اعتمدنا على أن المتبع دائمًا في كتابة الأوراق البردية كان كتابة وجه الورقة قبل ظهرها فإنه في استطاعتنا أن نعد عصر «بيعنخي» أي: بداية الأسرة الواحدة والعشرين هو آخر عهد للوثيقة التي على ظاهر الورقة. على أنه يمكننا أن نحدد تاريخها أكثر من ذلك، إذ قد جاء ذكر عدة أشخاص في هذه الورقة معروفين لنا من أوراق يرجع تاريخها إلى عهد «رعمسيس التاسع» «نفر كارع» أو من عهد «رعمسيس العاشر» أو الحادي عشر (راجع J. E. A. Vol. XIII, p. 20–31).

وقد رتب الأستاذ «شرني» القطع الباقية من الورقة بقدر المستطاع، وهاك ترجمة الأجزاء الباقية:

الصفحة الثانية: (١) الإله رفض ... بخصوصها ... كل ما اكتسبته (٢) معها ... لأجل المواطنة ... أمام الوزير (٣) وأحضرت أربعة عبيد ... إني مرتاح (؟) ... ما فُعل (٤) ... ذهب ... وأعطيتها الأمة «نو» ... وكذلك (٥) ... وسأنزل عنها (؟) ... «سد–ومأمنباعش» (؟) (٦) ... عبدان كانا ملكي بمثابة نصيبي معها؛ (٧) لأنها كانت طفلة ... أطفال «تاثري» الذين كانوا في (٨) بيتي ... لم ... أمام (٩) الوزير وموظفي البلاط ... الأطفال (١٠) هذه الحالة ... هذا (١١) اليوم لأن الفرعون (؟) قال ... كل ما اكتسبه (١٢) معها ... محتويًا على ...

الصفحة الثالثة: (١) العبدين والأمتين المجموع أربعة مع أطفال؛ والثلثان بالإضافة لثمنها، وإني (٢) أعطيت هؤلاء العبيد التسعة الذين كانوا من نصيبي في ثلثي ومعي المواطنة «تاثري» (٣) لأولادي، وكذلك بيت والد والدتهم أيضًا، وأنهم لا يجهلون أي شيء قد أحضرته مع والدتهم، (٤) وإني كنت أرغب في إعطائهم بعض ما أحضره مع المواطنة «أنكسونزم»، ولكن الفرعون قال: دع (٥) مهر كل امرأة يعطاها (؟) وقال الوزير للكاهن ورئيس العمال «حوت نفر» والكاهن «نبنفر» ولدي (٦) كاهن «أمنخعو» الذي وقف أمامه، وهما أكبر الإخوة بين أولاده، ما تقولان في البيان الذي أدلى به الكاهن (٧) «أمنخعو» والدكما؟ هل هو صحيح فيما يخص تسعة العبيد الذين يقول عنهم أنه أعطاها إياكم بمثابة ثلثيه (نصيبه) الذي قسمه مع (٨) والدتكم، وكذلك البيت الخاص بوالد والدتكم؟ فقالوا معًا: إن والدنا على حق؛ إنهم في الحق في حيازتنا (؟) فقال الوزير: (٩) ما تقولان في هذا الاتفاق الذي يقوم والدكم بعمله للمواطنة «أنكسونزم» زوجته هذه؟ (١٠) فقالا: لقد سمعنا ما يفعله والدنا، ومن ذا الذي يعارض ما يعمله؟ إن عقاره ملكه (١١) فدعه يعطيه من يشاء. فقال الوزير: حتى ولو لم تكن زوجه بل سورية أو نوبية قد أحبها وأعطاها (١٢) متاعًا من متاعه، فمن ذا الذي ينكر ما فعله؟ دع أربعة العبيد الذين كانوا من نصيبه مع المواطنة «أنكسونزم» يُعْطَونها، (١٣) وكذلك كل ما يمكن أن يكتسبه معها، وهو الذي قال: إنه سيعطيه إياها «ثلثي»،[٦١] هذا بالإضافة إلى ثمنها. ولن يعارض في ذلك (ص٤ سطر ١) «ابن أو ابنة من أولادي في هذا الاتفاق الذي عملته لها هذا اليوم.» وقال الوزير: فليعمل هذا على حسب ما قال الكاهن «أمنخعو» هذا الكاهن الذي يقف أمامي، (٢) وقد أعطى الوزير تعليمات للكاهن وكاتب

الحسابات «بتاحمحب» التابع لمحكمة معبد «وسر ماعت رع مري آمون»، قائلًا: «دع هذا الاتفاق الذي عملته يدوَّن (٣) على إضمامة في معبد «وسر ماعت مري آمون».» وقد عمل مثل ذلك لمحكمة المدينة (طيبة) في حضرة شهود عديدين. قائمة بالشاهد:

العمود الذي على اليمين: (٤) رئيس الحرس وكاتب السجن «تحوتمحب» التابع للجيش.

(٥) رئيس الحرس «حوري» بن «تحوتنخت» التابع للجيش.

(٦) النائب «نسخنسو» التابع للجيش.

(٧) المشرف على الإصطبل «منسنو» التابع «لخني» …

(٨) السايس «بكنس» التابع (للمعبد).

(٩) الكاتب «تحتمس» التابع للجبانة.

(١٠) الكاتب «أفنخنسو» التابع للجبانة.

(١١) رئيس العمال «بكنموت» التابع (للجبانة).

(١٢) الكاهن المرتل التابع للمعبد.

(١٣) الأمير «نسأمونؤبي».

(١٤) كاتب الحي «نسأمونؤبي».

العمود الذي على اليسار: (١٥) رؤساء الشرطة التابعون للجبانة.

(١٦) المراقب «أمنخعو» التابع لغربي المدينة.

(١٧) المراقب «بيخال» التابع لغربي المدينة.

(١٨) المراقب «بنختؤبي».

(١٩) المراقب «أمنحتب».

(٢٠) المراقب «أمنؤبي نخت».

(٢١) المراقب «عنحتو مديأمون».

ويدل ما جاء في هذا المتن على أن القضية تنحصر على وجه التقريب فيما يأتي:

كان الكاهن «أمنخعو» قد تزوج مرتين، فقد بنى أوَّلًا بسيدة تدعى «تاثاري»، وبعد زمن توفيت، فتزوج من أخرى تدعى «أنكسونزم». وقد رزق من زوجه الأولى «تاثاري» أولادًا ظهر في القضية اثنان وهما أكبر أولاده سنًّا، ولم نسمع بأنه رزق من زوجه الثانية «أنكسونزم» أولادًا. وتحدِّثنا الوثيقة أنه قسم على حسب ما جاء في عقد بينه وبين زوجه «تاثاري» ثلثي عقار ما يحتوي (أو ضمنه) تسعة عبيد. وهؤلاء العبيد قد نُقلوا عند زواجه الثاني على حسب القانون المصري إلى أولاده الذين من «تاثاري»، هذا بالإضافة إلى بيت ورثته من والدها.

وقد اقترح «أمنخعو» على زوجه «أنكسونزم» رأيًا كانت تتسلم بمقتضاه أربعة عبيد، وهم يؤلفون جزءًا أو كل ثلثيه من عقارة المشترك مع زوجه الأولى مضافًا إلى الثمن الخاص بها. وهذا الثمن لا بد كان نصيبها في بعض عقار أسرتها هي. أما الثلثان اللذان أعطاهما إياها «أمنخعو»، فكانا حقه على ما نعلم من القسمة التي حصلت عند تقسيم أملاكه هو وزوجه الأولى. وقد علمنا من وثائق أخرى أن العقار المشترك الذي كان بين الرجل وزوجه للزوجة فيه الثلث وللزوج فيه الثلثان (راجع وثيقة نونخت في هذا الكتاب).

ولكن السؤال الهام هو: ما محتويات هذه الوثيقة؟

والجواب على ذلك هو أنه لا يمكن التكهن بذلك، وبخاصة إذا علمنا أن نصف الوثيقة قد مزق. فالصحيفة التي بقيت لنا من الوثيقة هي الثانية، وما جاء فيها يصف لنا على ما يظهر الاتفاق الذي

عمل للزوجية، وهذا الاتفاق يبحث بنوع خاص عن توزيع عبيد.

ويستمر البيان الذي قدَّمه لنا «أمنخعو» في الصفحة الثالثة، وفيها يسأل الوزير سؤالين للولدين الكبيرين من أولاد «أمنخعو» من زوجه الأولى «تاثاري». وكان هذان الولدان قد حضرا بالنيابة عن أنفسهما وعن سائر إخوتهم وأخواتهم الصغار.

والسؤال الأول هو: هل كانوا يعترفون بصحة البيانات التي أدلى بها والدهما «أمنخعو»، وبخاصة أنهم قد تسلموا العبيد التسعة الذين كانوا يؤلفون جزءًا من عقار والدتهم «تاثاري» والدتهما. وقد صدَّق الولدان على ما جاء في بيان والدهم الخاص بذلك.

أما السؤال الثاني فكان خاصًّا برأيهم في الاتفاق الذي اقترح والدهما عمله بالنسبة لزوجه «أنكسونزم»، وكان جوابهما بأنهما ليس لديهما أي اعتراض على هذا الاتفاق، وصرحوا بأن العقار الذي يتصرف فيه والدهما هو ملكه.

وعلى ذلك نجد أن الورقة ليس فيها أي نزاع بين الرجل وأولاده من أي نوع كان، ولكنها في الواقع تشمل اتفاق زواج قام بعمله «أمنخعو» عند زواجه الثاني من «أنكسونزم». وقد عمل هذا الاتفاق أمام الوزير بحضور ممثلي أولاده من زوجه الأولى، وذلك لأجل أن يكون هذا الاتفاق قد أخذ صيغته القانونية بشهادة أولاد زوجه الأولى أن المتاع الذي تصرف فيه والدهم، لم يكن متاعًا مشتركًا بينه وبين والدتهم، بل إن كل ما يخصها قد انتقل إليهم.

وأربعة العبيد الذين أعطاهم «أمنخعو» زوجته الثانية قد كانوا في هذه الحالة من المتاع الذي أضافه الزوج إلى زوجه عند عقد الزواج، ولكنهم لم يصبحوا ضمن أملاكها التي لا تقسم إلا عند الوفاة أو الطلاق.

وإذا كان هذا التفسير الذي أوردناه مقبولًا، فيجب أن نلحظ هنا أن هذه الوثيقة ليست عقد الزواج الأصلي، ولكنها تسجيل إجراءات عملت أمام الوزير بمثابة تمهيد لعقد الزواج النهائي.

وليس لدينا من المعلومات — حتى الآن — ما يؤكد لنا أن مثل هذا الاتفاق كان ضروريًّا في كل الحالات، أو كان لازما في حالة زواج ثانٍ حيث كان لا بد من إثبات حقوق أولاد الرجل، التي ورثوها عن والدتهم المتوفاة قبل أن يشرع في عمل أي اتفاق ما.

وليس ظاهرا أمامنا في المتن إذا كان هذا الاتفاق قد عُمل أمام محكمة (قنبت) على رأسها الوزير أو عمل أمام الوزير وحده وحسب. ولا نعلم كذلك إذا كان الوزير عند معالجة أمثال هذه الحالة كان دائمًا يصحبه أعضاء محكمة أم لا. وتدل قائمة الشهود الذين كانت تذيل بأسمائهم الورقة على أنه من الجائز في هذه الحالة ألا يكون الاتفاق أمام محكمة بالمعنى الحقيقي، أي إنها كانت تتألف من موظفين؛ وذلك لأنه لم يكن هناك في مثل هذه الحالة ضرورة ملحة لحضور شهود؛ لأن أعضاء المحكمة أنفسهم كانوا يقومون بتأدية هذا العمل، ولكن الواقع أن هذا الموضوع لم يخرج عن كونه مجرَّد اتفاق أمام الوزير عمله «أمنخعو» تمهيدًا لعقد زواجه الثاني.

وهذه الإجراءات كانت على أية حال مهمة؛ لأنها كانت تُحفظ في مؤسستين. فقد كان لا بد أن يسجل ما قرَّره الوزير على إضمامة من البردي توضع في معبد «رعمسيس الثالث»، وهو المكان الذي كان يعمل فيه «أمنخعو» كاهنًا. أما الفرد الذي كان ملزمًا بعمل هذا التسجيل، فهو الكاهن وكاتب الحسابات «بتاحمحب» التابع لمحكمة المعبد (قنبت) وهذا اللقب الذي يحمله قد لا يدل على وجود محكمة بالمعنى القانوني تكون مرتبطة بالمعبد؛ لأن كلمة «قنبت» يمكن أن تستعمل هنا، كما استعملت في عقود «زقاي حعبي»[٦٢] بالنسبة لهيئة عمال المعبد أو فريق منهم، وهؤلاء الموظفون الذين كان يتألف منهم مجلس المعبد (قنبت) يظهر أنهم كانوا يؤلفون كبار الموظفين الدائمين، وبذلك كانوا يميزون عن الموظفين المؤقتين (ونوت) الذين كان على الواحد منهم ألا يشتغل أكثر من شهر في وقت واحد. وعلى أية حال فإنه لما كان معبد «رعمسيس الثالث» في نهاية الأسرة العشرين يعدُّ مركز إدارة الجبانة، فإن موظفي المعبد الدائمين كانوا على ما يظهر

يؤلفون محكمة قضائية إدارية؛ لمحاكمة الأشخاص الذين يعملون في كل من الجبانة وفي المعبد نفسه.

وقد كان يدوِّن على هذا النمط سجل لمحكمة المدينة (أي طيبة) وتدل شواهد الأحوال على أنه من المحتمل أن هذه المحكمة كانت تحفظ في سجلاتها صورًا من كل الوثائق الخاصة بالعقار في دائرة «طيبة». وإذا كانت الوثيقة التي في أيدينا — كما هو ظاهر — قد وجدت في مدينة «هابو» مع مجموعة أوراق «تورين» العظيمة الخاصة بالجبانة، فإنها لا بد كانت صورة نسخة قد عملت خاصة لهذا المعبد لتحفظ فيه (راجع J. E. A. Vol. XIII p.30 ff).

ورقة «تورين» الخاصة بالضرائب (١٩٧٥–٢٠٠٦)

هذه الورقة محفوظة الآن بمتحف «تورين»، وقد نشرها حديثًا الأستاذ «جاردنر» في كتابه الخاص بالمتون الإدارية عن عصر الرعامسة (راجع: Gardiner, Ramesside Administrative Documents. p. 35–44) ووضع لها ترجمة وتعليقًا في «مجلة الآثار المصرية» (راجع J. E. A. VOl. XXVII, 22–37).

وتحتوي هذه الورقة على تقرير وضعه كاتب الجبانة المشهور في ذلك العصر المسمى «تحتمس» عن جمعه للضرائب من أماكن مختلفة في الإقليم الواقع جنوبي مدينة «طيبة»، وتوريدها للمخازن الخاصة بها في «طيبة» نفسها.

والمتن المكتوب على وجه الورقة مؤرَّخ بالسنة الثانية عشرة من عهد «رعمسيس الحادي عشر». ويلاحظ[٦٣] أن معظم التواريخ في هذه الورقة قد كُتب فيها الأشهر والأيام بالمداد الأحمر، ولكن السنين — لأسباب خرافية — لم تكتب بهذه الكيفية.

وسنضع ترجمة هذه الورقة والتعليق على كل جزء منها على حسب طريقة الأستاذ «جاردنر»؛ ليسهل فهمها.

الصفحة الأولى: (١) السنة الثانية عشرة، الشهر الثاني من فصل الفيضان، اليوم السادس عشر من عهد جلالة ملك الوجه القبلي والوجه البحري رب الأرضين «من ماعت رع ستبن بتاح» له الحياة والفلاح والصحة ابن «رع» رب التيجان.

(٢) «رعمسيس خعمواست» محبوب «آمون» الإله حاكم «هليوبوليس» معطي الحياة سرمديًّا (وإلى الأبد …)

(٣) وثيقة إيصالات حنطة أرض «خاتو» ملك الفرعون من يد كهنة (معابد الوجه القبلي؟) وهي التي (٤) أمر حامل المروحة على يمين الملك، الكاتب الملكي، القائد، والمشرف على مخازن غلال (الفرعون، ابن الملك) صاحب كوش، المشرف على الأراضي الجنوبية، وقائد جنود (الفرعون) «بينحسي» بأن تورَّد.

(٦) وقد قام بذلك كاتب الجبانة العظيمة السامية لملايين السنين التابعة للفرعون «تحتمس».

(٧) وقد جلبت للجبانة من حنطة أرض «خاتو» الفرعونية، على يد كاهن الإله «سبك» المسمى «باحني».

(٨) (ملخص) تسلمها.

تعليق: ذكرنا فيما سبق أن «بينحسي» نائب الملك في بلاد «كوش» كان من الشخصيات البارزة في عهد «رعمسيس» الحادي عشر، وبخاصة بعد أن أخضع الثورة التي كانت في مصر الوسطى كما ذكرنا ذلك في مكانه. أما السبب في أن جمع الضرائب كان موكلًا إلى كاتب الجبانة (أو القبر الملكي على رأي آخر) فهو أن الحنطة التي نتحدث عنها كانت تُجمع لتموين عمال الجبانة أي: كانت بمثابة أجور لهم. ونفهم ذلك من خطاب معاصر نشره الأستاذ «شرني» (late ramesside letters 69-70) حيث نقرأ فيه العبارة التالية: «أرسِلْ كاتبك «أفنآمون» كاتب

الجبانة، والبواب «تحتمس» أو البواب «خنموسى»، ودعهم يذهبون ويحضرون الحنطة؛ لئلا يجوع الناس ويقفوا عن العمل الذي طلبه الفرعون.»

أما أرض «خاتو» التابعة للفرعون فقد تحدثنا عنها عند الكلام على ورقة «فلبور» (راجع «عهد رعمسيس الخامس») والظاهر أنها كانت حقولًا على حدة وكان دخلها للتاج، وهي من ضياع كانت تملكها بعض المعابد المحلية، وكان عبء محصولها يقع على عاتق عمدة الجهة، أو على كاهل كاهن معبد أو موظف آخر صاحب مكانة عالية في المجتمع. وقد عرفنا أن مدير أرض «خاتو» الفرعونية في ورقة «فلبور» كان نفس مدير بيت «آمون»، المسمى «وسر ماعت نخت». وقد ذكرنا كذلك أن أرض «خاتو» كانت أحيانًا يزرعها أشخاص عاديون بصفة ملاك وبمثابة مزارعين للمعبد أيضًا، ولكنها فيما بعد أصبحت ملك التاج ثانية، ويلاحظ هنا أن الكاهن «باحني» التابع للإله سبك سيأتي فيها بعد بوصفه «باحني» التابع لبلدة «إميوترو» (الرزيقات الحالية القريبة من «طيبة»).

الصفحة الثانية: (١) وصل في السنة الثانية عشرة، الشهر الثاني من فصل الفيضان، اليوم السادس عشر في بلدة «إميوترو» (الرزيقات) بوساطة الكاتب «تحتمس» والبوَّابين. (٢) من يد كاهن سبك «باحني»، والكاتب «ساحتنفر» ونائب المشرف على بيت سبك، «بونش». (٣) من حنطة أرض «خاتو» الفرعونية (ما مقداره): ـ حقيبة. ومن أرض اللوق الشمالية من يد (٤) الشرطي (مازوي) «عنختير» غلة «ضريبة حصاد» ٨٠ حقيبة فيكون المجموع ـ حقيبة (٥). وُرد في السنة الثانية عشرة، الشهر الثاني من فصل الفيضان، اليوم الواحد والعشرون على سطح حاصل الأمير «بورعا» «لطيبة الغربية»، من الحنطة التي (٦) أحضرها كاتب الجبانة «تحتمس» من بلدة «إميوترو» (الرزيقات). وقد خزنت في المخزن الرئيسي (المسمى) (٧) «الحاصل يفيض» (ما مقداره) ـ حقيبة، وشعير خمس حقائب فيكون المجموع ـ حقيبة.

(٨) ورِّد في السنة الثانية عشرة، الشهر الثالث، اليوم التاسع عشر من بلدة «عجني» بوساطة كاتب الجبانة «تحتمس» والبوَّابين (٩) حنطة ـ ، ـ حقيبة (١٠) وقد وصلت ووردت للكاتب «نسأمنمؤبي» والمغنية «آمون حنت-تاوي» في السنة الثانية عشرة، الشهر الثالث من فصل الفيضان، اليوم الثالث والعشرون (١١) حنطة (مقدارها) ٣٣ حقيبة؛ وـــ ـ ـ عجز من حساب السماكين، و ـ ـ ـــ من الحقيبة لحساب السماكين (هكذا) المجموع حقيبة (وقد حذف المجموع هنا ويجب أن يكون ٣٧ حقيبة كما يثبت ذلك المجموع ـ الذي سيأتي بعد).

(١٢) تُسلم في بلدة «إميوترو» (الرزيقات) بوساطة كاتب الجبانة «تحتمس» والبوابين وُوردت بوساطة (١٣) الأجنبي «بيحال» في السنة الثانية عشرة، الشهر الثالث من فصل الفيضان، اليوم الثامن والعشرون؛ عشر حقائب، فيكون مجموع ما وصل منه (أي من «تحتمس») ـ حقيبة.

(١٤) وصلت ووردت لعمدة غربي المدينة (المسمى) «بورعا» في السنة الثانية عشرة، الشهر الثالث من فصل الفيضان، اليوم التاسع والعشرون من (١٥) حنطة الأجنبي «بيخال»، وهي عشر حقائب وقد أعطيت المزارع «بابكي».

تعليق: إن أول ما يلاحظ في متن هذه الصفحة أن الغلة قد جمعت من أماكن مختلفة بعضها قريب من «طيبة» وبعضها بعيد عنها. فبلدة «الرزيقات» قريبة من «طيبة» و«عجني» المجاورة لإسنا بعيدة عن «طيبة»، ومع ذلك نجد أن غلة «عجني» قد وصلت قبل غلة «الرزيقات»، على الرغم من أن المواصلات واحدة، ولكن قد يكون السبب في ذلك متوقفًا على قلة سفن الشحن لدى المورِّد أو الكاتب المكلف بذلك في ذلك الوقت، وكذلك يلاحظ أن الكاتب «تحتمس» كان يساعده في جمع الضرائب اثنان يحمل كل منهما لقب بوَّاب؛ والظاهر أن هذا الإجراء لم يكن غريبًا كما يتضح لنا مما سبق، وعلى أية حال فإن هذين البوابين كانا تابعين للجبانة. وعلى الرغم من أنهما لا يشغلان وظيفة تذكر، وبخاصة إذا علمنا أن أجر الواحد منهما كان أقل من أجر العامل، فإن اسميهما قد

برزا إذ كان أحدهما سمي «تحتمس» باسم كاتب الجبانة، على أن نسبته بأنه تابع «للقصر» أي: «مدينة هابو» يؤكد لنا نظرية أن إدارة الجبانة كان مقرها معبد «مدينة هابو» وقتئذ، والبواب الثاني كان اسمه «خنموسى» وقد ذكر أنه يتسلم أجرًا ضئيلًا (راجع ص٤ س٣ من هذه الوثيقة) وقد ذكر أنهما كانا يقومان بمثل هذا العمل في الخطاب الذي اقتبسناه فيما سبق.

ومما يزيد في أهمية الوثيقة التي في أيدينا، أنها لا تسجل تفاصيل المقادير التي جمعت بمثابة ضرائب وحسب، بل كذلك تذكر لنا كيفية التصرف في توزيع هذه الضرائب عند وصولها إلى «طيبة»؛ فنعلم أن جزءًا عظيمًا كان يسلم لعمدة «طيبة» الغربية «بورعا»، الذي تحدثنا عنه مليًّا عند الكلام على محاكمة لصوص المقابر وفحص المقابر الملكية، وما حدث بينه وبين عمدة «طيبة» الشرقية. وقد مضى على ذلك نحو خمس عشرة سنة، ولا بد أنه كان وقتئذ متقدِّما في السنِّ. وكانت معظم الغلة التي تُوَرَّد إليه تخزن في مخازن الغلال ليتصرف فيها وقت الحاجة، ويلاحظ هنا أنه قد ذكر أن هذه الغلة قد وضعت على سطح الحاصل، وتفسير ذلك أنه يوجد حتى الآن فوق سطوح المنازل مخازن مصنوعة من الطين توضع فيها الغلة الزائدة عن الحاجة، وهذه المخازن لها ميزة في أنها تحفظ القمح من أن يصيبه السوس. وكذلك قد أعطي أكثر من سدس هذه الغلة بقليل الكاتب «نسأمنوٴبي» والمغنية «حنت ثاوي»، والمحتمل أن الرجل وزوجه قد جاء ذكرهما في مواطن أخرى، ونخص بالذكر خطابًا جاء فيه ذكر «حنت تاوي» فقد كتبت إلى «نسأمنوٴبي» هذا، ومن خطابها هذا نعلم أنه كان كاتب جبانة، وأن الكتاب خاص بتسلم حنطة. أما الحساب الذي قدَّمه «تحتمس» في هذا الجزء من تقريره فصحيح في جملته، غير أنه توجد بعض فروق تدعو إلى الشك في أنه قد حدث اختلاس. فتجد أنه يعترف بأنه قد تسلم من «الرزيقات» ـ + ٨٠ = ـ حقيبة، غير أن هذا المجموع يقل عن المجموع الذي جاء في الصفحة الثانية، السطر السابع. ونجد أن ـ حقيبة تحتم أن يكون المجموع ـ حقيبة.

ويُستنبط هنا للمرة الأولى العادة التي كانت مستعملة في تدوين أنواع الغلة في مصر منذ الأسرة الثامنة عشرة. فعندما كان يستعمل الحبر الأسود والحبر الأحمر معًا نعلم أن الحبر الأحمر كان يستعمل للحنطة، والحبر الأسود للشعير، على أنه عندما كان يضاف كلا النوعين معًا بمثابة غلة. فإن الحبر الأحمر كان يستعمل وحده.

الصفحة الثالثة: (١) تُسلَّم في المدينة السنة الثانية عشرة، الشهر الرابع من فصل الفيضان، اليوم الثاني عشر، من حنطة بيت «منتو» رب «طيبة» سيد «طيبة» ليد «تحتمس» كاتب الجبانة والبوابين (٢) من يد «نسآمون» كاتب حسابات بيت «آمون رع» ملك الآلهة، الذي تحت إدارة كاهن «منتو» المسمى «أمنمأنت» ستة حقائب، وتفصيلها كالآتي:

(٣) الأجنبي «بنحسي» أربع حقائب؛ البناء «قرور» حقيبتان. وأعطي البناء «إرو شارع» التابع لـ ... ـ حقيبة.

(٤) وصل في السنة الثانية عشرة، الشهر الرابع، اليوم الثالث عشر من فصل الفيضان في البيت المسمى (المحراب الذي يحمل للملك «وسر ماعت رع» محبوب «آمون»، بوساطة «تحتمس» كاتب الجبانة والبوابين من يد.

(٥) مغنية «آمون» «مشعنقر» زوج «حرنفر» رئيس المحراب الذي يُحمل: ٣٠ حقيبة).

(٦) وصل في السنة الثانية عشرة، الشهر الرابع من فصل الفيضان، اليوم الرابع عشر من يد «تحتمس» كاتب الجبانة والبوابين ليد مغنية «آمون» «حنت ثاوي»، وكاتب الجبانة «نسأمنؤبي» (٧) من حنطة المحراب الخفيف الحمل الخاص بالفرعون «وسر ماعت رع» محبوب «آمون»، الذي تحت إدارة رئيس المحراب الخفيف الحمل «حرنفر» ٣٠ حقيبة، وقد وردت للمخزن الرئيسي المسمى «الحاصل يفيض».

(٨) وصل في هذا اليوم من الحنطة لبيت الإله «منتو» رب «طيبة» من يد الأجنبي «وسرحات نخت» ثماني حقائب. وقبل ذلك في الشهر الرابع من فصل الفيضان، اليوم الثاني عشر ست حقائب، فيكون المجموع ١٤ حقيبة.

تعليق: يلاحظ أن ثمانية الأسطر الأولى من هذه الصفحة قد فُصلت في الوثيقة الأصلية عن ثمانية الأسطر التي تليها بفضاء كبير، مما يدل على أنها وحدة قائمة بذاتها، ولكن من جهة أخرى نجد أن المتحصل من المؤسستين الدينيتين لم يُجمع معًا مثلما حدث في الصفحة الثانية، ويدل المتن على أن هذه الأسطر الثمانية الأولى متصل بعضها ببعض؛ لأنها تشير إلى مسائل مالية كان يقوم بها كاتب الجبانة «تحتمس» خلال إقامته مدة قصيرة في «طيبة»، وسنرى فيما يلي أنه غادر العاصمة ومعه قاربان إلى الجنوب. وعلى ذلك لا بد أن يكون كل من بيت «منتو»، والمحراب الخفيف التابع للملك «وسر ماعت رع» محبوب «آمون» (أي رعمسيس الثالث) في «طيبة»، ومعبد «منتو» هو كما نعلم ضمن أجزاء معبد «الكرنك» في أقصى الشمال، وتوجد مقابر بعض كهنة عظام في «قرنة مرعي» في الجهة القريبة من «طيبة».

الجزء الثاني من الصفحة الثالثة: (٩) السنة الثانية عشرة، الشهر الرابع من فصل الفيضان، اليوم الثامن عشر: مغادرة «تحتمس» كاتب الجبانة من غربي المدينة مع قارب البحار «تحوتوشي» وقارب السماك «قادعار».

(١٠) وصل في مدينة «إسنا» في السنة الثانية عشرة، الشهر الرابع من فصل الفيضان، في اليوم العشرين بوساطة «تحتمس» كاتب الجبانة والبوابين، ٤٠٢ حقيبة من حنطة (١١) ببيت «خنوم» و«نبو» من يد النائب المشرف «بورعا» وكاتب المعبد «بينحسي» في مخزن «خنوم» و«نبو» في «إسنا» ٣٣٧ حقيبة. وتفاصيل ذلك: (١٢) وصل في هذا اليوم من يد النائب المشرف «بورعا»: المزارع «ساحتنفر» من ضريبة حصاده ١٢٠ حقيبة.

(١٣) ومرة أخرى من يده ومن يد المزارع «بوتهأمون» والمزارع «نخت آمون» ٨٠ حقيبة؛ وكرة أخرى من أيديهم ــ حقيبة. وكرة أخرى من أيديهم ــ حقيبة؛ المجموع ٢٢٠ حقيبة. وشحنت في قارب البحار (١٤) «تحوتوشبي».

(١٥) تُسلم من أيديهم في هذا اليوم بوساطة الكاتب «تحتمس». شحن في قارب السماك «قادعار»: ــ حقيبة (و) ــ حقيبة؛ المجموع ــ حقيبة.

(١٦) المجموع ــ حقيبة. وقد أُعطي بمثابة مصاريف لها ــ حقائب.[٦٤] ووضع لحساب الفرعون ٣٣٧ حقيبة. فيكون الباقي على حساب كاتب المعبد «بينحسي» ٦٥ حقيبة؛ والمجموع ٤٠٢ حقيبة.

الصفحة الرابعة: (١) تسلم في السنة الثانية عشرة، الشهر الرابع من فصل الفيضان، في اليوم الرابع والعشرين بوساطة عمدة المدينة الغربية «بورعا»، من الحنطة التي أحضرها «تحتمس» كاتب الجبانة والبوابان.

(٢) في قارب البحار «تحوتوشبي» وقارب السماك «قادعار» من بلدة «إسنا»: ٣٣٧ حقيبة. تفصيل ذلك: وصلت ووردت للعمدة (٣) من حنطة السماك «قادعار» ــ حقيبة. وأُعطي بمثابة جرايات السماك «إتنفر» حقيبة واحدة. المجموع ــ حقيبة. العجز حقيبتان. تفاصيل العجز: البواب «خنموسى» حقيبة وربع (٤) «نسأمنؤبي» ـ و ـ حقيبة، «قادعار» ـ حقيبة.

(٥) وصلت ووردت لعمدة غربي المدينة من قمح رئيس القارب «تحوتوشبي» ــ حقيبة. أعطي بمثابة مصاريف رئيس القارب ٢٠ حقيبة. فيكون المجموع ٢٢٥ حقيبة.

تعليق: يلاحظ في هذا الجزء من الورقة الذي يعدُّ واضحًا تمامًا بالإضافة إلى أنه من أهم الفقرات فيها، أنه قد حدث تلاعب واضح في الحساب ينم عن سرقة جلية. حقًّا إن التفسيرات التي أعطيت حتى وصول القوارب إلى «طيبة» لا غبار عليها من حيث الأرقام. ولكن نجد في الصفحة الثالثة

(الأسطر ١٠، ١١) أن معبد «إسنا» للإله «خنوم» وزوجه الإلهة «نبو» قد فرض عليهما ضريبة قدرها ٤٠٢ حقيبة ورد منها ٣٣٧ في الحال، وهو الجزء الذي كان مقررًا دفعه على كاتب المعبد «بينحسي» وبقي عليه أن يدفع ٦٥ حقيبة تدفع مؤخرًا. وحقيقة الأمر أن النائب المشرف «بورعا» كان عليه أن ينتزع ـ حقيبة من المزارعين الثلاثة الملزمين بذلك، وهذه الكمية قد شحنت فعلًا إلى «طيبة» في القاربين، ومن ثم بدأ «تحتمس» يتلاعب في هذه الكمية، فلأجل أن ينقصها إلى ٣٣٧ حقيبة طرح منها ـ حقيبة بمثابة مصاريف. وقد شحن من الكمية ـ حقيبة: ٢٢٠ على قارب «تحتمس» و ـ على قارب «قادعار»، ولما وصلت الشحنتان إلى «طيبة» وجد «تحتمس» أنه من الضروري أن يعمل حسابه لتسليم هاتين الشحنتين غير منقوصتين، إلا أنه نسي كلية كمية ـ حقيبة التي طرحها فعلًا من قبل. وبذلك بدأ يتصرف في كمية الـ ـ حقيبة كالآتي، فتناول شحنة قارب «قادعار» أولًا، فاعترف أنه سلم ـ حقيبة من قاربه هو لعمدة المدينة «بورعا»، ثم أضاف إلى ذلك حقيبة أعطيت بمثابة جرايات سماكًا آخر اسمه «إتنفر»، ولكن مجموع ذلك لا يبلغ إلا ـ حقيبة. وبعد ذلك ارتكب «تحتمس» غلطة بظنه أن الباقي عليه من حساب ما في سفينة «قادعار» حقيبتان ليورِّدهما، في حين أن حمولة سفينة «قادعار» هي ـ ، وعلى ذلك كان لا بد له أن يقدم حسابه عن ١٢ حقيبة، غير أنه قد غاب عنه ذلك وقال: إن الباقي عليه هو حقيبتان. فقال: إنه أعطى البواب «خنموسى» ـ حقيبة، وبعد ذلك قال: إنه أعطى ـ، ـ حقيبة إلى «نسأمنؤبي» الكاتب زميله بوصفه كاتب الجبانة في حين أن السماك الفقير لم يتسلم إلا ـ حقيبة، فإذا جمعت هذه الأرقام فإنها تصل تقريبًا إلى حقيبتين، ولكن نجد أن «تحتمس» قد غش في بيانه، إذ نعلم أنه ترك كمية قد حسبت من قبل وغالط في قراءة عدد ينقص عشر حقائب عن الأصل.

أما في حمولة قارب «تحوتوشبي»، فإنه تصرف فيها بطريقة أنبل من السابقة، فذكر أنه سلم ـ حقيبة إلى العمدة، ثم قال: إنه أعطى ٢٠ حقيبة رئيس القارب بمثابة مصاريف، وأخيرًا جمع ـ + ٢٠ = ٢٢٥ حقيبة، في حين أنه أخبرنا أن قارب «تحوتوشبي» كانت حمولته ٢٢٠ حقيبة فقط. وهذه الاختلاسات التي ارتكبها «تحتمس» مسلية، وتضع أمامنا صورة عن حيل الكتاب وكيفية الاختلاسات التي كانوا يرتكبونها، ومن الجائز أن بعض من حوله كان يعلم ذلك، ولكنهم كانوا يفضلون الصمت.

بقية الصفحة الرابعة: (٦) تسلم في السنة الثانية عشرة، الشهر الرابع من فصل الشتاء، اليوم الخامس من يد «نسأمنؤبي» كاتب الحسابات بوساطة «تحتمس» كاتب الجبانة والبواب «تحتمس» التابع للقصر (مدينة هابو): حنطة ـ حقيبة، وشعيرًا ـ حقيبة، تفاصيل ذلك:

(٧) رئيس المخزن «تحوتمحب» ٧ حقائب؛ كاوي الماشية «بخال» ـ حقيبة؛ المجموع ـ حقيبة؛ والراعي «مرعا» ـ حقيبة، المزارع «خنموسى» ـ حقيبة؛ المجموع ـ حقيبة؛ المجموع: حنطة ـ حقيبة.

(٨) وصلت ووردت لمغنية «آمون حنت تاوي» في هذا اليوم في بيت الوزن (؟) التابع لبيت «مايو» (؟) بوساطة الكاتب «تحتمس» ـ حقيبة.

(٩) تسلم في هذا اليوم من بلدة «نبيمو» من يد الراعي «بينحسي» التابع للقصر (معبد مدينة هابو) ٤ حقائب، ومن رئيس الشرطة «نسآمون» حقيبة واحدة، (١٠) ومن السماك «خاروي» ـ حقيبة؛ والسماك «بانخت محت» ـ حقيبة.

(١١) تسلم من بلدة «أميوترو» (الرزيقات) من يد كاتب الحسابات «نسآمون» من حرث الأجنبي «إيوني» ١٢ حقيبة؛ ومن الأجنبي «بيخال» ـ حقيبة. المجموع حنطة ـ حقيبة.

الصفحة الخامسة: (١) تسلم في السنة الثانية عشرة، الشهر الأول من فصل الصيف، اليوم التاسع ١٢ حقيبة من الحنطة أحضرت من بلدة «أميوترو» من حرث الأجنبي «إيوني».

(٢) يضاف إلى ذلك ــ حقيبة من الأجنبي «بيخال» المجموع من الحنطة ــ حقيبة. والراعي «بينحسي» بن «باكمأمن» من بلدة «نيمو» ٤ حقائب.

(٣) ورئيس الشرطة «نسآمون» حقيبة واحدة، المجموع خمس حقائب سلمت في هذا اليوم لمغنية «آمون» «حنت تاوي» على قمة الشونة.

(٤) وخزنت في المخزن الأول المسمى «الحاصل يفيض» ١٢ حقيبة وــ حقائب. وأدخلت في حجرة الخزن التي على قمة «الأرض الطاهرة» من القمح ــ حقيبة.

تعليق: يلاحظ أولًا في الورقة أن هذه الفقرة تسبقها مسافة خالية، وفي نهايتها كذلك مسافة أخرى خالية، وذلك دلالة على أنها جزء مستقل بنفسه، ويؤكد لنا ذلك أن ما حصل من دافعي الضرائب وما ورد لأولي الشأن في «طيبة» متعادلان. هذا ويدل المتن على أن تحصيل الضرائب من حنطة وشعير كان يدفعه الصراف «لتحتمس» مع تفصيل يذكر فيه أسماء دافعي الضرائب وما جُبي من كل، وكذلك كانت تُذكر الجهة التي جمعت منها هذه الضرائب. وكذلك نلحظ أنه كانت تذكر الأفراد الذين كانت توزع عليهم هذه المحاصيل أو الأماكن التي كانت تخزن فيها لوقت الحاجة.

وقد جاء في المتن بعض أسماء جهات لا تبعد عن «طيبة»، ولكنا لا نعلم مواقعها بالضبط لجهلنا بجغرافية مصر القديمة في هذه الفترة.

بقية الصفحة الخامسة: (٥) تسلم في السنة الثانية عشرة، الشهر الرابع من فصل الشتاء، اليوم الثالث عشر من يد البوابين من حنطة مخزن الفرعون وهي التي من حساب كاتب حسابات بيت «آمون». «نسآمون» ٤ حقائب و٢٠ حقيبة.

(٦) والمجموع الذي ورَّده من ٧٢ حقيبة حنطة ــ فيكون العجز ــ حقيبة.

(٧) تسلم في السنة الثانية عشرة الشهر الرابع من فصل الشتاء اليوم الثالث عشر من يد الكاتب «سحتنفر» من حنطة الأجنبي «أري» ٢٠ حقيبة، وتفاصليها: العجز في حبوب بيت «سبك» سيد «أميوترو» ـ حقيبة حب مخزن الفرعون الذي من حساب «نسآمون» كاتب الحسابات التابع لبيت «آمون» ملك الآلهة ٨ حقائب.

(٩) ما دفعه كاهن الإله «سبك» زيادة ـ حقيبة. المجموع ٣٠ حقيبة.

(١٠) تسلم في هذا اليوم ... (ثم فضاء) من يد كاتب حسابات بيت «آمون» المسمى «نسآمون» من حنطة مخزن الفرعون من يد ...

(١١) تسلم من يد كاتب الحسابات لبيت «آمون» المسمى «نسآمون» وأعطى كاهن «موت» ٣ حقائب ... المجموع (؟) ...

تعليق: هذا الجزء الأخير من وجه الورقة يحتمل جدًّا أنه خاتمة كل الوثيقة، غير أنه بكل أسف قد طمست معالمه من جراء ما حدث في الورقة من تهشيم في نهايتها. ويدل كل ما جاء فيه على أن المسئول عما ورد فيه من ضرائب هو كاتب الحسابات «نسآمون». ونستنبط من السطرين الخامس والسادس أنه كان عليه أن يجبي ٧٣ حقيبة من الحنطة مستحقة للفرعون، وتدل شواهد الأحوال على أنه كان لا بد أن يجمعها من أرض «خاتو» الفرعونية.

ونعلم من هذه الفقرة أن «نسآمون» قد ورد ـ حقيبة بما في ذلك ٢٠ حقيبة من الحنطة و٤ من الشعير سلمت في اليوم الثاني عشر، والثالث عشر من الشهر، ولكن يظهر أمامنا أنه من المستحيل أن نصل إلى معرفة حل المسألة التالية ـ – ٢٤ = ـ حقيبة في المقادير التي سجلتها الورقة فيما سبق بأنها قد تسلمت عن طريقه. ففي الصفحة الثالثة (سطر ١، ٢) نجد أنه كان هناك ست حقائب، ولكن هذه كانت ضرائب من معبد «منتو»، ويجوز أنها لا علاقة لها بضرائب أرض «خاتو».

أما ـ حقيبة التي جاء ذكرها في الصفحة الخامسة (سطر ٣، ٤) بأنها وردت، فإنا نعلم أن ـ وردت من «الرزيقات»، إذ إنه ذكر عنها صراحة أنها جاءت عن طريق «نسآمون». وحتى إذا فرضنا أن ٦ + ـ حقيبة هي جزء من الـ ٧٢ حقيبة التي يجب أن يسلمها، فإن مجموعها هو ـ لا ـ وهي التي ذكر أنها قد وردت.

أما عن ٧٢ – ـ = ـ حقيبة التي بقيت بمثابة عجز في اليوم الثالث عشر، فإنه من الجائز أن ٨ حقائب قد وردت من «الرزيقات» على يد الكاهن «سحتنفر» (راجع ص٢ سطر ٢) في وقت واحد مع مقدارين من مصادر أخرى. ومن المحتمل أن الـ ـ حقيبة الباقية، قد جاء ذكرها في الجزأين المهشمين من الورقة في النهاية.

أما عن المقدارين من الحقائب التي كانت قد أرسلت لمخزن الفرعون، فواحد منهما ـ حقيبة لم يكن قد دفع مما على معبد «سبك»، والمقدار الثاني ـ حقيبة من كاهن الإله «سبك»، وهو على ما يظن «باحني»، الذي جاء ذكره في الورقة (راجع ص٢ سطر ٢، ٣) وهو الذي كان مسئولًا عن ضرائب أرض «خاتو» ملك الفرعون. والحقيبة ونصف الحقيبة التي دفعها الآن قيل عنها: إنها زيادة، ويحتمل أنها زيادة عما كان يجب أن يدفعه. وهذا يذكرنا بما جاء في لوحة «بلجاي» (A. Z. L, 51-2) حيث نجد أن موظفًا كبيرًا يفخر بأنه دفع ضرائب أكثر مما عليه بسخاء، ونجد الأعداد التي ذكرها لنا هذا الموظف مدهشة إذ تقرأ أن قائد الحصن قد ادَّعى بأنه دفع ضعفي ما عليه من ضرائب وقدره ٧٠٠٠٠ حقيبة أي إنه دفع ١٤٠٠٠٠ بوشل، أي ما يساوي محصول ٥٢٠٠ فدان إنجليزي.

ظهر الورقة: أما ظهر الورقة فيظهر أن كاتبه كذلك هو «تحتمس»، الذي كتب وجهها ولكن بخط أكبر، وهو يعدِّد لنا توريد دفعات من الحنطة كالسابقة في السنة الرابعة عشرة، أي بعد مضي سنة واحدة عن المتن السابق، وليس فيه من جديد.

(٥) آثار أخرى

أما الآثار الأخرى التي وجد عليها اسمه أو تنسب إليه فليست كثيرة، إذ في عهده كانت الكلمة العليا للكاهن الأكبر «لآمون حريحور» كما سنرى بعد، والآثار التي وجد عليها اسمه أو من عصره هي:

(١) **منف:** عمد مغتصبة كتب عليها اسمه (راجع plyete. Pap. turin, 86).

(٢) **السرابيوم:** وينسب إلى عهد هذا الفرعون مدافن خمسة عجول «أبيس» وهي: الخامس، والسادس، والسابع، والثامن، والتاسع؛ وقد وجد مع الخامس تماثيل صغيرة. (راجع mariette. Serapeum p1.22 (9–11)) ومما يؤسف له أن معالجة موضوع السرابيوم لا تزال تحتاج إلى عناية (راجع mariette. Serapeum, texte pp. 149–52).

العرابة المدفونة

وعُثر في العرابة المدفونة على لوحة سجل عليها القربات، التي قدَّمتها «تامر بناس» للإله «أوزير» إله الولادة لابنها «نترخع».

وفي كوم السلطان بالعرابة المدفونة

عثر «مريت» على قرطين ضخمين «لرعمسيس الحادي عشر» على جسم مومية ليس عليها نقوش، وكل قرط منهما صيغ من الذهب المغطى بطبقة من الورنيش المائل للحمرة ومُحلى بخمسة أصلال على كل منها قرص الشمس، وفي محيطه حلي بحلق بكرة … إلخ. وكذلك وجد على نفس المومية بقايا حلي للصدر تحتوي على دروع صغيرة من الذهب مشغولة بحلية غاية في الدقة، فقد وجد فيها الرءوس الرمزية للآلهة «سخمت» و«حتحور» و«أنحور بن رع» و«رع» نفسه، وهذه الرءوس في فحصها إلى المنظار المكبر (راجع maspero, guide 435 & 436).

الكرنك «معبد خنسو»

على الرغم من أن «حريحور» كان يلعب الدور الهام في حكومة البلاد في عهد «رعمسيس الحادي عشر»، فإن النقوش الرسمية كانت باسم الأخير، كما يلاحظ ذلك في الإهداءات التي على خارجات قاعة العمد في معبد «خنسو»، وكان «رعمسيس الحادي عشر» يتمتع بكل السلطة، على حين نرى من جهة أخرى أن النقوش التي على قواعد العمد في القاعة الصغرى لا تحتوي إلا على إشارة ضئيلة صغيرة للفرعون نفسه، وسنتحدث عن هذه المناظر فيما بعد.

والإهداءات التي نقشت على خارجة العقد هي: يعيش حور (الألقاب) «رعمسيس الحادي عشر»، لقد صنعه بمثابة أثر لوالده «خنسو» في طيبة — الراحة الجميلة التي عملها «رعمسيس الحادي عشر» له.

على عقد صغير على اليمين من الممر الأوسط في الجهة المقابلة للعمد الصغيرة: يعيش الإله الطيب صانع الآثار في بيت والده «خنسو» سيد «طيبة»، وباني معبده بمثابة عمل خالد بالحجر الرملي الجميل زائدًا …

على العقد الذي على العمد الصغيرة على اليمين: «يعيش «حور» (ألقاب) «رعمسيس الحادي عشر»، لقد عمله بمثابة أثر لوالده «خنسو» في طيبة — الراحة الجميلة» مقيمًا له (القاعة المسماة) «لابس التيجان للمرة الأولى» من الحجر الرملي الجميل جاعلًا معبده فاخرًا جميل المبنى إلى الأبد، وهو الذي عمله له ابن «رع رعمسيس الحادي عشر».

يعيش «حور» … إلخ «رعمسيس الحادي عشر» الملك الجبار العظيم الآثار في بيت والده «خنسو» سيد طيبة مقيمًا له بيته المصنوع للمرة الأولى بمثابة عمل ممتاز خالد، والآلهة العظام منشرحة قلوبهم لآثاره التي عملها له ابن «رع، رعمسيس الحادي عشر» يعيش الإله الطيب صانع الإحسان ومقيم الآثار والكثير المعجزات، ومن مشروعه ينفذ في الحال مثل والده «بتاح»

جنوبي جداره، ولقد أضاء طيبة بآثار الملك العظيمة، وهي التي عملها «رعمسيس الحادي عشر» محبوب «خنسو».[٦٥]

الكرنك

وفي معبد الملك «أمنحتب الثالث» نقش «رعمسيس الحادي عشر» لوحة على الجدار الخارجي من الجهة الشرقية، وهذه اللوحة مقسمة قسمين مُثِّل فيها هذا الفرعون في كل منهما يتعبد للإلهة «ماعت» ابنة «رع» زوج «آمون» القاطنة في «طيبة»، وهي التي تهبه أعيادًا ثلاثينية كثيرة مثل «رع»، وعلى اليمين كتب: الحياة والصحة كلها والعافية كلها.

ويلاحظ أن الفرعون كان يتبعه من كلا الجانبين شخصية أقل طولًا منه بكثير، وقد نقش فوقه متنان يشملان صلاة للإلهة «ماعت» يقدِّمها حاكم المدينة والوزير «وننفر» المرحوم. إن حاكم المدينة …[٦٦]

وفي متحف «باريس» توجد قطعتان من الجلد كتب عليهما اسم هذا الفرعون.[٦٧]

مومية الفرعون «رعمسيس الحادي عشر»[٦٨]

ويظن «مسبرو» أن مومية هذا الفرعون كانت قد وضعت في أحد توابيت الأميرة «نسخنسو» كبيرة مغنيات الإله «آمون»، وقد كان يظن في بادئ الأمر أن هذا التابوت لهذه المغنية أو لأحد أقاربها المسمى بهذا الاسم، ولكن عندما فُحصت محتويات التابوت وجد أنه يحتوي على عظام إنسان ملفوف في كتان جميل الصنع، ويلبس على رأسه إكليل أزهار، وعلى صدره نقش يظن أنه مختصر اسم «رعمسيس الحادي عشر»، وهذه المومية وجدت بطبيعة الحال بين الموميات التي أودعت خبيئة الدير البحري.

قبر «رعمسيس الحادي عشر»[٦٩]

حفر قبر هذا الفرعون إلى مسافة بعيدة في جوف الصخر، غير أنه لم يتم على وجه التأكيد؛ فقد وجد أن عمود القاعة التي تؤدي إلى حجرة الدفن لم يتم بعد، وكذلك حجرة الدفن لم يتم حفرها من ثلاث جهات، وقد حفر فيها حفرة ليوضع فيها التابوت، ولم يزين من القبر بالنقوش إلا المدخل، وقد عملت الزينة على طبقة من الملاط على الصخر. فيشاهد الملك في منظر واقفًا على اليمين وفي يده الصولجان، ثم يظهر على كلا جانبي الباب في محراب، وعلى يمينه إله له أربعة رءوس كباش، وخلفه إلهة الغرب. ومما يلفت النظر في أمر هذا القبر أن صاحبه قد حكم البلاد حوالي سبع وعشرين سنة، ومع ذلك لم يكن في مقدوره أن يزين جدرانه بالنقوش، ولا سيما أن كل ملك كان أوَّل همه الاعتناء بمقر قبره وتشييده، وقد يكون السبب في هذه الظاهرة الغريبة هو فقر البلاط، واختلال الأمن في منطقة «طيبة»، وبُعد الفراعنة عن مكان دفنهم.

---

[١] راجع: Botti-Peet. Il Giornali Della Necropoli di Tebe facs 3.

[٢] راجع: Maspero, Les Momires Royales p. 553–64 Pls X–XVI.

[٣] راجع: Journal of Near Eastern Studies Vol. VII July 1948 November, 3 p. 157.

[٤] راجع: J. E. A. vol. XV. p. 194 ff.

[٥] راجع: Pap. Mayer. A. I. 6; & Pap. Brit. Mus. 10052. p. 1, L. 4.

[٦] راجع: Pap. Turin. Cat. 1903, verso.

[٧] راجع: Pap. Turin P. R. XCVI col 2.5.

«حريحور» والأحداث التي أدت إلى توليته عرش الملك

لقد ظل الاعتقاد سائدًا بأن «حريحور» — الذي تولى رياسة كهانة معبد «آمون» بالكرنك — كان ينسب إلى أسرة «رعمسيس نخت» التي تولى أفرادها هذه الوظيفة بالتوارث مدة طويلة، واستولوا في خلالها على زمام الأمور في البلاد من الناحية الدينية والإدارية معًا بدرجة عظيمة، على أن الوثائق التاريخية لا تمدنا بأية معلومات تثبت هذا الاعتقاد.

حقًّا نعلم أنه بعد اختفاء «أمنحتب» بن «رعمسيس نخت» من رياسة معبد «آمون» ظهر بعده على هذا الكرسي «حريحور»، ولكنا لا نعرف نسبته له كما لا نعرف اسم والده ولا اسم أمه إذ لم يرد قط على الآثار الخاصة بهذا العهد ما يشير إلى هذا؛ ولذلك يتساءل الإنسان لماذا تحدث «مسبرو» في تاريخه الذي وضعه عن مصر وأمم الشرق[١] عن والد «حريحور»، وعن جده مشيرًا بذلك إلى الكاهن الأكبر «أمنحتب» ووالده «رعمسيس نخت»، وليس لدينا ما يثبت أنه كان ابن الكاهن الأكبر «أمنحتب»، هذا بالإضافة إلى أنه ليس لدينا ما يبرهن على أن «أمنحتب» قد تزوَّج من الأمير الملكية «إزيس»، وأنه رزق منها «حريحور» وبذلك يكون الأخير من نسل «رعمسيس السادس» كما أشرنا إلى ذلك من قبل (راجع «رعمسيس السادس») وعلى ذلك فإن هذا الزعم يعدُّ خاطئًا من أساسه. وكذلك أراد بعض المؤرخين أن يزعموا أن والدته تدعى «نزميت»، ولكن نعرف أن لقب «الزوجة الملكية» الذي كانت تحمله هذه الأميرة في أحد نقوش معبد «خنسو» يبرهن من سياق الكلام دون التباس[٢] على أنها زوجة «حريحور» — الذي أصبح فيما بعد ملكًا — لا والدته. وإذا كانت تسمى في وثائق جاءت فيما بعد الأم الملكية، فإنما جاء ذلك بوصفها والدة الأطفال الذين أنجبتهم منه. وقد أراد الأثري «فرشنسكي» أن يميز بين امرأتين باسم «نزميت»، إحداهما تكون أم «حريحور» والثانية زوجه، غير أنه ليس لدينا وثائق توضح هذا الزعم.[٣] والواقع أن «نزميت» هذه ليس لها أية علاقة بأسرة ملوك الرعامسة وكل علاقتها تنحصر مع زوجها؛ وذلك لأننا لا نجدها في أي نقش أو بردية تلقب بالبنت الملكية، وقد كانت

تشغل وظيفة رئيسة حظيات الإله «آمون»، مثلها في ذلك كمثل كثيرات من زوجات الكهنة الأول لملوك الأسرتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة، ومن كل ذلك يظهر لنا أن «حريحور» لم يكن له حق في عرش البلاد، لا بنسبه وحسبه، ولا بزواجه من أميرة ملكية تخول له هذا الحق، بل إن ذلك يرجع إلى مطامحه الشخصية والأحداث الخارجة عن حد المألوف، التي حدثت في البلاد في تلك الفترة من تاريخ أرض الكنانة، وإن رياسة الكهانة لم تكن إلا شيئًا عارضًا مكملًا لمطامحه، بل في الواقع إن اعتلاءه العرش كان يعدُّ هزيمة لرجال الدين في معبد الكرنك، وبخاصة أسرة «رعمسيس نخت» كما سنبين ذلك فيما بعد.

وتدل ألقاب «حريحور» على أنه كان من رجال الجيش، وأنه كان يحمل لقب القائد الأعلى ورئيس طوائف الأجانب كما سنرى بعد، هذا مع العلم بأنه كان يحمل لقب الكاهن الأكبر «لآمون»؛ ولذلك فإن كل الأحوال تدل على أن «حريحور» كان مثله كمثل المؤسسين الآخرين لأسر جديدة كالقائد «آي» الذي كان يحمل لقب كاهن، ولكنه كان في الأصل من رجال الجيش العظام، كما ذكرنا ذلك من قبل (راجع مصر القديمة ج٥) وعلى ذلك فإن كل الأحوال في مصر تدل على أن «حريحور» كان وليد الثورة التي قامت في مصر في تلك الفترة المضطربة من تاريخ البلاد، فأعاد إليها النظام وانتهى الأمر بتوليه هو مقاليد الأمور في البلاد، وأصبح فرعونًا لها ومؤسسًا لأسرة جديدة، وهذا الانقلاب هو الذي تحدثنا عنه فيما سبق وهو «عصر النهضة» (راجع «رعمسيس الحادي عشر»). وقد تناول الأستاذ «كيس» موضوع اعتلاء «حريحور» عرش الملك في مقال ممتع يدور حول عصر النهضة، ويتلخص في أن بعض أوراق البردي المعاصرة قد أُرِّخت بعهد يسمى عصر النهضة. وقد أراد بعض المؤرخين أن يجعلوه في حكم «رعمسيس التاسع»، ولكن دلت البحوث على أن ذلك رأي خاطئ كما شرحنا ذلك من قبل («رعمسيس الحادي عشر»). وكذلك لدينا نقطة أخرى لا بد من إظهار حقيقتها، وهي تاريخ ورقة «ونآمون» السالفة الذكر وهي التي جاء فيها أن رحلة «ونآمون» هذا في «سوريا» كانت في السنة الخامسة من حكم ملك لم يعين

على وجه التأكيد. ويلاحظ في التقرير الذي وضعه «ونآمون» أن مصر كان من المفروض أنها مقسمة قسمين بين «حريحور»، الذي كان مقره «طيبة» و«سمندس» الذي كان مقره «تانيس». ولكن إذا اعترفنا بأن تاريخَ السنة الخامسة كانَ من عهد «رعمسيس الحادي عشر» فإن معنى ذلك أن التقسيم كان قد حدث منذ السنين الأولى من عهد هذا الفرعون، وهذا ما يتعارض مع الحقائق المؤكدة. ولكن لحل هذه المعضلة يمكننا أن نستعمل ما جاء من حقائق في أوراق البردي التي أبقتها لنا الأيام محفوظة في مقابر «طيبة»، فنحن نعلم إلى أي حد كانت السلطة الرئيسية قد تضعضعت في «طيبة». فقد قامت اضطرابات هناك مكثت تسعة أشهر وكانت قد حدثت في عهد «أمنحتب» الكاهن الأكبر «لآمون»، وقد رأينا تدخل الأجانب في هذه الفترة، وهذا العهد قد امتاز بما حدث فيه من تخريب للمعابد وإشعال الحرائق والقبض على موظفين من رجال الدين، وقد تعدَّى ذلك إلى تخريب حصون مدينة «هابو».

وبالاختصار فإن هذا العهد كان يعدُّ حربًا معلنة بين المعابد التابعة لضياع الإله «آمون» في «طيبة» وبين طوائف الأجانب، وقد أدلى «شرني» (راجع «رعمسيس الحادي عشر») ببراهين قوية تؤكد أن عصر النهضة لا يمكن أن يكون إلا في عهد آخر ملوك الرعامسة في الأسرة العشرين، وأن السنة التاسعة عشرة من حكم «رعمسيس الحادي عشر» تقابل السنة الأولى من عهد النهضة الجديدة، ومع ذلك فإن عصر النهضة هذا لا يمثل إلا السنين الأخيرة من حكم «رعمسيس الحادي عشر». ولكن من جهة أخرى نعرف أن هجمات الأجانب كانت قد حدثت فعلًا في عهد «رعمسيس التاسع» و«رعمسيس العاشر»، كما شرحنا ذلك في مكانه. وقد ذكرنا أن يوميات الجبانة تتحدث عن إضراب العمال بسبب الأجانب، وكذلك أخبر الوزير بغارة قام بها رجال من قبيلة «المشوش» اللوبية، وأن إحدى الهجمات قامت من «قلعة الجبلين» الواقعة جنوبي «طيبة»، وكان مناهضهم هو ابن الملك صاحب «كوش» القائد الأعلى «بانحسي»، الذي قاد القتال حتى الجزء الشمالي من مصر مخربًا بلدة «حاراداي» عاصمة المقاطعة السابعة عشرة من

مقاطعات مصر الوسطى، وكانت ضمن دائرة نفوذ وزير الوجه البحري، وقد حاربت الفرق النوبية والطيبية التي تحت قيادة «بانحسي» ضد قوات الأسرات اللوبية المتزايدة، التي كانت معسكرة في «هراكليوبوليس»، مما هدد قطع العلاقات بين صعيد مصر وريفها. وفي نفس الوقت حدث إضراب بسبب القحط بين عمال جبانة «طيبة» في عهد «رعمسيس العاشر»، وفي عهد «رعمسيس الحادي عشر»، وقع نهب المقابر وعصيان الجنود المرتزقة الذين هاجموا المعابد، مما زاد في ارتباك الحالة التي لم يكن في مقدور «أمنحتب» الكاهن الأكبر «لآمون» أن يسيطر عليها. وقد مكثت الاضطرابات تسعة أشهر في خلال السنة الأولى من عهد النهضة، وكان «أمنحتب» لا يزال يجلس على كرسي الكاهن الأكبر «لآمون» (أقرن ذلك بما لخصناه من رأي «مونتيه» في هذا الصدد «رعمسيس الحادي عشر») … إلخ.

ولكن عاد النظام إلى نصابه عندما تولى «حريحور» مقاليد الأمور بدلًا من «أمنحتب» إذ نجد بعد السنة السابعة عشرة من حكم الفرعون «رعمسيس الحادي عشر» أن «حريحور»، أخذ يتابع تنفيذ الأعمال التي قام بها «بانحسي» فتقلد أعمال ابن الملك صاحب «كوش»، وتقلد وظيفة القائد الأعلى في «طيبة»، كما تقلد الوزارة وغير هيئة كبار الموظفين الإداريين العليا.

ولكن كان لا بد من الاعتراف بأن «سمندس» — الذي كان يقبض على زمام الأمور في «تانيس» — مساوٍ «لحريحور» في السلطان، وكان الأخير قد أعطى مقاليد الوزارة في السنة الرابعة والخامسة من عهد النهضة إلى «نماعت رع نخت»، وأبقى لنفسه السلطان على بلاد النوبة، والقيادة العليا للجيش، وبعد ذلك بقليل عندما تولى عرش الملك خلع على ابنه «بيعنخي» وظائفه الحربية.

ويلاحظ أن «حريحور» كان على جانب كبير من الدهاء وبعد النظر، فإنه بتوليه رياسة كهانة «آمون» قد حافظ على سلطانه وقوته في «طيبة» أمام كهنة «منف» و«تانيس» إلى درجة أن

الحكومة الدينية «لآمون» التي أسسها «حريحور» قد بقيت تلعب دورها. وقد أصبح «آمون» بهذا الانقلاب السياسي الذي دبره «حريحور» رئيس الآلهة وسيد عرش الأرضين في الكرنك، كما أصبح إلهًا له امتيازات بعيدة عن تقلبات الإمبراطورية ومدينة «طيبة»، وبذلك فإنه لن يفقد كلية أبدًا وظيفته بسبب حروب تقوم بينه وبين الآلهة المحليين القدامى. هذا موجز للمقال الممتع الذي كتبه الأستاذ «كيس».[٤]

وسنحاول الآن أن نذكر ما جاء عنه في النقوش، التي تركها لنا على جدران معبد «خنسو» بوجه خاص، وعلى غيره من آثاره حتى نرى إلى أي حد يتفق ما جاء فيها مع نظرية الأستاذ «كيس»، فكما ذكرنا منذ السنوات الأولى من حكم «رعمسيس الحادي عشر» (١١٣٠–١١٠٠ق.م) كان «حريحور» بوصفه الكاهن الأكبر والوزير يقبض على كل السلطة الروحية ويدير كل السلطة الإدارية في البلاد.

(١) تمثال «حريحور»

ويلاحظ أن «حريحور» لم يحمل لقب وزير في أي نقش من النقوش العدة، التي تركها لنا على جدران معبد «خنسو»، حيث نجد اسمه كما سنرى مختلطًا باسم «رعمسيس الحادي عشر»، ولكن نجد هذا اللقب ضمن الألقاب التي يحملها هذا الرجل العظيم في المحضر، الذي دون في السنة السادسة من عهد «رعمسيس السادس» على تابوت الملك «سيتي الأول» الذي كان قد أصلحه.[٥]

وقد ذكر لقب الوزارة كذلك على تمثاله الذي عثر عليه في خبيئة الكرنك،[٦] وقد مثِّل «حريحور» على غرار الكثير من أسلافه من الكهنة الأول للإله «آمون» قاعدًا القرفصاء. ونخص بالذكر منهم «رعمسيس نخت» و«أمنحتب» أي: في هيئة كاتب يدون على بردية منشورة على حجره. ويلاحظ أن البردية وقاعدة التمثال قد غُطيتا بالنقوش، وقد جاء عليها:

على إضمامة البردي: (١) أُعطيت بمثابة شهادة حظوة سيد الآلهة «آمون»، الذي كان أصل الأرضين (٢) ليته يجعل حياتي تمتد في معبده؛ لأني مفيد لروحه، وأن يبقى (٤) تمثالي أمامه. وأن يحييه عندما كان يخرج في الاحتفال (٥) لأجل روح الأمير الكاهن الأول «لآمون» ملك الآلهة، عمدة المدينة والوزير (٧) ابن الملك صاحب «كوش»، وقائد جنود الجنوب والشمال، ومهدِّئ الأرضين لسيده «آمون» (حريحور). ونقش حول قاعدة التمثال في سطر طويل: «الأمير الذي على رأس الأرضين، والسمير والشريف العظيم في كل الأرض، والوزير البصير بالعدالة، والمصغي بوصفه قاضيًا للأمور (القضائية) الخاصة بأهل الجنوب، ورئيس أهل الجنوب، والذي يعمل الأشياء المفيدة في معبد «آمون»، وهو الذي تعمل له كل الأرض قاطبة، الكاهن الأول «لآمون» ملك الآلهة «حريحور»» يقول: «إن أي فرد سيقصي هذا التمثال عن مكانه (حتى) بعد عدة سنين، فإنه سيقع تحت سطوة «آمون» و«موت» و«خنسو» واسمه لن يوجد بعد في أرض مصر، وسيموت جوعًا وعطشًا.»



شكل ١: تمثال الكاهن الأكبر «حريحور».

ومن نقوش هذا التمثال نعلم إذن أن كلًّا من لقب الوزير والعمدة كان من ألقاب هذا الكاهن الأكبر وملك المستقبل «حريحور». ومن المحتمل أنه بهذه الكيفية كان يقوم بالحكم الإداري في البلاد، أو على الأقل اسميًّا في كل من مصر العليا ومصر السفلى؛ لأننا سنرى أنه قد لقب على جدران قاعة العمد في معبد «خنسو» مدير الجنوب والشمال،[٧] وكذلك نجد في متون هذا التمثال إثباتًا لما جاء في المتن الطويل المهشم السطور على شرقي الباب الذي يربط الردهة بقاعة العمد لنفس المعبد، وهو أن «حريحور» كان يلقب ابن الملك صاحب «كوش»، ورئيس البلاد الجنوبية. ولا نزاع في أن لهذه الوظيفة الأخيرة ينسب لقب قاضي دعاوى أهل الجنوب الذي كان يسيطر عليه، ومنذ عهد طويل نعرف أن الإله الطيبي الكبير «آمون» قد استولى على بلاد النوبة وهي المعروفة ببلاد «ذهب آمون». وهذه البلاد كانت حتى هذه اللحظة يحكمها نائب للفرعون ضمن هيئة الموظفين الإداريين، وكانت بعيدة عن كهنة «آمون» بالكرنك تمامًا. ولكن نشاهد أنه عندما تقلد «حريحور» لقب ابن الملك صاحب «كوش» بالإضافة إلى ألقابه: الكاهن الأول «لآمون»، والقائد الأعلى للجيش، والوزير، والحاكم الإداري للأرضين قد أمد سلطانه على بلاد أعالي النيل، وبذلك تقدم خطوة ثابتة نحو السلطة العليا.

ومما يلاحظ في نقوش هذا التمثال كذلك أن «رعمسيس الحادي عشر» لم يذكر قط، وأن «حريحور» قد تجنب عن قصد كل إشارة للفرعون؛ وهذه هي الميزة التي نراها في نقوش ها التمثال، إذ لم ينل كالعادة حظوة من الفرعون، بل نال حظوة من الإله «آمون». وإذا كان «حريحور» من جهة أخرى قد هدَّأ الأرضين (طبعًا من الثورة التي كانت تنخر في عظامها) فإن ذلك كان للإله «آمون» لا للفرعون. من ذلك يمكن الإنسان أن يحكم بأن هذا التمثال قد عمل له بعد السنة السابعة عشرة من حكم الفرعون «رعمسيس الحادي عشر»، وكان وقتئذ «بانحسي» يحمل هذا اللقب، وأن الفرعون لم يكن يقوم بأي دور في حكومة البلاد، إذ كان قد تجاهله «حريحور»، وأخضع كلية لإدارته سيد القصر الجسور.

(٢) النقوش التي على جدران معبد «خنسو» بالكرنك: (راجع Lefebvre. Hist. des Grands Pretres d'Amon, p. 273)

وعلى جدران قاعة العمد بمعبد «خنسو» بالكرنك نجد ألقاب «حريحور»، ووظائفه معروضة أمامنا بصورة بارزة مرات عدة: «مدير الوجه القبلي والوجه البحري، ومدير الأعمال الخاصة بآثار جلالته، وقائد جنود صعيد مصر وريفها، ورئيس طوائف الأجانب.»[٨]

وكذلك الرتب: «الأمير الذي على رأس الأرضين، والسمير، والشريف العظيم في كل الأرض.»

ولم يكن معبد «خنسو» قد تم بناؤه بعد منذ موت الفرعون «رعمسيس الثالث». ولم يكن قد أُنجز منه إلا المحراب والحجرات المجاورة له، أما قاعة العمد التي تحمل ذكريات عظيمة باسم «حريحور»، فإنها تعد عملًا مشتركًا قام به كل من «حريحور» والفرعون «رعمسيس الحادي عشر».[٩]

على أننا نكون قد عبرنا تعبيرًا دقيقًا إذا قلنا: إن الفرعون قد ترك مباني هذه القاعة، أو على الأقل تزيينها «لحريحور»، الذي نجد اسمه في كل مكان على عقود جدرانها الأربعة وعلى الجدران نفسها، وعلى العمد وعلى الأسس. وقد كان اسمه فيها كذلك بارزًا بدرجة عظيمة مضارعًا اسم الفرعون إن لم يكن يفوقه.

والمناظر التي تزين الجدران تمثل كالعادة صور عبادة وتقديم قربان، غير أن القائم بتقديمها لم يكن الفرعون في كل الأحوال، إذ نجد أن «حريحور» — في ست حالات — كان يحل محل الفرعون، وأهم هذه المناظر تلك التي مثلت على الجدار الشمالي، فعلى يمين الباب المؤدي إلى المحراب نشاهد القارب العظيم للإله «آمون» في الأمام ويتبعه قاربان صغيران، ويلاحظ أن الكاهن العظيم «حريحور» هو الذي يطلق عليها البخور، كما يدل على ذلك المتن المنقوش فوق المنظر،[١٠] وعلى يسار هذا الباب تقف القوارب الثلاثة وتوضع فوق قواعدها الخاصة بها، وهنا نجد أن «حريحور» كان كذلك يقوم بأداء الشعائر اللازمة: تقديم البخور والقربان «لآمون رع»

رب تيجان الأرضين، ورئيس الكرنك، ورب السماء، وملك كل الآلهة لأجل أن يمنح حياة طويلة تنقضي في رؤية صلية، وشيخوخة سعيدة في مدينة «طيبة» بوساطة الأمير الذي على رأس القطرين، والسمير، والشريف العظيم وكل الأرض قاطبة، والكاهن الأول «لآمون» ملك الآلهة، وقائد جنود الجنوب والشمال، ورئيس طوائف الأجانب «حريحور». وعلى الرغم من كل ذلك فإن الشكر الرسمي كان يوجهه الإله للفرعون «رعمسيس الحادي عشر»: «يا بني الذي من جسدي، يا محبوبي «من ماعت رع ستبن بتاح»، إن قلبي لفي سرور مبتهج بسبب أثرك.»[١١]

والعمد الثمانية التي في قاعة العمد قد زُيِّن كل منها بمنظر فريد بنفس التركيب الذي مثلت به المناظر التي على الجدران. وهنا نلاحظ كذلك أن «حريحور»، قد أخذ لنفسه الوظائف الدينية التي كانت في العادة قاصرة على الفرعون؛ ولذلك فليس من الصواب أن نقول هنا: إننا نرى على هذه المناظر كما جاء في بعض الكتب أن «رعمسيس» يضحي أمام ثالوث «طيبة»، بل الواقع أن أربعة من ثمانية المناظر — وهي التي على العمودين الأول والثالث من الصف الجنوبي، وعلى العمودين الثالث والرابع من الصف الشمالي — يرى عليها الكاهن الأعظم «حريحور»، لا الملك يقدم لإله أو أكثر من ثالوث «طيبة» قربانًا من البخور والأزهار. وفضلًا عن ذلك نجد في أسفل اللوحة المنقوشة على أربعة العمد، التي تحمل سقف الممرِّ الأوسط نقشًا قد دوَّنه «حريحور» كأنه إمضاء بأعماله وهو: عمل تحت إدارة من تسلم تعليمات جلالته الأمير والمحبوب العظيم للإله الطيب حامل المروحة على يمين الملك، والكاهن الأول «لآمون رع» ملك الآلهة ورئيس طوائف الأجانب «حريحور»، أو نجدها في صورة أخرى هكذا: عمل تحت إدارة من تسلم تعليمات جلالته، الأمير الذي على رأس الأرضين، والكاهن الأكبر «لآمون رع» ملك الآلهة، والقائد الأعلى للجيش، ورئيس الطوائف الأجنبية «حريحور» لأجل سيده «خنسو — في طيبة — نفرحتب»، وهكذا نفهم من اللوحات التي على الجدران والتي على العمد أن «حريحور» يلعب دورًا يعادل في أهميته الدور الذي كان يقوم به الملك، ومن ثم نرى أن «حريحور» كان يشارك

الفرعون في كل فخاره، على الرغم من أنه كان أحد رعاياه، ولكنه عرف كيف يمكنه أن يصبح صاحب سلطان يضارع سلطان سيده.

والآن ننتقل إلى فحص النقوش التي على أساس قاعة العمد، وهذه أكثر إيضاحًا عن موقف «حريحور» بالنسبة للفرعون، إذ إنها تظهر لنا استقلاله عن العرش وقد كان آخذًا في الزيادة، وهذه النقوش عبارة عن تقديمات، وتبتدئ إحداها هكذا: الكاهن الأول «لآمون» ملك الآلهة، والقائد الأعلى لجنود الجنوب والشمال، ورئيس طوائف الأجانب «حريحور». لقد عمل هذا بمثابة أثره لأجل «خنسو — في طيبة — نفرحتب» مقيمًا له من جديد معبدًا يشبه أفق السماء، وموسعًا معبده ليكون عملًا أبديًّا، ومعظمًا أثره أكبر مما كان عليه من قبل. وقد زاد في القربات اليومية، وضاعف ما كان موجودًا من قبل في حين أن تاسوع آلهة «طيبة» كانوا في فرح كما كان البيت العظيم في عيد … وأخيرًا[١٢] ذكر في الإهداء «لرعمسيس الحادي عشر»، وهذه بقية من الاحترام، ويقصد بها نسبة بناء قاعة العمد له على غرار نسبتها إلى «حريحور». ومع ذلك فإنا نجد إهداءين آخرين يحيطان بالأساس منسوبين «لحريحور» وحسب، بوصفه دائمًا الكاهن الأكبر «لآمون» ملك الآلهة،[١٣] غير أنه أصبح مستقلًّا لدرجة أنه أهمل ذكر اسم الملك، وكتب اسمه فقط، وهاك أحد النقشين: «الكاهن الأول «لآمون» ملك الآلهة، قائد جيوش الجنوب والشمال، ورئيس طوائف الأجانب «حريحور»: لقد عمل هذا بمثابة أثره «لخنسو — في طيبة — نفرحتب» مقيمًا له من جديد معبدًا بمثابة عمل ممتاز وللأبدية، وهو عمل قلب محب.» وبهذه الكلمات ينتهي الإهداء دون أن يذكر اسم «رعمسيس الحادي عشر».[١٤]

وعندما يمر الإنسان من قاعة العمد في ردهة المعبد نشاهد أن موقف «حريحور» الرسمي قد تغير، إذ نجد أن النقوش لا تذكر «رعمسيس الحادي عشر» وحسب، بل يتضح لنا جليًّا أن «حريحور» قد اتخذ مكانه على عرش الملك؛ وذلك لأنه هنا قد منح نفسه وصفًا ملكيًّا رسميًّا، وجعل لنفسه لقبًا واسمًا كل منهما في طغراء يسبقهما اللقب: «ملك الوجه القبلي والوجه البحري»

(أو كذلك لقب «الإله الطيب») وقد فصل بينهما على حسب التقاليد التي مر عليها آلاف السنين النعت «ابن رع». ولكنه لأجل ألا يغضب القائمين بالنظام الديني الذي كان سائدًا وقتئذ، وليظهر أنه كان يناصره، استعار اسمه الأول من لقب الكهانة الذي كان يحمله وهو «الكاهن الأول لآمون». وهذا ذكرنا بالملك «آي» عندما اتخذ لنفسه لقب «والد الإله» ووضعه في طغراء، وكذلك يذكرنا بأباطرة الرومان في مصر عندما كانوا يتخذون اسمًا أولًا لهم لقبهم «أوتوكراتور» (راجع مصر القديمة ج٥). أما طغراء «حريحور» الثاني فكان يشمل اسمه وحسب، مضافًا إليه عبارة «ابن آمون» وذلك اعترافًا بفضل والده «آمون».[١٥]

وهذا الانتقال يحدثنا عنه نقش دوِّن على الجدار الشمالي للردهة في الجهة الشرقية من الباب الذي يؤدي إلى قاعة العمد. وهذا المتن مهشم بكل أسف لدرجة كبيرة.

ويدل ما تبقى منه على أنه يخلد ذكرى وحي أَوْحَى به الإله «خنسو» وصدَّق عليه الإله «آمون»، وفيه يذكر أنه قد منح أو وعد بمنح الكاهن الأكبر «حريحور» الملك في حين أن «رعمسيس الحادي عشر» كان لا يزال على عرش الملك. وهكذا نجد أن التدخل الإلهي قد حبا مرة أخرى مطامع مدَّعٍ للتاج، غير أن المدعي في هذه الحالة كان هو نفس رئيس الكهنة لمعبد الكرنك.

وفي هذا المتن نجد ألقابًا جديدة نُسبت إلى «حريحور» منها مدير مخازن الغلال، وهذا اللقب قد أعطاه حق التصرف في أعظم ثروة مادية في مصر، وكذلك لقب «ابن الملك صاحب كوش» وهذه الوظيفة قد أمدت سلطان هذا الكاهن الأكبر الطموح على بلاد أعالي النيل حتى حدود بلاد «كوش». وهذا النقش يرجع تاريخه إلى السنين الأخيرة من حكم «رعمسيس الحادي عشر»؛ وهو على أية حال قبل السنة السابعة عشرة من سني حكمه؛ وذلك لأننا نعرف كما ذكرنا من قبل أنه في هذه السنة كان «بانحسي» نائبًا على بلاد النوبة، وهو الذي وجه إليه الفرعون الخطاب الذي سبق ذكره، وهو المحفوظ الآن في بردية «بمتحف تورين». والواقع أن نقش «حريحور»، الذي نحن

بصدده الآن لم يبقَ منه فعلًا إلا نهاية تسعة وعشرين سطرًا، ومنها يمكننا أن نفهم بصعوبة المقصود من المتن وهي مؤرخة بالسنين الأخيرة من عهد «رعمسيس الحادي عشر». وتحدثنا أن الكاهن الأكبر «حريحور» (السطر ٢، ويلاحظ أن الاسم نفسه لم يحفظ في هذا النقش إلا في السطرين ١٢ و١٧) قد قام بعمل تقرير مرتين للإله «خنسو»، ولكن لم يبقَ من كلامه في كل من هذين التقريرين إلا النهاية … إلى «نو» بلدك، أما ما عمله الإله لإجابة خطاب الكاهن الأعظم فقد عبر عنه بالكلمات: «وعلى ذلك تقهقر الإله.» كما جاء في السطر الرابع، وكذلك بنفس العبارة في السطر الخامس. وفي الجزء التالي لذلك يدور الكلام عن مدة عشرين عامًا منحها الإله «آمون» للكاهن الأكبر: ويعلن الإله «خنسو» هذه المنحة «لحريحور»، وكذلك يعطيه الإذن بأن ينقش هذا الحادث على لوحة ويجعله يقيمها في المعبد. وفي هذا الجزء الأخير من النقش يجيب الإله «خنسو» أربع مرات بالاستحسان على كلام «حريحور» (ونلاحظ ذلك في السطرين ٢٠ و١٨، وفي السطرين ١٥و ٢٦ نجد المتن مهشمًا) وقد ترجم «برستد» هذا النقش غير أنه لم يرَ فرقًا بين العبارة الدالة على الرفض والعبارة الدالة على الاستحسان؛ ولذلك أخطأ فهم النقش من هذه الناحية (راجع Br. A. R. IV, § 615-616) فترجم عبارة تراجع برأسه أو رفض بالعبارة التالية، وعندئذ هز الإله رأسه (استحسانًا). وقد تناول المؤرخ «إدورد مير» هذا المتن مرة أخرى وخطأ ترجمة «برستد»، وترجم التعبير الدال على الرفض بما يأتي: «ورجع الإله خلف نفسه.» والترجمة الحرفية لهذه العبارة صحيحة غير أنه لم يرَ المعنى الحقيقي للتعبير، أي لم يرَ أنه عكس معنى العبارة الدالة على الموافقة، وهو: «وهز الإله رأسه بشدة.»

وأخيرًا تناول هذين التعبيرين الدالين على الرفض والقبول عند إشارة الوحي الأستاذ «شرني» وبرهن بوساطة متون أخرى على أن التعبير الدال على الرضا يدل عليه بالانحناء إلى الأمام، والتعبير الدال على الرفض عبر عنه بالرجوع إلى الوراء أي التقهقر، وهذا ما يعبر به عن هذين المعنيين في أيامنا حتى الآن (Bull. Inst. Fr. xxx p. 492).

وهاك نص النقش:

(١) ... «رعمسيس الحادي عشر» محبوب «آمون رع» ملك الآلهة، معطي الحياة أبديًّا.

«حريحور» أمام الإله «خنسو»: (٢) ... الكاهن الأكبر «لآمون» ابن الملك صاحب «كوش» والمشرف على مخازن الغلال (٣) ... وبعد ذلك كرر له الكاهن الأكبر «لآمون» ملك الآلهة (٤) ... «طيبة مدينتك»، وعلى ذلك تقهقر الإله (رفض) (٥) ... «لطيبة مدينتك» وعلى ذلك رفض الإله (٦) ... (٧) ... (٨) شرفًا لي وحياة وسعادة وصحة وأشياء جميلة كثيرة في «طيبة مدينتك» (٩) ... التي تعطيها، وستعطيها إياي، وبعد ذلك هز الإله رأسه في مدة سنة، وهي المدة التي أعطيتها إياي والذين في (١١) ... في مدة السنة التي أعطيتها إياي والتي صرفتها لتعطيها إياي خلافًا لـ ... (١٢) ... «حريحور» المنتصر.

تأكيد «آمون»: وقد خرجت المدينة بمثابة رسل له؛ لينجزوا ما قاله «خنسو» (١٣) ... (آمون رع) ملك الآلهة موليًا وجهه نحو الشمال إلى الكرنك. وبعد ذلك وصل عند الـ ... (١٤) ... «آمون رع» الآلهة، الوالد ... (١٥) ... وعند ذلك هز الإله رأسه بعنف (بالقبول) قائلًا: إن مدة عشرين عامًا هي التي سيمنحك إياها «آمون رع» ملك الآلهة (١٦) ... بسبب الأعمال الطيبة التي عملتها للإلهة «موت» والإله «خنسو» وأولادها السابقين (١٧) ...

تسجيل المعجزة: وبعد ذلك كررها له الكاهن الأكبر «لآمون» ملك الآلهة «حريحور» قائلًا: يا سيدي الطيب (١٨) ... هل ستسجل هذه المعجزات على الحجر؟ فهز الإله رأسه بعنف (بالقبول) ثم كرر له الكاهن الأكبر «لآمون» ملك الآلهة «حريحور» قائلًا: ... («خنسو» كاهن «آمون رع» ملك الآلهة «حريحور» قائلًا) ... «خنسو» — في طيبة — الراحة الجميلة قولك. هب أن يقيموا لوحة ... (٢٠) ... «خنسو» — في طيبة — الراحة الجميلة التي عملها، فهز الإله راسه بعنف (بالقبول).

شكر «حريحور»: (٢١) ... الأبوية ستأتي إليك وملايين السنين ستكون في ... (٢٢) ... وستأتي أجيال يتكلمون عن هذه المعجزات الخاصة بـ ... (٢٣) ... أجيال أطفال سيعملون ... (٢٤) الكلمات التي أتت ستكون (٢٥) ... التي قلتها لي والتي منحتني مدة عشرين سنة (٢٦) ... فهز الإله رأسه بعنف (بالقبول) ... (٢٧) ... وعلى ذلك أعطى «حريحور» (أمره بإقامة هذه اللوحة) ... (٢٨) ... في وضعها صورة ...

وأهم ما يلفت النظر في هذا المتن غير ما ذكرنا أن الإله وعد «حريحور» بحكم عشرين سنة، وهذا يذكرنا بما تمناه «رعمسيس الثالث» لابنه وهو مدة حكم طولها مائتا سنة.

---

[١] راجع: Maspero, Histoire II. p. 563.

[٢] راجع: Maspero, Momies Royales p. 650.

[٣] راجع: Gauthier. L. R. III p. 236.

[٤] راجع: Herman Kees. Herihor Und die Aufrichtung des Thebanischen Gottestaates. Nachrichten Von der Gesellschaft der Wissenschaften zu Gottingen Ph. Hist. Kl. Fachgruppe 1, Altertum-Wissenschaft Neu Folge Band II Nr I Gottingen (1936) 80 20 ff.

[٥] راجع: Br. A. R. IV § 591; Daressy. Cat. Gen. Nr. 61019.

[٦] راجع: Legrain, Cat. Gen. Nr. 42190.

نهاية الأسرة العشرين

وهكذا نرى أن «حريحور» على الرغم من أنه قام بهذا الانقلاب السياسي العظيم في البلاد خطوة فخطوة، فإن أساس فلاحه يرجع إلى أنه كان قائدًا حربيًّا مهدت له الأحوال الداخلية في البلاد الاستيلاء على زمام الأمور جملة، وتولِّي العرش في النهاية. وتدل سياسته على أنه كان رجلًا محنكًا ذا خبرة عظيمة، يحسب لكل موقف حسابه، ولا أدل على ذلك من أنه كان يعلم تمام العلم أن طائفة الكهنة في طول البلاد وعرضها كانوا أصحاب الشوكة والسلطان، وأن الأحوال كانت مُهَيَّأَةً لهم للقبض على زمام الأمور في البلاد جملة؛ وبخاصة لأنه كان يعلم أن «أمنحتب» كاد يسيطر على الفرعون، وينتزع منه كل سلطاته الشرعية، وقد وصلت به الجرأة إلى أن رسم صورته على جدران المعابد بحجم مساوٍ حجم الفرعون؛ ومن أجل ذلك سعى لأن يخلفه في وظيفة «الكاهن الأكبر لآمون»؛ ليرضي أتباع هذا الإله، وبذلك ضرب ضربته على الرغم منهم بوصفه ممثلهم، فكان مثله في ذلك كمثل الملك «آي»، الذي جمع بين الجندية والكهانة، وإن كان الانقلاب الذي قام به في الواقع انقلابًا حربيًّا محضًا (راجع مصر القديمة ج٥).

وقد أراد «حريحور» أن يوطِّد سلطانه في أسرته فيما بعد، فعين ابنه قائدًا للجيش، وكاهنًا أكبر «لآمون» مدة حياته؛ ليضمن له تولي العرش من بعده، غير أن الطابع العسكري كان ظاهرًا في كل تصرفات «حريحور»، يدل على ذلك أن ابنه «بيعنخي» قد لقب «قائدًا للجيش» قبل أن يلقب «كاهنًا أكبر»، بل كان يخاطب الوحي بوصفه قائدًا للجيش لا بوصفه الكاهن الأكبر «لآمون»، كما ذكرنا ذلك آنفًا.

ولا نزاع في أن «عصر النهضة» إذن كان البادئ له هو «حريحور»، وأنه لم يكن في مقدوره أن يحرز النصر النهائي الذي ناله بتولي الملك إلا بالجمع بين السلطتين الدينية والإدارية. ولما تم له كل ما أراد أصبح الفرعون في حالة من الضعف تشبه حالة خليفة المسلمين إبان سقوط الدولة

العباسية في «بغداد»، والمطلع على تاريخ آخر خلفاء العباسيين يجد بينه وبين تاريخ مصر في أواخر عهد «رعمسيس الحادي عشر» أوجه شبه كثيرة — وبخاصة من الوجهة الحربية والدينية — فنرى أنه في كلٍّ قد فاز رجال الجندية على رجل الدين، مع المحافظة على هيبة رجال الدين ظاهرًا، وسلبهم سلطتهم فعلًا.

غير أن الانقلاب الذي حدث قد أدى إلى تقسيم البلاد مملكتين — كما كانت قبل توحيدها مباشرة على يد «مينا» حوالي سنة ٣٤٠٠ق.م — المملكة الجنوبية وعاصمتها «طيبة»، وكانت صبغتها — ظاهرًا — دينية، والثانية في «الدلتا» وعاصمتها «تانيس».

وهكذا خُتِمَ تاريخ الدولة الحديثة التي وضع أساسها «أحمس الأول»، وانتقض بنيانها بموت «رعمسيس الحادي عشر»، وعادت مصر إلى سيرتها الأولى من الانقسام.

(١) أثر رجال الدين في عهد الدولة الحديثة في نظم الحكم فيها

تحدثنا فيما سبق عن الخطوات التي أدت إلى سقوط الأسرة العشرين، وما كان لرجال الدين في ذلك من يد فعالة ونشاط جم، وكيف جمع «حريحور» في نهاية الأمر في يده السلطات الدينية والحربية والسياسية، مما أدى إلى سلبه عرش ملوك الرعامسة، والقضاء على حكمهم جملة. وتدل شواهد الأحوال على أن رجال الدين على الرغم من انقطاع نسل أسرة الكاهن «رعمسيس نخت» لم يذهب سلطانهم، أو يقل نفوذهم في البلاد، بل حافظوا على مجدهم وأملاكهم في طول البلاد وعرضها مما أدى بعد موت «حريحور» إلى تقسيم البلاد مملكتين: إحداهما في الشمال وعاصمتها في «تانيس»، والأخرى في الجنوب وعاصمتها «طيبة». وقد ميزت كل منهما بطابع خاص؛ فكانت مملكة الشمال ذات طابع سياسي، ومملكة الجنوب ذات طابع ديني، وقد كان كل منهما منفصلًا عن الآخر في إدارة شئونه على حسب مبادئه؛ فكانت مملكة الشمال سياسية محضة تحكم بمقتضى القوانين المشروعة في البلاد، وفي الجنوب كان الإله «آمون» هو الذي يحكم

الصعيد بما يوحيه من أحكام تصدر عند الحاجة على يد الكاهن الأكبر «للكرنك». وهكذا نرى أن رجال الدين قد لعبوا دورًا هامًّا في سياسة البلاد وحكومتها على حسب ما يوحي به «آمون» إله الدولة العظيم. وقبل أن نتحدث عن الكهنة العظام في «طيبة»، وعن ملوك الأسرة الواحدة والعشرين في «تانيس» يجب أن نلقي نظرة عامة على تدرُّج السلطة في يد كهنة «آمون» العظام، منذ نشأتها في عهد الدولة الحديثة حتى قيام دولتهم في «طيبة».

إنَّ تولي الكاهن الأكبر «حريحور» عرش الفراعنة، وانتصار السلطة الروحية ظاهرًا على السلطة الدنيوية لم يكن نتيجة لمجهودات منظمة، وسياسة مرسومة مقصودة، وضعت منذ قرون مضت، وهذا ظاهر من الحقائق التي استعرضناها فيما مضى.

فمنذ أزمان بعيدة مضت كان الكهنة العظام يقنعون بأن يكونوا خدَّامًا صالحين مخلصين لإلههم؛ وكانوا بعيدين كل البعد عن عَرَض الدنيا وشئونها لدرجة أن مصالح «آمون» الإدارية كانت حتى عهد «تحتمس الأول» يقوم بها رجال خارجون عن طائفة الكهنة، وقد كانت السياسة هي التي تسعى إليهم. فنجد أن الفراعنة قد حوَّلوهم مباشرة عن شئونهم الدينية ليرموا بهم في أحضان الحياة الدنيوية لحاجة في نفسهم، وبذلك كانوا يجعلونهم يأخذون بنصيب في حكومة البلاد. وقد لعب الاحترام الذي كانوا يتمتعون به، والنفوذ الذي كانوا يكتسبونه من وظيفتهم بوصفهم المترجمين بما يوحي به «آمون» من أحكام، دوره الهام في جعل أولاد الفرعون «تحتمس الأول» يعتمدون على هؤلاء الكهنة في توطيد ادعاءاتهم تاج مصر. ومن ثم نجد أن كهنة «طيبة» قد عاضدوا «تحتمس الثالث» على اعتلاء العرش، وقد كانت مساعدة الكهنة «لتحتمس الثالث» عظيمة بوجه خاص؛ لأنه كان قد تربَّى بينهم في طفولته في المعبد، تربية كان الغرض منها أن يصبح فيما بعد كاهنًا (راجع مصر القديمة ج٤). وقد رأينا بعد ذلك أن الملكة «حتشبسوت» قد وضعت على رأس هؤلاء الكهنة الذين أرادت أن يلتفوا حولها أحد المخلصين لها والموالين لعرشها، وهو الكاهن الأكبر «حبوسنب» (راجع مصر القديمة ج٤).

ولم يلبث أن امتد سلطان الوظائف الدينية التي كان يتمتع بها كهنة «آمون» العظام، وعظم شأنها بدرجة خطيرة، فكان يلقب الواحد منهم رئيس كل كهنة الوجهين القبلي والبحري، فأصبحوا بذلك بمثابة ملوك أحبار للديانة المصرية القديمة، وفي الوقت نفسه أصبحوا هم المشرفين على إدارة أملاك «آمون»، الذي أصبح على أثر الهبات التي أغدقها عليه «تحتمس الثالث»، ومَن بعده من الفراعنة بسخاء صاحب مكانة عظيمة جدًّا، وبذلك صار هؤلاء الكهنة العظام مديرين لضياع «آمون»، ومديرين لحقول «آمون»، ومديرين لبيتي فضة «آمون»، ولبيتي ذهب «آمون»، ومديرين لمخازن الغلال، ومديرين للقطعان، ومديرين لأعمال بيت «آمون».

وفضلًا عن ذلك اشتركوا رسميًّا في إدارة البلاد. فقد تولى كل من «حبوسنب» و«بتاحمس» كاهنًا أكبر، وفي الوقت نفسه وزيرًا للدولة، وكان الكاهن «مري» حاكم الجنوب، والكاهن «منخبر رع سنب» وزيرًا للمالية، وكل هؤلاء تقريبًا كانوا مشتغلين في الأعمال العامة، ويديرون المباني التي أمر الفرعون بإقامتها، ولن أتكلم هنا عن المكافآت والنياشين والرتب التي منحها إياهم الفرعون، وقد كانت هذه من أعلى ما يمكن أن يعطي الفرعون خدامه الذين كانوا يعدُّون بالآلاف. والواقع أن الكهنة العظام للإله «آمون» كانوا وقتئذ ملتفين حول الفرعون بكل إخلاص، وبدون أي غرض مقصود. فقد شاهدنا أن كلًّا من «حبوسنب» و«منخبر رع سنب» قد أخلص لمليكه. وقد عاش الأول في عهد «حتشبسوت»، والثاني في عهد «تحتمس الثالث» (راجع مصر القديمة ج٤) وأن كلًّا منهما كان الصديق المتفاني في إخلاصه لمليكه، والسند المتين الذي يرتكز عليه العرش. ولا نزاع في أنه لم يفكر واحد من الكهنة العظام في عهد الأسرة الثامنة عشرة قط في أن يتساوى مع الفرعون، أو خطر بباله أن يغتصب منه التاج.

ومع ذلك فإن القوة التي كان يكتسبها باضطراد الكهنة الطيبيون، وثروتهم التي كانت تزداد بدرجة فوق المعتاد، وكذلك نفوذهم الروحي الذي كان يعظم باستمرار، كل هذه الأمور كان من أثرها أن جعل خلفاء التحامسة العظام، وبخاصة «أمنحتب الثالث»، ومن بعده «أمنحتب الرابع» المعروف

باسم «إخناتون»، يشنون حروبًا على هؤلاء الكهنة غاية في الشدة والعنف، انتهت بالانقلاب الذي قام به «إخناتون»، وقد سار في تنفيذ مأربه ببعد نظر وروية، فلم يأخذ كهنة «آمون» غدرًا، بل سار في نشر مذهبه خطوة فخطوة كما شرحنا ذلك في مكانه (راجع مصر القديمة ج٥). وكذلك نلحظ أن أعظم الفراعنة قوة في عهد الأسرة التاسعة عشرة؛ على الرغم من أنهم قد عادوا لعبادة «آمون»، قد انتحوا سياسة بالنسبة للكهنة، تشعر بالاحترام وحسن القبول، ولكن في الوقت نفسه كانت سياسة حازمة محدودة. وليس من الصواب القول: إنه بعد تولي «حور محب» عرش الملك، قد استعاد كهنة «طيبة» — مع ثروتهم التي كانت أعيدت لهم فعلًا — النفوذ الذي كانوا يتمتعون به في الأزمان السالفة؛ إذ نجد مثلًا أن «رعمسيس الثاني» على العكس، قد عمل عملًا يلزم الكهنة العظام حدود واجباتهم الحكومية؛ فنجد أن الكاهن الأكبر «باكنخنسو» أشهر الكهنة العظام في هذا العهد، لم يتولَّ أي عمل إداري وحسب، بل كان سلطانه الروحي لا يمتد بعد إلى كل كهنة آلهة الوجه القبلي والوجه البحري، كما كانت عليه الحال في عهد الأسرة الثامنة عشرة؛ فكان نفوذه ينحصر في أنه رئيس الديانة في «طيبة»، ولم يكن له سلطان على «منف» أو «هليوبوليس». هذا ولم نقرأ قط أن كاهنًا أكبر تربع على كرسي الوزارة في عهد الأسرة التاسعة عشرة أو العشرين قبل عهد «حريحور». على أنه لو كانت مصر استمرت تحكم بفراعنة يقظين أقوياء، لكان من المحتمل جدًّا أن يعيش كهنة «آمون» الأول الذين لم يكن لهم وقتئذ نفوذ في ظل معبدهم، متمتعين بما كان لديهم من ثروة وفيرة وشرف رفيع، كما كان يعيش الكهنة أعظم الرائين «لرع» التابعون «لهليوبوليس»، أو كما كان يعيش الكهنة العظماء الخمسة التابعون لمعبد «تحوت» في الأشمونين، وهؤلاء كانوا خاملي الذكر ليس لهم أي تاريخ حافل بالأحداث العظيمة. ولكن عهود الإمبراطورية الفاخرة كانت قد انقضت. ثم نشاهد بعد عهد كل من «رعمسيس الثاني» وابنه «مرنبتاح»، وبعد فترة عهد «رعمسيس الثالث» أن مصر قد وقعت فريسة للفوضى، أو كانت تحكم بفراعنة لم يكن في يدهم من القوة إلا مظهرها وحسب.

والواقع أنه منذ أكثر من مائة وخمسين سنة من العصر الذي نتحدث عنه، كان الكهنة العظام قد أبعدوا عن الوظائف الاجتماعية، مما أدَّى إلى عدم اكتراثهم بتوطيد عرش الملك وسلامة الدولة، وأنهم في وقت تلك المحنة التي عمت البلاد لم يفكروا إلا في المحافظة على ثروتهم، والاستمرار في تنمية نفوذهم وسلطانهم، وقد عرف «رومع-روي» ذلك الكاهن الأول الجريء (راجع مصر القديمة ج٦) كيف يمكنه أن يستغل الثقة التي وضعها فيه الفرعون؛ ليمد من جديد سلطان الكهنة العظام «لآمون» على رجال الدين ومعابد الوجه القبلي والوجه البحري، وبعد ذلك استفاد من انعدام السلطة المدنية بعد موت الفرعون «مرنبتاح» حتى بلغت به الجرأة أن نقش اسمه ورسم صورته على غرار ما كان يفعله الفرعون على أحد جدران معبد الكرنك، على مقربة من مسكن الكهنة العظام، وهو المكان الذي كان على ما يظهر ينبغي على «حريحور» أن يخرج منه؛ ليتوَّج ملكًا على البلاد عندما حانت له الفرصة.

وحركة الانقلاب التي رسم خطتها «رومع-روي» هذا لم يكن لها ما يشجعها مباشرة؛ وذلك لأن النشاط البارز الذي أظهره «رعمسيس الثالث»، كان كافيًا لوقف إرادة كهنة «آمون» العظام المتأرجحة نحو الاستقلال، ولكن عندما اختفى من على عرش الفراعنة آخر ملوكها العظام لم تلبث البلاد أن عضها الفقر بنابه، وأناخ الذل عليها بِكَلْكَله، وأصبحت تحكم برماد من الفراعنة. عندئذٍ رأينا على كرسي كهانة «آمون» الأعظم أسرة بقي أفرادها يتوارثون هذه الوظيفة مدة تبلغ حوالي الأربعين حولًا. وهكذا نجد أنه قد تأسست أسرة من الكهنة يجلسون على عرش الكاهن الأكبر «لآمون»، تقابل تلك الأسرة التي كانت تجلس على عرش الفراعنة. وهكذا نجد للمرة الأولى أن وظيفة الكاهن الأكبر «لآمون» في مصر كان يتوارثها الابن عن الأب، فتولَّاها أولًا «رعمسيس نحت»، وتلاه ابنه «نسآمون»، ثم أعقبه أخوه «أمنحتب». وقد لاحظنا أن نفوذ هؤلاء الكهنة العظام كان بارزًا وله أثره في البلاد أكثر من السلطة الدنيوية التي كانت بدون قوة تعززها. والواقع أن أفراد هذه الأسرة كانوا هم القابضين على زمام الأمور في البلاد من كل ناحية؛ فكان

من بينهم الوزير ورئيس المشرفين على الضرائب وغير ذلك. وقد وصل نفوذ الكاهن الأكبر إلى درجة أمكنه بها أن يجعل مالية «آمون» مستقلة، وأن يرسم صورته على جدران معبد «الكرنك» بنفس الحجم الذي مثلت به صورة الفرعون نفسه، وهذه ظاهرة لم تعرف قط في تاريخ البلاد منذ فجر التاريخ، أي إن الكاهن الأكبر أصبح مساويًا للفرعون، وعلى ذلك نجد أن السلطة المدنية وقيادة الجيش كانت لا تزال في يد المدنيين، ولكن كما رأينا لأسباب خاصة أن «حريحور» الذي خلف «أمنحتب» قد أفلح في أن يجمع في يديه القوة الدنيوية والسيطرة الروحية. فكان رئيسًا لكهنة «آمون» الأثرياء، وقائدًا لكل الجنود، ورئيسًا للمالية، ونائب الفرعون في بلاد النوبة ووزيرًا، والمدير الإداري للأرضين وذلك في عهد فرعون نكرة.

وتدل شواهد الأحوال ظاهرًا على أنه قد صار إلى الأمام بالمشاريع الطموحة، التي كان قد وضع تصميمها «رومع روي» و«أمنحتب»، غير أن «حريحور» لم يكن من أسرة كهنة، ولم يتربَّ تربية دينية، بل تدل كل الظواهر على أنه كان جنديًّا، وأنه لم يتربع على كرسي كهانة «آمون» إلا لعلمه أنه لن يصل إلى غرضه إلا بمساعدة هذه الفئة التي كان في يدها ثروة البلاد، كما كانت تسيطر على عواطف الشعب الدينية، وقد كان غرضه إذن تفضيل خدمة نفسه على خدمة مليكه، عن النقيض من «حبوسنب» و«منخبر رع سنب»، اللذين لم يكن لهما هَمٌّ إلا مجد سيدهما وفخاره. وقد كان من الطبيعي أنه بعد أن بقي نحو عشرين سنة يشغل وظيفة عمدة القصر الملكي لفرعون خامل، قام في خلالها بالقضاء على كل الرذائل التي كانت شائعة في البلاد، وبإطفاء نار الثورة التي كانت مندلعة في «طيبة»، وبالقضاء على الأجانب الذين كانوا يجتاحون البلاد من كل حَدَبٍ وصَوْب، وأنه لما تم له كل ما أراد من إصلاح ظل هو الحاكم الفعلي في البلاد بجوار الفرعون «رعمسيس الحادي عشر»، حتى إنه لما اختفى من عالم الحياة اعتلى عرش الفراعنة، أو على الأقل تولى حكم الجزء الذي تركه له «سمندس»، الذي كان يحكم بوصفه فرعونًا في

«تانيس» التي اتخدها عاصمة لملكه، فكان في البلاد وقتئذ فرعونان: أحدهما في الجنوب في «طيبة» وهو «حريحور»، والآخر في الشمال في «تانيس» وهو «سمندس».

ولما أن تم «لحريحور» الاستيلاء على تاج البلاد فكر فيمن يجب أن يكلفه القيام بوظيفة الكاهن الأكبر «لآمون». وقد اتضح له جليًّا أنه لا يمكن لرجل واحد أن يقوم بوظيفة الكاهن الأكبر «لآمون»، وإدارة أملاكه في «الكرنك» بصفة منظمة. وفي الوقت نفسه يأخذ على عاتقه تدبير شئون الملك. ومن جهة أخرى كان يعلم «حريحور» حق العلم أكثر من أي شخص آخر أن رئيس الكهنة «لآمون» كان أكبر مناهض خطر «للفرعون»؛ ولأجل ذلك فإنه قد حل هذه المعضلة حلًّا موفقًا باختياره من أفراد أسرته، فانتخبه من بين أولاد الكاهن الأكبر «لآمون» أي: ابنه «بيعنخي»، وقد نهج نهجه أخلافه من بعده. ونحن نعلم أن «حريحور» عندما أصبح فرعونًا على البلاد انتخب ابنه «بيعنخي» كاهنًا أكبر «لآمون»، ولكنه زوده بأكثر من ذلك، إذ ولاه قيادة الجيش، غير أنه مات قبل أن يتولى عرش الملك في «طيبة». وقد خلف «بيعنخي» ابنه «بينوزم» الأول، وعندما نودي ليتولى عرش الكنانة كلف بكر أولاده «ماساهرتا» بالقيام بمهامه الدينية، وقد سلم الأخير لأخيه «منخبر رع» مهام الكهانة بدوره. ولما تولى «منخبر رع» عرش الملك نصَّب ابنه «سمندس» على كرس رياسة كهانة «آمون»، وقد خلفه على العرش «بينوزم الثاني»، وهو والد الملك «بسوسنس» كما سيجيء بعد. وقد اعتنق ملوك «بوبسطة» (الأسرة الثانية والعشرون) أولًا نفس السياسة كما سنرى بعد، فنجد أن «شيشنق» مؤسس الأسرة الثانية والعشرين قد خلع على ابنه «أوبوت» لقب الكاهن الأكبر «لآمون»، وبعد «أوبوت» تربع على كرسي كهانة «آمون» «شيشنق» و«أورات»، ثم «سمندس» ابن الفرعون «أوسركون الأول»، ثم تولاه «تامراتي» بن «أوسركون الثاني»، ثم اعتلاه بعد ذلك «بدو باست» (؟) بن «حورسا إزيس» (الذي كان نفسه كاهنًا أكبر) ثم جلس عليه «أوسركون» بن «تاكلوت الثاني».

وهكذا سارت الأحوال حتى بداية القرن الثامن قبل الميلاد، عندما خاف «أوسركون الثالث» بحق من الخطر، الذي يمكن أن يهدد هذه الأسرة التي كان أمراؤها من الكهنة، وبخاصة أن ملوكهم كانوا يعيشون بعيدًا عن «طيبة» فألغى وظيفة الملك الكاهن بوصفها تمثل الحياة السياسية في «طيبة»، ووضع على رأس أملاك «آمون» وكهنته «الزوجات الإلهية»، والمتعبدات الإلهية، وقد بدأت سلسلة أولئك السيدات بابنته «شابتأبت».

ونحن نجهل منذ البداية الدور الذي كانت تلعبه هؤلاء الكاهنات، وقد كان جزء منهن يسكن على الأقل في «معبد الأقصر»، الذي كان يسمى «الحريم الجنوبي لآمون». وقد قال عنهن مسبرو (maspero, guide 276): أنهن يؤلفن طائفة من الحظيات المقدسات كاللاتي يوجدن في «فينقيا» و«سوريا» وفي «كلديا». وهذا القول فيه شك، ولكن يحتمل أنهن كنَّ يؤلفن مجرَّد رفيقات، وبمثابة حرس شرف للكاهنة التي كان لها علاقة جسمية مع الإله، وهي التي كانت تحل على الأرض محل الإله «موت» زوج الإله «آمون»، أو كما كانت في الأصل الإلهة «حتحور» زوج الإله «رع»، الذي وحد «آمون» معه فيما بعد فسمي «آمون رع»؛ ولذلك كانت تدعى «الزوجة الإلهية لآمون» أو كذلك «اليد الإلهية» أو «المتعبدة المقدسة لآمون». وهذا الدور الهام الذي كانت تلعبه الزوجة الدنيوية للإله كانت تقوم به الملكة؛ وذلك لأنه إذا كان «آمون» المجسم في الفرعون الحاكم قد تفضل أحيانًا فاجتمع بامرأة من عالم الدنيا، فإن القصد الوحيد من ذلك كان لاستمرار جريان الدم الإلهي في عروق فراعنة مصر الذين كانوا ينسبون إليه، وكانت الزوجة الإلهية «لآمون» شرعًا الرئيسة العامة لكل الكاهنات الإناث في «الكرنك»، وهي التي كانت تقوم بالدور الهام بلا شك في أثناء الأحفال، فكانت تحرك الصاحبات، وتغني لتدخل السرور على الإله، وتحمل الأزهار (راجع A. Z. 35 (1897) p. 17 & A. S. V p. 85, 692).

وكان لها بيت يديره مدير خاص يدعى مدير بيت الزوجة الإلهية أو الكاهن العظيم للبيت. وكان لها مخازن ومصانع يدير شئونها موظف يُلقب مدير مصانع الزوجة الملكية.[١]

وكانت كذلك تتصرف في دخلها الذي يشمل مؤنًا وحبوبًا كان يشرف عليه موظف بلقب «مدير بيت الغلال المزدوج لبيت زوج الإله» (Berlin Insch. II p.299, No 8740)، وكذلك كان لها قطعان يدير حسابها كاتب، وحقول تزرعها طائفة من الفلاحين.[٢] وأخيرًا كان لها خزانة مالية خاصة.[٣]

وأقدم زوجة إله معروفة لنا حتى الآن هي الملكة «أعح حتب» والدة الفرعون «أحمس الأول» مؤسس الأسرة الثامنة عشرة (Cat. Gen. Lacau No. 34009)، وقد أصبح تقريبًا كل أمهات الملوك يحملن هذا اللقب على غرارها، وذلك قبل عهد الانقلاب الديني الذي قام به «أخناتون»، وهذا اللقب من جهة أخرى لا نجد أمهات ملوك الأسرة التاسعة عشرة يحملنه إلا نادرًا، أو أقل من ذلك في عهد الأسرة العشرين. والشيء الغريب الذي يظهر منه أن هذه التسمية قد فقدت أهميتها الأصلية أن هذا اللقب لم تكن تحمله قط الملكات اللائي كنَّ يلعبن دورهنَّ في تمثيل الزواج الإلهي، وهو أن هذا اللقب كانت تحمله أميرات شابات يمكن أن يصبحن في الواقع زوجات ملكيات. فنجد مثلًا أن ثلاثًا من بنات «أحمس الأول» واثنتين من بنات الملكة «حتشبسوت» كنَّ يحملن لقب الزوجة الإلهية (راجع مصر القديمة ج٤).

وكذلك لدينا لقبان يمكن أن يلقب بهما الزوجات الإلهيات، كما أشرنا إلى ذلك من قبل. الأول لقب «يد الإله»، وهذا اللقب يشير إلى العمل الوحشي الذي كان يأتيه الإله «آتون»، وهو الإله الأول الذي بالاستمناء بيده أوجد الإلهين «شو» و«تفنوت» كما حدثنا عن ذلك كهنة «هليوبوليس» في نقوش الأهرام (راجع pyr. Text. 124). وهذا اللقب الذي تحمله الزوجات الإلهيات كانت تحمله الإلهة «حتحور» زوج الإله «رع»، وعندما وحد الإله «آمون» بالإله «رع» انتقل هذا اللقب إلى الزوجات السماوية، كما لقبت به الزوجات الدنيوية لإله الكرنك.

وكذلك وجدنا مع لقب الزوجة الملكية لقب «يد الإله»، وقد عثر عليه للمرَّة الأولى على ما يظهر على أثر للملكة «حتشبسوت» و«تحتمس الثالث».[٤] وكذلك كانت تحمله إحدى بنات الفرعون «تحتمس الثالث» التي تسمى «أمنمريت».[٥] وكذلك والدة الفرعون «أمنحتب الثاني» (راجع L. D. Text III p. 258) وفي عهد «رعمسيس الثالث» نجد امرأة تحمل هذا اللقب، وكانت تشترك في العيد الثلاثيني لهذا الفرعون غير أننا نجهل اسمها (راجع. Champ. Notices Desc L. p. 271).

وفي عهد الملكة «حتشبسوت» كذلك نجد لقبًا آخر يفسر نفسه وهو: المتعبدة الإلهية «لآمون». والواقع أن إحدى بنات هذه الملكة تحمل هذا اللقب.[٦]

وكذلك في عهد الأسرة العشرين التي نحن بصددها الآن نجد أن إحدى زوجات الفرعون «رعمسيس الثالث»، وزوجة «رعمسيس الرابع»[٧] تحمله، وكذلك بنت «رعمسيس السادس» «إزيس»، التي أراد البعض أن يجعلها زوجة الكاهن الأكبر «أمنحتب» دون برهان.[٨]

ونصادف مرات عدة لقب المتعبدة الإلهية «لآمون رع» ملك الآلهة في ورقة «إبوت»، وهذا اللقب كان دائمًا مكتوبًا في طغراء ليذكرنا بأن حاملته من الأسرة المالكة. والظاهر أن حاملته كان لها عبادة خاصة، إذ كان لها كهنة وكتاب.

وسنرى بعد أنه في عهد الأسرة الواحدة والعشرين كانت زوجة «الكاهن الملك» «بينوزم الأول» المسماة «ماعت كارع» تحمل لقب الزوجة الملكية، والمتعبدة الإلهية «لآمون».[٩] وكذلك في عهد الأسرة الثانية والعشرين كانت زوجة «شيشنق الأول» هي وزوجة «تاكيلوت»[١٠] تحملان هذا اللقب. وأخيرًا يجب أن نذكر هنا أن كل من «شابنابت» و«أمنريتيس» و«نوتكريس» كنَّ يحملن الألقاب الثلاثة معًا: الزوجة الملكية، ويد الإله، والمتعبدة الإلهية؛ كما كنَّ يحملن لقب الوصية في «طيبة». وفي الوقت نفسه الكاهنة الكبرى «آمون».

والمجموعة الصغيرة الجميلة المحفوظة الآن «بمتحف القاهرة»، والتي تمثل «أمنريتيس» جالسة على ركبة «آمون» تفسر بصورة رمزية خلابة الاجتماع الخفي لهؤلاء النسوة مع أزواجهنَّ الإلهيين. ولما كانت هؤلاء النسوة قد وهبن أنفسهنَّ ليكنَّ عذارى فإنه لم يكن لهنَّ نسل؛ ولذلك لجأن لاتخاذ دعيات يحللن محلهنَّ، ويحملن ألقابهنَّ بعد وفاتهنَّ، وقد كانت البنت التي تتخذها الكاهنة دعية لها لتخلفها يفرضها الفرعون عليها. والواقع أن الإصلاح الذي قام به «أوسركون الثالث» قد خدم أولًا أغراض ملوك الأسرة الخامسة والعشرين النوبية الأصل. فقد كان لزامًا على «شابنأبت» بهذه الكيفية أن تتخذ خلفًا لها «أمنريتيس» بنت الملك «كاشتا»، وقد اتخذت الأميرة دعية لها إحدى بنات «بيعنخي» النوبي الأصل، وكانت تسمى كذلك «شابنأبت»، وقامت الأخيرة بدورها بادِّعاء ابنة أخرى تدعى «أمنريتيس» ابنة الملك «تهركا». وفيما بعد نجد في العهد الصاوي «نوتكريس» بنت الملك «بسامتيك الأول». وأخيرًا تبنت «نوتكريس» بنت الملك «بسامتيك الثاني» التي تدعى «عنخسنفر-أبرع» وقد امتد عهد كهانتها مدة طويلة، وانتهى بحلول الفتح الفارسي، ومن البدهي أنه كان بجانب هؤلاء الأميرات «أزواج الإله» كهنة محترفون يقومون بأداء الشعائر الدينية، التي لم يكن في مقدور امرأة أن تقوم بها.

وهذا هو السبب في أن وظيفة الكاهن الأكبر «لآمون»، التي كانت قاصرة على الأمور الدينية المحضة لم تختفِ جملة. وعلى الرغم من أنه قد شغلها مرة في ظروف لا يمكن أن نحددها أحد أولاد الملك «شباكا»، وهو الأمير «حرمخيس» (راجع A. S. XXV p. 25) فإنها كانت قد انحطت وضاعت هيبتها كما نشاهد ذلك على اللوحة الشهيرة الخاصة بالكاهنة زوج الإله «نوتكريس»، حيث نجد أن الكاهن الأول «حور حب» قد اتخذ مكانته بكل تواضع بعد الكاهن الرابع الأمير «منتومحات». وهكذا نرى من كل ما سبق أن الأبهة وألقاب الشرف، ومظاهر السلطة التي كانت في يد الكهنة قد انتقلت دون خطر على السلطة الفرعونية إلى أيدي هذه الأسرة العقيمة من الأميرات العوانس، وهنَّ اللائي خصصن أنفسهنَّ لعبادة «آمون»، وقد وجد الفراعنة

أخيرًا في تنصيبهنَّ في هذه الوظيفة — في اللحظة التي كان استقلال مصر ذاهبًا نحو الضياع — الوسيلة التي تحفظ بها بصورة حاسمة الحقوق المميزة للحكومة، دون أن يخدش احترام السلطة الدينية التي كانت من قبل في يد الكهنة العظام.[١١]

(٢) نظام الحكم في عهد الدولة الحديثة من الوجهة السياسية

تحدثنا فيما سبق عن تطوُّر الأحوال الدينية في عهد الدولة الحديثة وما بعدها بوجه عام، فيما يخص الكاهن الأول للإله «آمون». وسنحاول الآن أن نضع أمام القارئ هنا صورة مختصرة شاملة عن نظم الحكم في عهد الإمبراطورية، منذ تولى «أحمس الأول» حوالي عام ١٥٨٠ق.م إلى أن تولى «حريحور» عرش ملك الفراعنة حوالي عام ١٠٨٥ق. وقد تحدثنا في الجزء الخامس عن الإمبراطورية المصرية في آسيا بشيء من التفصيل. ولكنا هنا سنتحدث عن نظم الحكم عامة في داخل مصر وخارجها مدة خمسة القرون التي مكثتها الدولة الحديثة، وكانت في خلالها بين مد وجزر. وهذا العصر يبتدئ بطرد «الهكسوس»، وإعادة وحدة مصر تحت حكم أمراء «طيبة»، وينتهي بتقسيم مصر ولايتين مستقلتين إلى حد ما؛ إحداها في الجنوب تحت حكم «حريحور» وعاصمته «طيبة»، والأخرى في الشمال تحت حكم «سمندس» وزوجه «تنتآمون» وعاصمتها «تانيس». وهذا العهد يشمل عصر أعظم قوة وثروة تمتعت بهما مصر، وهو العصر الذي كانت تدين فيه لمصر بلاد الشرق قاطبة. ولا نكون مبالغين إذا قلنا: إنه كان العصر الذهبي للإمبراطورية المصرية. وقد انتهى هذا العصر كما ابتدأ بعصر طويل ظهرت فيه مصر بمظهر الضعف والركود مشفوعًا بانشقاق داخلي.

ولا نزاع في أن المجهود القومي الضخم الذي بذله المصريون في طرد «الهكسوس» قد أعطى المصريين قوة ساعدتهم على متابعة غزوهم حتى نهاية الحدود الشمالية من «سوريا». وعلى قدر ما وصلت إليه معلوماتنا كان الجيش المصري في باكورة الأسرة الثامنة عشرة يتألف من جنود

مصريين أصليين وهذا هو السر في مد سلطان مصر وعظم فتوحها، وقد كان الفرعون الغازي في أثناء عهد الفتوح الأولى للإمبراطورية يكافئ البارزين من رجال جيشه المدرَّبين بالأراضي وبالعبيد من الأسرى وبأنواعٍ أخرى من الغنائم التي حصل عليها من تلك الأصقاع، وكذلك كانوا يهبون معابد الآلهة العظام الأراضي والعبيد والغنائم، وقد استمرت عادة منح المعابد الهبات العظيمة خلال كل عهد الدولة الحديثة. (راجع مصر القديمة ج٥).

وأخذ فراعنة العهود المتأخرة لهذا العصر يعتمدون على القوَّات الحربية، وعلى رجال الشرطة الذين كانوا ينتخبون من بين الأجانب وبخاصة النوبيين واللوبيين، وإن كانت نسبة العناصر المصرية قد بقيت عالية بين القوات المسلحة، وقد وصل بعض الأجانب إلى أعلى الرتب في خدمة الحكومة المصرية، حتى إننا رأينا في عهد الفوضى التي وقعت في نهاية الأسرة التاسعة عشرة سوريًّا من المخاطرين كان في مقدوره أن يقبض على زمام الأمور في مصر، ويعتلي أريكتها (راجع مصر القديمة ج٧). وهكذا نرى في مصر الموحدة السكان نسبيًّا أن المصريين الذين طردوا «الهكسوس»، قد نما بينهم في العهد الذي نتحدث عنه عدد مميز قوي من الطوائف، التي كانت لها منافعها وميولها المتضاربة. ويمكن أن نميز من بين هذه الطوائف بوجه خاص طائفة الموظفين المدنيين، وطائفة الكهنة، وعلى وجه أخص التابعين للمعابد الكبيرة، وضباط رجال الجيش، والجنود المرتزقة، وكل هذه الطوائف كانت تتصادم بعضها مع البعض الآخر إلى حد ما من أجل الوظائف المدنية، ولم يشذ في ذلك ضباط الجيش أو الكهنة.

ونحن نعلم من «المتون المدرسية» التي عثر عليها في عهد الأسرة التاسعة[١٢] عشرة أن الموظفين المدنيين، وهم الكتاب ورجال الإدارات الحكومية كانوا ينظرون نظرة احتقار إلى كل من رجال طائفة الجندية ورجال طائفة الكهنة، وهؤلاء الرجال كانوا بلا شك يشعرون بأن لهم منافع طائفية مختلفة عن منافع طائفة الجيش أو طائفة الكهنة، ومن المعقول أن نزعم أن رجال الجيش، ورجال الكهنة كانوا يتبادلون الود فيما بينهم، وقد كان يبدو غريبًا في بادئ الأمر أنه لم تنشب معارك

لاكتساب السلطان أحيانًا بين الطوائف الثلاثة السالفة الذكر، غير أن البراهين على وجود مثل هذه المعارك ضئيلة جدًّا، هذا فضلًا عن أن الدعاية قد صبغتها بصبغة براقة، حتى إننا قد نرتكب أفظع الأخطاء وأغربها إذا حاولنا أن نجد لها مبرِّرات، ولدينا مثال حديث بارز جدا يوضح الخطر الذي يقع فيه المؤرخون في مثل هذه الأحوال؛ وذلك أن الفرعون «حريحور» مؤسس الأسرة الواحدة والعشرين — وهو الذي كانت توليته عرش الملك عام ١٠٨٥ق.م تعد الخاتمة الرسمية لعهد الإمبراطورية، الذي نحن بصدده الآن — كان يشغل وظيفة الكاهن الأكبر «لآمون» عدة سنين قبل أن يستولي على الألقاب الملكية. وعندما تولى «حريحور» عرش الملك نجد فعلًا لقب «الكاهن الأكبر لآمون» لقبًا ملكيًّا له ووضعه في طغرائه الأول، ثم وضع اسمه «حريحور» مضافًا إليه «ابن آمون» في طغرائه الثاني. وقبل أن يتولى «حريحور» الملك بفترة، أي عندما كان الكاهن الأكبر «لآمون» ولم يكن بعد فرعونًا، تجاسر أن يصوِّر نفسه على جدران المعبد بنفس حجم صورة الفرعون الحاكم وقتئذ، وهو «رعمسيس الحادي عشر»، أي إنه كان يعدُّ نفسه معادلًا له في المكانة. وهذه الحقيقة وغيرها من الحقائق التي لا شك فيها تدل في ظاهرها على أن ارتقاء «حريحور» عرش الملك يعدُّ انتصارًا مبينًا لكهنة معبد «آمون» «بالكرنك». وقد أعدها كذلك كل علماء الآثار حتى عام ١٩٣٦، عندما برهن «هرمان كيس» في مقاله الذي أشرنا إليه آنفًا أن التفسير الحقيقي هو العكس من ذلك؛ لأن «حريحور» كما قلنا لم يكن في بادئ أمره كاهنًا أول قط، بل يحتمل أنه كان من رجال الجيش مثل سالفه الملك «آي» (راجع مصر القديمة ج٥). وقد كان توليه وظيفة الكاهن الأول «لآمون» في الجزء الأخير من عهد «رعمسيس الحادي عشر» يمثل هزيمة ساحقة لحزب كهنة «آمون»، أو على الأقل هزيمة منكرة لأسرة الكهنة العظام السابقة له، وهي التي بدأت «برعمسيس نخت»، وانتهت «بأمنحتب».

وهذه الأسرة نفسها على ما يظهر لم تكن تضرب بأعراقها في الكهانة، ولم يكن إذن تتويج «حريحور» فرعونًا بعد ذلك ببضع سنين نصرًا للكهنة، وقد استولى «حريحور» على الوظائف

الدنيوية ذات السلطان؛ فتولى نائبًا على بلاد «كوش»، وتقلد وزارة الوجه القبلي حوالي نفس الوقت الذي تولى فيه رياسة كهنة «آمون» «بالكرنك». ومن المتحمل أنه خلع فيما بعد وظيفة الوزارة على موظف آخر من الموالين له بطبيعة الحال من حزبه؛ غير أنه مما لا نزاع فيه أن الخطوة التالية التي خطاها في تنفيذ سياسته، وهي الاستيلاء على عرش الملك كانت ترتكز على قوة حربية لا على قوة الكهنة، وقد أبرز علاقته «بآمون» وكهنة «آمون» لنفس السبب الذي أبرزت من أجله الملكة «حتشبسوت» ولادتها الخارقة لحد المألوف (راجع مصر القديمة ج٤) وذلك لأجل أن يعرض أمام الشعب اغتصابه الملك بلون ديني كاذب تمامًا.

ويجب أن يكون هذا الرأي المضاد تمامًا للرأي الذي كان يظهر أمام المؤرخين بدهيًّا عن «حريحور» وتوليه العرش، وهو بلا نزاع يساعدنا على أن نكون على حذر؛ فلا نجزم عند تفسير التيارات الخفية في السياسات المصرية القديمة، وأن الظواهر شيء والحقائق الواقعة شيء آخر، وهذا ما نشاهده الآن في سياسة الدول الكبرى.

أما من حيث نظام الحكومة وقواها، فإن كل إنسان يعلم أن الفرعون كان ملكًا مستبدًّا، وأن سلطته كانت ترتكز نظريًّا على زعم ألوهيته، إذ نجد أنه على الدوام كان يدعى «الإله الطيب». وكذلك كان يتصف بلقب من أكثر ألقابه شيوعًا، وهو «ابن إله الشمس رع»، ونحن نعلم من جانبنا أن ادِّعاءه أنه من نسل إلهي لم يكن مجرد استعارة لفظية، بل كان المقصود أن يفهم ذلك بمعناه الحرفي، وكذلك كان يحافظ دائمًا على بقاء دم الأسرة نقيًّا من أي دم أجنبي، مما أباح لهم زواج الأخت والبنت (راجع مصر القديمة ج١) ويقول لنا كتاب البلاط الملكي أن الفرعون الإلهي كان يفعل كل شيء لازم لسعادة شعبه بما لديه من قدرة لا حد لها، وهي تلك القدرة التي يتميز بها الآلهة، فيقصون علينا أنه كان يحصد أعداءه بعشرات الألوف في ساحة القتال، وأنه قد كشف بنفسه عما هو خطأ في كل أنحاء إمبراطوريته، وأنه بنفسه وضع القوانين اللازمة والقواعد التي تضع كل شيء في موضعه الصحيح. وكذلك حدثونا أن الملوك الأجانب سعوا إليه في الحال من

بلادهم النائية حاملين جزيتهم على ظهورهم، وراجين الفرعون نفس الحياة الذي لا يعطيه أحد سواه، كما يقصون علينا أشياء أخرى كثيرة لا يمكن تصديقها، ولا يمكن أن تتأتى إلا على أيدي الآلهة، كما جاء في لوحة «أمنحتب الثاني»، التي كشف عنها المؤلف حديثًا (راجع مصر القديمة ج٤).

وكذلك نجد في نقوش تراجم الموظفين العظام والكهنة نفس المغالاة في مدح أنفسهم، وإظهار فضائلهم، كل على حسب مستواه، كما كان للبلاط مادحون يطرون الفرعون وأنفسهم على السواء، فكثيرًا ما نجد في النقوش أن فلانًا كان مثال الفضيلة والمهارة، ولكن معلوماتنا عما فعله فلان هذا كانت في العادة تقتصر على قائمة ألقاب محدودة، والألقاب قد لا تعني دائمًا ما هو ظاهر منها.

والواقع أن معلوماتنا الحقيقية عن كيفية سير الإدارة الحكومية الفرعونية، وعن الأثر الذي كانت تحدثه في حياة الرعية قليلة جدًّا بكل أسف، وكثير من الوثائق الخاصة بذلك يمكن تفسيرها بأكثر من وجه واحد، وعلى ذلك فإن الصورة الناتجة التي نستنبطها من ذلك تحتوي أحيانًا أمورًا كثيرة غير مؤكدة.

وقد ذكرنا عند الكلام على الوزير «رخ مي رع» أن الأثري «دافيز» قد عارض بشدة في أن الأربعين «شسم»، التي خصصت بجلد وهي التي وجدت موضوعة على رقعة قاعة المحاكمة التي يجلس فيها الوزير للحكم بأنها ليست ملفات جلد تشمل متن مواد القانون، ولكنها على ما يظهر قضبان مرنة مقطوعة من جلد. وبعبارة أخرى أسواط سلطة كانت توضع في أيدي موظفي الأقاليم بمثابة تصريح لتنفيذ القانون كما تفعل العمد في القرى بعصيهم الآن. وقد فسرت هذه العصا بأنها آلات لتوقيع العقاب، وهي بهذه الكيفية لا يمكن أن تكون لها الميزة التي منحتها الأربعون «شسم» في كل من الصورة والمتن، وأن هذا الشكل البسيط جدًّا الذي مثل به الأربعون إلهًا هذه يظهر من الصعب جعلها تتفق مع أسواط التعذيب التي كانت توضع في أيدي موظفي الأقاليم، وليس هناك

مانع في الرأي القائل: إن كلمة «شسم» كانت تعني في الأصل «سير» أو شريط جلد، أو أن كليهما أصبح يعني «سوطًا» ما جاء في متن: «أنه ضرب بخمسين سوطًا.» (راجع Revue d'Egyptologie I 1933 p. 63) أو تعني واحدًا من مجموعة من المخطوطات الجلدية. ويلاحظ أن الكلمة الإنجليزية Code، وهي من اللاتينية Codix Caudex ومعناها «جذع الشجرة» أو قطعة من الخشب، أو لوحة للكتابة تعني غالبًا مجموعة صور قوانين، أو حتى تعني مجموعة معينة للقوانين. مثال ذلك قوانين «جوستنيان». أما عن الشكل الطويل الرفيع الذي تتخذه الأربعون شيئًا، فإن عدم الاعتماد على النسب في رسم الصور المصرية معروف تمامًا. هذا إلى أن عدم وجود حبال حولها لتربط كلًّا منهما يمكن أن يبرهن على شيء من الحقيقة في أنها ملفات بردي؛ وذلك لأن هذه الملفات كان من المحتمل أنها قد فُكت؛ لتكون على استعداد للرجوع إليها. ولكن موضوع وجود كتاب قانون فرعوني لا يمكن أن ينظر إليه على أنه حقيقة مؤكدة إلا إذا ظهرت لنا براهين جديدة؛ لأن موضوع الأربعين قطعة (شسم) لا يزال فيه شك، ويجب أن يبقى معلقًا مؤقتًا إلى أن يظهر ما يؤكد تفسيره بهذه الصورة.

ولا نزاع في أن حكم الفرعون كان حكمًا مطلقًا بكل معنى الكلمة. فقد كان القانون مجرَّد إرادة الفرعون التي كان يعبر عنها بصفة رسمية. وإذا كان القانون قد شرع فإنه كان من الواضح أن أية مادة منه يمكن الفرعون الجالس على العرش أن يغيرها أو يلغيها في أي وقت. ومن بين الوثائق القليلة جدًّا التي وصلت إلينا من عصر خمسة القرون التي نبحث فيها الآن واحدة فقط، فقد اقتبست مباشرة بوصفها أمرًا قانونيًّا دالًّا على السلطة. وفي هذه الحالة الوحيدة نجد أن الاقتباس قد تقدمه الكلمات البسيطة «إن الفرعون قد قال»[١٣] (والقول ما قالت حزام) والقوانين القليلة التي وصلت إلينا مثل منشور «حور محب» (راجع مصر القديمة ج٥) ولوحة «نوري» (راجع مصر القديمة ج٦) تظهر لنا نفس هذه النظرية القانونية، فنجد أن متن منشور «نوري» يبتدئ بالكلمات التالية:

«إن جلالته قد أمر.» وقانون «حور محب» يبتدئ بما يأتي: «إن الملك نفسه قد قال.» وعلى ذلك فإن ما قاله الفرعون هو القانون.

ويلاحظ بطبيعة الحال أن حق الفرعون في الحكم كان يرتكز نظريًّا على أنه إله؛ وذلك لأن إله الشمس «آمون رع» قد أنجبه، وأنه عندما فعل ذلك قد اتخذ صورة الملك السابق لهذا الغرض (أي عندما اجتمع بأم الملك الحاكم). وعلى ذلك فإن «آمون رع» كان يضعه بموافقة الآلهة الآخرين المتحمسين له على عرش الملك، ويقرر له حكمًا طويلًا مزدهرًا. ولا نزاع في أن هذه الأساطير الدينية والتقاليد الفرعونية كانت تساعد على توطيد مكانة الفرعون. ولكن القواعد الحقيقية الثابتة التي كانت تعتمد عليها قوته هي سيطرته على أداة الحكم، بما في ذلك الجيش والشرطة، فنجد الملكة «حتشبسوت» المغتصبة للملك بعد أن بقيت عدة سنين وصية على عرش الملك الشرعي «تحتمس الثالث»، الذي لم يكن قد بلغ أشده بعد؛ قد دفعت به إلى الوراء وأقصته عن الحكم عندما شعرت أنها قد أصبحت موطدة القدمين، وفي قبضتها زمام الحكم، وقد بقي الملك الشرعي في عزلة طوال مدة حكمها. ويلاحظ أن «حتشبسوت» لم يكن في مقدورها أن تعلن نفسها «بنت آمون رع» إلا بعد أن أصبح زمام الحكم في يدها، ولا نزاع في أنه لم ينكر أي إنسان حقها علنًا في أنها إلهة مدة حياتها، غير أن الإنسان يتساءل بشيء من العجب والدهشة: كم من معاصريها كان يعتقد فعلًا في إلاهيتها؟ إن النفاق والخوف والأحزاب قد لعبت دورًا عظيمًا في ذلك، ولكن في نهاية الأمر تمكن الفرعون الشرعي «تحتمس الثالث» من أن يستولي على العرش؛ لا لأنه كان صاحب الحق الأعلى في ادِّعاء الإلاهية؛ بل في الواقع لأن موت «حتشبسوت» قد أزال من أمامه العقبة الإنسانية الحقيقية. وأهم من ذلك موضوع الملك المصلح «إخناتون»، الذي كان في مقدوره أن يمحو عبادة الأوثان التقليدية، ثم غير لقبه الإلهي بطريقة تخطئها المعرفة وينكرها الشعب. ولكن مع ذلك بقي يحكم حتى يوم مماته. والواقع الذي لا لبس فيه أن إلاهية الفرعون كانت ترتكز على قوته هو على الحكم على الرغم من أن النظرية الرسمية كانت على العكس مما فعله «إخناتون».

وقد كان بجانب الفرعون الإلهي الذي كانت قوته ترتكز على الخدمة المدنية والجيش، ورجال الشرطة بطبيعة الحال عدد عظيم من الآلهة الآخرين في مصر، وكان بعضهم — أو كهنتهم — يأخذون بنصيب في حكومة مصر من وقت لآخر، وذلك بوساطة الوحي الذي كان — على ما يظهر — يعدُّ بمثابة قانون ينطق به الإله، وقد تحدثنا عن هذا الموضوع في مناسبات عدة وسنتحدث عنه بعد، غير أن الجزء الذي كان يلعبه الوحي في حكومة البلاد ضئيل؛ ولذلك سنناقش أولا العناصر القانونية الإنسانية في حكومة البلاد.

والظاهر أن وضع القوانين كان من اختصاص الفرعون وحده. وتدل شواهد الأحوال على أنه لم يكلف أي فرد أو جماعة بالقيام بهذا العمل. وكان ينوب عن الفرعون في تنفيذ أعماله القضائية والإدارية جماعة كبيرة جدًّا منظمة من الموظفين، وكان المصريون على علم تام بالفرق بين الوظائف الإدارية والوظائف القضائية، ولكن يظهر أنه في عهد الإمبراطورية كانت الوظائف القضائية يقوم بأدائها في العادة رجال كانت أعمالهم الأصلية إدارية الصبغة؛ وكان التفويض في الأمور الإدارية والقضائية بطبيعة الحال مرخصًا به من أكبر وظيفة إلى أقل وظيفة، أي من الفرعون إلى أكبر موظفيه في الدولة، ومن هؤلاء إلى مرءوسيهم الصغار.

وقد كانت خدمة الحكومة تنقسم قسمين، وهما: نوع النشاط الذي يقوم به الأفراد، والبيئة الجغرافية. فمن جهة كانت توجد مصالح في الإدارة الرئيسية كالخزانة الملكية، ومخازن الغلال الملكية، وقد كان عملها في مصر كلها، ويحتمل أنه كان يمتد كذلك إلى الإمبراطورية كلها. ومن جهة أخرى كانت البلاد مقسمة أقسامًا إدارية كل منها كان له أعضاء حكومته المحليين، وإن كان هؤلاء تابعين للحكومة الرئيسية من كل الوجوه.

ومما يلفت النظر أنه في عهد الإمبراطورية لم يكن في العادة يوجد موظف واحد بعينه تحت سلطة الفرعون يقبض على زمام الحكم في كل أنحاء البلاد، وفي كل مصالح الحكومة في وقت واحد، إلا

في عهد كل من الدولتين القديمة والوسطى؛ فكان الوزير يمثل هذا الموظف الذي كان يقبض على كل السلطة. ولكن في عهد الدولة الحديثة كان يوجد عادة وزيران: واحد منهما للوجه القبلي، والآخر للوجه البحري؛ ويحتمل أن كلًّا من هذين الوزيرين كان يقوم في الإقليم الذي يسيطر عليه بكل الأعمال العامة ولا يخضع إلا للملك. وليس من المؤكد أن واحدًا من الوزيرين كان له أية سلطة في «بلاد النوبة» (حيث كان يوجد بها نائب من قبل الفرعون يحكمها وكان — على ما يظهر — مسئولًا مباشرة أمام الفرعون) أو في آسيا. ومن حقنا أن نشك في أن الفرعون قد قصد ألا يجعل لأي فرد معين من رعيته حق تمثيل السلطة الملكية في كل مكان، وفي كل حال من الأحوال.

وقد كان في كل بلدة كبيرة جماعة منظمة تنظيمًا غير محكم تعرف «بالمجلس» (قنبت) كما كان فوق هذه المجالس «مجلسان عظيمان»: أحدهما في «طيبة»، والآخر في «هليوبوليس»؛ ويرأسهما الوزيران بالتوالي، أي إن أحد المجلسين العظيمين كان في الوجه القبلي ومقره «طيبة»، والآخر في «الوجه البحري» ومقره «هليوبوليس». وليس من المؤكد أن هذه المجالس كما هي كانت تؤدي وظائف إدارية، غير أنه من المؤكد أنها كانت تعقد بمثابة محاكم قضائية لتفصل في القضايا الجنائية، وفي بعض الأحيان كانت تفصل بسلطة قضائية في المسائل الإدارية. ويلاحظ هنا أن كل عضو من أعضاء المجلس كان في غالب الأحيان من الرجال الذين كان عملهم الأصلي إداريًّا. وعلى ذلك فإن هذه المجالس لا بد كانت تميل إلى وضع حد بين الأعمال الإدارية والقضائية.

وعندما كانت أسماء أعضاء المجلس توضع في قائمة، فإنها كانت — غالبًا — يوضع لها العنوان التالي: «مجلس هذا التاريخ» مما يشعر أن تأليف هذا المجلس كان يغير من يوم إلى يوم. وفي إحدى الجلسات القضائية التي يحتمل أنها كانت خاصة بمصالح لمعبد الإلهة «موت» بالكرنك (راجع مصر القديمة ج٦) كان يرأس المجلس الكاهن الأكبر «لآمون»، ولا تحتوي إلا على كهنة

فقط — إذا استثنينا المسجل الذي كان يحمل لقب «الكاتب المسجل لمجلس طيبة» — ولدينا مجالس أخرى تشمل موظفين خارجين عن هيئة رجال الدين، أو كانت تتألف من كهنة وموظفين مدنيين معًا.

ويخيل إليَّ أن معابد الآلهة يجب أن تعد مصالح ضمن الإدارة الملكية، فقد كان الفرعون — نظريًّا — هو الذي يؤدِّي الشعائر اليومية العادية في جميع معابد مصر، وعلى ذلك فإن الكاهن الذي كان يقوم بأداء هذه الشعائر فعلًا إنما يقوم بها على أنه ممثل للفرعون. وقد وُجدت هبات المعابد — في الظاهر — لأجل المساعدة على القيام بهذه الشعائر، وهي الخدمة الدائمة التي كان يؤديها الفرعون لآبائه المقدسين وأمهاته، ولآلهة الدولة العظام وإلهاتها.

والواقع أن الكهنة والموظفين الآخرين التابعين للمعبد كانوا عمال الفرعون كما كان ضباط الجيش، أو جباة الضرائب. وعلى قدر ما يمكن الحكم به كان للفرعون من السلطة في عزل وتنصيب رجال الدين كالتي كانت له في مصالح الحكومة الأخرى. حقًّا نعلم أن بعض رجال الدين كان لهم الحق في أن يورثوا أبناءهم وظائفهم، غير أن ذلك كان ينطبق على مصالح حكومية أخرى.

ولا نزاع في أن أغنى طوائف الكهنة — وبخاصة كهنة «الكرنك» للإله «آمون رع» ملك الآلهة — كانت تعد خطرًا عظيمًا على فرعون ضعيف، ولكن هذه الحالة كانت تنطبق على الجيش، وكذلك على بيت الفرعون نفسه. والفرعون القوي الشكيمة كان يقبض — عادة — على زمام رجال الدين تمامًا، وبنفس الطرق التي يدير بها زمام بيته أو جيشه.

ومن المعلوم أن فراعنة الأسر الثامنة عشرة والتاسعة عشرة والعشرين، قد وهبوا عطايا ضخمة للمعبد الكبير الخاص «بآمون رع» ملك الآلهة في «الكرنك»، وهذه العطايا تشمل أرضًا زراعية، ومناجم ذهب، وأنواعًا أخرى من الضياع الحقيقية وكذلك العبيد بأعداد ضخمة من الذين أُسروا في الحرب، أو استولى عليهم من البلاد التي فتحت بحد السيف، وقطعانًا عظيمة من كل نوع، وسفنًا

تجري في النيل، تَمْخَرُ عُبَابَ البحر، وأثاثًا للمعبد، ونسيجًا، وحَبًّا، ونبيذًا، وجعة، وأمتعة خفيفة الحمل مختلفة أشكالها، ومصانع كانت تصنع فيها مواد عديدة. وقد كان من الواضح تمامًا أن «آمون رع» ملك الآلهة لا بد أنه كان أغنى مالك في مصر إذا استثنينا الفرعون في كل العصر الذي نتحدث عنه.

ويلاحظ كثيرًا أن الباحثين المحدثين يذكرون — دون أدنى تردُّد — أن كل أملاك المعبد في مصر كانت معفاة من كل الضرائب، وقد برهنا على أن هذا الزعم خاطئ، وأنه لا ينطبق على كل عصور التاريخ المصري (راجع «عهد رعمسيس الخامس») وأن ورقة «فلبور» تقدم لنا براهين إيجابية على أن هذا الزعم لم يكن صحيحًا في عهد «رعمسيس الخامس» حوالي سنة ١١٥٠ق.م. وهذا التاريخ على حسب ما جاء في النقوش والمخطوطات المصرية يوحي أن الحكومة الفرعونية، كانت في هذا الوقت فقدت سلطانها على رجال الكهانة العظام على وجه التقريب. ويدل وجود المراسيم الفرعونية التي منحت امتيازات إدارية وإعفاءات لمعابد معينة، على أنه لم يكن هناك قانون عام يمنح مثل هذه الامتيازات والإعفاءات لكل المعابد. ولم يصلنا مرسوم سليم عن مثل هذه الامتيازات والإعفاءات من عهد الإمبراطورية إلا مرسوم واحد هو مرسوم «نوري»، الذي أصدره «سيتي الأول»، (حوالي سنة ١٣٠٠ق.م) وهو يقضي بحماية المصالح النوبية لمعبد معين في «العرابة المدفونة» (راجع مصر القديمة ج٦). ولست متأكدًا من أن هذه الوثيقة الطويلة المحكمة الوضع قد ذكرت حتى الضرائب، وهي بلا نزاع لا تحرم قطعًا تجنيد هيئة عمال المعبد للعمل في السخرة، بل كل ما تقصه أنها تحرم القبض على أفراد عمال المعبد، ونقلهم من إقليم إلى آخر للقيام بأعمال السخرة، وكذلك تمنع عمال الفرعون سرقة ماشية المعبد، أو القبض على سفن المعبد لاستعمالها في غير ما خصصت له، أو التدخل في شئون عمال المعبد وغيرهم من الموظفين في تأدية واجباتهم. وبالاختصار فإن ما جاء في مرسوم «نوري» هو التعهد بالمحافظة على تنفيذ نظام خاص ضد طائفة معينة من الأعمال التعسفية والإجبارية، التي تحفظ من جورها

الآن كل الحكومات المتمدينة جميع المنظمات، والمدنيين، والرعايا بدون استثناء. على أن ما يفهم من «مرسوم نوري» ليس ضعف الحكومة الفرعونية، بل قوتها، وأحيانًا صبغتها الاستبدادية؛ إذ كان من المفهوم ضمنًا أن هؤلاء الذين لم يُحموا بصفة معينة بمثل هذا المرسوم قد ينتظرون ألا تؤخذ ماشيتهم وسفنهم وحسب، بل يقبض كذلك على أشخاصهم عمال الفرعون، ويساقون لمدة غير محددة إلى السخرة.[١٤] ومن المحتمل أنهم كانوا يساقون إلى جهات مختلفة بعيدة عن الإمبراطورية، وذلك إما للعمل في فلح الأرض، أو للخدمة العسكرية، أو لأي غرض آخر يمكن أن يوجههم له أي موظف صغير من موظفي التاج.

ومن جهة أخرى لدينا براهين قاطعة نرى منها أن الفرعون ووزيره وموظفين آخرين، كانوا يقومون بالمراقبة — إلى درجة ما — على الشئون الاقتصادية للمعابد على الأقل. وكانت الحكومة تقوم بتعيينات في بعض الأحيان في أعلى وظائف الكهانة وفي أدناها.

والآن، نعود إلى موضوع الوحي. وسنأخذ هنا على سبيل الإيضاح مثالين، أحدهما عن سؤال إداري، والآخر عن حالة صغيرة جدًّا خاصة بسرقة:

كان على «رعمسيس الثاني» في السنة الأولى من سني حكمه أن ينتخب كاهنًا أكبر جديدًا للإله «آمون» بمعبد «الكرنك» أي: موظفًا جديدًا لأهم منصب كهانة في مصر (راجع مصر القديمة ج٦).

وقد وضع «رعمسيس» على حسب قوله أمام الإله أسماء كل موظفي البلاط الفرعوني: قائد الرديف، ورؤساء الكهنة، وأشراف معبد «آمون» نفسه. وقد انتخب نفسه شخصًا يدعى «نب وننف»، الذي لم يكن حتى ذلك الوقت عضوًا من كهنة «طيبة»، بل كان الكاهن الأكبر للإلهة «حتحور» صاحبة «دندرة» والكاهن الأكبر للإله «أنحور» صاحب «طينة» والمشرف على كهنة الآلهة. ما بين «طينة» و«طيبة». وهذه الوظائف كان يشغلها والده من قبله، وعلى ذلك

نصب «رعمسيس» «نب وننف» كاهنًا أكبر «لآمون»، وأمره أن يضع ابنه في وظائفه، وهي الوظائف التي كانت خاصة بالأسرة. وفي هذه الحالة ليس لدينا أي شك في أن الفرعون هو الذي عين الكاهن الأكبر الجديد «آمون»، وهو الذي انتخبه أيضًا. أما موضع الوحي فلم يكن ترتيب أمره من الصعوبة أكثر من ترتيب أخذ الأصوات في الانتخابات العامة الآن. أما المثال الثاني فيرجع تاريخه إلى منتصف الأسرة العشرين، أي أكثر من مائتي سنة بعد المثال الأول (راجع تفصيل هذا الموضوع في هذا الكتاب «عهد رعمسيس الرابع» … إلخ).

وموضوعه أن خمسة رداءات سرقت من خادم يدعى «أمنمويا». وقد رفع الخادم المجني عليه شكواه إلى أحد الآلهة الصغار في «طيبة» يدعى «آمون» صاحب «بخنتي»؛ ليكشف له عن اسم اللص. وقد قبل الإله أن يفعل ذلك، وعلى هذا ذكر أمامه «أمنمويا» أسماء سكان القرية، وعندما ذكر اسم المزارع «بتوم دي آمون» هز الإله رأسه كأنه أراد أن يقول: «إنه سرقها.» وعندئذ قال المزارع «بتوم دي آمون» للإله: «إن هذا كذب، إني لم أسرقها.» وعلى ذلك صار الإله في شدة الغضب.

وفي فرصة أخرى لجأ المزارع المتهم «بتوم دي آمون» إلى إله آخر صغير في «طيبة» أيضًا، غير أن هذا الإله بدوره هز رأسه كأنه أراد أن يقول: إنه أخذها. فقال المزارع مرة أخرى: «إن هذا كذب.» وقد غضب هذا الإله — كسابقه — غضبًا شديدًا؛ لأن رجلًا قد أعلن الإله أنه لص بلغت به القحة أن يؤكد براءته ويكذب الإله في آنٍ واحد. وبعد ذلك وقف المزارع المتهم مرة أخرى أمام «آمون» صاحب «بخنتي» وهو إله قريته الذي اتهمه في بادئ الأمر، ثم لجأ المزارع للإله قائلًا: تعال إلى «يآمون» صاحب «بخنتي» يا سيدي الطيب المحبوب؛ هل أخذت أنا الملابس؟ وعندئذ هز الإله رأسه مرات عدة كأنه أراد أن يقول: «إنه أخذها.»

وبقية سجل القصة ليس واضحًا تمامًا كما ذكرنا ذلك في مكانه. ويحتمل أن المزارع المتهم اعترف بالسرقة. وعلى أية حال فإنه — في أغلب الظن — عوقب من أجل السرقة، غير أنه لا يمكنني أن أشك في أنه كان بريئًا. ولا نزاع في أن إثبات تهمة المزارع كما جاءت على لسان «آمون» كان قد عملها بالفعل — بطبيعة الحال — كاهن أو جماعة من الكهنة. وليس لدينا شيء يوحي بأن الكهنة كان لهم علم بالموضوع. والظاهر أنه لا يوجد أي برهان من أي نوع يمكن أن تستند عليه محكمة حديثة، بل على العكس نلحظ أن المزارع قد سلك مسلك رجل طاهر الضمير، وإذا كان قد اعترف نهائيًّا فإنه لا بد قد فعل ذلك تحت تأثير عامل نفسي ثالث يخفيه في قرارة نفسه، أو أن المشاع في القرية أنه هو الذي سرق، وقد بنى الكهنة اتهامه على ذلك دون وجود دليل مادي لديهم.

وهذان المثالان عن الوحي معًا يفسران — على ما يظهر بوضوح — مقدار قوة الوحي أو عدم قوته خلال الأسرتين التاسعة عشرة والعشرين، إذ إنه كان من الممكن أن يكون حكمه فعلًا حاسمًا في قضية صغيرة، تشمل فقط مصالح رجل من الطبقة الدنيا. ولكن عندما يكون لمصالح الحكومة دخل، فإن الفرعون «يرتب» الوحي — بلا شك — كأنه أمر عادي، كما كان يرتب — بالضبط — وضع أعظم الأقاصيص الخيالية في سجلات أحكامه الرسمية. ولدينا مثال طريف لذلك في قصة الوحي التي تتحدث عن تهمة الكاهن «تحتمس» باختلاس متاع الإله «آمون»، وقد دُوِّنت في الكرنك في عهد «بينوزم الثاني» كما سيجيء بعد.

وقد كان الميدان الوحيد الذي يُرضي مصري عهد الإمبراطورية صاحب المطامع للعمل فيه هو فروع الخدمة العامة، أي الإدارة المدنية والكهانة وغير ذلك من خدمات المعبد ثم الجيش. وليس لدينا علم عن رجال كوَّنوا أنفسهم يقومون بالعمل في تنمية ثرواتهم الخاصة، أو تقوية مهاراتهم الفنية خارج الخدمة العامة. حقًّا إن لدينا برهانًا يخوِّل لنا أن نعتقد أن الأراضي الخاصة بقضية «مس»[١٥] الشهيرة كانت ثروة في ذاتها للمدعي الناجح، وكذلك لدينا برهان آخر يخول لنا أن نعتقد

أن هذا المدعي الناجح كان صاحب قطعان ماعز خلال القضية، كما كان — بعد القضية — يحمل لقب «كاتب الخزانة».

وهذا التغيير في الألقاب الذي يصحبه الغنى المفاجئ أمر يلفت النظر، غير أنه — مع ذلك — لا يمكننا أن نبنى على ذلك نظريات عامة؛ لأن الموضوع ليس مؤكدًا بل يعدُّ مثالًا فرديًّا. حقًّا إننا نعلم وجود ملكيات خاصة إلى حد ما، غير أنه لا يمكننا أن نعين حدودها، فقد كانت الماشية والعبيد والأراضي تباع وتشترى بين الأفراد عامة، وحتى ذلك كان يجري بين أفراد غاية في الضعة كالراعي «مس» في عهد «أمنحتب الثالث» و«أمنحتب الرابع»، كما كان في مقدور ملاك العبيد أن يؤجروا خدمة عبيدهم لآخرين.[١٦]

وقد كان الراعي «مس» في زمنه يعدُّ صاحب أملاك بين جيرانه، فقد كان صاحب ماشية للبيع. ومن المحتمل أنه كان ينمي ثروته من سنة إلى أخرى بالمساومة الحاذقة. ولا شك في أن بذور القيام بالمشروعات كانت موجودة في مثل هذا العمل، غير أن البذور لم تنمُ — على ما يظهر — في عهد الإمبراطورية. ويخيل إليَّ أنه بين إنتاج الأسر الفردية من جهة، وبين الإنتاج العظيم الذي تنتجه المعابد ومصالح الحكومة من جهة أخرى، لم يبقَ مجال كبير لقيام الأفراد بمشاريع في التجارة أو الصناعة. وعلى أية حال فإن فقرنا في المصادر لا يعيننا على الجزم في مثل هذا الموضوع.

وفضلًا عن وجود أفراد مثل الراعي «مس»، الذي كان يشتري ويبيع لحسابه، فإنه كان يوجد تجار يقومون بأعمال تجارية بمثابة عملاء لمؤسسات دينية كبيرة (ورقة هاريس ص٤٦ سطر ٢ مصر القديمة ج٧). ولا نعلم شيئًا عن «تجار المعبد» هؤلاء غير وجودهم. والظاهر أن تجارتهم في بعض الحالات على ما يظهر كانت دولية في مجالها (راجع منشور نوري ج٦ ص٨٨).

وفي أحوال أخرى نقرأ في المتون كلمة «تجار» دون أن نعلم إذا كانوا يتجرون لحسابهم أو بعض المعابد أو المصالح الحكومية، فنجد مثلًا في «ورقة بولاق» رقم[١٧] ١١ صفحة من كتاب حسابات من عهد الأسرة الثامنة عشرة سُجل فيها توريد لحم وخمر وفطائر للتاجر «منخت»، وللتاجر «شري بين» فتسلم «منخت» واردات في عشر حالات على أقل تقدير في مدة أربعة عشر يومًا. وكانت الكميات التي يتسلمها صغيرة دائمًا كالتي يمكن أن يصرفها أصحاب الحوانيت الصغيرة، أو الباعة الجائلون الذين يحملون تجارتهم من باب إلى باب. وأصناف البضائع التي كانت تباع وهي اللحم والنبيذ والفطائر، توحي بأن تاجرنا لم يكن يبيع سلعه إلا لأصحاب اليسار لا إلى الفقراء من الناس. وقد كانت بعض الأراضي الزراعية يملكها أفراد من الشعب، وكان من الممكن أن تنتقل من شخص إلى آخر إما بالوراثة أو بالبيع. ومثل هذه الأراضي كانت تدفع ضرائب للتاج، غير أنه لا يمكن أن نفهم أن أي التزام عام آخر مثل السخرة، أو الخدمة العسكرية كان من الضروري أن يكون له علاقة بملكيات كهذه.

ولا نعلم إذا ما كان مقدار الأرض التي يملكها الأفراد خلال الإمبراطورية كبيرًا لدرجة تجعله ذات أهمية اقتصادية كبيرة أم لا.

والواقع أن التاج كان يملك مساحات شاسعة من الأرض، وكذلك كان للمعابد ضياع عظيمة. وكانت أراضي التاج وأراضي المعبد تقسم عادة مساحات كل منها تحت إدارة المعبد (راجع ورقة فلبور). وفي مثل هذه الحالات كان الموظف المسئول يسكن على مسافة بعيدة من الأرض التي تحت إدارته، ومثل قطعة الأرض هذه كان لها أولًا مالك غائب (وهو الفرعون أو الإله). وثانيًا كان لها مدير غائب، وهو الذي وُكل إليه إدارتها. وإذا سارت كل الأمور — فيما يخص هذه القطعة من الأرض — على ما يرام، فإن مديرها الغائب كان ينتظر بطبيعة الحال كسبًا عظيمًا فوق مقدار الحَب الذي كان يورد إلى الفرعون، غير أنه كان يحدث أحيانًا أن الفلاحين يفرون من سوء المعاملة، التي يلاقونها على أيدي رؤسائهم المباشرين كما كانت الحال في مصر الحديثة إلى

زمن غير بعيد (وحتى الآن نجد مع بعض الملاك الرأسماليين يتقاضون إيجارهم من الفلاح، سواء أأنتجت الأرض أم لم تنتج بشتى الطرق).

ويمكن أحيانًا أن يجندوا لعمل حكومي في مكان آخر مجاور أو حتى في جزء آخر من مصر. وما يحدث من جراء ذلك يترك لخيالنا.

وقصارى القول: إن حكومة الدولة المصرية كانت فردية بيروقراطية مركزية من حيث المبدأ، وكانت — إلى حد كبير — مركزية عمليًّا. ولا نزاع في وجود مشاحات من أجل المنفعة بين العناصر المختلفة في الحكومة البيروقراطية، التي تتألف من مصالح مختلفة تكاد كل منها تكون مستقلة عن الأخرى ولا تجمعها مسئولية واحدة. ولدينا أدلة تدل على أن الفرعون كان يستخدم هذه المشاحات ليخدم مصالح الأسرة الحاكمة، ويلاحظ أن كلًّا من طائفة الكهنة والجنود قد أصبح ذا أهمية عظمى في القرون التالية، ويمكن رؤيتهما تنموان منذ نشأتهما. وفي خلال نصف القرن الأخير من عهد الإمبراطورية تجد أن كلًّا منهما منغمس في اضطرابات خطيرة، مما ساعد على سقوط الأسرة العشرين، وتصدع أركان الإمبراطورية. ونرى من كل هذا أن الرجل العادي — على ما أعتقد — لم يكن لديه من القوة ما يهيئه للتعبير عن آرائه في الحياة السياسية أو الاقتصادية؛ لأن الأحوال لم تكن قد هُيئت له بعد لظهوره في معترك الحياة، وهو يحمل في نفسه شيئًا من الاستقلال الذاتي، أو الصفات التي تؤهله لبلوغ ذلك. وقد يرجع السبب في هذا أولًا لنظام الحكم الذي كان سائدًا في هذه الفترة من تاريخ البلاد، وكذلك إلى تربيته على الخضوع له، وإن كان أحيانًا قد يثور على هذا النظام بسبب الجوع والفقر، كما أوضحنا ذلك في مكانه عند التحدث على إضراب العمال في عهد «رعمسيس الثالث»، وعندما قام العمال — وحتى رجال الدين — بنهب المقابر الملكية وغيرها إلى درجة تدعو إلى الدهشة والعجب من شعب وديع كالشعب المصري، ولكن الفقر كافر والجوع أشد منه كفرًا.

الأسرة الواحدة والعشرون

مقدمة

لقد انتهت سيادة مصر في الشرق باختفاء آخر رعامسة الأسرة العشرين. وسنرى أن أربعة القرون ونصف القرن التي تلت سقوط هذه الأسرة حتى قيام الأسرة «الصاوية» كانت كلها فترة اندفاع نحو الهاوية، التي كانت تنحدر إليها بلاد مصر وسلطانها. وإذا استثنينا بعض حالات معينة في فترات محددة فإن الفراعنة الذين سنتناول الحديث عنهم هنا في عاصمتهم، سواء أكانت في «الدلتا» أم في «طيبة» لم يكن لديهم من القوة والجاه ما يميز عهود حكمهم بالمباني الفخمة، أو بالحروب المظفرة.

وسنرى أن السلطان العالمي الذي كانت تتمتع به «طيبة» وإلهها «آمون رع» ملك الآلهة لم يعد يعترف به خارج حدود مصر الطبيعية، كما أنه لن يتدفق على خزانة بلادها جزية البلاد الأجنبية إلا في حالات عابرة، حيث نجد أن بعض المال كان يُرد إلى خزانة الكهنة العظام، وما ذكر غير ذلك فهو من نسج الخيال.

وهذا الانحطاط السياسي والحربي كان من نتيجته الطبيعية ركود اقتصادي جر وراءه تأخرًا في الفن وفي كل الصناعات.

وتاريخ الأسرة الواحدة والعشرين غامض حتى الآن على الرغم من الكشوف الحديثة، التي عثر عليها في «تانيس» (صان الحجر) حديثًا، ومع ذلك فإن فحصها قد يظهر شيئًا جديدًا لم يكن في الحسبان أن يتم بعد، إذ الواقع أننا لا نعرف إلا القليل عن تاريخ هذه الأسرة السياسي وحسب، بل إن عدد ملوكها وترتيبهم لا يزال من الأمور التي تحتاج إلى تمحيص وإثبات. وقد لفت تاريخ هذه الأسرة أنظار علماء الآثار فترة من الزمان بصفة خاصة، وذلك على أثر العثور على خبيئة

«الدير البحري»، التي وجدت فيها موميات عدد عظيم من ملوك الدولة الحديثة، وقد كان الفضل في إخفاء موميات هؤلاء الفراعنة يرجع إلى إصلاح الكهنة العظام «لآمون»، الذين عاشوا في عهد الأسرة الواحدة والعشرين، فقد جمعوا هذه الموميات وأعادوا إصلاح ما هُشم منها، وبعد أن حاولوا عبثًا دفنها في مخابئ أخرى أودعوها في نهاية الأمر في هذا المكان الخاص إلى أن عثر عليها اللصوص المحدثون.

وقد كان لعمل هؤلاء الكهنة العظام نتيجته الحسنة في كشف النقاب عن الكثير من تاريخ هذه الأسرة الغامض، وذلك أن هؤلاء الكهنة العظام دونوا كتابات قصيرة على لفائف هؤلاء الملوك وتوابيتهم التي أودعت فيها مومياتهم، وتدل هذه الكتابات على مقدار عنايتهم بهذه الموميات وما عمل لها من إصلاح في أكفانها، ويرجع الفضل إلى هذه الكتابات أكثر من أي شيء آخر في الوصول إلى ترتيب هؤلاء الملوك على حسب تواريخهم، وقد قام بهذا العمل العظيم — بنجاح — العالم الأثري «مسبرو».[١]

والمطلع على أبحاث «مسبرو» في هذا الصدد وما وصل إليه، يجد أن ما كان معلومًا عن هذه الأسرة لا يخرج عن معلومات مرتبكة تدعو إلى اليأس، هذا فضلًا عن أن الحقائق التي عرفت بعد بحثه — وهي التي استخرجت من البحوث الأثرية — قد زادت في تعقيد الصورة التي وصل إليها «مسبرو» بدلًا من السير في توضيحها.

ولما كانت نقوش موميات «الدير البحري» هي أهم النقوش التي وصلت إلينا عن تاريخ هذه الأسرة، فلا عجب إذن أن نرى علماء الآثار قد قتلوها بحثًا؛ ليستخرجوا منها كل ما يمكن استخراجه عن تاريخ هذه الأسرة الغامض، ولعل الكشوف الحديثة التي عملت في منطقة «صان الحجر» توصل إلى معلومات تكشف لنا النقاب عن بعض معميات تاريخ هذه الأسرة (راجع Cerny J. E. A. Vol. 32 p. 24 ff).

حريحور



تحدثنا فيما سبق عن الخطوات التي أدت إلى اعتلاء «حريحور» عرش مصر، والظاهر أنه كان طاعنًا في السن عند توليته العرش في «طيبة»، ولا نعلم — على وجه التأكيد — المدة التي مكثها فرعونًا على مصر، ومما تجدر ملاحظته هنا أن «مانيتون» لم يذكره بين ملوك هذه الأسرة، وعلى ذلك فإن سلطانه لم يكن معترفًا به إلا في إقليم «الطوبياد»، أي في الوجه القبلي، من أسوان حتى «أسيوط»، بل يقال: إنه كان يعدُّ دائمًا تابعًا قويًّا مستقلًّا للفرعون «سمندس»، الذي كان قد اتخذ «تانيس» بالوجه البحري مقرًّا لحكمه.

وليس لدينا من عهد «حريحور» سجلات مؤرَّخة، غير النقوش التي وجدت على تابوتي «سيتي الأول» و«رعمسيس الثاني».



شكل ١: صورة الملك «حريحور» من معبد «خنسو» بالكرنك.

فقد جاء على تابوت «سيتي الأول» ما يأتي: «السنة السادسة، الشهر الثاني من فصل الزرع، اليوم السابع، وهو اليوم الذي أرسل فيه الوزير والكاهن الأكبر «لآمون رع» ملك الآلهة «حريحور»؛ ليجدد دفن الملك «من ماعت رع» (سيتي الأول) له الحياة والفلاح والصحة، ابن «رع من ماعت رع» له الحياة والفلاح والصحة، ابن رع «سيتي الأول مرنبتاح» على يد المراقب «حر-مآمن-بنع»، والضابط «بارع-بايوتت».»[١]

وجاء على تابوت «رعمسيس الثاني» ما يأتي: السنة السادسة، الشهر الثالث، الفصل الثاني، اليوم الخامس عشر، وهو اليوم الذي عندما أرسل الشريف … الكاهن الأكبر «لآمون رع» ملك الآلهة «حريحور». (راجع الكتابة الهيراطيقية التي على تابوت «رعمسيس الثاني»).[٢]

وقد وجد اسمه كذلك — بوصفه كاهنًا أكبر «لآمون» — على تمثال في صورة «بولهول» عثر عليه في معبد «موت» الذي أصلحه، كما يدل النقش الذي جاء على هذا التمثال: «التجديدات التي عملها الكاهن الأكبر «لآمون حريحور».»[٣]

وفي «متحف ليدن» توجد لوحة باسم «حريحور» وزوجه «نزمت»، جاء عليها ذكره بوصفه القائد الأكبر للجيش، والكاهن الأكبر «لآمون رع»، ملك الآلهة «حريحور» المرحوم. وقد مثل «حريحور» وزوجه «نزمت» على هذه اللوحة وهما يتعبدان للإله «أوزير»، والبقرة «حتحور» خارجة من الجبل الغربي المقدس.[٤]

وجاء ذكر «حريحور» على ورقة «نزمت» الجنازية الموجودة بمتحف «اللوفر».

(راجع A. Z. XVI (1878) p.29).

وتوجد في «متحف القاهرة» آنية من الفخار المطلي عليها اسمه.[٥]

(١) أسرة الفرعون «حريحور»

زوجة «نزمت»

(١) وجد اسمها بمعبد «خنسو» على الجدار الأيسر للقاعة التي قبل المحراب.[٦]

ويلاحظ هنا أن «نزمت» كانت تسير على رأس أولاد «حريحور» فهي إذن أمهم، وليست بوالدة «حريحور» كما يظن البعض.[٧]

(٢) ووجد اسمها في «لوحة ليدن» السابقة الذكر. وقد صوِّرت هي وزوجها وكثير من أولادها.

(٣) وقد وجد لها تابوتان متداخلان في خبيئة «الدير البحري»، وكل منهما من الخشب المشغول المرصع بالخزف المطلي، وتحيط بالصندوق ورقة من الذهب عدا لباس الرأس وبعض التفاصيل. وقد صنعت الحروف الهيروغليفية والجزء الهام من زينته من الحجر الجميل ومن عجينة الزجاج المرصعة بالذهب، ويتألف من الزينة كلها منظر خلاب غني بالزخرفة التي لا يكاد يتصوَّرها الإنسان. ولكن مما يؤسف له أن ما على التابوت من ذهب قد انتزع بالكشط، ولم يبقَ من الزينة إلا قطع بدائية. وهذا التخريب قد حدث في الأزمان القديمة، يدل على ذلك منظر الخشب والعناية التي بها احترم اللصوص الكتابات والصور المقدسة، وابتعادهم عن المساس بها. فقد اكتفى اللصوص القدامى بنزع الجعارين الكبيرة التي كانت على الصدر. وتدل الكتابة التي على الصندوق على أن صاحبته الملكة «نزمت» كانت رئيسة الحريم الكبرى للإله «آمون» ملك الآلهة، والأم الملكية ربة الأرضين «نزمت»، ويبلغ طول موميتها ١٫٦٥ متر، وجدت مزملة، وعثر عليها اللصوص المحدثون، كما تُبرهن على ذلك اللفائف والبردية التي انتزعت منها، ثم بيعت أجزاؤها على ثلاث مرات. والجزء الأول منها موجود في «إنجلترا»، والثاني في «بافاريا» من أعمال ألمانيا،

والأخير في «متحف اللوفر». ويقال: إن الأصل كان في يد ترجمان سوري حصل عليه في «الأقصر».[٨]



شكل ٢: مومية الملكة «نزمت».

وقد لاحظ «نافيل» أن اسم الملكة «نزمت» موضوع في طغراء، وأن اسم «حتحور» لم يوضع في طغراء؛ ولذلك ظن أنها والدته، وأنها من دم ملكي، ولكن شواهد الأحوال — كما ذكرنا — أثبتت غير ذلك، (راجع (A. Z. (1878) p. 29–32) وتوجد في «برلين» ورقة كتب عليها اسمها بالخط الهيراطيقي.[٩] وقد اشتريت في «طيبة» ونشرها «إرمان».[١٠]

وممومية هذه الملكة تعد أول مومية في عهد الأسرة الواحدة والعشرين حنطت بطريقة خاصة تختلف عن التحنيط الذي كان يعمل في العصر السابق، إذ قد بدأ المحنط في خلال هذه الأسرة يعمل على حفظ كيان الجثة بكل الطرق حتى لا تشوه معالمها ولا تذهب عنها ملامحها ونضرتها، التي كانت تتمتع بها في الحياة الدنيا، كما سنتحدث عن ذلك فيما بعد (راجع Elleot Smith & Dawsen Egyptian Mummies 102 ff).

أولاد «حريحور»

كانت أسرة «حريحور» وزوجه «نزمت» كثيرة العدد. والصورة التي في معبد «خنسو» يُشاهد عليها سلسلة من الذكور والإناث. وقد بلغ عدد الذكور ثمانية عشر، وعدد الإناث تسع عشرة، غير أن معظمهم قد مُحي بكل أسف. وهاك بعض الأسماء الباقية:

(١) أكبر الذكور يدعى «بيعنخي» ويحمل الألقاب: ابن الملك من جسده، محبوبه، ومدير البيت العظيم «لآمون»، وكاهن الإلهة «موت»، وكاهن الإله «خنسو»، والمشرف على جبل رب الأرضين، والمقدم «بيعنخي».[١١]

(٢) «برع-آمن-ني-آمن»، ويحمل لقب: ابن الملك من جسده الكاهن الرابع ... وكاهن الإله «أنحور» في ...

(٣) «بانفر» ... ويحمل لقب: ابن الملك من جسده، والمشرف ... «لآمون رع»، ملك الآلهة «بانفر».

(٤) «مريف-أنف-آمون» (؟) ابن الملك من جسده.

(٥) «أمن حرو نأمف»: ابن الملك من جسده.

(٦) «تخوي» (؟): ابن الملك من جسده.

(٧) «ماساهرتا»: ابن الملك من جسده.

(٨) «ماساقهرتا»: ابن الملك من جسده.

(٩) «با-شد-خنسو»: ابن الملك من جسده.

والأسماء رقم (١٠، ١١، ١٢، ١٣) مُحيت.

(١٤) «باك نتري»: ابن الملك من جسده.

والاسمان (١٥، ١٦) قد مُحيا.

(١٧) «رود-أمنتي» (؟): ابن الملك من جسده.

(١٨) «نسي-يا-نفر-حر»: ابن الملك من جسده، والكاهن والد الإله «لآمون». وكذلك يحمل لقب «كاهن آمون» ورئيس كتاب معبد «آمون» ... إلخ.[١٢]

ويلاحظ في الموكب الذي في معبد «خنسو» حيث مثلت أسرة الفرعون أنه يوجد ما لا يقل عن تسع عشرة سيدة تحمل كل منهن في يدها صاجات وزهرة، والخمس الأوليات منهن مشفوعات بمتون غير أنها هشمت تمامًا ولم يبقَ إلا جزء من نقوش الابنة الأولى.[١٣]

وقد جاء ذكر تابوت «حريحور» وموميته في كتاب «فلندرز بتري» عن تاريخ مصر.[١٤] وكذلك جاء ذكر هذا البناء على لسان «مسبرو».[١٥]

والواقع أن ما ذكره كل من هذين المؤرخين يشير إلى تابوت ومومية الملكة «نزمت» زوج «حريحور»، وهما اللذان عثر عليهما في خبيئة «الدير البحري»، ولا نعرف شيئًا مطلقًا عن موميته ولا عن تابوته.

وسنذكر هنا أولًا الكهنة العظام «لآمون»، الذين كانوا يسيطرون على مصر العليا، ثم نذكر بعد ذلك الملوك الذين كانوا يحكمون في «تانيس». وسنضع أولًا قائمة بأسماء الملوك الذين حكموا في «تانيس» والكهنة العظام الذين كانوا في «طيبة»، وقد استنبطت هذه القائمة من الكتابات التي وجدت على لفائف موميات الملوك والكهنة. ومما يؤسف له جد الأسف أن أسماء الملوك لم تذكر في كثير من الأحوال.

قائمة بأسماء الملوك الذين حكموا في «تانيس» والكهنة العظام الذين كانوا في «طيبة».

أسماء الملوك	مدة الحكم		التاريخ التقريبي	الكهنة العظام
	مانيتون	الآثار		
(١) سمندس	٢٦		١٠٨٥–١٠٥٤	(١) «حريحور» (مغتصب)
(٢) بسوسنس	٤١	١٧+ س		(٢) «بيعنخي»
(٣) نفرشرس (نفركارع)*	٤		١٠٥٤–١٠٠٩	(٣) بينوزم الذي صار فيما بعد الملك «بينوزم الأول»
(٤) بينوزم الأول		١٦+ س		(٤) «ماساهرتا» (٥) «منخبر رع»

أسماء الملوك	مدة الحكم		التاريخ التقريبي	الكهنة العظام
	مانيتون	الآثار		
(٥) أمنوفتيس	٩	٤٩ (؟)	١٠٠٩–١٠٠٠	(٦) «سمندس»
(٦) أوسوخور بسيناخي	٦ = ٩ «سيآمون»	+١٧ س	١٠٠٠–٩٨٤	(٧) «بينوزم الثاني»
(٧) بسوسنس الثاني	٣٥	+ ١٢ س	٩٨٤–٩٥٠	(٨) «بسوسنس»

* وترتيبه على حسب بحث «جردزلوف» يأتي بعد «سمندس» مباشرة.

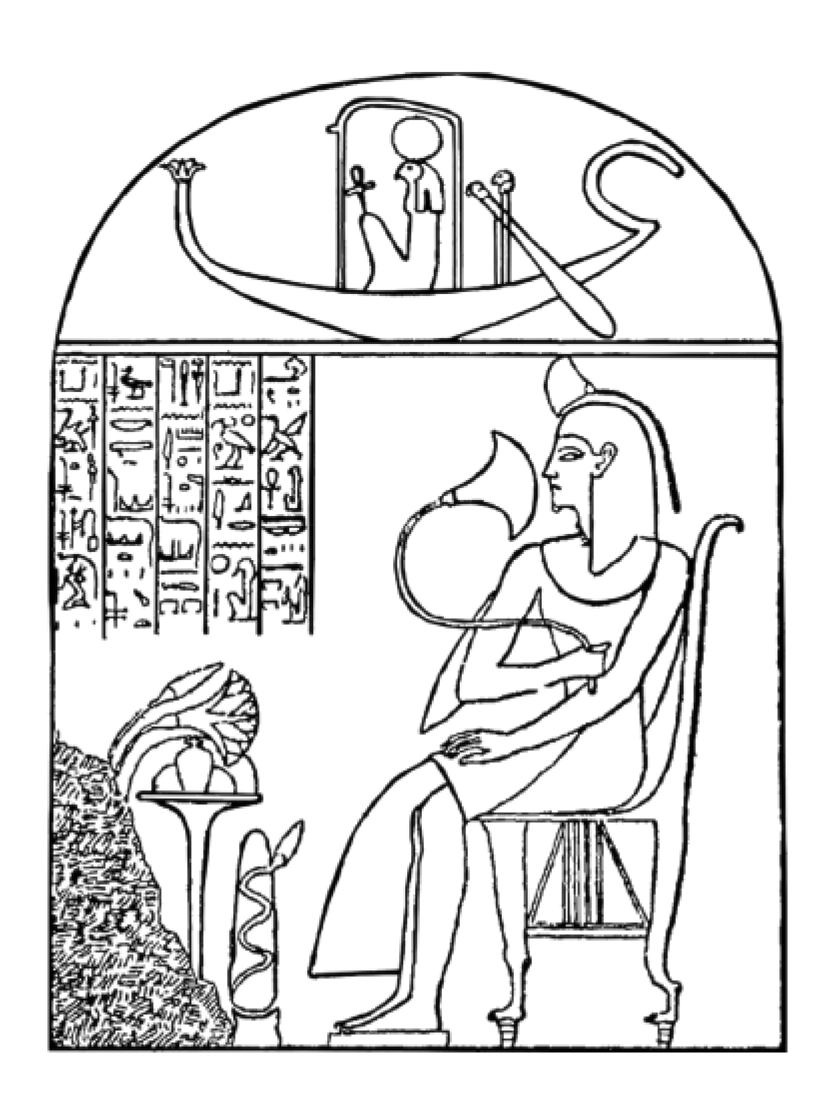
وإذا ألقينا نظرة فاحصة على هذه القائمة، وجدنا أن الآثار لا تسعفنا كثيرًا عن حكم هؤلاء الملوك والكهنة العظام، وأن التواريخ التي ذكرها «مانيتون» لملوك هذه الأسرة تقدَّر بنحو ١٢٤ سنة على حسب تقدير «أفريكانوس»، وحوالي ١٣٠ سنة حسب تقدير «يوزيب». وقد قدر «برستد» حكم هذه الأسرة بما لا يقل عن ١٤٥ سنة. وعلى أية حال فإن تاريخ الأسرة لا يزال معقدًا لقلة المصادر الحاسمة في ذلك، هذا إذا استثنينا الملك «نفر كارع»، الذي كُشف عن اسمه حديثًا، وجعل ترتيبه العالم «جردزلوف الثاني» بدلًا من الثالث.

الكاهن الأكبر بيعنخي

تدل شواهد الأحوال على أنه على أثر وفاة «حريحور»، لم يكن في مقدور أسرته أن تحافظ على تاج الملك. ويظهر أن «سمندس»، الذي كان يحكم في «الدلتا» قد أصبح ملكًا على البلاد جميعها، كما سنرى بعد. غير أننا نجد أن وظيفة الكاهن الأكبر «لآمون» كانت في يد «بيعنخي»، ولم يكن يحمل لقب الملك مثل والده، ومع ذلك تدل النقوش على أنه كان هناك شبه رابطة بين شطري المملكة، كما سيتضح لنا هذا بعد؛ وكما قلنا من قبل: لا نعرف إلا النزر اليسير عن ملوك «تانيس»، وإلا ما كُشف عنه حديثًا وهو قليل في ذاته؛ وذلك لأن الآثار لم تكشف لنا عن كل أسماء ملوكها، ونجد صعوبة في ترتيب الملوك الذين عرفناهم فعلًا. وقد كانت دائرة نفوذهم تمتد جنوبًا حتى «أسيوط»، ولكن سيادتهم كان معترفًا بها في جنوب الوادي حتى «بلاد النوبة»، وقد كان ملوك «تانيس» يحافظون على بقاء سلطانهم بقوة وشدة، حتى إنه كان في مقدورهم — في حالات كثيرة — طرد كهنة «آمون» وإعادة سلطانهم — ولو إلى زمن قصير — في كل البلاد وجمع شملها. وكان يكفيهم للحصول على ذلك أن يستولوا على رياسة الكهانة في «طيبة» بتعيين فرد من أسرتهم، وهذا هو نفس ما كان يحدث أحيانًا، عندما يخلو كرسي رياسة الكهنة، ولكن ذلك كان لا يمكث إلا فترة قصيرة. وقد كان ملوك «تانيس» يتخلون عن كرسي الكهانة بعد زمن قصير مفضلين أن يُملأ بأحد أعضاء أسرة «حريحور»، الذين كان لهم حق وراثته.

والظاهر أن العادات والشعائر الدينية قد جعلت من الضروري وجود وظيفة الملك والكاهن معًا جنبًا لجنب. ويحتوى الكتاب الأول من مؤلف «ديدور» على صورة عن حياة الملوك (Didoros I, 70, 71) وهي بالإضافة إلى المعلومات التي جاءت في كتاب «هكاته الأبدري» الذي فُقد، والأسطورة التاريخية التي كتبها الأخير في هذا الصدد، وقد بقيت لنا، يظهر أنها قد أُلفت من معلومات أخذت عن مصادر طيبية. وإذا قرنت ما جاء فيها بالنقوش التي على الآثار وشعائر الأحفال الخاصة «بآمون»، دلت على أن الوصف المثالي الذي جاء في هذا المؤلف الخاص بحياة

الملوك هو تكرار الخصائص الهامة بحياة الكهنة العظام الطيبيين والنوبيين. وعلى ذلك فإن معظم التفاصيل الدقيقة التي نجدها هناك تنطبق على الكهنة العظام لا على الفراعنة بالمعنى الحقيقي.



شكل ١: لوحة الكاهن الأكبر «بيعنخي» (من العرابة المدفونة).

والواقع أن واجبات الكهنة العظام قد أصبحت معقدة جدًّا في عهد سيادة «طيبة»، وقد كانت التفاصيل الدقيقة التي لا بد من مراعاتها عند أدائها تشغل كل حياة الأشخاص الذين وهبوا حياتهم لإنجازها والقيام بأدائها. فقد كان عليهم أن يؤدوا شعائر يومية عديدة موزعة على ساعات النهار

والليل المختلفة بطريقة لا تترك مجالًا للقيام بأي عمل آخر جديد دون أن يُغير على الوقت المخصص لراحة الجسم وحاجياته. فقد كان الكاهن الأكبر يستيقظ كل صباح في ساعة معينة، وكانت له أوقات خاصة لتناول طعامه ورياضته، وللمقابلات، ولإقامة العدل، ولمباشرة الأمور الدنيوية، وللراحة مع زوجاته وأولاده. وفي أثناء الليل كان يظل مستيقظًا أو يقوم في فترات؛ ليحضر الأحفال المختلفة التي كانت لا تؤدَّى إلا عند شروق الشمس. فقد كان مكلفًا بملاحظة كهنة «آمون» في الأعياد التي يخطئها العدُّ، وهي التي كانت تقام للآلهة، وكان لزامًا عليه أن يحضرها إلا إذا كان ثمة عذر شرعي قهري. ومن كل ذلك يتضح أنه كان من المستحيل على ملك غير ديني مثل ملك «تانيس» أن يخضع لمثل هذه القيود إلا إلى حد معلوم. ولا غرابة إذا نفد صبره أحيانًا، كما أن عدم التمرُّن كان يؤدِّي إلى ارتكاب أخطاء أو ترك أشياء؛ مما يجعل الشعائر تفقد قيمتها. ولا شك في أن الأمور الدنيوية الخاصة بملكه — وبخاصة الإدارة الداخلية، والعدالة، والمالية، والتجارة، وشئون الحرب — كانت كلها تتطلب منه وقتًا كبيرًا حتى إنه كان يضطر — بأسرع ما يمكن — إلى أن يجد لنفسه نائبًا يؤدي واجباته الدينية. ومن ثم نرى أن مقتضيات الأحوال حتمت بقاء الكهنة العظام الطيبيين بجانب ملوكهم فراعنة «تانيس».

والواقع أنهم كانوا مناهضين خطرين بما لديهم من ثروة وإقطاعات، وبسلطانهم الشاسع الذي كانوا يتمتعون به في مصر وبلاد النوبة، وفي كل المقاطعات التي كانت ميولها الدينية مع الإله «آمون»؛ ولذلك فإن «سمندس» لم يقف في وجه «حريحور»، عندما استولى على وظيفة الكاهن الأكبر، وأعلن نفسه فرعونًا على البلاد، بل على العكس أظهر له الولاء والودَّ.

وتدل شواهد الأحوال على أن هذا النزول كان شخصيًّا «لحريحور»؛ إذ نرى أن ابنه «بيعنخي» لم يرث الملك، بل اكتفى بلقب «الكاهن الأكبر». وليس لدينا من آثاره غير ما ذكرنا من قبل إلا لوحة عُثر عليها في العرابة المدفونة[1] (انظر الشكل ١). وقد لقب فيها: حامل المروحة، والكاتب، والقائد، وأمير «كوش»، ورئيس الأراضي الجنوبية، والكاهن الأكبر «لآمون»، ورئيس الغلال،

ورئيس الرماة. وقد مثل «بيعنخي» على هذه اللوحة جالسًا على كرسيه وفي يده زهرة يشمها، وعلى رأسه أخرى، وقد وضع أمامه مائدة عليها قربان وأزهار. وأمام وجهه نُقشت ألقابه السالفة الذكر. وفي الجزء المستدير من اللوحة رسم قارب الشمس، ونصب في وسطه محراب فيه صورة إله الشمس.

وقد جاء ذكره في معبد «خنسو» بوصفه رئيس كهنة «آمون» ملك الآلهة.[٢] وذكر في معبد «الأقصر» في ردهة التماثيل بوصفه الكاهن الأول «لآمون» ملك الآلهة، ومبعوث الأرضين، والمقدم «بيعنخي».[٣]

والظاهر أنه لم يمارس وظائفه الدينية التي منحها إياه والده إلا مدة قصيرة، والآثار التي وصلت إلينا من عهده قليلة جدًّا. على أننا نجد اسمه بوجه خاص على آثار ابنه الأكبر الكاهن الأكبر «بينوزم» الذي أصبح ملكًا فيما بعد، وهو لا يحمل في هذه كذلك إلا لقب «الكاهن الأكبر».

ولم نجد له آثارًا قام بإنشائها في معبد «خنسو» أو غيره، ولم يذكر إلا بوصفه والد «بينوزم» الكاهن الأكبر والملك.

وقد وجد اسمه على كفن «رعمسيس الثالث» مما يدل على أنه قد أصلحه.[٤]

ووجد اسمه على تمثال من البازلت في خبيئة «الكرنك» باسم «بينوزم» ابن «بيعنخي».[٥]

الورقة رقم (١٠٤١٧) بالمتحف البريطاني (وهي خاصة بالوحي): (راجع J. E. A. Vol. 12 p. 184 ff). ولدينا ورقة من عصر هذا الكاهن الأكبر ذُكر فيها بوصفه قائدًا. وقد كتبت في صورة خطاب جاء فيه: كاتب الجبانة العظيم الفاخر «تحتمس» (يكتب) إلى الكاهن الملك (المؤله) «أمنحتب» — له الحياة والفلاح والصحة «أمنحتب» — في حياة وفلاح وصحة! إني أقول «لآمون رع-حوراختي» عندما يشرق، وعندما يغيب، و«لآمون نست-تاوي»، وإلى «أمنحتب» له الحياة والفلاح والصحة. وإلى «نفرتاري» لها الحياة والفلاح والصحة، وإلى «آمون خنم حح»

وتاسوعه، ليمنحوك الحياة والفلاح والصحة، وشيخوخة عظيمة وخطوات عديدة جدًّا في حضرة «آمون رع» ملك الآلهة، وفي حضرة القائد سيدك، ويعيدك «آمون نست-تاوي» بسلام، وأن نضمك إلى حضننا كل يوم.

وبعد: إني أفهم كل الأمور التي كتبت لي عنها، أما قولك: اعتن بالكاتب «بوتهاي آمون» ومغنية «آمون» ملك الآلهة «شد متي» والصبية، هكذا تقول أنت فإن كل شيء طيب من جهتهم، وإنهم أحياء اليوم، أما الغد ففي يد الله، وإنك أنت الذي تشتاق إلى رؤيته، وإني أقول «لآمون رع» ملك الآلهة: ليته يمنحك حظوة في حضرة القائد سيدك، وأن يرجعك «آمون» سالمًا، وأن أضمك سالمًا في حضني.

تأمل … «آمون نست-تاوي» ينجيك، وإنك خادمه، وإني أضعك أمام «أمنحتب» له الحياة والفلاح والصحة عند كل احتفال به. وإني سأحميك وإني سأرجعك سالمًا، وستملأ عينك بالردهة (أي المعبد الذي فيه «أمنحتب»). هكذا تكلم (أي الإله) وقد أرسلت إليك لأعلمك. أرجو أن تكون صحتك طيبة، ولا تقطع أخبارك عني بأحوالك بوساطة أي شخص يكون آتيًا إلى الجنوب حتى يصير قلبنا (مطمئنًّا) (؟).

حاشية لكاتب الجبانة «ثاررى»: «لا تنشغل على «بنت حمشري» فهي في صحة، ولم يصبها أي ضرر.»

وهذا الخطاب على ما يظهر هو أحد عدة خطابات من عهد الأسرة الواحدة والعشرين، ولا بد أنها وجدت كلها معًا ضمن لقية واحدة.

وهذه الخطابات مبعثرة في متاحف أوروبا، وقد قام الأستاذ «سبيجلبرج» بنشر عدد منها في كتاب خاص سماه «مراسلات خاصة بزمن الكهنة الملوك»[٦] وتشمل أربعة خطابات كتبها الكاتب «تحتمس» الذي نحن بصدده الآن. وقد جاء في هذه الخطابات وغيرها من التي في هذه المجموعة

ذكر أسماء الأشخاص الذين جاءوا في هذه الخطابات. إلا اسم الكاهن «أمنحتب» الذي وجه إليه الخطاب، والذي كان في الدلتا وقتئذ، كما هو مشار إليه في السطر ٦ و٧، أو كان على الحدود الشمالية الشرقية لمصر. ومن المحتمل أنه كان على سفر من «طيبة» لعمل خاص بممتلكات المعبد، أو كان في حملة حربية يحمل رمزًا مقدَّسًا، ويحتمل أن يكون ذلك تمثالًا صغيرًا للإله «أمنحتب». وذكر كلمة قائد تجعل هذا الرأي الأخير محتملًا.

والقائد الذي ذكر في السطرين ٦، ٧ هو الأمير «بيعنخي» بن الملك «حريحور»، وهذا الخطاب له أهمية من حيث الوحي، وبخاصة العبارة التالية: «إني أضعك أمام «أمنحتب» عند كل احتفال له، وإني سأحميك، وإني سأرجعك سالمًا، وإنك ستملأ عينك بالردهة.» هكذا يقول. وهذه الكلمات لا تعني إلا أنه عندما كان يحمل تمثال عبادة هذا الإله في حفل خلال أعياده أحضر «تحتمس» بطريقة ما صاحبه الغائب إلى ملاحظة الإله، وبخاصة أنه كاهنه، وأن الإله عندئذ كان يجيب على لسان أحد المستخدمين من أتباعه. وقد لاحظنا من قبل أن «أمنحتب» صاحب الردهة هو اسم شكل خاص لهذا الإله. وبدهي أن تمثال العبادة هذا كان يقوم على خدمته صاحب «تحتمس» الذي كان كاهنه.

وإنه لمن المهم أن نعرف الطريقة التي كانت متبعة في تقديم هذا الملتمس للإله، واستعمال كلمة «يضع تحت» توحي بأن «تحتمس» قد وضع شيئًا أمام التمثال بدلًا من أنه خاطب الإله بالكلام. ومن المحتمل أنه كتب شكوى قصيرة تحوي اسم صاحبه على إستراكون، أو على قطعة بردي صغيرة كانت تقدم لهذا الإله بمناسبة وقوفه في محطة خلال الاحتفال بالعيد، ومن الجائز أن هذه كانت عادة متبعة، وأن عددًا كبيرًا من هذه الشكاوى كانت تقدم له معًا في خلال ذلك (راجع عن الوحي A. S. XLII p. 239 ff; & Ibid XXXVI p. 187).

أسرة «بيعنخي»

لم نعرف حتى الآن اسم زوج «بيعنخي»، ويعتقد الأستاذ «بتري» أن زوجه هي الملكة «حنت تاوي» التي نعرف آثارها الكثيرة (راجع Petrie, Hist III, 203–205). غير أن براهينه على ذلك غير مقنعة، كما يقول «جوتييه». (L. R. III, p. 242 Note 1) الذي يعتقد مثل «مسبرو» أن «حنت تاوي» كانت زوج «بينوزم الأول». ويقول: إنه من الصعب أن كاهنًا أكبر لم يحمل قط الألقاب الملكية يتزوَّج من ملكة.

(١) وأكبر أولاد «بيعنخي» هو «بينوزم» الذي تولى رياسة الكهانة أولًا ثم عرش الملك فيما بعد.

والآثار التي تحدثنا عن نسبة «بينوزم» لأبيه كثيرة جدًّا نذكر منها واحدًا بمعبد «الأقصر»: الأمير رئيس الأرضين، الكاهن الأول «لآمون» ملك الآلهة «بينوزم» المرحوم (راجع Daressy Rec. Trav. XIN (1892) p. 32).

(٢) «حقا-نفر»: ويلقب: ابنه الكاهن الثاني «حقا-نفر» (Daressy Ibid).

(٣) «حقا-عا»: ويلقب: ابنه الكاهن «ستم» في معبد الملك (Ibid).

(٤) «عنخف (ني) موت»: ويلقب: ابنه مدير الماشية، والمدير العظيم لبيت «آمون»، وكاهن الإلهة «موت» (Ibid).

ولا نعرف «لبيعنخي» إلا ابنة واحدة، وهي ربة البيت، ومغنية «آمون رع» ملك الآلهة.

«فايت عات-ني موت»: وقد وجد اسمها هذا على لفائف الفرعون «رعمسيس الثالث»، كما سنرى بعد (راجع Br. A. R. IV § 641).

• الكاهن الأكبر بينوزم

تدل شواهد الأحوال على أن الكاهن الأكبر «بينوزم» بكر أولاد الكاهن الأكبر «بيعنخي» قد قام بنفس الدور الذي قالم به جده «حريحور»؛ فقد كان في بادئ الأمر يحمل لقب الكاهن «لآمون» في «طيبة»، ثم تزوَّج بعد ذلك من بنت الملك «بسوسنس الأول»، وأصبح فيما بعد ملكًا على البلاد بعد موت حميه. عندئذ نزل عن لقب الكاهن الأكبر لابنه الأكبر كما فعل من قبله «حريحور» مع ابنه «بيعنخي».

وقد عاصر الكاهن الأكبر «بينوزم» الفرعون «بسوسنس» (باسبنخعنوت) ثم تولى بعده حكم البلاد بوصفه ملكًا على مصر.

وكان لهذا الكاهن الأكبر نشاط عظيم قبل توليته عرش الملك، حتى إنه كاد يكون مستقلًّا عن عرش الفراعنة في «تانيس»، إذ الواقع أنه كان يجمع في يده السلطة العليا الدينية في البلاد، كما كان يحمل لقب الوزير، ورئيس الجيش، وبذلك جمع بين السلطتين الدينية والإدارية.

وقد أنجز «بينوزم» بعض أعماله وإصلاحاته في المدة التي كان فيها رئيسًا للكهنة في عهد الملك «بسوسنس الأول»، وأنجز البعض الآخر خلال المدة التي كان فيها فرعونًا على البلاد. هذا ولدينا بعض أعمال قام بها ليست مؤرخة. وتنحصر أعماله في التعمير فيما يأتي: (١) إصلاحات في معبد «الكرنك». (٢) إصلاحات في مدينة «هابو». (٣) إتمام الأجزاء التي لم تكن قد تمت في معبد «خنسو».

ففي معبد «الكرنك» لا نجد إلا إشارة مبهمة كررت على تماثيل الكباش التي أقامها «رعمسيس الثاني»، وهي التي نصبت على الطريق الذي يربط واجهة معبد «الكرنك» بالنهر: الكاهن الأكبر «لآمون» ملك الآلهة، سيد القربان «بينوزم» المنتصر، ابن «بيعنخي» المظفر يقول: إني عظيم

الآثار، ومعجزاتي هائلة، وإني سيد منتصر، ولقد توسعت في الآثار لدرجة أعظم من كل الآلهة (الملوك) وصنعت آثارًا عظيمة من الفضة والذهب محفورة باسمي.[١]



شكل ١: الكاهن الأكبر «بينوزم» (؟) الأسرة الواحدة والعشرون.

وكذلك قام «بينوزم» ببعض إصلاحات في معبد الأسرة الثامنة عشرة القائم بمدينة «هابو». وقد ترك لنا النقش التالي على الجانب الشرقي من الجهة الشمالية: «يعيش الإله الطيب ابن «آمون» الذي خرج من جسده ليمد الأرضين، ومن غدته الإلهة «موت» لنحت تماثيل الآلهة؛ وليقيم محاريبهم، وهو صانع الإنعامات لكل آلهة «طيبة» في حين كانت قلوبهم مسرورة بما فعله، وألبابهم فرحة. الكاهن الأكبر «لآمون رع» ملك الآلهة، عمدة المدينة، والقائد الأعلى للجيش في الجنوب والشمال مرضيًّا … «بينوزم» المنتصر، ابن الكاهن الأكبر «لآمون» … «بيعنخي» المرحوم. لقد أصلح أثر والده «آمون رع» صاحب العرش الفاخر، عندما أتى ليرى بيت والده ووجد أنه قد أخذ في التداعي … لكي يصلح معبده وجاره من جديد … وقلب كل الآلهة والإلهات؛ لكي يحفظ … المقدس … التابع لإقليم «ثاموت» (اسم مدينة «هابو») وليجعل القصر مثل أفق السماء …» (راجع L. D. III, Text 164 & Br. A. R. Vol. IV, § 634).

أما في معبد «خنسو» فإن «بينوزم» قد استمر في تكملة الأجزاء التي لم تكن قد تمت فيه بعد، وبخاصة البوَّابة التي أقامها جده «حريحور». وقد ترك لنا النقش التالي عن هذا العمل: (راجع Br. A. R. IV § 632 ff; L. D. III, 251 a) «يعيش الكاهن الأكبر «لآمون رع» ملك الآلهة، سيد القربان، «بينوزم» المنتصر ابن الكاهن الأكبر «لآمون» … «بيعنخي» المرحوم. لقد عمله بمثابة أثر لوالده «خنسو» في «طيبة» — المأوى الجميل — فأقام له بوَّابة عظيمة فاخرة أمام معبده، وقضبانًا أعلامها تبلغ عنان السماء، وأطرافها من «السام»، وكل الناس يفرحون عند رؤيتها.»

وفي نقش آخر (Ibid 251 b): «فأقام له بوَّابة عظيمة جدًّا من جديد تماثل الأفق في السماء. وكان الآلهة العظام يتملكهم الفرح وانشراح الصدر لما فعله في البيت العظيم؛ ولذلك منحوا ملايين السنين من الحياة الراضية للكاهن الأكبر «لآمون» … إلخ.»

وعلى باب البوَّابة الأولى نقرأ:[٢] «يعيش «حور» الثور القوي، ابن «آمون» ملك الوجه القبلي والوجه البحري، مرضي الآلهة، وفاعل الخير لحضرتهم، الكاهن الأكبر «لآمون رع» ملك الآلهة «بينوزم» المنتصر، ابن «بيعنخي» المرحوم. لقد عمله بمثابة أثر لوالده «خنسو» فأقام له بوَّابة من جديد.»

وعلى مدخل البوَّابة لمبعد «خنسو» (راجع L. D. III 250 a) يشاهد كاهن واقفًا أمام «آمون» يقدم أزهارًا، وخلف الإله «آمون» تقف الإلهة «موت» زوجه، ثم ابنه «خنسو»، وصورة المتعبدة الإلهية «ماعت كارع»، وقد حشرتها هنا الملكة «حنت-تاوي». ومع هذا المنظر النقش التالي:

فوق صورة الكاهن: تقديم الأزهار الجميلة من الكاهن الأكبر «لآمون رع» ملك الآلهة وهو بذلك يفعل الخيرات … «بينوزم» المنتصر ابن الكاهن الأكبر «بيعنخي» المرحوم، والذي يعمل ما يسر حضرته، وبانيًا معابد كل الآلهة، وناحتًا تماثيل جلالتهم من السام، وهو الذي يورد مؤنهم.

فوق صورة «آمون»: كلام «آمون» … يا بني الذي من جسدي، يا محبوبي سيد الأرضين «بينوزم» (الاسم لم يوضع في طغراء) المنتصر. لقد رأيت الآثار التي أقمتها لي، وإن قلبي لمنشرح بسببها، وإنك تجعل بيتي في عيد من جديد، وإنك تبني مثواي من السام، وإنك تزيد في القربات اليومية، وإنك تضاعف ما كان من قبل. والمكافأة على ذلك هي الحياة الرضية «لحور».

ويوجد تمثال صقر «بمتحف القاهرة» عثر عليه في خبيئة «الكرنك»، كتب عليه اسم «بينوزم» بوصفه الكاهن الأكبر «لآمون» بن «بيعنخي».[٣]

وفي «الحيبة» وجدت لبنات عليها اسم هذا الكاهن الأكبر.[٤]

هذا إلى صندوقين من التماثيل المجيبة باسمه، وهو كاهن أكبر.[٥]

(١) «بينوزم» وموميات الفراعنة

لقد وجه الكاهن الأكبر «بينوزم» عناية خاصة لإصلاح ما لحق بالموميات الملكية من تهشيم وتنكيل وعبث. وقد تحدثنا طويلًا فيما سبق عن المحاولات الإجرامية التي قام بها اللصوص في عهد فراعنة أواخر الأسرة العشرين لسرقة القبور. والواقع أن نهاب المقابر لم ينفكوا عن العبث بجثث هؤلاء الملوك، وما كان معها من ذخائر في عهد الأسرة الواحدة والعشرين، وقد حاول بعض الكهنة العظام وقف هذه الجرائم عند حدها بكل عنف وشدة، ولكن بدون جدوى، فقد ظهر لنا أن اللصوص لم يكونوا يخشون بأس أحد، إذ كانوا يقتحمون المقابر، ويسرقون ما على موميات ملوكهم وما معها من نفائس، بعد أن ينكلوا بها أفحش تنكيل، مما دعا إلى تكفينهم في أكفان جديدة، ووضعهم في توابيت غير توابيتهم التي كانت قد حرقت أو هشمت. وقد أسمت النقوش التي وضعت على هذه الأكفان والتوابيت هذه العملية «تجديد دفن الملوك»، وقد كان كل ملك يقوم بمثل هذا العمل الصالح يقيد ما فعله، إما على الكفن أو على التابوت الجديد الذي كان يصنعه. وهذه الكتابات أو المحاضر التي تركها لنا السلف هي التي سهلت علينا من جهة معرفة ترتيب تولي الملوك والكهنة العظام، الذين تحتويهم الأسرة الواحدة والعشرون، ومن جهة أخرى سهل علينا أن نتتبع تاريخ هذه الموميات إلى أن أسلمت إلى مثواها النهائي في خبيئة «الدير البحري»، وهي التي كشف عنها في الربع الأخير من القرن التاسع عشر، وكان لهذا الكشف دوي هائل في جميع بقاع العالم، كما كان له أكبر الأثر في تاريخ العالم عامة، وفي مصر خاصة.

الموميات الفرعونية التي عثر عليها في خبيئة «الدير البحري»: وقبل أن نتحدث عن الأعمال الصالحة التي قام بها «بينوزم» نحو الموميات الفرعونية، يجدر بنا أن نتحدث أولًا عن حادث الكشف عن هذه الموميات؛ لما فيه من ترويح لنفس القارئ، وكذلك لما بينه وبين السرقات التي كان يرتكبها اللصوص في الأزمان القديمة من تشابه، وبخاصة في نهاية الأسرة العشرين وبداية الأسرة الحادية والعشرين؛ وأبطال السرقات الحديثة هم أفراد أسرة «عبد الرسول»، الذين يقطنون قرية «القرنة» الحالية، وعلى رأسهم «محمد عبد الرسول» وأخواه عبد الرسول وسليمان.

في صيف سنة ١٨٧١ كشف أحد لصوص قرية «شيخ عبد القرنة»، الذين كانوا قد احترفوا سرقة الآثار مقبرة مُفْعَمة بالتوابيت الخشبية التي كُدست بعضها فوق بعض، وكانت معظم هذه التوابيت مغطاة بالطغراءات الملكية، ورسم على كل منها صورة الصل الملكي على الجبهة. وقد كان هؤلاء اللصوص الذين يحفرون القبور للاستيلاء على ما فيها يعرفون منذ زمن بعيد أن الطغراءات والأصلال التي على الجباه هي المميزات الخاصة للملوك دون سواهم. وقد كان أفراد أسرة «عبد الرسول» يحذقون حرفتهم تمامًا؛ ولذلك عرفوا لأول وهلة أن الحظ قد حباهم بخبيئة تحت الأرض مملوءة بموميات فراعنة وما معها من أثاث غالٍ.

والواقع أنه لم يقع نظر إنسان في التاريخ عامة على شيء مماثل لذلك الكنز، ولكن على الرغم من عظم هذا الكنز الثمين وضخامة محتوياته، فإن استغلاله كان من الصعب، وكذا الاستفادة منه؛ فقد كانت التوابيت عديدة وثقيلة الحمل، ولم يكن بد من وجود عشرة عمال — على الأقل — لتحريك الواحد منها. هذا فضلًا عن أنه لم يكن لدى اللصوص منفذ للوصول إلى حجر الدفن إلا من بئر في السقف؛ ولذا كان لا بد لانتزاع محتوياتها الثمينة من نصب بكرة فوق فوهة هذه البئر. وكان هذا العمل مدعاة لكشف السر، وبذلك يفضح أمر اللصوص. وقد فكر هؤلاء اللصوص في الإباحة بالسر إلى الأشخاص المجاورين لهذا المكان ليأخذوا نصيبهم من هذا الكنز مقابل أن يكتموا الأمر، غير أنهم خافوا ألا يرضى واحد منهم بنصيبه، فيذيع السر إلى مدير المديرية، أو إلى مدير الحفائر في هذه الجهة. وقد صمم اللص على ألا يستفيد من الكنز الذي عثر عليه في الحال. وقد ساعده أحد أخويه وأخته في نزع أكفان بعض الموميات، واستخراج صندوقين أو ثلاثة مملوءة بتماثيل عجيبة وعجارين، وأواني أحشاء، وتماثيل في صورة الإله «أوزير» من الخشب الملون، ونحو ست ورقات بردية، ومجموعة من الآثار التي يمكن حملها وإخفاؤها بسهولة. وقد اقتحم جماعة اللصوص هؤلاء هذه الخبيئة ثلاث مرات في عشر سنوات. وكان ذلك في وقت المساء ولمدة ساعات معدودات، وكانت الاحتياطات قد اتخذت في كل مرة حتى لا يشك أحد في أمرهم وفي

أهمية الكنز الذي عثروا عليه. وكانوا يبيعون في كل شتاء بعض التحف التي استخرجوها للسياح. وقد كانوا ينتظرون بعض أولئك العلماء الذين كانت ترسلهم بلادهم في بعوث فيذهبون إلى «طيبة»، أو بعض السائحين الأغنياء؛ ليتسنى لهم بيع هؤلاء الملوك جملة، ويكون ممن في مقدورهم أن يحصلوا على جواز سفر يخوِّل لهم عدم تفتيشهم في الجمرك.

وعلى أية حال فإن بعض الآثار التي أمكنهم أن يتصرفوا فيها، قد وصلت إلى «أوروبا»؛ فمنذ عام ١٨٧٤ ظهرت بعض التماثيل الخشبية المغطاة بطبقة من الطلاء الأزرق الرشيق في سوق تجارة الآثار «بباريس». ويقول «مسبرو»: إن ما رآه من هذه التماثيل الصغيرة لم تكن لملوك، بل كانت تحمل لقب «خبرخع رع». وينسب هذا اللقب — على الأقل — لملكين؛ أقدمهما هو الفرعون «سنوسرت الثاني» أحد ملوك الأسرة الثانية عشرة، والثاني للملك «بينوزم» أحد ملوك الأسرة الواحدة والعشرين. وقد اشتريت الأخيرة لعدم وجود ما هو أحسن منها، ويقول «مسبرو»: «وقد لاح لي في الجو بعض أمور أثبتت لي أنه لا بد من سبب لوجود هذه التماثيل.

وفي ربيع عام ١٨٧٦ عرض عليَّ «كامبل» — وهو ضابط إنجليزي — بردية تحتوي على الشعائر الدينية الخاصة بالكاهن الأكبر «بينوزم» وقال: إنه اشتراها في طيبة بأربعمائة جنيه إنجليزي.»

وفي عام ١٨٧٧ عرض على «مسبرو» المستر «سولسي» صورة بردية طويلة خاصة بالملكة «نزمت»، والجزء الأخير منها في «متحف اللوفر» والبداية في «المتحف البريطاني» و«بافاريا» بألمانيا. ويقال: إن الأصل كان لدى ترجمان سوري اشتراه من الأقصر.[٦]

وكان مريت قد اشترى في هذه الفترة بردية من «السويس» مستخرجة من المكان نفسه، كانت قد نسخت لحساب ملكة تدعى «تي حتحور حنت تاوي».[٧] وفي عام ١٨٧٨ عرض «روجرس بك» في «باريس» لوحة من الخشب كتب عليها متن غريب في بابه جدًّا: إن الإله «آمون» قد أصدر

مرسومًا خاصًّا بالتماثيل المجيبة الموضوعة مع الأميرة «نسخنسو» (راجع Rec. Trav. II p. 13–18) وبالاختصار كان في مقدور «مسبرو» أن يؤكد أن لصوص قرية «شيخ عبد القرنة» قد عثروا على ضريح أو عدة أضرحة لمجموعة من المقابر الملكية، التي لم تعرف بعد من عهد الأسرة الواحدة والعشرين (Rec. Trav. II p. 13-14)، وقد كان من أهم أغراض «مسبرو» في الرحلة التي قام بها في أبريل سنة ١٨٨٠ هو البحث عن مصدر هذه الآثار في «طيبة»؛ على أن القيام بهذا البحث لم يكن الغرض منه القيام بعمل حفائر أو مجسات للوصول إلى المكان المعين الذي خرجت منه هذه الآثار.

ومن أجل ذلك كانت المهمة غاية في الصعوبة؛ فقد كان عليه أن ينتزع من الفلاحين، بالحيلة تارة، وبالقوة تارة أخرى، السر الذي أخفوه حتى هذا اليوم عن مصدر هذه الآثار. وقد عمل بحث طويل بصبر وأناة مع المشترين والسياح الأوروبيين أدى في بادئ الأمر إلى الوصول إلى حقيقة هامة؛ وهي أن بائعي الآثار الملكية التي ظهرت في السوق هم أسرة «عبد الرسول»، وأفرادها: عبد الرسول أحمد، وأخوه محمد عبد الرسول، وهما من قرية «شيخ عبد القرنة»، ثم «مصطفى أغا عياد» الذي كان يعمل قنصلًا لكل من «إنجلترا» و«بلجيكا» و«روسيا» بالأقصر. وقد كانت مهاجمة الأخير من الأمور الصعبة، وذلك لمركزه السياسي والامتيازات الأجنبية التي كانت يتمتع بها، وهي التي كانت تقف عقبة في سبيل القبض عليه.

وبعد أن تردَّد «مسبرو» بضعة أيام صمم على العمل بشدة ضد عبد الرسول أحمد، وأخيه محمد. وفي ١٤ أبريل أرسل «مسبرو» إلى رئيس شرطة «الأقصر» بالقبض على «عبد الرسول أحمد»، وكذلك طلب ببرقية إلى «داود باشا» مدير قنا وقتئذ، وإلى وزير الأشغال بالتصريح بعمل تحقيق سريع مع رؤساء سكان قرية «شيخ عبد القرنة». وقد قبض على «عبد الرسول أحمد» شرطيان في أثناء رجوعه من مأمورية في الجبل، وجيء به إلى البر الثاني على ظهر قارب، وقد سأله كل من «إميل بركش»، الذي كان وقتئذ أمينًا مساعدًا «بمتحف بولاق» و«روشمنتكس»

المدير الإداري المساعد للجنة أراضي «الدومين» ملك الحكومة. وقد أراد الأخير أن يساعد «مسبرو» بما لديه من تجارب، وقد أنكر «عبد الرسول أحمد» كل الحقائق التي وجهت إليه بشهادة السياح كلهم. وقد كانت التهم كلها تقع تحت طائلة القانون العثماني، وهي تحريم القيام بعمل حفائر خلسة، وبيع أوراق البردي المحرَّم بيعها، والتماثيل الجنازية، وكسر التوابيت والأشياء الفنية أو التحف التي تملكها الحكومة المصرية. وقد أجيب إلى طلبه في أن يفتش بيته عسى أن يوجد فيه ما يثبت التهمة عليه، ويجعله يخضع ويطلعنا على جلية الأمر. وقد استعمل معه اللطف والتهديد، والوعد والوعيد، والضرب وبذل العطاء له من المال، ولكن لم تنجح معه أية وسيلة. وفي اليوم السابع من شهر أبريل صدر الأمر بفتح محضر تحقيق رسمي. وقد أرسل المقبوض عليه أحد إخوته المسمى «حسين أحمد» إلى «قنا» حيث أمر المدير بإحضارهم ليعرف قضيتهم، وقد سار التحقيق بسرعة بحضور محقق المديرية ومندوب مصلحة الآثار، ومفتش «دندرة» فأسفر عن نتيجة واحدة هي ظهور شهود كثيرين في صالح المتهم، فقد أكد أعيان قرية «شيخ عبد القرنة» ومشايخها مرَّات عدة بحلف اليمين أن «عبد الرسول أحمد» رجل من أعظم الناس إخلاصًا وولاء، وليس عليه غبار، وأنه لم يقم قط بعمل حفائر خلسة، وليس في قدرته أن يسرق أي قطعة من الآثار، ومن باب أولى لا يمكنه أن ينهب قبرًا ملكيًّا. وقد لوحظ أن «عبد الرسول أحمد» يغالي في القول بأنه خادم «مصطفى أغا عياد»، وأنه يعيش في بيت هذا الرجل. وقد كان يعتقد بقوله هذا أنه يمكنه أن يرتكن على «مصطفى أغا»؛ ليحميه بوصفه قنصلًا له امتيازات خاصة، وأنه يمكن أن يصبح من رعايا «إنجلترا» و«بلجيكا» أو «روسيا». وبذلك يفلت من عقاب القانون المصري بسبب الامتيازات الأجنبية.

وتدل شواهد الأحوال على أن «مصطفى أغا» كان يغريه بذلك هو وشركاؤه في الجريمة. وبهذه الكيفية أمكنه أن يجمع في يديه كل تجارة الآثار التي كانت تستخرج من سهل «طيبة» وقتئذ. وقد أُطلق سراح «عبد الرسول أحمد» مؤقتًا بضمان اثنين من أصحابه هما: «سرور» و«إسماعيل

سيد نجيب». وقد عاد إلى قريته في أواسط شهر مايو حاملًا لواء الأمانة التي قررها له أعيان قرية «شيخ عبد القرنة» غير أن القبض عليه، وإقامته في السجن شهرين كاملين، وكذلك عنف التحقيق الذي لاقاه على يد «داود باشا» الذي أذاقه صنوف العذاب، كل ذلك أظهر له جليًّا ضعف «مصطفى أغا»، وعدم قدرته على حماية خدَّامه المخلصين له كل الإخلاص. وقد كان اللصوص يعلمون — فوق ذلك — أن «مسبرو» لن يترك الأمر عند هذا الحد، بل إنه كان سيعود في فصل الشتاء ثانية ليفحص الموضوع من جديد، وكذلك كانت المديرية في خلال ذلك تجمع المعلومات من جهتها لهذا الغرض. وفي أثناء ذلك وصل إلى المتحف بعض شكاوى مجهولة، كما وصلت بعض معلومات جديدة من الخارج عن هذه الآثار، ولكن الأمر الذي قرب كشف سر الموضوع هو الخلاف الذي دب بين أفراد أسرة «عبد الرسول»، فقد ظن بعضهم أن الخطر قد زال ولن يعود ثانية وأن مصلحة الآثار قد هُزمت، وظن البعض الآخر أنه من الحزم التفاهم مع المتحف المصري، ووَقْف رجاله على مكان الكنز، وفي الوقت نفسه ادعى «عبد الرسول أحمد» أن الشركة التي كان يرأسها كانت ملزمة بتعويض له عن الشهر الذي سجنه، هذا إلى أنه طلب أن يكون له النصف في محتويات الكنز بدلًا من الخمس الذي كان يتقاضاه حتى تلك اللحظة. وقد هدد بأنه إذا رفضت طلباته فسوف يذهب إلى إدارة الحفائر ويفشي السر.

وبعد مضي شهر في مناقشات ومشاجرات بين أفراد أسرة «عبد الرسول» رأى أكبر إخوة «عبد الرسول» المسمى «محمدًا» أن إخوانه سيخونونه بلا شك؛ ولذلك عزم على أن يكون هو البادئ بإفشاء السر، فذهب خفية إلى «قنا» في اليوم الخامس والعشرين من شهر يونيو، وأخبر المدير بأنه يعرف المكان الذي تبحث عنه الحكومة منذ مدة طويلة بدون جدوى، وطير «داود باشا» الخبر في الحال إلى وزارة الداخلية التي وضعت الرسالة بين يدي «الخديوي»، وكان «مسبرو» قد حدث «الخديوي» عن هذه المسألة بعد عودته من التحقيق من «الوجه القبلي»، وقد فطن في الحال إلى أهمية الاعتراف الذي فاه به «محمد عبد الرسول»، وأرسل في طلب معلومات أكثر

دقة، فوصلت إليه برقية أخرى في اليوم التالي لم يدع ما جاء فيها أي مجال للشك عن أهمية الكشف الجديد. وعندما عاين «داود باشا» مكان الكنز «بالقرنة» في اليوم الخامس والعشرين من شهر يونيو قال: إنه وجد أكثر من ثلاثين تابوتًا، وأشياء أخرى عديدة كالتماثيل الصغيرة وقطع المرمر. ومعظم التوابيت كانت مغطاة بالكتابات، وأن الأصلال والحلي — التي ترى في هذا المكان — تبرهن على أنه مكان ملكي، ولا يمكن أن يحصي الإنسان القطع الأثرية التي فيه دون إخراجها من بطن الأرض (ترجم الرسالة التي أرسلها «داود باشا» «أحمد كمال أفندي» الأمين المترجم بالمتحف المصري في ٢٨ يونيو سنة ١٨٨١ وكان «واسيلي بك» أمين المتحف في إجازة).

ومن جهة أخرى سافر «مسبرو» لأسباب خاصة إلى «أوروبا»، ولكنه ترك للأمين المساعد «بركش باشا» التعليمات والسلطة اللازمة للعمل. وفي اليوم السابع والعشرين من يونيو أصدر «الخديوي» أمره — عندما وصلت إليه البرقية — إلى «إميل بركش» بالذهاب إلى «طيبة» مع «تاودروس ماتافيان»، الذي عُيِّنَ منذ هذا الوقت مفتشًا لمنطقة الأهرام، و«أحمد أفندي كمال» الأمين المترجم بالمتحف المصري، و«محمد عبد الرسول» بوصفه نوتيًّا للسفينة المسماة «منشية»، وهي تابعة لإدارة الحفائر. وقد بدأت البعثة سيرها يوم الجمعة (أول يوليو) ليلًا. وعند وصول القارب يوم الاثنين الرابع من شهر يوليو إلى «قنا» بعد الظهر كان في انتظاره مفاجأة مدهشة، إذ وصل إلى «داود باشا» من «محمد عبد الرسول» مجموعة من الآثار النفيسة تشمل أواني الأحشاء الأربعة للملكة «أحمس نفرتاري»، وثلاث ورقات من البردي: الأولى للملكة «ماعت كارع»، والثانية للملكة «إستمخب»، والأخيرة للأميرة «نسخنسو»، وقد كانت الفاتحة — على ما يظهر — مشجعة لرجال المتحف، ووضع «داود باشا» تحت تصرف موظفي المتحف وكيله «محمد بك البدوي» وكثيرًا غيره من موظفي المديرية لضمان سير هذه العملية الدقيقة، فكان لمساعدتهم وسهرهم على إنجاز هذا العمل أبلغ الأثر وأعظم النتائج.

وفي اليوم السادس من يونيو قاد «محمد عبد الرسول» كلًّا من «محمد بك» وكيل المديرية، و«إميل بركش» و«أحمد أفندي كمال» و«تاودروس ماتافيان» إلى مدخل القبر، وقد كان المهندس المصري الذي رتب مدخل المقبرة قد اتخذ الاحتياطات، التي تدل على مهارته الفائقة. والواقع أن هذه الخبيئة لم يُعثر على مثلها من حيث طريقة إخفائها الغريب من الأعين. فسلسلة التلال التي تفصل هذا المكان عن «أبواب الملوك» من سهل «طيبة» تؤلف بين «العساسيف» و«وادي الملكات» من الدورانات الطبيعية تفصل الواحدة عن الأخرى حواجز يختلف سمك الواحد ما بين ثمانين ومائتى متر، ويلاحظ أن الحاجز الذي يؤدي إلى جنوب وادي «الدير البحري» يظهر في هيئة خاصة. فنشاهد أن جدار السفح قد قسم ثلاث درجات، الواحدة فوق الأخرى بارتفاعات مختلفة، وقد استعمل أقلها ارتفاعًا سنادًا لمنحدرات طويلة من الردم المغطى بالرمل الأصفر، وكان القبر الذي ثوت فيه الموميات منذ زمن بعيد جدًّا قد حفر في الجهة الشمالية الغربية من الدوران، عند المكان الذي ينفصل فيه السناد الذي يعزله من «الدير البحري»، وعمق البئر اثنا عشر مترًا وعرضها متران، وفي الداخل نجد في الجدار الغربى بابًا لممر يبلغ طوله ١٫٤٠ متر، وعرضه ٨٠ مترًا، وكان المدخل في الأصل مجهزًا بمصراعين من الخشب قد اختفيا.

وكان بعد كل إقامة احتفال يغلقه حراس الجبانة بوضع أختام من الطين عليها نقوش، وبعد مسافة ٧٫٥ أمتار ينحني الممر فجأة نحو الشمال ويستمر حوالي ستين مترًا، غير أن عرضه ليس واحدًا في كل هذه المسافة، إذ نجده أحيانًا يبلغ حوالي مترين، وأحيانًا ١٫٣٠ متر، وفي وسط المسافة نجد خمس درجات خشنة الصنع، وفي الجهة اليمنى نجد كوة لم يتم حفرها بعد، ويبلغ عمقها حوالي ثلاثة أمتار، يظهر منها أنه كان قد فكر عند الوصول إليها في تغيير اتجاه الممر، وأخيرًا نجد أن هذا الممر يؤدِّي إلى حجرة مستطيلة غير منتظمة الشكل يبلغ طولها حوالي ثمانية أمتار، وقد كانت مكدسة بالتوابيت الخشبية والموميات، وبأثاث جنازي. وقد كان يعترض الممر ويسده تابوت لوِّن بالأبيض والأصفر باسم «نبسني» على مسافة ٦٠ مترًا من المدخل، وبعد ذلك بقليل شوهد

صندوق ثقيل اتضح أنه للفرعون «سقنن رع» (تاعاقن) ويذكرنا شكله بطراز توابيت الأسرة السابعة عشرة الريشية الزينة، ثم الملكة «تي حتحور-حنت تاوي» ثم «سيتي الأول»، وبجانب ذلك شوهدت محفة من الزهور الذابلة، وصناديق تحوي تماثيل مجيبة وأواني أحشاء وأوانٍ للقربان من البرنز، وفي قعر الحجرة في الزاوية التي يؤلفها الممر في الاتجاه الشمالي نجد سرادق الملكة «إستمخب» المصنوع من الجلد. وقد وجد مطويًّا بإهمال كأنه شيء لا قيمة له، والظاهر أن الكاهن الذي وضعه بهذه الصورة كان على عجل من أمره، فألقى به بسرعة في هذا الركن. وقد كان كل الدهليز مكدسًا بنفس الكيفية التي يسودها عدم النظام؛ ولذلك كان لا بد من التقدم زحفًا على البطن ليصل الإنسان إلى مكان خالٍ يضع عليه يديه أو ركبتيه. وقد رُئيت النقوش التي على التوابيت بواسطة نور شمعة وعُرف أنها تحمل أسماء تاريخية، وعرف أن تابوت «أمنحتب الأول» وتابوت «تحتمس الثاني» موضوعان في الكوة الغربية من السلم، وتوابيت «أحمس الأول» وابنه «سيآمون» والملكة «أعح حتب» والملكة «أحمس نفرتاي» و«بينوزم» الذي كان قد بُحث عنه كثيرًا وغيرهم. وفي الحجر التي في النهاية كان تكديس التوابيت قد بلغ حده من سوء النظام، ولكن لوحظ لأول وهلة أن طراز فن الأسرة العشرين في صنع التوابيت كان هو النظام السائد، وكذلك الأسرة الواحدة والعشرون، ولقد كان النجاح عظيمًا والحظ أسعد مما كان متوقعًا بوجود هذا العدد من التوابيت، إذ كان المنتظر أن يوجد في هذه الخبيئة ملكان أو ثلاثة من صغار الفراعنة غير المشهورين، ولكن ما كان قد كشف عنه الفلاحون هو أسرات بأكملها من الفراعنة، وأي فراعنة! إنهم أشهر الفراعنة الذين حكموا مصر وأضخمهم شهرة، وهم الذين طردوا الهكسوس، وأعني «سقنن رع» و«أحمس الأول»، والفاتحين لسوريا ولبلاد «كوش» وهم «تحتمس الثالث» و«سيتي الأول» وأخيرًا «رعمسيس الثاني»، وهو الذي بقي ذكره عند اليونان باسم «سوزستريس»، كما يقول بعض المؤرخين، ولكن في الواقع كان هذا الاسم يطلق على «سنوسرت الثالث» الفاتح العظيم.

ونرى من القصة السابقة أن أسرة عبد الرسول قد حافظوا على كتمان سر هذه الخبيئة لدرجة أن سكان الأقصر وأهل قرية «شيخ عبد القرنة» قد استولت عليهم الدهشة، كما استولت على نفس الأوروبيين عندما سمعوا بعدد الموميات وأهميتها البالغة في تاريخ العالم أجمع، وقد كان خيال العامة بدأ يعلو ويقوى، إذ أخذوا يتحدثون عن وجود صناديق مملوءة بالذهب وعقود من الماس والياقوت والتعاويذ النفيسة؛ ولذلك كان لا بد إذن من العمل بسرعة لنقل هذه الآثار خوفًا من القيام بمحاولات لسرقتها بأية طريقة، أو حتى مهاجمتها والاستيلاء عليها بحد السلاح. وقد علم فيما بعد فعلًا أن أحد مشايخ القرى المجاورة قد عقد مجلسًا مع عصابة من العبابدة اتفق فيه على عبور النيل في أثناء الليل ومهاجمة عمال الآثار، ولكن يقظة «بركش» و«محمد بك» وكيل المديرية و«أحمد أفندي كمال» الأمين المساعد قد ضيعت على المتآمرين مؤامرتهم. فقد جمع وكيل المديرية مائتي فلاح وبدأ العمل بسرعة. وقد استُعجلت سفينة المتحف في الحال؛ لأنها لم تكن قد وصلت، ولكن كان المشرف على حراسة الآثار الريس «محمد عبد الرسول» الذي كان يوثق به ويعتمد عليه، وقد رابط في البئر نفسها مع الآثار، وقام باستخراج ما فيها وكان «إميل بركش» و«أحمد أفندي كمال» يتسلمان الأشياء التي تخرج من بطن البئر، ثم تحمل إلى سفح التل ويرتبانها جنبًا لجنب دون التواني لحظة واحدة وبكل يقظة، وقد استمر العمل مدة ثمانية وأربعين ساعة بجد ونشاط لإخراج كل ما في البئر، غير أن المأمورية لم تكن قد انتهى إنجاز نصفها، إذ كان لا بد من حمل هذه الكنوز مخترقين بها سهل «طيبة» الغربية إلى شاطئ النهر، ومن ثم يعبر بها إلى الأقصر، وقد كان يلزم لحمل كل تابوت من هذه التوابيت على أقل تقدير اثنا عشر أو ستة عشر رجلًا مدة سبع أو ثماني ساعات؛ لنقلها من الجبل حتى السفينة التي كانت معدة للعبور بها.

ويمكن الإنسان أن يتصوَّر بسهولة ما كان يلاقي حاملو هذه الذخائر من نصب، وبخاصة الأتربة المتصاعدة والحرارة التي كانت تنبعث في شهر يوليو من الجو. وقد كان مقدار التحف الصغيرة التي عثر عليها عظيمًا جدًّا، حتى إن بعض الذين وُكِل إليهم أمر حملها قد زاغت أبصارهم

واستيقظ جشعهم في إخفاء بعضها آملين ألا يراهم أحد، ولكن وكيل المديرية كانت عينه ساهرة، فقد اتخذ الإجراءات الحاسمة لدرجة أن كل من كان قد غرته نفسه فأخفى شيئًا أعاده، وكل ما كان قد سرق ظهر ثانية إلا سلة كانت تحتوي على خمسين تمثالًا مجيبًا من الخزف المطلي الأزرق. وأخيرًا في مساء الحادي عشر من يوليو كانت الموميات والتوابيت والأثاث الجنازي قد وصلت إلى الأقصر، وبقيت ملفوفة في حصر وفي نسيج. وبعد ثلاثة أيام من هذا التاريخ وصلت السفينة المسماة «المنشية» إلى القاهرة، ومن ثم إلى متحف بولاق تَمْخَرُ عُبَابَ النيل، وعليها حمولتها التي تشمل فراعنة مصر العظام. وقد أُغلقت البئر بعض الشيء، ولكنها فتحت ثانية في يناير سنة ١٨٨٢، وقد نزل فيها «مسبرو»، و«أميل بركش»، والرسام الأمريكي «إدوارد ولسن»[٨] ومساعده، والرئيس «محمد عبد الرسول» لفحصها نهائيًّا؛ وقد جُمِعَ من دهليزها بعض أكاليل من الأزهار وفاكهة الدوم وقطع أقمشة، وبعض قطع من تماثيل المجيبين. وكذلك فُحِصت الحجرة النهائية فحصًا دقيقًا وكانت تؤدِّي إلى الحجرة الأخرى التي تؤدِّي إلى الجبل بواسطة ممر يخرج منه الإنسان إلى وادي الملوك.

وقد نقل مسبرو وهو في قعر البئر ثلاثة نقوش مكتوبة بالمداد الأسود على جانبي الباب واحد منها على اليمين، والآخران على اليسار، فالنقش الذي على اليمين وهو أقدمها يرجع تاريخه للسنة الخامسة لملك لم يذكر اسمه:

> السنة الخامسة، الشهر الرابع من فصل الصيف، اليوم الحادي والعشرون، وهو يوم دفن رئيسة السيدات «نسخنسو»، بوساطة الكاهن والد الإله «لآمون»، والمشرف على الخزانة «زد خنسون عنخ» بن … كاهن «آمون رع» ملك الآلهة «عنخفنآمون»، وكبير القاعة (التشريفي) «نسباي» … ولكاهن والد الإله «لآمون»، ورئيس الجيش «نسبقشوتي».

الأختام التي وضعت على هذا المكان:

- خاتم المشرف على الخزانة «زد خنسو فعنخت».
- خاتم كاتب الخزانة «نسي» … (راجع J. E. A. Vol. 32 p. 26).

والذي يقرأ هذا النقش كما يقول «مسبرو» يجد أنه يوحي إليه فكرة البحث فيما إذا كان يوجد في الرمل بين قطع الحجر التي كُدِّست في البئر بقايا أختام الأشخاص الثلاثة، الذين ذكروا أنهم وضعوا أختامهم على الباب. وقد حدث فعلًا أنه بعد بحث استغرق بضع دقائق عُثر على حوالي عشرين قطعة من الطين المختوم، تحمل بقايا حروف مطبوعة على أحد وجهيها. وعندما فُحصت هذه القطع على مهل وجد أنها تحتوي على بقايا أختام مبدوءة بالعلامات الدالة على رئيس كهنة «آمون» والباقي مهشم، ولبعض أختام كاملة لخاتم شخص غير الذين جاء ذكرهم في المتن، ويحتمل أنها لعمال كلفوا بمراقبة الجزء الجنوبي من الجبانة.

أما النقشان اللذان كُتبا على الجانب الأيسر من الباب، فيتألف منهما متن واحد يُؤرخ بمدة خمس سنوات بعد المتن الأول (وقد أخطأ «مسبرو» في قراءة هذا المتن).[٩]

والواقع أن الكاتب بعد أن كتب سطرين في أعلى الجدار، لاحظ أنه لم يترك لنفسه المسافة الكافية لإتمام نقشه فعاد وكتب الباقي في أسفل الجدار. وهذه النقوش خاصة بدفن الملك «بينوزم»، الذي وجد تابوته وموميته في الخبيئة كما أثبت «شرني» في مقال له (راجع Cerny. Ibid.). وهاك النص:

السنة العاشرة الشهر الرابع من فصل الشتاء اليوم العشرون، وهو يوم دفن «أوزير» الكاهن الأكبر «لآمون رع» ملك الآلهة والرئيس الأعلى للجيش والمرشد «بينوزم» على يد الكاهن والد الإله لآمون رئيس الخزانة «رز خنسو فعنخ».

ووالد الإله «لآمون» وكاتب الجيش ورئيس المفتشين «نسقشوتي».

وكاهن «آمون ... أنآمون». ووالد الإله «لآمون» (وننفر) وعلى يد كاتب الملك لمكان الصدق «بكنموت». ورئيس العمال «بديآمون». ورئيس العمال «أمنموسى»؛ ووالد الإله «لآمون» ورئيس الأسرار «بديآمون» بن «عنخفخنسو».

ومن النقوش السالفة نفهم أن السيدة «نسخنسو» قد ماتت ودفنت في السنة الخامسة، وأن زوجها الكاهن الأكبر «لآمون» (بينوزم) توفي في السنة العاشرة، وفي كلتا الحالتين لم يذكر اسم الملك غير أنه لا يوجد أي سبب يدعو إلى عدم الاعتقاد بأن هذين التاريخين هما في عهد ملك واحد. وهذا هو نفس رأي «مسبرو»، غير أنه بدلًا من السنة العاشرة جعلها السنة السادسة عشرة، وذلك لخطأ في القراءة ارتكبه «مسبرو». وقد عزز الأستاذ «ونلك» رأي «مسبرو».[١٠] ولكن من جهة أخرى نجد أن «برستد» قد عكس تاريخ الحادثتين دون أن يرتكن إلى أي سبب قوي.[١١]

ولكي نكشف عن اسم الملك الذي دفن في عهده الكاهن الأكبر «بينوزم» وزوجه «نسخنسو»، (مع العلم بأن السنة العاشرة التي دفن فيها الكاهن الأكبر ليس فيها شك، والسنة الخامسة محتملة) يجب أن نحول أنظارنا إلى أقدم التأشيرات أو الملخصات التي كتبت على أكفان الفراعنة: «رعمسيس الأول»، و«سيتي الأول»، و«رعمسيس الثاني». وأقدم تأشيرات للدفن وجدت على موميات هذه الخبيئة هي التي من عهد الكاهن الأكبر «حريحور» في أوائل الأسرة الحادية والعشرين. وهذه التأشيرة لا تهمنا في المناسبة الحالية، إذ إنها لا تلقي أي ضوء على تاريخ الخبيئة، ولكن لنذكر هنا أنها وجدت على تابوت «سيتي الأول»، وكانت على الصدر مباشرة من أسفل، وأنها كانت مغطاة

جزئيًّا بطغراءَيْ هذا الفرعون بكتابة كبيرة، ومن ثم نستنبط أن الطغراءين كانا قد وضعا بعد التأشيرة، وأنهما قد أضيفتا في وقت الدفن الذي حدث بعد كتابة هذه التأشيرة. وقد كتب على تابوت «رعمسيس الثاني» تأشيرة مماثلة للسابقة من عصر «حريحور»، وقد غسلت فيما بعد ووضع مكانها تأشيرة أخرى، ولكن لا تزال آثار الكتابات الأصلية ظاهرة في الصورة الفوتوغرافية التي أخذها للتابوت العالم «دارسي»،[١٢] وقد نقل «مسبرو» صورة لبداية التأشيرة.[١٣] ومن المحتمل أن مثل هذه التأشيرات قد نُقشت على تابوت «رعمسيس الأول»، غير أنه لم يبقَ من تابوت هذا الملك إلا قطع، وعلى ذلك فإن المتن الذي نتحدث عنه إما أن يكون قد فُقِدَ كلية، أو أن بقاياه لم يلحظها أولئك الذين فحصوا القطع الباقية من تابوت هذا الفرعون؛ ولكن من جهة أخرى وجدت على التوابيت الثلاثة السالفة الذكر تأشيرتان أخريان، وكل منهما تقدم لنا نفس المتن، عدا اسم الفرعون صاحب التابوت وبعض اختلافات بسيطة في الخط، ومن ثم يمكننا أن نسميها التأشيرات (أ) و(ب) على التوالي، بإضافة رقم (١) للدلالة على «رعمسيس الأول»، ورقم (٢) للدلالة على «سيتي الأول»، ورقم (٣) للدلالة على «رعمسيس الثاني»، وقد رتبت التأشيرتان على التوابيت بالكيفية التالية:

- التأشيرة حرف (أ) رقم (١) على الصدر.
- التأشيرة حرف (ب) رقم (٢) على الصدر تحت تأشيرة «حريحور» مباشرة.
- التأشيرة حرف (أ) رقم ٣ على الصدر.
-

التأشيرة حرف (ب) رقم ١ فقدت.

•

التأشيرة حرف (ب) رقم ٢ على الصدر تحت التأشيرة حرف (أ) رقم (٢).

•

التأشيرة حرف (ب) رقم ٣ عند قمة الرأس.

وقد أرخت التأشيرة حرف (أ) بالسنة العاشرة، الشهر الرابع من فصل الشتاء، اليوم السابع عشر من عهد الملك «سيآمون»، ويلاحظ هنا أن اسم الملك لا يوجد إلا في التأشيرة حرف (أ) رقم (١) ورقم (٢) أما في رقم (٣) فقد حذف. ويلاحظ هنا أن «مسبرو» قد قرأ التاريخ السنة السادسة عشرة بدلًا من العاشرة وقد تبعه في ذلك كل علماء الآثار. ولكن القراءة الصحيحة هي السنة العاشرة.[١٤]

وتقص التأشيرة أنه في هذا التاريخ قد نقلت الموميات من مقبرة «سيتي الأول» إلى مقبرة الملكة «أنحابي»،[١٥] وكان الموظفون الذين حضروا حادث النقل هم: كاهن «آمون رع» ملك الآلهة، «عنخفنآمون» بن «بكي»، الكاهن والد الإله التابع «لآمون رع» ملك الآلهة الكاهن الثالث للإله خنسو في «طيبة-نفرحتب» كاتب مأموريات بيت «آمون رع» ملك الآلهة، والكاهن «ستم» التابع لقصر «وسرماعت رع ستبن رع» في بيت «آمون»، ورئيس الجيش التابع «للمقعد المحبوب من-تحوت» (اسم مكان) الكاتب والمفتش الأول «نسقشوتي» بن «باكنخنسو».

والتأشيرة حرف (ب) قد أرخت بالسنة العاشرة، الشهر الرابع من اليوم العشرين دون أن يذكر اسم الفرعون الحاكم. وفي هذا اليوم أي اليوم العشرين نقلت الموميات إلى هذا البيت الأزلي، الذي فيه «أمنحتب الأول» على يد:

•

والد الإله التابع «لآمون» ورئيس المالية المسمى «زد خنسو فعنخ»؛ والد الإله التابع «لآمون» و«ننفر» بن «منتومواست».

•

والد الإله التابع «لآمون»، والكاهن الثالث للإله «موت» «أفنآمون» بن «نسبقشوتي» والد الإله التابع «لآمون ...»

والأهمية التي نستخلصها من تصحيح السنة من السادسة عشرة إلى العاشرة، التي جاءت في النقش الذي على الصخر (في داخل الخبيئة) الخاص بالكاهن الأكبر «بينوزم»، والتي جاءت كذلك في التأشيرة حرف (أ) ظاهرة جدًّا؛ فمن جهة نجد أن تاريخ نقش «بينوزم» اليوم العشرون من الشهر الرابع من فصل الشتاء في السنة العاشرة قد أصبح موحدًا بالتأشيرة حرف (ب) وبعبارة أخرى نجد أن نقل ثلاث الموميات إلى «البيت الأبدي» الخاص «بأمنحتب الأول» قد حدث في نفس اليوم الذي دفن فيه «بينوزم»، ومن جهة أخرى نجد أن تاريخ التأشيرة حرف (أ) يقرب من تاريخ التأشيرة حرف (ب)، إذ الواقع أننا نجد الأول قد حدث قبل الثاني بثلاثة أيام. وعلى ذلك ليس لدينا أي سبب يجعل التأشيرة حرف (أ) والتأشيرة حرف (ب) تشيران إلى حكم فرعونين مختلفين، كما كان ذلك ضروريًّا طالما كان تاريخ التأشيرة حرف (أ) هو السنة السادسة عشرة من حكم الفرعون «سيآمون».

والترتيب الصحيح للحوادث هو كما يأتي: في اليوم السابع عشر، التأشيرة حرف (أ) نُقلت موميات الملوك الثلاثة من مقبرة «سيتي الأول» بحضور الموظفين «عنخفنآمون» و«نسقشوتي». وبعد ثلاث أيام من التاريخ السابق أي في اليوم العشرين (التأشيرة حرف ب) وضعت نفس هذه الموميات في «البيت الأبدي» «لأمنحتب الأول» على يد جماعة من الموظفين تشمل أربعة كهنة يحمل كل منهم لقب «والد الإله» على حين أنه في نفس اليوم دفن الكاهن الأكبر «بينوزم»، كما

جاء على النقش الذي تركه في الخبيئة في قبره على يد جماعة من الرجال كان من بينهم «نسقشوتي» الذي حضر نقل الموميات الثلاث منذ ثلاثة أيام مضت.

والتفسير الذي ذكرناه فيما سبق يؤكد النتيجة التي وصل إليها «ونلك»، (J. E. A. XVII p. 107) وهي أن الخبيئة ليست إلا «صخرة» «أنحابي» وأن هذين المكانين الموحدين ليسا إلا المكان الذي كان يثوي فيه «أمنحتب الأول» فعلًا، عندما أحضرت موميات ثلاثة الملوك الذين ينسبون إلى عهد الأسرة التاسعة عشرة؛ لتدفن في هذه الصخرة[١٦] معه.

وقد سمت التأشيرة (حرف ب) الخبيئة «بيت أمنحتب الأول الأبدي»، وإنه لمن الصعب أن نحكم إذا كان هذا «البيت الأبدي» هو نفس المكان الذي يسمى «الأفق الأبدي» في «ورقة إبوت»، على أنه ليس له أي شأن بتواريخ الأسرة العشرين. ولم نجد في أثناء بحثنا هذا حاجة للتخلص من تاريخ السنة العاشرة من حكم «بوسنس الثاني»، وهو التاريخ الذي أرخ به «ونلك» التأشيرة حرف (ب) وبدلًا من ذلك، فإنا قد حذفنا السنة السادسة عشرة من حكم الملك «سيآمون»، وهي التي أصبحت على حسب القراءة الجديدة للمتن: السنة العاشرة للتأشيرة المذكورة، وعلى ذلك فليس ثمة داعٍ لعكس التأشيرة (حرف أ). والتأشيرة (حرف ب) اللتين على تابوت «سيتي الأول».

والآن نشاهد أن تاريخ الخبيئة قد أصبح سهل الفهم أكثر مما كان ينتظر، ويمكن تلخيصه كما يأتي:

(١) توفيت «نسخنسو» زوج الكاهن الأكبر «بينوزم» في السنة الخامسة (يحتمل من عهد الملك «سيآمون») ودفنت في مقبرة قديمة للملكة «أنحابي».

(٢) وقد مات الكاهن الأكبر «بينوزم» نفسه في السنة العاشرة من حكم «سيآمون» (أي بعد موت زوجه «نسخنسو» بخمس سنين) ودفن في نفس المكان مع زوجته.

(٣) وقبل دفن «بينوزم» بثلاثة أيام نقلت موميات «رعمسيس الأول» و«سيتي الأول» و«رعمسيس الثاني» من مقبرة «سيتي الأول» وقد كانت ثاوية فيها.

(٤) وفي نفس اليوم الذي دفن فيه «بينوزم» وضعت موميات الملوك الثلاثة السابقة في نفس المقبرة التي دفن فيها.

(٥) وليس لدينا أية طريقة لمعرفة تاريخ دفن الموميات الأخرى في مقبرة «أنحابي»، وكل ما نعرفه أن مومية «أمنحتب الأول» كانت مدفونة فعلًا هناك، في اليوم الذي دفنت فيه مومية «بينوزم».

(٦) وعلى حسب البحث السابق تختفي السنة العاشرة من عهد «بسوسنس» الثاني بالنسبة لتاريخ خبيئة «الدير البحري»، كما تختفي في الواقع من تاريخ الأسرة الواحدة والعشرين.

(٧) وتختفي كذلك السنة السادسة عشرة من تاريخ الخبيئة، ولكنها لا تختفي من تواريخ الأسرة؛ وذلك لأن هذه السنة قد دُوِّنت في لوحة هبة محفوظة «بالمتحف المصري».[١٧]

ولم يكن يكفى أن نخرج الفراعنة من عالم النسيان الذي يثوون فيه، بل كان ينبغي أن نضعهم في مكان مريح يليق بهم في «المتحف المصري» الذي كان يضيق في تلك اللحظة بما فيه من الآثار؛ ولذلك لم يكن لهم هناك مكان مناسب. أما معظم الأثاث الجنازي والتماثيل المجيبة وأوراق البردي فقد وضعت في مخازن، ووضعت الموميات جنبًا إلى جنب؛ جزء منها في القاعة الوسطى، وجزء آخر في حجرة صغيرة كانت تسمى وقتئذ «قاعة المجوهرات». وقد أعلن نبأ هذا الكشف للأكاديمية الفرنسية للفنون والآداب في أواخر يوليو.[١٨] وفي ١٥ سبتمبر أعلن ذلك في المؤتمر العالمي للمستشرقين في «برلين».

وقد حدث[١٩] في أثناء انعقاد هذا المؤتمر لغط زائد خاص بتقصير الحكومة المصرية في إعطاء المحل اللائق لهؤلاء الفراعنة الذين ظهروا — على حين غفلة — من عالم النسيان. وقد وضع تقرير على عجل. وقرئ في معهد مصر في الثامن عشر من نوفمبر سنة ١٨٨١، ونشر معه عشرون صورة شمسية لأهم النفائس التي عثر عليها في هذا الكنز، وكان ذلك حافزًا لمجلس

الوزراء المصري أن يقرر توسع «المتحف المصري»، الذي كان وقتئذ في «بولاق». وفي أواخر نوفمبر استحضر «إسماعيل باشا أيوب» المال اللازم لبناء حجرات جديدة واسعة حسنة الإضاءة. وبعد ذلك بعدة أشهر (في شهر أبريل سنة ١٨٨٢) أمر «محمود باشا فهمي» وزير الأشغال الجديد بعمل صناديق زجاجية لوضع الموميات ذات الأهمية الكبرى فيها لحفظها من الهواء والضوء. ولم تَحُلْ مذبحة الإسكندرية ولا الحرب التي تخلفت عنها عن الاستمرار في العمل في المتحف. وقد افتتح الجزء الجديد من المتحف في أواخر أكتوبر سنة ١٨٨٢، وجمعت كل موميات الفراعنة في قاعة واحدة، ووضعت صاحبة الحظوة منها في صناديق الزجاج (فترينات) بينما وضعت الأخرى على حوامل من الخشب (وهذا يذكرنا) بقول الشاعر:

علو في الحياة وفي الممات

وقد وضعت أوراق البردي في «صندوقين» استعيرا من بيت مدير الآثار، ومعها بعض أواني الأحشاء، وقطع قربان وعينات من التماثيل المجيبة.

وكان هذا الترتيب الأولي — بطبيعة الحال — قبيح المنظر، وقد عُمل في السنين التالية (١٨٨٣–١٨٨٥) على تحسينه، وكان هذا العمل شاقًّا؛ إذ إن القائمين بالأمر من الإنجليز — وبخاصة «سكوت منكريف»، الذي كان يشغل وقتئذ منصب وكيل وزارة الأشغال، وكذلك وزراء الأشغال — لم يمدوا يد المساعدة لرجال المتحف.

وعلى أية حال فقد أفلح رجال المتحف في عمل «الفترينات» و«الدواليب» بعد لَأْيٍ وجهد. وفي أبريل سنة ١٨٨٦ كانت كل الموميات محفوظة في صناديق من الزجاج، فحفظت بذلك من تقلبات الجو ومن أيدي الزائرين.

وقد أرجأ رجال المتحف فك لفائف هذه الموميات حتى هذا التاريخ، وكان «مسبرو» مقتنعًا بأن هذه العملية سيكون من ورائها فائدة علمية جليلة؛ إذ إن فحص الموميات كان لا بد أن يقدم معلومات عن أعمار هؤلاء الملوك ومظهرهم وتركيب بنيانهم، ويحتمل كذلك وجود نقوش أو محاضر مكتوبة معهم يمكن بوساطتها أن نعرف بصفة قاطعة شخصية كل واحد، وكذلك ما معهم من مجوهرات وأوراق بردية. وقد أحجم «مسبرو» عن هذا العمل وأرجأه حتى يتم عمل الأثاث اللازم لحفظها، غير أن مومية من بينها كان يتصاعد منها رائحة تدعو إلى الشك، ففكت لفائفها بأمر منه سنة ١٨٨٣، وكانت للملكة «حنت تمحو»، وقد لف جسمها في نسيج كبير عليه نقوش، وكتب اسمها كما يأتي: البنت الملكية «أحمس» التي تسمى «حنت تمحو» (راجع A. Z. p.77 (1883)). ولم تكن هذه هي المومية الوحيدة التي فحصت، فقد كان «إميل بروكش» يتحرق شوقًا لرؤية «فرعون الفراعنة» وجهًا لوجه، إذ كان يريد أن يكشف الغطاء عن وجه «تحتمس الثالث»، الذي يلقبه الأوروبيون «بنابليون الشرق». وقد فعل ذلك بدون إذن من «مسبرو» وفي غيبته، ووجد أن الفلاحين قد سبقوه إلى ذلك وأخذوا ما كان معه من ذخائر، وقد وجدت قسماته مشوهة.[٢٠] وفي شهر سبتمبر من عام ١٨٨٥ فحص «بروكش» مومية الملكة «نفرتاري» التي تصاعدت منها رائحة كريهة مما دعا إلى وضعها في مخزن، وكان ذلك بغير إذن من «مسبرو». وكان جسم هذه الملكة ينذر بالتفكك والانحلال؛ ولذلك دفن مؤقتًا. ولوحظ كذلك أن مومية الفرعون «سقنن رع» ومومية أميرة مجهولة الاسم كانتا محفوظتين في قراب أبيض، تنبعث منهما رائحة غريبة، وأنهما في طريقهما إلى التحلل.

وقد جعلت هذه المخالفات التي ارتكبها «بروكش»، «مسبرو» يقوم بفحص الموميات على مهل، وبطريقة علمية بدلًا من عملها بسرعة وبدون اتخاذ الاحتياطات اللازمة، وقد بدأ هذا العمل في أول يونيو سنة ١٨٨٦ بفك لفائف مومية «رعمسيس الثاني» بأمر «الخديوي» وبحضوره، وقد دعا خلف الفراعنة البعيد — لحضور هذا الحفل — كل الشخصيات العظيمة، والعلماء، وممثلي

السلطات، وممثلي ملكة الإنجليز وهم: «مختار باشا الغازي»، و«دارموند وولف» ثم «نوبار باشا» ومجلس الوزراء أجمعه، وقنصل روسيا «خطروفو» khitrouvo. هذا إلى أطباء وأثريين ومفتنين. وقد سجلت أعمال هذا الحفل في محضر خاص وقعه الخديوي بخطه.

وبعد فحص «رعمسيس الثاني» جاء دور «رعمسيس الثالث» ثم «سيتي الأول» ثم «سقنن رع» ثم مومية «أحمس»، وبعد ذلك موميات الكهنة العظام «لآمون». وقد فحصت كل مومية بدقة بقدر المستطاع بوساطة المسيو «بوريان»، والدكتور «فوكيه» و«أنزنجر» وأخي «مسبرو» والمسيو «مسبرو» نفسه. وقد كانت المقاسات تؤخذ بوساطة اثنين من هؤلاء، ثم يحقق اثنان آخران تلك المقاسات، ثم تسجل على ورق خاص لذلك، وقد حلل كيمائي مشهور وهو المسيو «ماثي» المواد والأنسجة التي أخذت من على الجثث. وأخيرًا جاء لمساعدة هؤلاء الدكتور «شفينفورت» العالم الألماني في التاريخ الطبيعي، وساعد في فحص الأزهار والحبوب، ووضع اسم كل منها. وبالاختصار ألف لنا أقدم مجموعة من الأعشاب في العالم، وقد استغرق هذا العمل شهرًا كاملًا هو شهر يونيو سنة ١٨٨٦. وقد فحصت هذه الجثث ثانية، وتقلبت عليها محن وأحداث يعلمها الكل، وهي الآن موضوعة في حجرة خاصة بعيدة عن النظارة، ولا يزورها إلا الملوك والعلماء وأصحاب المكانة في العالم.

هذه نظرة عامة في الأحداث التي أدت إلى الكشف عن موميات الفراعنة والكهنة العظام وغيرهم من عظماء مصر في عهد الدولة الحديثة، وما آل إليه أمرها حتى الآن. ونعود الآن إلى التحدث عن اهتمام الكاهن الأكبر «بينوزم» بموميات فراعنة مصر في عهده، وهي التي كانت عرضة لسلب ونهب ما عليها وما معها في مقابرها من ذهب وفضة وأشياء أخرى نفيسة، وقد دُوِّنت محاولات هذا الكاهن المتوالية لحفظ هذه الجثث على التوابيت واللفائف. وقد بقيت لنا هذه السجلات بتواريخها التي لم يذكر معها اسم الفرعون الذي كان يحكم وقتئذ، ولكن نعرف بدهيًّا أنه كان الملك

«بسوسنس الأول» الذي خلف الفرعون «سمندس» (نسونبدد) في «تانيس». وهاك هذه التأشيرات على حسب تواريخها:

(١-١) مومية الملك «تحتمس الثاني» (على الصدر)

السنة السادسة، الشهر الثالث من الفصل الثاني، اليوم السابع (من برمودة). في هذا اليوم أرسل الكاهن الأكبر «لآمون رع» ملك الآلهة «بينوزم» بن الكاهن الأكبر «لآمون» «بيعنخي» المشرف الأول على بيت المال «بينفرحر»؛ ليدفن من جديد الملك «عا خبر رع» (تحتمس الثاني).[٢١]

(١-٢) مومية «أمنحتب الأول» (على الصدر)

السنة السادسة، الشهر الرابع من الفصل الثاني، اليوم السابع (من شهر برمودة). في هذا اليوم أرسل الكاهن الأكبر «لآمون رع» ملك الآلهة «بينوزم» ابن الكاهن الأكبر «لآمون» (بيعنخي) ليدفن من جديد الملك «زسر كارع» ابن «رع» (أمنحتب الأول له الحياة والفلاح والصحة على يد المشرف على الخزانة «باي ...»

(١-٣) «سيتي الأول» (الكتابة على اللفائف الداخلية)

النسيج الذي عمله الكاهن الأكبر «لآمون رع» ملك الآلهة «بينوزم» المنتصر ابن «بيعنخي» لوالده «خنسو» في السنة العاشرة (عهد بسوسنس الأول).

(١-٤) مومية «رعمسيس الثالث» (على اللفائف)

السنة الثالثة عشرة، الشهر الثاني من الفصل الثالث، اليوم السابع والعشرون (من بئونة). في هذا اليوم أرسل الكاهن الأكبر «لآمون رع» ملك الآلهة «بينوزم» ابن الكاهن الأكبر «لآمون» (بيعنخي): كاتب المعبد «زسر سوخنسو» والكاتب في جبانة «طيبة»

«بوتهأمون»؛ ليعطي مكانًا للملك «وسر ماعت رع مري آمون» (رعمسيس الثالث) له الحياة والفلاح والصحة ثابتًا ومقيمًا أبديًّا، (عهد بسوسنس الأول).

(١-٥) مومية «رعمسيس الثالث» (على اللفائف)

الكاهن الأكبر «لآمون رع» ملك الآلهة «بينوزم» المنتصر ابن «بيعنخي». لقد عملها في السنة التاسعة (من عهد بسوسنس).

(١-٦) مومية «رعمسيس الثالث» (على اللفائف)

السيدة مغنية «آمون رع» ملك الآلهة «فات عات نت آمون» المرحومة بنت الكاهن الأكبر «لآمون» (بيعنخي) المرحوم، قد عملتها وأحضرتها لسيدها «آمون» مالك الأبدية[٢٢] القاطن في المعبد (معبد مدينة «هابو») لترجو الحياة والسعادة والصحة منه (Br. A. R. IV § 641).

(١-٧) مومية «رعمسيس الثاني» (على إحدى اللفائف)

السنة السابعة عشرة، الشهر الثالث من الفصل الثاني، اليوم السادس وهو يوم إحضار «أوزير» الملك «وسر ماعت رع ستبن رع» (رعمسيس الثاني) له الحياة والفلاح والصحة بوساطة الكاهن الأكبر «لآمون» (بينوزم) (وهذه التأشيرة خاصة بإحضار مومية «رعمسيس الثاني» إلى مقبرة «سيتي الأول») (L. R. III, p. 245 note 2).

عناية «بينوزم» بالموميات وهو ملك: وقد استمرَّ «بينوزم» في العناية بالموميات عندما تولى عرش مصر، وأصبح يلقب: ملك الوجهين القبلي والبحري. وقد خلف «بسوسنس الأول» ولقب

«بينوزم الأول» والتواريخ التي سنوردها هنا هي عن سني حكمه. في السنة السادسة عشرة، وكَل أمر العناية بالجبانة إلى ابنه «ماساهرتا» الكاهن الأكبر «لآمون».

(١-٨) مومية الأميرة «أحمس ست كامس» (على صدر المومية)

السنة السابعة، الشهر الرابع من الفصل الأول. اليوم الثامن من شهر (كيهك) من عهد الملك «بينوزم الأول» (ولم يذكر اسم الملك هنا غير أن التأشيرة كتبت بنفس اليد، التي كتبت بها تأشيرة كل من الملك «أحمس الأول» والأمير «سيآمون»، وهذان الأخيران قد أُرِّخا فعلًا بحكم الملك «بينوزم الأول») (راجع maspero, Ibid. 541) وفي هذا اليوم أعطي مكان لابنة الملك وزوجه العظيمة «أحمس ست كامس» العائشة (أي أعطيت مكانًا للدفن).

(١-٩) مومية «أحمس الأول» (على صدر المومية): (راجع Maspero, Ibid. 534)

السنة الثامنة، الشهر الثالث من الفصل الثاني، اليوم التاسع والعشرون (برمودة). أرسل جلالة ملك الوجه القبلي والوجه البحري رب الأرضين «خبر خع رع ستين آمن بينوزم» محبوب «آمون» له الحياة والفلاح والصحة لإعطاء مكان الملك «نب بحتي-رع» (أحمس الأول).

(١-١٠) مومية ابن الملك «سيآمون» (راجع Maspero, Ibid. 538)

السنة الثامنة، الشهر الثالث من الفصل الثاني، اليوم التاسع والعشرون. أرسل جلالته (له الحياة والفلاح والصحة) لإعطاء مكان لابن الملك «سيآمون» (لم يذكر اسم الملك هنا، غير أن وجه الشبه الذي بين هذا النقش، والذي جاء على مومية «أحمس الأول» يرجح ظن «مسبرو» في أنهما من عهد واحد).

(١١-١) مومية «أمنحتب الأول» (على صدر المومية): (راجع Ibid. 536–7)

السنة السادسة عشرة، الشهر الرابع من الفصل الثاني، اليوم الحادي عشر. أرسل الكاهن الأكبر «لآمون رع» ملك الآلهة، «ماساهرت» ابن الملك «بينوزم» له الحياة والفلاح والصحة؛ ليدفن من جديد هذا الإله على يد كاتب الخزانة، وكاتب المعبد «نب آمون» بن «سوتيموسى».

(٢) نقوش «بينوزم» الأول في مدينة هابو: (راجع A. S. 40 p. 328 ff)

(٢-١) أعمال «بينوزم» الأخرى في أثناء توليه عرش ملك مصر

في معبد خنسو: استمر «بينوزم» في إتمام المباني التي بدأها حينما كان الكاهن الأكبر «لآمون»، غير أنه لم يبقَ لنا من النقوش الخاصة بذلك إلا نقش واحد، ويوجد على الإطار الخارجي للجدار الخارجي (L. D. III, 251 C).

ملك الوجه القبلي، والوجه البحري، رب الأرضين «خبر خع رع ستبن آمون ابن رع» من جسده، ومحبوب «بينوزم» محبوب «خنسو» أقام معبدًا من الحجر الرملي الأبيض الجميل بمثابة عمل أبدي ممتاز، وهو الذي يعمله ابنٌ يعمل الخيرات لوالده الذي وضعه على عرشه، ملك الوجه القبلي، والوجه البحري «خبر خع رع-ستبن آمون» بن «رع» من جسده، ومحبوبه «بينوزم مري آمون».

وكذلك وجد النقش التالي على تمثال «بولهول» «لأمنحتب الثالث» (راجع L. D. III, 249 f; L. D. Text. III, p. 76).

سيدة الأرضين «حنت تاوي»: لقد أقامته بمثابة أثرها لوالدتها «موت» عندما أحضر ملك الوجه القبلي، والوجه البحري «خبر خع رع ستبن آمون» هذه الكباش (أي الكباش التي على هيئة «بولهول» إلى بيت «آمون» أي معبد الكرنك).

وكذلك وجد اسمه في معبد «أوزير» «بالكرنك» على قطعة من الحجر الرملي فوق الباب، وهي محفوظة «بمتحف القاهرة».[٢٣]

ويوجد في مجموعة الأستاذ «بتري» مائدة قربان عثر عليها في «العرابة المدفونة» (Petrie, History. III p. 207). وقد نقش عليها ما يأتي: «يعيش الملك الطيب رب الأرضين، ملك الوجه القبلي، والوجه البحري «خبر خع رع ستبن آمون» بن «رع» رب التيجان، الذي يفعل الخير. «بينوزم» محبوب «آمون» معطي الحياة والسلامة مثل …»

وكتب هذا الفرعون اسمه على تمثال «بولهول» من الجرانيت الأسود، وهو محفوظ «بمُتْحَف القاهرة» واستخرج من «تانيس». وبذلك اغتصبه لنفسه.[٢٤]

وفي متحف «تورين» توجد قطع عديدة من الجلد الملون نقش عليها اسم هذا الفرعون، وكذلك يوجد في «متحف اللوفر» خمس قطع موحدة مُثِّل عليها «بينوزم» يتعبد أمام «آمون» في صورة «مين» بعضو التذكير منتشرًا (L. R. III p. 250 Note 2)؛ وفي «متحف القاهرة» توجد أساور من ذهب باسم الفرعون «بينوزم» (راجع Petrie, Hist. Vol. III p. 206).

(٢-٢) مومية الملك «بينوزم الأول»

وُجدت مومية هذا الفرعون في تابوت الملك «تحتمس الأول» في خبيئة «الدير البحري»، وقد كانت في الأصل مهشمة، ولكنها أُصلحت ووضعت فيها جثة الفرعون «بينوزم». وقد كان يُظن في بادئ الأمر أنها الملكة «أعح حتب» وقد نهب اللصوص ما على المومية من مجوهرات على صدرها، غير أنهم لحسن الحظ تركوا الجزء الأسفل منها سليمًا؛ إذ وجد بين ساقَيِ الفرعون «كتاب الموتى» ملفوفًا كما كان عند الدفن.

وتدل مومية هذا الفرعون على أنه كان نحيل الجسم، قصير القامة، وقد وُجد اسمه مكتوبًا على أكفانه عدة مرات (Maspero, Ibid p. 270).

ويوجد في «متحف القاهرة» صندوقان من التماثيل المجيبة، وقد عُثر عليهما مع تابوت «بينوزم» في خبيئة «الدير البحري». وقد نقش عليها اسمه، وكلها خشنة الصنع. (راجع Maspero, Ibid p. 290) ويقول «جوتييه» (Ibid p. 251 Note 2): إنه يوجد صندوقان آخران فيهما تماثيل مجيبة باسم «بينوزم» لا بوصفه ملكًا بل بوصفه الكاهن الأكبر «لآمون»؛ ولذلك يقول «جوتييه»: إن ما أكده «مسبرو» من أن «بينوزم» كان ملكًا على البلاد حتى مماته يحتاج إلى إثبات، على أنه من الجائز أن «بينوزم» قد بدأ في عمل تماثيله المجيبة قبل تولي عرش الكنانة.

هذا وتوجد في «المتحف المصري» نحو خمسة وسبعين تمثالًا مجيبًا أخرى، (Maspero, Ibid. 591) وفضلًا عن ذلك توجد تماثيل مجيبة له في متاحف أخرى من متاحف العالم، والمجاميع الخاصة (راجع قائمة بكل ذلك في تاريخ مصر للأستاذ فيدمان).[٢٥]

(٣) «أسرة بينوزم الأول»

(٣-١) زوجة «ماعت-كارع-موت محات»

المعروف أن لهذا الفرعون زوجتين وهما «ماعت كارع» و«حنت تاوي» ولكن «دارسي» (Rec. Trav. XXXII p. 185-6) لا يظن أن هذه أو تلك زوجة له، ويقول: إن «حنت تاوي» على ما يظن كانت أمه، وإن «ماعت كارع» كانت ندًّا في «طيبة» بوصفها الكاهنة العظمى «لآمون»، ولكنها لم تتزوَّجه قط.



شكل ٢: صورة الملكة «ماعت كارع».

وكذلك يقول: إن زوج «بينوزم» من المحتمل أنها البنت الملكية «حنت تاوي» التي نراها تسير خلفه، في نقوش الأقصر، وإنها لا علاقة لها بـ «حنت تاوي» أمه التي كانت زوج رجل يدعى «نب سني»، على حين أن الأولى كانت من فرع ملكي، ويحتمل أنها كانت بنت «بسوسنس»، غير أن الكشوف الحديثة قد طلعت علينا برأي آخر وهو أن «بسوسنس» كان له زوجان هما: «إستمخب» و«حنت تاوي» المتعبدة للإلهة «حتحور» كما سيجيء بعد.[٢٦]

وأهم الآثار التي دوِّن اسمها عليها، أو صُنعت باسمها هي ما يأتي:

معبد الأقصر: (ردهة التماثيل)

وقد رُسم على الجدار الجنوبي الغربي نقشان هامان خاصان بنسب الأسرة الواحدة والعشرين. ونشاهد في الأول أن الملكة تتبع «بينوزم» الكاهن الأكبر «لآمون»، ولم يكن قد صار ملكًا بعد وتحمل لقب الزوجة الإلهية. وقد صار هذا اللقب كما قلنا من قبل اللقب الرسمي لكل زوجات

الكهنة العظام، وغالبًا ما نشاهده موضوعًا في طغراء (راجع Rec. Trav. XIV p. 32) للدلالة على أن حامله من الأسرة المالكة.

متن معبد الكرنك (على الواجهة الشمالية للبوَّابة السابعة)[٢٧]

ويرجع تاريخ هذا المتن إلى عام ١٨٧٤، وهي السنة التي كشف فيها «مريت» عنه على الجدار الشمالي للبوَّابة السابعة بالكرنك، وهو متن طويل، ولكنه بكل أسف ممزق، ويبحث في موضوع الملكة «ماعت كارع» وتلقب «الابنة الملكية لملك الأرضين «بسوسنس».» ويقول «مسبرو» (Ibid p. 693): إنه من المحتمل أنها حفيدة «حريحور» وبذلك تكون من فرع الملك «بينوزم الأول» بن «بيعنخي» وجده «حريحور»، وليس هناك من يعارض أن هذه كانت نفس «ماعت كارع» زوج «بينوزم»، ووجهة النظر هذه تفسر لنا لماذا كانت تحمل «ماعت كارع» الصل الملكي على جبينها، في حين أن «حنت-تاوي» الزوجة الثانية للكاهن الأكبر «بينوزم» لا تتزين بالصل في المناظر التي نشاهدها فيها في معبد «خنسو» (راجع Ibid p. 684 ff). وعلى ذلك كانت من دم ملكي حقيقي على ما يظن، في حين أن «حنت تاوي» كانت بنت رجل من عامة الشعب. والواقع أن النقوش حتى الآن لا تضيف شيئًا أكثر مما ذكر هنا. وهاك النص:

> يقول «آمون رع» ملك الآلهة الإله العظيم جدًّا، بادئ[٢٨] الوجود، و«موت» و«خنسو»: إننا نعلن نحن الثلاثة كل ملك، وكل كاهن أكبر «لآمون»، وكل قائد، وكل رئيس طائفة، وكل فرد؛ رجلًا كان أو امرأة، ومن في أيديهم السلطة اليوم، ومن ستكون في أيديهم بعد، بأن يحافظوا على ممتلكات «ماعت كارع» — من كل نوع — بنت الملك «بسوسنس»، وهي التي جلبتها معها عندما انتقلت إلى الجنوب … البلاد والممتلكات من كل نوع التي منحها إياها أهل البلاد؛ ليكون لها نصيب من ثروتهم الصغيرة، ولتثبتوها

في يدها، وأنتم تثبتونها في يد ابنها من ابن لابن، ومن بنتها لابنة بنتها، وفي يد أطفال أطفالها إلى الأبد السرمدي.

ويقول كذلك «آمون رع» ملك الآلهة الإله العظيم جدًّا بادئ الكون، و«موت» و«خنسو» والآلهة العظام: أهلكوا كل فرد مهما كان صنفه في مصر، رجلًا أو امرأة يعارض بالقول مهما كان، ممتلكات الملكة «ماعت كارع» — من أي نوع — بنت الملك «بسوسنس الأول»، التي أحضرتها معها عندما انتقلت إلى الجنوب، وكذلك الممتلكات من كل نوع، وهي التي أعطاها إياها أهل البلاد؛ لكى تأخذ نصيبها من ثروتهم الصغيرة، أما أولئك الذين يسلبون شيئًا من هذه الممتلكات يومًا بعد يوم، فإنا سنثقل كاهلهم بأرواحنا، ولن نكون معهم على صفاء، بل سيعاقبون بشدة مضاعفة على يد هذا الإله العظيم و«موت» و«خنسو» والآلهة العظام.

يقول «آمون رع» ملك الآلهة، والإله العظيم جدًّا، بادئ الكون، و«موت» و«خنسو» والآلهة العظام: إنا سنهلك كل الأفراد من أي صنف في مصر كلها، سواء أكانوا رجالًا أم نسوة سيعارضون بالقول مهما كان نوعه في الممتلكات التي حملتها معها عندما انتقلت إلى الجنوب والممتلكات من كل صنف، وهي التي أعطاها إياها أهل البلاد لتأخذ نصيبها من ثروتهم الصغيرة؛ أما أولئك الذين يسلبون شيئًا من هذه الممتلكات من يوم ليوم، فإنا سنضع ثقل أرواحنا عليهم، ولن نكون لهم أصفياء، ولكن سنلقي بهم وأنوفهم في الرغام، وسيعاقبون (؟) بشدة مضاعفة على يد الآلهة العظيم «موت» و«خنسو» والآلهة العظام.

ومجموع هذا المتن يعرض أمامنا صورة لمصر قسمت فيها القوة بين الملك والكاهن الأكبر «لآمون»، ورؤساء الجنود والمرتزقة، وبعبارة أخرى مصر في عهد الأسرة الواحدة والعشرين، غير أنه لم يذكر لنا اسم الكاهن الأكبر «لآمون» المعاصر للفرعون «بسوسنس»، ولكن مع ذلك يحدثنا عن حالة هؤلاء … اللائي يمثلن الملكية الوراثية في مصر، ويحدثنا عن العقود التي كانت

تؤلف من أجلهن ... تعيينهن، ولا يحتمل كثيرًا أنهن كن يستشرن في إبداء ميولهنَّ عند زواجهن، وأنهن كن يرسلن من الشمال إلى الجنوب بدون تردد عندما تحتم الأحوال السياسية ذلك، ولكن مع ذلك كانت تتخذ الاحتياطات الدقيقة للمحافظة على أملاكهن، وأن تكون وراثية في خلفهن. وهذه الممتلكات مؤلفة من جزأين: الأول هو ما يحملن معهن عندما ينتقلن من الشمال إلى الجنوب مثل «ماعت كارع»؛ والآخر هو ما منحته الزوج وأسرتها لكل واحدة منهنَّ من ثروتهم الضئيلة لتضمها إلى ملكها الشخصي.

وكانت هذه الإقطاعيات الخاصة توضع بحفاوة تحت حماية آلهة «طيبة»، الذين كانوا قد أخذوا على عاتقهم عقاب من تمتد يده إلى شيء صغير منها في حياتها أو إلى ورثتها من بعدها. وقد كان المرسوم يُعرض في المعبد في المكان المعروف باسم «رقعة المعبد الفضية»، ويحتمل أنها ساحة المعبد التي قبل بوَّابة قاعة العمد حيث كان الدهماء تراه. ولا نظن أن احتفالات عظيمة كانت تقام لكل الأميرات اللائي كن من دم ملكي — وبخاصة من لم يكن آباؤهن ملوكًا — ولكن هؤلاء الأميرات اللائي كان لزواجهن أهمية خاصة كزواج «ماعت كارع»، التي كان والدها فرعونًا حاكمًا، كانت توضع لهن إعلانات ضخمة. وبالاختصار فإن كل الوثائق التي في متناولنا يظهر أنها تميل إلى توحيد الملكة «ماعت كارع» زوجة «بينوزم الأول»، بسميتها بنت الفرعون «بسوسنس».

معبد «خنسو» بالكرنك

لدينا منظر على واجهة معبد «خنسو» بالكرنك يجمع بين «بينوزم»، وزوجته «حنت ثاوي» و«ماعت كارع»، فنجد أن الفرعون بعد أن ملأ الجدار بصورته قد ترك لهما مكانًا صغيرًا على الجزء الأسفل من الجدار على كل من واجهتي البوَّابة، وقد مثلت الاثنتان معًا على جدار البوَّابة الغربي أمام محراب فيه صورة كل من «آمون رع» و«خنسو» برأس صقر، وترى في هذه

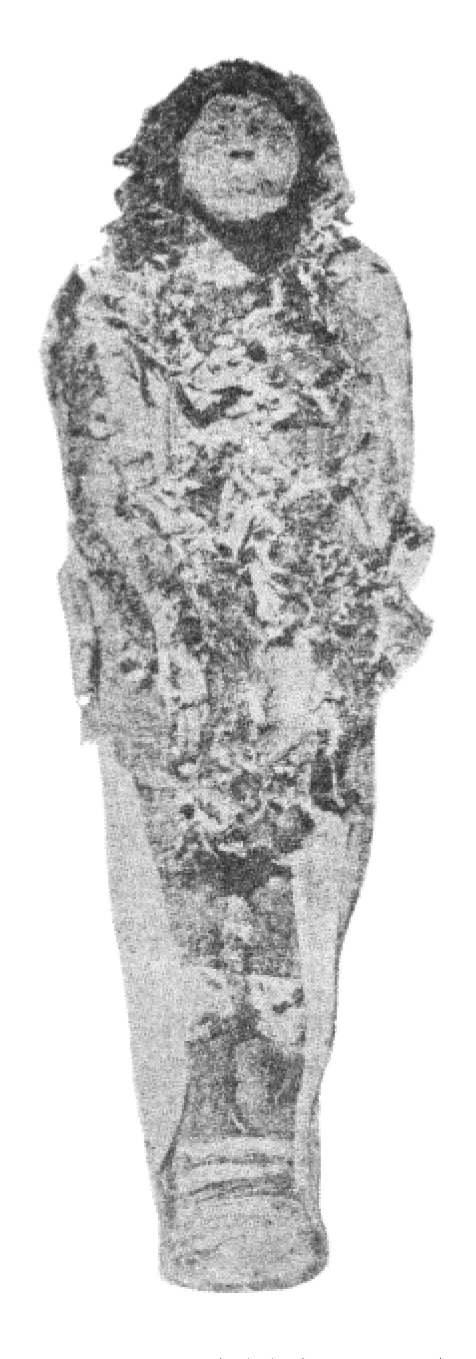
الصورة «ماعت كارع» واقفة مرتدية على رأسها لباس غريب مُحلى بالصل الملكي وتلعب بالصاجات: «اللعب بالصاجات لوجه «آمون» الجميل، رب تيجان الأرضين؛ ليمنحك المملكة العظيمة على عرشك: الأميرة العظيمة والحظية الكبيرة، والزوجة الإلهية «لآمون» في «الكرنك»، والبنت الملكية من جسده، ربة الأرضين، المتعبدة الإلهية «ماعت كارع» العائشة.»

وبالقرب من باب الدخول نشاهد الملكة «حنت ثاوي»، ويلاحظ أن زينة شعرها أقل من زينة الملكة السالفة، ولا تلبس الصل الملكي، وتلعب كذلك بالصاجات خلف «بينوزم»، الذي يقدم القربان للإله «خنسو»، ويرجع السبب في ذلك إلى عدم تحليها بالصل؛ لأنها ليست بن ملك، بل ابنة رجل من عامَّة الشعب.[٢٩]

ويوجد في مجموعة «فريزر» جعران باسمها & Coll. Fraser Nnr. 347 Cat p. 43) .P1. XII)

وفي «متحف مرسيليا» توجد قاعدة تمثال نقش عليها اسم هذه الملكة، ومن هذه النقوش نعرف أنها كانت تحمل اسمين: الأول «ماعت كارع»، والثاني «موت محات». وعلى ذلك لا يوجد محل لإعطاء اسم «موت محات» لابنتها الصغيرة التي وجد جسمها معها في تابوت واحد، وهذه الطفلة يحتمل أنها ولدت ميتة، وقد كان ذلك الوضع هو السبب المباشر لموت الأم.[٣٠]

تابوت الملكة «ماعت كارع»



شكل ٣: مومية الملكة «ماعت كارع».

وجد في مقبرة «إنحابي» تابوتان من الخشب باسم الملكة «ماعت كارع-موت محات» كل منهما على شكل مومية، ولوِّن باللون الأصفر، وقد ذهب الوجه وقسماته جميلة تمثل صورة نموذجية للملكة «ماعت كارع». وقد نقش على غطاء أكبر التابوتين سطران عموديان، ذكر في كل منهما

اسم من اسميها ماعت كارع، وموت محات. وجاء على الأول: «أوزير»[٣١] الزوجة الإلهية المطهرة «لآمون» في الكرنك ربة الأرضين «ماعت كارع» المرحومة. وعلى الثاني الذي إلى اليسار: «أوزير» الزوجة الإلهية المحبوبة، ابنه الملك من جسده محبوبته، والزوجة الملكية العظيمة، ربة الأرضين «موت محات» المرحومة. وعلى غطاء التابوت الصغير النقش التالي: «أوزير» حظية «آمون» في «طيبة» والزوجة الإلهية المطهرة «لآمون» في «الكرنك»، والزوجة الملكية العظيمة ربة الأرضين. ماعت كارع. وقد توفيت الملكة في أثناء الوضع كما قلنا، وكذلك ماتت الطفلة التي وضعتها بعد الوضع مباشرة، وقد وضعت الموميتان في تابوت واحد، ويبلغ طول مومية الأم حوالي ١,٥٠ متر قبل التكفين، ومومية ابنتها ٤٢ سنتيمترًا.

وقد سلب اللصوص في أيامنا ما عليهما من حلي. وقد ذكرنا من قبل أن البردية الخاصة بهذه الملكة كانت موضوعة في هيكل من الخشب على هيئة «أوزير»، وكان ضمن الأشياء التي قدمها عبد الرسول لمدير «قنا»، عندما اعترف له بالمكان الذي فيه الموميات (راجع Naville. Pap. Funeraire de la XXI Dyn. P. 8 Pl. III, et Gauthier. L. R. III, p. 255 & note 2.).

(٣-٢) الملكة «حنت تاوي حتحور دوايت»

وتدل النقوش التي لدينا على أن هذه الملكة بنت رجل يدعى «نبسني». أما والدتها فكانت تلقب الزوجة الملكية، وقد تزوَّجت بملك قبل زواجها. وقد برهن «مسبرو» على أن الألقاب التي حملتها «مثل بنت الملك» من جسده وغيره من النعوت ليست إلا ألقابًا لا تدل على حقيقتها (راجع Momies Royales p. 84, ff). وقد وجد اسمها في غير ما ذكرنا من قبل على قطعة حجر من أعلى باب في معبد «مدينة هابو» (راجع Rec. Trav. XIX, p. 20).



شكل ٤: صورة الملكة «حنت تاوي» نقلًا عن ورقتها الجنازية بمتحف القاهرة.

وقد مثلت عليها هذه الملكة والصل على جبينها (وقد لاحظنا أنها لا تحمل قط الصل في رسوم معبد «خنسو»، وتتقبل تحيات «بينوزم» الأول الذي لم يكن وقتئذ إلا كاهنًا أكبر «لآمون»).

وقد أراد «بتري» في تاريخه عن مصر (Petrie, Hist. III, p. 203) أن يستنبط من هذا المنظر أن «حنت تاوي» كانت أمَّ «بينوزم» وليست زوجه، وقال عنها: إنها زوجة الكاهن الأكبر «بيعنخي» (Ibid p. 202). أما الأثري «دارسي» فيعتقد أن موضوع تحقيق ما إذا كانت «حنت تاوي» أم «بينوزم الأول» أو زوجه لم يثبت بعد، ولكنه يميل إلى أنها أمه (راجع Rec. Trav. XXXII p. 185-186).

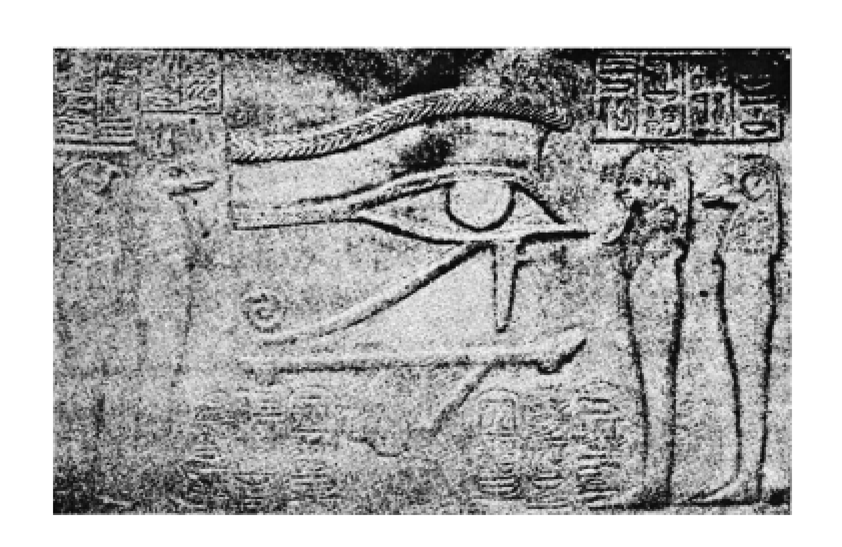
وفي معبد الأقصر: في ردهة التماثيل (راجع Daressy, Rec. Trav. XIV p. 32) قد مثلت مصاحبة الكاهن الأكبر «بينوزم» وزوجه الأخرى «ماعت كارع»، ويلاحظ هنا أن «حنت تاوي» لا تتحلى بالصل، وهذا ربما يدل على أن منظر معبد «الأقصر»، قبل المنظر الذي تحدثنا عنه في القطعة التي وجدت في «مدينة هابو» (راجع Gauthier, L. R. Vol III p. 256 Note 1).

وتحمل هنا الألقاب التالية: «بنت الملك من جسده ومحبوبته، ومغنية «آمون رع» ملك الآلهة، وسيدة الأرضين «حنت تاوي».»

يضاف إلى ذلك أنه في نفس المنظر توجد امرأة ثالثة تحمل لقب: ابنة الملك من جسده ومحبوبته، ورئيسة حريم «آمون» وتدعى «نزمت»، ويتساءل «دارسي» إذا كانت «نزمت» هذه هي نفس «نزمت» التي تظهر في منظر آخر في معبد «الأقصر» وتحمل نفس اللقب (راجع Darssy, Ibid. p. 32 § LIII) هي أم «بينوزم». (راجع L. R. III, p. 24 Note 1) ولكن يحتمل أن «نزمت» هذه زوجة ثالثة مع «ماعت كارع» و«حنت تاوي» (Ibid. 256 Note 1).



شكل ٥: مومية الملكة «حنت تاوي».



شكل ٦: اللوحة التي كانت على فتحة التحنيط للملكة «حنت تاوي».

وجاء اسم الملكة «حنت تاوي» وألقابها على تمثال للإلهة «سخمت»، التي مثلت برأس لبؤة في معبد «موت» بالكرنك. وقد كتبت على ظهر هذا التمثال، الذي يرجع عهده إلى الفرعون «أمنحتب الثالث» … ربة الأرضين «حتحور» «دويت حنت تاوي»، لقد عملته بمثابة أثرها لأمها «موت»، عندما أحضر الفرعون «بينوزم» إلى «طيبة» تماثيل «بولهول» برءوس كباش، وهي تلك التماثيل التي تربط معبد «موت» بالبوَّابة الأولى «لحور محب». ومن كل ما سبق يتضح أن «حنت تاوي» كانت قد تزوَّجت الكاهن الأكبر «لآمون» «بينوزم» بن «بيعنخي» قبل أن يكون ملكًا. وقد جاء مثبتًا لذلك بصورة واضحة البردية الخاصة بهذه الملكة، وهي التي باعها «عبد الرسول» لترجمان سوري، واشتراها منه «مريت» ونشرها عام ١٨٧٦، وكتب عنها «نافيل» (A. Z. (1878) p. 12–21). وقد ذكر فيها نسب «حنت تاوي» بأشكال مختلفة نذكر منها: الزوجة الملكية «حتحور»، المتعبدة «حنت تاوي» التي ولدتها زوجة الملك «بنت آمون»، وأنجبها القاضي «نبسني». ومن ثم نعرف أن «نبسني» كان والد «حنت تاوي»، وأن أمها هي الملكة «تنت آمون». وقد وجد تابوت «نبسني» في خبيئة «الدير البحري»، غير أن موميته لم

تكن فيه. وكان يلقب عليها الكاهن «وعب» (نبسني) أو الكاتب «نبسني»، ووالده القاضي «باحري»، ووالدته ربة البيت «تامسو» (راجع Maspero, Ibid p. 686 ete).

ويوجد لهذه الملكة تماثيل مجيبة في مجموعة «بتري» (راجع Petrie, Hist. III p. 208 fig 84) ويوجد لها كذلك تماثيل صغيرة عديدة في «متحف القاهرة»، هذا خلافًا لصندوقَيْن مملوءَيْن بالتماثيل الجنازية باسم هذه الملكة «بالمتحف المصري» أيضًا (راجع Maspero, Ibid p. 598 p1. XXI c). وتدل تماثيلها الصغيرة على أنها صنعت في عصر متأخر عن العصر الذي صنعت فيه تماثيل «بينوزم» وزوجة «ماعت كارع» على أنها عاشت بعدهما.

وجومية هذه الملكة قد حنطت تحنيطًا فنيًّا، وعلى الرغم من أن اللصوص قد عبثوا بها إلا أنهم لحسن الحظ قد تركوا لنا لوحة من الذهب كانت تغطي الفتحة التي كان يعملها المحنطون لاستخراج الأحشاء منها. وهذه اللوحة تعد أجمل لوحة من هذا النوع عثر عليها حتى الآن (راجع Mummies p1. LXXV1).

(٣-٣) أولاد «بينوزم الأول»

(١) ذكرنا من قبل أنه وجد في تابوت الملكة «ماعت كارع» ابنتها الصغيرة التي ولدتها وماتت معها، ولم نعرف لها اسمًا، وقد ظن بعض علماء الآثار خطأ أن اسمها «موت أمحات»، ولكن هذا الاسم هو اسم ثانٍ لوالدتها، كما ذكرنا ذلك من قبل (L. R. III p. 253-4).

(٢) «نسي-با-نفرحر»: ويحمل لقب الكاهن والد الإله ابن «بينوزم» وقد مُحي اسم أحد أولاد «حريحور» لمعبد الكرنك، وكتب اسم هذا الابن بدلًا منه (L. D. III. 247 Maspero, Ibid. p. 684; L. R. III. P. 259 Note 2, & A. Z XX (1882) p. III).

(٣) «رد خنسوف عنخ»: ويحمل لقب الكاهن الأكبر «لآمون». وكان أول من ذكر هذا الاسم «سسل تور» عام ١٨٩٢، ويقول: إنه وجده مذكورًا على تابوت قد اختفى الآن بكل أسف.[٣٢]

ويرى «برستد» أن هذا الكاهن الأكبر «رد خنسوف عنخ»، قد شغل هذه الوظيفة في السنتين السابعة والثامنة من حكم والده «بينوزم» في حين أن «جوتييه»، يظن أن «ماساهرتا» هو ابن آخر للملك «بينوزم» كان يشغل هذه الوظيفة للمرة الأولى في السنة السادسة عشرة من حكم والده (راجع .Riv. § 650 B. r. A).

(٤) «ماساهرتا»: الكاهن الأكبر «لآمون رع» ملك الآلهة ابن الملك «بينوزم».[٣٣]

(٥) «منخبر رع»: الكاهن الأكبر «لآمون رع» (منخبر رع) بن «بينوزم» (راجع A. S. VIII. P. 22) وسنتحدث عنه فيما بعد.

(٦) «إستمخب»: ابنة الكاهن الأكبر «لآمون». وتدل كل الآثار على أنها كانت بنت «بينوزم الأول»، وأخت «ماساهرتا» وأخت «منخبر رع» وزوجه. وقد قال عنها «مسبرو»: إنها بنت «ماساهرتا»، وعلى ذلك تكون حفيدة «بينوزم الأول»، غير أن هذا الرأي خاطئ[٣٤] على حسب قول «جوتييه»؛ وذلك لأن ما جاء على سرادقها الجنازي من أنها بنت الكاهن الأكبر دون أن يذكر أنها بنت الملك «بينوزم» وأن إخوتها يلقبون «أولاد بينوزم» يظهر لي أن ذلك لا يضعف هذا الرأي الذي صرح به «دي روجيه» في مقاله عن النقوش الخاصة بمقبرة «أحمس الأول».[٣٥]

---

[١] راجع: .Br. A. R. IV, § 635; Rec. Trav. XIV p. 30

[٢] راجع: .Brugsch. Recueil de Monuments pl. 75, 2

[٣] راجع: .Legrain. Cat. Gen. p. 60 No. 42191

[٤] راجع: .Prisse d’Avenne Rev. Archeol. I, p. 724

كاهن آمون الأكبر ماساهرتا

لقد اختلفت الآراء بين علماء الآثار في موضوع تولي «ماساهرتا» وظيفة الكاهن الأكبر «لآمون». هذا ويجب ألا نخلط بينه وبين سميه ابن «حريحور» الكاهن الأكبر والملك، فنجد أن «بتري» قد ذكر «ماساهرتا» بين أولاد «بينوزم الأول»، وكذلك قدم لنا قائمة بآثاره (Petrie, Hist III. p. 266, 209)، ولكنه في الوقت نفسه لم يخصص له عنوانًا بوصفه كاهنًا أكبر «لآمون»؛ وذلك لأنه قد ظن أنه مات قبل والده، وكذلك اعتمد الأستاذ «برستد» على ما جاء في لوحة «مونييه» (راجع Br. A. R. IV § 650) فأكد أن «ماساهرتا» قد مات قبل السنة الخامسة والعشرين من حكم والده «بينوزم». والواقع أنه عند هذا التاريخ كان أخوه الأصغر «منخبر رع» هو الكاهن الأكبر. وقد أبدى نفس هذا الرأي الأثري «دارسي»[١] حيث يقول: إن «بينوزم» قد مهد لابنه البكر ليكون ملكًا بعده، ولكن بموته بين السنتين السادسة عشرة، والخامسة والعشرين من حكم والده حل محله كاهنًا أكبر أخوه «منخبر رع». ومن جهة أخرى نرى أن الأثري «بدج»[٢] قد خصص للكاهن الأكبر «ماساهرتا» بحق فصلًا خاصًّا بين والده وبين أخيه.

والظاهر أن الاسم «ماساهرتا» مشتق من أصل سامي، أو أفريقي معناه «الابن الإله الوحيد».[٣]

والواقع أنه قد خلف «بينوزم» في وظيفة الكاهن الأكبر «لآمون» ابناه «ماساهرتا»، ثم «منخبر رع» على التوالي. وقد بقي «ماساهرتا» مجهولًا لنا حتى عُثر على تابوته وموميته في خبيئة «الدير البحري». والظاهر» أنه قد تسمى باسم الابن السابع للفرعون «حريحور»، ولا غرابة فإنه يحدث كثيرًا أن يتسمى الحفيد باسم الجد.



شكل ١: مومية الكاهن الأكبر والقائد الأعلى «ماساهرتا».

وأقدم أثر عليه اسمه تمثال ضخم من الجرانيت للإله «خنسو» برأس صقر، وقد كان في «بروكسل» في إصطبلات الملك. وقد نقش على جانبه الأيسر النقش التالي: «الأمير الوراثي، مرشد الأرضين، والكاهن الأكبر «لآمون رع» ملك الآلهة «ماساهرتا» المرحوم محبوب «خنسو».» (راجع A. Z. 1882 p. 134) وكذلك له أثر آخر وهو لوحة بالكرنك نقشت عند

الزاوية الغربية من الجدار الجنوبي للمعبد الصغير الذي أعاد بناءه في الشمال من البوَّابة الأولى «لحور محب» وهو بقايا مبنى كان للفرعون «أمنحتب الثاني»، ونرى في هذه اللوحة صورتين للإله «آمون» ظهرًا لظهر: الأول يُدعى «آمون رع»، والثاني «آمون (؟)» ويلاحظ أن «آمون» الأخير يتسلم قربانًا من شخص واقف ومعه نقش نعرف منه أنه «ماساهرتا» وهو: عمله الكاهن الأكبر «لآمون رع» ملك الآلهة «ماساهرتا» المرحوم ابن الملك «مري آمون» «بينوزم الأول» (Ibid p. 133).

والألقاب التي يحملها على تابوته هي الألقاب العادية التي يحملها الكاهن الأكبر «لآمون»، ومعها بعض روايات هامة. فإنه لم يكن القائد الأكبر للجيوش في الوجهين القبلي والبحري أو البلاد بأجمعها فحسب، بل كان يحمل لقب السيد العظيم لمصر. ولكن على الرغم من هذه الألقاب الطنانة فإن القليل الذي نعرفه عنه شخصيًّا يوحي بأنه كان نكرة، إذ لم يقم بدور هام في شئون البلاد في زمنه. والمعتقد أن مكانته بجوار والده كانت كمكانة «بيعنخي» بجوار والده «حريحور»، ذلك أن «بينوزم» عندما تولى عرش الملك ترك وظيفة الكهانة الكبرى «لآمون» لابنه «ماساهرتا» كما فعل من قبله «حريحور» مع ابنه «بيعنخي»، وبذلك كان يشغل «ماساهرتا» المكانة الثانية في «طيبة». والظاهر أنه مات في عهد والده.

(١) آثاره في الحيبة

والظاهر أن هذا الكاهن قد انتابته الأوجاع في أواخر أيامه، كما يدل على ذلك بعض الرسائل التي عُثر عليها في الحيبة، وتوج في هذه الجهة بقايا عدة خطابات يرجع عهدها للأسرة الواحدة والعشرين.

وقد نشر هذه الرسائل الأستاذ سبيجلبرج (راجع A. Z. 53 p. 1–30) وقد دل الفحص على أنه كان يوجد في هذه الجهة حصن، وبخاصة إذا عرفنا أن قد وجد بعض لبنات من مباني المدينة كُتب

عليها طغراء الفرعون والكاهن الأكبر «لآمون»، وكذلك اسم زوجه «إستمخب»، وكذلك اسم ابنيها «بينوزم»، وقد جاء اسم «إستمخب» على قطعة من هذه الخطابات (22 1 a)، وقد لُقبت متعبدة الإله «آمون». وكذلك ورد في أحد الرسائل تألم كبير في الخطاب رقم ٢١ من أخ الملك والكاهن الأعظم «منخبر رع» المسمى «ماساهرتا» الكاهن الأكبر «لآمون»، وفي هذا التألم شكا هذا الكاهن من مرض ألمَّ به للإله المحلي ليحميه من غائلته. ويدل ما تبقى لدينا من الخطاب على أن جزءًا كبيرًا منه قد فُقد. ويدل كذلك ما بقي من الرسالة على أن هذا الكاهن الأكبر قد أرسل خطابًا لكاهن يدعي «بن-با-أهي» وهو طريح الفراش يطلب إليه أن يكون وسيطًا بينه وبين الإله المحلي؛ ليشفيه من علته ويُبْرِئَه من سقامه. ويفهم من مضمون الرسالة أن هذا الكاهن الأكبر «لآمون» الذي كان يعدُّ أقوى وأعظم إله في البلاد قد التجأ إلى إله محلي في سقامه هذا، ولا بدَّ إذن أنه كان بينه وبين هذا الإله المحلي صلة تربطه به، ولا يبعد أن يكون الإله المحلي للكاهن «ماساهرتا»، يدل على ذلك أنه يقول له: إنه ابنه وطفله، وفي الوقت نفسه يتضمن في خطابه الدعاء لأخيه «منخبر رع»، ومن ثم نعرف أن الأخير كان هو الأخ الوحيد للكاهن «ماساهرتا»، وهاك ما بقي من الخطاب:

> … بن-با-أهي … المرض. كن رحيمًا، ونَجِّهِ وأعد له الصحة، وأبعدْ عنه كل مرض فيه! ليت إله «بن-با-أهي» يرضى وينجي «ماساهرتا»، وليته يعيد إليه الصحة والحياة والعافية والصحة والعمر الطويل ويمنحه شيخوخة عظيمة، ويسمع صوت «ماساهرتا» ابنه وخلفه. وليته ينجي أخا خادمه هذا ويعيد إليه الصحة ويمنحه ثانية كما منحني — بسبب توسلي — كل شيء طيب فعله لي.

وفضلًا عن ذلك قد جاء في قطع متفرقة من هذه الخطابات ما يشير إلى اسم «بسوسنس» و«بيعنخي» قائد الجيش والكاهن الأكبر ابن «حريحور» مؤسس الأسرة الواحدة والعشرين.

وقد خص الأستاذ «سبيجلبرج» بالدرس أربعة متون من هذه الرسائل، وهي:

(١) رسائل كتبها الكاهن والد الإله المسمى «حور-بن-إسي» (١-٢).

(٢) رسائل إلى الكاهن نفسه (٣–٥).

(٣) رسائل إلى كاهن الإله «بن با أهي» وقد تحدثنا عنها (٦-٧).

(٤) رسائل أخرى ومتون (٨–١٦).

رسالة الكاهن والد الإله «حور-بن-إسي»: إن من يفحص أوراق الحيبة يجد أن اسم الكاهن والد الإله وكاتب المعبد «حور-بن-إسي» تابع للمعسكر (أي: التابع لحصن الحيبة). ونعلم من الرسائل أنه يعمل في معبد الحيبة وأنه كان في خدمة الأميرة «إستمخب».

وهاك ما تبقى من خطابه الأول: «… والد الإله وكاتب المعبد «حور-بن-إسي» التابع للحصن إلى … كم-كمى (؟) ليتك تُعطى الحياة والعافية والصحة! وليتك تكون في حظوة الآلهة … التي أرجوها لك كل يوم، وإني أتحدث «لآمون رع حوراختي» عندما يشرق وعندما يغرب، وإلى «آمون» صاحب السرور (نعت «لآمون» إله الحيبة) الإله العظيم (في الحيبة). ليتك تُعطى الحياة والعافية والصحة وعمرًا طويلًا وشيخوخة جميلة رفيعة وحظوة كبيرة أمام الآلهة والناس كل يوم. لقد سمعت الخطاب الذي أرسلته على يد «يس …» الناسج والذي تقول فيه: أقصِ كل الناس التابعين لقائد المشاة الذين في هذا البيت ملك «بيعنخي». وهكذا تحدثت إلي … انظر إن الناس الذين أرسلتهم أقصهم من البيت، وإني سآتي منحدرًا في النهر إلى الحيبة في الصباح (وأبقى هناك؟).»

عنوان الرسالة: … والد الإله وكاتب المعبد للإله «بن با أهي» (المسمى) «حور بن إسي» إلى (… كمى …).

الرسالة: والد الإله وكاتب المعبد «حور-بن-إسي» التابع للحصن إلى رئيس ... «شابوتي»، ليتك تُعطى الحياة والعافية والصحة، ليتك تكون في حظوة «آمون رع» مالك الآلهة سيدك الطيب، وإني أتوسل إلى «آمون رع حوراختي» عند شروقه وعند غروبه لينجيك. ليتك تُعطى الحياة والعافية والصحة وحياة طويلة وشيخوخة جميلة رفيعة، والحظوة أمام الآلهة والناس كل يوم. لقد سمعت هذه الرسالة التي أرسلتها على يد «حور-بشي»، والتي قال فيها الرسول: إنه لا يوجد أي جواد هناك، وعندما حضرت إليك لم يكن هناك أي جواد، وعندما تأتي فإنك لا تنشغل علينا؟ اعمل على أن تكون هذه الجياد. واحضر عندما نرسل إليك، وأرسل إلينا بعض الناس ولا تكن غير مطيع. تأمل الـ ... الذين في الخبيئة واعمل معه كل سيئة، وأرسل حراسًا حول الجدران! وليت يحضر لنا بقائمة. وفضلًا عن ذلك لا تنزل أي رجل إلى الحقل سواء أكان جنديًّا أو نساجًا أو عاملًا تابعًا للأرض!

العنوان: والد الإله وكاتب المعبد «حور-بن-إسي» إلى رئيس جنود «شابوتي».

خطاب للكاهن «حور-بن-إسي» (Pap. Hierat. Strassburg. 26 t. III.): الكاهن والد الإله «لآمون رع» ملك الآلهة، وكاتب ضيعة معبد «آمون رع» ملك الآلهة ... القائد «باشوتي» يكتب لوالد الإله وكاتب المعبد «حور-بن-إسي» التابع للحصن: ليتك تُعطى الحياة والعافية والصحة، وليتك تكون في حظوة «آمون رع» ملك الآلهة، وأن يعطيك الحياة والعافية والصحة وطول العمر وشيخوخة رفيعة جميلة، والحظوة أمام الآلهة والناس كل يوم. وبعد، عندما يصل إليك خطابي اقبض على العبيد أتباع «بادي آمون» هذا الكاهن والد الإله «لآمون»، وهم الذين هربوا وولوا الأدبار نحو الصعيد وجاءوا إلى الخبيئة التي هم فيها، وتقبض عليهم كلهم في الزمان والمكان، وأعدهم ... «آمون» خادمك، وأن يسرع ويحضرهم نحو الجنوب.

العنوان: «الكاهن والد الإله «لآمون» الـ ... الكاتب «باشوبي» إلى الكاهن والد الإله، وكاتب المعبد «حور-بن-إسي التابع للحصن».» (pap. Hieratic, Strassburg 25 t. IV) رسالة أخرى.

«... فلان يكتب للكاهن والد الإله، وكاتب المعبد التابع للحصن «حور-بن-إسي»: ليتك تُمنح الحياة والعافية والصحة! ليتك تكون في حظوة «آمون» سيدك الطيب، وليته يعطيك الحياة والعافية والصحة والعمر الطويل والشيخوخة الوقورة الطيبة، وحظوات عديدة أمام الآلهة والناس كل يوم، والحياة والعافية والصحة ... كل يوم، إن متعبدة الإله «آمون» سيدتي قد أرسلت «حور حنت ثوي» الصياد هذا، وقد سافر منحدرًا في النهر حيث أنت خلف الصياد، وعندما يصل إليك احترمه، ولا تدعه يذهب، وعيِّن أناسًا تحت تصرفه، أناسًا ثقات كانوا معه من قبل. أعده وأرسله ... مسرعًا جدًّا، ولا تجعله يتوانى! تأمل، لقد أرسلته في الخامس عشر من بئونة لأجل أن يصل إليك. فأخبرني كما تظن عن الوقت الذي أعدته فيه نحو الجنوب في خطابك الذي سترسله.

العنوان: من فلان إلى والد الإله، وكاتب المعبد «حور-بن-إسي» التابع للحصن.

ويلاحظ أن متعبدة الإله «آمون» المذكورة هنا وهي «إستمخب» لا بد أنها زوج «منخبر رع»، وقد جاء ذكرها مرة أخرى في هذه الخطابات (راجع A. Z. 53, p. 4).

(٢) مومية الكاهن الأكبر «ماساهرتا»

وقد عُثر على تابوت الكاهن الأكبر «ماساهرتا»، وفيه موميته في خبيئة «الدير البحري»، ولُقِّب على التابوت بالكاهن الأكبر «لآمون رع» ملك الآلهة، والقائد الأعلى للجيش في الوجهين القبلي والبحري، كما لُقب «أوزير» السيد العظيم لمصر، والكاهن الأول «لآمون رع» ملك الآلهة «ماساهرتا» المرحوم. ورُسم على النسيج الذي على صدره الإله «أوزير» بصورة كبيرة بالمداد

«أوزير الكائن الطيب»، مرتكزًا على العلامة الدالة على الغرب، ولها ذراع ومعها الكلمات: «رب الجبانة». وطول المومية قبل فك لفائفها كان حوالي ١,٧٠ متر.

وقد فحصت في ٣٠ يونيو سنة ١٨٨٦، وقد لوحظ في الحال أن اللصوص الأحداث قد سرقوا ما عليها وما معها من حلي وآثار. وكان «ماساهرتا» ثقيل الجسم بدينًا، وقد ارتخى جلده وترهل في أثناء التحنيط، وظهرت تجاعيد الجسم غير منتظمة، ويلاحظ أن الرأس كان غليظًا منتفخًا، حتى إنه لا يشبه في شيء رأس والده «بينوزم».

وقد وجد في خبيئة «الدير البحري» تماثيل جنازية باسم «ماساهرتا» تشبه التي وجدت لوالده «بينوزم» (راجع Maspero, Ibid 699).

(٣) أسرة الكاهن الأكبر «لآمون» (ماساهرتا)

(٣-١) زوجه «تايوحرت» (؟)

وتُلقب على تابوتها: «أوزير» ربة البيت ومغنية «آمون رع» ملك الآلهة «تايوحرت» المرحومة.



شكل ٢: مومية «تايوحرت» زوج «ماساهرتا».

وجد لهذه السيدة تابوتان، وقد اتضح أنهما كانا في الأصل لسيدة تدعى «حاتي»، وتلقب ربة الدار ومغنية «آمون رع» ملك الآلهة. ثم اغتصبته «تايوحرت»، ويبلغ طول موميتها ١٫٦٢ متر.

وقد كان مصوَّرًا على ظهر الكفن صورة «أوزير»: «أوزير رب الأبدية وحاكم الآخرة الإله الطيب»، وكتب على الجسم النقش التالي: «أوزير» ربة البيت وكبيرة المغنيات لحريم «آمون رع» ملك الآلهة. وقد نهب اللصوص الأحداث ما مع المومية من حلي، غير أن الجسم قد بقي سليمًا (راجع Maspero, Ibid p. 578).

(٣-٢) ابنته إستمخب

(؟) وتحمل الألقاب التالية: ابنة الكاهن الأكبر «لآمون» كبيرة الحريم للإله «مين حورازيس» في «أبو» (كفر أبو) «إستمخب». ويقول «جوتييه» (L. R. III, p 563 Note 3) ليس لدينا ما يبرهن على أن «إستمخب» هذه كانت بنت «ماساهرتا»، غير أن ذلك محتمل جدًّا؛ لأن اسم هذا الكاهن الأكبر يظهر مرات عدة على السرادق الجنازي. وقد خلط بين «إستمخب» واسم كاهنة «آمون» و«موت» و«خونسو» التي ذكر اسمها على التابوت المزدوج المحفوظ بمتحف القاهرة. وقد قيل عنها: إنها بنت الكاهن الأكبر «لآمون» المسمى «منخبر رع». أما «دارسي» فعلى العكس قد ذهب (Rev. Archeol. I. p. 68) إلى أن الاختلاف في الألقاب الدينية يدل على وجود اسمين مختلفين، وأن «إستمخب» صاحبة التابوت المزدوج هي زوج «منخبر رع» وأن هناك «إستمخب» ثالثة صاحبة المقعد المصنوع من البرنز، وهي التي اغتصبت تابوتها «نسي خنسو»، وهي بنت الأخيرة. ثم يستمر «جوتييه» قائلًا: ولا أعرف إذا كان ينبغي أن نعترف بهؤلاء النسوة الثلاث اللائي سُمين باسم واحد، أو نعترف باسمين أو حتى بواحدة، وعلى أية حال قد سمى «إستمخب» بنت «ماساهرتا» «إستمخب الأولى».

سرادق «إستمخب»: (راجع Momies Royales, p. 584 ff)

وسواء أكانت «إستمخب» هي ابنة «ماساهرتا» أو غيره فإن السرادق المنسوب إليها يُعد من القطع الفنية الطريفة التي عثر عليها في خبيئة الدير البحري. وقد وجده «إميل بركش» في الممر الطويل لهذه الخبيئة، وكان عبارة عن حزمة عظيمة من الجلد ملفوفة بصورة غير منتظمة تَزْوَرُّ عنها العين، والظاهر أن أحد الكهنة قد وضعها وهو مسرع في الخروج من المقبرة، وعند نشرها اتضح أنها قطعة هامة من السرادق الذي كان يظلل تحته التابوت في أثناء الاحتفال بالجنازة. والجزء الأوسط من هذا السرادق طوله أكبر من عرضه، وينقسم ثلاث شقات من الجلد الأزرق السماوي الذي تحوَّل إلى رمادي بفعل الزمن، والشقتان الجانبيتان قد رصعتا بنجوم صفراء وحمراء على التوالي موزعة على أربعة وعشرين صفًّا، كل منها يشمل ثمانية نجوم، وفي الشقة

الوسطى أو الشريط الأوسط رُسمت رسوم نسور تحمي أجنحتها المنتشرة المتوفاة، ويكتنف كل نسر متنان موحدان جاء في كل: «يعيش الكاهن الأكبر «لآمون ماساهرتا».» ويفصل الواحد عن جاره شريط من النجوم ذات اللون الأصفر، في الجوانب الأربعة لهذه الرقعة أربع قطع من الجلد مؤلفة من مربعات خضراء وحمراء مجموعة في شكل رقعة الشطرنج، غير أنها ليست منتظمة تمامًا. والشرائط التي على الجهات الطويلة من الرقعة متصلة بالوسط بحافة من الزخرف.

وعلى اليمنى نشاهد جعارين ذات أجنحة منتشرة، ثم طغراءات الفرعون «بينوزم» على التوالي تحت إطار من حديد حراب، ويشاهد بين الإطار وطغراءات الملك «بينوزم» سطر من النقوش المصرية: راحة هنيئة في مكانها مثل التي ضُمخت بعطورها وبخورها، ومثل التي تسطع بكل أنواع الأزهار ذات الرائحة الحلوة كالتي في «بنت»! راحة هنيئة من يد «خنسو»؛ لأنه سيد «طيبة» وهو الذي ينجي من يحب عندما يكون في العالم السفلي، وهو الذي يضع الآخرين ضمن الذين يتمتعون بمؤنة لأجل روح «بنت» الكاهن الأول «لآمون» ورئيسة المغنيات للإله «مين» و«حور» و«إزيس» في «أبو» (كفر أبو الحالي) المسماة «إستمخب». وعلى اليسار نجد الزخرف نفسه، ولكن النقوش تختلف: راحة هنية على يد «إزيس» حامية أعضائك لتحفظ أوصالك من كل شر، وتجري عليك قوتها السحرية كل يوم. راحة جميلة بفرح على يدي «موت» سيدة «إشرو» وربة المؤن، وسيدة الطعام، والتي تعيش طويلًا بفضل صولجانها لتجعل عينيك تريان، وأذنيك تسمعان، ووجهك يبقى، ويصلح لأجل روح بنت الكاهن الأول «لآمون»، ورئيسة المغنيات للإله «مين» و«حور» و«إزيس» صاحبة «أبو» «إستمخب».

ويلاحظ أن إحدى السرادق وهي أضيقها ليس فيها أية زخرفة، وتتصل فيها الضامات بالرقعة الوسطى بثلاثة أشرطة ضيقة.

والجهة الأخرى محلاة بزخرف مركب جدًّا. فنشاهد في الوسط طاقة من البشنين يكنفها طغراءات ملكية، وتأتي بعد ذلك غزالتان راكعتان كل منهما على سلة ثم طاقتان من البردي، وأخيرًا جعارين تشبه التي على الحافة الأخرى، والمتنان اللذان كُتبا تحت الجعارين يكرران لنا اسم الأميرة بنت الكاهن الأكبر «لآمون»، ورئيسة مغنيات مين حور-إزيس «إستمخب». وفوق ذلك نشاهد إطارًا من حديد الحراب.

وصناعة هذا السرادق غريبة جدًّا. فنلاحظ أن النقوش الهيروغليفية والأشكال كانت مقطوعة في قطع كبيرة من الجلد، كما نقطع نحن الآن أرقامنا وحروفنا في ألواح النحاس، وبعد ذلك كانت تخاط في الفراغ المتخلف سيور من الجلد باللون الذي يراد أن تلون به الحلية أو الحروف، وإخفاء للترقيع الذي كان لا بد أن يكون نتيجة لذلك، كان يبطن الجزء الخلفي بقطع من الجلد الأبيض أو الأصفر الفاتح. وقد برزت صور الغزلان والجعارين والأزهار بصورة واضحة ورشيقة كالتي تصوِّرها صورة المفتن على الجدران، أو على ورقة البردي. هذا إلى أن انتخاب أشكال الحلية كان موفقًا، والألوان بهجة متناسقة وزاهية في وقت واحد. ويدل الفحص على أن هذا السرادق على ما يظهر كان قد صنع من بقايا سرادق آخر مماثل له، فالجزء الأوسط منه مأخوذ في الغالب من سرادق «ماساهرتا»، وأضيف إليه على الجانبين قطع جديدة باسم «إستمخب». وقد ماتت هذه الأميرة بعد وفاة أبيها بزمن طويل، والجزء الأوسط من هذا السرادق تبلغ مساحته ٥٫٥ × ٢٫٢٢ متر من الجهتين الصغيرتين، أما القطعتان الجانبيتان فيبلغ طولها ١٫٦٠ متر.

---

[١] راجع: Daressy. Revue Archeol. (1896) T. II. p. 85.

[٢] راجع: Budge History, Vol. VI. p. 24-25 & Book of Kings II, p. 28.

الكاهن الأكبر والملك «منخبر رع»

خلف «منخبر رع» أخاه الأكبر «ماساهرتا» كاهنًا أكبر «لآمون» في تاريخ غير مؤكد لنا حتى الآن، ولكنه كان على وجه التأكيد بين السنة السادسة عشرة والخامسة والعشرين من عهد ملك «تانيس» «أمنمأبت» (؟) وقد امتدت مدة اعتلائه كرسي كهانة «آمون» إلى أن مات الملك «أمنمأبت» الذي مكث على أكثر تقدير حتى السنة التاسعة والأربعين من حكمه.

وتنقسم الآثار التي خلفها لنا هذا الكاهن والملك ثلاثة أقسام:

(١) آثار «منخبر رع» بوصفه كاهنًا أكبر، ويرجع تاريخها إلى عهد الملك «بينوزم الأول» والفرعون «أمنمأبت».

(٢) آثار «منخبر رع» التي لم تؤرخ.

(٣) آثار «منخبر رع» في أثناء جلوسه على عرش الملك باسم الملك «بسوسنس الثاني».

والأثر الهام الذي تركه لنا «منخبر رع» من الوجهة التاريخية في أثناء جلوسه على كرسي الكاهن الأكبر «لآمون»، أي قبل أن يكون ملكًا على البلاد هو تجديد لفائف الفرعون «سيتي الأوَّل» في السنة السابعة من عهد ملك لم يسمَّ باسمه، ولكن تدل شواهد الأحوال على أنه هو الملك «أمنمأبت» الذي خلف «بينوزم الأول» والد «منخبر رع» في «تانيس»، ويقول «برستد»: «إنه ربما كان في الفترة بين حكم هذين الملكين قد اكتسب الامتيازات الفرعونية، وكذلك لقب الملك «بسوسنس»، الذي لم يستعمله قط في حياة والده.» (راجع Br. A. R. IV § 661) على أن «منخبر رع» لم يجدد شيئًا كثيرًا في لفائف «سيتي الأول» إذ أثبت الفحص الحديث أن معظم اللفائف القديمة كانت عليه، وكل ما عمله أنه أصلح حالتها من العبث الذي لاقته على أيدي اللصوص في عهد الأسرة الحادية والعشرين. فبعد أن انتزعت ست طبقات من اللفائف وجد على قطعة سيج كبيرة نقش يحتوي تاريخًا جديدًا، ولكنه كما قلنا لم يذكر فيه اسم الملك الحاكم وقتئذ،

وهو: السنة السابعة. الشهر الثاني من الفصل الثاني، اليوم السادس والعشرين، وهو يوم دفن الملك «من ماعت رع» (سيتي الأول) له الحياة والفلاح والصحة.

وبعد ذلك كشف عن كتلتين من اللفائف بين قطعة نسيج مكتوبة وبين الجسم. وقد خط عليها بالمداد سطر واحد هو: «النسيج الذي صنعه كاهن «آمون» الأكبر لوالده «آمون رع» في السنة السادسة.» ومن هذين المتنين نفهم أنه في السنة السادسة أمر «منخبر رع» بصنع نسيج في السنة السادسة من عهده، وبه أصلحت لفائف الفرعون «سيتي الأول» في السنة السابعة من عهد هذا الكاهن الأكبر (راجع Monies Royales p. 555).

(١) لوحة «النفي» أو لوحة «مونيه»: (راجع Gauthier, L. R. III, p. 264)

هذه اللوحة التي تشير إلى عهد هذا الكاهن محفوظة بمتحف «اللوفر»، وهي منحوتة في الجرانيت الأسود. وتصف لنا وصول «منخبر رع» إلى «طيبة». وكان قد أرسله والده لإعادة النظام في نصابه والقضاء على ثورة يحتمل جدًّا أن سببها يرجع إلى موت الكاهن الأكبر «ماساهرتا»، والظاهر أن «بينوزم» الأول كان قد أراد أن يستغني عن منصب الكاهن الأكبر عندما توفي «ماساهرتا»، غير أن الطيبيين أجبروه على إرسال كاهن أكبر إليهم بدلًا منه. وكان هذا هو ابنه الأصغر «منخبر رع»، وعلى ذلك فإنه من المحتمل جدًّا أن «منخبر رع» هذا لم يتولَّ أعمال وظيفته الدينية إلا في السنة الخامسة والعشرين، وهذا التاريخ وكذلك السنة الأربعون، والسنة الثامنة والأربعون، لا يمكن أن تطبق على عهد «بينوزم» الأول، وقد نسبها «جوتييه» لحكم الفرعون «أمنمأبت» خلفه، غير أنه يميل إلى الاعتراف بأن الملك الجديد قد استمر في عدِّ سني حكمه مبتدئًا بتولية «بينوزم الأول».[1]

أما «برستد» فيقول في تفسير ما جاء على هذه اللوحة ما يأتي: نجد «منخبر رع» آتيًا من الشمال، وقد كان المفروض أنه حضر من «تانيس» إلى «طيبة» في السنة الخامسة والعشرين من

عهد «بينوزم الأول»، وقد أحيطت لغة وثيقة هذه المأمورية الهامة التي كانت سببًا في مجيئه إلى «طيبة» بحجاب من الغموض عن قصد، حتى أصبح من الصعب تحديد كنهها، فقد أتى «منخبر رع» ليقضي على أعداء غير معروفين، ويعيد النظام إلى نصابه في «طيبة». وهذا يدل على قيام عصيانٍ من نوعٍ ما بين الطيبيين، وبعد إخضاع هذا العصيان ظهر «منخبر رع» أمام الإله «آمون»، وقد توصل إلى الحصول على وحي بالطرق العادية، وهي التي كانت متبعة على الأقل منذ زمن «حريحور» من الإله، وبه سمح لكل من نُفي إلى الواحة الجنوبية بالعودة إلى مصر، يضاف إلى ذلك أنه قد حصل على رضاء الإله بإصدار مرسوم سرمدي يحرم مثل هذا النفي في المستقبل. وهذه اللوحة كانت السجل الثابت لهذا المرسوم. وقد ختمت المحادثة مع الإله «آمون» بقوله: «إن كل القاتلين يجب أن يذبحوا.» والمسألة الهامة هنا هي شخصيات هؤلاء المنفيين الذين عفا عنهم «آمون»، غير أن الوثيقة التي في أيدينا قد سكتت عن هذا الموضوع سكوتًا تامًّا، فهل كان هؤلاء طيبيين قد أشعلوا نار الفتنة في المدينة؟ وهل كانت إعادتهم إلى وطنهم لتهدئة الحالة الثائرة؟ وهل كان هذا آخر عمل قاسٍ فعله الإله بمثابة تذكرة لأهل العنف وإنذارًا بما ينتظرونه إذا قامت ثورة أخرى؟

ترجمة اللوحة: التاريخ والمقدمة: السنة الخامسة[٢] والعشرون، الشهر الثالث من الفصل الثالث، اليوم التاسع والعشرون المقابل لعيد «آمون رع» ملك الآلهة في العيد الجميل (وهذا لا يمكن أن يكون عيد الأقصر) لأنه كان يقام في الشهر الثاني كما يقول «بركش» (راجع Brugsch. Gesch. p. 45) … (٢) … «نسحور» في زيارتهم هناك لها. وكان جلالة هذا الإله السامي … (٣) طيبة وبعد ذلك سلك طريقه إلى الكتاب والمراقبين والناس …

الرحيل إلى «طيبة»: (٤) السنة الخامسة والعشرون، الشهر الأول من فصل … اليوم … وبعد ذلك تكلم جلالته إلى الناس: «آمون رع» رب «طيبة» …

(٥) وقلوبهم ثابتة ... وجماهيرهم ... الكاهن الأكبر «لآمون رع» ملك الآلهة، والقائد الأعلى للجيش «منخبر رع» المنتصر ابن الملك «بينوزم» «مري آمون» ... (٦) ... رفيق خطواته، في حين أن قلوبهم كانت منشرحة، لأنه كان قد رغب في المجيء إلى الجنوب بالقوة والنصر ليسر قلب الأرض، وليطرد أعداءه وليعطي ... (مثل ما) (٧) كانوا في عهد الإله «رع».

الوصول إلى «طيبة»: ووصل إلى مدينة «طيبة» بقلب منشرح، وقد استقبله شباب «طيبة»، وأقاموا له الأعياد بوفود أمامه. وقد ظهر جلالة هذا الإله السامي سيد الآلهة «آمون رع» رب «طيبة» في (موكب) ...

(٨) لأجل أن ... له كثيرًا جدًّا كثيرًا جدًّا، ووضعه على عرش والده كاهنًا أكبر «لآمون رع» ملك الآلهة، والقائد الأعلى لجيوش الجنوب والشمال. وقد قرر (الإله) له معجزات لطيفة لم تحدث مثلها منذ زمن الإله «رع».

عيد السنة الجديدة: والآن بعد (٩) الشهر الرابع من الفصل الثالث، في اليوم الخامس من العيد (والمقصود هنا اليوم الخامس من أيام النسيء) ولادة «إزيس»، وهو المقابل لعيد «آمون» عند السنة الجديدة، ظهر جلالة هذا الإله السامي، رب الآلهة «آمون رع» ملك الآلهة، في موكب، وأتى إلى القاعات العظيمة لبيت «آمون»، ووقف عند جدار سور «آمون» (١٠) فذهب إليه الكاهن الأكبر «لآمون رع» ملك الآلهة، وقائد الجيش الأعلى «منخبر رع» ومدحه كثيرًا جدًّا، ووقف له قربانه من كل شيء جميل.

إعادة المنفيين: وبعد ذلك قص عليه الكاهن الأكبر «لآمون» «منخبر رع» المنتصر قائلًا: «يا سيدي الطيب عندما يكون هناك أمر هلا يقصه الإنسان ... (؟)» وعلى ذلك هز الإله رأسه بعنف. ثم ذهب ثانية إلى الإله العظيم قائلًا: «يا سيدي الطيب إنه موضوع خدمك الذين غضبت عليهم، وهم الذين في الواحة التي نفوا إليها.» وعندئذ هز الإله رأسه بعنف، على حين كان قائد الجيش هذا يمدح سيده رافعًا يديه، كما يحدِّث[٣] والد ابنه (؟): مرحبًا بك يا موجد كل كائن، وبارئ كل ما

يوجد، ويا والد الآلهة، وبارئ الإلهات، والذي يمدهم في المدن والأقاليم، وخالق الرجال، وبارئ النساء، وصانع حياة كل الناس. وإنه «خنوم»[٤] الباني بامتياز، ومعطي نفس الحياة، ونسيم الشمال … والناس تعيش من مؤنه، وهو الذي يمد الآلهة والناس بحاجياتهم، والشمس بالنهار، والقمر بالليل يسبحان في السماء بدون (١٤) انقطاع. وإنه عظيم الشهرة، وأقوى من «سخمت»[٥] مثل النهار … لأجله التي تصلي له، وإنه صاحب صحة يشفي المريض عندما تتطلع الناس إليه … (١٥) … إنك ستسمع لصوتي في هذا اليوم، وإنك سترق لخدمك الذين نفيتهم (١٦) إلى الواحة، وإنهم يحضرون ثانية إلى مصر. فهز الإله العظيم رأسه بعنف.

العفو عن المنفيين: وبعد ذلك تكلم (الكاهن الأكبر) ثانية قائلًا: «يا سيدي الطيب؛ أمَّا عن أية كتابة تعمل … أي لأجل أن يحضرها فليعن …» وعندئذ هز الإله رأسه بعنف، ثم ذهب إلى الإله العظيم قائلًا: «يا سيدي العظيم ستصدر مرسومًا عظيمًا باسمك على ألا يُنفى أحد من أهل البلاد لإقليم الواحة النائي ولا … منذ هذا اليوم.» (١٨) وعندئذ هز الإله رأسه بعنف، ثم تحدث ثانية قائلًا: «عليك أن تقول ذلك: سيصدر في مرسوم على لوحة … في باقية وثابتة سرمديًّا.»

تقديم الشكر «لآمون»: وبعد ذلك تكلم ثانية الكاهن الأكبر «منخبر رع» المنتصر قائلًا: «يا سيدي الطيب إذن … عشرات آلاف المترات، والأمر ليكون للأب والأم في كل أسرة، وكل كلمة مني ستشرح القلب في حضرتك، وإني خادمك المطيع، والمفيد لروحك (٢٠) وإني كنت شابًّا في مدينتك وإني أنتجت مؤنتك و… في حين كنت لا أزال في الفرج عندما كوَّنتني في البيضة، وعندما أتيت بي إلى الوجود كان ابتهاجًا عظيمًا للناس. امنحني أن أمضي حياة سعيدة (٢١) بوصفي تابعًا لروحك. وحيث تقف[٦] توجد الطهارة والصحة، ضع قدمي في طريقك، وأرشدني إلى نهجك. املأ قلبي … ليفعل … امنحني أن أمضي شيخوخة سعيدة في أمن، على حين أكون مستقرًّا عائشًا في بيتك السامي مثل كل محبوب …»

ذبح القتلة: (٣) وعندئذ ذهب الكاهن الأكبر «لآمون» «منخبر رع» قائلًا: «أما عن أي شخص يبلغ عنه أمامك قائلين: إنه ذبح الأحياء … فعليك أن تهلكه، وعليك أن تذبحه.» وعندئذ هز الإله رأسه بعنف (علامة على الرضا).

إصلاحات «منخبر رع»: وقد قام «منخبر رع» بإصلاحات واسعة النطاق، غير أنه لم يترك لنا عليها نقوشًا موضحة كافية، فقد قام ببعض إصلاحات في معبد الأقصر، كما يدل على ذلك نقش تركه لنا على الجدار الخارجي للسور الخاص بقاعة العمد، وهو: «إصلاح الأثر الذي عمله الكاهن الأكبر «لآمون رع» ملك الآلهة «منخبر رع» المنتصر ابن سيد الأرضين محبوب «آمون» «بينوزم» في بيت والده «آمون» بالأقصر.»[٧]

وكذلك أعاد بناء بعض جدران السور الخارجي لمعبد الكرنك وغيره كما سنرى. ففي «الكرنك» عُثر على نقوش سجل تفتيش عمل في المعبد على يد الكاهن الأكبر «منخبر رع» في العام الأربعين من عهده: «السنة الأربعون، الشهر الثالث من الفصل الثالث، وهو يوم فحص بيت «آمون رع» ملك الآلهة، وبيت «أمنمأبت» (بالأقصر) وبيت «موت» وبيت «خنسو» وبيت «بتاح جنوبي جداره» في «طيبة» وبيت «منتو» رب «طيبة»، وبيت «ماعت» على يد الكاهن الأكبر «لآمون رع» ملك الآلهة «منخبر رع» ابن الملك «بينوزم» محبوب «آمون»، عندما أعطى الأمر للكاهن الرابع «لآمون رع» ملك الآلهة، وكاهن «منتو رع» سيد «طيبة» ورئيس حملة البخور «حات أمن ثانفر» المنتصر ابن الكاهن الرابع «لآمون» كاهن «منتو» رب «طيبة» «نسي باحرن موت» المنتصر.»

وهذا النقش وجد على عمود من الجرانيت ملقى في معبد الدولة الوسطى «بالكرنك» (راجع Rec. Trav. XXII p. 53; A. S III p. 42-3).

ومنه نفهم عناية الكاهن الأكبر بالآلهة الذين كانوا يقطنون «طيبة»، على حسب ترتيبهم في الأهمية. ويلاحظ أن تاريخ السنة الأربعين هو على رأي «برستد» للملك «بينوزم الأول»، وعلى رأي «جوتييه» هو الملك «أمنمأبت» وهو الأصح، وتدل على ذلك مومية هذا الفرعون، وكذلك عثر على لوحة من الحجر الرملي «بالكرنك»، وهي محفوظة الآن «بالمتحف المصري» ومؤرخة بالسنة الثامنة والأربعين من حكم الملك «أمنمأبت» (؟) ويدل ما جاء عليها أنه قام

بإصلاحات في «معبد الكرنك»: «السنة الثامنة والأربعون، بداية الأعمال للقيام بإصلاحات على يد الكاهن الأكبر «لآمون رع» ملك الآلهة «منخبر رع» المرحوم ابن الملك «بينوزم-مري آمون» في بيت والده «آمون» رب عروش الأرضين ...» وقد لقب «منخبر رع» على هذه اللوحة بالألقاب التالية: الكاهن الأكبر «لآمون رع» ملك الآلهة، والمشرف الأعظم على الجيش، ورئيس الجنود «منخبر رع» بن الملك رب الأرضين «بينوزم مري آمون».[٨]

وتاريخ السنة الثامنة والأربعين قد وجد كذلك على قطعة من كفن مومية من التي وجدت في خبيئة «الدير البحري» (راجع A. S. VIII p. 30) جاء عليها: السنة الثامنة والأربعون، من عهد الكاهن الأول «لآمون رع» ملك الآلهة. عمله لفافة ... إلخ، وهذه اللفافة جاء عليها كذلك: السنة الأولى، الشهر الثالث من فصل الزرع. ويعتقد «بتري» أنها للملك الذي خلف «أمنمأبت» (راجع Petrie, Hist. III p. 212). وتاريخ السنة الثامنة والأربعين هو أرفع تاريخ وجدناه على آثار الكاهن الأكبر «منخبر رع». وعلى الرغم من أنه جاء صراحة على قطعة الكفن: السنة الثامنة والأربعون من عهد الكاهن الأكبر «منخبر رع» فإن «جوتييه» لا يعتقد أنه من حقنا أن نستخلص كما فعل «دارسي»[٩] و«بتري» وكذلك «جرفت». أن «منخبر رع» قد حكم ثمانية وأربعين سنة.

والواقع أن هذا الكاهن الأكبر «لآمون» لم يكن بعد (أو لم يكن قط) ملكًا في هذا العهد؛ وذلك لأن اسمه لم يوضع في طغراء، ولم يحمل الألقاب الملكية. هذا من جهة، ومن جهة أخرى نجد أن تاريخ التأشيرة الخاص بالمحافظة على الموميات هي تواريخ خاصة بالملوك لا بالكهنة العظام. وتاريخ السنة الثامنة والأربعين لا يمكن تطبيقه على عهد كهانة «منخبر رع» (راجع Gauthier, L. R. III p. 265, Note 2) وقد ترك لنا هذا الكاهن الأكبر نقشًا على صخور جزيرة «بجة» بالقرب من أسوان جاء عليه اسمه ولقبه الكاهن الأكبر لآمون «منخبر رع» بن الملك «بينوزم» محبوب «آمون»، مما يدل على أن نفوذ هذا الكاهن وأمثاله ممن تولوا وظيفة الكاهن الأكبر «لآمون» كان يمتد حتى الشلال الأول (راجع L. R. III p. 266).

والظاهر أن أهم عمل قام به هذا الكاهن الأكبر هو تحصينات «الحبيبة» القريبة من «بني سويف» كما يدل على ذلك اللبنات التي وجدت في هذه الجهة، وقد نقش عليها اسم الكاهن الأكبر «منخبر رع» واسم زوجه دون طغراء، غير أنه توجد لبنات أخرى كتب عليها الاسمان، وأحيط كل منهما بشكل بيضي أو طغراء (راجع L. R. III p. 266 N. 2).

ويقول «مسبرو» عن هذا الكاهن: إنه أعاد بناء جزء من سور «معبد الكرنك» «ومعبد الأقصر»، ومعبد الجبلين، و«معبد الحيبة». وهذه المدينة الأخيرة يحتمل أنها تعد النهاية الشمالية القصوى للإقليم الذي كانت تمتد سلطته عليه.

والظاهر أن زوجه كانت مشتركة معه في إدارة البلاد، ويظهر اسمها بجانبه على اللبنات. وتدل الألقاب — على ما يظهر لنا — أنها كانت تحمل ألقاب الكهانة العادية التي تحملها نساء الكهنة العظام «لآمون» اللائي لم تكن ملكات: الرئيسة العظيمة لحريم الكاهن الأكبر «لآمون رع» ملك الآلهة، وكاهنة «موت» العظيمة صاحبة «إشرو»، ووالدة الإله «خنسو» الطفل، وكبيرة حريم «مين حور بن إزيس» في «أبو». وكان لكل من «منخبر رع» و«إستمخب» زوجه — بانتسابهما إلى بيت الملك — أن يطمع في عرش الملك، والواقع أن منصب الكاهن الأكبر «لآمون» لم يكن لكل من «حريحور» و«بينوزم» الأول إلا سلمًا لاعتلاء عرش الملك، ولا نزاع في أن «منخبر رع» أظهر في تصرفاته أنه كان يريد أن يعمل مثلهما. وقد كانت عادة الكهنة العظام «لآمون» أن يضعوا أسماءهم في شكل مربع. ونجد بعض الأحجار كما ذكرنا من التي عليها اسم «منخبر رع» وزوجه «إستمخب» موضوعين في هذا المربع (راجع L. D. III, Pl. 251, I) وكما نجد في بعضها الآخر (Ibid 251, K.) شكلين بيضيين باسميهما قد وضعا في هذا المربع. ولم نلبث أن وجدنا لقب الملك يحل محل اسم «إستمخب» في إحدى هذه الطغراءات الكاذبة.[١٠]

وأخيرًا نلحظ أن الطغراء الكاذبة قد حل محلها طغراء حقيقية (راجع Maspero Ibid Note 5) باسم «منخبر رع» هذا، ونجد أن الملكة «إستمخب» من جهتها قد ادعت لنفسها لقب الملك الرسمي: ملكة الوجه القبلي والوجه البحري، الرئيسة العظيمة لحريم الكاهن الأول «لآمون» ملك الآلهة، و«موت» الإلهية: «إستمخب»، غير أن هذا النقش قد وجد في نقوش تابوتها، هذا إلى أن لقب الملك الذي كانت تحمله على اللبنات كان مصيره أن يكون مختفيًا عن الأنظار كما كان تابوتها، وعلى ذلك يمكن أن نحكم بأنها كانت تميل إلى اغتصاب لقب الملك، ولكن ذلك كان في الخفاء. ولم تكن لديها الفرصة لإظهاره علنًا؛ لأن الملك الذي كان يجلس على عرش الملك في «تانيس» كان يعرف كيف يحافظ على امتيازاته.

ولم نعثر على جسم «منخبر رع» ولا على تابوته في خبيئة «الدير البحري»، ولكن وجد تابوت زوجه «إستمخب» وجسمها كما سنذكر ذلك بعد (راجع Maspero, Ibid p. 703). وقد عثر في «كوم الشيخ مبروك» الذي يقع قبالة مدينة «المنيا» على الشاطئ الأيمن على بقايا حصن وجدت بعض لبناته مختومة بطغراءَي الكاهن الأكبر «لآمون» «منخبر رع» (راجع A. S. VIII p. 223).

وفي مجموعة «فيدمان» جعران باسم هذا الكاهن، وقد كتب اسمه في طغراء ومعه اسم زوجه «إستمخب».

وفي «متحف درسدن» توجد لوحة صغيرة من الفخار المائل إلى البياض. ويوجد مع طغراء «منخبر رع» طغراء أخرى: «أمن رع ستبن رع»، وقد رأى كل من «لبسيوس» و«فيدمان» أن هذه هي الطغراء الثانية للفرعون «منخبر رع» غير أن «جوتييه» يرى استحالة ذلك؛ لأن كلًّا من هاتين الطغراءين هي طغراء تتويج (أي لقب للفرعون). ونجد أن الطغراء الثانية هي طغراء تتويج الملك «أمنمأبت» الذي كان يحكم البلاد بوصفه ملكًا في «تانيس»، أي إنها طغراؤه الأولى،

فهل نستنبط من وضع الطغراءين جنبًا لجنب على لوحة «درسدن» أن هذين الملكين كانا يحكمان معًا؛ أي إنه حكم «أمنمأبت» في «تانيس»، وحكم «منخبر رع» في «طيبة»؟ والواقع أن هذا الوضع من الوجهة التاريخية ممكن؛ لأن «منخبر رع» كان متقلدًا وظيفة الكاهن الأكبر في معظم مدة حكم الفرعون «أمنمأبت».[١١]

ولدينا على أية حال سؤال ليس من السهل الإجابة عليه وهو: هل كان الكاهن الأول «منخبر رع» في وقت ما خلال مجال حكمه قد أُعلن ملكًا أولًا؟ وهذا على ما يظهر يكاد يكون حقيقة؛ لأن اسمه كان يظهر كثيرًا وهو محاط بطغراء، فما هي طغراؤه الثانية إذن؟ وقد حاول «سيسل تور» في حاشية صغيرة أن يبرهن على أن الكاهن الأكبر «منخبر رع» والملك «بسوسنس الثاني» موحدين، وعلى ذلك يكون «منخبر رع» على حسب قوله قد حكم في وقت في «طيبة» فقط في عهد «بسوسنس الثاني»، وقد قبل «برستد» (Br. A. R. IV p. 297 Note e & 298 Note b) هذه النظرية، وسمي هذا الكاهن «منخبر رع» «بسبخنو» (بسوسنس)، غير أنه رفض أن يسميه «بسوسنس الثاني» في تاريخ الأسرة، وذلك لأنه لم يكن ملكًا إلا في «طيبة». وأبقى لقب «بسوسنس الثاني» لفرعون ثانٍ كان يحكم في كل من «تانيس» و«طيبة» في وقت واحد.

(٢) أسرة «منخبر رع»

(٢-١) زوجه «إستمخب» الثانية

تحدثنا على «إستمخب» هذه بوصفها زوج الكاهن الأكبر «منخبر رع» في أثناء التحدث عنه. وقد جاء اسمها فضلًا عما ذكرنا على لبنة وجدت في «حجازة» القريبة من «قوص»، وهي محفوظة «بالمتحف المصري».

وكذلك وجد اسمها على لبنة وجدت في «الحيبة».[١٢]

وقد وجد اسم هذه الأميرة ومعه اسم الكاهن الأكبر «لآمون» المسمى «بينوزم»، وقد اختلفت الآراء بالنسبة لشخصيته، فعلى حين يقول «مسبرو» (Maspero. Ibid. 703): إنه «بينوزم الثاني»، وإنه ابنها، نجد أن «بتري» (Petrie Hist. III p. 210. II) يعتقد أنه «بينوزم الأول» وأنه والدها؛ وذلك لأن اسمه قد شفع بعبارة «المتوفى»، وهذا السبب في نظر «جوتييه» ضعيف؛ ولذلك يعتقد أن رأي «مسبرو» هو الصواب.

تابوت «إستمخب» المزدوج:[١٣]

والظاهر أن التابوتَيْن اللذين وجدا في خبيئة «الدير البحري» هما لهذه الأميرة وقد ذكر عليهما ألقابها. وهذان التابوتان غاية في الفخامة، ورقعتهما صفراء، وقد مثل كل منهما على صورة مومية، ويعد الرأس صورة طبق الأصل للأميرة. ومومية الأميرة يبلغ طولها حوالي ١٫٦٢ متر، وقد نهب اللصوص الأحداث ما عليها وما معها من آثار، والبردية التي كانت معها جزء من الآثار التي قدمها «عبد الرسول» لمدير «قنا» وكانت موضوعة في تمثال خشبي مفرغ، أوزيري الشكل (راجع Maspero, Ibid p. 577 & Pl. VI c) وهي كالورقة التي وضعت مع الأميرة «ماعت كارع»، وكذلك وجد لها أربع أوانٍ للأحشاء من المرمر محفوظة في «متحف القاهرة».

والواقع أن هذه الأواني لم تكن في الأصل مخصصة لهذا الغرض، بل هي من الأواني التي كانت تستعمل يوميًّا، واستعيرت لتكون من أثاث الأميرة لتقوم مقام أواني الأحشاء دون أن تصلح لتأخذ الشكل أو الحجم، الذي كان يستعمل لهذا الغرض (Ibid 579).

وأخيرًا وجدت قطعة نسيج في كفن مغنية «آمون» المسماة «نسيتأنب إشرو» عليها اسم الرئيسة العظيمة لحريم «إستمخب»، وأرخت بالسنة الثالثة عشرة.

وهذه السنة يحتمل أنها ترجع إلى عهد ملك «تانيس» الذي خلف «أمنمأبت»، وعلى ذلك تكون «إستمخب» هذه قد عاشت عدة سنين بعد وفاة زوجها. وفي اعتقاد «جوتييه» أن الآثار الستة التي

ذكرناها للأميرة «إستمخب» زوج «منخبر رع» هي الخاصة بها فقط. أما الآثار الأخرى في الواقع فتحمل ألقابًا مختلفة مثل «إستمخب» بنت «ماساهرتا»، أو تدل صراحة على أنها بنت لا زوج «منخبر رع».[١٤]

وقد لاحظ «دارسي» بحق ((Rec. Trav. XXXII (1910)) أن اسم العلم «إستمخب» يذكرنا بمستنقعات الدلتا، حيث وقعت حوادث خرافة طفولة «حور» بن «إزيس» و«أوزير» الذي كان مسقط رأسه الدلتا. وهذا الاسم لا يصادفنا في نقوش «طيبة» قبل عهد الكهنة العظام «لآمون». واسم هذا المكان قد بقي ذكراه في المكان المعروف الآن «بكوم الخبيزة» الواقع في شمال الدلتا (ومعناه «إزيس» في بلدة «خبيت») وهو المكان الذي وُلد وربي فيه الإله «حور».

(٢-٢) أولاده

وقد ترك «منخبر رع» و«إستمخب» ذرية كثيرة، جاء ذكرهم في نقش طويل، غير أنه لسوء الحظ مهشم، وقد نقله «مسبرو» وعلق عليه (راجع Maspero, Ibid p. 704) والظاهر أن هذا النقش لم يتم قط. ويلاحظ أنه يشبه في محتوياته مرسوم الأميرة «ماعت كارع» ومرسوم الأميرة «نسخنسو» مع الفارق أن الأخير كما سنرى كان خاصًّا بعالم الآخرة. أما منشور كل من «ماعت كارع» و«حنت تاوي»، إنه خاص بالحياة الدنيا. والمتن على ما فيه من فجوات يمكن أن نستخلص منه أنه يحتوي على معلومات خاصة بالوراثة وخلافة الملك، وعلى الأخص يقدم لنا حقائق محدودة عن نسب هذه الأسرة، وهذا هو المهم في الموضوع الذي نحن بصدده.



شكل ١: مومية الأميرة «نسخنسو» (انظر الكلام عنها الكاهن الأكبر «بينوزم الثاني»).

ويمكن أن نستخلص من المتن أن «منخبر رع» رزق من «إستمخب» ولدين وهما الكاهن الأكبر «بينوزم» و«نسبانبدد» (سمندس) وقد تزوَّج الأخير من أخته «حنت تاوي» الثانية، ورزق منها «نسخنسو» و«بسوسنس الثاني». ويلاحظ أن المتن لا يقول إن «نسخنسو» كانت بنت «حنتاوي» الثانية، ولكنها في الواقع كانت أخت «بسوسنس» من أبيه وأنها كانت من زوجة أخرى للملك «سمندس» (راجع Ibid p. 708).

---

[١] كما فعل «تحتمس الثالث» مع «حتشبسوت».

الكاهن الأكبر بينوزم الثاني

هذا الكاهن الأكبر هو كما قلنا الابن الأصغر للكاهن «منخبر رع» وزوجه «إستمخب»، وقد خلف أخاه الأكبر «سمندس» في هذه الوظيفة،[1] ويظن «برستد» (A. R. IV § 662) أنه قد أصبح كاهنًا أكبر «لآمون» في عهد الفرعون «أمنمأبت» الذي كان يحكم في «تانيس»، ويحتمل أن ذلك كان قبل السنة الثانية والعشرين من حكم هذا الفرعون،[2] وأنه مكث على كرسي الكهانة على أقل تقدير حتى السنة العاشرة من عهد «سيآمون» خلف «امنمأبت»، كما سنرى بعد، غير أننا قد ذكرنا فيما سبق أن «منخبر رع» كان لا يزال يشغل وظيفة الكاهن الأكبر حتى السنة الثامنة والأربعين من عهد «أمنمأبت» الذي مكث على العرش مدة تسع وأربعين سنة على أقل تقدير، وعلى ذلك فإن مدة كهانة «بينوزم» الثاني لا يمكن على هذا الزعم أن تكون قد ابتدأت في نهاية حكم الفرعون «أمنمأبت» أو من باب أولى قبل بداية حكم «سيآمون».

وقد جعل «مسبرو» مدة إقامة «بينوزم» على عرش كهانة «آمون» في السنة السادسة عشرة من عهد «بسوسنس الثاني» (وهذا خطأ على حسب رأي «شرني»، الذي شرحناه فيما سبق؛ فقد جعل موته في السنة العاشرة بدلًا من السادسة عشرة. انظر الكاهن الأكبر «بينوزم» … إلخ) خلف «سيآمون». وقد حكم الأخير على أقل تقدير سبع عشرة سنة، وقد جعل مدة حكم «بينوزم» خمسًا وثلاثين سنة.

وإذا كانت مدة رياسة «بينوزم» لكهنة «آمون» «بالكرنك» قد وقعت حقًّا في عهد الملكَيْن «سيآمون» و«بسوسنس الثاني»، فيمكن أن نتردَّد بين هذين الحكمين لعزو كل تواريخ لفائف الموميات المصنوعة، كما يقول «مسبرو» لحياة هذا الكاهن الأكبر نفسه؛ غير أن «جوتييه» يميل إلى نسبتها إلى حكم الفرعون «بسوسنس الثاني»؛ وذلك لأنه ليس من المؤكد أنه في السنة الأولى من عهد «سيآمون» كان «بينوزم» قد تولى فعلًا منصب الكاهن الأكبر «لآمون». والواقع أن

لفافة المومية رقم ١٠٥ جاء عليها ذكر السنة الثامنة والأربعين من حكم «أمنمأبت»، والسنة الأولى من حكم خلفه «سيآمون» وكانت لا تزال باسم الكاهن الأكبر «منخبر رع».[٣]

(١) تابوته

وقد عُثر على تابوت «بينوزم» الكاهن الأعظم «لآمون» ملك الآلهة والرئيس الأعظم للجيوش والمقدم.

وصندوق المومية الخارجي مُحلى على طول الساقين بورقة من النحاس طُبع عليها النقوش الخاصة به، ويبلغ طول المومية قبل فكها ١,٧٢ متر، وقد فتحت في ٢٨ يونيو عام ١٨٨٦ ووجدت سليمة، وقد وجد تحت الغطاء الأول كفن كبير مُحلى بصورة «أوزير» رسم بالحبر وزخرف بالألوان. وقد لُون الوجه واليدان باللون الأخضر كما لون تاج الوجه البحري باللون الأصفر. أما القلادة واللحية فقد لُونتا باللون الأزرق في حين أن النقوش كتبت بالحبر الأحمر. وأمام وجه «أوزير» كتب: «أوزير» الكاهن الأكبر «لآمون» ملك الآلهة «بينوزم». وعلى الشريط الأوسط كتب: «أوزير» الكاهن الأكبر «لآمون» بن «منخبر رع» ابن الملك «بينوزم» محبوب «آمون» بجانب «التاسوع».

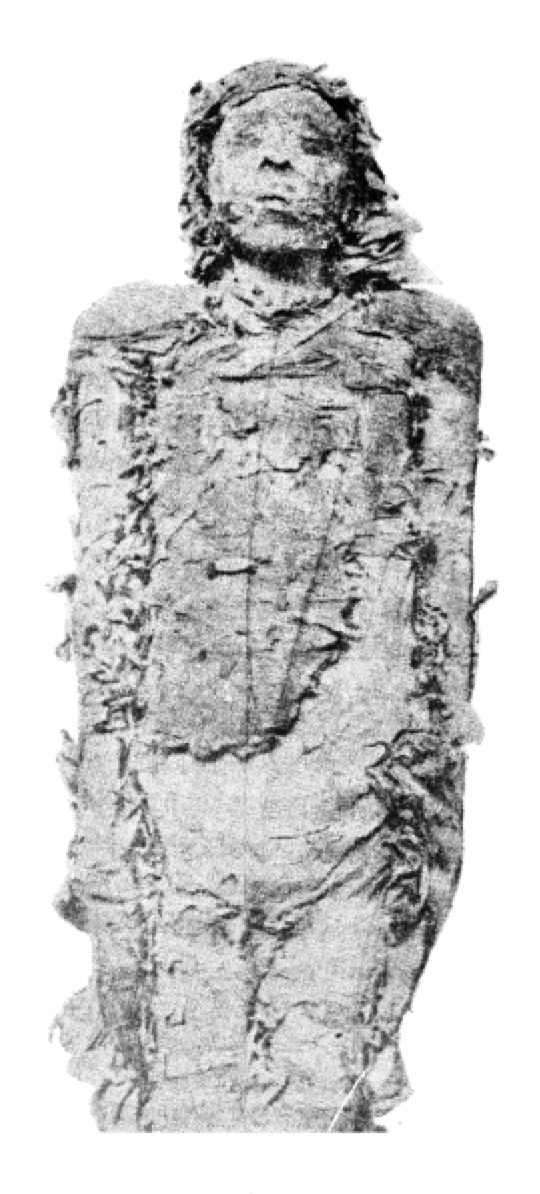
ونعلم من النقوش التي خُطت بالمداد الأسود أن اللفائف كانت قد صنعت في حياة ذلك الكاهن نفسه: لفائف عُملت بوساطة الكاهن الأول «لآمون» «بينوزم» بن «منخبر رع» للسيد «خنسو» … في السنة التاسعة و«لآمون» في السنة السابعة. ولدينا قطع أخرى أُرخت بالسنة الأولى وبالسنة الثالثة من عهده، ولدينا لفافة كتب عليها: «مختارة، موافق»، وعلى أخرى «جميلة جدًّا» بالمداد الأسود. وقد وُضعت أشياء مختلفة في الكفن، إذ وجد فيه سواران رشيقان من الذهب المحلَّى بالكرنلين واللازورد، وحلي قفلاهما بدلايتين من الذهب على شكل زهرة، وقد صف حول الرقبة من اليمين إلى الشمال صورة علامة الثبات، وصورة الإلهة «حتحور» من الفخار المطلي المائل للخضرة،

وقلب، ورأس ثعبان من الكرنلين، ومروحة من حجر الفلدسبات الأخضر، وصورة «حور» جالسًا من اللازورد وعلامة الثبات 𓊽، وصقر من الذهب، وقلب من حجر الفلدسبات الأخضر، وعامود من الكرنلين، وكل هذه كانت ذات حجم صغير ولكنها دقيقة الصنع، وكذلك وُجد جعران كبير عند منبت الرقبة، وتحته صقر ناشر جناحيه من الذهب أو النحاس المذهب موضوع على الصدر.

(٢) المومية: (انظر الشكل ١)

وقد جاء في وصف المومية نفسها نقلًا عن «إليوت سميث» باختصار ما يأتي: كانت المومية ملفوفة مثل مومية كل من «ماعت كارع» و«حنت تاوي» في نسيج من الكتان الشفاف الجميل بكمية عظيمة، كما وضع بينها عدة طبقات من عجينة رتنجية. ولم يكن نسيج الكتان الذي لفت فيه المومية جميلًا بدرجة عظيمة وحسب، بل كانت له حواف وهدَّابات ملونة، وعلى صدره بقايا من سيرين من الجلد الأحمر.

ويلاحظ أن اختيار موضع فتحة التحنيط كانت في مكانها المعتاد، خلافًا لما شوهد في فتحة تحنيط الكاهن الأكبر «ماساهرتا»، فنجد أن فتحة «بينوزم» كانت فتحة عمودية ممتدة من الضلوع حتى العمود الأيسر الأعلى من الجزء الأعلى للعظم الحرقفي، ويبلغ اتساع هذه الفتحة ١٤٨ ملليمترًا، وفتحتها عظيمة. والوجه جميل أبيض الصورة ذو أنف ضيق محدب. وقد تعلم المحنطون الآن ألا يفرطوا في حشو الخدَّيْن؛ ولذلك نجد أن تقاسيم «بينوزم الثاني» قد حُفظت دون أن يظهر عليها التشويه الذي وجدناه في وجه «ماساهرتا» سلفه المباشر لفرط حشو خدَّيْه.



شكل ١: مومية الكاهن الأكبر «بينوزم الثاني».

وقد رُش الوجه براتنج مطحون، تجمد كثير منه ولصق بالجلد. ولا تزال المومية محتفظة بلحية غزيرة بيضاء على الذقن وتحتها، ولكن الشفة العليا كانت حليقًا.

وقد وضعت اليدان عموديتين ممتدتين على الجانبين، ويلاحظ أن الذراعين قد حُشيتا بالطين، هذا وقد وضعت عدة كتل من الأحشاء في حوض الجسم، ويبلغ ارتفاع المومية باللفائف ١٫٧٠٦ متر (Royal Mummies p. 107).

وأهمُّ من كل ذلك وُجدت مع المومية بردية طولها ٢,٢٨ متر، تحتوي على عدة مراسيم أصدرها «آمون» موضوعة على الصدر، وكذلك على البطن مطوية طيتين وليست ملفوفة، وكذلك وجدت نسخة من كتاب الموتى ملفوفًا بين الساقين. والواقع أن «بينوزم» كان يحمل على موميته كنزًا حقيقيًّا، أقل قيمة من الكنز الذي وجد مع الملكة «أعح حتب»،[٤] ولكنه مع ذلك كان جديرًا بأن يحتل مكانة شرف في المتحف المصري، وسنتحدث الآن عن مرسوم «بينوزم الثاني».

(٢-١) مرسوم «بينوزم»

والواقع أن هذا المرسوم هو أحد المراسيم الهامَّة، التي وصلت إلينا من خبيئة «الدير البحري» الملكي؛ وبخاصة لأن الذي أصدره هو الإله «آمون» في صالح أعضاء أسرة الكهنة العظام في عهد الأسرة الواحدة والعشرين، وأتم هذه المراسيم هو مرسوم الأميرة «نسخنسو»، وسنتحدث عنه بعد (راجع Maspero, Les Momies Royales p. 594).

ومرسوم «بينوزم الثاني» عثر عليه كما ذكرنا مكتوبًا على بردية يبلغ طولها ٢,٢٨ متر، وعرضها ٢,٣٥ متر فقط، وقد وجدت البردية مطوية طيتَيْن على جسم المومية في وسط اللفائف. وسنترك الكلام على الأنشودة التي في أول المرسوم لفحص محتوياتها عند الكلام على مرسوم «إستمخب»، وسنقتصر على ذكر مواد مرسوم «بينوزم» هنا لأهميتها واختلافها عن مرسوم زوجه «إستمخب»:

(١) يقول «آمون» ملك الآلهة العظيم مبدئ الخلق: إني أعبر هكذا عن إرادتي السامية جدًّا لتأليه «بينوزم» بن «إستمخب» بنت «تواي»، خادمي في الغرب.

إني أؤلهه في عالم الآخرة، وأؤلهه في الجبانة، وأؤلهه في كل مكان تؤلَّه فيه روح. وإني أجعله يتسلم الماء في الغرب، وأجعله يتسلم القربان في الجبانة، وأجعله يتسلم الخبز والبخور مثل أتباع الآلهة، وأجعله يتسلم الماء والجعة واللبن والنبيذ وشراب شدح.

وإني أؤله روحه وجسمه في الغرب، وإني أؤله روحه وجسمه في عالم الآخرة وفي الجبانة، وإني أؤله روحه وجسمه في كل مكان سيكونان فيه مثل كل إله وكل آلهة مؤلهة للجبانة (٣٨) ومثل كل ملاك ذكرًا كان أو أنثى أو أي شيء مؤله للجبانة، وإني لن أجعل روحه يهلك بل على العكس يبقى في آباد الدهر سرمديًّا. وإني أجعله يتسلم من كل إله وإلهة ومن ملاك، ومن كل شيء مؤله في الغرب، وفي عالم الآخرة أو في الجبانة من الأشياء الطيبة التي تؤخذ، وإني أمنحه هدوء القلب، وإني آمر أن يعملوا له كل الأشياء الطيبة سواء أكانت مما يؤتى به من هدايا الناس أو مما يؤتى إليه به من تمثاله (أي قربان تمثاله)، أو مما يقدم له ليحمل إليه في الغرب، وفي عالم الآخرة وفي الجبانة، وهؤلاء قد ألهوه وقدموا له كل الأشياء الجميلة هناك (وكذلك جعلته يعمل على أن يقوموا له بما هو حسن) وأن يجعلوه يتسلم الماء والطعام وأن يتسلم الخبز، وجعلتهم يعملون ذلك «لبينوزم» خادمي.

وعملت على أن يخرج روحه (نهارًا) وعملت على أن يدخل (في القبر) كما يريد قلبه (٤٥) دون أن يمنع، وعملت على أن يطير إلى كل مكان كما يحب، وعملت على أن يهذب في كل محل على حسب رغبته، وعملت على أن يقطع كل طريق في أي وقت على حسب رغبته دون أن يقفه أحد؛ وإني أخلصه من أي شيء آخر يقال عنه معذب الروح؛ لأني لا أريد أن يسرقوا روحه بل على العكس. وإني أؤله روحه وأحمي جسمه (وإني أورد له أشياء من الحقل السماوي لأجل جسمه البشري، وإني أجعل جسمه يتمتع بحقول عديدة).

وإني أعظم روحه في الغرب، وفي عالم الآخرة، وفي الجبانة. وكل العدول الذين أراهم أؤلِّه روحهم، وأعمل على أن يتركوا ذكرًا حسنًا في الغرب، وفي عالم الآخرة، وفي الجبانة، وإني أضع حمياتي خلفهم. أما الأشقياء فإني آمر بأن يُلتهموا؛ لأن أرواحهم لم

تحفظ من أعدائهم. وعلى حسب ما يفعل فإني آمر أن يتسلم العظمة في الجبانة، والسؤدد في عالم الآخرة، والعزة في الغرب باستقبال حسن وبقلب فرح، وألا يصل إليه الشر، (٥٣) وإني آمر أن تفتح أبواب التأليه في الجبانة وفي كل مكان يذهب إليه، وآمر أن يصرح له بالخروج، وآمر أن يصرح له بالدخول كما يحب، وآمر أن يعطى وثيقة إيراد من حقولهم من المكان الذي يسمى «حقول يارو» بجانبهم، وإني آمر أن تكون عظمته كعظمة الأرواح الذين أعطيتهم عظمتهم، وإني أؤلهه بنفس حالة أولئك الذين ألهتهم، وإني آمر أن ينادى روحه عند النداءات (٥٧) وإني آمر أن يتسلم وقفه. وقد جعلت روحه يعيش، وإني لا أوافق على موته، وإني رفعت روحه، ولم أعمل على أن يكون ضعيفًا، وإني ألهت روحه للأبدية السرمدية مثل كل مقرب نظرت إليه وضاعفت خبره على الأرض، ولم أسمح بأن يُنتزع بل على العكس يبقى حتى الأبدية.

يقول «آمون» ملك الآلهة وإله الخلق العظيم جدًّا: «ليت كل كلام طيب خاص بالتقديس نطق به في صالح «بينوزم» بن «إستمخب» خادمي يكون له تأثير في تأليهه، وأن يؤله روحه، ويحمي جسمه، ويعظم نفسه، ويجعله يتسلم الماء والمأكولات والخبز والبخور، ويجعله يتسلم الماء والجعة واللبن والفاكهة والنبيذ وشراب شدح، وأن يجعل روحه يخرج ويدخل على حسب رغبة قلبه دون أن يمنع، وأن يكون (الكلام الطيب) مفيدًا لتأليهه، وإني سأجعله ذا تأثير تمامًا «لبينوزم» بن «إستمخب» خادمي دون أن أترك شيئًا كما هي الحال مع الإله العظيم.»

(٦٧) وعليهم أن ينفذوا كلام الإله العظيم.

تعليق: وسنلاحظ كما سنرى بعد أن الجزء الأول من هذه الوثيقة يتألف من أنشودة للإله «آمون» خالق العالم في صورة شعرية. والسطر الأول منها منفصل، وهو عبارة عن تهليل للإله الأعلى،

وباقي هذا الجزء من الوثيقة يفسر لنا لماذا كان له الحق في أن تعبده الآلهة والناس كلهم، وهذا ما سنفحصه بعد.

بعد ذلك نجد أن المتن قد قُسم مقطوعات يتألف كل منها من خمسة أبيات من الشعر، ست منها منظمة والأخرى غير منظمة.

أما متن المرسوم نفسه الذي أوردناه هنا فليس فيه أي روح شعري، بل كتب بلغة عادية نطق بها الإله «آمون» للكاهن الأكبر «بينوزم» فمنحه به الحقوق التي يجب أن تكون له في عالم الآخرة. وإذا قرنا هذا المتن بمتن الأميرة «نسخنسو» وجدنا أنه أقصر منه بكثير، ولا أدلَّ على ذلك من أن متن «نسخنسو» (انظر الكاهن الأكبر «بينوزم الثاني») يتألف من ست مَوَادَّ لا تجد منها في مرسوم «بينوزم» إلا الأولى فقط موحدة والباقية مختلفة.

والإنعامات التي منحها الإله «آمون» للكاهن الأكبر «بينوزم» ليست عديدة، والواقع أنه يمكن حصرها في ثلاثة مواد؛ الأولى: أن «بينوزم» قد قُبل في عامل الآخرة على قدم المساواة مثل الآلهة الآخرين. الثانية: أنه أصبح ذا حق في كل المؤن. والثالثة: أصبحت لروحه الحرية في الذهاب إلى حيث يريد.

على أن التأليه في حد ذاته لا يضمن الأبدية؛ وذلك لأن الأرواح «كاو» تحتاج إلى أن تأكل وتشرب. ولدينا متون كثيرة نعرف منها الحالة الخطيرة التي يكون عليها سكان عالم الآخرة بدون طعام، فهم دائمًا كانوا في انتظار تسلم ما يلزم لهم من المؤن ليعيشوا منها، وهذه المؤن لم تكن متروكة تحت تصرف الأرواح، بل كانت توزع هذه المأكولات بمثابة قربان إلهي حفظ لذلك خصيصًا. وكانت تتألف من هبات الأحياء ومما تنتجه الحقول السماوية، ولكن كان يعم السرور عندما يضع الأتقياء بوساطة كلمات طيبة مؤنة جديدة تحت تصرف الآلهة، وقد كانت تقدس بِصِيغ جنازية، وتضرب الأشياء التي قدست بعصا خاصة، وعلى ذلك عندما كان الأخيار ينطقون

بالصيغ الخاصة بالقربان مطالبين بما يلزمهم؛ فإنه كان يورِّد لهم ما يطلبون إذا كان موجودًا، ولكن كان يلزم قبل ذلك أن يحصل المتوفى على تصريح من ملك الآلهة، وهذا ما كان يفعله «آمون» للكاهن الأكبر «بينوزم» إذا كان يعلن أن هذا الشيء كان حسنًا له فيعطاه. ومع ذلك فإن المؤلهين إذا أظهروا شرهًا حادًّا فإنهم لا يتسلمون إلا قرباتهم الشخصية ويقنعون بالنصيب الكافي لهم، وقد عمل «آمون» كل ما يمكن عمله ليحصل على صداقة الآلهة الآخرين حتى يعاملوا «بينوزم» معاملة حسنة، ويعلنهم عند توزيع المؤمن بألا يسرقوا نصيبه.

(٣) أول ظهور أجداد اللوبيين الذين أسسوا الأسرة الثانية والعشرين

عثر «ماريت» على لوحة من الجرانيت يبلغ طولها حوالي ١,٢٠ × ٠,٠٥ متر في الجهة الجنوبية من المدخل الغربي «لكوم السلطان» بالعرابة المدفونة، (راجع Brugsch A. Z. p. 85 (1871)) وتنسب لهذا العهد، ويقول: إنه تركها في مكانها، غير أن «فيدمان» يقول: إنه رآها بالمتحف المصري[٥] ونقلها. وقد نشرها «ماريت»،[٦] وقد ضاع الجزء الأعلى من هذه اللوحة، وتدل شواهد الأحوال على أن نسخة «ماريت» ناقصة وغير دقيقة.

وعلى أية حال نحصل مما بقي من هذه اللوحة على أول لمحة عن اللوبيين أجداد الأسرة العظيمة التي قامت في مصر على أنقاض أسرة «تانيس»، وهي الأسرة الثانية والعشرون، وذلك أن «شيشنق» جد «شيشنق الأول» مؤسس الأسرة الثانية والعشرين كان زعيمًا قويًّا لقبيلة «المشوش» الذين كانوا ذوي نفوذ ومكانة في مصر بعد حروب «رعمسيس الثالث»، وكان أحد أحفاده المسمى «موش» مسيطرًا في «هركلوبوليس»، وبعد خمسة أجيال من ذلك استولت الأسرة على عرش البلاد وأسست الأسرة الثانية والعشرين. وكانت هذه الأسرة تحافظ على ألقابها القديمة أو ما يقابلها بالمصرية، غير أن «شيشنق» كان قد تمصر تمامًا حتى إنه دفن ابنه «نمروت» بكل المراسيم المصرية والنقوش الجنازية الدالة على ذلك، ولكنه رأى فيما بعد أن الموظفين الذين كانوا

يقومون على أداء الشعائر الدينية لم يؤدوها، واستولوا على دخل الأوقاف الخاصة بها، مما يدل على اضطراب الأحوال في البلاد فذهب إلى «طيبة»، حيث كان يمكنه محاكمة الجاني، وقد قضت المحكمة بإدانة المعتدي، ولا بد أن ذلك قد حدث في عهد الملك «أمنمأبت» أو الملك «سيآمون». وهذه القضية كان مثلها كمثل القضايا الأخرى التي من هذا النوع في هذا العصر قد فصل فيها أمام «آمون» بوساطة الوحي؛ واللوحة التي نحن بصددها الآن وهي التي قد ضاع الجزء الأول منها، يبتدئ المتن الباقي منها في وسط خطاب للإله وجهه إليه الفرعون. وفيه نجد أن الإله قد أدلى بوحي حكم فيه على الموظفين الجناة بالموت. وبعد ذلك حمل «شيشنق» تمثال ابنه إلى العرابة، حيث دُوِّنت كل أوقافه الجنازية في سجلات المعبد، وقدر ثمنها بالفضة، وبذلك قدم لنا أسسًا مفيدة لتحديد القيم القديمة للأمتعة المنوعة على حسب المقاييس الحديثة،[٧] وسنورد هذا المتن فيما بعد (انظر الكاهن الأكبر «بينوزم الثاني»).

والواقع أن حكم «آمون» في هذه القضية الجنائية ذو أهمية عظيمة جدًّا، وهو خاص بهذا العصر أي عصر الحكم بوساطة الوحي، ويلاحظ أن قضية الذين نُفوا إلى الواحة في عهد الكاهن الأكبر «منخبر رع»، كما ذكرنا آنفًا (انظر الكاهن الأكبر والملك «منخبر رع») وهم الذين قد عفا عنهم الإله عندما التمس ذلك الكاهن الأكبر، كانت قضية تلعب فيها السياسة دورها، ولكن قضيتنا لم تكن من هذا الصنف.

ولدينا قضية من هذا النوع حدثت في عهد «بينوزم الثاني»، خاصة ببعض الموظفين الخونة الذين حكم عليهم بالإعدام لما ارتكبوه من اختلاسات في حسابات المعبد، والنقوش الخاصة بذلك منقوشة على أحد البوَّابات الجنوبية، وهي المعروفة ببوَّابة «حور محب»،[٨] وقد سجل معها براءة مدير بيت عظيم وكاهن يدعى «تحتمس»، وقد ظهر في هذا النقش بوضوح «تحتمس» هذا هو مدونها. وسنتحدث عن هذه الوثيقة قبل أن نثبت ترجمة لوحة المشوش السالفة الذكر، وذلك إظهارًا لوجه الشبه في المقاضاة وقتئذ.

(٣-١) النقوش التاريخية الخاصة بالفرعون والكاهن «بينوزم الثاني»

Inscription Historique de Pinodjem III, Grand Pretre d'Amon a Thebes, Edward Naville Paris (1883).

وهذه النقوش تحتوي على معلومات عظيمة قيمة، غير أنها بكل أسف مهشمة بدرجة كبيرة، وعلى الرغم من هذا التهشيم، فإنه في استطاعتنا أن نستخلص منها فكرة عامة عن موقف الوحي والدور الذي كان يلعبه في هذه الفترة من تاريخ البلاد. ويلاحظ أن النقوش الهيروغليفية التي على جدران هذه البوَّابة صغيرة ولم يبقَ منها شيء سليم من وسط الأسطر.

يشاهد في الجهة اليسرى حيث يبتدئ النقش صورة تمثل عبدًا عظيمًا، وقد مثل ثالوث «طيبة»: «آمون» و«موت» و«خنسو» سائرين بفخار محمولين في سفنهم المقدسة. أما الذين كانوا يحملون هذه السفن على أكتفاهم فهم الكهنة، وبخاصة هؤلاء الذين يحملون لقب خادم الإله (حم)، ونعلم من المنظر الذي نحن بصدده، ومن المناظر الأخرى التي من هذا العصر أن كل كاهن يمثل مكانته الخاصة على حسب درجته في حمل هذه السفن. فكان أعظم الكهنة مكانة يمثل في المقدمة، ثم يأتي الآخرون من الكهنة خلفهم. وقد كانت هناك شعائر دينية معينة متبعة بدقة لتنظيم الموكب، فيشاهد في هذا المنظر الذي نتحدث عنه أمام سفينة «آمون» كاهن يحرق البخور، ويسير خلفه رجل آخر يحمل شيئًا يشبه لوحة منقوشة لتوضع أمام الإله، ويأتي خلف سفينة «آمون» في صفين الواحد فوق الآخر سفينتان: إحداهما للإله «آمون»، والأخرى لابنه الإله «خنسو»، ويحمل كلًّا منهما كذلك كهنة. ويوجد في كل سفينة محراب كان فيه بلا شك تمثال الإله. وسفن هذا الثالوث متشابهة ويتبع كلًّا منها حاملو المراوح. وقد كان لكل سفينة من الثلاث علامة مميزة؛ فكان يزين نهايتي كل منها صورة رأس الإله الخاصة به، وكانت سفينة «آمون» تميز برأس كبش يرتدي قرص الشمس، ويميز سفينة «خنسو» رأس صقر عليه قرص الشمس، أما الإلهة «موت» فكان يميز سفينتها رأس بشري يرتدي التاج المزدوج لمصر.

ويلاحظ في المنظر أنه كان يقدم للإلهة «موت» وكذلك الإله «خنسو» عطورًا، كما كان يقدم للإله «آمون». وهاك ترجمة النقوش الصغيرة التي تتبع هذه السفن الثلاث.

«الحفل المقدس لهذه الإلهة المبجلة، «موت» العظيمة سيدة «إشرو» بنت «رع» الشبيهة بقرصه، الملكة المحسنة في سفينتها (المسماة) «نتربح».»

الحفل المقدس «لخنسو نفرحتب» صاحب «طيبة»، سيد الفرح، ورب الصدق الذي يسكن فيها، وهو الذي يسهر على الآلهة الذين يوجدون فيها، والسيد المحسن القاطن في السفينة «نتربح».

ترجمة النقش الذي أمام الإله «آمون»:

(السطر الأول) ... في هذا اليوم في بيت «آمون رع» ملك الآلهة، الشهر الأول واليوم السادس من ظهور هذا الإله.

(السطر ٢) المحترم، سيد الآلهة «آمون رع» ملك الآلهة، و«موت» العظيمة سيدة «إشرو» و«خنسو».

(سطر ٣) «نفرحتب» على «الأرضية المفضضة» لبيت «آمون»، وعندئذ ذهب الكاهن الأول «لآمون رع».

(سطر ٤) ملك الآلهة والقائد الأعلى، الأمير «بينوزم» بن «منخبر رع» لأجل أن يعالج شئون.

(سطر ٥) هذا المكان في حضرة هذا الإله العظيم. وكان قد انقضى شهران وستة أيام ... هذا الإله العظيم.

(سطر ٦) الذي يمقت كل قبيح لم يكن قد ظهر في محرابه في عيد «إبت» (أي عيد الأقصر) منذ زمن.

(سطر ٧) قديم؛ وذلك لأن الإله العظيم كان قد عين الكتَّاب.

(سطر ٨) والمراقبين والملاحظين الذين كانوا قد ارتكبوا.

(سطر ٩) أعمال اختلاس في مسكن (معبد) مدينته.

(سطر ١٠) وقد عاقب الإله الكتاب.

(سطر ١١) والمراقبين بسبب أعمال.

(سطر ١٢) اختلاس قد ارتكبوها، عندما ظهر الإله العظيم على «الأرضية المفضضة» لبيت «آمون» في وقت الصباح، وعندئذ ذهب «بينوزم» الكاهن الأول «لآمون» ملك الآلهة.

(سطر ١٣) أمام الإله العظيم — وقد عمل الإله إشارة استحسان عظيمة — ووضع مكتوبين أمام الإله العظيم، وأُخذ هذان المكتوبان.

(سطر ١٤) قال: يا «آمون رع» ملك الآلهة، يا سيدي الطيب. يقال: إنه توجد اختلاسات ارتكبها «تحتمس» بن «سوعع آمون».

(سطر ١٥) «مدير البيت». والكتاب الآخر قال: يا «آمون رع» ملك الآلهة، يا سيدي الطيب. يقال: إنه لا توجد.

(سطر ١٦) اختلاسات ارتكبها «تحتمس» ابن «سوعع آمون مدير البيت». وقد ظهر من جديد الكاهن الأول «لآمون رع» ملك الآلهة «بينوزم» قائلًا:

(سطر ١٧) يا سيدي الطيب، إنك تميز … إنك أحسن من أي شيء ممتاز، وعمل الإله العظيم إشارة استحسان كبيرة.

(سطر ١٨) ونشر المكتوبين أمام الإله ... فأخذ الإله العظيم أحد المكتوبين وهو الذي قيل فيه: يا «آمون رع» يا ملك الآلهة.

(سطر ١٩) يا سيدي الطيب. لقد قيل إنه ليس هناك اختلاسات ارتكبها «تحتمس» بن «سوعع آمون» مدير البيت، الإله العظيم.

(سطر ٢٠) ... يا سيدي الطيب، لقد قيل إنه توجد اختلاسات ارتكبها ...

(سطر ٢١) ... نحو الإله العظيم، لأجل عرض هذين المكتوبين للمرة الثانية أمام الإله العظيم. فأخذ.

(سطر ٢٢) ... وقد علم أنه حقيقة لا توجد اختلاسات ارتكبها.

(سطر ٢٣) ... مدير البيت «تحتمس» بن «سوعع آمون» أمام الإله العظيم.

(سطر ٢٤) ... الكاهن والد الإله «لآمون»، حارس حسابات مخازن القربان والكاتب الإداري.

(سطر ٢٥) لبيت «آمون»، ومدير البيت المكلف بالمخازن «تحتمس».

(سطر ٢٦) ... في حضرتك، وهاك ... الإله العظيم.

ومما يؤسف له جد الأسف أن نجد نهاية النقش مهشم بهذه الكيفية، وعلى ذلك لا يمكننا أن نعرف على وجه التأكيد ماذا فعل الإله الذي وُضع أمامه هذان المكتوبان اللذان أحدهما يتهم «تحتمس»، والآخر على العكس ينفي عنه التهمة. ومع ذلك يمكننا أن نستنبط من الكلمات القليلة التي بقيت لنا أن المكتوب الثاني هو الذي قبله الإله، وعلى ذلك أعلنت براءة «تحتمس». وسنرى بعد من الأسطر الأفقية من هذا المتن التي ستأتي بعد أنها تحتوي على نوع من الاختلاس اتهم به، وهو اتهام إذا ثبت يؤدِّي إلى عقاب الموت. ومما يؤسف له أن النقش المؤلف من الثمانية عشر سطرًا

التي سنترجمها وجد كذلك في حالة سيئة كالأسطر السابقة، ولكن نجد في مقابل ذلك أن تكرار نفس العبارات كثيرًا مما يسهل ملء بعض الفجوات لتشابهها، وبذلك أمكن فهم المتن بعض الشيء:

(السطر الأول) (قيل بوساطة) الكاهن والد الإله مدير البيت «تحتمس» في حضرة الإله العظيم: إن الاستردادات التي يطلبها «آمون» هي ويبات من الحبوب كان يشملها مخزن غلال «آمون» وهي التي كالها الكيالون.[٩] وقد عمل الإله العظيم علامة استحسان … وحساب ويبات من القمح الذي أمرت بعمله وقد أنجز. وعمل الإله العظيم علامة استحسان. قيل بواسطة الكاهن والد الإله «لآمون» ومدير البيت «تحتمس» في حضرة الإله العظيم، أما عن حساب ضرائب القربان المقدسة «لآمون»، فإن ما قد قرر لم يختلسه أحد أمامه (؟) (أي أمام الإله). وعمل الإله العظيم علامة استحسان، وقد ظهر من جديد الكاهن الأول «لآمون» ملك الإله «بينوزم» أمام الإله العظيم (قائلًا):

(سطر ٢) يا سيدي الطيب، إن الناس فرحون وأنت تبتهج؛ لأنك تميز … بكلامك؛ وعمل الإله العظيم علامة قبول. قال الكاهن والد الإله «لآمون»، مدير البيت «تحتمس» في حضرة الإله العظيم … وعمل الإله العظيم علامة قبول. قيل بواسطة الكاهن والد الإله «لآمون» … الاستردادات (الاختلاسات) التي طلبها «آمون» … «لآمون» الكاهن «تحتمس» في حضرة الإله العظيم الحسابات الخاصة بـ (؟) … التي لم يزوِّرها (؟) قط المراقب الذي عمل (؟) … وهذا ما ينبغي «لآمون» أن يطلب استرداده؛ وعمل الإله العظيم علامة قبول. وهكذا تكلم «آمون رع» ملك الآلهة وهو الإله العظيم الذي يوجد قبل كل شيء. اجعله يضعها.

(سطر ٣) في بيت «آمون رع» ملك الآلهة على حسب تصميمه الحسن (وقد ظهر من جديد الكاهن الأكبر «بينوزم» أمام الإله العظيم قائلًا): يا سيدي الطيب؛ هل هناك

استردادات أخرى تطلب من «تحتمس» بن «سوعع آمون» مدير البيت … «آمون» يميز خلافًا لبيت «آمون»، اجعل قرباتي تحمل. وقد عمل الإله العظيم علامة قبول (وقد ظهر من جديد الكاهن الأكبر «بينوزم» أمام الإله العظيم قائلًا): يا سيدي الطيب؛ هل هناك استردادات أخرى تطلب من «تحتمس» بن «سوعع آمون» مدير البيت. فعمل الإله العظيم علامة قبول. قيل بوساطة الكاهن والد الإله «لآمون» … في حضرة الإله العظيم حساب القربان المقدسة التي عملت …

(سطر ٤) … التي توجد خارج مخزن غلال بيت «آمون»، المراقب … في مكانه، وقد عمل الإله العظيم علامة قبول. قيل بوساطة الكاهن والد الإله «لآمون» مدير البيت «تحتمس» في حضرة الإله العظيم: حسابات … اجعلها تحمل … في حضرة «آمون رع». قبل أن كانت قد أُعطيت للخدم والخادمات، وقد عمل الإله العظيم علامة قبول. وقد ظهر من جديد أمام الإله العظيم قائلًا: يا سيدي الطيب، هل هناك استردادات أخرى تطلب من «تحتمس» مدير البيت، فعمل الإله العظيم علامة قبول. قيل بوساطة الكاهن والد الإله «لآمون» مدير البيت «تحتمس» في حضرة الإله العظيم؛ حسابات القربان المقدسة التي …

(سطر ٥) … لمخزن غلال «آمون» على حسب تصميمك من جهة العدالة. وقد عمل الإله العظيم علامة قبول … (وظهر الكاهن الأعظم) أمام الإله العظيم قائلًا: يا سيدي الطيب، هل هناك استردادات أخرى تطلب من «تحتمس» بن «سوعع آمون» مدير البيت … «تحتمس» … فعمل الإله العظيم علامة قبول. وقد ظهر من جديد «بينوزم» أمام الإله العظيم قائلًا: يا سيدي الطيب؛ فليوضع أمام «تحتمس» بن «سوعع آمون» مدير البيت … كل ما قال «آمون» بإنجازه سينقش على حجر … فعمل الإله العظيم علامة قبول. وهكذا يتكلم «آمون رع» ملك الآلهة والإله العظيم والقوي.

(سطر ٦) ... وعندما وجه الإله العظيم إلى مسكنه وقعد على عرشه العالي الموضوع على «الرقعة الفضية» لبيت «آمون» قال: اعملوا ... مدير بيت «آمون» ورئيس حراس حسابات ... الحفل المقدس ... سيد الآلهة «آمون رع» ملك الآلهة والإله العظيم الذي يوجد قبل كل شيء على «الرقعة الفضية» لبيت «آمون» في سفينة «نتربح» ... الرئيس والكاهن الأكبر «لآمون» «بينوزم» بن «منخبر رع».

(سطر ٧) ... لبيت «آمون» ... وقد ظهر من جديد الكاهن الأول «لآمون» ملك الآلهة «بينوزم» أمام الإله العظيم قائلًا: يا سيدي الطيب، من جديد ... في حضرتك، أعمل ... الأرض، وإني ... يا سيدي الطيب في بيت ... كلام كل الخدم الذين كانوا هناك. اعمل يا «آمون» يا سيدي الطيب أن ... اليوم ... لي للخدم وإلى ...

(سطر ٨) الكاهن الأول ... على عرشه الرفيع الموضوع على الرقعة الفضية لبيت «آمون». السنة الثانية، اليوم الثاني من شهر ... في هذا اليوم في بيت «آمون» ... الحفل المقدس للإله المحترم والمحبوب كثيرًا، «آمون رع» ملك الآلهة و«موت» العظيمة ... من فصل الفيضان الحفل المقدس ... الكاهن الأول «لآمون رع» ملك «بينوزم» بن الكاهن الأول «لآمون» «منخبر رع» ... الإله العظيم الحفل المقدس ... طيب في هذا اليوم ... مقر الكاهنة الإلهية التي تجلس على عرشها الرفيع، وعندئذ ظهر الإله العظيم ... الخادمة، ومن جديد الكتاب والمراقبون والمشرفون ...

(سطر ٩) ... الكاهن الأول «لآمون» في حضرة الإله العظيم. قيل بوساطة الكاهن الأول ... والإله العظيم ثاوٍ على الرقعة الفضية لبيت «آمون»، وعندئذ أتى الكاهن الأول «لآمون» «بينوزم» في حضرة ... في حضرة «آمون رع» ملك الآلهة أول المخلوقات، وقد وقف نفسه ... في حضرة الإله العظيم قائلًا: يا سيدي الطيب، إن

الكتاب الذي في يدى، «آمون رع» ... قال، إني آخذ الكتاب ... فعمل الإله علامة استحسان كبيرة.

(سطر ١٠) ... «آمون رع» ... الإله ... في اليوم ... الكتاب، وأخذه ... في حضرة «آمون رع» ملك الآلهة، في السنة الثانية في شهر كيهك ... كلام «تحتمس» ... الإله من جديد ... نجى، فعمل الإله العظيم علامة قبول. وقد اقترب من جديد من الإله العظيم قائلًا: يا سيدي الطيب، إنك ...

(سطر ١١) عمل إشارة قبول كبيرة ... وتقدم في حضرة ... ليت «آمون رع» ملك الآلهة، يقول: إن «تحتمس» خادمي قد وجد عفوًا في حضرتي؛ ليت «آمون رع» يعمل على أن ينال خادمه عفوًا ... الإله العظيم من جديد تقدم في حضرة الإله العظيم قائلًا: يا سيدي الطيب ... مدن، وجعله يردُّها بوساطة مصادرة ممتلكاته، وجعله يدفع كل غرامة لكل ... «لآمون» و«موت» و«خنسو». وقد عمل الإله العظيم إشارة قبول عظيمة. وعندما استأنف الإله العظيم «سيره» ...

(سطر ١٢) السنة الثالثة، اليوم الثاني عشر من شهر بشنس، آوى «آمون» ... الحفل المقدس لهذا الإله المبجل، سيد الآلهة، «آمون رع» ملك الآلهة «موت» أو «خنسو» آووا في المحراب العظيم الفاخر «لآمون» (؟) بأمر الكاهن الأول ... في حضرة الإله العظيم، وقد مثل من جديد الكاهن الأول «لآمون» «بينوزم» أمام الإله العظيم قائلًا: يا سيدي الطيب ... الكتابان ... من فمك، السنة ... وستكتب وستقول: إنه وجد عفوًا أمامي، أنا «آمون» ملك الآلهة، وإني سآخذهم في ... ومن جديد خاطب الإله العظيم قائلًا: يا سيدي الطيب: انظر، إن «آمون» ملك الآلهة وأول المخلوقات يقول: إني أتسلم كتابي «تحتمس» ... خادمك.

(سطر ١٣) قد وجد عفوًا أمامك. وقد عمل الإله العظيم إشارة قبول ... قائلًا: يا سيدي الطيب، هب أن ينال عفوًا من (غضبك؟) هب أن ينال عفوًا من الموت بالسيف، هب أنا ينال عفوًا من كل الأشياء الممقوتة ومن كل غرامة «لآمون». وقد عمل الإله العظيم إشارة قبول. وقد مثل من جديد أمام الإله العظيم قائلًا: إنك إذ جعلت «تحتمس» يموت ... إنك توطد ... وقد منحه عفوًا من الموت بالسيف، ومنحه عفوًا من كل عمل تعسفي، ومنحه عفوًا بألا يتخذ بوصفه ... (؟) ومنحه عفوًا من كل ... في مسكن الأشقياء، وقد منحه عفوًا من مصادرة كل ممتلكاته، ومنحه عفوًا من كل غرامة «لآمون» و«موت» و«خنسو». وقد عمل الإله العظيم الذي يقعد على عرشه الرفيع في بيت «آمون» إشارة قبول. في السنة الخامسة شهر بئونة في معبد «آمون» اليوم التاسع، أقيم الحفل المقدس للإله.

(سطر ١٤) المبجل أمير الآلهة، «آمون رع» ملك الآلهة، و«موت» و«خنسو» ... جميل جدًّا، سيد «إبت» الذي عمله «رع» للمرة الأولى. مثل الكاهن الأول «لآمون»، «بينوزم» بن «منخبر رع» أمام الإله العظيم، وعمل الإله العظيم إشارة قبول وتقدم أمامه ووقف ... في هذا اليوم قاعدًا على ... في «إبت الجنوب» (الكرنك) ... على عرشه الرفيع في الكرنك، وقد ظهر في سفينة «نتربح»؛ وذهب الكاهن الأول «لآمون» «بينوزم» بن «منخبر رع» ... وقد مثل من جديد الكاهن «لآمون» «بينوزم» أمام الإله العظيم قائلًا: يا سيدي الطيب، إن «تحتمس» بن «سوعع آمون» قد أتى في سلام أمامك ... وقد أحيطت الرقعة ... (؟)

(سطر ١٥) إنك ستمكنه في وظيفة الكاهن والد الإله «لآمون» مدير البيت، ورئيس مخازن الغلال، وكاتب حسابات معبد «آمون»، والحارس الأول لكتب مخازن الغلال، والمراقب الأول للكاهن الأول «لآمون» في مكان والده «سوعع آمون» بن «نسآمون».

وقد عمل الإله العظيم علامة استحسان، وقد مثل من جديد (بينوزم) الإله العظيم قائلًا: إن «منخبر رع» خادمك قد قال: إن «تحتمس» ... لمعبد «آمون» مدير البيت، ورئيس مخازن الغلال، والكاتب، وصراف الـ ... قال: إنه وجده رجلًا صادق القول، وإن كل الحسابين.

(سطر ١٦) وهم «بامسحمو» ... ابن «ست ... آ ...» قد قالوا: إني أطلب من «آمون» وظيفة مدير البيت، ورئيس مخازن الغلال، وحاسب معبد «آمون»، والحارس الأول لدفاتر مخازن الغلال، والمراقب الأول للكاهن الأول «لآمون». ليت «تحتمس» بن «سوعع آمون» يمكن في هذه الوظيفة، وأنه عندما يرجو «آمون»، فليت «آمون رع» ملك الآلهة، الإله العظيم الذي يوجد قبل كل الأشياء ينشر ... «تحتمس» بن «سوعع آمون» ... صراف معبد «آمون»، والحارس الأول لدفاتر مخازن غلال معبد «آمون»، والمراقب الأول للكاهن الأول «لآمون»؛ وقد عمل الإله العظيم علامة قبول. وقد مثل من جديد أمام الإله العظيم قائلًا: يا سيدي الطيب، ليت «آمون رع» ملك الآلهة، الإله العظيم الذي يوجد قبل كل الأشياء يمكن «تحتمس» بن «سوعع آمون» في وظيفته بوصفه الكاهن والد الإله «لآمون»، ومدير البيت، ورئيس مخازن الغلال، وكاتب.

(سطر ١٧) الحسابات لمعبد «آمون»، والحارس الأول لدفاتر مخازن الغلال، والمراقب الأول للكاهن الأول «لآمون»، ليعمل على أن يجد «تحتمس» بن «سوعع آمون» عفوًا أمام «آمون رع» ملك الآلهة على شرط ألا يرتكب اختلاسات في مسكن مدينتك، وما عمله تحتمس ... فعمل الإله العظيم إشارة قبول. وقد تقدم من جديد في حضرة الإله العظيم قائلًا: يا سيدي الطيب، إذا طلب منك رجل ما، أو أي شخص ما إلى «آمون» وظيفة الكاهن والد الإله «لآمون»، ومدير البيت ... وصراف معبد «آمون» والمراقب الأول للكاهن الأكبر «لآمون» التي أعطاها «آمون» «لتحتمس» ... «تحتمس»، فليت

«آمون رع» ملك الآلهة، والإله العظيم الذي وجد قبل كل الأشياء لا يقيم لذلك وزنًا … ويمكن بنفسه «تحتمس» بن «سوعع آمون» في وظيفته بوصفه الكاهن والد الإله «لآمون»، ومدير البيت رئيس مخازن الغلال، وصراف معبد «آمون»، والحارس الأول.

(سطر ١٨) لدفاتر مخزن الغلال لمعبد «آمون»، والمراقب الأول للكاهن الأكبر «لآمون»، وعلى ذلك أومأ الإله الكبير إيماءة قبول، وتقدم من جديد أمام الإله العظيم قائلًا: يا سيدي الطيب، إذا قال رجل أو شخص ما «لتحتمس» بن «سوعع آمون» … وظيفة … الكاهن والد الإله «لآمون رع» … الكاهن الأكبر «لآمون رع» … «آمون رع» ملك الآلهة، الإله العظيم الذي يوجد قبل كل الأشياء ليجعلوه يقترب، فإنه هو قد مكن «تحتمس» بن «سوعع آمون» في وظيفة … وصراف معبد «آمون» … جالسًا على عرشه الرفيع في معبد «آمون» بالكرنك.

تعليق: هذا هو ما تبقى من نقوش الكاهن الأكبر «بينوزم الثاني»، ويمكن أن نفهم منه ما كانت عليه الوثائق الرسمية في مصر القديمة من طول وتكرار. والواقع أننا لم نصادف وثيقة في اللغة المصرية بمثل هذا الإسهاب والتطويل في موضوع كان يمكن التعبير عنه في عبارة قصيرة، ولعل السبب في ذلك أن الكاهن تحتمس كان يقصد بذلك تفهيم زوَّار المعبد الموقف براءته تمامًا.

والوثيقة على حسب ما نفهم مما تبقى لنا منها تعبر عن عفو منحه الإله «آمون» لكاهن يلقب والد الإله، ويدعى «تحتمس»، وهو على ما نفهمه من ألقابه كان تابعًا لإدارة حسابات المعبد، وقد كان ضمن أفراد آخرين اتُّهموا باختلاسات من متاع الإله نفسه، وهو كما قلنا لم يكن وحده، بل كان له شركاء من كبار الموظفين الذين انصب عليهم غضب الإله وسخطه وحكم عليهم.

والنقش ينقسم عدة حوادث وقعت في فترات متتابعة، وكان لكل حادثة على ما يظهر تاريخ معين شاء سوء الحظ أن نجده قد هُشم في النقش الأصلي. والحادث الأول هو المنظر الذي على المدخل الذي وصفناه، وقد ذكر في الأسطر العمودية التي ترجمناها فيما سبق، وقد حدث في عيد «إبت» أي عيد «آمون» بالأقصر عندما ظهر الإله في بقعة مقدسة، وهي التي تسمى «الرقعة الفضية» بالمعبد، وفي هذه اللحظة يمثل الكاهن الأكبر «بينوزم» أمام الإله «آمون» ويضع أمامه وثيقتين: إحداهما تحتوي على اتهام «تحتمس» في حين أن الأخرى تبرئه. وإنه لمن السهل أن نفهم أن الإله بحكمته ينتخب الوثيقة التي تعلن براءة «تحتمس»، وتقرر أنه بعيد عن كل مظنة (وهذا أمر طبعي؛ لأن كاتب النقش هو «تحتمس» نفسه) والحادث الثاني يشتمل على الأسطر الخمسة الأول من النقش الأفقي، إذ يظهر «تحتمس» أمام «آمون»، ويبرئ نفسه من التهم الرئيسية التي وجهت إليه. وتدل شواهد الأحوال على أن هذه التهم كانت اختلاسات قيل إنه ارتكبها؛ وذلك لأننا نقرأ في النقش مرات عدة عن حسابات قربان. ولما كانت هذه الحسابات والديون عبارة عن ضرائب فإنه قد وقع فيها بعض اختلاسات، وقد دافع «تحتمس» عن براءته منها أحيانًا بقوله «لآمون»: إن ما أمر به قد فعل، وأحيانًا بإلصاق التهمة على الكيالين أو على المراقب، ولا بد أنه كان يوجد لهذين الحادثين تاريخ، ويحتمل جدًّا أنه كان في السطر الأول من النقش العمودي. ولا يمكن أن يكون هذا التاريخ إلا السنة الثانية.

والحادثة الثالثة تشتمل على الأسطر من السادس إلى العاشر، ولكن مما يؤسف له جدَّ الأسف أنه من الصعب جدًّا أن نكوِّن عنها فكرة تقريبية. وهذا هو الجزء من المتن الذي قد مزق أكثر من غيره. وما نفهمه منه هو أنه يتحدث عن خدم المعبد والكاهنة التي تلقب «المتعبدة الإلهية» ويحتمل أنها كانت قد دُعيت لتأدية شهادة. وقد حدث ذلك في السنة الثانية في شهر من أشهر فصل الفيضان.

ونعود الآن بعد ذلك للوثيقتين اللتين قُدمتا للإله «آمون» في المنظر الأول، ولما كنا نجد هنا تاريخ السنة الثانية شهر كيهك وهو تاريخ سابق للحادثة السالفة، فإنه من الجائز أن توجد هناك إشارة إلى ما كان قد حدث في البداية، وأن هذا التاريخ هو الذي نجده ناقصًا في بداية النقش. ولم يكن كافيًا أن تعلن براءة «تحتمس»، بل كان لا بد أن يعلن الإله «آمون» ذلك بخاصة، وأن يجعل ذلك الإعلان يكتب على لوحة تذكارية موضحًا فيها أنه كان بعيدًا عن كل النتائج التي تؤثر على شخصه أو على أملاكه. وتدل ظواهر الأحوال على أن المقصود من هذا النقش أن يمحي «تحتمس» عن نفسه كل عار كان قد بقي من التهمة التي لحقت به سابقًا، وكان من الممكن أن تعوقه عن الترقية إلى الوظائف التي كان قد وعده «بينوزم» بالترقية إليها.

وأخيرًا في السنة الخامسة، اليوم التاسع من شهر بئونة، قُلد «تحتمس» بمناسبة أعياد كبيرة «لآمون» وظائف هامة في إدارة المعبد، فقد أصبح تحت إشراف الكاهن الأكبر، ولكنه فوق ذلك أصبح مدير حساباته الأول، وكلف بكل ما يخص مخازن الغلال. وبذلك نرى أنه عفا عنه عفوًا تامًّا. فنرى أن «تحتمس» لن يُوقع عليه أي عقاب، بل إن الإله نفسه اتخذ منه موظفًا من أهم موظفيه، ووعده أن يبقيه في كل وظائفه إذا حدث أن قام منافسون له يزاحمونه فيها.

ومما لا جدال فيه أن المعابد والمقابر في هذا الوقت لم تكن في مأمن من أيدي الموظفين العابثين، حتى الذين يشغلون منهم وظائف عالية، ويمكننا أن نحكم على ذلك من النقشين اللذين تحدثنا عنهما سالفًا، وأعني بذلك اللوحة التي تحدثنا عن أول ظهور اللوبيين، وهي التي سنورد ترجمتها فيما بعد، ونقوش «تحتمس» التي نحن بصددها الآن. ومن ثم نفهم السبب الذي من أجله خبأ ملوك الأسرة الواحدة والعشرين موميات الفراعنة الغالية في خبيئة الدير البحري. ولا غرابة في ذلك إذ إن تدهور السلطة في أيدي ملوك الأسرة الواحدة والعشرين الضعفاء، وكذلك الاغتصابات التي كان يقوم بها بعض الكهنة العظام، ويحتمل كذلك بعد الكثير من ملوك هذه الأسرة الذين اتخذوا «تانيس» عاصمة لملكهم. كل هذه الأشياء كان من نتائجها أن أصبح سهل «طيبة» والمعابد

والجبانات مأوى للناهبين واللصوص من كل الطبقات، والواقع أن اللصوص لم يقتصروا على سلب المقابر الملكية كما فصلنا القول في ذلك سابقًا، بل نجد أن الكهنة أمثال «تحتمس» وشركائه استولوا على ممتلكات المعبد ودخلها؛ ولذلك نجد في نقوش مثل نقش الملكة «ماعت كارع» أو نقش الأميرة «إستمخب» أن أهميته تنحصر في مسائل الملكية، وكذلك في أي عقاب صارم يقع على كل من كان يجسر على سلب شيء منها، وسنرى فيما بعد كيف أن ملك أثيوبيا «بيعنخي» قد قام بفتح مصر، وأنه كان يهتم في كل جهات القطر التي مر بها بفحص أحوال مخازن غلال المعابد. كل هذه الأحوال تدل على أن الأمور في البلاد كانت غير مستقرَّة، وأن الثورة كانت على الأبواب، وأن السبب في ذلك كان يرجع إلى أسباب سياسية قوتها المنافسات التي كانت قائمة في البلاد، وهي التي انتهت بنزع الحكم من يد الرعامسة وتولي حكم «تانيس» عرش الملك.

والآن يتساءل المرء: هل يحق لنا أن نعد الأحداث الثلاثة التي تحدثنا عنها فيما سبق، وهي غضب «آمون» على المنفيين الذين تدخل «منخبر رع» في أمرهم وطلب لهم العفو، ونهب دخل قبر «نمروت»، ثم ذكر الجرائم التي ارتكبها شركاء «تحتمس» في زمن قديم، بأنها تنسب إلى حقيقة واحدة بعينها. والواقع أن كل ظواهر الأحوال تدل على ذلك؛ لأنه لا بد أنه كانت توجد في هذا العهد أزمة سياسية قد تركت آثارها وذكرياتها مدة عهد طويل، فالمنفيون الذين توسط «منخبر رع» لصالحهم أمام الإله «آمون»، عندما بدأ يأخذ مقاليد وظيفته بوصفه الكاهن الأكبر «لآمون» في «طيبة» لم يكونوا من الدخلاء، وكذلك الحال مع «تحتمس» هذا الكاهن الذي حكم عليه بالإعدام ولم يحصل لنفسه على العفو إلا بعد أن تقدم «بينوزم» للإله الأعظم «آمون» ثلاث مرات مستعطفًا إياه. وعلى أية حال لماذا دُوِّنت هذه النقوش الكبيرة وأقيمت هذه الآثار التذكارية إذا لم تكن هناك جرائم فاضحة وأمور قضائية، كما كان ينبغي أن يحدث كل يوم؟ والظاهر أنه كان هناك حرب بين حزبين يتنازعان السلطة في البلاد وسينتهي الأمر كما سنرى بعد بينهم بالصلح بعد أن تغلب أحدهما على الآخر ونفاه. وسنرى فيما بعد — في الواقع — أن حكم البلاد قد انتقل إلى

طائفة اللوبيين (المشوش) الذين كانوا قد استوطنوا البلاد منذ زمن بعيد، بوصفهم جنودًا مرتزقة وموظفين في مختلف مصالح البلاد.

والواقع أن «آمون» كان هو القاضي في هذه الفترة من تاريخ البلاد كما يرى القارئ من المثل الذي ضربناه الآن وغيره مما ذكرنا آنفًا، وكان يفصل في كل الأمور، حتى في الوصايا ونقل الملكيات الخاصة بأقارب الكهنة العظام بوساطة الوحي، والمراسيم التي يصدرها «آمون». ولا نزاع في أن مسائل الحكم بالوحي والمراسيم الأهلية قد احتلت جزءًا في وثائق هذا العصر، وقد ذكرنا بعضها وسنذكر الباقي في مناسبته. ولا نرى الآن بعد كل ذلك غرابة إذن في أن قضية «شيشنق» اللوبي قد قدمها الفرعون أمام «آمون». وهاك ما تبقى منها:

نص لوحة اللوبيين: «… العظيم، رئيس الرؤساء «شيشنق» المنتصر، ابنه في المكان الفاخر بوساطة والده «أوزير» حتى يمكنه أن يضع جماله ليستريح في مدينة «العرابة» قابلة … وإنك ستجعله يبقى ليصل إلى سن الشيخوخة في حين أن قلبه (٢) … وإنك ستجعله ينضم إلى أعياد جلالته متقبلًا انتصارًا تامًّا.» وقد هز هذا الإله العظيم رأسه بعنف.

«آمون» يدين اللصوص: وبعد ذلك تكلم ثانية، جلالته أمام هذا الإله العظيم: «يا سيدي الطيب، إنك ستذبح الـ … (٣) (ضابط حربي) والمدير، والكاتب، والمراقب، وكل فرد كان قد أرسل في أي مهمة إلى الحفل من هؤلاء الذين سرقوا أشياءه من مائدة قربان «أوزير» عظيم «مي» (المشوش) «نمروت» المنتصر ابن «محت نوسخت» الذي في «العرابة» (٤) وكل الناس[١٠] الذين نهبوا قربانه المقدسة، وأهله، وماشيته، وحديقته، وكل قربة، وكل أشيائه الممتازة. وإنك ستعمل على حسب روحك العظيمة في كل ذلك، فاملأها واملأ عدد النساء، وأطفالهم.» فهز الإله العظيم رأسه بشدة.

الصلاة النهائية «لآمون»: وقد قبَّل جلالته الأرض أمامه، وقال جلالته: اجعل «شيشنق» المنتصر يظفر رئيس «مي» العظيم، ورئيس الرؤساء العظيم … وكل من أمامك (٦) وكل

الجنود ... (وقال له) «آمون رع» ملك الآلهة ... سأفعل ... لك، وإنك ستبلغ سن الشيخوخة عائشًا على الأرض، وسيكون وارثك على عرشك أبديًّا.

تمثال «نمروت» يرسل إلى «العرابة»: وأرسل جلالته تمثال «أوزير» رئيس «مي» العظيم، ورئيس الرؤساء العظيم «نمروت» المنتصر نحو الشمال إلى «العرابة» وكان ... جيشًا عظيمًا ليحميه ومعه سفن عديدة ... يخطئها العدُّ، وكذلك رُسُل رئيس «مي» العظيم ليضعوه في المكان الفاخر، وهو محراب العين اليمنى للشمس لتعمل قربانه الخاصة بالعرابة على حسب الشروط الخاصة بعمل قربانه، والبخور ... في قاعة الشكاوى.

سجلات الوقف: وقد سجل مرسومه في قاعة الكتابات (سجل المعبد) على حسب ما قاله سيد الآلهة (آمون)، وقد نُصبت له لوحة من جرانيت «إلفنتين» (أسوان) وعليها المرسوم باسمه لتوضع في المحراب المقدس حتى نهاية الأبدية السرمدية. وبعد ذلك أسست مائدة قربان «لأوزير» رئيس «مي» العظيم «نمروت» المنتصر ابن «محت نوسخت» القاطن في «العرابة».

رجال الوقف: وقد أحضر هناك الناس الـ ... تابعين رئيس «مي» العظيم الذين أتوا مع التمثال خادم سوري يدعى «إخ آمون» ... وسوري يدعى «إكبتاح»، وكان ثمن الأول أربعة عشر دبنًا من الفضة، وقد أعطى جلالته عشرين دبنًا من الفضة (ثمنًا) للثاني، فيكون المجموع خمسة وثلاثين دبنًا من الفضة (وهذا هو ثمن العبدان).

أراضي الوقف: وما دفع ثمنًا لخمسين أرورا من الأرض التي في الإقليم العالي جنوبي «العرابة» المسمى «أبدية المملكة»: خمسة دبنات من الفضة.

والذي في ... التابعة للبركة التي في «العرابة» خمسون أرورا من الأرض. ويبلغ ثمنها خمسه دبنات من الفضة.

مجموع أراضي المواطنين ... مكانان وهما: الإقليم العالي جنوبي «العرابة» والإقليم العالي (١٣) شمالي «العرابة»: مائة أرورا، ويبلغ ثمنها عشرة دبنات من الفضة.

قائمة الرجال: عبده المسمى «بور» بن ... عبده «إبك»؛ وعبده «بوبن-آمن-خع»، وعبده «ناي-شنو-مح» = (الشجر المملوء) وعبده «دنا»؛ مجموع العبيد: ستة، ويبلغ الثمن ثلاث دبنات وقدت واحدًا من الفضة، والكل ١٨ دبنًا وستة قدات من الفضة.

الأطفال: الطفل الخاص ... ابن «حورسا إسي» المنتصر يبلغ ثمنه ـ قدت من الفضة.

الحديقة: الحديقة التي في الإقليم العالي (شمالي) العرابة يبلغ ثمنها دبنان من الفضة.

البستانيون: البستاني «حور موسى» المنتصر ابن «بن» يبلغ (ثمنه) ـ ... قدت من الفضة؛ وبني — المنتصر ... حار نبي-ر — المنتصر وثمنه ـ قدت من الفضة.

الرجال والنساء: ... «نسي-تتات» وأمه هي «تديموت» الأمة، «وتد-إسي» بنت «نبت-حابي»، وأمها «إرو-إخ» (١٦) (الأمة)؛ و«تبيرا منف» بنت «بينحسي» المنتصر؛ لكل واحد منهن؛ و ـ قدات من الفضة، وهي ثمن كل رجل، فيكون المجموع ـ دبنات (هذا العدد غير مؤكد، ولا نعرف ما إذا كان خاصًّا بالسابق أو باللاحق).

قائمة بالأشياء المورَّدة: شهد المنصرف يبلغ ... دبنًا من الفضة مستحقة للخزانة ثمن «هن» من الشهد صرف من خزانة «أوزير» (لقربان أوزير المقدسة) رئيس «مي» العظيم، رئيس الرؤساء العظيم «نمروت» ابن رئيس «مي» العظيم «شيشنق» ... والنقد الخاص بذلك كان يدفع لخزانة «أوزير» لا أكثر ولا أقل.

البخور: المنصرف يبلغ أربعين دبنًا من الفضة تدفع لخزانة «أوزير» عن أربعة قدات من البخور صرفت من خزانة «أوزير» يوميًّا لأجل قربانه المقدسة، رئيس «مي» العظيم «نمروت» المنتصر، وأمه هي «محت نوسخت» أبد الآبدين من الذي يصرف من الـ ... بخور والنقود لأجل ذلك تدفع من خزانة «أوزير» لا أكثر ولا أقل.

المر: المنصرف يبلغ ـ قدات من الفضة تدفع لخزانة «أوزير» ... (٢٠) ... ـ قدت من المر صرف من خزانة «أوزير» لأجل مبخر «أوزير» رئيس «مي» العظيم المسمى «نمروت»

المنتصر، وأمه «محت-نوسخت» أبد الآبدين من الذي يصرف من المرِّ ... والنقود اللازمة لذلك كانت مستحقة لخزانة «أوزير» لا أكثر ولا أقل.

الحب: ... عن كل رجل ... عن كل رجل نفقة تصرف تبلغ ثلاثة قدات من الفضة، وقدتًا واحدًا من الفضة تدفع لخزانة «أوزير» لحب الحقل هذا الذي يصرف يوميًّا من ... (٢٢) من خزانة «أوزير» والـ ... «أوزير»، لأجل مائدة قربان «أوزير» رئيس «مي» العظيم «نمروت» المنتصر، وأمه هي «محت نوسخت» أبد الآبدين، من ضرائب الـ ... خاص بخبز الفطائر ... والنقود اللازمة لذلك كانت تدفع لخزانة «أوزير» (٢٣) وهي خزانة حبوب حقل ... والنقود اللازمة لذلك كانت تدفع لخزانة «أوزير» ... لا أكثر ولا أقل.

الملخص: مجموع فضة هؤلاء الناس التي تدفع لخزانة «أوزير» (٢٤) ... ١٣ (؟) رجلًا ... صرفت من ... الـ ... خاص «بأوزير» رئيس «مي» العظيم «نمروت» المنتصر ابن «شيشنق»، ومن أمه هي «محت نوسخت» لأجل أن يعطى ... إلى «أوزير» رئيس «مي» العظيم «نمروت» المنتصر ابن «محت نوسخت» الذي في «العرابة».

الأراضي ... ١٠٠ أرورا.

الرجال والنساء ... ٢٥.

حديقة ... ١.

فضة ... ١٠٠ دبن (ويحتمل أكثر من ذلك).

العرابة.[١١]

(٣-٢) التأشيرات التي سجلت على موميات الكهنة في عهد «بينوزم الثاني»

الكشف عن خبيئة «الدير البحري» الثانية: بينما كانت الحفائر قائمة على قدم وساق لتنظيف الطابق العلوي من معبد «الدير البحري» في شهر يناير سنة ١٨٩١ جاء «محمد أحمد عبد

الرسول»، الذي أنبأ عن خبيئة «الدير البحري» الأولى التي كانت تحتوي على موميات الملوك والكهنة العظام إلى «المسيو جريبو» مدير مصلحة الآثار وقتئذ، وأخبره أنه يوجد بالقرب من مقبرة الملكة «نفرو» الواقعة في محيط معبد «الدير البحري» في سفح الجبل مكان بكر، وأنه لا بد من وجود مقبرة في هذه النقطة.

ولم يكد يسمع المسيو «جريبو» بذلك الخبر حتى بدأ العمل في المكان الذي أرشد عنه «محمد أحمد عبد الرسول»، حيث وُجدت بعض أحجار كبيرة بعد إزالة طبقة الرمل التي كانت تغطي هذه البقعة. وبعد رفع هذه الأحجار ظهرت رقعة مرصوفة (سدادة) تخفي تحتها فوهة بئر، وفي أسفل ذلك طبقة من اللبنات، ثم رقعة أخرى مرصوفة بالأحجار. وقد وجد أن البئر مملوءة بالرمل وبالأحجار وبقطع من الفخار. وبعد النزول فيها نحو ثمانية أمتار من تحت السدادة العليا وجد في الجدار الشمالي مدخل حجرة «مسدودة» بأغصان شجر وبقايا توابيت من الخشب وقطع الأحجار، ووجد في البئر نفسها طريق كاذبة مملوءة بجذوع الأشجار وقطع الحصير، وفي أسفل من ذلك وجد أن البئر كانت مملوءة بأحجار غليظة يتخللها الرمل. وأخيرًا على عمق أحد عشر مترًا وصل الحفارون إلى قعر البئر.

وفي الجدار الجنوبي ظهر ما يدل على وجود فتحة سدت كلية بجدار من اللبنات، وقد عملت فتحة في هذا الجدار أدَّت إلى ممرٍّ مكدس بالتوابيت الخشبية. وهنا يقول الأثري «دارسي»: إنه عند رؤية هذه التوابيت، تبادر إلى ذهني أنني أمام خبيئة تشبه التي عثر عليها «مسبرو» في هذه الجهة منذ عشرة أعوام مضت. وقد دل طراز التوابيت على أنه من فن الأسرة الواحدة والعشرين، وعلى ذلك فإن الخبيئتين تكونان من عهد واحد، غير أنه في الأخيرة ظهر أن الشخصيات التي في هذه الخبيئة الجديدة بدلًا من أن يكونوا ملوكًا وكهنة عظامًا، تبين أنهم كانوا مجرد كهنة عاديين، غير أنهم كانوا تابعين لعبادة الإله «آمون» أيضًا.

وقد وجد أن الممر ليس بواسع، إذ لم تكن مساحته أكثر من ١,٧٠ من الأمتار طولًا في ١,٩٠ منها عرضًا ومثلها ارتفاعًا. وقد حفر هذا الممر في الصلصال الصلب، وهو ينحدر أولًا انحدارًا خفيفًا ثم يتجه أفقيًّا نحو الجنوب. وقد كان هذا الممر ينزل في بادئ الأمر حوالي ثلاثة وتسعين مترًا ينتهي بعدها بحجرة تكاد تكون مربعة، وطول كل ضلع منها أربعة أمتار، وتوصل إلى حجرة أخرى أضيق منها. وعلى بعد ٧٦,٢ مترًا من المدخل، وعلى مستوى أقل من مترين حفر فرع أفقي بالنسبة للممر العظيم متجهًا نحو الغرب، والسلالم التي فيه كانت أولًا بقدر اتساع الممر، وبعد ذلك أخذت تنقص إلى النصف، ثم تغير الاتجاه بعد «بسطة» مربعة. وبهذا الوضع قطعت الطبقة العليا شقين دون أن يتصل واحد منهما بالآخر.

وقد وجد أحد الكهنة الذين كانوا مكلفين بالحراسة أن أسهل طريقة للذهاب إلى قعر الممر أن يضع على «البسطة» غطاء أحد التوابيت مستعمِلًا إياه بمثابة سلم.

والممر الأسفل منحوت كله في الصخر، ويبلغ طوله ٥٢,٤٠ مترًا، ويبلغ الطول الكلي للممرِّ الذي تحت الأرض ١٥٥ مترًا، أي عشرة أمتار أكثر من ممر مقبرة «سيتي الأول». وقد وجدت صناديق موميات مكدسة في كل أجزاء هذا المدفن الأرضي. فبالقرب من المدخل المؤدِّي إلى مكان الدفن كانت الموميات موضوعة بغير نظام، إذ كانت طريق المرور في مكانين مسدودة تمامًا، فقد وجد فيها ثلاثة توابيت في مواجهة الطريق، وكدس فوقها توابيت أخرى، وقد كان من الضروري أن يزحف الإنسان على بطنه تفاديًا لهذه العقبات التي كانت تعترضه في طريقه. وبعد ذلك بمسافة وجدت التوابيت موزعة في صف مزدوج على طول الجدران تاركة طريقًا في الوسط، وكانت رءوس التوابيت دائمًا متجهة عادة نحو البئر، وكانت توجد مع هذه التوابيت بعض الصناديق التي تحتوي على التماثيل المجيبة، «أوزيرا» التي تحتوي على ورق بردي، والصناديق التي فيها أواني الأحشاء، وكان منشورًا على رقعة الممر فواكه وأزهار وتماثيل جنازية من التي وقعت من الصناديق المكسورة.

والحجرات الداخلية التي في قعر الممر كانت مفعمة بالتوابيت والآثار؛ لدرجة أن الإنسان بدأ يتساءل: كيف أمكن هؤلاء القوم إدخال كل هذه التوابيت، مع العلم بأن هذا كان — على وجه خاص — أكبر كنز عُثر عليه من هذا القبيل؟

وقد لاحظ الكاشف في التوابيت التي كانت مزخرفة زخرفة ثمينة أن الأوجه والأيدي كانت مغطاة بورق من الذهب، وأن هذه الأوراق قد انتزعت منها. ومن المحتمل إذن أن نفس اللصوص الذين نهبوا توابيت ملوك الفراعنة قد نهبوا توابيت كهنة «آمون»، وعلى ذلك فإن هذه التوابيت لم يسرقها اللصوص الأحداث؛ بل سرقها اللصوص القدامى.

ويلاحظ أن معظم التوابيت كانت مزدوجة، وكان التابوت الداخلي هو المغلق، وأن الدسر التي كانت لازمة لتثبيت الغطاء في التابوت لم تُدق. والظاهر أن المقصود من ذلك تيسير نزول التابوت في البئر، وكان يُدلى كل تابوت على حدة، ولم يُعِر الكهنة اهتمامهم بدَقِّ دُسُر التابوت الثاني بعد إنزاله، وقد كان أمر حراسة هذه التوابيت موكلًا إلى خفراء الآثار بالقرنة، وإلى بحارة سفينة مصلحة الآثار والكاشف نفسه.

وقد بدأ إخراج الآثار في الخامس من فبراير، وقد دون الكاشف هذه التوابيت بأرقام استعملها المؤرخون مراعاة للاختصار عند التحدث عن هذه الموميات ومحتوياتها. وقد نُظفت الحجرة العلوية ولم يوجد فيها إلا بعض بقايا تابوت من عهد الأسرة التاسعة عشرة، والمفروض أن هذه البئر قد حفرت في هذا العهد. وقد استفاد منها الخلف فعمقوها ونقروا الدهليز الذي يؤدي إلى حجرة كان مصيرها لأسرة الكاهن الأكبر «منخبر رع»، ولكن بعد ذلك تغيرت الفكرة وأصبح هذا المدفن الذي تحت الأرض، بعد أن كبر، مأوى لأعضاء كهنة «آمون» بدون تمييز؛ وهؤلاء هم الذين لم يكن لديهم موارد لإعداد قبر خاص لكل أولئك الذين رغبوا في حماية مومياتهم من سطو اللصوص الذين كانوا يعيشون في المقابر فسادًا طلبًا للثروة.

ويتلخص ما استخرج من هذه الخبيئة فيما يأتي:

(١) ١٥٣ تابوتًا منها عشرة ومائة تابوت مزدوج واثنان وخمسون منفردًا.

(٢) عشرة ومائة صندوق من التماثيل الجنازية.

(٣) سبعة وسبعون تمثالًا «أوزيري» الشكل من الخشب معظمها مجوف ويحتوي على بردي.

(٤) ثمانية لوحات من الخشب.

(٥) تمثالان من الخشب (إزيس ونفتيس).

(٦) ست عشرة آنية أحشاء.

(٧) خشب سرير واحد.

(٨) عشر سلات من البوص.

(٩) خمس سلات مستديرة من سيقان البوص مجدولة.

(١٠) مروحتان.

(١١) خمسة أزواج من الأخفاف.

(١٢) أحد عشر مقطفًا من المأكولات (لحمة وفاكهة ... إلخ).

(١٣) ستة مقاطف من الفاكهة والأكاليل.

(١٤) خمسة أوانٍ كبيرة.

(١٥) خمسة صناديق فخار.

(١٦) صندوق (يد) ولحى من الخشب مفصولة من التوابيت، ولم يُكشف عن أي متن لا في البئر ولا على جدران المخبأ السفلي، وقد وُجد في هذا المكان كوَّات مساحة الواحدة متر ونصف متر، وارتفاعها على قدر ارتفاع مصباح. وقد وجدت مادة بيضاء تشبه الشمع سائلة على طول الجدران، وبالتحليل الكيمائي أمكن معرفة المادة التي كان يستعملها المصريون للإضاءة في هذه المقابر السفلية. وعند دخول هذه الممرَّات التي كانت مسدودة منذ ما يقرب من ثلاثة آلاف سنة كانت الحرارة خانقة؛ غير أنه لم يتصاعد منها رائحة كريهة. وقد أثر تغيير الجو في سطح التوابيت؛ إذ أخذ الجبس الذي عليها يتفكك. وقد وصلت هذه التوابيت إلى متحف القاهرة في أوائل مايو، ولم تُعرض إلا في شتاء سنة ١٨٩٢، وكان قد فحصها الدكتور «فوكيه» من قبل وكتب عنها تقريرًا (A. S. Vol. I. p. 14. ff).

وقد كُتب على لفائف موميات هؤلاء الكهنة بعض حقائق تاريخية، نعرف منها أن «منخبر رع» قد خلف في رياسة كهانة «آمون» آخر يدعى «نسبا نبدد»، الذي عرفنا من منشور الكرنك أنه ابن «منخبر رع» (راجع Rev. Archeol. P. 28 Térage à Part 9, 10).

وقد خلف «نسبا نبدد» هذا ابنًا آخر «لمنخبر رع» يدعى «بينوزم الثاني» في رياسة كرسي الكهانة «لآمون»، وذلك في عهد ملك «تانيس» (أمنمأبت)، ويحتمل أن ذلك قبل السنة الثانية والعشرين كما تبرهن على ذلك السجلات التالية. وقد كانا يقومان بإدارة الملك له في «طيبة» حتى السنة العاشرة من عهد الملك «سيآمون».

(٣-٣) أسرة الكاهن الأكبر «بينوزم الثاني»

زوجاته

نعلم من مرسوم كتب على ورقة بردي محفوظة الآن «بالمتحف المصري» باسم «نسخنسو» أن «بينوزم الثاني» كان له على الأقل زوجان؛ إذ نجده في مواضع كثيرة يتكلم عن نسائه بصيغة

الجمع (راجع Mospero, Momies Royales Pl. p. 608 et 609).

زوجتاه «نسخنسو» و«إستمخب»

بردية نسخنسو: وأهم زوجاته على ما نعلم هي «نسخنسو» بنت «سمندس» الأخ الأكبر «لبينوزم الثاني» كما سنرى بعد. ووالدته تدعى «تاحنت تحوتي» وقد توفيت في السنة الخامسة من حكم الفرعون الذي كان يحكم وقتئذ (راجع الكاهن الأكبر «بينوزم»). وأهم أثر تركته لنا هو المرسوم الذي أصدره الإله «آمون رع» في السنة السادسة. وهذا المرسوم قد وجد في داخل تمثال أوزيري الشكل مصنوع من الخشب في خبيئة الدير البحري مع غيره من هذه المراسيم في تماثيل أخرى (راجع Maspero, Ibie p. 592).

وهذا النوع من ورق البردي يؤلف نوعًا من الوثائق لم يكن قد وصل إلينا منها إلا أمثلة قليلة. وما هو معروف لدينا من هذا الصنف هو بعض لوحات من الخشب الملون عثر عليها في «طيبة»، وبخاصة لوحة «روجرز»، وكذلك لوحة أخرى ملك «ماك كلم» وجدت في «الدير البحري» (راجع Mac. Collum, Proceeding. of the Bib. Archeol. 1883 p. 76–8).

وفي هذا المرسوم يظهر «آمون» بوصفه الملك الحقيقي «لطيبة» التي كانت تحت سلطة الكهنة العظام، وقد أصدره ليمنح المتوفى بعض امتيازات لا تفيده إلا في عالم الآخرة. وقد كانت بعض هذه المراسيم تُكتب على لوحات من الخشب وتوضع في القبر مع المتوفى، أو كما قلنا كانت تكتب على إضمامات من البردي وتوضع في تماثيل أوزيرية الشكل كما كانت الحال في ورقة «نسخنسو»، أو كانت تنشر على المومية تحت اللفائف، كما حدث في ورقة «بينوزم الثاني» وورقة «نسيتانب-إشرو»، وأسهل طريقة لإعطاء فكرة حقة عن محتويات مثل هذه الوثائق هو أن ننشر واحدة منها، وسننتخب لهذا الغرض المراسيم التي نشرت تكريمًا للأميرة «نسخنسو»، ولدينا

منها نسختان: واحدة على لوحة كبيرة من الخشب، والأخرى على بردية طويلة مكتوبة من الوجهين (راجع Momies Royles, Pls, XXV–XVII).

ومن هذين المتنين يمكننا أن نؤلف متنًا صحيحًا، وقد سبق أن نشرنا مرسوم «بينوزم الثاني» (راجع الكاهن الأكبر «بينوزم الثاني») غير أن متن «نسخنسو» أطول منه ويحتوي على مادة أكثر؛ ولذلك آثرنا نقله هنا على الرغم من تشابه بعض الفقرات في كل من المرسومين. وقبل أن نضع أمام القارئ صورة هذا المرسوم نلخصه في بعض جمل:

أمر الكاهن الأكبر «بينوزم الثاني» بكتابة بردية لزوجه «نسخنسو»، وينقسم متنها قسمين: الأول أنشودة للإله «آمون»، والثاني اعتراف للإله «آمون» خاص بالمتوفاة، وهذا الاعتراف بلا نزاع قد أوحى به «بينوزم» نفسه. وتدل شواهد الأحوال مما جاء في المتن على أن «بينوزم»، على ما يظهر، كان لديه من الأسباب ما يدعوه إلى الخوف من انتقام زوجه؛ مما جعله يوجه للإله عبارات مهدئة ومسكنة كان الغرض الرئيسي منها أن يطلب إلى نفسه وإلى جميع أفراد أسرته الآخرين حماية «نسخنسو»، وقد حتم عليها بوساطة الإله أن تكون على ولاء لزوجها، وأخذت عليها المواثيق بذلك مما ألقى بعض الضوء على أخلاق الحريم الملكي المصري في ذلك العهد؛ وذلك أن المصريين في ذلك العهد وغيره كانوا يعزون إلى المتوفى، الذي أصبح مؤلهًا بوساطة «آمون» قوة عظيمة جدًّا يمكن استعمالها لا في عالم الآخرة وحسب، بل كذلك في عالم الدنيا. وهذا الاعتقاد في أن المتن يمكنه أن يضايق الأحياء أو يحاسبهم موجود منذ زمن بعيد جدًّا في مصر Gardiner–Sethe, Letters to The Dead.

والظاهر أن هذا الاعتقاد في قوة السحر كان شائعًا في تلك الفترة من تاريخ البلاد، ولا أدل على ذلك من موضوع المؤامرة التي قامت في قصر الفرعون للقضاء على «رعمسيس الثالث». (راجع مصر القديمة ج٧).

وفي المرسوم الذي نحن بصدده، يقول «آمون»: إن «نسخنسو» لم تبحث قط لتختصر حياة زوجها، أو تعمل على أن تختصر حياته على يد آخرين، وأنها لم تستعمل معه أي عمل إجرامي. وكذلك قد أله هذا الإله «نسخنسو»، ووجه قلبها توجيهًا حسنًا نحو «بينوزم».

وهذا المنشور كما قلنا ينقسم قسمين: الأول يشمل أنشودة للإله «آمون رع»، وتعد من أهم الأناشيد التي تدل على التوحيد، والثاني يشمل نصوص المرسوم. وسنتناول كل قسم منهما على حدة ونترجمه، ثم نعلق عليه، وسنبدأ أولًا بالأنشودة (راجع Momies, Royales, p. 594).

نص الأنشودة: «هذا الإله المبجل سيد كل الآلهة «آمون رع»، سيد عروش الأرضين، ورئيس الكرنك، والروح الفاخر الذي وجد في البداية، الإله العظيم الذي يعيش من العدالة، وأول موجود أزلي خلقته (٣) الآلهة القدامى، ومن وجد منه كل إله آخر، الواحد الأحد الذي بدأ المخلوقات عند البداية الأولى للأرض، (٤) العظيم السرية في الولادة، ومَنْ صوره عديدة، ومَنْ ظهوره لا يعرفه أحد.

والقوة الفاخرة، والمحبوب والمهاب، والقوي في إشراقه، (٦) والعظيم القدر، والإله الخالق الجبار الذي صورته برأت كل صورة، (٨) وبدونه لا يبقى شيء منذ بدء الخليقة.

وعندما أضاءت الأرض للمرة الأولى (عندما خلق أول صباح) صار هو الشمس، وأمير النور والأشعة، وعندما يمنحها[١٢] تعيش كل الدنيا، وعندما يخترق السماء لا يصيبه أي نَصَبٍ، وفي الصباح الباكر يستمر على حاله. وبعد الشيخوخة يقف كالفتى ويهزم حدود السرمدية؛ فيعبر السماء، ويخترق العالم السفلي، ويضيء الأرض لمن برأ.

الإله المؤله الذي صاغ نفسه بنفسه، والذي خلق السموات والأرض على حسب لُبِّه، أمير الأمراء، وعظيم العظماء، والأمير الذي تفوق عظمته الآلهة، والثور الفتي ذو القرنين الحادين، ومن لعظمة اسمه ترتعد الأرضان، والذي لقوته تأتي الأبدية، ومن يهزم نهاية السرمدية.

(١٣) الإله العظيم منذ بداية الخلق، الذي يستولي على الأرضين بانتصاره، وإنه المهاب، وجيه الوجهاء، القديم الوجود، (١٤) المحبوب أكثر من كل الآلهة، ولكنه الأسد المفترس النظرات، ذو العينين الحمراوين، (١٥) رب اللهيب، على أعدائه، وإنه «نون» العظيم (ماء الفيضان) الذي يخرج في ميعاده ليحيي (أي «آمون») ما صنعته عجلته (شبه «آمون» هنا بالإله «خنوم» إله الشلال) وهو الذي يخترق السماء ويطوف بالعالم السفلي، ويضيء السماء على حسب عادته بالأمس، سيد القوة، والبهي بعظمته، والسرية في ضوء أشعته موجودة في جسمه عن يمينه وعن شماله، والشمس والقمر والسموات والأرض مملوءة بجماله، الملك صاحب الأعمال الطيبة الذي لا يصيبه نصب، بل قوي القلب عند الشروق وعند الغروب. وهو الذي خرج الناس من عينيه الإلهيتين،[١٣] والآلهة من نطق فمه، صانع الطعام وخالق المأكولات، ومنشئ كل كائن. الأبدي الذي يقطع السنين دون أن ينتهي أجله، ومن يعيش أبدًا شيخًا ويافعًا، وعندما يشيخ فإنه يعيد صباه، وهو صاحب الأعين العديدة، والأذن الكثيرة، والملايين تسير بنوره.

رب الحياة، والذي يعطي من يحب، ومحيط الأرض تحت نظره، والآمر والمنفذ دون معارض، ولا شيء يقضي عليه (٢٥) مما فعله، صاحب الاسم الحلو والحب الهني، وفي الصباح يذهب كل العالم ليصلوا إليه، عظيم الفزع، شديد البأس، ومن نهاية كل الآلهة، والثور الفتي، ومن يقهر القرن، ويسقط عدوه بساعديه القويتين. وهذا الإله قد برأ الأرض على حسب تصميمه، وهو روح (٢٨) يرسل النار من عينيه، وهو روحاني خلق المخلوقات، وفاخر مجهول، (٢٩) وأنه ملك يصنع الملوك وينظم الأراضي عندما يقوم برحلته،[١٤] والآلهة والإلهات تنحني أمام شخصه من رهبته العظيمة، ومن يمشي في المقدمة ويصل إلى الهدف، وإنه خلق الأرضين على حسب تصميمه، وهو الصورة الخفية التي لا تُعرف، وإنه خفي أكثر من كل الآلهة، فإنه يجعل نفسه خفيًّا في الشمس (أي إنه يضيء في الشمس)، ومع عدم معرفته فإنه يضيء أمام من خرج منه، وهو

المصباح المشع العظيم الضوء، ومَنْ يُرى عندما يتأمل، ومَنْ (٣٤) بمشاهدته يمضي الإنسان اليوم دون أن يشعر به.

وعندما تضيء الأرض فإن جميع الأرض على ذلك تتعبد له، (٣٥) وهو المضيء الذي يشرق بين التاسوع وصورته مأخوذ منها كل إله، ويأتي «نون» (الفيضان) بهبوب الريح نحو الشمال في هذا الإله الخفي، وهو الذي تنتشر مرسوماته في ملايين الملايين، ومن لا تردُّد (٣٧) في مرسوماته (المكتوبة) وكلمته ثابتة في مرسوماته وممتازة ولا تخيب قط.

وأنه أقام جدارًا من حديد السماء وهو على قناته (السماوية) وليس في مقدور أحد أن يغير طريقه (في سيره في السماء بوصفه الشمس) وإنه يأتي لمن يدعوه (وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعِ إذا دعانِ)، ويشرح القلب الذي يعظمه، ويسر من ينطق باسمه.

وإنه يمنح الحياة ويضاعف السنين لمن يشاء، فإنه حامٍ ممتاز لمن يجعله في قلبه.

وهو منشئ السرمدية والأبدية ملك الوجه القبلي والوجه البحري «آمون رع» ملك الآلهة، ورب السماء والأرض والماء والجبال وبارئ الأرض بوجوده، والعظيم القوي، وهو الذي رفع نفسه فوق كل آلهة التاسوع الأول.»[١٥]

تعليق: والآن نلقي نظرة عامة على محتويات هذا المتن، ونبرز ما يشمله من فكرة عن الإله «آمون» وعبادته في تلك الفترة.

فأول ما يلاحظ في هذا المتن أنه كسائر المتون الدينية قد كرر فيه المصري بشيء من التطويل ما أراد أن يعبر عنه. والواقع أنه ليس من الصعب على الإنسان أن يعبر عن الفكرة الأصلية بألفاظ جديدة في عبارات عدة، ومع ذلك تكون الفكرة دائمًا واحدة، غير أننا نجد هنا أن الأدعية كانت بصيغة الأدعية القديمة العديدة المدونة والمعروفة لنا، وكذلك الأناشيد التي أُنشدت «لآمون» وللشمس وللإله «بتاح»، هذا إلى العبارات التي استعيرت حرفيًّا، غير أننا نجد من جهة أخرى أن

الفروق بينها كانت عظيمة، ومن هذه الفروق نستخلص الأهمية التاريخية الدينية للمتن الذي نحن بصدده. ويلاحظ أن التقدم في الأفكار التي ظهرت حتى الآن في هذا المتن هي التي نجدها قد عُبر عنها بعبارات جديدة، فأول ما يظهر أمامنا مفاجئا هو أن العناصر الخرافية، وكذلك الصلة بين صورة الإله وصفاته قد حددت تمامًا بصورة بينة لا تغيير فيها ولا تبديل. ففي أناشيد «آمون» العظيمة التي وضعت له من قبل نجد أنه قد ذكرت فيها سلسلة التيجان المنوعة التي كان يلبسها الإله في صور وأوضاع مختلفة، هذا إلى ذكر ما كان يزينها من قرون وريش وأصلال، يضاف إلى ذلك الصولجانات والأسواط التي كان يمسكها في يديه، ولكن في المتن الذي نحن بصدده الآن لا نجد شيئًا يذكر من هذا القبيل، وحتى عندما يوصف الإله الخالق مرة بأنه «الثور الفتي ذو القرنين الحادين»، أو بأنه «الأسد صاحب النظرات الغاضبة»، فإن ذلك لا يقصد منه معناه الحقيقي، بل هو تعبير مجازي لقوة الإله، وكذلك نجد هنا بدلًا من وصف الإله بأنه «صاحب العينين الإلهيتين» أنه «ذو الأعين العديدة والآذان الكثيرة»؛ وذلك لأنه في التأملات الخرافية القديمة والرموز كان يعبر عنها بطريقة واحدة لا تغيير فيها ولا تبديل، وهذا هو نفس ما يلاحظ في التعبيرات المماثلة لها في الأدب العبري الخاص بالأنبياء والعبادات، إذ نجد فيها تعبيرات شعرية وتشبيهات من هذا القبيل، وقد كانت عين الإله عند المصريين في العادة تدعى «العين السليمة» (واز) وقد استمرت كذلك، غير أنه لم يُشَر إليها في المتن الذي نحن بصدده بأية كلمة مما كانت توصف به قديمًا، وكذلك نجد هنا أن التعبير العادي عن انتصار إله النور على أعدائه (سطر ١٣، ٢٢، ٢٧) وهو التعبير المستعار من خرافة الحرب، التي كانت تشب يوميًّا بين إله الشمس «رع» في أثناء سيره في القبة الزرقاء وبين الثعبان «أبوفيس» وغيره من الثعابين التي كانت تعترض طريقه، ليس لها أثر، بل عبر عنه هنا بكل بساطة بأنه الإله المسيطر الذي يخترق العالم كله يوميًّا ويحكمه.

أما عن وصف سير إله الشمس اليومي فقد عُبِّر عنه بطريقة مفهومة؛ إذ وصف بأنه صار مُسِنًّا ثم أعاد لنفسه الصبا؛ أما عن سفينة الشمس التي كنا نقرأ عنها في المتون القديمة، فقد أصبحت لا وجود لها، وأصبح لا علاقة لإله الشمس مع بلاد «بنت» أو مع بلاد «المازوي» (أي بآسيا أو السودان) وهو ما نشاهده مدونًا في أناشيد «آمون»، التي سبقت المتن الذي نحن بصدده (راجع كتاب الأدب المصري القديم ج٢ ص٩٤ إلخ).

كذلك نلحظ أن صيغة الأسطورة القديمة القائلة بأن الناس قد خلقوا من عين الإله، والآلهة من فمه، قد استعيرت حقًّا من أناشيد «آمون» القديمة، ولكن هذا لم يكن بالوصف الحقيقي لقصة تكوين الخليقة، بل يعدُّ صيغة مستعارة لقدرته على الخلق، كما أنه هو الذي منح الطعام الذي مكن الإنسان من الحياة.

ومن الأمور الهامة المدهشة التي نلحظها هنا كذلك أن توحيد الإله «آمون» بآلهة آخرين مما نجده يلعب دورًا هامًّا في المتون الأخرى السابقة لمتننا، قد اختفى هنا جملة. ونعلم من جهة أخرى أن اسم الإله «رع» كان يؤلف جزءًا من اسم الإله «آمون رع» رب طيبة، وخلافًا لذلك نجد أن اسم «خبري» قد حوفظ عليه، واستمر مستعملًا ليحل محل اسم «آمون»، غير أن هذا الإله «خبري» لم يعد بعد يدل على الإله «الجعل» أو أنه إله خلق نفسه بنفسه كما كان الاعتقاد من قبل،[١٦] بل أصبح لفظه يدل على الخالق، ومن جهة أخرى نجد أن الإله «حور» (الصقر) و«آتوم» إله «هليوبوليس» والإله «شو» قد أصبحوا لا يذكرون إلا قليلًا مثل «بتاح» رب «منف»، الذي استعار منه «آمون» كل نفوذه ونعوته بدرجة عظيمة جدًّا.

ولا نزاع في أن أسماء هؤلاء الآلهة كلهم قد حذفت قصدًا في هذا المتن؛ وذلك لأن العقيدة الأساسية في نظر كل الرجال الذين في مصر في هذا العهد قد أصبحت عقيدة التوحيد للإله الخالق

الذي يسيطر على العالم، وأن الاعتقاد في تعدد الآلهة على حسب الخرافات القديمة قد تخلص منه المصري، وهذا الإله الواحد هو «آمون رع».

وهذا الإله الخالق قد تمثل بوضوح أمام الناس في الشمس التي تطوف العالم أجمع أمام أعينهم باستمرار وبانتظام، وكذلك تسبح في السموات والعالم السفلي دون أن يكون لذلك نهاية، وأصبح يسيطر على حدود السرمدية والأبدية، غير أن كل ذلك لا يخرج عن كونه مظهرًا له في عالم المحسنات؛ ولكن نلحظ أن الإله نفسه في بادئ المتن، وفي أماكن أخرى منه ليس إلا كائنًا روحانيًّا، أي روحًا مبجلة لا تمت لعالم المادة بشيء، فنجده كائنًا شفيفًا لطيفًا لا يُرى، وعلى الرغم من ظهوره في الشمس والضوء والقمر فإنه لا يُرى؛ إذ يخفي نفسه ولا يمكن أن يُحس، وكذلك أخفى نفسه عن الآلهة كما يدل على ذلك اسم «آمون» نفسه العادي، إذ إن معناه «الخفي». وقد كانت هذه الأفكار قد برزت من زمن بعيد في ديانة «إخناتون»، غير أنه قد حدث تقدم في الفكرة الجديدة تمتاز عن الفكرة الدينية في عهد «إخناتون» فيما يتعلق بالشمس، فالإله «آمون رع» يدل هنا على شيء أكبر من الشمس (آتون)، إذ نلاحظ أولًا أن صورته لم توصف كما وصف «آتون» في عبادة «إخناتون»، وكذلك بحث له عن صفة كونية، كما بحث من قبل في قصة نظرية أصل اللاهوت المنفي،[١٧] أو في نص قصة تاريخ التكوين (في التوراة) سواء أكانت خرافية كما جاء في الفصل الثاني من سفر التكوين، أو عقلية كما جاء في الفصل الأول من نفس السفر. ونحن نعرف أن الإله «آمون رع» على حسب الصيغة التي عبر عنه فيها باختصار هي: «الإله الأكبر من بداية التكوين» وكل الكائنات، وكذلك الآلهة خلقت منه وبوساطته. ولكن كيف اتخذت هذه العملية مجراها، وكيف أن هذا الإله في البداية قد أوجد نفسه بنفسه (سطر ١٠) ثم برأ الآلهة، وأنشأ العالم أو صوَّره؟ كل ذلك قد بقي مخفيًّا عن كل المخلوقات، ومن ذلك أيضًا الصيغة القديمة الواقعية «ثور أمه»، التي نجدها في المتون القديمة، فإن مؤلف المتن الذي نحن بصدده قد تجنبها عن قصد. وذلك أن صاحب العقيدة الخالصة يكون لزامًا عليه أن يكتفي بوصف فضائلها دون أن يدخل

في البحث عن حل معضلاتها وألغازها. ونجد في مجموع النظريات اللاهوتية المصرية، وكذلك في ديانة «آمون» أن الفكرة الأساسية كانت ترمي إلى عقيدة التوحيد: «آمون» هو الواحد (سطر ٣). ومما تجدر ملاحظته هنا أن عقيدة عدم الشرك والجدل، التي كانت تسود حقيقة ديانة «آتون»، وكذلك الديانتين اليهودية والإسلامية[١٨] بعيدة كل البعد عن ديانة «آمون».

حقًّا إن «آمون» تجسم فيه الوجود المطلق، كما أن فيه يتمثل مجموع الوظائف الإلهية ومصدرها. غير انه على حسب التقارير القديمة كان لا يزال باقيًا تحته آلهة معلومون لم ينقص عددهم. ففي «طيبة» مثلًا نجد أن القوم يعبدونه ومعه من قبل ومن بعد زوجه «موت» وابنه «خنسو»، وهما اللذان نفهم من وثائق هذا العصر أنهما كانا يعملان كثيرًا معه. وكذلك كل الآلهة الآخرين — إلا في «عهد إخناتون» — فقد كان لهم كهنتهم العاديون وقربانهم وعطاياهم. هذا إلى أن تاريخهم المقدس الذي كان يحكي عنه قد بقي مستمرًّا دون أي تغيير يتناقله الخلف عن السلف، غير أنهم مع ذلك كانوا كلهم تحت سلطان «آمون»، وكانوا خاضعين لإرادته مهما كان شأنهم.

ولدينا وثيقة تدل على مقدار ما كان للإله «آمون» من نفوذ وسلطان على هذه الآلهة، وأنهم كانوا يعدون من رعاياه، وأنه كان يعاملهم معاملة إنسانية محضة، فقد ذكرنا فيما سلف أن الخلود في الحياة الآخرة كان يُعنى بأمره رسميًّا الإله «آمون»، ولدينا كذلك ورقة من العهد الفارسي (A. S. XVIII p. 218).

وهي صورة من مرسوم أصدره الإله «آمون رع» ملك الآلهة والإله الأعظم منذ بداية الخليقة، وهذا المرسوم كان في هذه الحالة مستعملًا «لأوزير» بنفس الطريقة التي استعمل بها المرسوم الذي أصدره «آمون» لكل من الكاهن الأكبر «بينوزم الثاني» وزوجه «نسخنسو».

وليس لدينا شك في أن هذا المرسوم من حيث اللغة، ومن حيث المحتويات يرجع إلى العهد الذي نحن بصدده الآن، أي الأسرة الواحدة والعشرين، وأنه قد استعمل ثانية في العهد الفارسي، وقد بدئ

بالكلام الآتي: «إني أؤله الروح المبجلة «لأوزير» «ننفر» المرحوم، وإني أهتم بجثمانه في العالم السفلي، وإني أضم أعضاء جسمه سويًّا، وأؤله موميته، وإنه في وسط العالم السفلي مثل «ثور الغرب»[١٩] … وقبره سيبقى سرمديًّا، وإني سأُعنى بصورته على الأرض في كل وقت، وسأمدُّ محرابه بكل المؤن، وسأجعل الآلهة والإلهات جميعًا يحافظون على أعضائك … وسأجعل روحك وأعضاءك تعيش بماء الشباب الذي أعاد له شبابه في زمنه بدون انقطاع، وأن تحيا مصر بفيضانه، وسيكرر ذلك مرة أخرى حتى لا تنقص قط في محرابه المؤن. هذا فضلًا عن الدنيا التي ينبغي أن تبقى لأجل أن يخرج إليها (أي يكون طريق الدنيا مفتوحًا أمامه ليخرج من قبره إليها ويعود فيه ثانية).

وفي الفقرة الثانية من هذه الوثيقة يوضح «آمون» أنه سيصير «حور» بن «إزيس» و«أوزير»، المنتقم لوالده، والوارث الذي أنجبه، وهو الذي منحه تاج الملك، وإنه سيصير كذلك ملك الأرضين على عرش والده «وننفر» المنعم، والصولجان سيكون في قبضته بمثابة رمز لوراثة الملك، وإنه يشع على عرش «رع» بمثابة حاكم الأحياء، وتخر تحت قدميه ممالك الأقواس التسعة معًا.» ومما تبقى من المتن المهشم الذي يتلو ذلك نفهم أن الإله «ست» وعصبته قد أصبحوا أشقياء تعساء، ولم يبقَ لهم وجود، أي إنهم أصبحوا بلا حول ولا قوة.

وفي الفقرة الثالثة التي هشمت تهشيمًا مريعًا يعد «آمون» «أوزير» بالحفظ في الأماكن الآتية: العرابة، وإلفنتين، وقفط (ثم اسم مهشم)، وبوَّابة الجنوب، «وأزيوم» (بهبيت بالدلتا) و«رامر نفرت»، وكل مقاطعة ومدينة «لأوزير»، كما وعد بأن يكون أولاده سكان هذه الأماكن حكام الجنوب والشمال، وأنه سيمدها بسخاء: «وإني سأجعلها متينة سرمديًّا مثل «هليوبوليس»، و«منف»، وسكان المقاطعات … وكل آلهة الجنوب والشمال.»

ولا بد أن المقصود هنا بدهيًّا تقديم قائمة بأسماء أمهات المدن التي كان يعبد فيها «أوزير»، ومنها اثنتان غير معروفتين، وكذلك يظهر أن انتخابها كان من المعضلات العويصة. ومن المدهش أن «بوصير» لم تذكر بين هذه الأماكن، وبخاصة عندما نعلم أنها في الأصل كانت مهبط عبادة «أوزير»، ولكن من جهة أخرى نجد أن «هليوبوليس» و«منف» قد ضُرب بهما المثل، وهذان البلدان المقدسان لهما كذلك مكانة ممتازة على أماكن «أوزير». ويدل المتن الذي في أيدينا على أن كل هذه المدن كانت تحت سلطان «آمون».

والفقرة الرابعة جاء فيها ما يأتي: «إني أنشر نطقي الأول المحترم بالنسبة «لإزيس» العظيمة، الإلهة الأم، وأخت الإلهة، «نوت»، وأول زوجة ملكية «لأوزير» «وننفر» المنعم، وهي أول أطفالي. وقد أمر لها والدها الطيب «آمون» بالسرور والحماية من كل همٍّ ومتاعب تصيب القلب.»

ومن مجموع فقرات هذا المتن نرى أن كل ديانة «أوزير» قد انضمت لعبادة «آمون»، ونرى هنا أن خرافة «أوزير» قد عدت بأنها حادثة تاريخية بسيطة. وأنها نقلت برمتها إلى ديانة «آمون» بعد أن كانت تؤلف ديانة قائمة بذاتها، ولكن نلحظ أن الملك الطيب «وننفر»؛ أي «أوزير» بعد موته قد ذهب إلى عالم الآخرة، وأُلِّه هناك، وخلد، وبقيت له عبادته. وكذلك انتقم له ابنه «حور» ثم نصب ملكًا على مصر، في حين أن الإله «ست» قد أصبح لا حول له ولا قوة. كل هذه الأحداث كانت من عمل الإله «آمون»، كما يدل على ذلك المتن الذي نحن بصدده، وكذلك نفهم منه أن «إزيس» قد أثبتت وجودها في عالم الآخرة، وهذه نقطة هامة بوجه خاص، وذلك أن ما كان «لإزيس» من مكانة عظيمة فيما بعد بوصفها قوة منشئة وإلهة رئيسية في مصر بالنسبة للعبادة الشعبية، وكذلك فيما يخص الدعاية العظيمة التي كانت في ازدياد لانتشار عبادتها في العالم؛ كل ذلك لم يُشَر إليه بكلمة واحدة في هذا المتن. هذا بالإضافة إلى أن عبادتها لم يشر إليها هنا، وكل ما قيل عنها إنها الزوجة الأولى للملك «أوزير» وحسب. ولا نزاع في أن الكهنة العظام

في هذا الوقت كانوا يريدون الإعلاء من شأن عبادة «آمون»، وجعل كل عبادة أخرى ثانوية بالنسبة لعبادة «آمون»، ولا أدل على ذلك من أنهم جعلوا «أوزير» معبود الشعب في كل العصور شخصًا عاديًّا قد مات وأحسن إليه الإله «آمون» بعد الممات، وجعل ابنه ينتقم له. أما «إزيس» زوجه فلم تكن شيئًا مذكورًا، مع أننا سنرى بعد أن عبادتها قد انتشرت في كل أنحاء العالم الغربي بصورة بارزة واضحة، وبخاصة في العهود المتأخرة من تاريخ البلاد.

المرسوم: وهاك نص المرسوم كما جاء في متن «نسخنسو»:

(١) يقول «آمون رع» ملك الآلهة العظيم جدًّا مبدئ الخليقة:

إني أؤله «نسخنسو» هذه البنت التي وضعتها «تاحنت تحوتي» في الغرب، وإني أؤلهها في الجبانة، وإني أجعلها تتسلم ماء الغرب، وإني أجعلها تتسلم قرابين الجبانة، وإني أؤله روحها وجسمها في الجبانة، وإني لن أسمح قط بأن تهلك روحها في الجبانة، وإني من جديد، أؤلهها في الجبانة مثل كل إله وكل إلهة مؤلهة، ومثل كل شيء مؤله في الجبانة، وإني أجعلها تتسلم كل إله وإلهة وكل شيء على وجه عام مؤله في الجبانة، وإني أجعلها تتسلم في الجبانة كل شيء من أي شكل يحسن أخذه، وإني آمر بأن يُعمل لها كل الطيبات الخاصة بالإنسان، عندما تصبح في هذه الصورة الجديدة لتكون ملكًا لها (أي نسخنسو) سواء أكان مما يتسلمه الإنسان في الجبانة؛ أم مما يؤله له، أم من الخدمات الطيبات التي تعمل له خاصة بالمكان، أم بالأمر له بتسلم فطائره التي يتسلمها أولئك الذين ألهوا، وبالأمر له بتسلم شعائره من الشعائر التي يتسلمها أولئك الذين ألهوا.

(٢) يقول «آمون رع» ملك الآلهة، الإله العظيم جدًّا، مبدئ الخليقة:

إني أجعل «نسخنسو» هذه البنت التي أنجبتها «تاحنت-تحوتي» تتسلم من المأكولات والمشروبات التي يتسلمها كل إله وكل إلهة من الذين ألهوا في الجبانة، وإني آمر أن

يكون «لنسخنسو» كل شيء جميل يكون لكل إله وكل إلهة من الذين أُلِّهوا في الجبانة، وبسبب ذلك سأخلص «بينوزم» خادمي من كل مجرم مؤذٍ، وبسبب ذلك لن أضايق «نسخنسو» بأية حالة يمكن مضايقتها بها في الجبانة، ولكني آمر بأن تخرج روحها إلى عالم الدنيا، وآمر بأن تدخل على حسب ما يرغب قلبها دون أن تطرد قط.

(٣) يقول «آمون رع» ملك الآلهة، الإله العظيم جدًّا، مبدئ الخلق:

إني أرشد قلب «نسخنسو» هذه الابنة التي وضعتها «تاحنو تحوتي» على ألا تعمل أية إساءة «لبينوزم» بن «إستمخب». وقد أرشدت قلبها، ولم أسمح لها بأن تفكر في أن تقصر بنفسها حياة (بينوزم) ولم أسمح لها بأن تختصر عمره (بوساطة آخرين) وقد أرشدت قلبها، ولم أسمح لها بأن ترتكب بنفسها جريمة ما ضد «بينوزم» من الجرائم التي يمكن ارتكابها ضد أي إنسان حي. وقد أرشد قلبها، ولم أسمح لها بأن تأمر أن يفعل آخرون ضده أي شيء فظيع مما يمكن عمله لقلب رجل حي.

(٤) يقول[٢٠] «آمون رع» الإله العظيم جدًّا مبدئ الخليقة:

لقد كنت سببًا في أنها لم تفكر قط لترتكب ضد «بينوزم» بن «إستمخب» عملًا من الأعمال المسيئة القاتلة. وقد لاحظتها فلم تأتِ معه إساءة، ولا شيئًا من الأشياء الأخرى التي تضايق الرجل، ولم تأمر بفعل شيء من هذا ضده بوساطة أي إله ولا أية إلهة مقدَّسة، ولا بأي ملاك ذَكر مقدس، ولا بأي ملاك أنثى مقدسة، ولم تأمر بفعل ذلك ضده بوساطة أي طائفة من الناس الذين يكشفون عن كل أنواع الحظوظ؛ حتى يسمع كل الناس على اختلافهم (أو الأشياء) صوتهم (يقصد هنا السحرة). وقد لاحظتها وهي تبحث «لبينوزم» عما هو طيب، عندما كان على الأرض، وقد كنت السبب في أن تبحث عما يضمن له — بوساطة ما عمله — الحياة الطويلة على الأرض، والعيشة الهنيئة، والقوة،

والغنى، والشجاعة؛ وكنت السبب في أن تبحث له بكل أعمالها في كل مكان يسمع فيه كلامها عن ضمان كل أنواع السعادة؛ وكنت السبب في أنها لم تبحث له عن أي عمل مسيء، ولا أي شيء مما يضايق الرجل، ولا أي شيء مما يخشاه «بينوزم» بن «إستمخب». وقد كنت السبب في أنها لم تبحث عن أي إساءة أو أذى سحري يجلب الموت، أو أي عمل مسيء من النوع الذي يملأ الرجل بالهلع (مثال ذلك): الأشياء التي تضايق الرجل أو المرأة من أحباب «بينوزم»، وذلك بملء قلبه بالرعب منهم بسبب الضرر الذي رموا[٢١] به. وقد كنت السبب في أن تكون العلاقات القلبية بين «نسخنسو» وروحها ذات نظام حسن، يعني ألا يُلقى بعيدًا قلبها عن روحها، وأن روحها لا يُلقى به بعيدًا عن قلبها، وأن قلبها نفسه لا يُلقى به بعيدًا عنها، وبالاختصار ألا تبعد «نسخنسو» بأية حال بذلك البعد الذي يمكن أن يحدث لأي شخص يكون في هذه الحالة التي هي فيها بوصفه مثلها مؤلها في الجبانة بأية حالة كانت، وألا يحدث «لنسخنسو» ضرر من الأضرار التي يتعرض لها الإنسان الذي يكون في نفس الحالة التي توجد هي فيها، ولكن على العكس (لقد كنت سببًا) في عمل كل ما يدخل السرور على «نسخنسو»، أي إن كل ما يمكن أن يتأتى من خير، وأن يجعل الحياة المضاعفة الطول على الأرض عظيمة وقوية.

كل ذلك قد عمل لأجل «بينوزم» حتى لا يتأتى له أي نقص في مدة حياته، وألا يحدث ضرر من أي نوع كان من أولئك الذين يضايقون الناس، ويكونون غلاظ القلوب لأجل «بينوزم»، وكذلك حتى لا يحدث لأزواجه ولا لأطفاله ولا لإخوته ولا «لآتوي» ولا «نسيتانب إشرو» ولا «ماساهرتا» ولا «ثاوي نفر» أولاد «نسخنسو»، وألا يحدث ذلك لإخوة «نسخنسو»؛ ولقد كنت سببًا في كل ما يمكن أن يكون مفيدًا لها بأية حال، وكل ما يمكن أن يكون ملائمًا لها في كل حالة، وما يحدث لرجل في مثل هذه الحالة أن يحدث

لها، أي إن كل سعادة وكل طول حياة عُملت بجمال مضاعف «لبينوزم»، وكذلك لأزواجه وأولاده وإخوته ولأولاد «نسخنسو» وأخواتها.

(٦) يقول «آمون رع» ملك الآلهة مبدئ الخليقة العظيم جدًّا:

إن كل الأشياء على العموم مهما كان نوعها تحدث للرجل الذي يوجد في الحالة التي فيها «نسخنسو»، والتي يرجع إليها السبب في تأليهه، فإني آمر بأن تكون «لنسخنسو»، وإني أجعل الناس يقولون أو ينشدون بأسمى الأناشيد السبعة والسبعين الخاصة «برع»، وهي لا تهزم بوساطتها روحه في الجبانة.[٢٢]

(٧) يقول «آمون رع» ملك الآلهة مبدئ الخليقة العظيم جدًّا:

إن كل كلام طيب «لنسخنسو» يؤلهها ويجعلها تتسلم الماء والقربان، وهو الذي سيُتلى أو سيقال أمامي من أي شخص فإني أستعمله لها جميعه بدون حذف. وكل كلام طيب سيقال في حضرتي لأجل «نسخنسو» سأعمله لها في كل فصل محدد للسماء،[٢٣] عندما يخرج «شو»[٢٤] حتى لا يحيق بها ضرر من الأضرار التي يمكن أن تلحق برجل يكون في هذه الحالة، التي فيها «نسخنسو» في كل فصل محدد للسماء، عندما يخرج «شو» إلى الماء بذراعيه، ويبتدي النهار في القبة الزرقاء، وكل كلام مسيء لرجل يكون في حالة «نسخنسو»[٢٥] وينطق به، أو يقال على لسان أي واحد فإني أمنع مفعوله جميعه دون أن يحذف في كل فصل محدد (أي في أية ساعة) عندما يخرج «شهو» إلى الماء بأسلحته، وعندما يبتدئ النهار في القبة الزرقاء. وكل كلام قبيح، لرجل في الحالة التي فيها «نسخنسو»، سيقال أو سيقصه أي إنسان مهما كان فإني سأبعد مفعوله كلية، دون أن أبقى على شيء منه في كل ساعة عندما يخرج «شو» من الماء بأسلحته ويبتدئ اليوم في القبة الزرقاء.

(٨) يقول «آمون رع» ملك الآلهة مبدئ الخليقة العظيم جدًّا:

إني أجعل أناشيد «رع» السبعين تتلى باسمي، ولم أسمح بأن يحذف من أجل «نسخنسو» شيء من المتاع الخاص بمن يكون في هذه الحال التي توجد فيها «نسخنسو»، وآمر بأن تتسلم القربان والخبز والجعة والماء والعطر والنبيذ وشراب «شدح» والحبوب (؟) وآمر بأن تتسلم كل المتاع وكل الأشياء الطيبة للفرد الذي يكون في الحال التي توجد فيها «نسخنسو» المتمتعة بالحظوة لديه والتي ألهتها، وإني آمر بأن تكون على قدم المساواة مع كل إله وكل إلهة في تسلم المتاع الذي يتسلمه أولئك الذين قد أُلِّهوا في الجبانة، وإني آمر بأن تتسلم شعائرها من مجموع ما للآلهة.

(٩) يقول «آمون رع» ملك الآلهة إله الخليقة العظيم:

وإذا لم يكن هذا الكلام — الذي يقرب به قربان إقليم «يارو» وحقوله — طيبًا لمن يكون في هذه الحال التي فيها «نسخنسو» لم يُؤدَّ قط، فإني سأقدم قربان إقليم «يارو» وقربان أحد حقوله «لنسخنسو» بنت «تاحنت تحوتي» في اللحظة التي يظهر فيها ما هو طيب لها من هذا النوع. وهذا لا يسبب أي نقص حقًّا مما هو طيب لها من هذه القربان.

(١٠) يقول «آمون رع» ملك الآلهة إله الخليقة العظيم جدًّا:

إن كل الطيبات التي ذكرت في حضرتي وهي: إنها عملتها «نسخنسو» بنت «تاحنت تحوتي» فإني أعملها لها وإنها لم تنتقص حقًّا قط، وإنها لم تؤخذ منها قط، ولن يحدث منها شيء جديد في كل ساعة عندما يخرج «شو»، بل على العكس ستتسلمها مملوءة بباكورة كل ما هو طيب لها ككل رجل وكل إله قد قدِّس، ممن يخرجون ويدخلون في القبر، وممن يذهبون إلى كل مكان يرغبون فيه.

(١١) يقول «آمون رع» ملك الآلهة إله الخليقة الذي تناهت عظمته:

كل طيبات تذكر في حضرتي وهي: أعمل هذه الأشياء «لبينوزم» وابنه «من إستمخب» وخادمي، ولأزواجه ولأولاده ولإخوته ولأي شخص يحتل قلبه، ولمن فؤاده ملئ —— من أجلهم —— بالوجل، فإذا حدث لهم مكروه فإني أبعث بمرسومي العظيم السامي إلى كل مكان ليعمل كل طيب «لبينوزم» ولزوجاته ولأولاده ولأخواته، ولكل من يحتل مكانًا في قلبه حتى وإن لم يأتِ من يقول: لينفذ مرسوم «آمون رع» ملك الآلهة إله الخليفة العظيم، فإني آمر بأن ينفذ ما قاله هذا الإله العظيم.

تعليق: ولا نزاع في أن المطلع على هذا المتن يرى فيه أنه تعاقد صريح بين الإله والمتوفاة. ومعنى الوثيقة —— على الرغم مما تحتويه من ألفاظ قانونية صعبة الفهم —— ظاهر، فالمقدمة في الواقع، شديدة الغرابة بالنسبة لتاريخ الأفكار الدينية؛ إذ نعلم منها إلى أي حد قد تقدم علماء اللاهوت الطيبيون في طريق فكرة وِحدة الإله، وكيف أنهم وفَّقوا بينها وبين وجود آلهة أخرى غير «آمون». ولا غرابة في ذلك فإن فكرة التوحيد التي جاءت على يدي «إخناتون» قد ضربت بأعراقها في أصول الديانة المصرية، حتى إنها بعد أن اختفت ظاهرًا باختفاء مؤسسها قد تركت أثرها الباقي الذي نشاهده في هذا المتن وغيره من المتون الدينية، التي ظهرت في عهد الأسر التي تلت الأسرة الثامنة عشرة، ولكن بصورة مختلفة بعض الشيء.

وهذا وتؤكد لنا المواد المختلفة التي يحتويها المتن —— مرة أخرى —— الأفكار التي استخلصناها من دراسة كنه الروح، وكذلك تصوِّر الحياة الأخرى. هذا إلى نوع الأشياء التي كان يعتقد فيها أنها لازمة للمتوفى، فكانت «نسخنسو» تتسلم ما تأكله وما تشربه دون أن تتحدث عن ملكية صغيرة في حقول «يارو»،[٢٦] وكانت في مأمن تام من الأخطار الخارجة عن حد المألوف. فقد أعلن «آمون» في صراحة أنها مدينة بهذه السعادة إلى حسن السلوك، الذي برهنت عليه بما فعلته مع زوجها من حسن معاشرة والبعد عن ارتكاب ما يغضبه. وكان هذا الحكم مسببًا بأسباب قوية، ولا بد أنه كان صورة صادقة للأحكام التي كان يصدرها الفرعون وقضاته. وينبغي أن نلاحظ هنا مرة

أخرى هنا أن الأحكام والعادات التي كانت تتبع في عالم الآخرة ليست إلا صورة لما كان يجري في الحياة الدنيا؛ لأن المصري — كما ذكرنا من قبل — كان يعتقد أن عالم الآخرة ليس إلا صورة تقريبية لعالم الدنيا (راجع Maspero, Momies p. 594 ff).

تابوت «نسخنسو»

وقد عُثر على تابوتين في خبيئة «الدير البحري» لهذه الأميرة، غير أن الفحص قد دل على أنهما كانا قد جُهزا في بادئ الأمر للأميرة «إستمخب»، ثم غُطي اسم هذه الأميرة الأخيرة بطلاء أحمر كتب عليه اسم «نسخنسو» باللون، وقد سقطت طبقة اللون فيما بعد، وظهرت من تحتها الكتابة الأصلية في جهات مختلفة من سطح التابوتين (راجع A. Z. 1883 p. 70 ff) والألقاب المشتركة لهاتين الأميرتين ذكرت على السطح الأعلى للتابوت في سطرين عموديين، وهي:

(١) «أوزير» رئيسة كبار الحظيات الأولى «لآمون» ملك الآلهة، وكبيرة بيت «خنسو» في طيبة «نفرحتب»، وكاهنة «آمون» رب «تاورت»، وكاهنة الإلهة «نخبت» البيضاء، وكاهنة «أوزير» و«حور» بن «إزيس» في «العرابة»، وكاهنة «حتحور» سيدة «قوص»، والأم المقدسة «لخنسو» الابن الأكبر «لآمون رع» ملك الآلهة «تاحرتي شبسس» «نسخنسو» المرحومة (٢) «أوزير» رئيسة كبريات الحظيات الأولى «لآمون»، ملك الآلهة، كبيرة بيت «موت» العظيمة، ربة «إشرو»، وكاهنة «موت» العظيمة ربة «إشرو»، وكاهنة «أنحور شو» بن «رع»، وكاهنة «مين حور» و«إزيس» في «أبو»؛ وكاهنة «حور» رب «زوف» والأم المقدسة «لخنسو» الابن الأكبر «لآمون» ملك الآلهة، «تاحرتي شبسس» «نسخنسو» المرحومة.

وقد اتضح من فحص محتويات هذين التابوتين عند وصولهما إلى «متحف القاهرة» أن أحدهما، وهو رقم ٥٢٠٩ يحتوي على مومية «رعمسيس الثاني عشر» كما يظن «مسبرو» (راجع Maspero Ibid 566 ff). ويحتوى التابوت الآخر رقم ٥٢٠٨ على مومية «نسخنسو». (انظر

صورة المومية ٢) وقد دل الفحص على أنهما لم ينهبهما اللصوص الأحداث. وعندما نزعت الأربطة وجد على المومية نوع من الحصير الذي وجد على مومية «بينوزم الثاني»، وتحت ذلك قماط سميك من الأشرطة التي ربطت بعناية فائقة، وكان الجسم محفوظًا حفظًا جيدًا. ومن المدهش أن العينين والفم كانت قد غطيت بقشرة بصل بحيث تغطي الجزء الذي وضعت فوقه، وقد وجد في أثناء فحص المومية لفافة مزقت اثنتين باسم الكاهن الأكبر «لآمون بينوزم» بن «منخبر رع» لسيده «آمون» في السنة الثالثة، ثم حلية من الجلد كُتب عليها الكاهن الأكبر «لآمون بينوزم» ابن الملك «بسوسنس» بالمداد الأحمر.

وقد وجد لهذه السيدة لوحة من الخشب في حيازة «روجرس»،[٢٧] وكذلك لوحة أخرى نشرها الأثري «برش».[٢٨] وكذلك لوحة في «المتحف المصري» قد أشرنا إليها فيما سبق عند الكلام على مرسوم «آمون» الخاص بهذه الأميرة.

هذا وقد اشترى «ديوك هاملتون» عام ١٨٧٦ أواني أحشاء هذه الأميرة (راجع Rec. Trav. IV, 1883, p. 80-81).

ومن كل ما سبق يمكن أن نستنبط أن «نسخنسو» كانت ابنة «تاحنت-تحوتي»، وأنها توفيت في السنة الخامسة من حكم الفرعون «سمندس» على ما يظن، وأن الحوادث الرئيسية التي ذكرت في المرسوم قد حدثت في السنة السادسة. وهذا المنشور كما ذكرنا يماثل المرسوم الذي وضع لأجل «ماعت كارع»، فهو يقدم لنا نوعًا من التقديس العظيم للحقوق والمزايا التي منحتها هذه الأميرة وورثتها من بعدها أولادها.

والواقع أن مثل هذا الحفل أو التقديس كان لا يؤدَّى إلا في الأعمال الهامة من أعمال الحياة. ويرجع الفضل إلى «نسخنسو» في أنه أصبح في حيازتنا الصيغ التي كان يستعملها «آمون رع» في عالم الآخرة، كما يرجع الفضل إلى الأميرة «ماعت كارع» في أنه أصبح في متناولنا الصيغ

التي كانت تستعمل في الزواج، عندما انتقلت هذه الأميرة إلى إقليم الجنوب، وقوِّم لها مهرها. وعلى الرغم من أن متن «إستمخب» الثانية كان ممزقًا شر ممزق، فإنه لا يمكن أن نتجاهل أنه كان يشبه كثيرًا متن الأميرة «ماعت كارع»، وأنه كان يشير إلى زواج ومهر هذه الأميرة.

وعلى أية حال فإن العقود التي من هذا النوع كان لا يمكن أن تعلق في المعبد إلا إذا كان لها علاقة مباشرة بشخص الرئيس الديني للدولة الطيبية. والواقع أن الأميرات كنَّ كثيرات في حريم أعضاء أسرة الكهنة، حتى إنه إذا أريد نشر عقد كل منهن لا تتسع له جدران المعبد. والسبب الذي من أجله منحت «إستمخب» شرف نشر مرسومها هي أنها على ما يظن قد تزوَّجت من الكاهن الأكبر «بينوزم الثاني». وهي مثل جدتها «إستمخب الأولى» قد أصبحت زوجة عمها، وذلك في السنة السادسة من حكم الفرعون، أي بعد وفاة «نسخنسو» بنت «تاحنت تحوتي»، وعلى ذلك فالفقرة التي جاء فيها ذكر «نسخنسو» بنت «سمندس» قد وضعت للموازنة بين ما فعله «سمندس» لابنته «نسخنسو» وما يفعله لابنته الأخرى «إستمخب» الثانية. وعلى ذلك يظهر أنه يشير إلى زواج عقد على «نسخنسو» في أحوال مشابهة للتي تم فيها زواج «إستمخب» الثانية؛ أي عندما تزوجت عمها «بينوزم»، وعلى ذلك يمكن وضع سلسلة نسب هذه الأسرة كالآتي:

الكاهن الأكبر «منخبر رع» تزوج «إستمخب» (وهي بنت أخيه) وقد أنجبا الكاهن الأكبر «بينوزم الثاني» و«نسوبانبدد».

وتزوج الكاهن الأكبر «بينوزم الثاني» من أختين له، الواحدة بعد الأخرى، وهما «نسخنسو»، وقد ماتت في السنة الخامسة من عهد الفرعون، ثم تزوج «إستمخب[٢٩] الثانية» في السنة السادسة من عهد الفرعون بعد موت «نسخنسو»، وهي أختها من أبيها «سمندس»، وقد أنجب «بينوزم الثاني» من «نسخنسو» أربعة أطفال، وهم: الأميرة «آثاوي»، والأميرة «نسيتانب إشرو»، والأميرة «ماساهرتي الثالث»، ثم الأميرة «تاوي نفر».

ومهما يكن من أمر سلسلة النسب هذه فإن نسخنسو كانت صاحبة مرتبة علية في الحكومة؛ فلم تكن زوج الإله أو متعبدة الإله وحسب، بل إن الألقاب التي كانت تحملها تلقي بعض الضوء على تاريخ هذا العصر.

ونجد هذه الألقاب موزعة على لوحتها، وعلى أواني أحشائها، وعلى تابوتها، وعلى كفنها. فتحمل الألقاب التالية على إحدى أواني أحشائها: الرئيسة العظيمة لحريم «آمون» الأولى، وابن الملك صاحب «كوش»، ومدير البلاد الأجنبية الجنوبية. وعلى أخرى: الرئيسة العظيمة الأولى لحريم «آمون»، وكاهنة الإله «خنوم» رب «كبحت حرتي شبست».

أما لوحتها فقد اشتريت من الأقصر، وقد مثلت عليها الأميرة واقفة أمام «أوزير» متعبدة له، وقد جاء عليها من الألقاب خلافًا لما ذكرنا على أواني الأحشاء ما يأتي: (راجع Maspero, Ibid p. 712) المشرفة الرئيسة الأولى لحريم «آمون رع» ملك الآلهة، وكاهنة «خنوم» رب «كبحو» (الشلال) وابن الملك صاحب «كوش»، ومدير بلاد الجنوب … إلخ.

وهذه هي المرة الأولى التي نجد فيها أميرة من بيت الكهنة العظام تحمل لقب «نائب بلاد كوش» و«مدير البلاد الأجنبية الجنوبية». وهذان اللقبان كانا خاصين بالرجال كما نعلم من كل ما لدينا من النقوش. والواقع أن أملاك الكهنة الأول كانت تمتد حتى نهاية بلاد النوبة جنوبًا وإلى بلدة الحيبة شمالًا، حيث قد أقيمت هناك عدة تحصينات. ولا نزاع إذن في أن لقب نائب «بلاد كوش» لم يكن لقبًا أجوف، فنحن نذكر من جهة أخرى أن «حريحور» ومن بعده ابنه «بيعنخي» كانا يحملان هذا اللقب بحق؛ ولذلك يتساءل الإنسان هل كان هذا اللقب مجرد ذكرى بقيت في ألقاب الكهنة العظام الذين أتوا بعدهما؟ وعلى أية حال يجب أن نذكر هنا أنه في عهد كل الأسرات المصرية كانت بلاد النوبة كلها تحت سلطان النائب على «بلاد كوش». ولا غرابة في ذلك فإن بلاد النوبة التي من الشلال الأول حتى الشلال الثاني كانت في كل عهود التاريخ المصري قطعة طبيعية من مصر،

لدرجة أنها كانت تتبع التقلبات التي تمر بالبلاد المصرية نفسها، ويكون مصيرها في معظم الأحيان مصير مصر نفسها، فنجد أن هذا الجزء من وادي النيل يسمى الدود كثير في العهد الإغريقي، ويسمى Ccommilitonium في العهد الروماني، وإقليم «الدر» في العهد التركي، وكان كل منها مرتبطًا بالإقليم الواقع في شمال «أسوان» وحتى إلى عهد قريب كان هذا الإقليم الواقع بين «أسوان» و«وادي حلفا» ضمن مديرية «إسنا»، وهو الآن تابع لمديرية أسوان. وعلى ذلك فإنه من المحتمل جدًّا أن الكهنة العظام الذين كانوا يسيطرون على «إلفنتين» كما تدل النقوش على ذلك كانوا يحكمون كذلك بلاد النوبة، وهذا هو السبب الذي جعلهم يحملون لقب نائب بلاد النوبة، وكذلك يخلعونه على أبنائهم ذكورًا وإناثًا (راجع Maspero, Iibid p. 714).

أولاد «بينوزم الثاني»

بسوسنس

وهو الذي أصبح فيما بعد الكاهن الأكبر «لآمون» (راجع L. R. III, p. 283). أما أولاده الآخرون فهم: «أتاوي»، و«نسيتانب إشرو»، و«ماساهرتي»، و«ثاوي نفر» وكلهم من الأميرة «نسخنسو» كما ذكرنا آنفًا (راجع Ibid p. 283).



شكل ٢: مومية الملكة «نزمت» (انظر الكلام عليها «حريحور»).

وقد وجدت مومية «نسيتانب إشرو» وتابوتاها في خبيئة الدير البحري.[٣٠] وقد وجد على مومية هذه الأميرة نسيج كتب عليه «إستمخب» والدة «نسيتانب إشرو» في السنة الثالثة عشرة من حكم ملك يحتمل أنه «بسوسنس الثاني» (؟) (انظر صورة مومية هذه الأميرة ٢ من هذا الكتاب وقد كتب تحتها «خطأ» مومية الملكة «نزمت») (راجع Maspero, Ibid. 573–710) وكذلك وجد لها تماثيل جنازية صغيرة محفوظة «بالمتحف المصري».[٣١]

ويظن «مسبرو» أن «نسيتانب إشرو» هذه قد تزوَّجت من كاهن «آمون» المسمى «رد بتاحنعنخ» وهو الذي قد حفظت كل من موميته وتابوته «بالمتحف المصري»، وأنه مات في عهد «شيشنق الأول» الذي بدأت به الأسرة الثانية والعشرون البوبسطية. وهذه الشخصية العظيمة قد جاء ذكرها على تابوت[٣٢] الكاهن الثاني، والكاهن الثالث «لآمون رع» ملك الآلهة … ابن «رعمسيس رد بتاحنعنخ». وله كذلك تماثيل صغيرة، وكذلك صناديق فيها تماثيل صغيرة (راجع Maspero, Ibid p. 59).

---

[١] راجع: Wreszinski, Die Hohenpriester des Amon § 39.

[٢] راجع: Daressy, Rev. Archeol. 1896 Tom. I pp. 87 & 89.

[٣] راجع: Daressy, Rev. Archeologique. 1896, t. I p. 77.

[٤] راجع مصر القديمة ج٤.

[٥] راجع: Wiedemann, Gesch, p. 543.

[٦] راجع: Mariette, Cat. Gen. Abydos Nr. 1222; Mariette, Abydos II, p. 36, 37.

[٧] راجع: Spiegleberg, Rechnung Text. 87 ff.

[٨] راجع: Naville, Inscription Historique Pinodjem III (?) 1883.

الكاهن الأكبر والملك «بسوسنس الثالث»

كان «بسوسنس» هذا ابن «بينوزم الثاني» آخر كاهن أكبر «لآمون» معاصرًا لأسرة ملوك «تانيس» الواحدة والعشرين، والظاهر أنه في الواقع قد سبق مباشرة في «طيبة» الكاهن الأكبر «لآمون» المسمى «أوبوت» الذي عاصر «شيشنق الأول» فاتحة ملوك الأسرة الثانية والعشرين البوبسطية (راجع Rev. Archeol. 1896 t. I p. 80) ولم يكن «بسوسنس» هذا معروفًا قبل الكشف على موميات كهنة «آمون رع» في «الدير البحري» عام ١٨٩١، وهذا هو السبب الذي من أجله عَدَّ «مسبرو» الكاهن الأكبر «أوبوت» الخلف المباشر للكاهن الأكبر «بينوزم الثاني». (Maspero, Ibid. p. 723). ويلاحظ أن الأثري «فرشنسكي» قد حذفه أولًا من بين كهنة «آمون» العظام ثم وضعه في الذيل.[١]

أمَّا «بتري» فقد أراد أن يوحد الكاهن الأكبر «بسوسنس» بالملك «بسوسنس الثاني» الذي يحمل لقبًا مميزًا له، ومعه لقب الكاهن الأكبر «لآمون» (Petrie, Hist. III. p. 219) وليس لدينا سجلات من عهد هذا الكاهن الأكبر غير التأشيرات التي كانت تدون على نسيج المعبد، الذي كان يستعمل لفائف لموميات كهنة «آمون» الذين عثر عليهم عام ١٨٩١، وهي:

(١) لفافة عملها الكاهن الأكبر «لآمون» «بسوسنس» بن «بينوزم» لسيده «آمون» في السنة الخامسة (وقد قرأها «برستد» السنة الرابعة) وقد وجدت هذه اللفافة على المومية رقم[٢] ١٧.

(٢) لفافة عملها الكاهن الأكبر «لآمون» «بسوسنس» بن «بينوزم» لسيده «خنسو» في السنة الثانية عشرة. وهذه اللفافة وجدت على المومية رقم ٦٥ (راجع A. S. VIII p. 27).

(٣) الكاهن الأكبر «لآمون» «بسوسنس» بن «بينوزم». كتبت هذه العبارة على لفائف الموميات ٤٣، ٤٨، ١٢٥، ١٣٢، الخاصة بكهنة «آمون» (راجع A. S. VIII p. 25, 31, et 34).

(٤) الكاهن الأكبر «لآمون رع» ملك الآلهة «بسوسنس» بن «بينوزم». كتبت هذه العبارة على لفائف الموميتين رقم ١٣٣، ١٤٢، لكهنة «آمون» العظام.[٣]

وكذلك كُتب على زوجين من الحمالات للمومية رقم ٨٣ لكهنة «آمون» العظام (راجع A. S. VIII p. 29). وليس لدينا أية معلومات عن أعضاء أسرة الكاهن الأكبر «بسوسنس الثالث».

(١) آثار «بسوسنس الثالث» الكاهن الأكبر والملك

العرابة المدفونة

وقد ترك لنا هذا الكاهن والفرعون نقشًا كتب بالهيراطيقية بالمداد الأحمر بحروف كبيرة في معبد «بتاح» في «العرابة المدفونة»، وقد نقل ما أمكن نقله «دارسي» (راجع Rec Trav. XXI p. 98) ولما كان المتن يحتوي على فجوات، فإن ما تبقى منه أصبح صعب الترجمة. وهاك المتن الذي يدل على أن «بسوسنس» هذا كان كاهنًا أعظم وملكًا في وقت واحد: «ملك الوجه القبلي والوجه البحري، رب الأرضين «رع آت» «خبرو-رع» المختار من «آمون رع» ملك الآلهة، والكاهن الأول «لآمون رع» ملك الآلهة ابن «رع» رب التيجان القائد «باسب خعن-نوت محبوب آمون».» ويلاحظ أن دارسي (Ibid) قد اقترح أن يضع هذا الفرعون الذي يحمل لقب ملك وكاهن أكبر «لآمون» في آنٍ واحد في أوائل الأسرة الحادية والعشرين بين «حريحور» «وبيعنخي»، ولكنا نعلم الآن أنه يجب أن يوضع آخر ملك لهذه الأسرة، وقد كان «بتري» على حق عندما وحَّد هذا الكاهن الأكبر «باسب خعنون» (بسوسنس) ابن «بينوزم الثاني» الذي تحدثنا عنه فيما سبق.

أم القعاب

(بالعرابة) ومن بين الأواني التي وجدت في كوم «أم القعاب» «بالعرابة المدفونة» قطعة من الفخار نقش عليها لقب هذا الملك (راجع Ibid p. 10). ولا نزاع في أن وجود قطع الفخار التي

تحمل اسم هذا الملك بجوار المكان الذي وجد فيه النقش السالف، يدل على أن هذا الفرعون قد لعب دورًا خاصًّا في هذه الجهة قد تكشف عنه حفائر في المستقبل.

الكرنك

ووجد لهذا الفرعون تمثال من حجر البروفير في خبيئة الدير البحري، وهو محفوظ الآن «بالمتحف المصري» (راجع Legrain. Rec. Trav. XXVII. P. 72; Legrain Cat. Gen t. III, p. 2 et Pl. 1). وتدل شواهد الأحوال على أن هذا التمثال كان قد اغتصبه «بسوسنس الثالث» (؟) و«شيشنق الأول» من «تحتمس الثالث»، الذي نجد لقبه منقوشًا على حلقة حزام التمثال. ويقول «لجران»: إن هذا التمثال يمدنا بمتن يُعَلِّم نهاية الأسرة الواحدة والعشرين، وبداية الأسرة الثانية والعشرين. والواقع أنه معاصر لحكم الملك «شيشنق الأول» وملك يدعى «حور سيخعنو». ولا نزاع في أنه من الصعب جدًّا أن نوحد هذا الملك مع «باسب خعنوت الثالث»؛ وذلك لأن لقبه لا يختلف عن اللقب الذي وجدناه منقوشًا على آنية العرابة وحسب، بل كذلك نجد أن الجزء الأول من لقبه لا ينطبق على الجزء الأول من لقب «باسب خعنوت» (بسوسنس الثالث). وأخيرًا وجد لهذا الفرعون قبضة عصا من العاج (راجع Rec Trav. XXI. p. 10).

ومما يطيب ذكره[٤] هنا أنا نجد آخر كاهن أكبر وفرعون في آنٍ واحد من أسرة «تانيس» يضم لقب الكاهن الأكبر «لآمون» في طغرائه، كما فعل «حريحور» أول ملوك هذه الأسرة. فنقوش قبضة العصا ونقوش معبد «بتاح» بالعرابة ينبغي أن يرجع تاريخها لأول عهد هذا الفرعون، وهي الفترة التي كان لا يزال فيها «بسوسنس» يعقد بعض الأهمية على لقبه الديني في حين نجد أنه على تمثال الكرنك وعلى فخار «أم القعاب» لم يكتب إلا لقبه الفرعوني، أي إن هذه الآثار ترجع إلى

عهد بعد عهد آثاره الأولى. وهذا اللقب الملكي لم يلبث أن نزعه منه «شيشنق الأول» مؤسس الأسرة الثانية والعشرين التي كان مقرها «بوبسطة».

على أن «تانيس» لم تعد بعد محط أنظار ملوك هذه الأسرة على أثر انتهاء عهد الفرعون «سيآمون» المزهر، إذ نجد على ما يظهر أن الملكين الآخرين اللذين كان كل منهما يدعى «بسوسنس» وهما اللذان خلفا «سيآمون» كانا يحكمان مملكة حقيرة تمتد بين «طيبة» و«العرابة»، ولكن بدون فخار أو طول حكم. ولقد كان هذا البعد عن عاصمة ملكهما وضعفهما البين سببًا في أن حانت الفرصة لتأسيس أسرة ببلدة «بوبسطة»، وهي من أصل لوبي فجعلها تنجح في توطيد سلطانها في الدلتا، ولم تلبث بعد ذلك إلا قليلًا حتى بسطت نفوذها على وادي النيل.

وخلاصة القول أننا نعلم مما سبق أنه على الرغم من أن كهنة «آمون» العظام كانوا أصحاب السلطان في مصر العليا وملوك «تانيس» كانوا أصحاب النفوذ والقوة في الدلتا، أن ملوك «تانيس» كانوا هم الفراعنة الحقيقيين في البلاد كلها، وأنهم هم الذين كانوا يعينون الكاهن الأكبر في معظم الأحيان من بين أفراد أسرتهم، وأن الكاهن الأكبر نفسه كان يحكم البلاد كلها أحيانا إذا آل إليه العرش بالوراثة، ولكن بعد أن يولي كاهنًا أكبر من نسله في مكانه. وقد آثرنا أن نتحدث فيما سبق عن الكهنة العظام في «طيبة» أولًا، ثم نشفع ذلك بالحديث عن ملوك «تانيس»، وسيكون الكلام عليهم في مستهل الجزء التالي من هذا المؤلف إن شاء الله.

---

[1] راجع: Wreszenski, die Hohenpriester des Amon. Supplement cf. § 39 a.

[2] راجع: Daressy, Rev. Archeol. 1896. Tom I, p. 77.

مختصر المصادر الإفرنجية

A. J. S. L. = "The American Journal of Semetic Languages and Literatures". (Chicago, 1884–).

A. S. = "Annales du Service des Antiquities de l'Egypte". (Cairo, 1901–).

A. Z. = "Zeitschrift für Agyptische Sprache und Altertumskunde". (Leipzig, 1863—).

B. A. S. O. R. = "Bulletin of Schools of Oriental Research". (South Hadly, Mass., 1919).

Bates: Oric, Bates. = The Eastern Libyans.

Benson and Gourlay, "Temple of Mut". = Benson and Gourlay, "The Temple of Mut in Asher". (London, 1899).

B. I. F. A. O. = "Bulletin de l'Institut Française d'Archeologie Orientale". (Cairo, 1901–).

Birch, "Pottery". = Birch, "History of Ancient Pottery, Egyptian, Assyrian, Greek, Etruscan and Roman". (London, 1858).

Bisson de la Roque, "Medamoud". = Bisson de la Roque, "Les Fouilles de Medamoud", (Cairo).

Boeser, “Leyden”. = Boeser and Holwerda, “Beschreibung der Aegyptischen Sammlung des Niederlandischen Reichmuseums der Altertumer in Leiden”. (Copenhagen, 1908–1918).

Borchardt, “Statuen”. = Borchardt, “Statuen und Statuetten von Konigen und Privalueten”. Catalogue General des Antiquities Egyptien du Musee du Caire, (Berlin, 1911–1925).

Breasted, A. R. = Breasted, “Ancient Records of Egypt.” (Chicago, 1906-7).

Brugsch, “Thesaurus”. = Brugsch, “Thesaurus Inscription um Aegyptiacarum”. (Leipzig, 1883–1891).

Brugsh, “Recueil”. = Brugsch and Dumichen, “Recueil de Monuments Egyptiens”. (Leipzig, 1865–1885).

Budge, “Guide”. = Budge, “A Guide to the Egyptian Collections in the British Museum”, (London, 1909).

Budge, “Sculpture”. = Budge, “A Guide to the Egyptian Galleries (Sculpture)”, (London, 1909).

Budge, “The Book of Kings”. = Budge, “The Book of the Kings of Egypt”. (London, 1908).

Budge, “History”. = Budge, “A History of Egypt from the End of the Neolithic Period to the Death of Cleopatra VII, B.C. 30”. (London, 1902).

Champollion, “Notices”. = Champollion, “Notice Descriptive des Monuments Egyptiens du Musée Charles X.” (Paris, 1827).

Davis, “Tomb of Hatshepsut”. = Davis “Exacavations at Biban el Moluk. The Tomb of Hatschepsut”. (London, 1906).

Dumichen Historishe Inschpriften.

Eric. Peet. Tomb-Robberies. = The Great Tomb Robberies of the Twentieth Egyptian Dynasty (1930).

Erichsen = Papyrus Harris (Bibliotheque Aegyptiaca V).

Erman = Zur Erklarung des Papyrus Harris in Sitzungsb. Berlin, (1930).

Evans, “Palace of Minos”. = Evans, “The Palace of Minos at Knossos”. (London, 1921).

Fraser Coll. = Fraser, “A Catalogue of the Scarabs Belonging to G. Fraser”, (London, 1900).

Gardiner, = Admonitions of an Egyptian Sage.

Gardiner, Ramesside Abminist. = Ramesside Administrative Documents, University Press.

Gardiner, Wilbour Pap. = The Wilbour Papyrus by Alan Gardiner in three volumes, Oxford University Press.

Gardiner, “Onomastica”. = Gardiner, “Ancient Egyptian Onomastica”, (Oxford, 1947).

Gardiner and Peet, “Sinai”. = Gardiner and Peet, “The Inscriptions of Sinai”. (London, 1917).

Gauthier, “Dict. Geog”. = Gauthier, “Dictionnaire des Nom Geographiques Contenus dans les Textes Hieroglyphiques”. (Cairo, 1925).

Grifith, “Kahun Papyri”. = Griffith, “Hieratic Papyri from Kahun and Gurob”. (London, 1898).

Hall, “Catalogue of Scarabs”. = Hall, “A Catalogue of Scarabs in the British Museum”. (London, 1913).

Hall, “Ancient History”. = Hall, “The Ancient History of the Near East”. (London, 1920).

Holscher: Wilhelm Holscher: = Libyer und Agypter.

J. E. A. = “The Journal of Egyptian Archeology”. (London, 1914–1947).

J. P. O. S. = “The Journal of the Palestine Oriental Society”, (1923–).

Helk = Hans Wolfgang Helk; Der Einfluss Militarfuhrer in der 18 Agyptischen Dynastie.

Historical Records: = Historical Records of Ramses III.

Lanzone, “Cat. Turin”. = Lanzone, “Catalogo generale dei Musei di antichita: Regio Museo di Torino”.

L. D. = Lepsius, “Denkmaler aus Aegypten und Aethiopien”. (Berlin, 1894).

Legrain, “Statues”. = Legrain, “Statues et Statuettes de Rois et de Particuliers” Catalogue General des Antiquities Egyptiens du Musee du Caire. (Cairo, 1906–1914).

Legrain, “Repertoire”. = Legrain, “Repertoire Geneologique et Onomastique du Musee Egyptien du Caire”. (Geneva, 1908).

Lepsius, “Auswahl”. = Lepsius “Auswahl der wichtigsten Urkunden des agyptischen Altertums” (Leipzig, 1842).

Lepsius, “Letters”. = Lepsius, “Letters from Egypt, Ethiopia and the Peninsula of Sinai”. (London, 1853).

Lieblien, “Dict. Noms”. = Lieblien, “Dictionnaire des Noms Hieroglyphiques en Ordre Genealogique et Alphabetique”. (Christiania, 1871).

Lucas. = Ancient Egyptian Materials & Industries.

Macallister, “Gerza”. = Macailister, “The Excavation of Gerza”. (London, 1912).

Mariette, “Abydos”. = Mariette “Catalogue General des Monuments d’Abydos Decouverts Pendant les Fouilles de cette Ville”. (Paris, 1880).

Mariette, “Abydos II”. = Mariette, “Abydos. Description des Fotilles Executees sur l’Emplacement de cette Ville” (Paris, 1869–1880).

Mariette, “Monuments”. = Mariette, “Monuments Dilers Recueilles en Egypt et en Nubie”. (Paris, 1889).

Maspero, “Bib. Egypt”. = Maspero, “Bibliotheque Egyptologique”, XVII. (Paris, 1901).

Maspero, “Temples Immerges”. = Maspero, “Les Temples Immergés de la Nubie Rapports relatifs à la Consolidation des Temples”. (Cairo, 1909–1919).

Maspero, “Guide”. = Maspero, “Guide du Visiteur au Muse du Caire”. (Cairo, 1915).

Maspero, “Momies Royales”. = Maspero, “Les Momies Royales de Deir el Bahari”. (Paris, 1889).

Maspero, “Melanges d’Arch”. = Maspero, “Melanges d’Archeologie Egyptien”.

Massi, “Description”. = Massi, “Description des Musees de Sculpture Antique Greque et Romaine. Musée du Vatican”. (Rome, 1891).

Mem. Miss. Franç. = Memoires Publiés par les Membres de la mission Archeologiques Française au Caire.

Meyer. “Gesch”. = Meyer, “Geschichte des Altertums”. (Stuttgart, 1928).

Meyer, “Hist. de l’Antiq.” = Meyer, “Histoire de l’Antiquite.” (Paris, 1912–1926).

M. M. A. = “The Bulletin of the Metropolitan Museum of Art.” (New York, 1909).

Môller: = Die Agypter und Ihre Libyscher Nachbarn.

Morgan (De), “Cat. Mon.”. = Morgan (De), “Catalogue des Monuments et Inscriptions de l’Egypte Antique”. (Vienna, 1894–

1909).

Murray, “Handbook”. = Murray, “Handbook for Travellers in Egypt” (London, 1880).

Newberry, “Timins Collection”. = Newberry, “The Timins Collection of Ancient Egyptian Scarabs and Cylinder Seals”. (London, 1907).

O. I. P. = “The Chicago University. The Oriental Institute. The Oriental Institute Publications”. (Chicago, 1924–).

“Paintings”. = Davies, Paintings from the Tomb of Rekh—mi—Re at Thebes”. (New York, 1935).

Petrie, “Scarabs”. = Petrie, “Scarabs and Cylinders”. (London, 1917).

Petrie, “Six Temples”. = Petrie, “Six Temples at Thebes, 1896”. (London, 1897).

Petrie, “Illahun”. = Petrie, “Illahun, Kahun and Gurob” (London, 1890).

Petrie, “Hist. Scarabs”. = Petrie, “Historical Scarabs”. (London, 1927).

Petrie, “History” = Petrie, “A History of Egypt”. (London, 1927).

Petrie, “Season”. = Petrie, “A Season in Egypt, 1887”. (London, 1888).

Petrie, “Kahun” = Petrie, “Kahun, Gurob and Hawara”. (London, 1890).

Petrie, “H. I. C”. = Petrie, “Hyksos and Israelite Cities”. (London, 1906).

P. E. F. Q. S. = “The Palestine Exploration Fund Quarterly Statement”. (London, 1869–).

Piehl, “Recueil”. = Piehl, “Inscriptions Hieroglyphiques recueillies en Europe et en Egypt”. (Stockholm, 1886–1903).

Pierret, “Rec. d’Inscriptions”. = Pierret, “Recueil d’Inscriptions Inedites du Musee Egyptien du Louvre”. (Paris, 1874–1878).

Porter and Moss, “Bibliography I”. = Porter and Moss, “Topographical Bibliography of Ancient Egyptian Inscriptions, Texts, Reliefs and Paintings”, I. “The Theban Necropolis”. (Oxford, 1921).

Porter and Moss, “Bibliography II”. = “The Theban Temples”. (Oxford, 1929).

Porter and Moss, “Bibliography III”. = “Memphis” (Oxford, 1931).

Porter and Moss, “Bibliography IV”. = Lower and Middle Egypt. (Oxford, 1934).

Porter and Moss, “Bibliography V”. = “Upper Egyptian Sites”. (Oxford, 1937).

P. S. B. A. = “The Proceedings of the Society of Biblical Archeology”. (London, 1879–1918).

R. E. A. = “Revue de l’Egypte Ancienne”. (Paris, 1929).

Rec. Trav. = “Recueil de Travaux Relatifs à la Philologie et à l’Archeologie Egyptiennes et Assyriennes”. (Paris, 1870–1923).

Rev d’Arch. = “Revue d’Archeologie”.

Rouge (De), “Monuments”. = Rouge (De), “Notice des Monuments Exposés dans la Galerie d’Antiquties Egyptiennes au Musee du Louvre. (Paris, 1885).

S. A. O. C. = “Chicago University. The Oriental Institute. Studies in Oriental Civilization”. (Chicago, 1931–).

Schaedel. = Schaedel Die Listen des Grossen Papyrus Harris Ihre Wirtschatlichen und Politischen ausdeutung.

Schafer, “Aeg. Insch. Berlin”. = Schafer, “Aegyptische Inschriften aus den Koniglichen Museen zu Berlin”. (Leipzig, 1924).

Schiaparelli, “Catalogue”. = Schiaparelli, “Catalogue Generale dei Musei di Antichita di Firenze”. (Rome, 1887).

Sethe, “Untersuchungen”. = Sethe, “Untersuchungen zur Geschichte und Altertumskunde Aegeptens”. (Leipzig, 1896–1917).

Sethe, “Urkunden IV, or Urk. IV”. = Sethe, “Urkunden des Agyptischen Altertums”. (Leipzig, 1906–1914).

Sethe, “Pyramidentexte”. = Sethe, “Die Altagyptische Pyramidentexte” (Leipzig, 1908–1922).

Siergfried Schott = Altagyptische Liebesliedes Mit Marchen and Siebesgeschëehter, Artemis—Verlag Zurich (1650), Altagyptichen Liebeslieder.

Sethe, “Achtung”. = Sethe, “Die Achtung feindlicher Fursten-Volker und Dinge auf altagyptischen Tongeffasscherben des Mittleren Reiches”. (Preussische Akademie der Wissenschaften Philos-Hist. Klass, 1926).

Struve, = Ort des Herkunft und zwick des Harris papyrus in Aegyptens 1926.

W. B. = Erman and Grapow, “Worterbuch der Aegyptischen Sprache”. (Leipzig, 1925).

Weigall, “Guide”. = Weigall, “A Guide to the Antiquities of Upper Egypt”. (London, 1913).

Weigall, “History”. = Weigall, “A History of the Pharaohs” (London, 1925).

Weigall, “Lower Nubia”. = Weigall, “A Report on the Antiquities of Lower Nubiain 1906–1987”. (Oxford, 1907).

Weil, “Veziere”. = Weil, “Die Veziere des Pharaonenreiches”. (Leipzig, 1908).

Wiedemann, “Geschichte”. = Wiedemann, “Agyptische Geschichte”. (Gotha, 1884).

Wiedemann, “Kleinere Agypt. Insc.”. = Wiedemann, “Kleinere Inschriften aus der XIII–XIV Dynasie”. (Bonn, 1891).

Wilkinson, “Thebes”. = Wilkinson, “Topography of Thebes and General View of Egypt”. (London, 1835).

Winlock, “Dier el Bahri”. = Winlock, “Excavations at Dier el Bahri”. (1943).

Wreszinski, “Atlas”. = Wrezinski, “Atlas zur Altagyptishen Kulturgeschichte”, (Leipzig, 1923–1936).

W. D. V. O. G. = “Deutsche Orient-Gesellschaft, Berlin Wissenschaftliche Verofentlichungen”. Leipzig, 1900.